البحر المحيط

تصنيف

أثير الدين أبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان
الغرناطي الأندلسي
٦٥٤هـ/٧٤٥هـ

حقق هذا الجزء

محمد معتز كريم الدين   عمار ريحاوي

الجزء الثامن عشر

دار الرسالة العالمية

بسم الله الرحمن الرحيم

جميع الحقوق محفوظة للناشر

الطبعة الأولى

٢٠١٥م / ١٤٣٦هـ

دار الرسالة العالمية

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع هذا الكتاب أو أي جزء منه بجميع طرق الطبع والتصوير والنقل والترجمة والتسجيل المرئي والمسموع والحاسوبي وغيرها إلا بإذن خطي من:

شركة الرسالة العالمية م.م.

Al-Resalah Al-A'lamiah LTD.
Publishers

الإدارة العامة
Head Office

دمشق - الحجاز
شارع مسلم البارودي
بناء خولي وصلاحي

2625
(963)11-2212773
(963)11-2234305

الجمهورية العربية السورية
Syrian Arab Republic

info@resalahonline.com
http://www.resalahonline.com

فرع بيروت
BEIRUT/LEBANON
TELEFAX: 815112- 319039- 818615
P.O. BOX:117460

بسم الله الرحمن الرحيم

مفردات سورة فاطر*

القِطْمير: المشهور أنَّه القشرةُ الرَّقيقة التي على نَوى التَّمرة، ويأتي ما قال المفسرون فيه.

الجُدَد: جمع جُدَّة، وهي الطَّريقة تكون من الأرض والجبَل. كالقطعة العظيمةِ المتَّصلة طُولاً. وقال الزمخشري: والجُدَد: الخُطَط والطَّرائق، قال لبيد:

أو مُـذْهَـبٌ جُـدَدٌ عـلـى ألْـواحِـهِ[1]

ويقال: جُدَّة الحمار للخُطَّة السَّوداء على ظهره، وقد تكون للظَّبْي جُدَّتان مِسْكِيَّتان تفصِلان بين لَوْنَي ظهرِه وبطنه[2]. انتهى. وقال الشاعر:

كـأن سَـراتَـه وجُـدَّةُ ظَـهْـرِه كَـنـائـنُ[3] يـجـري بـيـنـهـن دَلـيـصُ

الجُدَّةُ: الخطُّ الذي في وَسَط ظهرِه، يصف حمارَ وَحْشٍ.

الغِرْبيب: الشَّديدُ السَّواد. لَغِب يَلْغَبُ لُغوباً: أعْيا.

---

* تفسير سورتي فاطر و﴿يسٓ﴾ من تحقيق عمار ريحاوي. وتفسير باقي الجزء من تحقيق محمد معتز كريم الدين.

(١) في المطبوع: الواحد، وهو تحريف، وتمام البيت: الناطق المبروز والمختوم، وهو في ديوانه ١١٩، يصف أطلال خولة؛ المذهب: اللوح عليه ذهب، شبهه بما عرف من الديار، والجدد: الطرائق التي فيه، والناطق: الكتاب، والمبروز: المكتوب المنشور، والمختوم: الذي لم ينشر.

(٢) الكشاف ٣/ ٣٠٧.

(٣) في المطبوع: كأن مبرات... كساءين. وانظر معاني القرآن للفراء ٢/ ٣٦٩، وللزجاج ٤/ ٢٦٩، وتفسير الطبري ١٩/ ٣٦٣، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٣٧، والبيت لامرئ القيس، وهو في ديوانه ٦١٦ (بشرح السكري)، الكنائن: جمع كنانة، وهي الجعاب، ودليص: ذهبٌ له بريق.

سورة فاطر

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ جَاعِلِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِيٓ أَجۡنِحَةٖ مَّثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۚ يَزِيدُ فِي ٱلۡخَلۡقِ مَا يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١ مَّا يَفۡتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحۡمَةٖ فَلَا مُمۡسِكَ لَهَاۖ وَمَا يُمۡسِكۡ فَلَا مُرۡسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٢ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ٣ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدۡ كُذِّبَتۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِكَۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ٤ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ٥ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ٦ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٌ ٧ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنٗاۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۖ فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ٨﴾.

التفسير

هذه السُّورة مكيَّة، ولمَّا ذكر تعالى في آخر السورة التي قبلها هَلاكَ المشركين أعداءَ المؤمنين، وأنزلهم منازلَ العذاب، تعيَّن على المؤمنين حَمْدُه تعالى وشكرُه لنعمائه[1]، ووصْفُه بعظيم آلائه، كما في قوله: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْۚ وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام: ٤٥].

وقرأ الضحَّاك والزُّهري: «فَطَر» جعله[2] فعلاً ماضياً، ونصب ما بعده.

قال أبو الفَضْل الرَّازي: فأما على إضمار الذي فيكون نعتاً لله عزَّ وجَلّ، وأما بتقدير قد فيما قبله فيكون بمعنى الحال[3]. انتهى.

وحذفُ الموصول الاسمي لا يجوز عند البصريّين، وأما الحال فتكون حالاً مَحْكيَّة. والأحسنُ عندي أن يكون خبرَ مبتدأ محذوف، أي: هو فطر.

---

(١) في (ت): وشكر نعمائه.

(٢) في (ت): جعلاه، وفي (د٣): فجعله، وانظر القراءة في مختصر في الشواذ ١٢٣، والمحتسب ٢/ ١٩٨، وتفسير القرطبي ١٧/ ٣٤١.

(٣) نقله السمين في الدر ٩/ ٢٠٩، والآلوسي في روح المعاني ٢٢/ ١٥١.

وتقدَّم شرحُ: «فاطرِ السماوات والأرض» وأن المعنى: خالقها بعد أنْ لم تكن(١). والسَّماوات والأرض عبارةٌ عن العالَم.

وقال أبو عبد الله الرازي: الحمدُ يكون في غالب الأمر على النِّعمة، ونِعَمُ الله عاجِلة، و«الحمد(٢) لله الذي خلق السماوات والأرض وجعل الظُّلُمات والنور» إشارةٌ إلى النعمة العاجلة، ودليلُه: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا﴾ [الأنعام: ٢]، و﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [الكهف: ١] إشارة إليها أيضاً وهي الإبْقاء؛ فإن البقاءَ(٣) والصَّلاح بالشَّرع والكتاب و﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ في سورة سبأ [آية: ١] إشارةٌ إلى نعمة الإيجاد والحَشر، ودليلُه: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ وقوله: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ﴾ [سبأ: ٢-٣]، وهنا إشارةٌ إلى نعمة البقاء في الآخرة، ودليلُه: ﴿وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [الأنبياء: ١٠٣]. ف «فاطر السماوات والأرض» شاقُّهما لنُزولِ الأرواحِ من السَّماء وخروج الأجساد من الأرض، ودليله «جاعلُ الملائكةِ رُسُلاً» أي: في ذلك اليوم، فأوَّل هذه السورة مُتَّصل بآخِر ما مضى لأن ﴿كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ﴾ [سبأ: ٥٤] بيانٌ لانقطاع رَجاء مَنْ كان في شكٍّ مُريب. ولمَّا ذكر حالَهم ذكرَ حالَ المؤمن(٤)، وبشَّره بإرسالِ الملائكةِ إليهم مُبَشِّرين، وأنه يفتح لهم أبواب الرَّحمة.

وقرأ الحسن: «جاعلُ» بالرَّفع، أي: هو جاعل(٥). وعبد الوارث عن أبي عمرو «جاعلُ» رفعاً بغير تنوين «الملائكةَ» نصباً، حُذف التنوين لالتقاء الساكنين(٦).

وقرأ ابن يَعْمَر وخُلَيد بن نَشيط: «جَعل» فعلاً ماضياً «الملائكةَ» نصباً(٧)، وذلك

---

(١) سلف (١٤) الأنعام، (١٠١) يوسف، (١٠) إبراهيم.
(٢) في (ت ز٢): فالحمد.
(٣) في النسخ والمطبوع خلا (د٣): الاتقاء فإن الاتقاء، والمثبت منها، وهو الصحيح إن شاء الله، يؤيده ما في تفسير الرازي ٢٦/ ٢: ونعم الله قسمان عاجلة وآجلة، والعاجلة وجود وبقاء...
(٤) في (د٣): الموقن، وانظر التفسير الكبير ٢٦/ ٢، وروح المعاني ٢٢/ ١٥١.
(٥) مختصر في الشواذ ١٢٣، والمحتسب ٢/ ١٩٨، وتفسير القرطبي ١٧/ ٣٤١.
(٦) مختصر في الشواذ ١٢٣، وقراءة أبي عمرو المشهورة عنه كقراءة الجمهور.
(٧) مختصر في الشواذ ١٢٣، والمحتسب ٢/ ١٩٨، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٢٨، وتفسير القرطبي ١٧/ ٣٤١.

بعد قراءته «فاطر» بالألف[١] والجرِّ كقراءة مَن قرأ: ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا﴾ [الأنعام: ٩٦][٢].

وقرأ الحسن وحُمَيْد بن قيس: «رُسْلاً» بإسكان السين، وهي لغة تميم[٣].

وقال الزمخشري: وقُرئ: «الذي فطر السماوات والأرض وجعل الملائكة»[٤].

فمَن قرأ: فَطر وجَعل؛ فينبغي أن تكون هذه الجُمل[٥] إخباراً من العبد عمَّا أسْداه إلينا من النِّعَم؛ كما تقول: الفضلُ لزيد أحسنَ إلينا بكذا، خَوَّلنا في كذا[٦]، يكون ذلك على جهةِ بيانٍ لفعله الجميل، كذلك يكون في قوله: «فَطَرَ، جَعَل»، لأن في ذلك نِعَماً لا تُحصى، ومَن قرأ: «فاطر» و«جاعل»، وأضاف «جاعل» فالأظهر أنَّهما اسما فاعل بمعنى المُضيّ، فيكونان صفةً لله.

ويجيء الخلافُ في نصب «رُسُلاً» فمذهب السِّيرافي أنه منصوبٌ باسم الفاعل وإن كان ماضياً، لما لم يمكن إضافته إلى اسمين نصب الثاني.

ومذهب أبي علي أنه منصوب بإضمارِ فعلٍ. والترجيح بين المذهبين مذكورٌ في النحو.

وأما مَن نصب «الملائكةَ» فيتخرَّج على مذهب الكسائي وهشام في جواز إعمال الماضي النّصبَ، ويكون إذْ ذاك إعرابُهُ بدلاً، وقيل: هو مستقبل تقديره: يجعل الملائكةَ رُسُلاً، ويكون أيضاً إعرابه بدلاً[٧].

---

(١) في النسخ والمطبوع خلا (د٣ يه): بألف، والمثبت منهما، وهما بمعنى.
(٢) هي قراءة عاصم وحمزة والكسائي وهم الكوفيون، انظر السبعة ٢٦٣، والتيسير ١٠٥، وسلفت في تفسير الآية المذكورة من سورة الأنعام.
(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٤٢٨.
(٤) الكشاف ٣/ ٢٩٧.
(٥) في (ت د٣): الجملة.
(٦) في (ت): بكذا، وفي المطبوع: خولنا كذا.
(٧) انظر للمسألتين المقتصد في شرح الإيضاح ١/ ٥٠٥، ٥١٢، وشرح التسهيل ٣/ ٧٨، وشرح الكافية الشافية ١٠٢٨، ١٠٤٤، وارتشاف الضرب ٢٢٦٧، ٢٢٧١، ٢٢٧٢.

ومعنى «رُسُلاً» بالوَحْي وغيره من أوامره، ولا يُريد جميع الملائكة لأنهم ليسوا كلُّهم رُسُلاً، فمن الرُّسُل: جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل، والملائكة المُتعاقبون، والملائكة المُسَدِّدون[١] حكامَ العَدْل، وغيرهم كالملَك الذي أرسله الله إلى الأعمى والأبْرَص والأقْرَع.

و«أجْنحة» جمع جَناح صيغة جمع القلَّة، وقياس جمع الكثرة فيه جُنُح، على وزن فُعُل، فإنْ كان لم يُسمع كان أجنحة مُستعملاً في القليل والكثير.

وتقدَّم الكلام على «مَثْنى وثُلاث ورُباع» في أول «النِّساء»[٢] مُشْبعاً، ولكن المفسرون تعرَّضوا للكلام فيه هنا؛

فقال الزمخشري: مَثْنى وثُلاث ورُباع صفات لأجنحة، وإنما لم تنصرف لتكرُّر العَدْل فيها، وذلك أنها عُدلت عن ألفاظ الأعداد عن صِيغ إلى صيغ أُخَر، كما عُدل عُمر عن عامر وحَذام عن حاذمة، وعن تكرير إلى غير تكرير، وأما الوَصْفيّة فلا تفترق الحالُ فيها بين المَعْدولة والمَعْدول عنها، ألا تراك تقول: مررتُ بنسوةٍ أربع وبرجالٍ ثلاثة، فلا يُعرِّج عليها[٣]. انتهى.

فجعل المانع للصَّرف هو تكرار العَدْل فيها، والمشهور أنها امتنعت الصَّرفَ للصِّفة والعَدْل.

وأما قوله: ألا تراك.... فإنه قاس الصفة في هذا المَعْدول على الصفة في أفْعل وفي ثلاثة، وليس بصحيح؛ لأن مُطلَقَ الصِّفة لم يَعدُّوه علَّة، بل اشترطوا فيه، فليس الشَّرط موجوداً في أربع لأن شرطه أنْ لا يقبل تاءَ التأنيث، وليس شرطه في ثلاثة موجوداً لأنه لم يُجعل علَّةً مع التأنيث، فقياسُ الزمخشري قياسٌ فاسدٌ إذ غَفَل عن شرط كونِ الصِّفة علَّةً.

وقال ابن عطية: عُدِلت في حال التَّنكير فتعرَّفت بالعَدْل، فهي لا تَنْصرفُ للعَدْل والتعريف، وقيل: للعَدْل والصِّفة[٤]. انتهى.

---

(١) في (ت): الممدون، وفي (يه): المردون. وانظر المحرر الوجيز ٤/٤٢٨.
(٢) في تفسير الآية (٣) منها.
(٣) الكشاف ٣/٢٩٨.
(٤) المحرر الوجيز ٤/٤٢٨.

وهذا الثاني هو المشهور، والأول قولٌ لبعض الكوفيين.

والظاهر أن الملَك الواحد من صنفٍ له جناحان، وآخر ثلاثة، وآخر أربعة، وآخر له أكثر من ذلك؛ لما روي أن لجبريل ستّ مئة جناح، منها اثنان يبلغ بهما من المشرق إلى المغرب. قاله قتادة[١].

وأخذ الزمخشري يتكلّم على كيفية هذه الأجنحة، وعلى صورة هذه الثلاثة بما لا يُجدي قائلاً[٢] يُطالع ذلك في كتابه.

وقالت فرقة: المعنى: في كلِّ جانب من الملَك جناحان[٣]، ولبعضهم ثلاثة، ولبعضهم أربعة، وإلا فلو كانت ثلاثة لواحد لما اعتدلتْ في مُعتاد ما رأينا نحن من الأجنحة.

وقيل: بل هي ثلاثة لواحد، كما يوجد لبعض الحوت[٤].

والظّاهر أنّ المُراد من الأجنحة ما وُضعت له في اللغة.

وقال أبو عبد الله الرازي بذيل بحثه في قوله: «الحمد لله فاطر السماوات والأرض» وهو الذي حكينا عنه أن قوله: «جاعل الملائكة رُسلاً أولي أجنحةٍ مَثْنى وثُلاث رُباع»: أقلُّ ما يكون لذي الجناح؛ إشارةٌ إلى الجهة[٥]، وبيانه: أن الله ليس شيءٌ فوقه، وكلّ شيء تحت قُدرته ونعمته، والملائكة لهم وجهٌ إلى الله يأخذون منه نِعمه، ويُعطون مَن دونهم مما أخذوه بإذن الله؛ كما قال تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ [الشعراء: ١٩٣]، وقوله: ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾ [النجم: ٥]، وقال تعالى

---

(١) أخرج الطبري ١٩/ ٣٢٦ عن قتادة قال: بعضهم له جناحان، وبعضهم ثلاثة، وبعضهم أربعة، وذكره كذلك الماوردي في النكت والعيون ٤/ ٤٦١، وابن عطية في المحرر الوجيز ٤/ ٤٢٩.

وأما قوله: لما روي أن لجبريل. . . فقد أخرج أحمد (٣٧٨٠)، والبخاري (٣٢٣٢)، ومسلم (١٧٤) من حديث ابن مسعود ﷺ أن النبي ﷺ رأى جبريل له ست مئة جناح.

(٢) في (د٣): فائدة، وانظر الكشاف ٣/ ٢٩٨.

(٣) في النسخ والمطبوع خلا (ت): والمعنى أن في. . . جناحان، والمثبت منها.

(٤) في المطبوع: الحيوانات. والكلام هذا والذي قبله في المحرر الوجيز ٤/ ٤٢٩.

(٥) في التفسير الكبير ٢٦/ ٣: أقل ما يكون لذي الجناح أن يكون له جناحان وما بعدهما زيادة، وقال قوم فيه: إن الجناح إشارة إلى الجهة.

في حقهم: ﴿فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا﴾ [النازعات: ٥]، فهما جناحان، وفيهم مَن يفعل ما يفعل من الخير بواسطة، وفيهم مَن يفعله لا بواسطة، فالفاعل بواسطة فيهم مَن له ثلاث جهات، ومنهم مَن له أربع جهات وأكثر. انتهى.

وبحثُه في هذا وفي «فاطر السماوات والأرض» بحثٌ عجيب، وليس على طريقة فَهْم العرب من مَدلولات الألفاظ التي حَمَّلها ما حَمَّل.

والظاهر أن «مَثْنى» وما بعده من صفات الأجنحة، وقيل: «أولي أجنحة» مُعترض، و«مَثنى» حال، والعامل فعلٌ محذوف يدلُّ عليه «رُسُلاً» أي: يُرْسَلُون مثنى وثُلاث ورُباع.

قيل: وإنما جعلهم أولي أجْنحة لأنه لما جعلهم رُسُلاً جعل لهم أجنحةً ليكونَ أسْرعَ لنَفاذِ الأمر وسرعة إنفاذِ القضاء؛ فإن المسافة التي بين السَّماء والأرض لا تُقطع بالأقدام إلا في سنين، فجُعلت لهم الأجنحةُ حتى يَنالوا المكانَ البعيدَ في الوقت القريب كالطَّير.

«يَزيد في الخلق ما يشاء» تقريرٌ لما يَقع في النفوس من التَّعَجُّب والاستغراب من خَبَر الملائكة أولي أجْنحة، أي: ليس هذا ببِدْعٍ في قدرة الله، فإنه يزيد في خلقه ما يشاء[١].

والظاهر عُموم الخَلْقِ، وقال الفرَّاء: هذا في الأجنحة التي للملائكة، أي: يزيد في خلق الملائكة في الأجنحة. وإليه ذهب الحسن.

وعن ابن عباس: يزيد في خلقِ الملائكةِ الأجنحةَ[٢].

وقالوا في هذه الزيادة: الخُلُق الحَسن، أو حُسْن الصَّوت، أو حُسْن الخطّ، أو المَلاحَة في العَينين أو الأنف، أو خِفَّة الرُّوح، أو الحُسْن، أو جُعودة الشَّعَر، أو العَقْل، أو العلم، أو الصَّنْعَة، أو العِفَّة في الفَقْر، أو الحَلاوة في الفم[٣].

---

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٢٩٩.

(٢) من قوله: وإليه ذهب الحسن... إلى هنا، ليس في المطبوع. وانظر معاني القرآن للفراء ٢/ ٣٦٦.

(٣) انظر الأقوال في تفسير الثعلبي ٥/ ١٦٧، والماوردي ٤/ ٤٦٢، والقرطبي ١٧/ ٣٤٢-٣٤٣، ومعاني القرآن للنحاس ٥/ ٤٣٦، والكشاف ٣/ ٢٩٨، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٢٩، وزاد المسير ٦/ ٤٧٣.

وهذه الأقوال على سبيل التَّمثيل لا الحَصْر، والآية مُطْلَقَةٌ تتناول كلَّ زيادةٍ في الخَلْق، وقد شَرحوا هذه الزيادةَ بالأشياء المُسْتَحْسَنة.

و«ما يشاء» عامٌّ لا يَخُصُّ مُسْتَحْسَناً دون غيره، وخَتْمُ الآية بالقُدْرة على كل شيءٍ يَدُلُّ على ذلك.

والفتحُ والإرْسالُ استعارةٌ للإطلاق، «فلا مُرْسِلَ له» مكان لا فاتحَ له، والمعنى: أيَّ شيءٍ يُطلقُ الله من رحمة، أي: مِن نِعمةِ رزقٍ، أو مطرٍ، أو صِحَّةٍ، أو أمنٍ، أو غير ذلك من صنوف نَعمائه التي لا يُحاط بعَدَدها.

وما رُوي عن المُفسِّرين المتقدِّمين من تفسير رحمة بشيءٍ مُعيَّن فليس على الحَصْر فيه إنما هو مِثال.

قال الزمخشري: وتنكيرُ الرَّحمة للإشاعة والإبْهام، كأنه قال: من أيَّةِ رحمةٍ كانت سَماويَّةٍ أو أرضيَّةٍ فلا أحدَ يقدرُ على إمساكها وحَبْسها، وأيَّ شيءٍ يُمسكُ الله فلا أحَدَ يَقْدر على إطلاقه[1]. انتهى.

والعمومُ مَفهومٌ من اسم الشَّرط، و«من رَحْمة» لبيان ذلك العامِّ من أيِّ صِنْفٍ هو، وهو مما اجتُزئ فيه بالنَّكرة المُفْرَدة عن الجمع المُعرَّفِ المُطابق في العُموم لاسم الشَّرط، وتقديرُه: من الرَّحَمات، و«من» في موضع الحال، أي: كائناً من الرَّحَمات، ولا يكون في موضع الصِّفة؛ لأن اسمَ الشَّرط لا يُوصَف.

والظَّاهر أن قوله: «وما يُمْسِك» عامٌّ في الرَّحْمة وفي غيرها لأنه لم يُذْكَر له تبيين، فهو باقٍ على العموم في كلِّ ما يُمْسَك. فإنْ كان تفسيرُه: من رحمة، وحُذفت لدلالة الأوَّل عليه؛ فيكون تذكيرُ الضَّمير في «فلا مُرْسِلَ له من بعده» حَمْلاً على لفظ «ما» وأُنِّث في «فلا مُمْسك لها» على معنى «ما» لأن معناها الرَّحمة. وقرئ: «فلا مُرْسِلَ لها» بتأنيث الضَّمير[2]. وهو دليلٌ على أن التفسير هو: من رحمة، وحُذف لدلالة ما قبله عليه.

وعن ابن عباس: «من رَحْمةٍ» من باب تَوْبةٍ «فلا مُمْسِكَ لها» أي: يتوبون إنْ

(١) الكشاف ٣/ ٢٩٨.

(٢) ذكرها الزمخشري ٣/ ٢٩٨.

شاؤوا وإنْ أبَوا «وما يُمسِك» من باب توبةٍ «فلا مُرْسِلَ له من بعده» فهم لا يتوبون. وعنه أيضاً: «من رحمةٍ» من هِداية[١].

قال الزمخشري: فإن قلت: فما تقول فيمَن فسَّر الرَّحمةَ بالتَّوبة وعزاه إلى ابن عباس؟ قلت: أراد بالتَّوبة الهدايةَ لها، والتوفيق فيها، وهو الذي أراده ابن عباس إنْ قاله فمقبول، وإنْ أراد أنه إنْ شاء أن يتوب العاصي تاب وإنْ لم يشأ لم يَتُبْ فمَرْدودٌ؛ لأن الله تعالى يشاء التوبةَ أبداً، ولا يجوز عليه أنْ لا يشاءَها[٢]. انتهى. وهو على طريقة الاعتزال.

«من بعده» هو على حذفِ مُضاف، أي: من بعد إمساكه، كقوله: ﴿فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ﴾ [الجاثية: ٢٣]، أي: من بعد إضلال الله إيّاه لأن قبله: ﴿وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ [الجاثية: ٢٣]، كقوله: ﴿مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِىَ لَهُۥ﴾ [الأعراف: ١٨٦].

وقدَّره الزمخشري: من بعد هِدايةِ الله[٣]. وهو تقديرٌ فاسدٌ لا يُناسِب الآية، جرى فيه على طريقة الاعتزال.

«وهو العزيز» الغالبُ القادرُ على الإرسال والإمساك «الحَكيم» الذي يُرسل ويُمسك ما اقتضته حكمتُه[٤].

«يا أيُّها الناس» خطابٌ لقُريش، وهو مُتَّجِهٌ لكلِّ مؤمن وكافر، ولاسيَّما مَن عبد غيرَ الله، وذَكَّرهم بنِعَمه في إيجادهم.

«اذكروا» ليس أمْراً بذِكرِ اللِّسان، ولكنْ به وبالقلب، وبحِفْظِ النِّعمة من كُفرانها، وشُكرها، كقولك لمَن أنعمتَ عليه: اذكر أياديَّ عندك، تُريد: حِفظَها وشُكرَها، والجميع مَغْمورون في نعمةِ[٥] الله، فالخطاب عامُّ اللفظ وإنْ كان نزل ذلك بسبب قريش. ثم استَفْهَم على جهةِ التَّقرير «هل من خالقٍ غيرُ الله»؟! أي: فلا إله إلا الخالق، لا ما تعبدون أنتم من الأصنام.

---

(١) ذكرهما عن ابن عباس: الماوردي ٤/ ٤٦٢، والقرطبي ١٧/ ٣٤٤.
(٢) الكشاف ٣/ ٢٩٩.
(٣) الكشاف ٣/ ٢٩٩ وما قبله منه.
(٤) في (ت): الحكمة، والكلام من الكشاف.
(٥) في (ت): نعم.

وقرأ ابن وَثَّاب وشَقيق وأبو جعفر وزيد بن علي وحمزة والكسائي: «غيرِ» بالخَفْض نعتاً على اللَّفظ[١]، و«من خالقٍ» مبتدأ، و«يَرْزُقكم» جَوَّزوا أن يكون خبراً للمبتدأ، وأنْ يكون صفةً وأنْ يكون مُستأنفاً، والخبر على هذين الوجهين محذوف تقديرُه: لكم.

وقرأ شَيْبَة وعيسى والحسن وباقي السبعة: «غيرُ» بالرَّفع[٢].

وجوَّزوا أنْ يكون نَعْتاً على الموضع كما كان الجرُّ نَعْتاً على اللفظ، وهذا أظهرُ لتوافُقِ القراءتين، وأنْ يكون خبراً للمبتدأ، وأنْ يكون فاعلاً باسم الفاعل الذي هو خالق، لأنه قد اعتمَد على أداة الاستفهام فحَسُنَ إعمالُه، كقولك: أقائمٌ زيد، في أحد وجهَيه.

وفي هذا نظَرٌ، وهو أن اسم الفاعل أو ما جَرى مجراه إذا اعتمد على أداة الاستفهام وأجريَ مجرى الفعل فرفع ما بعده؛ هل يجوز أن تدخلَ عليه «من» التي للاستغراق فتقول: هل من قائم الزيدون، كما تقول: هل قائم الزيدون؟ والظَّاهر أنه لا يجوز، ألا ترى أنه إذا جَرى مجرى الفعل لا يكون فيه عموم، بخلافه إذا دخلت عليه «من»، ولا أحفظُ مثلَه في لسان العرب، وينبغي أنْ لا يُقْدَم على إجازة مثل هذا إلا بسماعٍ من كلامِ العرب.

وقرأ الفضل بن إبراهيم النحويّ: «غيرَ» بالنصب على الاستثناء[٣]، والخبر إمَّا «يرزقكم» وإمَّا محذوف، ويرزقكم مُستأنَف، وإذا كان «يرزقكم» مُستأنفاً كان أولى؛ لانتفاء صِدْقِ خالقٍ غير الله، بخلاف كونه صفةً، فإن الصِّفة تقيّد، فيكون ثمَّ خالقٌ غير الله لكنه ليس برازق.

ومعنى «من السَّماء» بالمطر «والأرض» بالنَّبات «لا إله إلا هو» جملةٌ مُستَقلّة لا موضعَ لها من الإعراب «فأنَّى تُؤفَكون» أي: كيف تُصْرَفون عن التَّوحيد إلى الشِّرك؟

---

(١) السبعة ٥٣٤، والتيسير ١٨٢، والنشر ٢/ ٣٥١ ـ وهي قراءة أبي جعفر، وخلف من العشرة ـ ومعاني القرآن للفراء ٢/ ٣٦٦، وإعراب القرآن للنحاس ٣/ ٣٦٠، وتفسير الثعلبي ٥/ ١٦٧، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٢٩، وتفسير القرطبي ١٧/ ٣٤٥.

(٢) السبعة والتيسير والنشر وإعراب القرآن والمحرر الوجيز.

(٣) مختصر في الشواذ ١٢٣.

«وإن يكذبوك» إلى «الأمور» تقدَّم الكلامُ على ذلك[١].

«إنّ وعْدَ الله حقٌّ» شاملٌ لجميع ما وَعد من ثوابٍ وعِقاب وغير ذلك.

وقرأ الجمهور: «الغَرور» بفتح الغين، وفسَّره ابن عباس بالشَّيطان[٢].

وقرأ أبو حَيْوَة وأبو السمَّال بضمِّها[٣]، جمع غار أو مصدر؛ كقوله: ﴿فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ﴾ [الأعراف: ٢٢]. وتقدّم الكلامُ على ذلك في آخر «لقمان»[٤].

«إن الشَّيطان لكم عَدوّ» عَداوتُه سبقت لأبينا آدم، وأيُّ عداوةٍ أعظمُ من أن يقول في بَنيه: ﴿لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [ص: ٨٢] ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ﴾ [النساء: ١١٩].

«فاتّخِذوه عدوًّا» أي: بالمُقاطَعة والمُخالَفَة باتِّباع الشَّرع.

ثم بَيَّن أن مَقصودَه في دعاء حِزبه إنما هو تعذيبُهم في النار، ليَشْترِكَ هو وهم في العَذاب، فهو حريصٌ على ذلك أشدَّ الحِرْص، حتى يَبين صِدقُ قوله في فلَأُغْوِيَنَّهم ولَأُضِلَّنَّهم؛ لأن الاشتراكَ فيما يَسوء مما قد يُتَسَلَّى به بخلاف المُنْفَرِد بالعَذاب.

ثمَّ ذكر الفريقين وما أعدَّ لهما من العِقاب والثَّواب، وبدأ بالكُفَّار لمجاورته قولَه: «إنّما يدعو حِزْبَه» فأتبَع خبرَ الكافر بحاله في الآخرة.

قال ابن عطية: واللام في «ليكونوا» لامُ الصَّيرورة، لأنه لم يَدْعُهم إلى السَّعير، إنما اتَّفق أنْ صار أمرُهم عن دعائه إلى ذلك[٥]. انتهى.

ونقول: هو مما عُبِّر فيه عن السَّبب بما تسبَّب عنه دعاؤهم إلى الكفر، وتَسبَّب عنه العَذابُ.

---

(١) في تفسير الآية (١٨٤) من سورة آل عمران.

(٢) أخرجه عنه الطبري ١٩/ ٣٣١.

(٣) تفسير الثعلبي ٥/ ١٦٨، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٢٩، وتفسير القرطبي ١٧/ ٣٤٧، ووقع في المحرر: سماك العبدي بدل أبي السمّال، وفي معاني القرآن ٥/ ٤٣٨، وإعراب القرآن ٣/ ٣٦١ كلاهما للنحاس: وروى شعبة عن سماك بن حرب: الغرور بضم الغين، والذي في الدر المصون ٩/ ٢١٣، وروح المعاني ٢٢/ ١٦٥ موافق لما في البحر.

(٤) في تفسير الآية (٣٣) منها.

(٥) المحرر الوجيز ٤/ ٤٣٠.

و«الذين كفروا، والذين آمنوا» مبتدآن، وجوَّز بعضُهم في «الذين كفروا» أنْ يكون في موضع خَفْضٍ بدلاً من «أصحابِ السَّعير» أو صفةً، وفي موضع نصْبٍ بدلاً من «حزْبِه»، وفي موضع رَفْعٍ بدلاً من ضمير «ليكونوا»، وهذا كلُّه بمَعْزِلٍ عن فَصاحةِ التَّقسيم وجَزالة التركيب.

«أفمَن زُيِّن له سُوءُ عَملِه فرآه حَسَناً» أي: فرأى سُوءَ عملِه حَسناً، و«مَن» مبتدأ موصول وخبرُه محذوف، والذي يَقتضيه النَّظْمُ أنْ يكون التقدير: كمَن لم يُزَيَّن له، كقوله: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ﴾ [محمد: ١٤] ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ﴾ [الرعد: ١٩]. ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ﴾ ثم قال: ﴿كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ [الأنعام: ١٢٢].

وقال الكسائي: تقديرُه: تَذْهب نفسُك عليهم حَسَرات، لدلالة «فلا تَذْهَبْ نفسُك».

وقيل: التقدير: فرآه حَسَناً فأضلَّه الله كمَن هداه الله، فحُذف ذلك لدلالة «فإن الله يُضِلُّ مَن يشاء» وذكر هذين الوَجْهَين الزجَّاج[(١)].

وشرح الزمخشري هنا «يُضلُّ مَن يشاء» على طريقته في غير موضع من كتابه من أن الإضلال هو خذلانُه وتخليتُه وشأنَه، وأتى بألفاظ كثيرة في هذا المعنى[(٢)].

وقرأ الجمهور: «أفمَن زُيِّن» مبنيًّا للمفعول «سوءُ» رفع[(٣)].

وقرأ عُبيد بن عُمير: «زَيَّن له سوءَ» مبنيًّا للفاعل ونصب سوء، وعنه أيضاً: «أسوأَ» على وزن أفعل منصوباً[(٤)]، وأسوأُ عملِه هو الشِّرك.

وقرأ طلحة: «أمَّن» بغير فاء[(٥)]. قال صاحب «اللّوامح»: فالهمزة للاستخبار

---

(١) في معاني القرآن له ٤/ ٢٦٢، ونقلهما عنه الزمخشري ٣/ ٣٠١، وابن الجوزي ٦/ ٤٧٥، والقرطبي ١٧/ ٣٤٨، وانظر المحرر الوجيز ٤/ ٤٣٠.

(٢) الكشاف ٣/ ٣٠١.

(٣) في (ت): بالرفع، وهما سواء.

(٤) ذكر قراءتي عبيد بن عمير: السمين في الدر ٩/ ٢١٤، والآلوسي في روح المعاني ٢٢/ ١٧٠.

(٥) المحرر الوجيز ٤/ ٤٣٠.

بمعنى العامّة للتقرير، ويجوز أن تكون بمعنى حرف النّداء، فحُذف التَّمام كما حُذف من المشهور الجواب. انتهى. ويعني بالجواب: خبر المبتدأ، وبالتّمام ما نُودي لأجله، أي: تَفكَّر وارْجع إلى الله.

«فإن الله يُضِلُّ مَن يشاء ويَهدي مَن يشاء» تسليةٌ للرَّسول عن كُفر قومه، ووجوب التّسليم لله في إضْلالِ مَن يشاء وهِداية مَن يشاء.

وقرأ الجمهور: «فلا تَذْهَبْ نفسُك» مَبنيًّا للفاعل من ذهب، ونفسُك فاعل.

وقرأ أبو جعفر وقتادة وعيسى والأشهب وشَيْبة وأبو حَيْوة وحُميد والأعمش وابن مُحَيصن: «تُذْهِب» من أذْهَب مُسنداً لضمير المخاطب «نَفْسَك» نصبٌ، ورُويت عن نافع(١).

والحَسْرةُ: هَمُّ النَّفْسِ على فَواتِ أمر.

وانتصب «حَسَراتٍ» على أنه مفعول من أجله، أي: فلا تَهْلِك نفسُك للحَسَرات، و«عليهم» متعلّق بـ «تَذْهَب» كما تقول: هَلَك عليه حُبًّا ومات عليه حُزناً، أو هو بيانٌ للمُتَحَسَّر عليه، ولا يتعلّق بـ «حسَرَات» لأنه مصدر فلا يتقدَّم معمولُه عليه(٢).

وقال الزمخشري: ويجوز أنْ يكون حالاً كأن كلَّها(٣) صارت حَسَراتٍ لفَرْطِ التَّحَسُّر، كما قال جرير:

مَشَقَ الهَواجِرُ لَحْمَهُنَّ مع السُّرى حتى ذَهَبْنَ كَلاكِلاً وصُدورا(٤)

---

(١) قراءة أبي جعفر ـ يزيد بن القعقاع وهو من العشرة ـ في النشر ٢/ ٣٥١، وانظر معاني القرآن للفراء ٢/ ٣٦٧، وتفسير الطبري ١٩/ ٣٣٥، وإعراب القرآن للنحاس ٣/ ٣٦٣، وتفسير الثعلبي ٥/ ١٦٨-١٦٩، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٣٠، وزاد المسير ٦/ ٤٧٦، وتفسير القرطبي ١٧/ ٣٤٩، ٣٥٠.

(٢) الكشاف ٣/ ٣٠١ من المطبوع.

(٣) في (ت): كأن النفس كلها. وهو سياق صحيح جيد، والمثبت من سائر النسخ والمطبوع، وهو موافق لما في الكشاف ٢/ورقة ٢٠٤، و٣/ ٣٠١ من المطبوع.

(٤) ديوان جرير ١/ ٢٢٧ (بشرح ابن حبيب)، والكتاب ١/ ١٦٢، والكشاف ٣/ ٣٠١، وتفسير القرطبي ١٧/ ٣٥١، وخزانة الأدب ٤/ ٩٨-٩٩. المَشْق: الترقيق والهزال، والهواجر: جمع =

يريد: رَجَعْنَ كَلاكِلاً وصدورا، أي: لم يَبْقَ إلا كَلاكِلُها وصُدورُها، ومنه قولُه:

فعلى إثْرِهم تَساقَطُ نفسي حَسَراتٍ وذِكرُهم لي سَقامُ[1]

انتهى. وما ذكر[2] مِن أنّ كَلاكِلاً وصُدوراً حالٌ[3] هو مذهب سيبويه، وقال المبرِّد[4]: هو تمييزٌ منقولٌ من الفاعل، أي: حتى ذَهبت كلاكِلُها وصُدورُها.

ثمَّ تَوَعَّدهم بالعِقاب على سُوء صَنيعهم فقال: «إن الله عَليمٌ بما يَصْنَعون» أي: فيُجازيهم عليه.

❋ ❋ ❋

﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴿٩﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُو۟لَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴿١٠﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١١﴾ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن

= هاجرة، وهي نصف النهار وقت اشتداد الحر، والسُّرى: سير الليل، والكلاكل: جمع كَلْكَل كجعفر، وهو الصدر. وصف رواحلَ أنضاها دؤوب السير في الهواجر والليل حتى ذهب لحوم صدرها. قاله البغدادي.

(١) البيت لأبي دُواد الإيادي من قصيدة له في الأصمعيات ١٨٨، والشعر والشعراء ١/ ٢٣٩، والحماسة البصرية ٧٧٣.

(٢) في (ت د٣): ذكره. وهما سواء.

(٣) في المطبوع: حالان.

(٤) انظر الكتاب ١/ ١٦٢، والنكت في تفسير كتاب سيبويه للأعلم ١/ ٢٨١ فقد نقل كلام المبرد.

قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾﴾.

لمَّا ذكر أشياءَ من الأمور السَّماوية وإرسالَ الملائكة؛ ذكر أشياءَ من الأمور الأرضيَّة الرياحَ وإرسالَها، وفي هذا احتجاجٌ على مُنْكِري البَعث، ودَلَّهم على المثالِ الذي يُعاينونه، وهو وإحياء الموتى سِيَّان.

وفي الحديث أنه قيل لرسول الله ﷺ: كيف يُحيي الله الموتى، وما آيةُ ذلك في خَلْقِه؟ فقال: «هل مَرَرْتَ بوادي أهلِك مَحْلاً، ثمَّ مَرَرْتَ به يَهتزُّ خَضِراً»؟ فقالوا[(١)]: نعم، فقال: «فكذلك يُحيي الله الموتى، وتلك آيتُه في خَلْقِه»[(٢)].

قيل: «أرسل» في معنى يُرْسِلُ؛ ولذلك عطف عليه «فتُثير».

وقيل: جيء بالمضارع حكايةَ حالٍ تقع فيها إثارةُ الرِّياح السَّحابَ، وتُسْتَحْضَر تلك الصورةُ البديعةُ الدَّالَّةُ على القُدرة الرَّبانية، ومنه: ﴿فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً﴾ [الحج: ٦٣].

وقال الزمخشري: وكذا يفعلون بكلِّ فعلٍ فيه نوعُ تمييزٍ وخصوصيَّةٍ بحالٍ تُستَغرب، أو تَهُمُّ المخاطَب، أو غير ذلك؛ كما قال تَأبَّط شَرًّا:

بأني قد لقيتُ الغُولَ تَهْوي ... بسَهْبٍ كالصَّحِيفةِ صَحْصَحانِ
فأَضرِبُها بلا دَهَشٍ فخَرَّت ... صَريعاً لليَدَين وللجِرانِ[(٣)]

لأنه قصدَ أن يُصوِّر لقومه الحالةَ التي تَشجَّع فيها بزَعْمه[(٤)] على ضَرْب الغول

(١) كذا في النسخ والمطبوع، والذي في مصادر التخريج: فقال، والمقصود به أبو رزين العقيلي فهو الذي سأله ﷺ.
(٢) أخرجه الطيالسي (١٠٨٩)، وأحمد (١٦١٩٢)، والثعلبي في الكشف والبيان ٥/ ١٦٩، وذكره الزمخشري ٣/ ٣٠٢، والقرطبي ١٧/ ٣٥٣ من حديث أبي رزين العقيلي ﷺ، وإسناده ضعيف كما ذكر محققو المسند، وسلف في تفسير الآية (٥٧) من سورة الأعراف.
(٣) ديوان تأبط شراً ص٢٢٤-٢٢٥، السَّهب: الفلاة، وقصد بالصحيفة الانبساط والسهولة، والأرض الصَّحصحان: المستوية الواسعة العارية من النبت، والدهش: ذهاب العقل من الفزع، والجران: مقدَّم العنق.
(٤) في المطبوع: ابن عمه، وهو تحريف.

كأنه يُبَصِّرُهم إيّاها، ويُطْلعهُم على كُنْهِها مُشاهَدةً؛ للتَّعَجُّب من جُرْأته على كلِّ هَوْلٍ، وثَباتِه عند كلِّ شِدَّة، وكذلك سَوْقُ السَّحابِ إلى البَلَدِ الميِّت، وإحياءُ الأرضِ بالمطر بعد موتها؛ لمّا كانا من الدَّلائل على القُدْرَةِ الباهرةِ قيل: فسُقْنا وأحْيَيْنا مَعْدولاً بهما عن لفظِ الغَيبةِ إلى ما هو أدخَلُ في الاختصاصِ وأدلُّ عليه[1]. انتهى.

وقال أبو عبد الله الرازي ما مُلَخَّصُه: أتى «أرْسَلَ» بلفظ الماضي لمّا أُسْنِد إلى الله وما يفعلُه تعالى بقوله: كُن لا يُبقي زماناً ولا جُزءَ زمان، فلم يأتِ بلفظ المستقبل لوجوب وقوعِه وسُرعةِ كونه، ولأنه[2] فَرغ من كلِّ شيء، فهو قَدَّر الإرسالَ في الأوقات المعلومةِ وإلى المواضعِ المعيَّنة، ولما أسند الإثارة إلى الرِّيح وهي تؤلِّف في زمانٍ قال: «فتُثير» وأسند «أرْسل» إلى الغائب، وفي «فسُقْناه، فأحْيَيْنا» إلى المتكلِّم لأنه في الأوّل عَرَّف نفسَه بفعل من الأفعال وهو الإرسال، ثمَّ لما عُرف قال: أنا الذي عَرَفْتَني سُقتُ السَّحابَ، فأحييتُ الأرضَ، ففي الأول تعريفٌ بالفعل العجيب، وفي الثاني تذكيرٌ بالبِعْثَةِ[3]، و«فسُقْناه، فأحْيَينا» بصيغة الماضي يؤيِّد ما ذكرنا من الفَرْقِ بين «فتُثير وأرسل» انتهى.

وهذا الذي ذكَر من الفَرْق بين «أرْسَل وفتُثير» لا يظهر؛ ألا ترى إلى قوله تعالى في سورة الروم: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾ [الآية: ٤٨]، وفي سورة الأعراف: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ﴾ [الآية: ٥٧] كيف جاء في الإرسال بالمضارع؟ وإنما هذا من التَّفَنُّن في الكلام، والتصرُّف في البلاغة، وأمَّا الخروج من ضمير الغائب إلى ضمير المتكلِّم المُعَظِّم نفسَه فهو من باب الالتفات، وكذلك ما في «الأعراف» ﴿سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ [الآية: ٥٧].

---

(١) الكشاف ٣/ ٣٠١-٣٠٢، ونقله عنه القرطبي ١٧/ ٣٥٢-٣٥٣.

(٢) في التفسير الكبير ٢٦/ ٧: وكأنه، واختصار أبي حيان لكلام الرازي مخلّ، فانظر كلامه في تفسيره فسياقه أوضح مما هنا، ولولا خوف الإطالة لنقلته بتمامه.

(٣) في (أ ت ز٢) والمطبوع: بالبعث، والمثبت من (د٣ يه)، وفي التفسير الكبير ٢٦/ ٧ - وعنه روح المعاني ٢٢/ ١٧٣: بالنعمة، وهي الصواب إن شاء الله، ويدل عليه ما بعده: فإن كمال نعمة الرياح والسحب بالسوق والإحياء.

وأمَّا قوله: وما يفعله تعالى... إلى آخره، فكلُّ فعلٍ وإنْ كان أُسند إلى غيره مجازاً فهو فعلُه حقيقةً، فلا فرْقَ بين ما يُسْنده إلى ذاته وبين ما يُسنده إلى غيره؛ لأن جميعَ ذلك هو بإيجاده وخلقِه.

و«النُّشور» مصدر نَشَر الميتُ: إذا حَيي، قال الأعشى:

حتى يقولَ الناسُ مما رأَوْا يا عَجباً للمَيِّت النَّاشِرِ[1]

و«النُّشور» مبتدأ، والجار والمجرور قبله في موضع الخبر، والتَّشبيه وقع بجهات؛ لمّا قبلت الأرضُ الميتةُ الحياةَ اللائقةَ بها؛ كذلك الأعضاء تقبلُ الحياةَ، أو كما أنّ الريحَ تجمعُ قِطَعَ السَّحاب كذلك تُجمع أجزاءُ الأعضاء وأبعاضُ الأشياء، أو كما يَسوق الرِّياحَ والسَّحابَ إلى البلد الميت يَسوقُ الرُّوحَ والحياةَ إلى البَدَن[2].

«مَن كان يُريد العِزَّة» أي: بمُغالَبةٍ. «فلله العِزَّة» أي: ليست لغيره، ولا تتمُّ إلا به، والمُغالِبُ مَغْلوب، ونحا إليه مجاهد وقال: مَن كان يُريد العِزَّة بعبادة الأوثان. وهذا تمثيلٌ لقوله: ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُواْ لَهُمْ عِزًّا﴾ [مريم: ٨١].

وقال قتادة: مَن كان يُريد العِزَّةَ وطريقَها القَويم، ويُحِبُّ نَيْلَها على وَجْهِها «فللّه العِزَّةُ» أي: به وعن أمره، لا تُنالُ عِزَّتُه إلا بطاعته[3].

وقال الفرَّاء: مَن كان يُريد علمَ العِزَّةِ «فلله العِزَّةُ» أي: هو المُتَّصِفُ بها[4].

وقيل: مَن كان يُريد العِزَّةَ التي لا يَعْقُبها ذِلَّة فهي لله، لأن عزَّةً يَعْقُبها ذِلَّةٌ ذِلَّةٌ، ويُصار بها للذّلة.

وقال الزمخشري: كان الكافرون يَتَعَزَّزون بالأصنام كما قال عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُواْ لَهُمْ عِزًّا﴾ [مريم: ٨١]، والذين آمنوا بألسنتهم

(١) ديوان الأعشى ١/ ٣٤٤ (طبعة قطر)، وسلف في تفسير الآية (٢٥٩) من سورة البقرة.
(٢) نقله عن أبي حيان الآلوسي ٢٢/ ١٧٤.
(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٤٣١، وأخرجه عنهما الطبري ١٩/ ٣٣٧.
(٤) معاني القرآن للفراء ٢/ ٣٦٧، ونقله عنه النحاس في معاني القرآن ٥/ ٤٣٩، وإعراب القرآن ٣/ ٣٦٤، وابن الجوزي في زاد المسير ٦/ ٤٧٧، والقرطبي في تفسيره ١٧/ ٣٥٣.

من غير مواطأة قلوبهم كانوا يتعزَّزون بالمشركين، كما قال: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٣٩] فبيَّن أنْ لا عِزَّةَ إلا لله ولأوليائه، وقال: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨][١]. انتهى.

ولا تنافيَ بين قوله: «فإنَّ العِزَّة لله جميعاً» وإنْ كان الظَّاهر أنها له لا لغيره؛ وبين قوله: «ولله العِزَّةُ ولرسوله وللمؤمنين» وإنْ كان يَقتضي الاشتراكَ، لأن العزةَ في الحقيقة لله بالذَّات، وللرَّسول بواسطة قُرْبِه من الله، وللمؤمنين بواسطة الرَّسول، فالمحكوم عليه أوَّلاً غير المحكوم عليه ثانياً.

و«مَن» اسم شرط، وجملة الجواب لا بدَّ أنْ يكون فيها ضميرٌ يعودُ على اسم الشَّرط إذا لم يكن ظَرْفاً، والجواب محذوف تقديرُه على حسب تلك الأقوال السابقة، فعلى قول مجاهد فهو مَغْلوب، وعلى قول قتادة فلْيَطْلُبْها من الله، وعلى قول الفراء فلْيَنْسُبْ ذلك إلى الله، وعلى القول الرابع فهو لا يَنالُها، وحُذف الجوابُ استغناءً عنه بقوله: «فلله العِزَّة جميعاً» لدلالته عليه.

والظّاهر من هذه الأقوال قولُ قتادة؛ أي: فلْيَطْلُبْها ممَّن العزَّةُ له يتصرَّف فيها كما يريد، كما قال تعالى: ﴿وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ﴾ [آل عمران: ٢٦].

وانتصب «جميعاً» على الحال[٢]، والمُراد عِزَّةُ الدُّنيا وعِزَّة الآخرة.

و«الكَلِمُ الطَّيِّبُ»: التَّوحيدُ والتَّحميدُ وذِكرُ الله ونحو ذلك.

وقال ابن عباس: شهادةُ أنْ لا إله إلا الله. وقيل: ثَناءٌ بالخير على صالحي المؤمنين.

وقال كعب: إنّ لسُبحانَ الله والحمدُ لله ولا إله إلا الله والله أكبر لدَويًّا حولَ العَرْش كدَويِّ النَّحْل بذِكْرِ صاحبها[٣].

(١) الكشاف ٣/ ٣٠٢.
(٢) في المطبوع و(أ): المراد (؟!).
(٣) تفسير الطبري ١٩/ ٣٣٩، والثعلبي ٥/ ١٧٠، والماوردي ٤/ ٤٦٤، ومعاني القرآن للنحاس ٥/ ٤٤٠، والكشاف ٣/ ٣٠٢، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٣١.

وقرأ الجمهور: «يَصْعَد» مبنيًّا للفاعل، من صَعِد «الكَلِمُ الطَّيِّب» مرفوعان، فالكَلِمُ جمعُ كَلِمة.

وقرأ عليّ وابن مسعود والسُّلمي وإبراهيم: «يُصْعِد» من أصْعَد «الكلامَ الطَّيِّبَ» منصوبان[١].

وقال ابن عطية: وقرأ الضحّاك: «إليه يُصعد» بضمِّ الياء[٢]. ولم يذكر مبنيًّا للفاعل ولا مبنيًّا للمفعول، ولا إعرابَ ما بعده.

وقال الزمخشري: وقرئ: «إليه يُصْعَد الكَلِمُ الطَّيِّبُ» على البناء للمفعول[٣]. انتهى.

وقرأ زيد بن عليّ: «يَصعَدُ» من صَعِد «الكلامُ» رفعاً[٤].

وصُعودُ الكَلِم إليه تعالى مَجازٌ في الفاعل وفي المنتهى[٥] إليه؛ لأنه تعالى ليس في جهة، ولأن الكَلِم ألفاظٌ لا توصف بالصُّعود لأن الصُّعودَ من الأجرام يكون، وإنما ذلك كنايةٌ عن القَبول ووصفه بالكَمال، كما يُقال: علا كَعْبُه وارتفع شأنُه، ومنه: ترافعوا إلى الحاكم، ورفع الأمر إليه، وليس هناك علوٌّ في الجهة.

وقرأ الجمهور: «والعملُ الصَّالحُ» برَفْعهما، فالعملُ مبتدأ، ويرفعه الخبر، وفاعل يرفعه ضميرٌ يعود على العَمل الصَّالح، وضميرُ النصب يعودُ على الكَلِم، أي: يَرفعُ الكلمَ الطيِّبَ. قاله ابن عباس والحسن وابن جُبير ومجاهد والضحّاك.

وقال الحسن: يُعرَضُ القولُ على الفعل، فإنْ وافق القولَ الفعلُ قُبِل، وإنْ خالف رُدّ.

---

(١) معاني القرآن للفراء ٢/ ٣٦٧، ومختصر في شواذ القراءات ١٢٣، وإعراب القرآن للنحاس ٣/ ٣٦٤، والكشاف ٣/ ٣٠٢، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٣١، وزاد المسير ٦/ ٤٧٧، وتفسير القرطبي ١٧/ ٣٥٦.

(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٤٣١، وتفسير القرطبي ١٧/ ٣٥٦.

(٣) الكشاف ٣/ ٣٠٢. ومن قوله: منصوبان... إلى هنا، ليس في المطبوع.

(٤) في المطبوع: رقى، وهو تحريف. وذكر القراءة الآلوسي في روح المعاني ٢٢/ ١٨٠.

(٥) في (أ ت ز٢) والمطبوع: والمسمى.

وعن ابن عباس نحوه قال: إذا ذكر الله العبدُ، وقال كلاماً طيِّباً، وأدَّى فرائضَه، ارتفع قولُه مع عَمَلِه، وإذا قال ولم يُؤدِّ فرائضَه رُدَّ قولُه على عمله وقيل: عملُه أولى به.

قال ابن عطية: وهذا قولٌ يَرُدُّه مُعْتَقَدُ أهلِ السنَّة، ولا يصحُّ عن ابن عباس، والحقُّ أن العاصي التاركَ لفرائضه إذا ذكر الله وقال كلاماً طيباً فإنه مكتوبٌ له مُتَقَبَّل، وله حسناتُه وعليه سيِّئاتُه، والله يتقبَّل من كلِّ مَن اتَّقى الشِّرك.

وقال أبو صالح وشَهْرُ بن حَوْشَب عكسَ هذا القول؛ ضميرُ الفاعل يعود على الكَلِم، وضميرُ النَّصب للعمل الصَّالح، أي: يرفعُه الكلمُ الطيِّب.

وقال قتادة: إن الفاعل هو ضميرٌ يعود على الله، والهاء للعمل الصَّالح، أي: يرفعه الله إليه، أي: يقبلُه. وقال ابن عطية: هذا أرجحُ الأقوال[1].

وعن ابن عباس: والعملُ الصّالح يرفعُ عاملَه ويُشَرِّفُه[2]. فجعلَه على حذف مضاف.

ويجوز عندي أن يكون «والعمل» معطوفاً على «الكَلِمُ الطيِّب» أي: يَصْعَدان إلى الله «ويَرفعُه» استئنافُ إخبار، أي: يرفعُهما الله، ووَحَّد الضميرَ لاشتراكهما في الصُّعود، والضّمير قد يجري مجرى اسمِ الإشارة، فيكون لفظُه مُفرَداً، والمُرادُ به التَّثنية، فكأنه قيل: ليس صُعودُهما من ذاتِهما، بل ذلك برفْعِ اللهِ إياهما.

وقرأ عيسى وابن أبي عَبْلَة: «والعملَ الصَّالحَ» بنصبهما[3] على الاشتغال، فالفاعل ضميرُ «الكَلِم» أو ضمير الله.

---

(١) قول ابن عطية هذا والذي قبله في المحرر الوجيز ٤/ ٤٣١، ونقل أولهما عن ابن عطية: القرطبي في تفسيره ١٧/ ٣٥٦-٣٥٧، ثم نقل عن ابن العربي كلاماً مؤداه الردّ على ابن عطية، فانظره إن أحببت.

(٢) انظر الأقوال السالفة في تفسير الطبري ١٩/ ٣٣٩-٣٤٠، والثعلبي ٥/ ١٧٠-١٧١، والماوردي ٤/ ٤٦٤، والقرطبي ١٧/ ٣٥٦-٣٥٨، ومعاني القرآن ٥/ ٤٤٠-٤٤٢، وإعراب القرآن كلاهما للنحاس ٣/ ٣٦٤، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٣١، وزاد المسير ٦/ ٤٧٨.

(٣) مختصر في الشواذ ١٢٣، وذكر النحاس في معاني القرآن ٥/ ٤٤٢ ـ ونقله عنه القرطبي ١٧/ ٤٤٢ ـ أن عيسى بن عمر قال: قرأه ناس: «والعملَ الصالحَ يرفعه».

«ومَكْرُ» لازم، و«السَّيِّئات» نعتٌ لمصدر محذوف، أي: المَكْرات السيّئات، أو لمضاف إلى المصدر، أي: أصْناف المَكْر السيّئات، أو ضَمَّن «يَمكرون» معنى يَكْسِبون، فنصب «السّيئات» مفعولاً به.

وإذا كانت «السيّئات» نعتاً لمصدر أو لمضاف للمصدر فالظاهر أنه عَنى به مَكَرات قريش في دار النَّدْوة إذ تذاكروا إحدى ثلاث مَكْرات، وهي المذكورة في «الأنفال»[1] إثباتُه أو قتلُه أو إخراجُه. و«أولئك» إشارةٌ إلى الذين مكروا تلك المَكَرات.

«يَبور» أي: يَفْسُد ويَكْسَدُ ويَهْلِك دون مَكْر الله بهم؛ إذ أخرجهم من مكة، وقتلَهم، وأثْبتَهم في قَليب بدر، فجمع عليهم مَكَراتهم جميعاً، وحقَّق فيهم قولَه: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠]، وقوله: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾ [فاطر: ٤٣][2].

و«هو» مبتدأ، و«يَبور» خبرُه، والجملة خبرٌ عن قوله: «ومَكْرُ أولئك».

وأجاز الحَوْفي وأبو البقاء أن يكون «هو» فاصلة و«يبور» خبرُ «ومَكْرُ أولئك»[3].

والفاصلةُ لا يكون ما بعدها فعلاً، ولم يذهب إلى ذلك أحدٌ فيما علمناه إلا عبد القاهر الجرجاني في «شرح الإيضاح» له فإنه أجاز في: كان زيد هو يقوم؛ أن يكون هو فصْلاً، ورُدَّ ذلك عليه[4].

«والله خلقكم من تُراب» من حيث خَلْقُ أبينا آدم «ثمَّ من نُطْفة» أي: بالتَّناسل «ثمَّ جعلكم أزواجاً» أي: أصنافاً ذُكراناً وإناثاً، كما قال: ﴿أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا﴾ [الشورى: ٥٠].

---

(١) في الآية (٣٠).

(٢) الكشاف ٣/ ٣٠٣.

(٣) في (يه): ويبور خبره، والجملة خبر عن قوله: ومكر أولئك. وهذا تكرار للسطر قبله لانتقال النظر. وانظر إملاء ما منّ به الرحمن ٢/ ١٩٩.

(٤) انظر المقتصد في شرح الإيضاح ١٨/ ٤٥١ للجرجاني، وروح المعاني ٢٢/ ١٨٤.

وقال قتادة: قَدَّر بينكم الزَّوجيَّة، وزوَّج بعضكم بعضاً[١].

ومن في «من مُعَمَّر» زائدة، وسمَّاه بما يؤولُ إليه وهو الطويل العُمر.

والظاهر أن الضَّمير في «من عُمُره» عائدٌ على «مُعَمَّر» لفظاً ومعنًى.

وقال ابن عباس وغيره: يعود على «مُعَمَّر» الذي هو اسم جِنس، والمراد غير الذي يُعَمَّر، فالقول تضمَّن شخصَين يُعَمَّر أحدُهما مئةَ سنة، ويُنْقَص من الآخَر.

وقال ابن عباس أيضاً وابن جُبير وأبو مالك: المراد شخصٌ واحدٌ، أي: يُحصى ما مضى منه إذا مرَّ حَوْلٌ كُتب ذلك، ثم حَوْل، فهذا هو النَّقْص. وقال الشاعر:

حَياتُك أنفاسٌ تُعَدُّ فكلَّما ... مضى نَفَسٌ منك انتُقِصْتَ به جُزْءا[٢]

وقال كعب الأحبار: معنى «ولا يُنْقَصُ من عُمُره»: لا يُخْتَرم بسبب قُدرة الله، ولو شاء لأخَّر ذلك السبب.

وروي عنه أنه قال لما طُعن عمر رضي الله عنه: لو دعا الله لزادَ في أجَله، فأنكر عليه المسلمون ذلك وقالوا: إن الله تعالى يقول: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٤] فاحتَجَّ بهذه الآية.

قال ابن عطية: وهو قولٌ ضعيفٌ مَرْدود يقتضي القولَ بالأجَلَين، وبنحوه تمسَّك المعتزلة[٣].

وقرأ الجمهور «ولا يُنْقَص» مبنيًّا للمفعول.

وقرأ يعقوب وسلام وعبد الوارث وهارون كلاهما عن أبي عمرو: «ولا يَنْقُص» مبنيًّا للفاعل[٤].

---

(١) أخرجه الطبري ١٩/ ٣٤٢.

(٢) نسبه ابن عبد البر في بهجة المجالس ٢/ ٣٣٩ لمحمود الورّاق.

(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٤٣٢، وعنه نقل الأقوال السالفة جميعها، وانظرها في تفسير الطبري ١٩/ ٣٤٤، ٣٤٥، والثعلبي ٥/ ١٧١، والماوردي ٤/ ٤٦٥، والقرطبي ١٧/ ٣٦٠-٣٦٢، ومعاني القرآن للنحاس ٥/ ٤٤٣-٤٤٥، والكشاف ٣/ ٣٠٣، وزاد المسير ٦/ ٤٨٠.

(٤) النشر ٢/ ٣٥٢، ومختصر في الشواذ ١٢٣، وإعراب القراءات السبع وعللها ٢/ ٢٢٧،

وقرأ الحسن: «من عُمْره»[١].

«إلا في كتاب» قال ابن عباس: هو اللّوح المحفوظ. وقال الزمخشري: يجوز أنْ يُراد بكتاب الله علمَ الله أو صَحيفةَ الإنسان[٢]. انتهى.

«وما يَسْتوي البَحْران» هذه آيةٌ أخرى يُستدلُّ بها على كلِّ عاقلٍ أنه ممّا لا مَدْخَلَ لصنمٍ فيه.

وتقدَّم شرح «هذا عَذْبٌ فُرات» وشرْحُ «وهذا مِلْحٌ أُجاج» في سورة الفُرقان[٣]. وهنا بين القِسمَين صفةٌ للعَذْب، وهي قوله[٤]: «سائغٌ شرابُه».

وقرأ الجمهور: «سائغ» اسم فاعل من ساغ.

وقرأ عيسى: «سَيِّغ» على وزن فيعل كمَيِّت، وجاء كذلك عن أبي عمرو وعاصم[٥].

وقرأ عيسى أيضاً «سَيْغ» مُخَفّفاً من المُشَدَّد كمَيْت، مُخَفَّف مَيِّت[٦].

= وتفسير الثعلبي ٥/ ١٧١، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٣٢، وزاد المسير ٦/ ٤٨٠، وتفسير القرطبي ٣٦٢/١٧، ونسبوها إلى الحسن وابن سيرين وعيسى وقتادة.
والذي ذكره المصنف عن أبي عمرو، لم أقف على من ذكره عنه في هذا الحرف، وإنما ذكر ابن مجاهد في السبعة ٥٣٤، وابن خالويه في مختصره ١٢٣، وفي إعراب القراءات السبع ٢٢٦/٢، أنهم رووا عن أبي عمرو قراءته لقوله تعالى: «من عُمْره» بإسكان ميم عمره. والله أعلم.

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٤٣٢، ونسبها الثعلبي ٥/ ١٧١، والقرطبي ١٧/ ٣٦٢ إلى الأعرج والزهري، وانظر التعليق السابق.

(٢) الكشاف ٣٠٣/٣.

(٣) في تفسير الآية (٥٣) منها.

(٤) في (أ ت ز٢) والمطبوع: وبين قوله.

(٥) مختصر في الشواذ ١٢٣، والمحتسب ١٩٩/٢، وتفسير الثعلبي ٥/ ١٧١، والمحرر الوجيز ٤٣٣/٤، وتفسير القرطبي ٣٦٣/١٧ وزاد نسبتها إلى ابن أبي إسحاق. وقراءة أبي عمرو وعاصم المشهورة عنهما كقراءة الجمهور، ولم أقف على من ذكر عنهما هذه القراءة هنا.

(٦) المحتسب ١٩٨/٢.

وقرأ الجمهور: «مِلْح»، وأبو نَهيك وطلحة بفتح الميم وكسر اللام[١]. قال أبو الفضل الرازي: وهي لغةٌ شاذّة، ويجوز أن يكون مقصوراً من مالح بحذف[٢] الألف تخفيفاً، وقد يقال: ماء مالح[٣] في الشُّذوذ، وفي المستعمل: مَمْلوح[٤].

وقال الزمخشري: ضرب البحرَين العذبَ والمِلْحَ مَثَلَين للمؤمن والكافر، ثم قال على صِفة الاستطراد في صفة البحرين وما عَلَّق بهما من نعمته وعطائه «ومن كُلٍّ»، ثم شرَح الزمخشري ألفاظاً من الآية تكرَّرت في سورة النَّحل[٥]، ثم قال: ويحتمل غيرَ طريقة الاستطراد؛ وهو أن يُشَبِّه الجنسَين بالبحرَين، ثم يُفضِّل البحرَ الأُجاجَ على الكافر بأنه قد شارك العَذْبَ في مَنافِعَ من السَّمَكِ واللؤلؤ وجَرْيِ الفُلْكِ فيه، والكافرُ خِلْوٌ من النَّفْع، فهو في طريقة قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ [البقرة: ٧٤]، وذكر الآية. انتهى[٦].

«لتَبْتَغوا من فضله» يريد التّجارات والحجَّ والغزوَ وكلَّ سَفَرٍ له وَجْهٌ شَرْعيٌّ.

«يولج الليلَ في النَّهار» تقدَّم شَرْحُ هذه الجُمل[٧].

ولما ذَكر أشياءَ كثيرةً تدلُّ على قُدرته الباهرة؛ من إرسالِ الرِّياح، والإيجادِ من تُراب وما عَطف عليه، وإيلاجِ الليل في النهار، وتسخيرِ الشَّمس والقمر: أشار إلى أن المُتَّصِفَ بهذه الأفعال الغريبة هو الله فقال: «ذلكم الله ربُّكم له الملك» وهي أخبارٌ مُترادِفة، والمبتدأ «ذلكم»، أو «اللهُ ربُّكم» خبران، وله «المُلْك» جملة مبتدأةٌ في قِران قوله: «والذين تَدْعون من دونه ما يَملكون من قِطْمير».

(١) قراءة طلحة في إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٣٦٦، والمحتسب ٢/ ١٩٩، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٣٣، وتفسير القرطبي ١٧/ ٣٦٢.
(٢) في (أ ت ز٢) والمطبوع: فحذف، والمثبت من (د٣ يه).
(٣) في (أ ت ز٢) والمطبوع: ملح، وهو تحريف، والمثبت من (د٣ يه).
(٤) انظر إصلاح المنطق ٢٨٨، وأدب الكاتب ١٦٥، ٤٠٤، والصحاح (ملح)، وإسفار الفصيح للهروي ٨٨٨-٨٨٩. وذكر قول أبي الفضل الرازي: الآلوسي في روح المعاني ٢٢/ ١٩١.
(٥) في الآية (١٤) منها.
(٦) الكشاف ٢/ ورقة ٢٠٥، و٣/ ٣٠٣-٣٠٤ من المطبوع، وفيه تحريف.
(٧) انظر تفسير الآية (٢٧) من سورة آل عمران.

قال الزمخشري: ويجوز في حُكم الإعراب إيقاعُ اسم الله صفةً لاسم الإشارة أو عطفَ بَيان، و«ربُّكم» خبراً؛ لولا أن المعنى يأباه[١]. انتهى.

أمّا كونُه صفةً فلا يجوز؛ لأن الله عَلَم، والعَلَم لا يوصف به، وليس اسمَ جنس كالرَّجُل فتُتَخَيَّل فيه الصِّفة.

وأمَّا قولُه: لولا أن المعنى يأباه؛ فلا يَظهر أن المعنى يأباه لأنه يكون قد أخبر بأن المُشار إليه بتلك الصفات والأفعال المذكورة «ربُّكم» أي: مالكُكم أو مُصلِحُكم، وهذا معنى لائقٌ سائغ[٢].

«والذين تَدْعون من دونه» هي الأوثان.

وقرأ الجمهور: «تدعون» بتاء الخطاب. وعيسى وسلام ويعقوب بياء الغَيْبة[٣].

وقال صاحب «الكامل» أبو القاسم بن جُبارة: «يدعون» بالياء اللؤلؤي عن أبي عمرو، وسلام والنهاوندي عن قتيبة، وابن الجلاء عن نصير، وابن حبيب وابن يونس عن الكسائي، وأبو عمارة عن حفص.

و«القِطْمير» تقدَّم شرْحُه[٤].

وقال جُويبر عن رجاله والضحّاك: هو القِمْعُ الذي في رأس التَّمرة.

وقال مجاهد: لُفافة النَّواة. وقيل: الذي بين قِمْع التَّمرة والنَّواة. وقيل: هو قشر الثُّوم[٥].

وأيًّا ما كان فهو تمثيلٌ للقليل، وقال الشاعر:

وأبوك يَخْصِفُ نَعْلَه مُتَوَرِّكاً ... ما يَملِكُ المسكينُ من قِطْميرِ[٦]

---

(١) الكشاف ٣/ ٣٠٤ وما قبله منه.
(٢) انظر رَدّ الطيبي وغيره كلام الزمخشري فيما نقل عنهم الآلوسي ٢٢/ ١٩٦-١٩٧.
(٣) مختصر في الشواذ ١٢٣، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٣٤، والنشر ٢/ ٣٥٢ وهي قراءة الحسن البصري.
(٤) في شرح مفردات السورة.
(٥) انظر تفسير الطبري ١٩/ ٣٤٩-٣٥٠، والقرطبي ١٧/ ٣٦٥، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٣٤.
(٦) ذكره السمين في الدر ٩/ ٢٢١، والآلوسي في روح المعاني ٢٢/ ١٩٨ دون نسبة.

«لا يَسْمعوا دُعاءكم» لأنهم جَمادٌ «ولو سَمِعوا» هذا على سبيل الفَرْض «ما استجابوا لكم» لأنهم لا يَدَّعون ما تَدَّعون لهم من الإلهيَّة ويتبرَّؤون منها. وقيل: ما نَفَعوكم[١].

وأضاف المَصْدر في «بشِرْككم» أي: بإشراككم لهم مع الله في عبادتكم إيّاهم، كقوله: ﴿مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ﴾ [يونس: ٢٨] فهي إضافة إلى الفاعل.

وقوله: «يكفرون» يحتمل أنْ يكون بكلامٍ يُقْدِر الله الأصنامَ عليه، ويخلق لها إدراكاً يقتضي ذلك.

ويحتمل أن يكون بما يَظهر هنالك من جُمودها وبُطولها عند حركة كلِّ ناطقٍ، ومُدافعة كلِّ مُحْتَجّ، فيجيء هذا على طريق التجوُّز، كقول ذي الرمة:

وقفتُ على رَبْعٍ لمَيَّةَ ناطقٍ ... تُخاطِبُني آثارُه وأُخاطِبُهْ
وأَسقيه حتّى كاد ممّا أَبُثُّه ... تُكَلِّمُني أحجارُه ومَلاعِبُهْ[٢]

«ولا يُنَبِّئُكَ مثلُ خَبير» قال قتادة وغيرُه من المفسِّرين: الخبير هنا أراد به تعالى نفسَه، فهو الخَبير الصَّادقُ الخَبرِ نَبَّأ بهذا، فلا شكَّ في وقوعه[٣].

قال ابن عطية: ويحتمل أن يكون قوله: «ولا يُنَبِّئُك مثلُ خَبير» من تمام ذكر الأصنام، كأنه قال: ولا يُخْبرُك مثلُ مَن يُخبرُك عن نفسه، أي لا أصْدَقُ في تَبَرُّئها من شِرْككم منها، فيُريد بالخَبير على هذا المثل لها؛ كأنه قال: ولا يُنَبِّئُك مثلُ خَبيرٍ عن نفسه، وهي قد أخبرت عن نفسها بالكُفْر بهؤلاء[٤].

وقال الزمخشري: ولا يُخبرك بالأمر مُخبرٌ هو مثلُ خَبيرٍ عالم به، يُريد أنَّ الخَبير بالأمر هو الذي يُخبرك بالحقيقة دون سائر المُخْبِرين به، والمعنى: أن هذا الذي أخبرتُكم به من حال الأوثان هو الحقّ؛ لأني خَبيرٌ بما أخبرتُ به[٥].

(١) الكشاف ٣/ ٣٠٤.
(٢) ديوان ذي الرمة ٢/ ٨٢١، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٣٤ والكلام السالف منه.
(٣) تفسير الطبري ١٩/ ٣٥٢، وإعراب القرآن ٣/ ٣٦٧، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٣٤.
(٤) المحرر الوجيز ٤/ ٤٣٤، قال الآلوسي ٢٢/ ٢٠٠: وفيه من البعد ما فيه.
(٥) الكشاف ٣/ ٣٠٤.

وقال في «التحرير»(١) يحتمل وجهين: أن يكون ذلك خطاباً للرسول لمّا أخبر بأن الخَشَب والحَجَر يوم القيامة يَنْطِقُ ويُكَذِّبُ عابدَه، وهو أمرٌ لا يُعْلَم بالعقل المجرَّد لولا إخبارُ الله عنه، قال تعالى أنهم يكفرون بهم يوم القيامة. وهذا القولُ مع كون المُخبر عنه أمراً عجيباً هو كما قال؛ لأن المُخْبِر عنه خَبير.

والثاني: أن يكون خطاباً ليس مُختصًّا بأحدٍ، أي: هذا الذي ذُكر هو كما ذُكر، لا يُنبِّئك أيُّها السَّامع كائناً مَن كنتَ مثلُ خَبير.

* * *

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَىْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ ۗ إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا ٱلظُّلُمَـٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٢٢﴾ إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٣﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۚ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلْكِتَـٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَخَذْتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٢٦﴾﴾.

هذه آيةُ موعظةٍ وتذكير، وأن جميعَ الناس مُحتاجون إلى إحسانِ الله تعالى وإنعامه في جميع أحوالهم، لا يستغني أحدٌ عنه طَرْفَةَ عَين، وهو الغنيُّ عن العالَمِ على الإطلاق، وعَرَّف الفُقراء ليُريهم شِدَّة(٢) افتقارهم إليه؛ إذْ هم جنسُ الفقراء، وإنْ كان العالَم بأسْره مفتقراً إليه، فلضَعْفهم جُعلوا كأنهم جميعُ هذا الجِنس، ولو نَكَّر لكان المعنى: أنتم بعضُ الفُقراء، وقوبلَ الفقراء بالغِنى، ووُصف بالحَميد دِلالةً على أنه جَوادٌ مُنعِم، فهو محمودٌ على ما يُسْدِي من النِّعَم، مُستحقٌّ للحَمْد.

ولمّا ذكر أنه الغَنيُّ على الإطلاق ذَكر ما يدلُّ على استغنائه عن العالَم، وأنه

---

(١) في المطبوع و(أ): التجريد، وهو تحريف، والتحرير لابن النقيب ذكره المصنف في مقدمته.
(٢) في المطبوع: شديد.

ليس بمُحتاج إليهم فقال: «إنْ يشأ يُذْهِبْكم» أي: إنْ يشأ إذْهابَكم يُذْهِبْكم، وفي هذا وعيدٌ بإهلاكِهم.

«وما ذلك» أي: إذْهابُكم والإتيانُ بخَلْقٍ جديد، «بعَزيز» أي: بمُمْتَنع عليه إذْ هو المتَّصِف بالقُدْرة التَّامة، فلا يمتنع عليه شيءٌ مما يُريده.

ومعنى «بخَلْقٍ جَديد» بَدَلَكم، كقوله: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ [محمد: ٣٨].

وعن ابن عباس: يخلق بعدَكم مَن يعبدُه لا يُشرك به شيئاً[١].

وقد جاء هذا المعنى من ذكر الإذهاب بعدَ وَصْفه تعالى بالغنى في قوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَنِىُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ﴾ [الأنعام: ١٣٣]، وجاء أيضاً تعليقُ الإذْهاب مختوماً آخر الآية بذكر القُدْرة الدالّة على ذلك في قوله: ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأْتِ بِـَٔاخَرِينَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا﴾ [النساء: ١٣٣].

رُوي أن الوليدَ بن المُغيرة قال لقوم من المؤمنين: اكفُروا بمحمَّد وعليَّ وِزْرُكم، فنزلت. وأخبر تعالى لا يَحْمِلُه أحَدٌ عن أحد[٢].

قال ابن عباس ومُجاهد وقتادة: هذه الآية في الذُّنوب والجَرائم[٣].

ويقال: وَزَرَ الشيءَ: حَمَلَه. و«وازِرَةٌ» صفةٌ لمحذوف، أي: نفسٌ وازِرَةٌ، أي: حاملةٌ، وذَكر الصِّفةَ ولم يذكر الموصوف مقتصراً عليه لأن المعنى: أن كلَّ نفس لا تُرى إلا حاملةً وِزْرَها لا وِزْرَ غيرها، فلا تُؤخذ نفسٌ[٤] بذَنْب نفسٍ؛ كما يأخذُ جَبابرةُ الدُّنيا الجارَ بالجار، والصَّديقَ بالصديق، والقريبَ بالقريب.

وقال ابن عطية: ومَن تَطَرَّق من الحُكَّام إلى أخْذِ قريبٍ بقريبه في جريمة ـ كفعلِ

---

(١) الكشاف ٣/ ٣٠٥.

(٢) في المحرر الوجيز ٤/ ٤٣٥ (والكلام منه): فحكم الله تعالى بأنه لا يحملها أحد عن أ حد.

(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٤٣٥، وانظر تفسير الطبري ١٩/ ٣٥٣-٣٥٤، ومعاني القرآن للنحاس ٥/ ٤٤٩، والنكت والعيون ٤/ ٤٦٨.

(٤) في المطبوع: يأخذ نفساً. والكلام في الكشاف ٣/ ٣٠٥.

زياد[١] ونحوه - فإنَّما ذلك لأن المأخوذَ ربَّما أعان المُجرمَ بمؤازَرةٍ ومواصَلَة، أو اطِّلاعٍ على حاله وتقريرٍ لها، فهو قد أخذ من الجُرْمِ بنصيب[٢]. انتهى.

وكأنّ ابن عطية تأوَّلَ أفعالَ زياد على ما ذكر، وكأنه ما اطَّلع على سيرة زياد وما فعل في الإسلام، وكانت سيرتُه قريبةً[٣] من سيرة الحجَّاج.

ولا مُنافاةَ بين هذه الآية والتي في «العنكبوت»[٤] لأن تلك في الضَّالّين المُضِلّين؛ يَحْملون أثقالَ إضلالِ الناس مع أثقالِ ضَلالهم، فكلُّ ذلك أثقالُهم، ما فيها من ثِقْلِ غيرهم شيء، ألا ترى: ﴿وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنْ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَيْءٍ﴾ [العنكبوت: ١٢].

«وإنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ» أي: نفسٌ مُثْقَلَةٌ بحِمْلها «إلى حِمْلِها» أي: إلى حَمْلِ حِمْلِها «لا يُحْمَل منه شيءٌ» أي: لا غياثَ يومئذٍ لمن استغاث ولا إعانة، حتى إنَّ نفساً قد أثقلتْها الأوزارُ لو دَعت إلى أن يُخَفَّف بعضُ وِزْرِها لم تُجَبْ؛ وإنْ كان المَدْعوُّ بعضَ قرابتها من أبٍ أو ولدٍ أو أخٍ. فالآية قبلَها في الدَّلالة على عَدْلِ الله في حُكمه، وأنه لا يؤاخذُ نفساً بغير ذَنْبها، وهذه في نَفْي الإعانة[٥].

والحِمْلُ: ما كان على الظَّهْر في الأجْرام، فاستُعير للمعاني كالذُّنوب ونحوها، فيُجْعَلُ كلُّ مَحْمولٍ مُتَّصلاً بالظهر، كقوله: ﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ﴾ [الأنعام: ٣١]، كما جُعل كلُّ اكتسابٍ منسوباً إلى اليَد[٦].

وقرأ الجمهور: «لا يُحْمَل» بالياء مبنيًّا للمفعول. وأبو السمَّال عن طلحة وإبراهيم بن زاذان عن الكسائي بفتح التاء من فوق وكسر الميم[٧]. وتقتضي هذه القراءةُ نصبَ شيءٍ، كما اقتضت قراءةُ الجمهور رفعَه.

---

(١) في (د٣ يه): كزياد، وهما بمعنى.
(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٤٣٥.
(٣) في (يه): قريب.
(٤) وهي قوله: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ﴾ [١٣].
(٥) الكشاف ٣/ ٣٠٥.
(٦) المحرر الوجيز ٤/ ٤٣٥.
(٧) ذكرها السمين ٩/ ٢٢٢، والآلوسي ٢٢/ ٢٠٥.

والفاعل بـ «يُحْمَل» ضميرٌ عائد على مفعول «تَدْعُ» المحذوف، أي: وإنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ نفساً أخرى إلى حملها لم تَحمل منه شيئاً.

واسم «كان» ضميرٌ يعود على المَدْعوّ المفهوم من قوله: «وإنْ تَدْعُ»، هذا معنى قولِ الزمخشري، قال: وتَرَكَ ذِكرَ المَدْعوّ لِيَعُمَّ ويَشْملَ كلَّ مَدْعوّ، قال: فإنْ قلت: فكيف استقام إضْمار العام ولا يصحُّ أنْ يكون العام ذا قُربى للمُثْقَلَة[1]؟ قلت: هو من العُموم الكائنِ على طريقِ البَدَل[2]. انتهى.

وقال ابن عطية: واسم «كان» مُضْمَرٌ تقديرُه: ولو كان الدَّاعي[3]. انتهى. أي: ولو كان الدَّاعي ذا قُربى من المَدْعوّ، فإنّ المَدْعوَّ لا يَحمِل منه شيئاً.

وذَكَّر الضَّمير حَملاً على المعنى؛ لأن قولَه: «مُثْقَلَةٌ» لا يُريد به مؤنَّث المعنى فقط بل كلَّ شخصٍ، فكأنه قيل: وإنْ تَدْعُ شخصٌ مُثْقَلٌ[4].

وقُرئ: «ولو كان ذو قُربى» على أن كان تامّة، أي: ولو حَضَر إذْ ذاك ذو قُربى وَدَعَتْه لم يَحمل منه شيئاً، وقالت العرب: قد كان لَبَنٌ، أي: حَضَر وحَدَث.

وقال الزمخشري: نَظْمُ الكلام أحسنُ مُلاءمةً للنَّاقصة؛ لأن المعنى على أنَّ المُثْقَلَةَ إنْ دَعَت أحداً إلى حَمْلِها لا يُحْمَل منه؛ وإنْ كان مَدْعُوُّها ذا قُربى، وهو معنى صَحيحٌ مُلتَئم، ولو قلت: ولو وُجِد ذو قُربى لتفكَّك وخرج من اتِّساقه والتئامه[5]. انتهى.

وهو مُتَّسِقٌ مُلتئم على التقدير الذي ذكرناه. وتفسيرُه «كان» وهو مبنيٌّ للفاعل بوُجِد المبنيّ للمفعول تفسيرُ معنًى وليس مُرادِفاً، ومُرادفُه: حَدَث أو حَضَر أو وَقَع، هكذا فسَّره النُّحاة.

---

(١) في المطبوع: فكيف استفهام إضمار ولا يصح... للمثقل(؟!).
(٢) الكشاف ٣/ ٣٠٥.
(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٤٣٥.
(٤) في المطبوع: شخصاً مثقلاً (؟!). ونقل الآلوسي ٢٢/ ٢٠٥ كلام أبي حيان، ثم قال: ولا يخفى ما فيه.
(٥) الكشاف ٣/ ٣٠٥، والقراءة السالفة فيه.

ولمّا سبق ما تضمَّن الوعيدَ وبعضَ أهوال القيامة كان ذلك إنذاراً، فذكر أن الإنذار إنما يُجدي ويَنْفَع مَن يَخشى الله.

و«بالغيب» حالٌ من الفاعل أو المفعول، أي: يَخْشَون ربَّهم غائبين عن عَذابه. أو يَخْشون عَذابَه غائباً عنهم.

وقيل: بالغيب؛ في السِّرّ، وقيل: بالغيب؛ أي: وهو بحالِ غَيْبه عنهم إنما هي رسالة[1].

وقرأ الجمهور: «ومَن تزكَّى» فعلاً ماضياً «فإنما يتزكَّى» فعلاً، مضارع تزكَّى، أي: ومَن تَطهَّر بفعل الطَّاعات وترْكِ المعاصي فإنما ثمرةُ ذلك عائدةٌ عليه، وهو إنما زكاتُه لنفسه لا لغيره، والتَّزكِّي شاملٌ للخَشْية وإقامةِ الصَّلاة.

وقرأ العباس عن أبي عمرو: «ومَن يَزَّكَّى فإنّما يزَّكَّى»[2] بالياء من تحت وشدِّ الزاي فيهما، وهما مضارعان أصلهما: ومَن يتَزَكَّى فإنما يتَزَكَّى، أُدغمت التاء في الزاي كما أُدغمت في الذّال في قوله: ﴿يَذَّكَّرُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٦].

وقرأ ابن مسعود وطلحة: «ومَن ازَّكَّى» بإدغام التاء في الزاي واجتلاب همزة الوصل في الابتداء. وطلحة أيضاً «فإنّما يَزَّكَّى» بإدغام التاء في الزّاي[3].

«وإلى الله المصير» وَعْدٌ لمَن تَزَكَّى بالثَّواب.

«وما يستوي الأعمى والبَصير» الآية، هي طَعْنٌ على الكَفَرة وتمثيلٌ، فالأعمى الكافر، والبصير المؤمن. أو الأعمى الصَّنَم، والبصير الله عزَّ وجلّ وعَلا، أي: لا يستوي مَعْبودهم ومَعبودُ المؤمنين، و«الظُّلمات والنُّور، والظِّلُّ والحَرور» تمثيلٌ للحقّ والباطل، وما يؤدّيان إليه من الثَّواب والعِقاب، و«الأحياء والأموات» تمثيلٌ لمَن دخل في الإسلام ومَن لم يدخل فيه.

و«الحرَور» شِدَّة حَرِّ الشَّمْس، وقال الزمخشري: والحَرور: السَّموم إلا أن

---

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٤٣٥، والكشاف ٣/ ٣٠٥.

(٢) مختصر في الشواذ ١٢٣.

(٣) مختصر في الشواذ ١٢٣، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٣٥.

السَّموم تكون بالنَّهار، والحَرور بالليل والنهار، وقيل: بالليل[١]. انتهى.

وقال ابن عطية: قال رؤبة: الحَرور بالليل، والسَّموم بالنَّهار. وليس كما قال، وإنما الأمرُ كما حكى الفرَّاء وغيرُه أن السَّموم يختصُّ بالنهار. ويقال: الحَرور في حَرِّ الليل، وفي حَرِّ النَّهار[٢]. انتهى.

ولا يُرَدُّ على رؤبة لأنه منه تُؤخذ اللغة، فأخبر عن لُغة قومه.

وقال قوم: الظِّلُّ هنا الجَنَّة، والحَرور جَهَنَّم[٣].

و«يستوي» من الأفعال التي لا تكتفي بفاعلٍ واحدٍ، فدخول «لا» في النَّفْي لتأكيد معناه، كقوله: ﴿وَلَا تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ﴾ [فصلت: ٣٤].

وقال ابن عطية: دخول «لا» إنما هو على نيَّة[٤] التّكرار، كأنه قال: ولا الظُّلمات والنُّور، ولا النُّور والظُّلمات، فاستغنى بذكر الأوائل عن الثَّواني، ودلَّ مَذْكور الكلام على مَتروكه[٥]. انتهى.

وما ذكر غيرُ مُحتاجٍ إلى تقديره؛ لأنه إذا نُفي استواءُ الظُّلمات والنُّور فأيُّ فائدةٍ في تقدير نَفْي استوائهما ثانياً وادِّعاءِ[٦] مَحذوفات[٧]، وأنت تقول: ما قام زيدٌ ولا عَمرو، فتؤكِّد بلا معنى النَّفْي، فكذلك هذا.

---

(١) الكشاف ٣/ ٣٠٦.

(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٤٣٥-٤٣٦، ونقله عن رؤبة: أبو عبيدة في مجاز القرآن ٢/ ١٤٥، والطبري ١٩/ ٣٥٦، والنحاس في معاني القرآن ٥/ ٤٥١، وابن الجوزي في زاد المسير ٦/ ٤٨٣.
وقول الفراء في الأيام والليالي والشهور له ص٤٢، ونقله عنه الطبري ١٩/ ٣٥٧، والنحاس، وابن الجوزي، والماوردي في النكت والعيون ٤/ ٤٦٩.

(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٤٣٦، وهو تفسير الفراء في معاني القرآن ٢/ ٣٦٩، ونقله الماوردي عن السدي، وابن الجوزي عن مجاهد.

(٤) في المطبوع: هيئة.

(٥) المحرر الوجيز ٤/ ٤٣٥.

(٦) في (د٣): وادعى.

(٧) في المطبوع: محذوفين.

وقرأ زاذان عن الكسائي: «وما تَستوي الأحياء» بتاء التأنيث[١]، والجمهور بالياء.

وترتيبُ هذه المَنْفيّ عنها الاستواء في غاية الفَصاحة؛ ذكر الأعمى والبَصير مَثَلاً للمؤمن والكافر، ثم البَصيرُ ولو كان حَديدَ النَّظَر لا يُبْصرُ إلَّا في ضوء، فذكر ما هو فيه الكافر من ظُلمة الكُفر، وما هو فيه المؤمن من نور الإيمان، ثم ذكر مآلَهما وهو الظّلُّ، وهو أن المؤمن بإيمانه في ظلٍّ وراحة، والكافر بكُفْره في حرٍّ وتَعب.

ثم ذكر مَثَلاً آخر في حَقِّ المؤمن والكافر؛ وذلك أن حالَ المؤمن والكافر فوق حال الأعمى والبصير؛ إذ الأعمى قد يُشارِكُ البصيرَ في إدراكٍ ما، والكافر غيرُ مُدْرِكٍ إدراكاً نافعاً فهو كالميّت؛ ولذلك أعاد الفعل فقال: «وما يَستوي الأحياء ولا الأموات» كأنه جعله مقامَ سؤال.

وكَرَّر «لا» فيما كرَّر[٢] لتأكيد المُنافاة، فالظُّلمات تُنافي النُّورَ وتُضادُّه، والظّلُّ والحَرور كذلك، والأعمى والبَصير ليس كذلك؛ لأن الشَّخصَ الواحدَ قد يكون بَصيراً، ثم يَعْرِضُ له العَمى، فلا مُنافاةَ إلا من حيث الوَصْفُ.

والمُنافاةُ بين الظّلِّ والحَرور دائمة، لأن المُرادَ من الظلِّ عدمُ الحرِّ والبَرْد، فلما كانت المُنافاةُ أتمّ أكَّد بالتَّكرار، وأما الأحياء والأموات ـ من حيث إن الجسمَ الواحد يكون مَحلًّا للحياة فيصير مَحَلًّا للموت ـ فالمُنافاةُ بينهما أتمُّ من المنافاة بين الأعمى والبَصير؛ لأن هذين قد يَشتركان في إدراكٍ ما، ولا كذلك الحيّ والميّت، فالميت يُخالف الحيَّ في الحقيقة لا في الوَصْف على ما بَيَّن في الحكمة الإلهية.

وقدَّم الأشرفَ في مثلين وهو الظلّ والحيّ[٣]، وأخَّر في مثلين وهما البصير والنّور، ولا يُقال لأجل السَّجْع؛ لأن مُعجزةَ القرآن ليست في مُجرَّد اللفظ، بل فيه وفي المعنى، والشَّاعر قد يُقدِّمُ ويؤخِّر لأجلِ السَّجْع، والقرآن المعنى صَحيح[٤] واللَّفظ فَصيح.

(١) مختصر في الشواذ ١٢٣.
(٢) في المطبوع: ذكر.
(٣) في المطبوع: والحر.
(٤) في التفسير الكبير ٢٦/ ١٧ وعنه ينقل: وأما القرآن فحكمة بالغة والمعنى فيه صحيح.

وكانوا قبل المَبْعَث في ضَلالة فكانوا كالعُمْي وطريقُهم الظُّلمة، فلما جاء الرسول واهتدى به قومٌ صاروا بصيرين وطريقُهم النور، وقدّم ما كان مُتقدِّماً من المتَّصِفِ بالكُفر وطريقته على ما كان مُتأخِّراً من المُتَّصف بالإيمان وطريقته.

ثمّ لمّا ذكر المآلَ والمَرْجِعَ قدَّم ما يتعلَّق بالرَّحمة على ما يتعلَّق بالغَضَب، كما جاء: «سَبقت رَحمتي غَضبي»(١) فقدَّم الظّلَّ على الحَرور.

ثم إن الكافرَ المُصِرَّ بعد البِعْثةِ صار أضلَّ من الأعمى، وشابَه الأمواتَ في عَدمِ إدراكِ الحقِّ فقال: «وما يستوي الأحياءُ» الذين آمنوا بما أنزل الله «ولا الأموات» الذين تُليت عليهم الآياتُ البيِّناتُ ولم يَنتفعوا بها، وهؤلاء كانوا بعد إيمانِ مَن آمن فأخَّرهم لوجود حياة المؤمنين قبل مَماتِ الكافرين.

وأفرد الأعمى والبَصير لأنه قابل الجنس بالجنس؛ إذْ قد يوجد في أفرادِ العُميان ما يُساوي به بعضَ أفراد البُصَراء، كأعمى عنده من الذَّكاء ما يُساوي به البَصير البَليد، فالتَّفاوتُ بين الجنسَين مَقطوعٌ به لا بين الأفراد.

وجُمعت الظُّلمات لأن طُرُقَ الكُفْر مُتَعدِّدة، وأفرد النُّور لأن التَّوحيدَ والحقَّ واحد، والتّفاوتُ بين كلِّ فَرْدٍ من تلك الأفراد وبين هذا الواحد فقال: الظُّلماتُ كلُّها لا تَجد فيها ما يُساوي هذا النُّور.

وأمّا الأحياء والأموات فالتَّفاوتُ بينهما أكثر؛ إذْ ما من مَيِّتٍ يُساوي في الإدراك حيًّا، فذكر أن الأحياءَ لا يُساوون الأموات؛ سواءٌ قابلتَ الجنسَ بالجنس، أم قابلتَ الفردَ بالفرد. انتهى من كلام أبي عبد الله الرازي، وفيه بعضُ تلخيص(٢).

ثمّ سَلّى رسولَه بقوله: «إن الله يُسْمِع مَن يشاء» أي: إسماعُ هؤلاء مَنوطٌ بمَشِيئتنا، وكَنَى بالإسماع عن الذي تكون عنه الإجابةُ للإيمان.

ولما ذَكر أنه «ما يستوي الأحياءُ ولا الأموات» قال: «وما أنت بمُسْمِعٍ مَن في القبور» أي: هؤلاء من عدم إصغائهم إلى سَماعِ الحقّ بمنزلة مَن هم قد ماتوا

---

(١) أخرجه أحمد (٧٢٩٩)، البخاري (٧٤٢٢)، ومسلم (٢٧٥١) (١٥) من حديث أبي هريرة ﷺ.
(٢) التفسير الكبير ٢٦/١٦-١٧.

وأقاموا في قبورهم، فكما أن مَن مات لا يمكن أن يَقبلَ منك قولَ الحقّ فكذلك هؤلاء لأنهم أمواتُ القلوب.

وقرأ الأشهب والحسن: «بمُسْمِعِ مَن» على الإضافة[١]، والجمهور بالتنوين.

«إنْ أنت إلا نذير» أي: ما عليك إلا أنْ تُبَلِّغَ وتُنْذر، فإن كان المُنْذَر ممَّن أراد الله هدايتَه سَمِع واهتدى، وإن كان ممَّن أراد الله ضلاله فما عليك[٢]، لأنه تعالى هو الذي يَهدي ويُضلّ.

و«بالحقّ» حالٌ من الفاعل، أي: مُحِقِّين، أو من المفعول، أي: مُحَقًّا، أو صفة لمصدر محذوف، أي: إرسالاً بالحق، أي: مَصْحوباً به. قال الزمخشري: أو صِلَة[٣] لبشير ونَذير، على بشيراً بالوَعْد الحقّ، ونذيراً بالوعيد الحق[٤]. انتهى.

ولا يمكن أن يتعلَّق «بالحقّ» هذا ببشير ونذير معاً، بل ينبغي أن يُتأوَّل كلامُه على أنه أراد أنّ ثَمَّ محذوفاً، والتقدير: بالوَعْد الحقِّ بشيراً، وبالوَعيد الحقِّ نذيراً[٥]، فحذف المُقابلَ لدلالة مُقابله عليه.

«وإنْ من أُمَّة إلا خلا فيها نذير» الأُمَّة: الجماعةُ الكثيرة، والمعنى: أن الدعاء إلى الله لم ينقطع عن كلِّ أُمَّة، إمَّا بمُباشَرةٍ من أنبيائهم، وإمَّا بنَقْلٍ إلى وقتِ بِعثة محمد ﷺ. والآيات التي تدلُّ على أن قُريشاً ما جاءهم نذير معناه: لم يُباشرهم ولا آباؤهم القريبين. وأمّا أن النِّذارة انقطعت فلا، ولمّا شَرعت آثارُ النِّذارة تَنْدرس بعث الله محمداً ﷺ، وما ذكره أهلُ علم الكَلام من حال أهل الفَترات فإن ذلك

---

(١) إعراب القرآن ٣/ ٣٧٠، وتفسير الثعلبي ٥/ ١٧٤، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٣٦، وزاد المسير ٦/ ٤٨٤، وتفسير القرطبي ١٧/ ٣٧١، ونسبها ابن خالويه ١٢٣ إلى علي، وزاد ابن الجوزي نسبتها إلى أبي عبد الرحمن السلمي والجحدري، والقرطبي إلى عيسى الثقفي وعمرو بن ميمون.

(٢) في (د٣ يه): فلا عليك، وهما بمعنى.

(٣) في (د٣ يه): أو صفة، وهو تحريف.

(٤) الكشاف ٣/ ٣٠٦.

(٥) تعقبه السمين في الدر المصون ٩/ ٢٢٦ بقوله: وقد صرّح الرجل بهذا.

على حَسَب الفَرْض لا أنه واقعٌ، ولا توجد أمةٌ على وجه الأرض إلا وقد عَلِمت الدعوةَ إلى الله وعبادته[١].

واكتفى بذكر «نَذير» عن بشير لأنها مَشْفوعةٌ بها في قوله: «بشيراً ونذيراً» فدلَّ ذلك على أنه مُرادٌ وحُذف للدَّلالة عليه.

«وإن يُكذِّبوك» مَسْلاةٌ للرسول ﷺ. وتقدَّم الكلامُ على نَظير هذه الجمل في أواخر «آل عمران»[٢].

وقوله: «فكيف كان نكير» تَوعُّدٌ لقريش بما جَرى لمُكَذِّبي رُسُلِهم.

* * *

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾ وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ هُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٣١﴾ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾﴾.

لمَّا قرَّر تعالى وحدانيَّته بأدلَّةٍ قرَّبها، وأمثالٍ ضربها أتبعها بأدلّةٍ سماويّة وأرضية فقال: «ألم تَرَ» وهذا استفهام تقرير، ولا يكون إلا في الشيء الظاهر جدًّا، والخطاب للسَّامع.

---

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٤٣٦.
(٢) في تفسير الآية (١٨٤) منها.

و«تَرَ» من رؤية القلب؛ لأن إسنادَ إنْزاله تعالى لا يُستدَلُّ عليه إلا بالعقل الموافق للنَّقْل، وإنْ كان إنزالُ المطَر مُشاهَداً بالعين؛ لكن رؤيةُ القلب قد تكون مُستندةً لرؤية البصر ولغيرها.

وخرج من ضمير الغَيبة إلى ضمير المتكلِّم في قوله: «فأخْرَجْنا» لما في ذلك من الفَخامة؛ إذْ هو مُسْنَد للمُعَظَّم المُتَكَلِّم؛ ولأن نعمةَ الإخْراجِ أتمُّ من نعمة الإنزال، لأن الإنزال لفائدة الإخراج، فأسند الأتَمَّ إلى ذاته بضمير المتكلِّم، وما دونه بضمير الغائب.

والظاهر أن الألوان أُريد[١] بها ما يَتبادرُ إليه الذِّهنُ من الحُمْرةِ والصُّفْرة والخُضْرة والسَّواد وغير ذلك، كما يُشاهَد في الثَّمرات.

وقيل: الألوان الأنواع، كالتين والعِنَب والرُّمان والتفاح وغير ذلك[٢].

والألوان بهذا المعنى أوسَعُ وأكثرُ من الألوان بمعنى الأصْباغ.

وقرأ الجمهور: «مُخْتلفاً ألوانُها» على حَدِّ اختلف ألوانُها.

وقرأ زيد بن عليّ: «مُخْتَلفةً ألوانُها» على حَدِّ اختلفت ألوانُها[٣]. وجمع التكسير يجوز فيه أنْ تلحق التاء وأن لا تلحق.

وقرأ الجمهور: «جُدَدٌ» بضمِّ الجيم وفتح الدَّال جمع جُدَّة. قال ابن بَحْر: قِطَع، من قولك: جَدَدْتُ الشيءَ: قَطَعْتُه[٤].

وقرأ الزُّهري كقراءة الجمهور. قال صاحب «اللَّوامح»: جمع جُدَّة، وهي ما تَخالَف من الطرائق في الجبال لونُ ما يليها.

وعنه أيضاً بضم الجيم والدَّال[٥] جمع جَديدة، يقال: جَديدة وجُدُد وجَدائد، كما يُقال في الاسم: سَفينة وسُفُن وسَفائن، قال أبو ذُؤيب:

---

(١) في المطبوع: الألوان إن أريد (؟!).

(٢) الكشاف ٣/ ٣٠٧، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٣٧. ومن قوله: كما يشاهد... إلى هنا، ليس في المطبوع.

(٣) ذكرها السمين في الدر المصون ٩/ ٢٢٦.

(٤) النكت والعيون ٤/ ٤٧٠، وعنه القرطبي ١٧/ ٣٧٣.

(٥) المحتسب ٢/ ١٩٩، والكشاف ٣/ ٣٠٧، وعنه القرطبي ١٧/ ٣٧٣-٣٧٤.

جَـوْنُ الـسَّـراةِ لـه جَـدائـدُ أرْبَـعُ[١]

وعنه أيضاً: «جَدَد» بفتح الجيم والدَّال[٢]، ولم يُجِزْه أبو حاتم في المعنى، ولا صَحَّحه أثَراً.

وقال غيره: هو الطَّريق الواضحُ المُبين، وَضَعه مَوْضعَ الطَّرائقِ والخطوطِ الواضحةِ المُنْفَصِلِ بعضها من بعض[٣].

وقال أبو عبيدة: يقال جدد في جمع جَديد، ولا مَدْخَلَ لمعنى الجَديد في هذه الآية[٤].

وقال صاحب «اللوامح»: جدد جمع جَديد بمعنى: آثار جَديدة واضحة الألوان[٥]. انتهى.

وقال: «مُخْتلفٌ ألوانُها» لأن البياضَ والحُمْرَة تتفاوتُ بالشّدَّة والضَّعْف، فأبيضُ لا يُشبه أبيض، وأحمر لا يشبه أحمر، وإن اشتركا في القَدْر المُشْتَرَك لكنه مُشَكك[٦].

والظاهر عطف «وغَرابيب» على «حُمر» عطفَ ذي لون على ذي لون. وقال الزمخشري: معطوف على «بيض» أو على «جُدَد» كأنه قيل: ومن الجبال مُخَطَّط ذو جُدَد، ومنها ما هو على لون واحد، وقال بعد ذلك: ولا بُدَّ من تقدير حذفِ

(١) صدره: والدهر لا يبقى على حَدثانه، وهو في شرح أشعار الهذليين ١/ ١١، والكشاف ٣/ ٣٠٧.

(٢) مختصر في الشواذ ١٢٤، والمحتسب ٢/ ١٩٩، والكشاف ٣/ ٣٠٧، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٣٧، وتفسير القرطبي ١٧/ ٣٧٦.

(٣) الكشاف ٣/ ٣٠٧.

(٤) نقله ابن عطية في المحرر الوجيز ٤/ ٤٣٧ عن أبي عبيدة، لكنه وضعه في تفسير: جُدَد، بضم الجيم وفتح الدال، وذكره الآلوسي ٢٢/ ٢١٤ عقب قراءة الزهري جُدُد بضمتين.

(٥) نقله عنه السمين ٩/ ٢٢٧، والآلوسي ٢٢/ ٢١٤ لكنهما ذكراه عقب قراءة الزهري جدد بضمتين.

(٦) في المطبوع: مشكل، ومثله في مطبوع الدر المصون ٩/ ٢٢٨، والمثبت من النسخ، ويوافقه ما في روح المعاني ٢٢/ ٢١٥.

المضاف في قوله: «ومن الجبال جُدَد» بمعنى: ومن الجبال ذو جُدَد بيضٌ وحُمرٌ وسُودٌ، حتى تؤولَ إلى قولك: ومن الجبال مُختلفٌ ألوانُه كما قال: «ثَمراتٍ مختلفاً ألوانُها»، «ومن الناس والدَّوابِّ والأنعام مختلفٌ ألوانُه» يعني: ومنهم بعضٌ مختلفٌ ألوانُه. وقرأ ابن السَّميفع: «ألوانُها»(١). انتهى.

والظّاهر أنه لمّا ذَكر الغرابيب ـ وهو الشّديد السَّواد ـ لم يذكر فيه «مُختلفٌ ألوانُه» لأنه من حيث جعلَه شديدَ السَّواد ـ وهو المُبالغ في غاية السَّواد ـ لم يكن له ألوان، بل هذا لونٌ واحد بخلاف البِيض والحُمْر؛ فإنها تختلف.

والظاهر أن قوله: «بِيضٌ وحُمْرٌ» ليسا مجموعين لجُدَّةٍ واحدة، بل المعنى: جُدَد بيض، وجُدَد حُمر، وجُدَد غَرابيب، ويقال: أسْوَد حَلَكُوك، وأسود غِرْبيب.

ومن حق التابع الموضّح الغاية في ذلك اللون أن يكون تابعاً، فقال ابن عطية: قُدِّم الوصفُ الأبلغ وكان حَقُّه أن يتأخَّر، وكذلك هو في المعنى، لكن كلامُ العرب الفَصيح يأتي كثيراً على هذا النحو(٢).

وقال الزمخشري: الغِرْبيب تأكيدٌ للأسود، ومن حقِّ التَّوكيد أن يَتْبعَ المؤكّد كقولك: أصفرُ فاقِعٌ، وأبيضُ يَقَقٌ، وما أشبه ذلك، ووجهُه أن يُضْمَر(٣) المؤكَّد قبله، فيكون الذي بعده تفسيراً لما أُضمر؛ كقول النابغة:

والمؤمنِ العائذاتِ الطَّيرِ(٤)

وإنما يُفعَل لزيادة التوكيد؛ حيث يُدَلُّ على المعنى الواحد من طريقَي الإظْهار والإضمار جميعاً(٥). انتهى.

---

(١) الكشاف ٣/ ٣٠٧ ولم يسمّ صاحب القراءة وإنما قال: وقرئ: ألوانُها.
(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٤٣٧.
(٣) في المطبوع: يظهر، وهو تحريف.
(٤) تمامه: يمسحها ركبان مكة بين الغيل والسَّند
وهو في ديوانه ٢٠ (بشرح ابن السكيت)، وسلف في تفسير الآية (٢) من سورة إبراهيم.
(٥) الكشاف ٣/ ٣٠٧.

وهذا لا يصحُّ إلا على مَذْهب مَن يُجيز حذفَ المؤكِّد، ومن النحاة مَن منع ذلك، وهو اختيارُ ابن مالك[(١)].

وقيل: هو على التقديم والتأخير، أي: سودٌ غَرابيب[(٢)].

وقيل: سودٌ بدلٌ من غَرابيب. وهذا أحسن، ويُحَسِّنه كونُ غربيب لم يلزم فيه أنْ يُستعمل تأكيداً، ومنه ما جاء في الحديث: «إن الله يُبْغِضُ الشيخَ الغِربيب»[(٣)] يعني: الذي يَخْضِب بالسَّواد.

وقال الشاعر:

العينُ طامحةٌ واليدُ سابحةٌ   والرجلُ لائحةٌ والوَجْهُ غِرْبِيْبُ[(٤)]

وقال آخر:

ومن تعاجيبِ[(٥)] خَلْقِ الله غاليةٌ   البعضُ منها مُلاحيٌّ وغِربيبُ[(٦)]

(١) في شرح التسهيل ٣/ ٢٩٥، ٢٩٨-٢٩٩، وشرح الكافية الشافية ٣/ ١١٨٠، وانظر ارتشاف الضرب ١٩٥٣.
وتعقب السمين في الدر المصون ٩/ ٢٢٩ المصنف فقال: ليس هذا هو التوكيد المختلف في حذف مؤكده، لأن هذا من باب الصفة والموصوف، ومعنى تسمية الزمخشري لها تأكيداً من حيث إنها لا تفيد معنى زائداً... وانظر تتمته.

(٢) نسب الثعلبي ٥/ ١٧٤، وابن الجوزي ٦/ ٤٨٥ هذا القول إلى الفراء، وليس في معاني القرآن له.

(٣) أخرجه ابن عدي في الكامل ٣/ ١٠١٦ من حديث أبي هريرة ﷺ، وفيه رشدين بن سعد، قال ابن معين: ليس بشيء، وقال أبو زرعة: ضعيف، وقال النسائي: متروك. انظر ميزان الاعتدال (٢٦٥٨).

(٤) البيت لامرئ القيس أو لإبراهيم بن بشير الأنصاري، انظر زيادات الطوسي على ديوان امرئ القيس ٦٦٨، وروايته:

والعين قادحة واليد سابحة   والرجل طامحة واللون غربيب

وهو في النكت والعيون ٤/ ٤٧١، وتفسير الطبري ١٧/ ٣٧٥.

(٥) في (ز٢): عجائب.

(٦) نسبه ابن دريد في الجمهرة ٩١٩ لرجل من أهل السراة جاهلي، وهو بلا نسبة في الجمهرة ٥٦٩، ١٠٧٩، ١٢٦٣، وأدب الكاتب ٣٧٨، وشرحه للبطليوسي ٣٨٤، وللجواليقي ٢٨٧، وديوان الأدب ١/ ٤٥٢، والصحاح (عجب، ملح)، واللسان (غطي، ملح)، والكشف =

وقرأ الجمهور: «والدَّوابِّ» مشدَّد الباء، والزُّهري بتخفيفها[١] كراهيَةَ التضعيف؛ إذ فيه التقاءُ الساكنين، كما همز بعضهم: «ولا الضَّأَلِّين»[٢] فراراً من التقاء الساكنين، فحذف هنا آخرَ المُضَعَّفَين، وحَرَّك هناك أولَ السّاكنَين.

و«مُختلفٌ» صفةٌ لمحذوف، أي: خَلْقٌ مُختلفٌ ألوانُه «كذلك» أي: كاختلاف الثَّمرات والجبال، فهذا التشبيه من تمام الكلام قبله، والوقف عليه حسن[٣].

قال ابن عطية: ويحتمل أن يكون من الكلام الثاني يخرج مَخرج السَّبب، كأنه قال: كما جاءت القُدرة في هذا كله «إنما يخشى الله من عباده العلماء» أي: المخلصون لهذه العِبَر، النَّاظرون فيها[٤]. انتهى.

وهذا الاحتمال لا يصحّ لأن ما بعد إن[٥] لا يمكن أن يتعلّق بهذا المجرور قبلها، ولو خرج مَخرج السَّبب لكان التركيب: كذلك يخشى الله من عباده، أي: لذلك الاعتبار والنَّظرِ في مخلوقات الله واختلافِ ألوانها يَخشى الله، ولكن التركيب جاء بإنما، وهي تقطع هذا المجرور ممَّا بعدها.

والعلماء هم الذين عَلموه بصفاته وتوحيده، وما يجوز عليه، وما يجب له، وما يستحيل عليه، فعظَّموه وقَدَروه حقَّ قدره، وخَشَوه حقَّ خشيته، ومَن ازداد به علماً ازداد منه خوفاً، ومَن كان علمُه به أقلّ كان آمَن[٦]، وقد وردت أحاديثُ وآثار في الخَشْية[٧].

= والبيان للثعلبي ٥/ ١٧٤، وتفسير القرطبي ١٧/ ٣٧٥. وروايته عندهم: غاطية، بدل: غالية. والغاطية فيما ذكر ابن دريد: كل شجرة منبسطة على الأرض، وأراد بها هنا الكرمة، والملاحي: العنب الأبيض.

(١) المحتسب ٢/ ٢٠٠.

(٢) هو أيوب السختياني كما في مختصر في الشواذ ص١، والمحتسب ١/ ٤٦.

(٣) انظر إيضاح الوقف والابتداء ٢/ ٤٨٩، وتفسير القرطبي ١٧/ ٣٧٥، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٣٧.

(٤) المحرر الوجيز ٤/ ٤٣٧.

(٥) في المطبوع: إنما.

(٦) الكشاف ٣/ ٣٠٧.

(٧) انظرها في تفسير الطبري ١٩/ ٣٦٤، ومعاني القرآن ٥/ ٤٥٤، وإعراب القرآن ٣/ ٣٧١ =

وقيل: نزلت في أبي بكر الصدّيق وقد ظهرت عليه الخشيةُ حتى عُرفت فيه[١].

ومَن ادعى أن «إنما» للحَصْر قال: المعنى: ما يَخشى اللهَ إلا العلماء، فغيرُهم لا يخشاه، وهو قول الزمخشري[٢].

وقال ابن عطية: وإنما في هذه الآية تخصيصُ العلماء لا الحَصْر، وهي لفظةٌ تَصلُح للحَصْر، وتأتي أيضاً دونَه، وإنما يُعْلَم ذلك بحسب المعنى الذي جاءت فيه[٣]. انتهى.

وجاءت هذه الجملةُ بعد قوله: «ألم تَرَ» إذْ ظاهرُه خطابٌ للرّسول[٤]؛ حيث عدَّد آياته، وأعلامَ قُدرته، وآثارَ صَنْعته، وما خلق من الفِطَر المُختلفة الأجناس، وما يُستدلُّ به عليه وعلى صفاته، فكأنه قال: إنما يَخْشاه مثلُك ومَن على صفتك ممَّن عَرَفه حقَّ معرفته[٥].

وقرأ الجمهور بنَصْب الجلالة ورفع العلماء. ورُوي عن عمر بن عبد العزيز وأبي حنيفة عكسُ ذلك[٦].

وتُؤوِّلت هذه القراءةُ على أن الخشيةَ استعارةٌ للتّعظيم؛ لأن مَن خَشي وهاب أجلَّ وعَظَّم مَن خشيه وهابه.

ولعلّ ذلك لا يَصحُّ عنهما، وقد رأينا كُتباً في الشَّواذ ولم يذكروا هذه القراءة، وإنما ذكرها الزمخشري عنهما، وذكرها عن أبي حَيْوة أبو القاسم يوسف بن جُبارة في كتابه «الكامل»[٧].

= للنحاس، وتفسير الثعلبي ٥/ ١٧٥، والماوردي ٤/ ٤٧١، والكشاف ٣/ ٣٠٧، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٣٧، وزاد المسير ٦/ ٤٨٦، وتفسير القرطبي ١٧/ ٣٧٥-٣٧٧.

(١) أخرجه الثعلبي ٥/ ١٧٥ من حديث عطاء الخراساني، رفعه. وهو ضعيف لانقطاعه.

(٢) الكشاف ٣/ ٣٠٧.

(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٤٣٧.

(٤) في (د٣ يه): الرسول، وهما سواء.

(٥) الكشاف ٣/ ٣٠٧-٣٠٨.

(٦) الكشف والبيان ٥/ ١٧٥ للثعلبي، والكشاف ٣/ ٣٠٨، وعنه القرطبي ١٧/ ٣٧٧. وطعن ابن الجزري في هذه القراءة في النشر ١/ ١٦.

(٧) انظر الدر المصون ٩/ ٢٣١، وروح المعاني ٢٢/ ٢٢٠.

«إن الله عزيزٌ غفور» تعليلٌ للخَشْية؛ إذ العزَّةُ تدلُّ على عُقوبةِ العُصاة وقَهْرِهم، والمغفرةُ على إثابةِ الطَّائعين والعفوِ عنهم.

«إن الذين يَتْلُون» ظاهرُه يقرؤون «كتابَ الله» أي: يُدَاومون تلاوتَه.

وقال مُطَرِّف بن عبد الله بن الشِّخِّير: هذه آية القُرَّاء[1].

أو يَتْبعون كتابَ الله فيَعْملون بما فيه. وعن الكلبي: يأخذون بما فيه.

وقال السدّي: هم أصحاب الرسول ﷺ ورضي عنهم. وقال عطاء: هم المؤمنون[2].

ولمّا ذكر تعالى وَصْفَهم بالخَشْية وهي عملُ القلب؛ ذكر أنهم يَتْلون كتابَ الله وهو عملُ اللسان، ويقيمون الصَّلاة وهو عمل الجَوارح، ويُنفقون وهو العمل المالي.

«يَرْجون» خبر «إنّ». وهذا إشارة إلى الإخلاص، أي: يفعلون تلك الأفعال من التلاوة، وإقامةِ[3] الصَّلاة، والإنفاق؛ يقصدون بذلك وجهَ الله، لا للرّياء والسُّمعة.

«تجارةً لن تَبور» لن تَكْسَد ولا يَتعذَّر الرِّبْحُ فيها، بل يَنْفَقُ عند الله.

«لِيُوَفِّيهم» مُتعلّق بـ «يَرْجون» أو بـ «لن تبور»، أو بمُضْمَر تقديرُه: فعلوا ذلك. أقوال[4].

قال الزمخشري: وإنْ شئتَ جعلتَ[5] «يرجون» في موضع الحال على: وأنفقوا راجين لِيُوَفِّيهم، أي: فعلوا جميعَ ذلك لهذا الغَرَض، وخبر «إن» قولُه «إنه غَفور شكور» على معنى: غفورٌ لهم، شكورٌ لأعمالهم. والشُّكرُ مجازٌ عن الإثابة. انتهى[6].

---

(١) أخرجه الطبري ١٩/٣٦٦.
(٢) الكشاف ٣/٣٠٨.
(٣) من قوله: يرجون... إلى هنا، ليس في المطبوع.
(٤) المحرر الوجيز ٤/٤٣٨.
(٥) في المطبوع: فقلت.
(٦) الكشاف ٣/٣٠٨.

و«أجورَهم» هي التي رَتّب تعالى على أعمالهم، وزيادتُه من فضله؛ قال أبو وائل: بتَشْفيعهم فيمَن أحْسنَ إليهم. وقال الضحاك: بتَفْسيح القلوب[١]. وفي الحديث: بتَضْعيف حسناتهم. وقيل: بالنَّظر إلى وجهه[٢].

و«الكتاب» هو القرآن. و«من» للتبيين، أو الجنس، أو التبعيض، تخريجات للزمخشري[٣]. و«مُصَدِّقاً» حالٌ مؤكِّدة «لما بين يديه» من الكُتب الإلهية: التوراة والإنجيل والزَّبور وغيره. وفيه إشارة إلى كونه وَحْياً؛ لأنه عليه السلام لم يكن قارئاً كاتباً، وأتى ببيان ما في كُتب الله، ولا يكون ذلك إلا من الله تعالى.

«إن الله بعباده لخَبير بَصير» لَخَبير: عالم بدقائق الأشياء وبَواطِنها، بصير: بما ظَهر منها، وحيث أهَّلك لوحيه، واختَصَّك[٤] برسالته وكتابه، الله أعلمُ حيث يجعل رسالاته.

«ثم أورَثْنا الكتابَ» و«ثمَّ» قيل: بمعنى الواو، وقيل: للمُهْلة إمّا في الزّمان وإمّا في الإخبار على ما يأتي بيانُه.

و«الكتابَ» فيه قولان: أحدهما أن المعنى: أنزلنا الكُتب الإلهيَّة، فالكتاب على هذا اسمُ جنس، والمصطَفَون: الأنبياء[٥] وأتْباعُهم، قاله الحسن. وقال ابن عباس: هم هذه الأمة، أُورثت أمةُ محمد ﷺ كلَّ كتابٍ أنزله الله. وقال ابن جرير: أورثَهم الإيمانَ، فالكتب تأمرُ باتِّباع القرآن، فهم مؤمنون بها عاملون بمُقْتضاها، يدلُّ عليه: «والذي أوحينا إليك من الكتاب هو الحقُّ» ثم أتبعه بقوله: «ثمَّ أورثْنا الكتابَ» فعلمنا أنهم أُمَّةُ محمد ﷺ إذْ كان معنى الميراث: انتقالَ شيءٍ من قوم إلى قوم، ولم تكن أمةٌ انتقل إليها كتابٌ من قوم كانوا قبلَهم غيرَ أُمَّته، فإذا قُلْنا: هم الأنبياء وأتباعُهم كان المعنى: أوْرَثْنا كلَّ كتابٍ أُنزل على نبيٍّ ذلك النبيَّ وأتباعَه.

---

(١) في النكت والعيون ٤/ ٤٧٢ (والأقوال فيه): يفسح لهم في قبورهم، وفي روح المعاني ٢٢/ ٢٢٢ مثل الذي عندنا (وهو كثير النقل عن أبي حيان).
(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٤٣٨، وانظر النكت والعيون.
(٣) الكشاف ٣/ ٣٠٨.
(٤) في المطبوع: واختارك.
(٥) في المطبوع: والمصطفون على ما يأتي بيانه أن المعنى الأنبياء، وهو تكرار لما قبله.

والقولُ الثاني: أن الكتابَ هو القرآن، والمصطَفَون: أمةُ الرسول، ومعنى أورَثْنا؛ قال مجاهد: أعطَيْنا؛ لأن الميراثَ عطاء(١).

ثم قسمَ الوارثين إلى هذه الأقسام الثلاثة، فقال مكّي: فقيل: هم المذكورون في «الواقعة» فالسَّابق بالخيرات هو المُقَرَّب، والمُقْتَصِد أصحابُ المَيْمنة، والظَّالم لنفسه أصحابُ المَشْأَمَة(٢)، وهو قولٌ يُروى معناه عن عكرمة والحسن وقتادة، قالوا: الضمير في «منهم» عائدٌ على العِباد، فالظَّالم لنفسه: الكافر والمُنافق، والمُقْتصِد: المؤمن العاصي، والسَّابق: التقيُّ على الإطلاق، وقالوا: هي(٣) نَظيرُ ما في «الواقعة»(٤).

والأكثرون على أن هؤلاء الثلاثة هم في أُمَّةِ الرسول، ومَن كان من أصحاب المَشْأمة مُكذِّباً ضالًّا لم يُورث الكتاب ولا اصطفاه الله، وإنما الذي في «الواقعة» أصنافُ الخَلْق من الأوَّلين والآخِرين.

قال عثمان بن عفّان: سابقُنا أهلُ جهادنا، ومُقتصدُنا أهلُ حَضَرنا، وظالمُنا أهلُ بَدْونا؛ لا يَشْهدون جماعةً ولا جُمعةً.

وقال معاذ: الظَّالم لنفسه: الذي مات على كبيرة لم يَتُب منها، والمُقْتَصِد: مَن مات على صغيرة، ولم يُصِب كبيرة لم يَتُب منها، والسَّابق: مَن مات تائباً من كبيرةٍ أو صغيرة، أو لم يُصِب ذلك.

وقيل: الظَّالم لنفسه العاصي المُسْرِف، والمُقْتَصِد مُتَّقي الكبائر، والسَّابق المُتَّقي على الإطلاق.

وقال الحسن: الظَّالم مَن خَفَّت حَسَناتُه، والمُقْتَصِد مَن استوت، والسَّابق مَن رَجَحَت(٥).

---

(١) نقل المصنف القولين وتفصيلهما من زاد المسير ٦/ ٤٨٧-٤٨٨، وانظر تفسير الطبري ١٩/ ٣٦٨، ٣٧٣-٣٧٤.
(٢) الهداية لمكي ٩/ ٥٩٧٥، وآية الواقعة هي الآية (١٢) منها.
(٣) في المطبوع و(أ ت ز٢): هو، والمثبت من (د٣ يه)، وكلاهما صحيح.
(٤) المحرر الوجيز ٤/ ٤٣٩، وأخرج الأقوال الطبري ١٩/ ٣٧١-٣٧٣.
(٥) انظر الأقوال في: معاني القرآن للنحاس ٥/ ٤٥٨، وتفسير الثعلبي ٥/ ١٧٧-١٧٩؛

وقال الزمخشري: قَسَمهم إلى ظالم مُجْرم، وهو المُرْجأ لأمر الله، ومُقْتَصد وهو الذي خلطَ عملاً صالحاً وآخر سيِّئاً، وسابق من السَّابقين[1]. انتهى.

وذكر في «التحرير»[2] ثلاثةً وأربعين قولاً في هؤلاء الأصناف الثّلاثة[3].

وقرأ أبو عمران الجَوْنيّ، وعمر بن أبي شُجاع، ويعقوب في رواية، والقَزَّاز[4] عن أبي عمرو: «سَبَّاق»[5]، والجمهور: «سابق».

قيل: وقَدَّم الظّالم لأنه لا يَتَّكِل إلا على رحمة الله[6].

وقال الزمخشري: للإيْذانِ بكَثرةِ الفاسقين منهم وغَلَبَتِهم، وأنّ المُقتصِد قليلٌ بالإضافة إليهم، والسَّابقون أقلُّ من القليل[7]. انتهى.

«بإذْن الله» بتيسيره وتمكينه، أي: أن سَبْقَه ليس من جهة ذاته، بل ذلك منه تعالى.

والظاهر أن الإشارة بـ «ذلك» إلى إيْراثِ الكتاب، واصطفاء هذه الأمة.

= والماوردي ٤/ ٤٧٣-٤٧٤، والقرطبي ١٧/ ٣٨٢-٣٨٣، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٣٩، وزاد المسير ٦/ ٤٨٩-٤٩٠.

(١) الكشاف ٣/ ٣٠٩.

(٢) في المطبوع: التجريد، وهو تحريف.

(٣) ذكر الثعلبي ثلاثة وثلاثين قولاً، قال الآلوسي ٢٢/ ٢٣١: ومن تتبع التفاسير وجدها أكثر من ذلك، لكن لا يجد في أكثرها كثير تفاوت.

(٤) في المطبوع: الحوفي... والقراءة، وهو تحريف.

(٥) قراءة أبي عمران الجوني في مختصر في الشواذ ١٢٤، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٣٩ وتحرف فيه إلى أبي عمرو، وأبو عمران هو عبد الملك بن حبيب، من تابعي البصريين وثقاتهم، له ترجمة في طبقات ابن سعد ٩/ ٢٣٧، وتهذيب الكمال ١٨/ ٢٩٧، والمختار من مناقب الأبرار لابن الأثير ٣/ ٥١٥.
وقراءة أبي عمرو ـ من رواية القزاز ـ في الكامل للهذلي ورقة ٢٣١ كما ذكر محقق الدر المصون ٩/ ٢٣٢.
وزاد ابن الجوزي في زاد المسير ٦/ ٤٩٠ نسبتها إلى أبي المتوكل والجحدري وابن السّميفع.

(٦) المحرر الوجيز ٤/ ٤٣٩.

(٧) الكشاف ٣/ ٣٠٩.

«وجَنّاتُ» على هذا مبتدأ، و«يدخلونها» الخبر. وجَنّات قراءة الجمهور جَمْعاً بالرَّفع، ويكون ذلك إخباراً بمقدار أولئك المُصْطَفين.

وقال الزمخشري وابن عطية: «جَنّاتُ» بدلٌ من «الفَضْلُ»[١]، قال الزمخشري: فإن قلت: فكيف جُعِلَت «جَنَّاتُ عَدْنٍ» بدلاً من «الفَضْلُ الكبير» الذي هو السَّبْقُ بالخيرات المشارُ إليه بذلك؟ قلت: لمّا كان السَّببَ في نَيْل الثَّواب نُزِّل مَنْزِلَةَ المُسَبِّب كأنه هو الثَّواب، فأُبدِلت عنه جَنَّاتُ عَدْن. انتهى.

ويدلُّ على أنه مبتدأ قراءةُ الجَحْدريّ وهارون عن عاصم: «جَنّاتِ»[٢] منصوباً على الاشتغال، أي: يَدْخلون جناتِ عَدْنٍ يَدْخلونها.

وقرأ زِرُّ بن حُبَيْش[٣] والزُّهري: «جَنَّةُ» على الإفراد بالرَّفع[٤].

وقرأ أبو عمرو: «يُدْخَلونها» مبنيًّا للمفعول، ورُويت عن ابن كثير[٥]. والجمهور مبنيًّا للفاعل.

والظاهر أن الضّميرَ المرفوعَ في «يَدْخلونها» عائدٌ على الأصناف الثلاثة، وهو قول عبد الله بن مسعود وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وأبي الدَّرداء وعُقبة بن عامر وأبي سعيد وعائشة ومحمد ابن الحنفيَّة وجعفر الصادق وأبي إسحاق السَّبيعي وكعب الأحبار[٦].

وقرأ عمر هذه الآية ثم قال: قال رسول الله ﷺ: «سابقُنا سابق، ومُقتَصدُنا ناجٍ، وظالمُنا مغفورٌ له»[٧].

---

(١) الكشاف ٣/ ٣٠٩، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٤٠.

(٢) قراءة الجحدري في مختصر في الشواذ ١٢٣، وإعراب القرآن للنحاس ٣/ ٣٧٣، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٤٠، وذكرها الزمخشري ٣/ ٣٠٩، والقرطبي ١٧/ ٣٨٦ دون نسبة.

(٣) في المطبوع: رزين وحبيش، وهو تحريف.

(٤) مختصر في الشواذ ١٢٤، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٤٠، وذكرها الزمخشري والقرطبي دون نسبة.

(٥) السبعة ٥٣٤، والتيسير ١٨٢، والنشر ٢/ ٢٥٢، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٤٠.

(٦) سلف تخريج آثارهم وأقوالهم قريباً، وزد على تخريجها: تفسير الطبري ١٩/ ٣٧٠ فما بعدها.

(٧) أخرجه العقيلي في الضعفاء ٣/ ٤٤٣، والثعلبي في الكشف والبيان ٥/ ١٨٠، والواحدي في الوسيط ٣/ ٥٠٥، والبغوي في تفسيره ٣/ ٥٧١ من طريق الفضل بن عُميرة، عن ميمون بن =

ومَن جعل الثلاثةَ الأصناف هي التي في الواقعة كان الضَّمير في «يدخلونها» عائداً عنده على المُقْتَصِد والسَّابق[١].

وقال الزمخشري: هو عائد على السَّابق فقط، ولذلك جعل «ذلك» إشارةً إلى السَّبق المفهوم من قوله: «سابق»[٢].

قال الزمخشري: وفي اختصاص السَّابقين[٣] بعد التقسيم بذِكْر ثوابِهم، والسّكوت عن الآخرين ما فيه من وجوب الحَذَر، فلْيَحْذَرِ المُقْتَصِد، ولْيَمْلِك[٤] الظَّالم لنفسه حَذَراً، وعليهما بالتوبة النَّصوح المُخَلِّصة من عذاب الله، ولا يغترَّ بما رواه عُمر ﷺ عن رسول الله ﷺ: «سابقُنا سابِق، ومُقتصِدُنا ناجٍ، وظالِمُنا مَغْفورٌ له»[٥]. فإنَّ شرطَ ذلك صِحَّةُ التَّوبة لقوله: ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ١٠٢]، وقوله: ﴿إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ١٠٦] ولقد نطق القرآن بذلك في مواضع من استقرأها اطَّلع على حقيقة الأمر ولم يُعلِّل نفسه بالخداع. انتهى. وهو على طريق المُعتزلة.

وقرأ الجمهور: «يُحَلَّون» بضم الياء وفتح الحاء وشدِّ اللام مبنيًّا للمفعول.

وقرئ بفتح الياء وسكون الحاء وخفّ[٦] اللام، من حَلِيَت المرأة فهي حالٍ إذا لَبِست الحُلِيّ، ويُقال: جِيدٌ حالٍ إذا كان فيه الحُليّ.

= سياه، عن أبي عثمان النهدي، عن عمر ﷺ، به. والفضل بن عميرة ضعيف، وقال العقيلي: لا يتابع عليه.
وأخرجه البيهقي في البعث والنشور (٦٥) من طريق ميمون بن سياه، عن عمر ﷺ، به.
وهذا منقطع، قال البيهقي: فيه إرسال بين ميمون بن سياه وعمر ﷺ.
وأخرجه سعيد بن منصور (٢٣٠٨) عن عمر موقوفاً، وانظر تخريج ابن حجر لأحاديث الكشاف ١٣٩.

(١) انظر تفسير القرطبي ١٧/ ٣٨١.
(٢) هذا معنى كلام الزمخشري الذي نقله قريباً قبل قراءة الجحدري.
(٣) من قوله: السبق المفهوم... إلى هنا، ليس في المطبوع.
(٤) في النسخ والمطبوع: وليهلك، وهو تحريف، والمثبت من الكشاف ٢/ ورقة ٢٠٨، و٣/ ٣٠٩ من المطبوع.
(٥) سلف تخريجه قريباً.
(٦) في المطبوع: وتخفيف، وهما بمعنى، والقراءة في الكشاف ٣/ ٣١٠.

وتقدّم في سورة الحجّ الكلامُ على ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ [الآية: ٢٣].

وقرأ الجمهور: «الحَزَن» بفتحتين، وقرئ بضمِّ الحاء وسكون الزَّاي، ذكره جَناح بن حُبَيْش[١].

والحُزن يَعمُّ جميعَ الأحزان، وقد خصَّ المفسِّرون هنا وأكثروا، وينبغي أن يُحمَل ذلك على التَّمثيل لا على التعيين، فقال أبو الدَّرداء: حُزن أهوالِ يوم القيامة، وما يُصيب هنالك مَن ظلَم نفسَه من الغَمِّ والحُزْن.

وقال ابن عباس: حُزْنُ جهنّم. وقال عطيَّة والضحاك: حُزنُ الموت، يقولونها إذا ذُبحَ الموت[٢].

وقال شِمْر: حُزْن مَعيشةِ[٣] الدُّنيا الخبز ونحوه.

وقال قتادة: حُزن الدنيا في الخوف أن لا يتقبَّل أعمالَهم.

وقال مُقاتل: حُزن الانتقال، يقولونها إذا استقرُّوا فيها. وقال الكلبي: خَوْف السُّلطان[٤].

وقال ابن زيد: حُزن تظالُمِ الآخرة، والوقوفِ عن قَبولِ الطاعات وردِّها، وطُولِ المُكْثِ على الصِّراط.

وقال القاسم بن محمد: حُزن زَوالِ النِّعَم[٥]، وتَقَلُّب القلب، وخوفِ العاقبة.

---

(١) مختصر في الشواذ ١٢٤.
(٢) من قوله: وقال ابن عباس... إلى هنا، ليس في المطبوع.
(٣) في (أ ز٢) والمطبوع: وقال سمرة بن جندب معيشة، ومثله في روح المعاني ٢٢/ ٢٣٨، وفي (د٣ يه): وقال سمرة: حزن معيشة، وكل ذلك تحريف، والمثبت من المصادر، وشمر هو ابن عطية، أخرج قوله هذا الحسين المروزي في زياداته على الزهد (١٥٧٠) لابن المبارك، والطبري في تفسيره ١٩/ ٣٧٨، والثعلبي في الكشف والبيان ٥/ ١٨١، وذكره النحاس في إعراب القرآن ٣/ ٣٧٣، وابن عطية في المحرر الوجيز ٤/ ٤٤٠ (وتحرف في مطبوعه إلى شهر)، وابن الجوزي في زاد المسير ٦/ ٤٩٢.
(٤) في النسخ والمطبوع خلا (د٣): الشيطان، والمثبت منها، وهو موافق لما في المصادر.
(٥) في النسخ والمطبوع خلا (د٣ يه): الغم، وهو تحريف، والمثبت منهما.

وقد أكثروا حتى قال بعضهم: كِراء الدَّار، ومعناه أنه يَعُمُّ كُلَّ حُزْنٍ من أحزان الدّين والدُّنيا حتى هذا[١].

«إن ربَّنا لَغَفور شَكور» لَغَفور؛ فيه إشارةٌ إلى دخول الظَّالم لنفسِه الجنَّة، وشَكور؛ فيه إشارة إلى السَّابق وأنه كثيرُ الحَسَنات.

و«المُقامَة» هي الإقامة، أي: الجنَّة؛ لأنها دارُ إقامةٍ دائماً لا يُرْحَل عنها «من فَضْله» من عَطائه «لا يَمَسُّنا فيها نَصَبٌ» أي: تَعَبُ بَدَنٍ «ولا يَمَسُّنا فيها لُغوب» أي: تَعَبُ نَفْس، وهو لازمٌ عن تَعَبِ البَدَن. وقال قتادة: اللُّغوب: الوَجَع[٢].

وقال الزمخشري: النَّصَب: التَّعَب والمَشَقَّة التي تُصيب المُنتَصِبَ للأمر المُزاوِل له، وأما اللُّغوب فما يَلْحَقُه من الفُتور بسبب النَّصَب، فالنَّصَبُ نفْسُ المَشَقَّة والكُلْفَة، واللُّغوب نتيجتُه وما يَحدثُ منه من الكَلال والفَترة. انتهى[٣].

فإن قلت: إذا انْتَفى السَّبب انتَفى مُسَبَّبه، فما حِكمةُ نَفْي السَّبب ثم انتفاء مُسَبَّبه[٤] وأنت تقول: ما شَبِعتُ ولا أكلْتُ، ولا يَحْسن: ما أكلتُ ولا شَبِعتُ؛ لأنه يَلْزم من انْتِفاءِ الأكل انتفاءُ الشِّبَع، ولا ينعكس، فلو جاء على هذا الأسلوب لكان التّركيب: لا يَمَسُّنا فيها إعياءٌ ولا مَشَقَّة؟ فالجواب: أنه تعالى بَيَّن مُخالَفَةَ الجنَّة لدار الدُّنيا؛ فإن أماكنَها على قسمين: مَوضع تَمسُّ فيه المشاقُّ والمَتاعب كالبَراري والصَّحارى، وموضع تَمَسُّ فيه الإعياء كالبيوت والمنازل التي فيها الأسفار[٥]، فقال: «لا يَمَسُّنا فيها نَصَبٌ» لأنها ليست مَظانَّ المتاعِب كدار الدّنيا «ولا يَمَسُّنا

(١) انظر الأقوال في تفسير الطبري ١٩/ ٣٧٧-٣٧٩، والثعلبي ٥/ ١٨٠-١٨١، والماوردي ٥/ ٤٧٥، وإعراب القرآن ٣/ ٣٧٣، والكشاف ٣/ ٣١٠، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٤٠، وزاد المسير ٦/ ٤٩١-٤٩٢.

(٢) في (أ ت ز٢) والمطبوع: الوضع، وهو تحريف، والمثبت من (د٣ يه)، وقول قتادة في تفسير الطبري ١٩/ ٣٨١، والماوردي ٤/ ٤٧٥، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٤٠.

(٣) الكشاف ٣/ ٣١٠.

(٤) في المطبوع: فما حكمه إذا نفى السبب وانتفى مسببه، وفي (ت): فما حكمه... مع انتفاء مسببه، والمثبت من سائر النسخ.

(٥) في المطبوع: الصغار، وهو تحريف.

فيها لُغوب» أي: ولا نَخْرج منها إلى مواضع تَعَبٍ[١] ونَرجع إليها فيَمَسُّنا فيها الإعياء[٢].

وقرأ الجمهور: «لُغوب» بضمّ اللام، وعليٌّ بن أبي طالب والسُّلَمي بفتحها[٣].

قال الفراء: هو ما يُلْغَب به، كالفَطور والسَّحور[٤].

وجاز أن يكون صفةً للمَصْدر المحذوف كأنه: لُغوبٌ لَغوب؛ كقولهم: مَوتٌ مائت.

وقال صاحبُ «اللّوامح»: يجوز أن يكون مصدراً كالقَبول، وإنْ شئتَ جعلتَه صفةً لمُضْمَر، أي: أمرٌ لَغوب[٥].

واللَّغوب أيضاً في غير هذا الأحمق، قال أعرابي: إن فُلاناً لَغوب، جاءتْه كتابي فاحْتَقَرها ـ أي: أحمق ـ فقيل له: لمَ أنَّثتَه؟ فقال: أليس صَحيفة[٦].

❃ ❃ ❃

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَاۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُۖ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ عَٰلِمُ غَيْبِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٣٨﴾ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِۚ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ

(١) في المطبوع: موضع نصب.
(٢) التفسير الكبير للرازي ٢٦/ ٢٨. قال السمين في الدر المصون ٩/ ٢٣٤: وهذا الجواب ليس بذاك. . .
(٣) معاني القرآن للفراء ٢/ ٣٧٠، وإعراب القرآن ٣/ ٣٧٤، ومختصر في الشواذ ١٢٤، والمحتسب ٢/ ٢٠٠، وتفسير الثعلبي ٥/ ١٨١، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٤٠.
(٤) معاني القرآن للفراء ٢/ ٣٧٠.
(٥) نقله الآلوسي ٢٢/ ٢٤٠.
(٦) انظر جمهرة اللغة ٣٧٠، والصحاح (لغب)، والخصائص ١/ ٢٤٩ و٢/ ٤١٦، وسر صناعة الإعراب ١/ ١٢، ومجمل اللغة ٨١٠، ومقاييس اللغة ٥/ ٢٥٦، والإنصاف لابن الأنباري ص٦١٧.

إِلَّا مَقْتًا وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴿٣٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴿٤٠﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾﴾.

لمَّا ذَكر حالَ المؤمنين ومَقرَّهم ذَكر حالَ الكافرين، وهذا يدلُّ على أن أولئك الثلاثة هم في الجنة. أو الذين كفروا هم مُقابلوهم.

«لا يُقضى عليهم» أي: لا يُجْهَز عليهم فيموتوا؛ لأنهم لو ماتوا لبَطَلت حَواسُّهم فاستراحوا.

وقرأ الجمهور: «فيموتوا» بحذف النون منصوباً في جواب النفي، وهو على أحد مَعْنَيَي النَّصب، فالمعنى: انتفى القضاءُ عليهم فانتفى مُسَبَّبه، أي: لا يُقضى عليهم ولا يموتون، كقولك: ما تأتينا فتُحَدِّثَنا، أي: ما يكون منك إتيانٌ فكيف يكون حديثٌ، انتفى الإتيانُ فانتفى الحديث، ولا يصحُّ أن يكون على المعنى الثاني من مَعْنَيَي النَّصب لأن المعنى: ما تأتينا مُحَدِّثاً إنما تأتي ولا تُحدِّث، وليس المعنى هنا: لا يُقضى عليهم مَيّتين، إنما يُقضى عليهم ولا يموتون.

وقرأ عيسى والحسن: «فيموتون» بالنون[1]. وَجْهُها أن تكون مَعطوفة على «لا يُقْضى». قال ابن عطية: وهي قراءة ضعيفة. انتهى.

وقال أبو عثمان المازني: هو عطف، أي: فلا يموتون؛ كقوله: ﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾ [المرسلات: ٣٦] أي: فلا يعتذرون ولا يُخَفَّف عنهم من عذابها، ولا يُعارض هذا قوله: ﴿كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا﴾ [الإسراء: ٩٧] لأن المعنى: لا يُخفَّف عنهم نوعُ عذابهم، والنَّوعُ في نفسه يَدْخُله أنْ يَخْبو أو يُسْعَر. قاله ابن عطية[2].

وقرأ عبد الوارث عن أبي عمرو: «ولا يُخَفِّفْ» بإسكان الفاء[3]، شبَّه المُنْفَصل بالمُتَّصل، كقوله:

---

(١) إعراب القرآن ٣/ ٣٧٤، ومعاني القرآن ٥/ ٤٦٠ كلاهما للنحاس، والمحتسب ٢/ ٢٠١، وتفسير الثعلبي ٥/ ١٨٣، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٤٠، وتفسير القرطبي ١٧/ ٣٨٨.

(٢) القولان في المحرر الوجيز ٤/ ٤٤٠-٤٤١. ومن قوله: من عذابها... إلى هنا، ليس في المطبوع.

(٣) مختصر في الشواذ ١٢٤.

فـالـيـومَ أشْـرَبْ غـيـرَ مُـسْـتَـحْـقِـبٍ[١]

وقرأ الجمهور: «نَجْزي كلَّ» مبنيًّا للفاعل ونَصْب كلّ، وأبو عمرو وأبو حاتم عن نافع بالياء مبنيًّا للمفعول «كلُّ» بالرفع[٢].

«وهم يَصْطَرِخون» بُني من الصُّراخ يفتعل، وأُبدلت من التاء طاءً، وأصلُه: يصترخون، والصُّراخ شِدَّة الصِّياح، قال الشاعر:

كـصَـرْخَـةِ[٣] حُـبْـلى أسْـلَـمَـتْـهـا قَـبِـيـلُـهـا[٤]

واستُعمل في الاستغاثة لجُهْدِ[٥] المُسْتغيث صوتَه، وقال الشاعر:

وطُولُ اصطِراخِ المَرْءِ في بُعْدِ قَعْرِها وجُهدُ شَقيٍّ طالَ في النَّار ما عَوى

«ربَّنا أخْرِجْنا» أي: قائلين رَبَّنا أخرجنا «منها» أي: من النّار، ورُدَّنا إلى الدُّنيا «نَعْملْ صالحاً» قال ابن عباس: نَقُلْ: لا إله إلا الله[٦] «غيرَ الذي كنَّا نَعملْ» أي: من الشِّرك، ونَمْتَثل أمرَ الرُّسُل، فنؤمن بدلَ الكفر، ونُطيع بدلَ المعصية.

وقال الزمخشري: فإن قلت: هلَّا اكتفى بـ «صالحاً» كما اكتفى به في قوله: ﴿فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا﴾ [السجدة: ١٢]، وما فائدة زيادة «غير الذي كنا نعمل» على أنه يُوهم أنهم يَعملون صالحاً آخر غير الصَّالح الذي عملوه؟ قلت: فائدتُه زيادةُ التَّحَسُّر على ما عملوه من غير الصَّالح مع الاعتراف به، وأما الوَهْم فزائلٌ بظهور حالهم في الكُفر، وركوب المعاصي، ولأنهم كانوا يَحْسبون أنهم على سيرة صالحة

---

(١) تمامه: إثماً من الله ولا واغل، وهو لامرئ القيس، انظر ديوانه ٥٢٣ (بشرح السكري)، وسلف في تفسير الآية (٥٤) من سورة البقرة.

(٢) السبعة ٥٣٥، والتيسير ١٨٢، والنشر ٢/ ٣٥٢، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٤١.

(٣) في المطبوع: صرخت، وهو تحريف.

(٤) صدره: أصالحكم حتى تبوؤوا بمثلها، وهو للأعشى، انظر ديوانه ٢/ ١٧ (طبعة قطر)، وإصلاح المنطق ١٤٢، والكشاف ٣/ ٣١٠، ورواية الديوان: يسّرتها قبولها، بدل: أسلمتها قبيلها، وهو في معاتبة بني مرثد وبني جحدر، والقبيل والقبول جمع قابلة.

(٥) في المطبوع: لجهة.

(٦) تفسير القرطبي ١٧/ ٣٨٨، وما بعده منه.

كما قال الله: ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾[(١)] [الكهف: ١٠٤]، فقالوا: «أَخْرِجنا نَعملْ صالحاً غيرَ الذي كنّا» نَحْسبه صالحاً فنَعْمَله. انتهى[(٢)].

رُوي أنهم يُجابَون بعد مقدار الدُّنيا «أوَلم نُعَمِّرْكم»؟ وهو استفهامُ توبيخ وتوقيف وتقرير، و«ما» مصدرية ظرفية، أي: مُدَّة تَذَكُّر.

وقرأ الجمهور: «ما يَتَذَكَّر فيه مَن تَذَكَّر». وقرأ الأعمش: «ما يَذَّكَّر فيه مَن اذَّكَّر» بالإدغام واجتلاب همزة الوَصْل مَلْفوظاً بها في الدَّرْج[(٣)].

وهذه المدَّة قال الحسن: البلوغ، يُريد أنه أوَّلُ حال التَّذَكُّر، وقيل: سبع عشرة سنة.

وقال قتادة: ثمان عشرة سنة. وقال عمر بن عبد العزيز: عشرون.

وقال ابن عباس: أربعون، وقيل: خمسون. وقال عليّ: ستون، ورُوي ذلك عن ابن عباس[(٤)].

«وجاءكم» معطوف على «أولم نُعَمِّرْكم» لأن معناه: قد عَمَّرناكم، كقوله: ﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا﴾ [الشعراء: ١٨] وقوله: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ [الشرح: ١]، ثم قال: ﴿وَلَبِثْتَ فِينَا﴾ وقال: ﴿وَوَضَعْنَا﴾ لأن المعنى: قد رَبَّيناك وشَرَحْنا.

و«النَّذير» جِنْسٌ وهم الأنبياء، كلُّ نبيٍّ نذيرُ أُمَّتِه، وقُرئ: «النُّذُر» جمعاً[(٥)].

وقيل: النَّذير: الشَّيب، قاله ابن عباس وعكرمة وسفيان ووكيع والحُسين بن الفَضْل والفَرَّاء والطَّبري[(٦)].

---

(١) من قوله: يحسبون... إلى هنا، ليس في المطبوع.

(٢) الكشاف ٣/ ٣١٠.

(٣) مختصر في الشواذ ١٢٤ (وفيه تصحيف)، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٤١.

(٤) انظر الأقوال في تفسير الطبري ١٩/ ٣٨٤-٣٨٦، وإعراب القرآن ٣/ ٣٧٥، ومعاني القرآن ٥/ ٤٦٠ للنحاس، وتفسير الثعلبي ٥/ ١٨٣، والماوردي ٤/ ٤٧٦، والقرطبي ١٧/ ٣٨٨-٣٩٠، والكشاف ٣/ ٣١١، والمحرر الوجيز ٤/ ٤١١، وزاد المسير ٦/ ٤٩٤.

(٥) في الكشاف ٣/ ٣١١، وتفسير القرطبي ١٧/ ٣٩٠: وقرئ: وجاءتكم النذر.

(٦) ذكر هذا القول الفراء ٢/ ٣٧٠، والطبري ١٩/ ٣٨٧ أحد قولين، ولم يجزما به، وذكر الماوردي ـ وعنه القرطبي ـ أنه اختيارهما، انظر التعليق التالي.

وقيل: موتُ الأهل والأقارب. وقيل: كمالُ العَقْل[(١)].

«فذوقوا» أي: عَذابَ جَهنّم.

وقرأ جَناحُ بن حُبَيْش: «عالمٌ» مُنَوَّناً «غَيْبَ» نَصْباً[(٢)]، والجمهور على الإضافة.

ومَجيءُ هذه الجملة عَقيب ما قبلها هو أنه تعالى ذكر أن الكافرَ يُعَذَّب دائماً، ومُدَّة كُفره كانت مُدَّةً يسيرة مُنْقَطعة، فأخبر تعالى أنه عالمُ غيبِ السَّماوات والأرض، فلا يَخفى عليه ما تَنْطوي عليه الصُّدور من المُضْمَرات، وكان يَعلم من الكافر أنه تمكّن الكُفر في قلبه بحيث لو دام إلى الأبد ما آمن بالله ولا عَبَده.

و«خَلائف» جمع خَليفة، وخُلَفاء جمع خَليف، ويقال للمُسْتَخْلَف: خَليفة وخَليف، وفي هذا تنبيه على أنه تعالى استخلفَهم بدلَ مَن كان قبلَهم، فلم يَتَّعِظوا بحالِ مَن تقدَّمهم من مُكَذّبي الرُّسُل وما حلَّ بهم من الهلاك، ولا اعتَبروا.

«فمن[(٣)] كفر» ولم يَتَّعِظ[(٤)] بمَن تقدَّم «فعليه كُفره» أي: عقابُ كفرِه، والظَّاهر أنّه خطابٌ عام، وقيل: لأهل مكة.

والمَقْتُ: أشَدُّ الاحتقار والبُغضِ والغَضب. والخَسار: خَسارُ العُمر. كان العمرُ رأسَ مال، فإذا انْقَضى في غير طاعةِ الله فقد خَسِره واستعاض به بدلَ الرِّبح بما يَفْعل من الطَّاعات سَخَطَ الله وغَضَبَه، بحيث صاروا إلى النَّار.

«قل أرأيتُم شُركاءكم» قال الحَوْفي: ألفُ الاستفهام دخلت[(٥)] للتَّقرير.

وفي «التحرير»: «أرأيتم» المُراد منه: أخبروني؛ لأن الاستفهامَ يَسْتدعي ذلك، يقول القائل: أرأيتَ ماذا فعل زيد؟ فيقول السامع: باع أو اشترى، ولولا تضمُّنُه معنى أخْبِروني لكان الجواب: نعم أوْ لا.

---

(١) في المطبوع: السفل (تحريف)، وانظر الأقوال في تفسير الثعلبي ٥/ ١٨٤، والماوردي ٤/ ٤٧٦، والقرطبي ١٧/ ٣٩٠-٣٩١، ومعاني القرآن للنحاس ٥/ ٤٦١-٤٦٢، وزاد المسير ٦/ ٤٩٤-٤٩٥.
(٢) مختصر في الشواذ ١٢٤.
(٣) في (أ ز٢) والمطبوع: بمن، والمثبت من (ت د٣ يه).
(٤) في المطبوع: يتعظوا.
(٥) في النسخ والمطبوع خلا (يه): ذلك، والمثبت منها.

وقال ابن عطية: «أرأيتُم» يَتَنَزَّل عند سيبويه منزلةَ أخْبِروني؛ ولذلك لا يحتاج إلى مفعولين[١].

وقال الزمخشري: «أروني» بدلٌ من «أرأيتم» لأن معنى أرأيتُم: أخبروني، كأنه قال: أخبروني عن هؤلاء الشُّركاء وعمَّا استحقُّوا به الإلهيّة والشِّرْكة، أروني أيَّ جُزءٍ من أجزاء الأرض استبدُّوا بخلقه دون الله، أم لهم مع الله شِرْكةٌ في خلق السَّماوات، أم معهم كتابٌ من عند الله يَنْطقُ بأنهم شُركاؤه؛ فهم على حُجَّةٍ وبُرْهانٍ من ذلك الكتاب؟

أو يكون الضَّمير في «آتيناهم» للمشركين كقوله: ﴿أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا﴾ [الروم: ٣٥] ﴿أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا مِّن قَبْلِهِۦ﴾ [الزخرف: ٢١] «بلْ إنْ يَعِدُ الظّالمون بعضُهم» وهم الرؤساء «بعضاً» وهم الأتباع «إلا غُرورا» وهو قولهم: هؤلاء شُفعاؤنا عند الله[٢]. انتهى.

أمَّا قوله: «أروني» بدل من «أرأيتم» فلا يصحُّ؛ لأنه إذا أُبدِل مما دخل عليه الاستفهام فلا بُدَّ من دخول الأداة على البدَل، وأيضاً فإبْدالُ الجملة من الجملة لم يُعْهَد في لسانهم، ثم البدَلُ على نيَّة تكرار العامل، ولا يتأتَّى ذلك هنا؛ لأنه لا عامل في «أرأيتم» فيُتَخَيَّل[٣] دخولُه على «أروني»، وقد تكلَّمنا في «الأنعام» [الآية: ٤٠] على «أرأيتم» كلاماً شافياً.

والذي أذهبُ إليه هنا أن «أرأيتم» بمعنى أخبروني، وهي تطلب مفعولَين؛ أحدهما منصوب، والآخر مُشتَمل على استفهام، كقول العرب: أرأيتَ زيداً ما صَنع؟ فالأول هنا هو «شُركاءكم» والثاني «ماذا خلقوا»، و«أروني» جملةٌ اعتراضية فيها تأكيدٌ للكلام وتَسْديد، ويحتمل أن يكون ذلك أيضاً من باب الإعمال؛ لأنه توارَدَ على «ماذا خلقوا»: «أرأيتم، وأروني» لأن «أروني» قد تُعلَّق عن مفعولها الثاني؛ كما عُلّقت رأى التي لم تدخل عليها همزة النّقل عن مفعولها[٤]

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٤٤٢، وانظر الكتاب ١/ ٢٣٩-٢٤٠.
(٢) الكشاف ٣/ ٣١١-٣١٢.
(٣) في (د٣ يه): فيتحمل.
(٤) من قوله: الثاني... إلى هنا، ليس في المطبوع.

في قولهم: أما تَرى أيُّ بَرْقٍ هاهنا؟ ويكون قد أعمل الثاني على المختار عند البصريين(١).

وقيل: يحتمل أن تكون «أرأيتم» استفهاماً حقيقياً، و«أروني» أمرُ تَعْجيزٍ للتَّبيين، أي: أعلمتم هذه التي تدعونها كما هي وعلى ما هي عليه من العَجْز، أو تتوَهَّمون فيها قُدرة؟ فإن كنتم تعلمونها عاجزةً فكيف تعبدونها؟! أو توهَّمتم لها قُدرة فأروني قُدرتَها في أي شيءٍ هي؟ أهي في الأرض؛ كما قال بعضهم: إن الله إله في السماء، وهؤلاء آلهةٌ في الأرض، قالوا: وفيها من الكواكب والأصنام صُوَرُها؟ أم هي في السماوات؛ كما قال بعضهم: إن السماء خُلقت باستعانة الملائكة، فالملائكةُ شركاء في خلقها، وهذه الأصنام صُورُها؟ أم قُدرتُها في الشفاعة لكم؛ كما قال بعضهم: إن الملائكة ما خَلقوا شيئاً ولكنهم مُقَرَّبون عند الله فنعبدها لتشفعَ لنا، فهل معهم من الله كتابٌ فيه إذْنُه لهم بالشَّفاعة؟ انتهى(٢).

وأضاف الشُّركاء إليهم من حيث هم جعلوهم شُركاء لله، أي: ليس للأصنام شِرْكةٌ بوجهٍ إلا بقولهم وجَعْلهم.

قيل: ويحتمل شُركاءكم في النار؛ لقوله: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء: ٩٨].

والظاهر أن الضمير في «آتيناهم» عائد على الشّركاء لتناسُب الضَّمائر، أي: هل مع ما جُعل شريكاً لله كتابٌ من الله فيه أن له شَفاعةً عنده؟ فإنه لا يُشفَع عنده إلا بإذنه.

وقيل: عائد على المُشركين، ويكون التفاتاً خرج من ضمير الخِطاب إلى ضمير الغَيْبة إعراضاً عنهم، وتنزيلاً لهم منزلةَ الغائب الذي لا يَصْلُح(٣) للخطاب، ومعناه أن عبادةَ هؤلاء إمَّا بالعَقل، ولا عقلَ لمَن يعبد ما لا يَخلُق من الأرض جزءاً من

---

(١) ردّ هذا الكلام السمين في الدر المصون ٩/ ٢٣٨، والآلوسي في روح المعاني ٢٢/ ٢٤٨ قال: وما ذكره احتمال في الآية الكريمة، وما قاله في رده ليس بشيء، أما الأول... وانظر تتمته.

(٢) ملخصاً من تفسير الرازي ٢٦/ ٣٢، وما بعده منه أيضاً.

(٣) في النسخ والمطبوع: يحصل، والمثبت من هامش (ز٢).

الأجزاء، ولا له شِرك في السَّماء، وإمَّا بالنَّقل، ولم نؤتِ المشركين كتاباً فيه أمرٌ بعبادة هؤلاء، فهذه عبادةٌ لا عقليَّةٌ ولا نَقْليّة. انتهى.

وقرأ ابن وَثَّاب والأعمش وحمزة وأبو عمرو وابن كثير وحفص وأبان عن عاصم: «على بَيِّنة» بالإفراد، وباقي السَّبعة بالجمع[١].

ولمّا بَيَّن تعالى فَسادَ أمرِ الأصنام، ووَقَف على الحُجَّةِ على بُطلانها عَقَّب بذِكْر عَظمته وقُدرته؛ ليَتَبيَّن الشيءُ بضدِّه، وتتأكَّد حَقارةُ الأصنام بذكرِ عَظَمة الله فقال: «إن الله يُمسك السَّماوات والأرضَ أنْ تَزولا» والظّاهر أن معناه: أنْ تنتقلا عن أماكِنهما، وتَسقُط السَّماوات عن عُلوِّها.

وقيل: معناه: أن تزولا عن الدَّوران[٢]. انتهى.

ولا يَصحُّ لأن الأرضَ لا تدور، ويَظْهر من قول ابن مسعود أن السماءَ لا تدور؛ وإنما تجري فيها الكواكب، وقال: كفى بها زَوالاً أنْ تدور، ولو دارت لكانت قد زالت[٣].

و«أنْ تزولا» في موضع المفعول له، وقُدِّر: لئلّا تزولا، وكراهةَ أنْ تزولا.

وقال الزجاج: «يُمْسِك» يَمنع من أنْ تزولا[٤]. فيكون مفعولاً ثانياً على إسقاط حرف الجر.

ويجوز أنْ يكون بدلاً، أي: يمنع زوالَ السَّماوات والأرض؛ بدلَ اشتمال.

«ولئِنْ زالتا» إنْ تَدخل غالباً على المُمْكن، فإن قَدَّرْنا دخولَها هنا على الممكن فيكون ذلك باعتبار يوم القيامة عند طَيِّ السماء ونَسْف الجبال؛ فإن ذلك مُمكن ثم واقعٌ بالخَبَر الصِّدْق، أي: ولئن جاءت وقتُ زوالِهما.

---

(١) السبعة ٥٣٥، والتيسير ١٨٢، والنشر ٢/ ٣٥٢، وإعراب القرآن للنحاس ٣/ ٣٧٦، وتفسير الثعلبي ٥/ ١٨٤، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٤٢، وزاد المسير ٦/ ٤٩٦، وتفسير القرطبي ١٧/ ٣٩٣.

(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٤٤٢.

(٣) سيرد تخريج قول ابن مسعود قريباً، وفي هذا الكلام نظر، سبقت الإشارة إليه.

(٤) معاني القرآن ٤/ ٢٧٣.

ويجوز أن يكون ذلك على سبيل الفَرْض، أي: ولئنْ فَرَضْنا زوالَهما، فيكون مثل لو في المعنى، وقد قرأ ابن أبي عَبْلة: «ولو زالتا»[١].

و«إنْ» نافية، و«أمْسَكَهُما» في معنى المضارع جوابٌ للقَسم المُقدَّر قبل لام التَّوطئة في «لئن»، وإنما هو في معنى المضارع لدخول إنْ الشَّرطية؛ كقوله: ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ﴾ [البقرة: ١٤٥] أي: ما يَتَّبعون، وكقوله: ﴿وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا﴾ [الروم: ٥١]. أي: ليَظَلُّن، فيُقدَّر هذا كلُّه مُضارعاً لأجل إنْ الشَّرطية.

وجواب «إنْ» في هذه المواضع وما أشْبَهَها محذوفٌ لدلالة جواب القَسَم عليه؛ ولذلك جاء فعلُ الشَّرط بصيغة الماضي.

وقال الزمخشري: و«إنْ أمسَكهما» جوابُ القسم في «ولئنْ زالتا» سدَّ مَسدَّ الجوابَيْن[٢]. انتهى.

يعني أنه دلَّ على الجواب المحذوف، وإنْ أُخذ كلامُه على ظاهره لم يصحَّ؛ لأنه لو سدَّ مَسَدَّهما لكان له موضعٌ من الإعراب باعتبار جوابِ الشَّرط، ولا مَوْضعَ له من الإعراب باعتبارِ جَواب القسَم، والشيء الواحدُ لا يكون معمولاً غيرَ معمول.

و«من» في «من أحدٍ» لتأكيد الاستغراق، و«من» في «من بعده» لابتداء الغاية، أي: من بعد ترك إمْساكِه.

وسأل ابنُ عباس رجلاً أقبلَ من الشام: مَن لقيتَ؟ قال: كعباً، قال: وما سمعتَه يقول؟ قال: سمعتُه يقول: إن السَّماوات على مَنْكِب مَلَك، قال: كذبَ كعب، أما ترك يهوديَّتَه بعد؟ ثم قرأ هذه الآية[٣].

وقال ابن مسعود لجُندب البَجَلي وكان رَحَل إلى كعب الأحْبار في كلامٍ آخره:

---

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٤٤٣ وما قبله منه.

(٢) الكشاف ٣/ ٣١٢.

(٣) ذكره الزمخشري ٣/ ٣١٢، والقرطبي ١٧/ ٣٩٥. قال الحافظ ابن حجر في تخريج أحاديث الكشاف ١٣٩: لم أجده.

ما تمَكَّنَت اليهوديَّةُ في قلبٍ فكادت أنْ تُفارقَه[١].

وقالت فرقةٌ: اتِّصافُه بالحِلْم والغُفران في هذه الآية إنما هو إشارةٌ إلى أن السماء كادت تزول والأرضُ كذلك لإشراك الكَفَرة، فيُمسِكُهما حِلْماً منه عن المشركين وتربُّصاً ليَغْفِرَ لمَن آمن منهم، كما قال في آيةٍ أُخرى: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ﴾ الآية[٢] [مريم: ٩٠].

وقال الزمخشري: «حليماً غفوراً» غيرَ مُعاجِلٍ بالعقوبة حيثُ يُمسكهما، وكانتا جديرتَيْن بأنْ تُهَدَّا هَدًّا لعِظَمِ كلمةِ الشِّرك، كما قال: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ﴾ الآية[٣] [مريم: ٩٠].

❁ ❁ ❁

﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾ ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ ۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ۚ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا ﴿٤٥﴾﴾.

الضّمير في «وأقْسَموا» لقُريش، ولمّا بَيَّن إنكارَهم للتَّوحيد بَيَّن تكذيبَهم للرُّسُل.

قيل: وكانوا يَلْعنون اليهودَ والنَّصارى حيث كَذَّبوا رُسلَهم، وقالوا: لئن أتانا رسولٌ لنَكونَنَّ أهدى من إحدى الأُمم، فلما بُعث رسول الله ﷺ كَذَّبوه[٤].

(١) أخرجه الطبري ١٩/ ٣٩١، ٣٩٢، وذكره الثعلبي ٥/ ١٨٤، وابن عطية ٤/ ٤٤٢، والقرطبي ١٧/ ٣٩٥.
(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٤٤٣.
(٣) الكشاف ٣/ ٣١٢.
(٤) معاني القرآن للزجاج ٤/ ٢٧٤، وتفسير الثعلبي ٥/ ١٨٤، والماوردي ٤/ ٤٧٨، والقرطبي ١٧/ ٣٩٦، والكشاف ٣/ ٣١٢، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٤٣، وزاد المسير ٦/ ٤٩٧.

«لئِنْ جاءهم» حكايةٌ لمعنى كلامهم لا للفظِهم، إذْ لو كان للَّفظ لكان التركيب: لئن جاءنا نذيرٌ.

«من إحدى الأُمم» أي: من واحدةٍ مُهتَدية من الأُمم. أو من الأمة التي يقال فيها: إحدى الأُمَم تفضيلاً لها على غيرها[(١)]؛ كما قالوا: هو أَحَد الأحَديْن، وهي[(٢)] إحدى الإحَد، يريدون التَّفضيلَ في الدَّهاء والعَقْل بحيث لا نَظيرَ له، وقال الشاعر:

حتى اسْتَثاروا بيَ إحدى الإحَدِ لَيْثاً هِزَبْراً ذا سِلاحٍ مُعْتَدِ[(٣)]

«فلمّا جاءهم نَذيرٌ» وهو محمد ﷺ. قاله ابن عباس، وهو الظاهر. وقال مقاتل: هو انشِقاقُ القمر[(٤)].

«ما زادَهم» أي: ما زادهم هو، أو مَجيئه. «إلا نُفورا» بُعداً من الحقِّ وهَرَباً منه. وإسناد الزيادة إليه مَجازٌ؛ لأنه هو السَّبب في أن زادوا أنفُسَهم نُفوراً؛ كقوله: ﴿فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ﴾ [التوبة: ١٢٥][(٥)] وصاروا أضلَّ مما كانوا.

وجواب «لمّا»: «ما زادهم» وفيه دليلٌ واضحٌ[(٦)] على حَرْفيَّة لمّا لا ظَرْفيَّتها؛ إذْ لو كانت ظَرْفاً لم يَجُزْ أنْ يتقدَّم على عاملها المنفيِّ بما، وقد ذكرنا ذلك في قوله: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ﴾ [سبأ: ١٤]، وفي قوله: ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِي عَنْهُم﴾ [يوسف: ٦٨].

---

(١) الكشاف ٣/ ٣١٢.

(٢) في النسخ والمطبوع خلا (د٣ يه): وهو، والمثبت منهما وهو الصحيح، انظر خزانة الأدب ٧/ ٣٤٨، وروح المعاني ٢٢/ ٢٥٢.

(٣) في المطبوع:

حتى استشاروا في إحد الإحد شاهد يرادا سلاح معد

وهذا تحريف، والرجز للمرّار بن سعيد كما في الأغاني ١٠/ ٣١٧، وخزانة الأدب ٧/ ٣٥١-٣٥٢، وبلا نسبة في شرح التسهيل ٢/ ٤٠٥ (طبعة هجر).

واستثاروا: هيّجوا، وليثاً هزبراً: تفسير وعطف بيان لإحدى الإحد، وذا سلاح معتد: صفة لليث. قاله البغدادي.

(٤) ذكرهما الآلوسي ٢٢/ ٢٥٣.

(٥) الكشاف ٣/ ٣١٢.

(٦) في (ز٢): زادوهم... ظاهر.

والظاهر أن «استكباراً» مفعولٌ من أجله، أي: سَبَبُ النُّفور وهو الاستكبار «ومَكْرَ السَّيِّئ» معطوف على «استكباراً» فهو مفعول من أجله أيضاً، أي: الحاملُ لهم على الابتعاد من الحقّ هو الاستكبارُ والمكرُ السَّيِّئ، وهو الخِداعُ الذي يَرومونه برسول الله ﷺ والكَيْدُ له. وقال قتادة: المكرُ السَّيِّئ: هو الشِّرْك[١].

وقيل: «استكباراً» بدلٌ من «نفورا» وقاله الأخفش[٢].

وقيل: حال، يعني: مُسْتَكْبِرين وماكرين برسول الله ﷺ والمؤمنين، و«مَكْرَ السَّيِّء» من إضافة الموصوف إلى صفته؛ ولذلك جاء على الأصل «ولا يَحيقُ المَكْرُ السَّيِّئُ».

وقيل: يجوز أن يكون «ومكرَ السَّيِّئ» معطوفاً على «نُفورا»[٣].

وقرأ الجمهور: «ومَكْرَ السَّيِّئِ» بكسر الهمزة. والأعمش وحمزة بإسكانها[٤]؛ فإمَّا إجراءً للوَصْل مَجرى الوَقْف، وإمَّا إسكاناً لتوالي الحركات، وإجراءً للمُنْفَصل مجرى المتَّصل، كقوله: لنا إبْلان.

وزعم الزجَّاج[٥] أن هذه القراءة لحن. قال أبو جعفر[٦]: وإنما صار لَحْناً لأنه حَذفَ الإعرابَ منه.

وزعم محمد بن يزيد[٧] أن هذا لا يجوز في كلامٍ ولا شِعر؛ لأن حركات الإعراب دخلتْ للفرق بين المعاني.

---

(١) أخرجه الطبري ١٩/ ٣٩٣.
(٢) ونقله عنه الثعلبي في الكشف والبيان ٥/ ١٨، وابن الجوزي في زاد المسير ٦/ ٤٩٧.
(٣) الكشاف ٣/ ٣١٢، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٤٣.
(٤) السبعة ٥٣٥-٥٣٦، والتيسير ١٨٢-١٨٣، والنشر ٢/ ٣٥٢، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٤٣، وذكرها المفسرون جميعاً.
(٥) في معاني القرآن له ٤/ ٢٧٥، ونقله عنه المفسرون.
(٦) النحاس، وكلامه الآتي في إعراب القرآن ٣/ ٣٧٧، ونقله عنه ابن الجوزي ٦/ ٤٩٨، والقرطبي ١٧/ ٣٩٦.
(٧) هو المبرد، ونقل كلامه النحاس.

وقد أعظَمَ بعضُ النحويّين أن يكون الأعمش يقرأ[١] بهذا، وقال: إنما كان يقف عليه، فغَلِطَ مَن أدَّى عنه[٢]، والدَّليل على هذا أنه تمامُ الكلام، وأن الثاني لما لم يكن تمامَ الكلام أعرَبَه، والحركةُ في الثاني أثقلُ منها في الأوَّل؛ لأنها ضمَّةٌ بين كسرتَيْن.

وقال الزجاج أيضاً[٣]: قراءةُ حمزة: «ومَكْرَ السَّيِّئ» موقوفاً عند الحُذَّاقِ بالنّحو[٤] لَحْنٌ لا يجوز، وإنما يجوز في الشّعر للاضطرار.

وأكثر أبو علي في «الحُجَّة»[٥] من الاستشهاد والاحتجاج للإسكان من أجل توالي الحركات والاضطرار، والوَصْل بنيَّةِ الوقف، قال: فإذا ساغَ ما ذكرناه في هذه القراءة من التَّأويل لم يَسُغ أن يُقال لَحْن[٦].

وقال ابن القُشيري: ما ثَبت بالاستفاضة أو التواتر أنه قُرِئ به فلا بدَّ من جوازه، ولا يجوز أن يُقال: لَحْن[٧].

وقال الزمخشري: لعلَّه اختَلَس فظُنَّ سُكوناً، أو وقف وقفةً خفيفةً ثم ابتدأ: «ولا يَحيقُ»[٨].

ورُوي عن ابن كثير: «ومَكْرَ السَّأْي»[٩] بهمزة ساكنة بعد السّين وياء بعدها مكسورة، وهو مقلوب السَّيْءِ المُخفَّف من السَّيِّئ، كما قال الشاعر:

---

(١) في (ت): قرأ، وهما سواء.

(٢) في المطبوع: إنما كان يقف على من أدى عنه(؟!).

(٣) هذا هو قول الزجاج نفسه، وليس له في ذلك قولان، وإنما نقل المصنف معناه عن النحاس، ونقل هنا لفظه وحروفه عن ابن الجوزي (والله أعلم)، وهو في معاني القرآن له ٤/ ٢٧٥.

(٤) في المطبوع: بياءين (؟!).

(٥) ٦/ ٣١-٣٣.

(٦) الحجة ٦/ ٣٣.

(٧) نقله القرطبي ١٧/ ٣٩٨ عن ابن القشيري.

(٨) الكشاف ٣/ ٣١٢.

(٩) مختصر في الشواذ ١٢٤.

ولا يَجْزُون من حَسَنٍ بسَيْءٍ ولا يَجْزون من غِلَظٍ بلِيْنِ[١]

وقرأ ابن مسعود: «ومَكْراً سَيِّئاً» عطف نكرةٍ على نكرة[٢].

«ولا يَحيق» أي: يُحيط ويَحِلُّ، ولا يستعمل إلا في المكروه.

وقرئ: «يُحيقُ» بضمِّ الياء «المَكْرَ السَّيِّئَ» بالنَّصْب[٣] أي: ولا يُحيق الله إلا بأهله، إمّا في الدنيا، وإمّا في الآخرة، فإنْ حاق بغير أهله في الدُّنيا[٤] فعاقِبةُ ذلك على أهله.

وقال أبو عبد الله الرازي: فإن قلت: كثيراً نَرى الماكر يُفيده مَكرُه، ويَغلبُ خَصْمَه بالمَكْر، والآيةُ تدلُّ على عدم ذلك؟! فالجواب من وجوه؛

أحدها: أن المَكْرَ في الآية هو المكرُ بالرسول؛ من العَزْم على القتل والإخراج، ولم يَحِقْ إلا بهم حيث قُتلوا ببَدْر.

وثانيها: أنه عام وهو الأصحّ، فإنه عليه السَّلام نهى عن المَكْر وقال: «لا تَمْكُروا ولا تُعينوا ماكراً فإنه تعالى يقول: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾»[٥]، فعلى هذا يكون ذلك المَمْكورُ به أهلاً، فلا يرد نقضاً.

وثالثها: أن الأمور بعَواقبها، ومَن مَكَر به غيره، ونَفَذ فيه المكرُ عاجلاً في الظَّاهر، ففي الحقيقة هو الفائز، والماكر هو الهالك. انتهى[٦].

وقال كعب لابن عباس: في التوراة: مَن حَفَر حُفرةً لأخيه وَقعَ فيها. فقال له

(١) البيت لأبي الغول الطهوي، وهو في الحماسة ١/ ٤٠ (بشرح المرزوقي)، وأمالي القالي ١/ ٢٦٠، وخزانة الأدب ٨/ ٣١٤.
(٢) معاني القرآن للفراء ٢/ ٣٧١، وتفسير الطبري ١٩/ ٣٩٣، والمحتسب ٢/ ٢٠٢، والكشاف ٣/ ٣١٢، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٤٣، وتفسير القرطبي ١٧/ ٣٩٨.
(٣) الكشاف ٣/ ٣١٢.
(٤) من قوله: وإما في الآخرة... إلى هنا، ليس في المطبوع.
(٥) أخرجه ابن المبارك في الزهد (٧٢٥) ـ ومن طريقه الثعلبي ٥/ ١٨٥ ـ عن يونس بن يزيد، عن الزهري قال: بلغنا أن رسول الله ﷺ قال:.... وهذا مرسل. وذكره الزمخشري ٣/ ٣١٢، والقرطبي ١٧/ ٣٩٩.
(٦) التفسير الكبير ٢٦/ ٣٤-٣٥.

ابن عباس: أنا أُوجدك[١] هذا في كتاب الله: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾[٢]. انتهى.

وفي أمثال العرب: مَن حَفَر لأخيه جُبًّا وَقَع فيه مُنْكَبًّا[٣].

و«سُنَّةُ الأوَّلين»: إنزالُ العذاب على الذين كفروا برُسُلهم من الأُمم قبلهم، وجعل استقبالَهم لذلك انتظاراً له منه.

و«سُنَّةُ الأوَّلين» أضاف فيه المَصْدر إلى المفعول، وفي «لِسُنَّة الله» إضافة إلى الفاعل، فأُضيفت أوَّلاً إليهم لأنها سُنَّت بهم، وثانياً إليه لأنه هو الذي سَنَّها.

وبَيَّن تعالى أن الانتقامَ من مُكَذِّبي الرُّسُل عادةٌ لا يُبَدِّلُها بغيرها، ولا يُحَوِّلها إلى غير أهلها، وأن ذلك كائنٌ لا مَحالَة، واستشهد عليهم بمَا كانوا يُشاهدونه في مَسايِرِهم ومَتاجرهم في رِحْلتهم إلى الشأم والعراق واليمن من آثار الماضين، وعَلامات هَلاكهم ودَبارهم، كديار ثَمود ونحوها.

وتقدّم الكلامُ على نَظير هذه الجملة في سورة الرُّوم[٤]. وهناك: «كانوا أَشَدَّ منهم قُوَّة» استئنافُ إخبارٍ عمَّا كانوا عليه، وهنا: «وكانوا» أي: وقد كانوا، فالجملةُ حال، فهما مَقْصَدان.

«وما كان الله لِيُعْجِزَه» أي: ليَفُوتَه ويَسْبِقَه «من شيء» أي: شيءٌ، و«من» لاستغراق الأشياء.

«إنه كان عليماً قديراً» فبعِلْمه يعلمُ جميعَ الأشياء فلا يغيبُ عن علمه شيء، وبقُدرته لا يتعذَّر عليه شيء.

ثم ذكر حِلْمَه تعالى عن عباده في تعجيل العُقوبة فقال: «ولو يؤاخِذُ الله الناسَ

(١) في (ت) والمطبوع: إنا وجدنا.
(٢) تفسير الثعلبي ٥/ ١٨٥، والكشاف ٣/ ٣١٢، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٤٣-٤٤٤، وتفسير القرطبي ١٧/ ٣٩٩.
(٣) المستقصى ٢/ ٣٥٤، والكشاف ٣/ ٣١٢، وتفسير القرطبي ١٧/ ٣٩٩.
(٤) في الآية (٩) منها.

بما كَسَبوا» أي: من الشِّرْك وتكذيب الرُّسُل، وهو المعنيُّ في الآية التي في «النحل» وهو قوله: «بظُلْمِهم».

وتقدَّم الكلام على نظير هذه الآية في «النَّحْل»[1]، وهناك: «عليها» وهنا «على ظَهْرِها» والضَّمير عائدٌ على الأرض؛ إلا أنَّ هناك يدلُّ عليه سِياقُ الكلام، وهنا يمكن أن يَعودَ على مَلْفوظٍ به وهو قولُه: «في السماوات ولا في الأرض».

ولمَّا كانت حاملةً لمَن عليها استُعير لها الظَّهْرُ؛ كالدابَّة الحاملةِ للأثقال، ولأنه أيضاً هو الظَّاهر بخلافِ باطِنها.

«فإن الله كان بعباده بَصيراً»[2] توعُّدٌ للمُكَذِّبين، أي: فيُجازيهم بأعمالهم.

---

(١) انظر تفسير الآية (٦١) من سورة النحل.
(٢) في المطبوع: فإنه كان بعباده بصيراً (؟!).

مفردات سورة يس

قَمح البعيرُ رأسَه: رفعه إثْرَ شُرْبِ الماء، ويأتي الكلامُ فيه مستوفى.

العُرْجون: عُودُ العِذْقِ من بين الشِّمْراخ إلى مَنْبِته من النَّخْلَة. وقال الزجّاج: هو فُعْلون من الانْعِراج، وهو الانْعِطاف(١).

الجَدَثُ: القبر، وسُمع فيه جَدَف بإبدال الثّاء فاءً، كما قالوا: فُمَّ في ثُمَّ، كما أبدلوا من الفاء ثاءً، قالوا في مُغْفُور: مُغْثُور، وهو ضَرْبٌ من الكَمْأة(٢).

المَسْخ: تحويلٌ من صُورةٍ إلى صورةٍ مُنْكَرة.

الرَّميم: البالي المُفَتَّت.

* * *

سورة يس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿يسٓ ۝١ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٣ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٤ تَنزِيلَ
ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ۝٥ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ۝٦ لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ
فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٧ إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ۝٨ وَجَعَلْنَا

(١) معاني القرآن للزجاج ٤/ ٢٨٨ (وفي مطبوعه تحريف)، ونقله عنه الزمخشري ٣/ ٣٢٣، وابن الجوزي ٧/ ٢٠، والقرطبي ١٧/ ٤٤٧.

(٢) في إصلاح المنطق ٢٢٢، وأدب الكاتب ٥٨٩، وصحاح الجوهري (غثر ٢/ ٧٦٦)، والقاموس (غثر): المُغْثور: لغة في المغفور، وهو شيء ينضحه العُرْفُط مثل الصَّمغ، وهو حلو كالعسل يؤكل، وربما سال على الثرى مثل الدِّبْس، وله ريح كريهة.

مِنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ سَدّٗا وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ سَدّٗا فَأَغۡشَيۡنَٰهُمۡ فَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ ﴿٩﴾ وَسَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿١٠﴾ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكۡرَ وَخَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِۖ فَبَشِّرۡهُ بِمَغۡفِرَةٖ وَأَجۡرٖ كَرِيمٍ ﴿١١﴾ إِنَّا نَحۡنُ نُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَنَكۡتُبُ مَا قَدَّمُواْ وَءَاثَٰرَهُمۡۚ وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ فِيٓ إِمَامٖ مُّبِينٖ ﴿١٢﴾﴾.

التفسير

هذه السُّورة مكيَّةٌ، إلا أن فرقةً زعمت أن قوله: ﴿وَنَكۡتُبُ مَا قَدَّمُواْ وَءَاثَٰرَهُمۡۚ﴾ [يس: ١٢] نزلت في بني سَلِمة من الأنصار حين أرادوا أن يَتْرُكوا ديارَهم، وينتقلوا إلى جوارِ مَسْجد الرَّسول[١]. وليس زَعْماً صحيحاً.

وقيل: إلا قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾ الآية [٤٧].

وتقدَّم الكلامُ في الحروف المُقَطّعة في أول «البقرة»[٢].

قال ابن جُبَير هنا إنه اسمٌ من أسماء محمد ﷺ، ودليلُه: «إنك لَمن المُرْسَلين». وقال السَّيِّد الحِمْيَري[٣]:

يا نَفْسُ لا تَمْحَضي بالوُدِّ جاهِدَةً ... على المَوَدَّةِ إلا آلَ ياسينا[٤]

وقال ابن عباس: معناه: يا إنسان بالحَبَشيّة، وعنه: هو في لغة طَيِّئ، وذلك أنهم يقولون: إيْسَان بمعنى إنسان، ويجمعونه على أياسين، فهذا منه.

وقالت فرقةٌ: «يا» حرف نداء، والسين مُقامةٌ مقامَ إنسان، انتُزِع منه حرفٌ فأُقيم مقامَه[٥].

وقال الزمخشري: إنْ صحَّ ـ يعني: أن معناه يا إنسان في لغة طَيِّئ ـ فوجهُه أنْ يكون أصلُه: يا أُنَيْسين، فكَثُر النِّداءُ به على ألسنتهم حتى اقتصروا على شَطْره، كما قالوا في القسم: مُ الله في أيْمُن الله[٦]. انتهى.

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٤٤٥، وتفسير القرطبي ١٧/ ٤٠١.
(٢) في تفسير أول آية منها.
(٣) في المطبوع: الحموي (؟!).
(٤) البيت له في تفسير الثعلبي ٥/ ١٨٩، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٤٥، وتفسير القرطبي ١٧/ ٤٠٨.
(٥) انظر الأقوال في: تفسير الطبري ١٩/ ٢٩٨-٢٩٩، ومعاني القرآن للنحاس ٥/ ٤٧١-٤٧٢، وتفسير الثعلبي، والماوردي ٥/ ٥-٦، والقرطبي، والمحرر الوجيز، وزاد المسير ٧/ ٣-٤.
(٦) الكشاف ٣/ ٣١٣-٣١٤.

والذيُ نقل عن العرب في تصغير إنسان: أُنَيْسِيان، بياء بعدها ألف، فدلَّ على أن أصله: إنسِيان[١]؛ لأن التصغيرَ يردُّ الأشياء إلى أصولها، ولا نعلمهم قالوا في تصغيره: أُنَيْسِين، وعلى تقدير أنه بَقيَّة أُنَيْسين فلا يجوز ذلك، إلَّا أنْ يُبْنى على الضَّم ولا يبقى مَوْقوفاً، لأنه مُنادى مُقبَلٌ عليه، مع ذلك فلا يجوز لأنه تحقير، ويمتنع ذلك في حقِّ النُّبُوَّة.

وقوله: كما قالوا في القَسَم: مُ الله في أيْمُن الله؛ هذا قولٌ، ومن النحويين مَن يقول إن «مُ» حرفُ قَسَم، وليس مُبْقًى من أيْمُن.

وقرئ بفتح الياء وإمالتها مَحْضاً وبين اللَّفظين[٢].

وقرأ الجمهور بسكون النّون مُدْغَمةً في الواو، ومن السبعة الكسائي وأبو بكر وورش وابن عامر. مُظْهَرَةً عند باقي السَّبعة[٣].

وقرأ ابن أبي إسحاق وعيسى بفتح النُّون[٤].

وقال قتادة: «يس» قَسَم، قال أبو حاتم: فقياسُ هذا القول فتحُ النون؛ كما تقول: اللهَ لأفعَلَنَّ[٥].

وقال الزجاج: النَّصب كأنه قال: اتْلُ «يس» وهذا على مذهب سيبويه أنه اسمٌ للسُّورة[٦].

(١) في المطبوع: أنيسان، وانظر الدر المصون ٩/ ٢٤٤، وروح المعاني ٢٢/ ٢٦٥ فقد نقلا كلام أبي حيان.

(٢) أمال حمزة والكسائي الياء غير مفرطين، والجمهور يفتحونها، ونافع وسط في ذلك، انظر السبعة ٥٣٨، والتيسير ١٨٣، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٤٥.

(٣) السبعة ٥٣٨، والتيسير ١٨٣، والنشر ٢/ ١٧.

(٤) مختصر في الشواذ ١٢٤، والمحتسب ٢/ ٢٠٣، ومعاني القرآن ٥/ ٤٧١، وإعراب القرآن ٣/ ٣٨١، وتفسير الثعلبي ٥/ ١٨٩، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٤٦، وتفسير القرطبي ١٧/ ٤٠٧، وزاد ابن الجوزي ٧/ ٤ نسبتها إلى أبي المتوكل وأبي رجاء وابن أبي عبلة.

(٥) المحرر الوجيز ٤/ ٤٤٦.

(٦) معاني القرآن للزجاج ٤/ ٢٧٧، وكتاب سيبويه ٣/ ٢٥٨.

وقرأ الكلبي بضم النون وقال: هي بلُغة طَيِّئ: يا إنسان[١].

وقرأ أبو السَّمَّال وابن أبي إسحاق أيضاً بكسرها[٢].

قيل: والحركة لالتقاء السَّاكِنَين، فالفتح كائنٌ طلباً للتخفيف، والضمُّ كحَيْثُ، والكسر على أصل التقائهما.

وإذا قيل: إنه قَسَمٌ؛ فيجوز أن يكون مُعْرَباً النَّصْبَ على ما قال أبو حاتم، والرفع على الابتداء نحو: أمانةُ الله لأقومَنّ، والجرّ على إضمار حرف الجر، وهو جائز عند الكوفيين.

و«الحَكيم» إمَّا فَعيل بمعنى مُفْعَل، كأَعْقَدْتُ العسَلَ فهو عَقيد، أي: مُعْقَد، وإما للمُبالغة من حاكم، وإما على معنى النَّسَب[٣]، أي: ذي حِكْمة.

«على صِراطٍ» خبرٌ ثانٍ. أو في موضع الحال منه عليه السَّلام، أو من المُرْسلين. أو متعلِّقٌ بالمُرسلين. والصِّراط المُستقيم: شريعةُ الإسلام.

وقرأ طلحة والأشْهب وعيسى بخِلافٍ عنهما وابن عامر وحمزة والكسائي وحفص: «تنزيلَ» بالنَّصْب على المَصْدر.

وباقي السَّبعة وأبو بكر وأبو جعفر وشَيْبة والحسن والأعْرج والأعمش بالرفع خبر مبتدأ محذوف، أي: هو تنزيلُ[٤].

وأبو حَيْوة واليَزيدي والقُورصي عن أبي جعفر وشَيْبة بالخَفْض[٥]؛ إمَّا على

(١) المحتسب ٢/ ٢٠٣، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٤٦. ونسبها الثعلبي ٥/ ١٨٩، والقرطبي ١٧/ ٤٠٧ إلى هارون الأعور ومحمد بن السميفع.

(٢) مختصر في الشواذ ١٢٤، والمحتسب ٢/ ٢٠٣، وتفسير الثعلبي ٥/ ١٨٩، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٤٦، ونسبها القرطبي ١٧/ ٤٠٧ إلى ابن عباس ونصر بن عاصم، ونسبها ابن الجوزي ٧/ ٤ إلى الحسن وأبي الجوزاء.

(٣) في المطبوع: كما عقدت العسل... السبب.

(٤) قراءة الرفع والنصب في: السبعة ٥٣٩، والتيسير ١٨٣، والنشر ٢/ ٣٥٣، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٤٦.

(٥) مختصر في الشواذ ١٢٤ عن اليزيدي، ونسبها ابن الجوزي في زاد المسير ٧/ ٥ إلى أبي بن كعب وأبي رزين وأبي الجوزاء والحسن والجحدري.

=

البَدَل من القرآن، وإمَّا على الوَصْف بالمَصْدر.

«لتُنْذِرَ» مُتعلِّقٌ بـ «تنزيلَ»، أو بأرسلناك مُضْمَرة.

«ما أُنذِرَ» قال عكرمة بمعنى الذي، أي: الشيء الذي أُنذره آباؤهم من العَذاب[١]، فـ «ما» مفعولٌ ثانٍ؛ كقوله: ﴿إِنَّآ أَنذَرۡنَٰكُمۡ عَذَابٗا قَرِيبٗا﴾ [النبأ: ٤٠].

قال ابن عطية: ويحتمل أن تكون «ما» مصدريَّة؛ أي: إنذارَ آبائهم[٢]، والآباء على هذا هم الأقدمون من ولد إسماعيل وكانت النِّذارةُ فيهم، و«فهم» على هذا التأويل بمعنى فإنهم، دخلت الفاء لقَطْع الجملة من الجملة الواقعة صِلةً، فتتعلَّق بقوله: «إنك لَمِنَ المُرْسَلين لِتُنْذِرَ» كما تقول: أرسَلْتُك إلى فُلانٍ لتُنذرَه فإنه غافل، أو فهو غافل.

وقال قتادة: «ما» نافية، أي: أن آباءهم لم يُنْذَروا، فآباؤهم على هذا هم القريبون منهم[٣]. و«ما أُنذر» في موضع الصِّفة، أي: غيرَ مُنْذَرٍ آباؤهم، و«فهم غافلون» مُتَعلِّقٌ بالنَّفي، أي: لم يُنْذَروا فهم غافلون، على أن عَدَم إنذارِهم هو سببُ غَفْلَتِهم. وباعتبار الآباء في القِدَم والقُرْب يزول التَّعارُض بين الإنذار ونَفْيِه.

«لقد حقَّ القولُ على أكثرِهم» المشهور أن القولَ: ﴿لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ﴾ [السجدة: ١٣].

وقيل: لقد سبق في علمه وجوبُ العَذاب. وقيل: حَقَّ القولُ الذي قاله الله على لسان الرُّسُل من التَّوحيد وغيره، وبان بُرهانُه، فأكثرُهم لا يؤمنون بعد ذلك.

والظاهر أن قوله: «إنا جَعَلْنا في أعناقهم أغلالاً» الآية، هو حقيقةٌ لا استعارة، لمّا أخبر تعالى أنهم لا يؤمنون أخبر عن شيءٍ من أحوالهم في الآخرة إذا دخلوا النار.

= وذكرها دون نسبة الفراء ٢/ ٢٧٢، والزجاج ٤/ ٢٧٨، والنحاس في إعراب القرآن ٣/ ٣٨٣، والزمخشري ٣/ ٣١٤، والقرطبي ١٧/ ٤١١.

(١) إعراب القرآن ٣/ ٣٨٣، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٤٦، وتفسير القرطبي ١٧/ ٤١٢.

(٢) في المطبوع: ما أنذر آباؤهم.

(٣) انظر المحرر الوجيز ٤/ ٤٤٦، وأخرجه عن قتادة الطبري ١٩/ ٤٠١-٤٠٢.

قال ابن عطية: وقوله: «فأغْشَيناهم فهم لا يُبْصرون» يُضعِف هذا؛ لأنَّ بَصَرَ الكافر يومَ القيامة إنما هو حَديد، يرى قُبْحَ حاله[1]. انتهى.

ولا يضعف هذا، ألا ترى إلى قوله: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا﴾ [الإسراء: ٩٧]، وقوله: ﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِيٓ أَعْمَىٰ﴾ [طه: ١٢٥]؟ فإمّا أن يكون ذلك حالَين، وإمَّا أن يكون قوله: ﴿فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ [ق: ٢٢] كنايةً عن إدراكه ما يؤول إليه حتى كأنه يُبصره.

وقال الجمهور: ذلك استعارة؛ فقال ابن عباس وابن إسحاق: استعارةٌ لحال الكَفَرة الذين أرادوا الرسولَ بسوء، جعل الله لهم هذا مَثَلاً في كفِّه إيَّاهم عنه، ومَنْعهم من أذاه حين بيَّتوه.

وقال الضحَّاك والفرَّاء: استعارةٌ لمَنْعهم من النَّفَقة في سبيل الله، كما قال: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾ [الإسراء: ٢٩].

وقال عكرمة: نزلت حين أراد أبو جهل ضَرْبَه بالحَجَر العظيم وفي غير ذلك من المواطن، فمنعه الله. وهذا قريبٌ من قول ابن عباس.

فرُوي أن أبا جهل حمل حَجَراً ليَدْمَغَ به النبيَّ ﷺ وهو يُصلّي، فانْثَنَت يدُه إلى عُنُقه، حتى عاد إلى أصحابه والحجَرُ في يده قد لَزِق، فما فَكُّوه إلا بجُهْد، فأخذه آخر، فلما دنا من الرَّسول طَمَس الله بصَرَه فلم يره، فعاد إلى أصحابه، فلم يُبْصِرهم حتى نادَوْه[2].

فجَعْلُ الغلِّ يكون استعارةً عن مَنْع أبي جهل وغيره في هذه القصَّة، ولمّا كان أصحابُ أبي جهل راضين بما أراد أن يفعل نُسب ذلك إلى الجَمْع.

وقالت فرقة: استعارةٌ لمَنْع الله إيَّاهم من الإيمان، وحَوْلِه بينهم وبينه. قال ابن عطية: وهذا أرجَحُ الأقوال؛ لأنه تعالى لمَّا ذكر أنهم لا يؤمنون لِما سبق لهم في

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٤٤٦.
(٢) انظر الأقوال في معاني القرآن للفراء ٢/ ٣٧٣، وإعراب القرآن ٣/ ٣٨٣-٣٨٤، ومعاني القرآن للنحاس ٥/ ٤٧٥، والكشف والبيان ٥/ ١٩٠، والكشاف ٣/ ٣١٥، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٤٧، وزاد المسير ٧/ ٦، وتفسير القرطبي ١٧/ ٤١٢-٤١٣، ٤١٥-٤١٦.

الأزل عَقَّب ذلك بأنْ جعل لهم من المَنْع وإحاطة الشَّقاوة ما حالُهم معه حال المَغْلولين[١]. انتهى.

وقال الزمخشري: مَثَّل تصميمَهم على الكُفْر، وأنه لا سَبيل إلى ارْعوائهم بأنْ جعلَهم كالمَغْلولين المُقْمَحين في أنهم لا يَلْتَفتون إلى الحقّ، ولا يَعْطِفون أعناقَهم نحوه، ولا يُطأطئون رؤوسَهم له، وكالحاصِلين بين سَدَّين لا يُبصرون ما قُدَّامَهم ولا ما خَلْفَهم في أن لا تأمُّلَ لهم ولا تَبَصُّر[٢]، وأنّهم مُتعامون عن النَّظَر في آيات الله تعالى[٣]. انتهى. وفيه دَسيسةُ الاعتزال؛ ألا ترى إلى قول أهلِ السّنة: استعارةٌ لمَنْع الله إيَّاهم من الإيمان، وقول الزمخشري: مَثَّل تصميمَهم، ونسبةَ الأفعال التي بعدها إليهم لا إلى الله؟

والغُلُّ: ما أحاط بالعُنُق على معنى التَّثقيف والتَّضييق والتَّعذيب والأسْر، ومع العُنق اليدان أو اليد الواحدة، هذا معنى التَّغليل.

والظَّاهر عَوْدُ الضَّمير في «فهي» إلى الأغلال؛ لأنها هي المذكورةُ والمُحدَّث عنها. قال ابن عطية: هي عَريضة تبلُغُ بحَرْفها الأذقان. والذَّقَن: مُجْتَمع اللَّحْيَيْن، فيَضْطَرُّ المَغْلول إلى رَفْع وجهه نحو السماء، وذلك هو الإقْماح، وهو نحو الإقْناع في الهَيْئة[٤].

وقال الزمخشري: الأغْلال، وأصلُه: إلى الأذقان مَلْزوزَة إليها، وذلك أن طَوْقَ الغُلِّ الذي في عُنُقِ المَغْلول يكون في مُلْتَقى طَرَفَيْه تحت الذَّقن حَلَقَةٌ فيها رأسُ العَمود نادِراً من الحَلَقة إلى الذَّقَن، فلا تُخَلِّيه يُطأطئ رأسَه ويوطئ قَذالَه، فلا يزال مُقْمَحاً. انتهى[٥].

وقال الفراء: المُقْمَح: الذي يَغُضُّ بصَرَه بعد رَفْع رأسه[٦]. وقال الزجّاج

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٤٤٧.
(٢) في المطبوع: لا سبيل إلى دعواهم.. ولا يبصرون.
(٣) الكشاف ٣/ ٣١٥.
(٤) المحرر الوجيز ٤/ ٤٤٧.
(٥) الكشاف ٣/ ٣١٥.
(٦) معاني القرآن ٢/ ٣٧٣.

نحوه، قال: يقال: أقْمَحَ البعيرُ رأسَه عن رِيٍّ وقَمَح هو[١].

وقال أبو عُبيد[٢]: قَمَح قُموحاً: رفع رأسَه عن الحَوْض ولم يَشْرب، والجمعُ قِماح، ومنه قولُ بِشْر يَصِف سفينة أخذهم المَيْدُ فيها[٣]:

ونحن على جَوانبِها قُعودٌ نَغُضُّ الطَّرْفَ كالإبلِ القِماحِ

وقال اللّيث: هو رَفْعُ البعير رأسَه إذا شرب الماءَ الكَريهَ ثم يَعود.

وقال الزجاج: قيل للكانونَيْن: شَهْرا قماح[٤] لأن الإبلَ إذا وَرَدت الماء ترفع رؤوسَها لشِدَّة بَرْدِه[٥]. وأنشد أبو زيد بيتَ الهُذَليّ:

فتًى ما ابنُ الأغَرِّ إذا شَتَوْنا وحُبَّ الزَّادُ في شَهْرَي قماحِ[٦]

رواه بضمّ القاف، وابن السكيت بكسرها، وهما لغتان، وسُمِّيا شَهْرَي قماح لكراهة كلِّ ذي كَبِدٍ شُرْبَ الماء فيه[٧].

وقال الحسن: القامِحُ: الطَّامِحُ ببصره إلى موضع قَدَمِه. وقال مجاهد: الرَّافعُ الرأس، الواضعُ يدَه على فيه[٨].

وقال الطبري: الضمير في «فهي» عائدٌ على الأيدي وإنْ لم يتقدَّم لها ذِكر، لوضوح مكانها من المعنى، وذلك أن الغُلَّ إنما يكون في العُنُق مع اليدَيْن[٩]؛ ولذلك سُمِّي الغُلُّ جامِعةً لجَمْعِه اليدَ والعُنُق.

---

(١) انظر معاني القرآن للزجاج ٤/ ٢٧٩.
(٢) في المطبوع: أبو عبيدة، وهو تحريف، وكلام أبي عبيد الآتي في الغريب المصنف له ٢/ ١٤٩.
(٣) في المطبوع: يصف ميتة أخذهم ليدفنها (؟!)، والبيت في ديوان بشر بن أبي خازم ص٩١، والغريب المصنف ٢/ ١٤٩، ومجاز القرآن ٢/ ١٥٧، والأنواء لابن قتيبة ١٠٦، وغريب القرآن له ٣٦٣، ومعاني القرآن للنحاس ٥/ ٤٧٨، وتفسير الثعلبي ٥/ ١٩٠، والماوردي ٥/ ٨، والقرطبي ١٧/ ٤١٤، وزاد المسير ٧/ ٧.
(٤) ككتاب وغراب. القاموس.
(٥) معاني القرآن للزجاج ٤/ ٢٧٩.
(٦) البيت لمالك بن خالد الهذلي في شرح أشعار الهذليين للسكري ٤٥١، والأنواء لابن قتيبة ١٠٥.
(٧) معاني القرآن للزجاج ٤/ ٢٧٩.
(٨) تفسير الطبري ١٩/ ٤٠٤، ومعاني القرآن للنحاس ٥/ ٤٧٧، والنكت والعيون ٥/ ٧.
(٩) المحرر الوجيز ٤/ ٤٤٧ وعنه نقل كلام الطبري، وانظر تفسيره ١٩/ ٤٠٣.

وأرى عليٌّ كرَّم الله وجْهَه الناسَ الإقماحَ فجعل يدَيْه تحت لَحْيَيْه، وألْصَقَهما ورفعَ رأسَه[١].

وقال الزمخشري: جعل الإقماحَ نتيجةَ قوله: «فهي إلى الأذْقان» ولو كان الضَّميرُ للأيدي لم يكن معنى التَّسَبُّب في الإقماح ظاهراً، على أنّ هذا الإضْمارَ فيه ضَرْبٌ من التَّعَسُّف، وتَرْكُ الظَّاهر الذي يَدعوه المعنى إلى نفسه إلى الباطن[٢] الذي يَجْفُو عنه، تَرْكٌ للحقِّ الأبلَجِ إلى الباطِلِ اللَّجْلَج. انتهى.

وقرأ عبد الله وعكرمة والنَّخعي وابن وَثَّاب وطلحة وحمزة والكسائي وابن كثير وحفص: «سَدًّا» بفتح السّين فيهما، والجمهور بالضمّ[٣]. وتقدَّم شرْحُ السَّدِّ في «الكهف»[٤].

وقرأ الجمهور: «فأغْشَيْناهم» بالغين منقوطة، وابن عباس وعمر بن عبد العزيز وابن يَعْمَر وعكرمة والنخعي وابن سِيرين والحسن وأبو رجاء وزيد بن علي ويزيد البَرْبري ويزيد بن المُهَلَّب وأبو حنيفة وابن مِقْسَم بالعين[٥]، من العَشا وهو ضَعْفُ البَصَر، عَشي بَصَرُه وأعْشَيْتُه أنا، والقراءة المشهورة: «أغْشَيناهم» أي: أغْشَيْنا أبصارَهم[٦]: جعلنا عليها غِشاوة.

«وسَواءٌ عليهم» الآية، تقدّم الكلامُ على نظيرها تفسيراً وإعراباً في أوَّل «البقرة» [الآية: ٦].

«إنّما تُنْذِر» تقدَّم «لتُنْذِرَ قوماً» لكنه لمّا كانوا مَخْتوماً عليهم أنْ لا يؤمنوا حتى قال: «وسَواءٌ عليهم أأنْذَرْتَهم أمْ لم تُنْذِرهم» لم يُجْدِ الإنذارُ لانتفاءِ مَنْفَعَته فقال:

---

(١) إعراب القرآن ٣/ ٣٨٤، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٤٧، وتفسير القرطبي ١٧/ ٤١٣.
(٢) في المطبوع: الباطل، وانظر الكشاف ٣/ ٣١٦.
(٣) السبعة ٥٣٩، والتيسير ١٨٣، والنشر ٢/ ٣١٥، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٤٧.
(٤) في تفسير الآية (٩٤) منها.
(٥) تفسير الطبري ١٩/ ٤٠٧، وإعراب القرآن ٣/ ٣٨٥، ومعاني القرآن للنحاس ٥/ ٤٨٠، ومختصر في الشواذ ١٢٤، والمحتسب ٢/ ٢٠٤، والكشف والبيان ٥/ ١٩٠-١٩١، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٤٧، وزاد المسير ٧/ ٨، وتفسير القرطبي ١٧/ ٤١٧.
(٦) من قوله: عشي بصره... إلى هنا، ليس في المطبوع.

«إنما تُنْذِرُ» أي: إنذاراً يَنْفَعُ «مَن اتَّبعَ الذِّكرَ» وهو القرآن قاله قتادة[١]، أو الوَعْظ «وخَشِيَ الرَّحمنَ» أي: المُتَّصِف بالرَّحْمة؛ مع أن الرَّحْمَةَ قد تعود إلى الرَّجاء، لكنه مع عِلْمه برَحْمته هو يَخْشاه خوفاً من أنْ يَسْلُبَه ما أنْعَم به عليه «بالغيب» أي: بالخَلْوَة عند مَغيب الإنسان عن عُيون البَشَر.

ولمّا أجْدَت[٢] فيه النِّذارَةُ بَشَّره بمَغْفِرَةٍ لما سلَف، وأجْرٍ كريمٍ على ما أسْلَف من العمل الصَّالح وهو الجَنَّة.

ولما ذكر تعالى أمرَ الرِّسالة ـ وهي أحَدُ الأصول الثّلاثة التي بها يَصيرُ المُكَلَّف مؤمناً ـ ذَكر الحَشْرَ ـ وهو أحَدُ الأصول الثلاث، والثالث هو توحيدٌ ـ فقال: «إنا نحن نُحيي المَوْتى» أي: بعد مَماتِهم.

وأبْعَدَ الحسن والضحَّاك في قوله: إحياؤهم: إخْراجُهم من الشِّرك إلى الإيمان[٣].

«ونكتُب ما قَدَّموا» كنايةٌ عن المُجازاة، أي: ونَحْصُر[٤]، فعَبَّر عن إحاطةِ علمِه بأعمالهم بالكتابة التي تُضْبَطُ بها الأشياء.

وقرأ زِرّ ومَسْروق: «ويُكتَب ما قَدَّموا وآثارُهم» بالياء مبنيًّا للمفعول[٥].

وما قدَّموا: من الأعمال، وآثارَهم: خُطاهم إلى المساجد. وقيل: السِّيرة الحسنة والسيِّئة. وقيل: ما قدَّموا: من السَّيئات، وآثارَهم: من الأعمال.

وقال الزمخشري: ونكتبُ ما أسْلَفوا من الأعمال الصَّالحة وغيرها، وما هَلَكوا عنه من أثَرٍ حَسَنٍ؛ كعلم عَلَّموه، أو كتابٍ صَنَّفوه، أو حَبيسٍ أحْبَسوه، أو بناءٍ بَنَوه من مسجدٍ أو رِباط أو قَنْطَرةٍ أو نحو ذلك، أو سيِّئ كوَظيفةٍ وَظَّفها بعضُ الظلّام على

---

(١) أخرجه الطبري ١٩/ ٤٠٨.
(٢) في المطبوع: غيوب البشر ولما أحدث.
(٣) النكت والعيون ٥/ ٩، والكشاف ٣/ ٣١٦.
(٤) في المطبوع: ونحصي.
(٥) مختصر في الشواذ ١٢٤ (وفيه: ابن مسروق)، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٤٨، ونسبها ابن الجوزي ٧/ ٨ إلى النخعي والجحدري.

المسلمين، وسِكَّةٍ أحْدَثَها فيها تَخْسيرُهم، وشيءٍ أُحْدِث فيه صَدٌّ عن ذكر الله من ألحانٍ ومَلاهٍ، وكذلك كلُّ سُنَّةٍ حَسَنةٍ أو سيئة يُسْتَنُّ بها، ونحوه قوله عز وجل: ﴿يُنَبَّؤُا ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ [القيامة: ١٣]، أي: قدَّم من أعماله، وأخّر من آثاره[١]. انتهى.

وقرأ الجمهور: «وكلَّ شيءٍ» بالنَّصب على الاشتغال. وقرأ أبو السمَّال بالرفع على الابتداء[٢].

والإمامُ المُبين: اللَّوحُ المحفوظ. قاله مُجاهد وقتادة وابن زيد. وقالت فرقة: أراد صُحُفَ الأعمال[٣].

❁ ❁ ❁

﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُوا۟ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا۟ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيْنَآ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٧﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا۟ لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾ قَالُوا۟ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ ۚ أَئِن ذُكِّرْتُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿١٩﴾ وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ ﴿٢٥﴾ قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ ۖ قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾﴾.

تقدَّم الكلامُ على «اضرِب» مع المثَل في قوله: ﴿أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً﴾ [البقرة: ٢٦].

والقريةُ: أنطاكية بلا خِلاف، أي: قصَّة أصحاب القرية «إذْ جاءها المُرْسَلون» هم ثلاثة، جمعهم في المجيء وإن اختلفوا في زمَن المجيء.

---

(١) الكشاف ٣/ ٣١٦-٣١٧.

(٢) مختصر في الشواذ ١٢٤، ونسبها ابن الجوزي في زاد المسير ٧/ ٩ إلى ابن السميفع وابن أبي عبلة.

(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٤٤٨، وانظر تفسير الطبري ١٩/ ٤١٢، وإعراب القرآن ٣/ ٣٨٧، والنكت والعيون ٥/ ٩، وتفسير القرطبي ١٧/ ٤٢٢.

«إذْ أَرْسَلْنا إليهم اثنَين» الظَّاهر من «أَرْسَلنا» أنهم أنبياء أرسَلَهم الله، ويدلُّ عليه قولُ المُرْسَل إليهم: «ما أنتم إلا بشَرٌ مِثْلُنا» وهذه المحاورة لا تكون إلا مع مَن أرسله الله. وهذا قول ابن عباس وكعب.

وقال قتادة وغيره: هم من الحَوارِيّين، بعثَهم عيسى عليه السلام حين رُفِع وصُلِب الذي أُلقي عليه الشَّبه، فافْتَرَق الحواريُّون في الآفاق، فقصَّ الله قصَّةَ الذين ذَهبوا إلى أنطاكية وكان أهلُها عبَّادَ أصنام[1].

والاثنان: صادق وصدوق. قاله وَهْب وكعب الأحبار. وحكى النقَّاش: سَمْعان ويُحَنّا. وقال مقاتل: تومان وبولس[2].

«فكَذَّبوهما» أي: دَعَواهم إلى الله وأخبرا بأنهما رسولا الله «فكَذَّبوهما فَعزَّزْنا بثالث» أي: قَوَّيْنا وشَدَّدْنا. قاله مجاهد[3] وابن قتيبة، وقال: يُقال: تعزَّزَ لحمُ النَّاقة إذا صَلُب[4].

وقال غيره: يُقال: المطر يُعَزِّز الأرضَ إذا لَبَّدَها وشَدَّها[5]. ويُقال للأرض الصُّلْبَة: العَزاز[6]. هذا على قراءة تشديدِ الزاي وهي قراءةُ الجمهور.

وقرأ الحسن وأبو حَيْوة وأبو بكر والمُفضَّل وأبان بالتخفيف[7]. قال أبو علي: فغَلَبْنا. انتهى[8].

---

(١) تفسير الطبري ١٩/ ٤١٣-٤١٤، ومعاني القرآن للنحاس ٥/ ٤٨٢-٤٨٣، وتفسير الثعلبي ٥/ ١٩٣-١٩٤، والنكت والعيون ٥/ ١٠، والكشاف ٣/ ٣١٧، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٤٩، وزاد المسير ٧/ ١٠، وتفسير القرطبي ١٧/ ٤٢٢-٤٢٦.

(٢) انظر تفسير الطبري ١٩/ ٤١٤، والثعلبي ٥/ ١٩٤، والماوردي ٥/ ١٠، والقرطبي ١٧/ ٤٢٣، وزاد المسير ٧/ ١٠.

(٣) أخرجه عنه الطبري ١٩/ ٤١٤.

(٤) غريب القرآن ٣٦٤، ونقله عنه ابن الجوزي ٧/ ١١.

(٥) الكشاف ٣/ ٣١٧.

(٦) في المطبوع: القرآن (تحريف).

(٧) السبعة ٥٣٩، والتيسير ١٨٣، والنشر ٢/ ٣٥٣، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٤٩، ونسبها الثعلبي ٥/ ١٩٥ إلى طلحة بن مصرف.

(٨) الحجة ٦/ ٣٨، ونقله ابن الجوزي ٧/ ١١ عنه.

وذلك من قولهم: مَن عَزَّ بَزَّ[١]، وقوله تعالى: ﴿وَعَزَّنِي فِي ٱلْخِطَابِ﴾ [ص: ٢٣].

وقرأ عبد الله: «بالثالث» بألف ولام[٢].

والثالث: شمعون الصَّفا. قاله ابن عباس. وقال كعب ووهب: شلوم. وقيل: بولس[٣].

وحُذف مفعول «فعَزَّزْنا» مُشدَّدًا، أي: قَوَّيناهما بثالث، ومُخَفّفاً فغَلَّبْناهم بثالث، أي: بحُجَّة ثالثٍ وما تلَطَّف به من التَّوَصُّل إلى الدعاء إلى الله حتى آمن الملِك على ما ذُكر في قصَّتهم، وستأتي هي أو نُبَذٌ[٤] منها إن شاء الله.

وجاء أوَّلاً: «مُرْسَلون» بغير لام؛ لأنه ابتداءُ إخبار فلا يحتاج إلى توكيد، وبعد المحاورة: «لَمُرْسَلون» بلام التأكيد لأنه جوابٌ عن إنكار[٥].

وهؤلاء أُمَّةٌ أنكرت النُّبوَّات بقولها: «وما أنزل الرحمن من شيء» وراجَعَتْهم الرُّسُل بأنْ رَدُّوا العلم إلى الله، وقَنِعوا بعلمه، وأعلموهم أنهم إنما عليهم البلاغُ فقط، وما عليهم من هُداهم وضَلالهم، وفي هذا وَعيدٌ لهم[٦].

ووَصَف البَلاغَ بالمُبين؛ وهو الواضِحُ بالآيات الشَّاهدة بصِحَّة الإرسال، كما روي في هذه القصَّة من المعجزات الدالَّة على صِدْق الرُّسُل من إبْراءِ الأكْمَه والأبرص وإحياء الميِّت.

«قالوا إنا تَطَيَّرنا بكم» أي: تَشاءَمْنا بكم. قال مقاتل: احتَبس عليهم المطر. وقال آخر: أسْرع فيهم الجُذام عند تكذيبهم الرُّسُل[٧].

---

(١) الفاخر ٧٩، والزاهر ١/ ٧٥، وجمهرة الأمثال ٢/ ٢٨٨، ومجمع الأمثال ٢/ ٣٠٧، والمستقصى ٢/ ٣٥٧.

(٢) معاني القرآن للفراء ٢/ ٣٧٣، وللنحاس ٥/ ٤٨٤، ومختصر في الشواذ ١٢٤-١٢٥، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٤٩.

(٣) سلف تخريج أقوالهم قريباً.

(٤) في المطبوع: بعض.

(٥) الكشاف ٣/ ٣١٨.

(٦) المحرر الوجيز ٤/ ٤٤٩.

(٧) الكشف والبيان ٥/ ١٩٥، وتفسير القرطبي ١٧/ ٤٢٦ عن مقاتل، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٤٩ عنهما.

قال ابن عطية: والظَّاهر أنّ تَطَيُّر هؤلاء كان بسبب ما دَخلَ فيهم من اختلافِ الكلمة، وافتتانِ الناس، وهذا على نحو تَطَيُّر قريش بمحمد ﷺ، وعلى نحو ما خوطب به موسى عليه السَّلام[١].

وقال الزمخشري: وذلك أنهم كَرِهوا دينَهم، ونَفَرت منه نفوسُهم، وعادة الجُهَّال أن يَتَيَمَّنوا بكلِّ شيءٍ مالوا إليه واشتَهَوه وآثروه وقَبِلَتْه طِباعُهم، ويتشاؤموا بما نَفَروا عنه وكَرِهوه، فإنْ أصابتْهم نِعْمةٌ أو بَلاءٌ قالوا ببَرَكة هذا، وبشُؤم هذا؛ كما حكى الله عن القِبْط: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ﴾ [الأعراف: ١٣١]، وعن مُشركي مكة: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ﴾ [النساء: ٧٨]. انتهى[٢].

وعن قتادة: إنْ أصابنا شيءٌ كان من أجلكم «لَنَرْجُمَنَّكم» بالحجارة. قاله قتادة[٣].

«عَذابٌ أليمٌ» هو الحَريق «قالوا طائرُكم معكم» أي: حَظُّكم وما صار لكم من خيرٍ أو شرّ «معكم» أي: من أفعالكم، ليس هو من أجْلنا، بل بكُفْركم.

وقرأ الحسن وابن هُرْمُز وعَمرو بن عُبيد وزِرّ بن حُبَيْش: «طَيْرُكم» بياء ساكنة بعد الطّاء[٤].

وقرأ الحسن فيما نَقل الزمخشري: «اطَّيُّرُكم» مصدر: اطَّيَّر الذي أصلُه تَطَيَّر، فأُدغمت التاء في الطَّاء، فاجتُلبت همزةُ الوصل في الماضي والمصدر[٥].

وقرأ الجمهور: «طائرُكم» على وزن فاعل.

وقرأ الجمهور: «أئنْ ذُكِّرْتُم» بهمزتين؛ الأولى همزة الاستفهام، والثانية همزة

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٤٤٩.
(٢) الكشاف ٣/ ٣١٨.
(٣) أخرجه الطبري ١٩/ ٤١٦، وذكره النحاس في معاني القرآن ٥/ ٤٨٥، والماوردي ٤/ ١٢، والزمخشري ٣/ ٣١٨، وابن عطية ٤/ ٤٥٠، والقرطبي ١٧/ ٤٢٦، وعند جميعهم غير الزمخشري: إن أصابنا شرّ.
(٤) مختصر في الشواذ ١٢٥، وتفسير الثعلبي ٥/ ١٩٥، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٥٠.
(٥) الكشاف ٣/ ٣١٨، وذكره القرطبي ١٧/ ٤٢٧.

إنْ الشَّرطية، فحقَّقها الكوفيون وابن عامر، وسَهَّلها باقي السبعة[١].

وقرأ زِرّ بهمزتين مفتوحتَين، وهي قراءة أبي جعفر وطلحة إلا أنهما لَيَّنا الثانية بين بين[٢]، وقال الشاعر في تحقيقهما:

أأنْ كنتَ داودَ بنَ أحوى مُرَجَّلاً فلستَ براعٍ لابن عَمِّكَ مَحْرَما[٣]

والماجشون وهو أبو سَلَمة يوسف بن يعقوب بن عبد الله بن أبي سَلَمة المَدَنيّ بهمزة واحدة مفتوحة[٤].

والحسن بياء مكسورة[٥].

وأبو عمرو في رواية وزِرّ أيضاً بمدَّة قبل الهمزة المفتوحة، استُثْقِل اجتماعُهما ففُصل بينهما بألف[٦].

وقرأ أبو جعفر أيضاً والحسن أيضاً وقتادة وعيسى الهَمْداني والأعمش: «أيْنَ» بهمزة مفتوحة وياء ساكنة وفتح النون ظَرْف مكان، ورُوي هذا عن عيسى الثقفي أيضاً[٧].

---

(١) السبعة ٥٤٠، والنشر ١/ ٣٦٩ و٢/ ٣٥٣، والتيسير ٣٢، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٥٠.

(٢) مختصر في الشواذ ١٢٥، وتفسير الثعلبي ٥/ ١٩٥، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٥٠ ونسبها إلى أبي عمرو في بعض ما روي عنه، وانظر التيسير ٣٢، والنشر ١/ ٣٦٩-٣٧٠ و٢/ ٣٥٣.
ونسبها الفراء في معانيه ٢/ ٣٧٤ إلى أبي رزين، ونقلها عنه الطبري ١٩/ ٤١٨، والنحاس في إعراب القرآن ٣/ ٣٨٨، ومعاني القرآن ٥/ ٤٨٦، والقرطبي ١٧/ ٤٢٧.

(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٤٥٠ دون نسبة، ونسبه أبو الفرج في الأغاني ٩/ ٥٩ لعمرو بن العاص في عمارة بن الوليد، وروايته: وإن كنت ذا بُرْدَيْن.

(٤) المحتسب ٢/ ٢٠٥، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٥٠، وتفسير القرطبي ١٧/ ٤٢٧-٤٢٨.

(٥) في (أ ت ز٢) والمطبوع: بهاء مكسورة، والمثبت من (د٣ يه)، ولم أقف على هذه القراءة عن الحسن، وذكر ابن عطية ٤/ ٤٥٠ أن الحسن قرأ: إن ذكرتم، بكسر الألف، وكذلك ذكرها السمين ٩/ ٢٥٤، والآلوسي ٢٢/ ٢٩٥.
وقراءة الحسن بياء مكسورة كما ذكر أبو حيان هي كقراءة مَن سهّل الهمزة الثانية وردها ياء، وهم نافع وأبو عمرو وابن كثير، انظر المحرر الوجيز ٤/ ٤٥٠.

(٦) مختصر في الشواذ ١٢٥ عن زر.

(٧) إعراب القرآن ٣/ ٣٨٨، ومعاني القرآن للنحاس ٥/ ٤٨٦، ومختصر في الشواذ ١٢٥، والمحتسب ٢/ ٢٠٥، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٥٠، وتفسير القرطبي ١٧/ ٤٢٧.

فالقراءة الأولى على معنى: إنْ ذُكِّرتم تتطيَّرون بجعل المحذوف مَصبَّ الاستفهام على مذهب سيبويه[١]، وبجَعْله للشَّرط على مذهب يونس، فإنْ قَدَّرْتَه مُضارعاً كان مَجْزوماً.

والقراءة الثانية على معنى: ألِأنْ ذُكِّرتم تطيَّرتم، فأنْ مَفعول من أجله، وكذلك الهَمزة الواحدةُ المفتوحة والتي بمدَّةٍ قبل الهمزة المفتوحة، وقراءة الهمزة المكسورة وحدها فحرفُ شَرْطٍ بمعنى الإخبار، أي: إنْ ذُكِّرْتُم تَطيَّرتُم.

والقراءة الأخيرة «أين» فيها ظرفٌ أداةُ شَرْطٍ حُذف جزاؤه للدَّلالة عليه، وتقديرُه: أين ذُكرتُم صَحِبَكم طائرُكم، ويدلُّ عليه قولُه: «طائرُكم معكم».

ومَن جَوَّز تقديمَ الجزاء على الشَّرْطِ ـ وهم الكوفيون وأبو زيد والمبرد ـ يُجَوِّز أنْ يكون الجواب: «طائرُكم معكم» وكان أصلُه: أين ذُكرتُم فطائرُكم معكم، فلما قُدِّم حُذِفت الفاء.

وقرأ الجمهور: «ذُكِّرْتُم» بتشديد الكاف. وأبو جعفر وخالد بن إلياس وطلحة والحسن وقتادة وأبو حَيْوة والأعمش من طريق زائدة والأصمعي عن نافع بتخفيفها[٢].

«بل أنتم قومٌ مُسْرِفون» مُجاوزون الحَدَّ في ضَلالكم، فمن ثَمَّ أتاكم الشُّؤم.

«وجاء من أقصى المدينة رجلٌ يَسْعى» اسمُه حَبيب. قاله ابن عباس وأبو مِجْلَز وكعب الأحبار ومجاهد ومُقاتل.

قيل: وهو ابن إسرائيل، وكان قَصَّاراً، وقيل: إسكافاً، وقيل: نَجَّاراً يَنْحَتُ[٣] الأصنام. ويمكن أن يكون جامعاً لهذه الصَّنائع.

---

(١) الكتاب ٣/ ٨٢-٨٣.

(٢) معاني القرآن للفراء ٢/ ٣٧٤، وإعراب القرآن ٣/ ٣٨٨، ومختصر في الشواذ ١٢٥، والمحتسب ٢/ ٢٠٥، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٥٠، وتفسير القرطبي ١٧/ ٤٢٧، والنشر ٢/ ٣٥٣.

(٣) في (أ ت ز٢) والمطبوع: وقيل كان ينحت، والمثبت من (د٣ يه)، وانظر الأقوال في تفسير الطبري ١٩/ ٤١٩-٤٢١، ومعاني القرآن للزجاج ٤/ ٢٨٢، وللنحاس ٥/ ٤٨٦-٤٨٧، وتفسير الثعلبي ٥/ ١٩٥، والماوردي ٥/ ١٣، والقرطبي ١٧/ ٤٢٨-٤٢٩، والكشاف ٣/ ٣١٨، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٥٠، وزاد المسير ٧/ ١٢.

و«من أقصى المدينة» أي: من أبعَدِ مَواضعها، فقيل: كان في خارج المدينة يُعاني زَرْعاً له. وقيل: كان في غار يَعبد ربَّه.

وقيل: كان مَجْذوماً فمنزلُه أقصى بابٍ من أبوابها، عبد الأصنامَ سبعين سنةً يَدْعوهم لكَشْفِ ضُرِّه، فلمّا دعاه الرُّسُل إلى عبادة الله قال: هل من آية؟ قالوا: نعم، ندعو ربَّنا القادر يُفَرِّج عنك ما بك، فقال: إن هذا لَعَجَب! لي سبعون سنةً أدعو هذه الآلهة فلم تستطع، يُفَرِّجه ربُّكم في غَداةٍ واحدة؟ قالوا: نعم، ربُّنا على ما يشاء قدير، وهذه لا تنفع شيئاً ولا تَضُر، فآمَن، ودعَوا ربَّهم فكشف الله ما به كأنْ لم يكن به بأسٌ، فأقبل على التكسُّب، فإذا أمسى تصدَّق بكَسْبه نصف لعِياله ونصف يُطعمه، فلما همَّ قومُه بقتل الرُّسُل جاءهم فقال: «يا قوم اتَّبِعوا المُرْسَلين».

وحَبيب هذا ممَّن آمَن برسول الله ﷺ وبينهما سِتُّ مئة سنة، كما آمن به تُبَّع الأكبر ووَرَقة بن نَوْفَل وغيرُهما، ولم يؤمن بنبيٍّ غيره أحدٌ إلا بعد ظُهوره[1].

وقال ابن أبي ليلى: سُبَّاق الأمم ثلاثة لم يكفروا قَطُّ طَرْفةَ عَيْن: عليُّ بن أبي طالب، وصاحبُ يس، ومؤمن آل فرعون[2].

وأورد الزمخشري قولَ ابن أبي ليلى حديثاً عن رسول الله ﷺ[3].

وتقدَّم قبلُ من حاله أنه كان مَجْذوماً عَبَد الأصنامَ سبعين سنة، فالله أعلم.

وهنا تقدَّم «من أقصى المدينة» وفي «القَصص» [الآية: ٢٠] تأخَّر، وهو من التَّفَنُّن في البلاغة.

---

(١) انظر الأقوال في مصادر الحاشية السالفة.

(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٤٥٠، وتفسير القرطبي ١٧/ ٤٣٢.

(٣) الكشاف ٣/ ٣١٩، وأخرجه أحمد في فضائل الصحابة (١٠٧٢) و(١١١٧)، والثعلبي في الكشف والبيان ٥/ ١٩٦ من طريق عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن أبيه، عن النبي ﷺ، وفي إسناده عمرو بن جميع البصري؛ قال الحافظ ابن حجر في تخريج أحاديث الكشاف ١٤٠: وهو متروك.
وأخرجه الطبراني في الكبير (١١١٥٢) من حديث ابن عباس ﷺ، قال ابن كثير: هذا حديث منكر، لا يعرف إلا من طريق حسين الأشقر، وهو متروك.

«رجلٌ يَسْعى» يمشي على قدَمَيه «قال يا قوم اتَّبعوا المرسَلين» الظاهر أنه لا يقول ذلك إلا بعد تقدُّم إيمانه كما سبق في قصَّته.

وقيل: جاء يَسعى وسمع قولَهم وفَهِمه، فلما فهمه رُوي أنه تعقَّب أمرَهم وسَبرَه بأنْ قال لهم: أتطلُبون أجراً على دعوتكم هذه؟ قالوا: لا، فدعا عند ذلك قومَه إلى اتِّباعهم والإيمانِ بهم، واحتجَّ عليهم بقوله: «اتَّبعوا مَن لا يسألكم أجراً وهم مُهْتَدون» أي: وهم على هُدًى من الله[١].

أمَرَهم أوّلاً باتِّباع المرسلين، أي: هم رُسُل الله إليكم فاتَّبعوهم، ثم أمرهم ثانياً بجُملةٍ جامعةٍ في الترغيب في كونهم لا يَنْقُص منهم من حُطام دُنياهم شيء، وفي كونهم يهتدون[٢] بهُداهم فيشتملون على خير الدنيا وخير الآخرة.

وقد أجاز بعض النحويّين في «مَن» أنْ تكون بدلاً من «المُرْسَلين» ظَهر فيه العاملُ كما ظهر إذا كان حرف جر؛ كقوله تعالى: ﴿لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ﴾ [الزخرف: ٣٣]. والجمهور لا يُعربون ما صُرِّح فيه بالعامل الرَّافع والنَّاصب بدلاً، بل يجعلون ذلك مخصوصاً بحرف الجر، وإذا ذُكر[٣] الرّافع والنّاصب سَمَّوا ذلك بالتَّبيع لا بالبدل.

وفي قوله: «اتَّبِعوا مَن لا يَسألكم أجْراً» دليلٌ على نَقْص مَن يأخذُ أجراً على شيء من أفعال الشَّرع التي هي لازمةٌ له كالصَّلاة[٤].

ولمّا أمرهم باتِّباع المُرْسَلين أخذ يُبدي التَّعليلَ[٥] في اتِّباعهم وعبادة الله، فأبرزه في صورةِ نُصْحِه لنفسه وهو يريد نُصحَهم؛ ليتلطَّف بهم ويُداريهم[٦]، ولأنه أدخَلُ في إمْحاضِ النُّصْح حيث لا يُريد لهم إلا ما يُريد لنفسه، فوضع قوله: «وما ليَ لا أعبدُ الذي فَطَرني» موضع: وما لكم لا تعبدون الذي فطركم، ولذلك

---

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٤٥٠.
(٢) في (ت ز٢): مهتدون، وهما سواء.
(٣) في (أ ت ز٢) والمطبوع: كان، والمثبت من (د٣ يه).
(٤) المحرر الوجيز ٤/ ٤٥٠.
(٥) في (أ ت ز٢) والمطبوع: الدليل، والمثبت من (د٣ يه).
(٦) في المطبوع: ويراد بهم (؟!)

قال: «وإليه تُرْجَعون» ولولا أنه قصَد ذلك لقال: وإليه أرجع[١].

ثم أتْبَعَ الكلامَ كذلك مُخاطباً لنفسه فقال: «أأتَّخذ من دونه آلهةً» قاصرةً عن كلِّ شيء، لا تشفَعُ، ولا تَضُرُّ ولا تَنْفع، فإنْ أرادَكم الله بضُرٍّ وشَفعت لكم لم تنفع شفاعتهم، ولم يَقدروا على إنقاذكم، فبدأ[٢] أوَّلاً بانتفاء الجاه في كون شفاعتهم لا تنفع، ثم ثانياً بانتفاء القُدْرة، فعبَّر بانتفاء الإنقاذِ عنه إذ هو نَتيجتُه.

وفتح ياء المتكلِّم في «يُرِدْنيَ» طلحةُ السَّمان ـ كذا في كتاب ابن عطيّة[٣]، وفي كتاب ابن خالويه: طلحة بن مُصَرِّف[٤] ـ وعيسى الهَمْداني وأبو جعفر، ورُويت عن نافع وعاصم وأبي عمرو.

وقال الزمخشري: وقرئ: «إنْ يَرِدْني الرَّحمنُ بضُرٍّ» بمعنى: إنْ يُورِدْني ضُرًّا، أي: يَجْعلني مَورداً للضُّرّ. انتهى[٥].

وهذا والله أعلم رأى في كتب القراءات «يُردني» بفتح الياء، فتوهّم أنها ياءُ المضارعة، فجعل الفعل متعدِّياً بالياء المُعدِّية كالهمزة، فلذلك أدخل عليه همزة التَّعدِية، ونصب به اثنَين، والذي في كتب القُرَّاء الشواذ أنها ياء الإضافة المحذوفة خَطًّا ونُطقاً لالتقاء السَّاكنين؛ قال في كتاب ابن خالويه: بفتح الياء ياء الإضافة. وقال في «اللّوامِح»: «إنْ يُردني الرحمن» بالفتح، وهو أصل الياء عند البَصَرية، لكن هذه محذوفة يعني البَصَرية، أي: المُثْبَتَة بالخطّ التي تُرى[٦] بالبَصَر لكونها مكتوبة، بخلاف المحذوفة خطًّا ولفظاً فلا تُرى بالبَصَر[٧].

«إنِّي إذاً» إنْ لم أعبُد الذي فَطَرني، واتَّخذتُ آلهةً من دونه في حَيْرَةٍ واضحةٍ لكلِّ ذي عَقْلٍ صَحيح.

---

(١) الكشاف ٣/ ٣١٩.
(٢) في المطبوع: عن كل شيء، لا تنفع ولا تضر... إنقاذكم فيه.
(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٤٥١.
(٤) في المطبوع: مطرف (تحريف)، وقراءته في مختصر في الشواذ ١٢٥.
(٥) الكشاف ٣/ ٣١٩.
(٦) في المطبوع: البربري، بدل: التي ترى، وهو تحريف.
(٧) قال الآلوسي ٢٢/ ٣٠٢ عقبه: وحسن الظن بالزمخشري يقتضي خلاف ما ذكره. وقال السمين ٩/ ٢٥٥: وهذا رجل ثقة قد نقل هذه القراءة فتقبل منه.

ثمَّ صَرَّح بإيمانه وصَدَع بالحقِّ فقال مُخاطباً لقومه: «إني آمنتُ بربِّكم» أي: الذي كفرتُم به «فاسْمَعون» أي: اسْمَعوا قولي وأطيعون، فقد نَبَّهتُكم على الحقّ، وأن العبادةَ لا تكون إلا لمَن منه نشأتُكم وإليه مرجعُكم.

والظاهر أنَّ الخطابَ بالكاف والميم وبالواو هو لقومه، والأمر على جهة المُبالغة والتنبيه. قاله ابن عباس وكعب ووَهْب.

وقيل: خاطب بقوله: «فاسْمَعون» الرُّسُل على جهة الاستشهاد بهم، والاستحفاظ للأمر عندهم.

وقيل: الخطاب في «بربِّكم» وفي «فاسمعون» للرُّسُل، لمّا نَصحَ قومَه أخذوا يَرْجمونه، فأسْرَع نحو الرُّسُل قبل أن يُقْتَل فقال ذلك، أي: اسمعوا إيماني تَشْهَدوا لي به[1].

«قيل ادخُل الجنَّة» ظاهره أنه أمرٌ حقيقيّ. وقيل: معناه: وَجَبت لك الجنَّة، فهو خبر بأنه قد استحقَّ دخولَها، ولا يكون إلا بعد البَعْث، ولم يأت في القرآن أنه قُتل. فقال الحسن: لمَّا أراد قومُه قتلَه رفعه الله إلى السماء، فهو في الجنة لا يموت إلا بفَناء السماء وهَلاك الجنة، فإذا أعاد الله الجنَّةَ دخلَها.

وقيل: لمّا قال ذلك رفعوه إلى الملِك، فطوَّل معهم الكلامَ ليَشْغَلَهم عن قتل الرُّسُل؛ إلى أنْ صَرَّح لهم بإيمانه، فوَثَبوا عليه فقتلوه، قيل: وقتَلوا الرُّسُل، فقال ابن مسعود: قتلوه بوَطْء الأرْجُل حتى خرج قُصْبُه[2] من دُبُره، وأُلقي في بئرٍ وهي الرَّسُّ، وهم أصحابُ الرَّسّ.

وقال السدّي: رَمَوْه بالحجارة وهو يقول: اللهمَّ اهْدِ قومي حتى مات.

وقال الكلبي: رَمَوْه في حُفرةٍ ورَدَموا التُّراب عليه فمات.

وعن الحسن: حَرَّقوه حَرْقاً، وعَلَّقوه في بَرّ[3] المدينة، وقبرُه في سور أنطاكية.

---

(١) تفسير الطبري ١٩/ ٤٢٣، والماوردي ٥/ ١٤، والقرطبي ١٧/ ٤٣٠، ومعاني القرآن للنحاس ٥/ ٤٨٧، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٥١، وزاد المسير ٧/ ١٣.

(٢) في المطبوع: قلبه، والقصب: الأمعاء.

(٣) في المطبوع: باب، وقول الحس كما في تفسير الثعلبي وعنه القرطبي: خرقوا خرقاً في حلقه وعلقوه في سور المدينة.

وقيل: نَشَروه بالمَناشير حتى خَرج[١] من بين رِجلَيه.

وعن قتادة: أدخله الله الجنة، وهو فيها حيٌّ يُرْزَق. أراد قوله تعالى: ﴿بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ۝ فَرِحِينَ﴾ [آل عمران: ١٦٩][٢].

وفي النسخة التي طالعنا من تفسير ابن عطية ما نصُّه: وقرأ الجمهور: «فاسمعونَ» بفتح النون، قال أبو حاتم: هذا خطأ لا يجوز لأنه أمرٌ، فإمَّا حَذف النُّون وإمَّا كَسرها على جهةِ الياء[٣]. انتهى. يعني ياء المتكلِّم، والنُّون للوقاية.

وقوله: وقرأ الجمهور؛ وَهْمٌ فاحِش، ولا يكون والله أعلم إلا من النَّاسخ، بل القُرَّاء مُجْمِعون فيما أعلم على كسرِ النون سَبْعتُهم وشواذُّهم، إلا ما رَوى عِصْمَة عن عاصم من فتح النون، ذكره في «الكامل» مؤلِّفه أبو القاسم الهُذَلي، ولعلَّ ذلك وَهْمٌ من عصمة[٤].

وقال ابن عطية: هنا محذوفٌ تواترت به الأحاديثُ والرِّوايات، وهو أنهم قتلوه، فقيل له عند موته: «ادخُل الجنة» وذلك والله أعلم بأنْ عُرِض عليه مَقعَدُه منها، وتحقَّق أنه من ساكنيها، يُرونه[٥] ما أقرَّ عينَه، فلما حَصَل ذلك تمنَّى أنْ يعلَم قومُه بذلك[٦]. انتهى.

وقوله: «قيل ادْخُل الجنَّة» كأنه جوابٌ لسائلٍ عن حاله عند لقاء ربِّه قال: كيف كان لقاءُ ربِّه بعد ذلك التَّصَلُّب في دينه؟ فقيل: «قيل ادخل الجنة» ولم يأتِ

(١) في (د٣ يه): خرّ.
(٢) انظر الأقوال السالفة في تفسير الطبري ١٩/ ٤٢٣-٤٢٥، ومعاني القرآن للزجاج ٤/ ٢٨٣، وللنحاس ٥/ ٤٨٧-٤٨٨، وتفسير الثعلبي ٥/ ١٩٥-١٩٦، والماوردي ٥/ ١٤، والقرطبي ١٧/ ٤٣٠-٤٣١، والكشاف ٣/ ٣١٩، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٥١، وزاد المسير ٧/ ١٣.
(٣) في المطبوع: البناء.
(٤) الذي في مطبوع المحرر الوجيز ٤/ ٤٥١: وقرأ الجمهور: فاسمعون بكسر النون على نية الياء بعدها، وروى أبو بكر عن عاصم: فاسمعون بفتح النون، قال أبو حاتم: هذا خطأ...
وعليه فلا وهم من ابن عطية، ونقل السمين ٩/ ٢٥٦ عن أبي حيان.
(٥) في المطبوع: فرأى.
(٦) المحرر الوجيز ٤/ ٤٥١.

التركيب: قيل له؛ لأنه معلومٌ أنه المخاطَب، وتمنِّيه علمَ قومه بذلك هو مُرَتَّب على تقدير سؤالٍ عمَّا وَجَد من قوله عند ذلك القول.

قيل: وأراد بتَمَنِّيه ذلك إشْفاقاً ونُصحاً لهم، أي: لو علموا ذلك لآمنوا بالله، وفي الحديث: «نَصَح قومَه حيًّا ومَيْتاً»[1].

وقيل: تمنَّى ذلك ليَعْلموا أنهم كانوا على خَطأ في أمره وهو على صَواب، فيَنْدَموا ويُحْزِنهم ذلك، ويُسَرُّ[2] بذلك، وموجود في طباع البَشَر أنّ مَن أصاب خيراً في غير مَوْطِنه وَدَّ أن يَعْلَم بذلك جيرانُه وأتْرابُه الذين نشأ فيهم.

وبلغَنا أن الوزير فلك[3] الدين المَسيري - وكان وزيراً لملك مصر - راح إلى قريته التي كان منها وهي مَسير - وهي من أصغر قُرى مصر - فقيل له في ذلك فقال: أردْتُ أن يراني عَجائز مَسير في هذه الحالة التي أنا فيها، وقال الشاعر:

والعِزُّ مَطْلوبٌ ومُلْتَمَسٌ وأحبُّه ما نيلَ في الوَطَنِ[4]

والظاهر أن «ما» في قوله: «بما غفَر لي ربِّي» مَصدريَّة، وجوَّزوا أن تكون بمعنى الذي والعائد محذوف، تقديره: بالذي غَفَره لي ربِّي من الذُّنوب.

وليس هذا بجيِّد؛ إذ يؤولُ إلى تمنِّي علمِهم بالذُّنوب المَغْفورة، والذي يَحْسن تمنِّي علمِهم بمغفرة ذنوبه وجَعْلِه من المُكْرَمين.

وأجاز الفراء أن تكون «ما» استفهاماً. وقال الكسائي: لو صَحَّ هذا - يعني الاستفهام - لقال: بمَ من غير ألف.

وقال الفراء: يجوز أن يقال: بما بالألف، وأنشد فيه أبياتاً[5].

---

(١) الكشاف ٣/ ٣١٩، قال ابن حجر في تخريجه ١٤٠: أخرجه ابن مردويه من حديث المغيرة بن شعبة مطولاً.
(٢) في المطبوع: ويبشر.
(٣) في المطبوع: ذنك.
(٤) المحرر الوجيز ٤/ ٤٥١ دون نسبة، وهو في يتيمة الدهر ٣/ ٢٣٦، ومعجم الأدباء ١٤/ ٢١ للصاحب بن عباد.
(٥) تفسير القرطبي ١٧/ ٤٣١، وعنه نقل كلام الفراء والكسائي، وانظر معاني القرآن للفراء ٢/ ٣٧٤-٣٧٥.

وقال الزمخشري: ويَحتملُ أن تكون استفهاميَّة، يعني: بأيِّ شيءٍ غفر لي ربّي؟ يُريد ما كان منه معهم من المُصابَرَة لإعزازِ دين الله حتى قُتِل، إلا أن قولك: بم غفر لي ربي بطرح[1] الألف أجْوَد، وإنْ كان إثباتُها جائزاً؛ فقال: قد علمتُ بما صَنَعْتَ هذا وبمَ صَنعت[2]. انتهى.

والمشهور أن إثباتَ الألف في ما الاستفهامية إذا دخل عليها حرفُ جرٍّ مُخْتَصٌّ بالضَّرورة؛ نحو قوله:

على ما قام يَشْتِمُني لَئيمٌ كخِنْزيرٍ تمرَّغَ في رَمادِ[3]

وحذفُها هو المعروف في الكلام، نحو قوله:

عَلامَ تقولُ الرُّمحَ يُثقِلُ كاهلي إذا أنا لم أطْعَنْ إذا الخَيلُ كَرَّتِ[4]

وقُرئ: «من المُكَرَّمِين» مُشَدَّدَ الراء مفتوحَها مفتوح الكاف[5]، والجمهور بإسكان الكاف وتخفيف الرَّاء.

* * *

﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِن جُندٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ﴿٢٨﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ ﴿٢٩﴾ يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٠﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٣١﴾ وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٣٢﴾ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ

(١) في المطبوع: حتى قيل إن قولك بما غفر لي ربي يريد ما كان منه معهم بطرح. وهذا سياق مضطرب.
(٢) الكشاف ٣/ ٣٢٠.
(٣) البيت لحسان بن ثابت، وسلف في تفسير الآية (١٢٠) من سورة آل عمران.
(٤) البيت لعمرو بن معد يكرب، وهو من قصيدة له في حماسة أبي تمام ١٥٩ (بشرح المرزوقي)، وشرح أبيات المغني ٣/ ٢٣٦، وخزانة الأدب ٢/ ٤٣٦، وشرح التسهيل لابن مالك ٣/ ١٦٥ (طبعة هجر).
(٥) الكشاف ٣/ ٣٢٠، وتفسير القرطبي ١٧/ ٤٣٢.

كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلۡأَرۡضُ وَمِنۡ أَنفُسِهِمۡ وَمِمَّا لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَءَايَةٞ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ
ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظۡلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴿٣٨﴾
وَٱلۡقَمَرَ قَدَّرۡنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ
وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ﴿٤٠﴾ وَءَايَةٞ لَّهُمۡ أَنَّا حَمَلۡنَا ذُرِّيَّتَهُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ
ٱلۡمَشۡحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقۡنَا لَهُم مِّن مِّثۡلِهِۦ مَا يَرۡكَبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِن نَّشَأۡ نُغۡرِقۡهُمۡ فَلَا صَرِيخَ لَهُمۡ وَلَا هُمۡ
يُنقَذُونَ ﴿٤٣﴾ إِلَّا رَحۡمَةٗ مِّنَّا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٖ ﴿٤٤﴾﴾.

أخبر تعالى بإهلاكِ قومِ حَبيب بصَيْحةٍ واحدة صاح بهم جبريل، وفي ذلك تَوَعُّدٌ لقُريش أن يُصيبَهم ما أصابهم إذْ هم المضروبُ لهم المثَل، وأخبر تعالى أنه لم يُنزل عليهم لإهلاكهم جُنداً من السَّماء كالحجارة والريح وغير ذلك، وكانوا أهْوَنَ عليه.

وقوله: «من بعده» يدلُّ على ابتداء الغاية، أي: لم يُرْسل إليهم رسولاً، ولا عاتَبهم بعد قتله، بل عاجَلَهم بالهَلاك.

والظّاهر أن «ما» في قوله: «وما كنَّا مُنْزلين» نافية، فالمعنى قريبٌ من معنى الجملة قبلها، أي: وما كان يَصِحُّ في حُكمنا أن نُنْزِلَ[١] في إهلاكهم جُنْداً من السماء، لأنه تعالى أجْرَى هَلاك كلِّ قومٍ على بعض الوجوه دون بعض، كما قال: ﴿فَكُلًّا أَخَذۡنَا بِذَنۢبِهِۦ﴾ الآية [العنكبوت: ٤٠].

وقالت فرقة: «ما» اسم معطوف على «جُند» قال ابن عطية: أي: من جُنْدٍ ومن الذي كُنَّا مُنْزِلين على الأُمم مثلهم[٢]. انتهى.

وهو تقدير لا يصحُّ لأن «من» في «من جُنْدٍ» زائدة. ومذهب البصريين غير الأخفش أن لزيادتها شرطَيْن؛ أحدهما: أن يكون قبلها نفيٌ أو نهيٌ أو استفهام، والثاني أن يكون بعدها نكرة، وإن كان كذلك فلا يجوز أن يكون المعطوفُ على النَّكرة معرفة؛ لا يجوز: ما ضربتُ من رجلٍ ولا زيد، ولأنه لا يجوز: ولا من زيد، وهو قدَّر المعطوف بالذي، وهو معرفة فلا يُعْطَف على النَّكرة المجرورة بمن الزائدة[٣].

---

(١) في (أ يه): ينزل، وهما سواء.
(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٤٥٢.
(٣) انظر ارتشاف الضرب ١٧٢٣.

وقال أبو البقاء: ويجوز أن تكون «ما» زائدة، أي: وقد كنَّا مُنْزِلين[١]. وقوله ليس بشيء.

وقرأ الجمهور: «إنْ كانت إلا صَيْحةً» بنصب الصَّيحة، وكان ناقصة، واسمُها مُضْمَر، أي: إنْ كانت الأخذَةُ أو العقوبةُ.

وقرأ أبو جعفر وشَيْبة ومعاذ بن الحارث القارئ: «صَيْحةٌ» بالرفع في الموضعَين[٢]؛ على أن كانت تامة، أي: ما حَدثت أو وَقَعت إلا صَيْحةٌ، وكان الأصل أنْ لا تلْحَق التاء؛ لأنه إذا كان الفعل مُسْنَداً[٣] إلى ما بعد إلا من المؤنث لم تلحق العلامةُ للتأنيث فتقول: ما قام إلا هند، ولا يجوز ما قامت إلا هند عند أصحابنا إلا في الشّعر، وجَوَّزه بعضُهم في الكلام على قِلَّة.

ومثلُه قراءة الحسن ومالك بن دينار وأبي رَجاء والجَحْدَري وقتادة وأبي حَيْوَة وابن أبي عَبْلَة وأبي بَحْريَّة: «لا تُرى إلا مَساكنُهم» [الأحقاف: ٢٥] بالتاء[٤]، والقراءة المشهورة بالياء، وقولُ ذي الرُّمَّة:

وما بَقيتْ إلا الضُّلوعُ الجَراشِعُ[٥]

وقولُ الآخر[٦]:

ما بَرِئتْ من رِيبةٍ وذَمّْ ... في حَرْبِنا إلا بناتُ العَمّْ

(١) إملاء ما من به الرحمن ٢/ ٢٠٢.
(٢) معاني القرآن للفراء ٢/ ٣٧٥، وللزجاج ٤/ ٢٨٤، وللنحاس ٥/ ٤٨٨، وإعراب القرآن له ٣/ ٣٩٠، وتفسير الطبري ١٩/ ٤٢٨، ومختصر في الشواذ ١٢٥، والمحتسب ٢/ ٢٠٦، وتفسير الثعلبي ٥/ ١٩٦، والكشاف ٣/ ٣٢٠، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٥٢، وتفسير القرطبي ١٧/ ٤٣٤، والنشر ٢/ ٣٥٣.
(٣) في (د٣): مستنداً.
(٤) سيرد تخريجها في موضعها، وانظر المحتسب ٢/ ٢٦٥، وشرح التسهيل ٢/ ١١٤.
(٥) صدره: طوى النَّحْزُ والأجْرازُ ما في غُروضها، وهو في ديوانه ٢/ ١٢٩٦، والكشاف ٣/ ٣٢٠، يصف ناقته يقول: طوى وهزل ما أصابها من شدة الاستحثاث والركض والسير في الأرض، والغروض جمع غرْض: حزام الرحل، والجراشع: المنتفخ الجنبين.
(٦) في (يه): وقال آخر، والبيت في شرح التسهيل ٢/ ١١٤ دون نسبة.

وأنكر أبو حاتم وكثير من النحويِّين هذه القراءة بسبب لُحوقِ[١] تاء التأنيث.

«فإذا هم خامدون» أي: فاجَأهم الخُمودُ إثْرَ الصَّيْحة لم يتأخَّر، وكَنَى بالخُمود عن سُكونهم بعد حياتهم، كنارٍ خَمدت بعد توَقُّدِها.

ونداءُ الحَسْرةِ على معنى: هذا وقتُ حُضورِك وظُهورِك، هذا تقديرُ نداءِ مثلِ هذا عند سيبويه، وهو منادى مَنْكور على قراءة الجمهور[٢].

وقرأ أُبيّ وابن عباس وعليُّ بن الحسين والضحَّاك ومجاهد والحسن: «يا حَسْرَةَ العِبادِ» على الإضافة[٣]، فيجوز أن تكونَ الحَسْرَةُ منهم على ما فاتَهم، ويجوز أن تكون الحَسْرةُ من غيرهم عليهم لِما فاتهم من اتِّباع الرُّسُل حين أُحْضِروا للعَذاب، وطِباعُ البَشر تتأثَّرُ عند مُعايَنةِ عَذابِ غيرِهم، وتتحَسَّرُ عليهم.

وقرأ أُبيّ أيضاً وقتادة: «يا حَسْرَةٌ على العباد» بضمِّ التاء، نكرةً مُقْبِلاً عليها[٤].

وقرأ أبو الزِّناد عبد الله بن ذَكْوان المدني وابن هُرْمُز وابن جُنْدب: «يا حَسْرَهْ على العباد» بسكون الهاء في الحالَيْن[٥]، حُمِل فيه الوَصْلُ على الوَقْف، وقفوا على الهاء مُبالغةً في التَّحَسُّر لما في الهاء من التَّأَهُّهِ كالتَّأَوُّه، ثم وَصَلوا على تلك الحال. قاله صاحبُ «اللوامِح»[٦].

وقال ابن خالويه: «يا حَسْرَةَ على العباد» بغير تنوين ابن عباس[٧]. انتهى.

---

(١) في (أ يه): لحق، وهما بمعنى، ونقل إنكار أبي حاتم: النحاس في إعراب القرآن ٣/ ٣٩٠، وعنه القرطبي ١٧/ ٤٣٤.

(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٤٥٢، وانظر الكتاب ٢/ ٢١٧.

(٣) معاني القرآن للنحاس ٥/ ٤٨٩، ومختصر في الشواذ ١٢٥، والمحتسب ٢/ ٢٠٨، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٥٢، وتفسير القرطبي ١٧/ ٤٣٥.

(٤) مختصر في الشواذ ١٢٥. وهذه القراءة ليست في المطبوع.

(٥) مختصر في الشواذ ١٢٥، والمحتسب ٢/ ٢٠٨، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٥٢، وتفسير القرطبي ١٧/ ٤٣٧، ونسبها الثعلبي ٥/ ١٩٦ والقرطبي إلى عكرمة.

(٦) ونقله السمين ٩/ ٢٦٠، والآلوسي ٢٢/ ٣١١.

(٧) مختصر في الشواذ ١٢٥.

ووجْهُه أنه اجتزأ بالفتحة عن الألف التي هي بدلٌ من ياء المتكلِّم في النِّداء، كما اجتزأ بالكسرة عن الياء فيه.

وقد قُرئ: «يا حَسْرَتا» بالألف، أي: يا حَسْرَتي، ويكون[١] من الله على سَبيلِ الاستعارة في معنى تَعظيم ما جَنَوْه على أنفُسهم، وفَرْطِ إنكاره وتَعجيبه منه.

والظاهر أنَّ «العِباد» هم مُكذِّبو الرُّسُل، تحسَّرت عليهم الملائكة. وقاله الضحَّاك.

وقال الضحاك أيضاً: المعنى: يا حَسْرَةَ الملائكة على عِبادنا الرُّسُلِ حين لم يَنْفَعْهم الإيمانُ بهم.

وقال أبو العالية: المُرادُ بالعباد: الرُّسُل الثلاثة، وكأن هذا التَّحَسُّر هو من الكفار حين رأوا عَذابَ الله، تلَهَّفوا على ما فاتَهم. قال ابن عطية: وقولُه: «ما يأتيهم» الآية يَدْفع هذا التأويل[٢]. انتهى.

قال الزجَّاج: الحَسْرَةُ: أمرٌ يَرْكَب الإنسان من شِدَّة[٣] النَّدَم ما لا نهايةَ له حتى يبقى حَسيراً.

وقيل: المنادى محذوف، وانتصب «حَسْرَةً» على المَصْدر، أي: يا هؤلاء تَحَسَّروا حَسْرَةً.

وقيل: «يا حَسْرَةً على العباد» من قولِ الرَّجُل الذي جاء من أقصى المدينة يَسْعى لمّا وَثَب القومُ لقتله.

وقيل: هو من قولِ الرُّسُل الثلاثة، قالوا ذلك حين قَتلوا ذلك الرجل وحلَّ بهم العَذاب قالوا: «يا حَسْرَةً على العباد» هؤلاء، كأنهم تمنَّوا أن يكونوا قد آمنوا[٤]. انتهى.

---

(١) يعني النداء كما في الكشاف وقد ذكر هذه القراءة ٣/ ٣٢٠-٣٢١.
(٢) انظر الأقوال في إعراب القرآن ٣/ ٣٩٢، وتفسير الثعلبي ٥/ ١٩٦، والماوردي ٥/ ١٥، والقرطبي ١٧/ ٤٣٧، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٥٢.
(٣) في (أ ت ز٢) والمطبوع: كثرة، والمثبت من (د٣ يه)، وانظر معاني القرآن ٤/ ٢٨٥.
(٤) انظر الأقوال في مصادر الحاشية قبل الماضية.

فالألف واللام للعَهْد إذا قلنا إن العبادَ المرادُ بهم الرُّسُل الثلاثة، أو مَن أرسلوا إليه؛ وهم الهالكون بسبب كُفرهم وتكذيبهم إياهم. والظاهر أنها لتعريف الجنس جنسِ الكُفَّار المُكَذِّبين.

وتلخَّص أن المُتَحَسِّر الملائكة، أو الله تعالى، أو المؤمنون، أو الرُّسُل الثلاثة، أو ذلك الرجل، أقوال.

«ما يأتيهم» إلى آخر الآية تمثيلٌ لقريش، وهم الذين عاد عليهم الضَّمير في قوله: «ألم يَرَوْا كم أهْلَكْنا».

قال ابن عطية: و«كم» هنا خَبريّة، و«أنهم» بدلٌ منها، والرُّؤية رؤية البَصَر[1]. انتهى.

وهذا لا يصحُّ؛ لأنها إذا كانت خبريَّةً فهي في موضع نصبٍ بـ «أهْلَكنا» ولا يَسوغُ فيها إلا ذلك، وإذا كان كذلك امتنع أن يكون «أنهم» بدلٌ منها؛ لأن البدل على نيَّةِ تكرار العامل، ولو سُلِّطَت «أهْلَكْنا» على «أنهم» لم يصحّ، ألا ترى أنك لو قلت: أهلَكْنا انتفاءَ رُجوعِهم، أو أهْلَكْنا كونَهم لا يرجعون؛ لم يكن كلاماً. لكنَّ ابنَ عطيَّة توهَّم أن «يَرَوا» مفعولُه «كم» فتوَهَّم أن قوله[2]: أنهم لا يرجعون بدلٌ، لأنه يُسَوِّغ أن يتَسَلَّط عليه فيقول: ألم يروا أنهم لا يَرْجعون. وهذا وأمثالُه دليلٌ على ضعفه في علم العربية[3].

وقال الزجَّاج: هو بدلٌ من الجملة، والمعنى: ألم يَرَوْا أنَّ القرونَ التي أهلكناها أنّهم لا يرجعون؛ لأن عدمَ الرُّجوع والهَلاك بمعنى. انتهى[4].

---

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٤٥٢.

(٢) في (أ ت ز٢) والمطبوع: قولهم، والمثبت من (د٣ يه).

(٣) قال السمين الحلبي في الدر المصون ٩/ ٢٦١: وهذا الإنحاء تحامل عليه؛ لأنه لقائل أن يقول: «كم» قد جعلها خبرية، والخبرية يجوز أن تكون معمولة لما قبلها عند قوم فيقولون: ملكتُ كم عبدٍ، فلم يلزم الصدر، فيجوز أن يكون بنى هذا التوجيه على هذه اللغة، وجعل «كم» منصوبة بيروا، و«أنهم» بدل منها، وليس هو ضعيفاً في علم العربية حينئذ.

(٤) في المطبوع: النهي، وهو تحريف، وانظر معاني القرآن للزجاج ٤/ ٢٨٥.

وهذا الذي قاله الزجاج ليس بشيء؛ لأنه ليس بدَلاً صناعيًّا، وإنما فسَّر المعنى ولم يَلْحظ صنعةَ النحو[(١)].

وقال أبو البقاء: «أنهم إليهم لا يرجعون» بدلٌ من موضع «كم أهلكنا» والتقدير: ألم يروا أنهم إليهم. انتهى[(٢)]. وليس بشيء لأن «كم أهلكنا» ليس بمعمول لـ «يَرَوْا»[(٣)].

ونُقل عن الفَرَّاء أنه يُعْمِل «يَرَوا» في الجملتين من غير إبدال[(٤)].

وقوله: في الجملتين تَجَوُّز؛ لأن «أنهم» وما بعده ليس بجُملة، ولم يُبَيِّن كيفيّة هذا العَمَل.

وقال الزمخشري: «ألم يَرَوْا» ألم يَعْلَموا، وهو مُعلَّقٌ عن العمل في «كم» لأن «كم» لا يَعمل فيها عاملٌ قبلَها كانت للاستفهام أو للخبر؛ لأن أصلَها للاستفهام، إلا أن معناها نافذٌ في الجملة، كما نفذ في قولك: ألم يَرَوا إن زيداً لمُنْطلقٌ، وإنْ لم تعمل في لفظه، و«أنهم إليهم لا يرجعون» بدلٌ من «كم أهلكنا» على المعنى لا على اللفظ، تقديره: ألم يروا كَثرةَ إهلاكِنا القرونَ من قبلهم كونَهم غيرَ راجعين إليهم[(٥)]. انتهى.

فجعل «يَرَوْا» بمعنى يعلموا وعَلَّقها عن العمل في «كم»، وقوله: لأن «كم» لا يَعْمَل فيها ما قبلها كانت للاستفهام أو للخبر، وهذا ليس على إطلاقه؛ لأن العامل إذا كان حرف جَرّ أو اسماً مضافاً[(٦)] جاز أن يَعمل فيها، نحو: على كم جِذْعٍ بيتُك، وابنَ كم رئيسٍ صَحِبتَ؟ وعلى كم فقيرٍ تصدّقتُ أرجو الثوابَ، وابنُ كم شهيدٍ في سبيل الله أحسنتُ إليه.

---

(١) قال السمين ٩/ ٢٦١: بل هو بدل صناعي؛ لأن الجملة في قوة المفرد إذ هي سادة مسد مفعول «يروا»، فإنها معلقة لها كما تقدم.

(٢) إملاء ما من به الرحمن ٢/ ٢٠٣. وفي المطبوع: وقال أبو البقاء أنهم إليهم. انتهى (؟!).

(٣) قال السمين ٩/ ٢٦٣: تقدم أنها معمولة لها على معنى أنها معلقة لها.

(٤) معاني القرآن للفراء ٢/ ٣٧٦، ونقله عنه النحاس في إعراب القرآن ٣/ ٣٩٢، وعنه القرطبي ١٧/ ٤٣٨، وردّ عليه النحاس.

(٥) الكشاف ٣/ ٣٢١.

(٦) في (د٣): مصدراً.

وقوله: أو للخَبَر؛ الخبريَّة فيها لغتان: الفصيحةُ كما ذكر لا يتقدَّمُها عاملٌ إلا ما ذكرنا من الجارّ، واللغة الأُخرى حكاها الأخفش، يقولون فيها: ملكتُ كم غلامٍ، أي: ملكتُ كثيراً من الغِلْمان، فكما يجوز أن يَتقدَّم العاملُ على كثير، كذلك يجوز أن يتقدَّم على كم لأنها بمعناها.

وقوله: لأن أصلها الاستفهام، ليس أصلُها الاستفهام، بل كلٌّ واحدةٍ أصلٌ في بابها، لكنها لفظٌ مُشْتَرَكٌ بين الاستفهام والخبر.

وقوله: إلا أن معناها نافذٌ في الجملة، يعني معنى «يَرَوْا» نافذٌ في الجملة؛ لأنه جعلها مُعَلَّقة، وشرح «يَرَوْا» بيعلموا.

وقوله: كما نَفَذ في قولك: ألم يروا إن زيداً لمنطلق، فإن زيداً لمنطلقٌ معمولٌ من حيث المعنى ليَرَوا، ولو كان عاملاً من حيث اللَّفظ لم تدخل اللام، وكانت إن مفتوحة، فإن وفي خبرها اللام من الأدوات التي تُعلِّق أفعالَ القلوب.

وقوله: و«أنهم إليهم لا يَرْجِعون» إلى آخر كلامه؛ لا يصحُّ أنْ يكون بدلاً لا على اللَّفْظ ولا على المعنى، أمَّا على اللفظ فإنه زعَم أن«يَرَوْا» مُعَلَّقَةٌ، فتكون «كم» استفهاماً، وهو معمولٌ لـ «أهلَكْنا» و«أهلكنا» لا يَتَسَلَّط على «أنهم إليهم لا يَرْجعون»، وتقدَّم لنا ذلك.

وأمَّا على المعنى فلا يصحُّ أيضاً لأنه قال: تقديرُه أي: على المعنى: ألم يَرَوْا كَثْرةَ إهلاكِنا القرونَ من قبلهم كونَهم غيرَ راجعين إليهم، فكونُهم غير كذا ليس كثرةَ الإهلاك، فلا يكون بدلَ كُلٍّ من كل، ولا بَعْضاً من الإهلاك، فلا يكون بدلَ بعضٍ من كُلّ، ولا يكون بدلَ اشتمال؛ لأن بدلَ الاشتمال يصحُّ أنْ يُضافَ إلى ما أُبْدِلَ منه، وكذلك بدلُ بعضٍ من كل، وهذا لا يصحُّ هنا، لا تقول: ألم يَرَوْا انتفاءَ رُجوعِ كَثْرةِ إهلاكِنا القرونَ من قبلهم، وفي بدل الاشتمال نحو: أعجبتني الجاريةُ مَلاحتُها، وسُرِق زيدٌ ثوبُه، يصحُّ: أعجبتني مَلاحَةُ الجارية، وسُرِق ثوبُ زيد[١].

(١) نقل جميع ذلك السمين الحلبي في الدر المصون ٩/ ٢٦٢-٢٦٣.

وتقدَّم لنا الكلامُ على إعراب مثل هذه الجملة في قوله: ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ﴾في سورة الأنعام [الآية: ٦].

والذي تَقتضيه صناعةُ العربية أنّ «أنهم» معمولٌ لمحذوف، ودلَّ عليه المعنى، وتقديرُه: قَضَيْنا أو حَكَمْنا أنهم إليهم لا يرجعون.

وقرأ ابن عباس والحسن «إنهم» بكسر الهمزة[١] على الاستئناف، وقَطْعِ الجملة عمّا قبلها من جهة الإعراب، ودلَّ ذلك على أن قراءة الفتح مقطوعةٌ عمَّا قبلها من جهة الإعراب لتتَّفق القراءتان ولا تختلفا.

والضمير في «أنهم» عائدٌ على معنى «كم» وهي القرون، و«إليهم» عائدٌ على مَن أُسْنِد إليه «يَرَوْا» وهم قريش، فالمعنى: أنهم لا يَرْجعون إلى مَن في الدُّنيا.

وقيل: الضَّمير في «أنهم» عائدٌ على مَن أُسْنِد إليه «يَرَوْا» وفي «إليهم» عائدٌ على المُهْلَكين، والمعنى: أن الباقين لا يَرْجعون إلى المُهْلَكين بنَسَبٍ ولا ولادة، أي: أهْلَكْناهم وقطعنا نَسْلَهم. والإهلاكُ مع قطعِ النَّسْل أتمُّ وأعَمُّ.

وقرأ عبد الله: «ألم يروا مَنْ أهْلَكْنا»[٢] و«أنهم» على هذا بدلُ اشتمال.

وفي قوله: «أنهم إليهم لا يرجعون» ردٌّ على القائلين بالرَّجْعة. وقيل لابن عباس: إن قوماً يَزْعمون أن عليًّا مبعوثٌ قبل يوم القيامة، فقال: بئس القومُ نحن إذن[٣]، نَكَحْنا نساءه، وقَسَمْنا ميراثَه.

وقرأ عاصم وحمزة وابن عامر بتَثْقيل «لمَّا» وباقي السَّبعةِ بتخفيفها[٤].

فمَن ثَقَّلَها كانت عنده بمعنى الأوان نافية، أي: ما كلٌّ، أي: كُلُّهم إلا جميعٌ

---

(١) معاني القرآن للفراء ٢/ ٣٧٦، وللنحاس ٥/ ٤٩٠، ومختصر في الشواذ ١٢٥، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٥٢، والكشاف ٣/ ٣٢١، وتفسير القرطبي ١٧/ ٤٣٩.
(٢) معاني القرآن للفراء ٢/ ٣٧٦، وللنحاس ٥/ ٤٩٠، وإعراب القرآن ٣/ ٣٩٢، والكشاف ٣/ ٣٢١، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٥٢، وتفسير القرطبي ١٧/ ٤٣٩.
(٣) في المطبوع: ليس القوم نحن إذا، وهو تحريف، والخبر في الكشاف ٣/ ٣٢١.
(٤) التيسر ١٢٦، والنشر ٢/ ٢٩١، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٥٢، وتفسير القرطبي ١٧/ ٤٣٩.

لدينا مُحْضَرون، أي: مَحْشورون. قاله قتادة. وقال ابن سَلَّام: مُعَذَّبون[١]. وقيل: التقدير: لمَن ما، وليس بشيء.

ومَن خَفَّف «لَمَا» جعل «إنْ» المُخَفَّفة من الثقيلة، وما زائدة، أي: إنْ كلٌّ لَجَميع، وهذا على مذهب البصريين، وأما الكوفيُّون فإنْ عندهم نافية، واللام بمعنى إلا، وما زائدة.

ولمّا المُشَدَّدة بمعنى إلا ثابتٌ في لسان العرب بنَقْلِ الثِّقات؛ فلا يُلْتَفت إلى زَعْم الكسائي أنه لا يعرف ذلك[٢].

وقال أبو عبد الله الرازي: في كون «لَمَّا» بمعنى إلا معنًى مُناسبٌ، وهو أن «لمَّا» كأنها حَرْفا نفي جميعاً، وهما: لم وما، فتأكَّد النفي، و«إلا» كأنها حَرْفا نفي: إنْ ولا، فاستُعمل أحدُهما مكانَ الآخر[٣]. انتهى.

وهذا أخَذَه من قول الفَرَّاء في «إلا» في الاستثناء: إنّها مُرَكَّبة من إنْ ولا، إلا أن الفراء جعل «إنْ» المُخَفَّفة من الثَّقيلة[٤] حرفَ نَفْي[٥]، وهو قول مَرْذُولٌ عند النُّحاة رَكيك وما تَرَكَّب منه، وزاد تَحْريفاً أركَّ منه.

و«كُلٌّ» بمعنى الإحاطة، و«جَميعٌ» فَعيل بمعنى مفعول، ويدلُّ على الاجتماع، وجميعٌ مُحْضَرون هنا على المعنى، كما أُفرد ﴿مُّنتَصِرٌ﴾ [القمر: ٤٤] على اللفظ، وكلاهما بعد جَميع مُراعًى فيه الفَواصِل.

وجاءت هذه الجملة بعد ذكر الإهلاك تَبْييناً أنّه[٦] تعالى ليس من أهْلَكَهُ يُتْرَك[٧]،

---

(١) النكت والعيون ٥/ ١٦، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٥٢، وتحرف ابن سلام إلى ابن هشام في (د٣ يه).

(٢) نقله عن الكسائي الفراء في معاني القرآن ٢/ ٣٧٧، والنحاس في إعراب القرآن ٣/ ٣٩٣، والقرطبي ١٧/ ٤٣٩.

(٣) التفسير الكبير ٢٦/ ٦٤-٦٥.

(٤) تكرر بعدها في المطبوع ماسلف من قوله: وما زائدة أي إن كل لجميع... إلى قوله: بنقل الثقات.

(٥) معاني القرآن للفراء ٢/ ٣٧٧.

(٦) في (ت): تنبيهاً على أنه.

(٧) في المطبوع: أهله يترك (؟!).

بل بعد إهْلاكِهم جَمعٌ وحساب، وثوابٌ وعِقاب؛ ولذلك أعقبَ هذا بما يدلُّ على الحَشْر من قوله: «وآيةٌ لهم الأرضُ المَيْتَةُ أحْيَيْناها» وما بعده من الآيات.

وبدأ بالأرض لأنها مُسْتَقَرُّهم حركةً وسكوناً، حياةً وموتاً، ومَوْتُ الأرض جَدْبُها، وإحياؤها بالغَيْث.

والضمير في «لهم» عائد على كُفّار قريش ومَن يجري مَجراهم في إنْكار الحَشْر.

و«أحْيَيْناها» استئنافُ بيانٍ لكون الأرضِ المَيْتة آيةً، وكذلك «نَسْلَخ».

وقيل: «أحييناها» في موضع الحال، والعامل فيها «آية» بما فيها من معنى الإعلام، وتكون «آية» خبراً مُقدَّماً، و«الأرضُ المَيْتةُ» مبتدأ، فالنيَّةُ بـ «آية» التأخير، والتقدير: والأرضُ الميتة آيةٌ لهم مُحياةً، كقولك: قائمٌ زيدٌ مُسْرعاً، أي زيدٌ قائمٌ مسرعاً، و«لهم» مُتَعَلِّق بآية لا صِفَة(١).

وقال الزمخشري: ويجوز أنْ تُوصَف الأرضُ والليل بالفعل؛ لأنه أُريد بهما الجنسان مُطلَقَين، لا أرضٌ وليلٌ بأعيانهما(٢)، فعُومِلا مُعاملةَ النَّكرات في وَصْفهما بالأفعال، ونحوُه:

ولقد أمُرُّ على اللَّئيم يَسُبُّني(٣)

انتهى.

وهذا هَدْمٌ لما استقرَّ عند أئمةِ النَّحو من أن النَّكِرةَ لا تُنْعَت إلا بالنَّكرة، والمعرفة لا تُنْعَت إلا بالمعرفة، ولا دليلَ لمَن ذهب إلى ذلك، وأما يَسُبُّني فحال، أي: سابًّا لي، وقد تبع الزمخشريَّ ابنُ مالك على ذلك في «التسهيل» من تأليفه(٤).

---

(١) قال الآلوسي ٢٢/٣١٧: وهو تكلف ركيك، وانظر رد السمين الحلبي ٩/٢٦٦.

(٢) في المطبوع: بإحيائهما.

(٣) تمامه: فمضيت ثمت قلت لا يعنيني، وسلف في تفسير الآية (٩٨) من سورة النساء، والكلام في الكشاف ٣/ ٣٢١.

(٤) ص ١٦٧، وانظر شرحه لابن مالك ٣/٣٠٧ فما بعدها، وردّ على أبي حيان رأيه هذا الآلوسي في روح المعاني ٢٢/٣١٧.

وفي هذه الجُمل تَعَدُّدُ نِعَم؛ إحياؤها بحيث تصيرُ مُخْضَرَّةً تُبهِجُ النفسَ والعين، وإخراجُ الحبِّ منها حيث صار ما يَعيشون به في المكان الذي هم فيه مُسْتَقرُّون، لا في السماء ولا في الهواء، وجَعْلُ الجنَّات لأنه إذا أكلوا[١] من الحَبِّ رُبَّما تاقت النَّفْس إلى التَّفَكُّه[٢]، فالأرضُ يؤخَذُ منها الحَبّ، والشَّجر يؤخذُ منه الثَّمر، وتفجيرُ العيون يَحصل به الاعتمادُ على تحصيل الزَّرع والثَّمَر، ولو كان من السماء لم يُدْرَ أين يُغْرَس، ولا أين يَقعُ المَطر.

وقرأ جَناح بن حُبَيْش: «وفَجَرْنا» بالتخفيف[٣]، والجمهور بالتَّشديد، و«من ثَمَره» بفتحتَين، وطلحة وابن وَثَّاب وحمزة والكسائي بضمَّتَين، والأعمش بضم الثاء وسكون الميم[٤].

والضَّمير في «ثَمَره» عائدٌ قيل: على الماء لدلالة العيونِ عليه، أو لكونه على حذف مضاف، أي: من ماء العيون، وقيل: على النَّخيل، واكتُفي به ليُعْلَم اشتراكُ الأعناب[٥] فيما عُلِّق[٦] به النخيلُ من أكل ثَمَره، أو يُراد من ثَمَر المذكور وهو الجنَّات، كما قال رؤبة[٧]:

فيها خُطوطٌ من بَياضٍ[٨] وبَلَقْ ... كأنه في الجِلْدِ توليعُ البَهَقْ

فقيل له: كيف قلت ـ يَعْنُون: كأنه والذي تقدَّم خُطوطٌ؟ فقال: أردتُ: كأنَّ ذاك.

---

(١) في المطبوع: لأنهم أكلوا.
(٢) في (أ ت) والمطبوع: النقلة، وفي (ز٢): البقلة، والمثبت من (د٣ يه).
(٣) مختصر في الشواذ ١٢٥.
(٤) السبعة ٢٦٤، والتيسير ١٠٥، والنشر ٢/ ٢٦٠، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٥٣، وتفسير القرطبي ١٧/ ٤٤٠، والثعلبي ٥/ ١٩٧.
(٥) في (أ ت ز٢) والمطبوع: للعلم في اشتراك الأعيان.
(٦) في (د٣): تعلق.
(٧) في (أ ت ز٢) والمطبوع: كما قال الشاعر، والمثبت من (د٣ يه).
(٨) في النسخ (أ ت ز٢) والمطبوع وديوانه ١٠٤: سواد، والمثبت من (د٣ يه) والكشاف ٣/ ٣٢٢، وعنه ينقل المصنف، وسلف البيت والكلام الآتي عليه في تفسير الآية (٦٨) من سورة البقرة.

وقيل: عائدٌ إلى التَّفجير الدَّالِّ عليه «وفَجَّرْنا» لأنه أقربُ مذكور، وعَنى بـ «ثَمَرِه» فوائدَه، كما تقول: ثَمَرَةُ التِّجارة الرِّبحُ.

وقال الزمخشري: وأصلُه: من ثَمَرِنا، كما قال: «وجَعَلْنا، وفَجَّرْنا» فنَقَل الكلامَ من التَكَلُّم إلى الغَيْبَة على طريق الالتفات، والمعنى: ليَأكلوا مما خلَقَه الله من الثَّمر، وممَّا عَمِلَتْه أيديهم من الغَرْس والسَّقي والآبار، وغير ذلك من الأعمال، إلى أن بلَغَ الثَّمَرُ مُنتهاه وإبَّان أكلِه، يعني أن الثَّمَر في نفسه فِعلُ الله وخَلْقُه، وفيه آثارٌ من كَدِّ بني آدم، ويجوز أن تكون «ما» نافية على أن الثَّمَر خلْقُ الله، ولم تعملْه أيدي الناس، ولا يَقْدِرون على خَلْقه[١].

وقرأ الجمهور: «وما عَمِلَتْه» بالضَّمير؛ فإنْ كانت «ما» موصولةً فالضَّمير عائدٌ عليها، وإنْ كانت نافيةً فالضَّمير عائدٌ على الثَّمَر.

وقرأ طلحة وعيسى وحمزة والكسائي وأبو بكر بغير ضمير[٢]، ومفعول «عملت» على التقديرين محذوف.

وجُوِّز في هذه القراءة أن تكون «ما» مصدريَّةً، أي: وعَمَلِ أيديهم، وهو مصدرٌ أُريد به المعمول، فيعود إلى معنى الموصولة[٣].

ولمّا عَدَّد تعالى هذه النِّعَم حَضَّ على الشُّكْر فقال: «أفلا تشكرون»؟

ثم نَزَّه تعالى نفسَه عن كُلِّ ما يُلْحِد به مُلْحِدٌ، أو يُشْرِك به مُشْرِك، فذكر إنشاءَ الأزواج - وهي الأنواعُ - من جميع الأشياء «ممَّا تُنبِتُ الأرضُ» من النَّخْلِ والشَّجَر والزَّرْعِ والثَّمَر وغير ذلك، وكلُّ صِنفٍ زوجٌ مختَلِفٌ لوناً وطَعْماً وشَكْلاً وصِغَراً وكبراً «ومن أنفُسِهم» ذكوراً وإناثاً «ومما لا يَعلمون» أي: وأنواعاً مما لا يَعلمون أُعلموا بوجوده ولم يَعلموا ما هو؛ إذْ لا يتعلَّقُ بعلمهم بماهيَّته أمرٌ مُحتاجٌ إليه في دين ولا دنيا، وفي إعلامِه بكثرة مخلوقاته دليلٌ على اتِّساع مُلْكِه، وعظيم قُدرته[٤].

---

(١) الكشاف ٣/ ٣٢٢.

(٢) السبعة ٥٤٠، والتيسير ١٨٤، والنشر ٢/ ٣٥٣، وتفسير الثعلبي ٥/ ١٩٧، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٥٣.

(٣) في (أ يه) والمطبوع: الموصول.

(٤) الكشاف ٣/ ٣٢٢، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٥٣.

ولـمَّا ذَكر تعالى الاستدلالَ بأحوالِ الأرض وهي المكانُ الكُلّي، ذكر الاستدلالَ بالليل والنهار وهو الزَّمانُ الكُلّي، وبينهما مناسبة؛ لأن المكان لا تستغني عنه الجَواهر، والزمان لا تستغني عنه الأعْراض، لأن كلَّ عَرَضٍ فهو في زمانٍ، ومثلُه مَذْكورٌ في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾ [فصلت: ٣٧] ثم قال بعده: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَـٰشِعَةً﴾ الآية [فصلت: ٣٩]، وبدأ هناك بالزَّمان لأن المقصودَ إثباتُ الوَحْدانيَّة بدليلِ قوله: ﴿لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ﴾ الآية [فصلت: ٣٧]، ثم الحشر بقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ﴾ [فصلت: ٣٩]، وهنا المقصود الحَشْرُ أوَّلاً؛ لأن ذِكرَه فيها أكثر، وذِكرُ التَّوحيد في «فُصِّلت» أكثر بدليل قوله: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ﴾ [فصلت: ٩]. انتهى، وهو من كلام أبي عبد الله الرازي وفيه بعضُ تلخيص[١].

و«نَسْلَخ» معناه: نَكْشِط ونَقْشِر، وهو استعارةٌ لإزالةِ الضَّوء وكَشْفِه عن مكان الليل، و«مُظْلِمون» داخِلون في الظَّلام، كما تقول: أعْتَمْنا وأسْحَرْنا؛ دخَلْنا في العَتَمَةِ وفي السَّحَر.

واستدَلَّ قومٌ بهذا على أن الليلَ أصلٌ، والنهار فَرْعٌ طارئٌ عليه[٢].

ومُسْتَقَرُّ الشمسِ بين يَدَي العَرْش، تسجدُ فيه كلَّ ليلةٍ بعد غُروبها، كما جاء في حديث أبي ذَرّ ﷺ: «ويُقال لها: اطْلُعي من حيث طَلَعتِ، فإذا كان يومُ طُلوعها من مَغْربها يُقال لها: اطلعي من حيث غَرَبْتِ، فذلك حين ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَـٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَـٰنِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام: ١٥٨]»[٣].

وقال ابن عباس: إذا غَربت وانتهت إلى الموضع الذي لا تتجاوزُه استوت تحت العرش إلى أن تَطْلُع.

وقال الحسن: للشَّمس في السنة ثلاثُ مئة وستون مَطْلعاً، تنزلُ في كلِّ يومٍ مَطْلَعاً، ثم لا تنزل إلى الحَوْل، وهي تَجْري في فَلَك[٤] المنازل.

---

(١) التفسير الكبير ٢٦/ ٦٩-٧٠.
(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٤٥٤.
(٣) أخرجه مسلم (١٥٩)، وانظر مسند أحمد (٢١٣٠٠).
(٤) في تفسير القرطبي ١٧/ ٤٤٥: تلك، وهو الأشبه، وقول ابن عباس فيه.

أو يوم القيامة. أو غَيْبوبتها؛ لأنها تجري كلَّ وقتٍ إلى حدٍّ محدود تغربُ فيه. أو آخر مَطالِعها في المُنْقَلَبَيْن؛ لأنهما نهايتا مَطالعها، فإذا استقرَّ وصولُها كَرَّت راجعةً، وإلا فهي لا تَستقرُّ عن حركتها طَرْفَةَ عَيْن. ونحا إلى هذا ابنُ قُتيبة[١]. أو وقوفها عند الزَّوال كلَّ يوم، ودليلُ استقرارها وقوفُ تلك الظِّلالِ حينئذٍ[٢].

وقال الزمخشري: «لِمُسْتَقَرٍّ لها» لحَدٍّ لها مُؤقَّت مُقَدَّر تنتهي إليه من فَلَكها في آخر السَّنة، شُبِّه بمُسْتَقَرِّ المُسافر إذا قطعَ مَسيرَه، أو لمُنْتَهًى[٣] لها من المشارق والمغارب؛ لأنها تتقصَّاها مَشْرقاً مشرقاً ومَغْرباً مغرباً حتى تبلُغَ أقصاها، ثم ترجع، فذلك حَدُّها ومُسْتَقَرُّها لأنها لا تَعْدوه، أو لحَدٍّ لها[٤] من مَسيرها كلَّ يومٍ في مَرأى عُيوننا وهو المغرب. وقيل: مُستقَرُّها: أجَلُها[٥] الذي أقرَّ الله عليه أمْرَها في جَرْيِها فاستقرَّت عليه، وهو آخرُ السَّنة. وقيل: الوقتُ الذي تستقرُّ فيه ويَنْقطعُ جَرْيُها، وهو يوم القيامة[٦].

وقال أبو عبد الله الرَّازي ما مُلَخَّصُه: في المُسْتَقَرِّ وجوه في الزَّمان وفي المكان، ففي الزَّمان الليل، أو السَّنَة، أو يوم القيامة، وفي المكان غايةُ ارتفاعِها في الصيف وانخفاضِها في الشتاء، تجري إلى ذلك المَوْضع فترجع، أو غايةُ مَشارِقها، فلها في كلِّ يومٍ مَشْرِق إلى ستَّة أشهر، ثم تعودُ على تلك المُقَنْطَرات، وهذا هو ما تقدَّم في الارتفاع؛ فإن اختلافَ المَشارق بسبب اختلافِ الارتفاع، أو وصولُها إلى بيتها في الأسد[٧]، أو الدَّائرة التي عليها حَرَكَتُها؛ حيث لا تَميلُ عن منطقة البُروجِ على مُرور الشمس، ويَحتمل أن يُقال: تَجري مَجْرى مُسْتَقَرِّها؛ فإن أصحاب الهَيْئة قالوا: الشمسُ في فَلَك، والفَلَك يدور فيُدير الشمسَ، فالشمس تجري مَجْرى مُسْتَقَرِّها. انتهى.

---

(١) في غريب القرآن له ٣٦٥، ونقله عنه ابن الجوزي في زاد المسير ٧/ ١٩.
(٢) ذكر هذه الأقوال ابن عطية في المحرر الوجيز ٤/ ٤٥٤.
(٣) في المطبوع: كمنتهى.
(٤) في المطبوع: أو لا يعدلها.
(٥) في المطبوع: محلها.
(٦) الكشاف ٣/ ٣٢٢.
(٧) كذا في النسخ والمطبوع، وفي التفسير الكبير ٢٦/ ٧١: الابتداء، وهو الأشبه.

وقرئ: «إلى مُسْتَقَرٍّ لها»[١]. وقرأ عبد الله وابن عباس وعكرمة وعطاء بن أبي رَباح وزين العابدين والباقر ابنُه والصَّادق ابنُه وابن أبي عَبْلَة: «لا مُسْتَقَرَّ لها» نَفياً مبنيًّا على الفتح[٢]، فيَقْتَضي انتفاءَ كلِّ مُسْتَقَرٍّ، وذلك في الدنيا، أي: هي تجري دائماً فيها[٣] لا تستقرّ، إلا ابن أبي عَبْلَة فإنه قرأ برَفْع «مُسْتَقَرٌّ» وتنوينِه على إعمالها إعمال ليس، نحو قول الشاعر:

تَعَزَّ فلا شيءٌ على الأرضِ باقِيا ولا وَزَرٌ ممَّا قَضى الله واقِيا[٤]

والإشارةُ بـ «ذلك» إلى جَرْيِ الشَّمس، أي: ذلك الجَرْيُ على ذلك التَّقديرِ والحسابِ الدَّقيق «تقديرُ العَزيزِ» الغالبِ بقُدْرته على كلِّ مَقْدور، المُحيطِ علماً بكلِّ مَعْلوم[٥].

وقرأ الحِرْميَّان، وأبو عمرو، وأبو جعفر، وابن مُحَيْصِن والحسَن بخِلافٍ عنه: «والقمرُ» بالرَّفع على الابتداء، وباقي السَّبعة بالنَّصْب على الاشتغال[٦].

«وقَدَّرْناه» على حَذْف مُضاف، أي: قَدَّرْنا سَيْرَه، و«مَنازلَ» ظرف، أي: في مَنازل[٧].

---

(١) الكشاف ٣/ ٣٢٢.

(٢) معاني القرآن للنحاس ٥/ ١٩٧، والمحتسب ٢/ ٢١٢، وتفسير الثعلبي ٥/ ١٩٧، والماوردي ٥/ ١٧، والقرطبي ١٧/ ٤٤٥، والكشاف ٣/ ٣٢٢، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٥٤، وزاد المسير ٧/ ١٩ وزاد في نسبتها إلى الشيزري عن الكسائي، ونقل القرطبي عن ابن الأنباري ردّه صحة نسبتها إلى ابن مسعود وابن عباس.

(٣) في (ت): هي في الدنيا دائماً تجري فيها.

(٤) ذكر قراءة ابن أبي عبلة وبيت الشعر السمين في الدر المصون ٩/ ٢٦٩، والآلوسي في روح المعاني ٢٢/ ٣٣٥، وسلف البيت في تفسير الآية (١٩٧) من سورة البقرة.

(٥) الكشاف ٣/ ٣٢٢.

(٦) نقله الآلوسي ٢٢/ ٣٣٧ عن المصنف دون ذكر، وفي المحرر الوجيز ٤/ ٤٥٤: وقرأ نافع وابن كثير (وهما الحرميان) وأبو عمرو والحسن والأعرج: والقمر بالرفع عطفاً على... وقرأ الباقون بنصب القمر على إضمار فعل يفسره «قدرناه»، وهي قراءة أبي جعفر وابن محيصن والحسن بخلاف عنه. انتهى.
فبان بهذا أن قراءة أبي جعفر وابن محيصن والحسن بخلاف عنه هي بنصب القمر لا برفعه كما ذكر المصنف، وانظر السبعة ٥٤٠، والتيسير ١٨٤، والنشر ٢/ ٣٥٣، والدر المصون ٩/ ٢٧٠.

(٧) في المطبوع: أي منازله.

وقيل: قَدَّرْنا نورَه في مَنازِلَ، فيزيدُ مِقدارُ النُّور كلَّ يوم في المنازل الاجتماعيَّة، ويَنْقُص في المنازل الاستقباليَّة.

وقيل: «قَدَّرْناه» جَعَلْنا أقْدار إجراءِ[1] جَرْيه مَنازلَ لعَكْسِ أنوارِ الشمس[2]، ولا يحتاج إلى حذف حَرْف الصِّفة؛ فإن جِرْمَ القمر مُظلمٌ ينزل فيه النُّور؛ لقَبوله عكْسَ ضياءِ الشَّمس، مثل المرآة المَجْلُوَّة إذا قُوبلَ بها الشُّعاع.

وهذه المنازل معروفةٌ عند العرب، وهي ثمانيةٌ وعشرون منزلاً[3]، ينزل القمرُ كلَّ ليلةٍ في واحدٍ منها، لا يتخطَّاه ولا يتقاصَرُ عنه، على تقديرٍ مُسْتوٍ لا يَتفاوت، يَسيرُ فيها من ليلة المُسْتَهَلِّ إلى الثامنة والعشرين، ثم يَسْتَتِرُ ليلتَين أو لَيلةً إذا نَقَص الشَّهرُ، وهذه المنازل هي مَواقعُ النجوم التي نَسبت إليها العربُ الأنواء المُسْتَمْطَرَة، وهي: الشَّرَطان[4]، البُطَيْن، الثُّرَيَّا، الدَّبَران، الهَقْعَة، الهَنْعَة، الذِّراع، النَّثْرَة، الطَّرْف، الجَبْهَة، الزُّبْرَة[5]، الصَّرْفَة، العَوَّاء، السِّماك، الغَفْر، الزُّبانى، الإكليل، القَلْب، الشَّوْلَة، النَّعائم، البَلْدَة، سَعْدُ الذَّابِح، سَعْدُ بُلَع، سَعْدُ السُّعود، سَعْدُ الأخْبِيَة، فَرْغُ الدَّلْوِ المُقَدَّم، فَرْغُ الدَّلْوِ المؤخَّر، بَطْنُ الحوت، ويُقال له: الرِّشاء، فإذا كان في آخرِ مَنازِله دَقَّ واسْتَقْوَسَ واصْفَرَّ، فشُبِّه بالعُرْجُون القديم من الثلاثة الأوجُه[6].

وقرأ سليمان التَّيْمي: «كالعِرْجَون» بكسر العين وفتح الجيم[7]، والجمهور بضمِّهما، وهما لُغتان: كالبِزْيَون والبُزْيُون[8].

---

(١) في (ت): إجرائه.
(٢) في المطبوع: جعلنا أنه أجرى جريه عكس منازل أنوار الشمس (؟!).
(٣) في النسخ والمطبوع غير (د٣ يه): منزلة، والمثبت منهما.
(٤) في المطبوع: الشرطين.
(٥) في المطبوع: الدبرة.
(٦) الكشاف ٣/ ٣٢٣، وانظر تفسير الثعلبي ٥/ ١٩٨، والقرطبي ١٧/ ٤٤٦، وروح المعاني ٢٢/ ٣٣٩-٣٤٤ وقد توسع فيها.
(٧) مختصر في الشواذ ١٢٥، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٥٤، ونسبها ابن الجوزي ٧/ ٢٠ إلى أبي مجلز وأبي رجاء والضحاك وعاصم الجحدري وابن السميفع.
(٨) هو البساط الرومي أو السندس كما في روح المعاني ٢٢/ ٣٤٦.

و«القديم» ما مَرَّ عليه زمان طويل.

وقيل: أقلُّ مُدَّةَ[١] المَوْصوف بالقِدَم حَوْلٌ، فلو قال رجلٌ: كلُّ مَمْلوكٍ لي قديم فهو حُرٌّ، أو كتب ذلك في وَصِيَّةٍ، عَتق منهم مَن مضى له حَولٌ وأكثر[٢]. انتهى.

والقِدَمُ أمرٌ نِسبيّ؛ فقد يُطْلَق على ما دون سَنة، وقد يُطْلَق على ما ليس له سنةٌ ولا سنتان، فلا يُقال لمدينةٍ بُنيت مُذْ سنةٍ أو سنتَيْن: قديمة، وقد لا يُطلَق على ما مرَّت له دُهورٌ، فلا يُقال: العالَمُ قديم، وإنما تُعتَبر العادةُ في ذلك[٣].

«لا الشمسُ ينبغي لها أنْ تُدْرِكَ القمر» يَنْبَغي هنا[٤] مُسْتَعملَةٌ فيما لا يمكن خِلافُه، أي: لم يَجْعل لها قدرةً على ذلك.

وهذا الإدْراكُ المَنْفيُّ عنها قال الزمخشري هو: أن الله تعالى جَعل لكلٍّ واحدٍ من الليل والنَّهار وآيَتَيْهما قِسْماً من الزَّمان، وضرب له حَدًّا معلوماً، ودبَّر أمرَهما على التَّعاقُب، فلا ينبغي للشمس، أي: لا يَتَسَهَّل[٥] لها، ولا يصحُّ ولا يستقيم، لوقوعِ التَّدبير على المُعاقَبةِ وإنْ جُعل لكلٍّ واحدٍ من النَّيِّرَيْن سلطانٌ على حِياله «أنْ تُدرِكَ القمر» فتجتَمعَ معه في وقت واحد، وتُداخِلَه في سُلطانه فتَطْمِسَ نورَه، ولا يَسْبقُ الليل النهارَ، يعني آيةُ الليل آيةَ النّهار وهما النَّيِّران، ولا يزال الأمرُ على هذا الترتيب إلى أن يُبْطِلَ الله ما دَبَّر من ذلك، ويَنْقُضَ ما أَلَّف، فيَجْمَعَ بين الشمس والقمر، فتطلُع الشَّمس من مغربها[٦]. انتهى.

وقال ابن عباس والضحاك: إذا طَلَعت الشمسُ لم يكن للقمر ضَوءٌ، وإذا طلع لم يكن للشمس ضوء.

وقال مجاهد: لا يُشْبِه ضوءُ أحدِهما ضوءَ الآخر[٧].

(١) في المطبوع: عدة.
(٢) الكشاف ٣/ ٣٢٣.
(٣) انظر التفسير الكبير للرازي ٢٦/ ٧٢-٧٣. وفي مطبوع البحر اختصار مخلّ هنا.
(٤) في النسخ والمطبوع خلا (د٣): لها، والمثبت منها، والكلام في المحرر الوجيز ٤/ ٤٥٤.
(٥) في المطبوع: أن لا يستهل.
(٦) الكشاف ٣/ ٣٢٣-٣٢٤.
(٧) علقه البخاري بصيغة الجزم قبل الحديث (٤٨٠٢) عن مجاهد، وفيه: لا يستر، بدل:

وقال قتادة: لكلٍّ حَدٌّ لا يَعْدوه ولا يُقصِّر دونَه، إذا جاء سُلطانُ هذا ذهب هذا.

وقال ابن عباس أيضاً: إذا اجتَمعا في السَّماء كان أحدُهما بين يَدي الآخَر؛ في منازلَ لا يَشْتركان فيها.

وقال الحسن: لا يَجْتمعان في السماء ليلةَ الهِلال خاصَّة، أي: لا تبقى الشمسُ حتى يَطْلُع القَمَر[1]، ولكن إذا غَرَبت طلَع.

وقال يحيى بن سَلام: لا تُدْرِكُه ليلةَ البَدْرِ خاصَّة، لأنه يُبادِرُ بالمَغيب قبل طُلوعها.

وقيل: لا يُمكنها أن تُدرِكَه في سُرعته؛ لأن دائرةَ فلَك القمر داخِلةٌ في فَلَك عُطارد، وفَلَكُ عُطارد داخلٌ في فَلك الزُّهَرة، وفَلَك الزُّهَرة داخلٌ في فَلك الشمس، فإذا كان طريقُ الشمس أبعدَ قطعَ القمرُ جميعَ أجزاء فلَكِه - أعني: البُروجَ[2] الاثني عَشَر - في زمانٍ تقطَعُ الشمسُ فيه بُرْجاً واحداً من فَلَكه.

وقال النَّحاس: أحسنُ ما قيل فيه وأبْيَنُه: أنَّ مَسيرَ القَمَر مَسيرٌ سريع، والشمسُ لا تُدْرِكُه في السَّير. انتهى. وهو مُلَخَّص القولِ الذي قبله[3].

«ولا الليلُ سابق النهارِ» لا يُعارِضُ قولَه: ﴿يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا﴾ [الأعراف: ٥٤]؛ لأن ظاهرَ قوله: «يَطلُبه حَثيثاً» أن النهار سابقٌ فالليلُ يَطْلُبه، وظاهر قوله: «ولا الليلُ سابقُ النهارِ» أن النهار سابقٌ أيضاً، فتوافق الظَّاهِران.

وفهِم أبو عبد الله الرازي من قوله: «يَطلُبه حَثيثاً» أن النهارَ يطلُب الليل؛ فالليلُ سابِقُه، وفَهِم من قوله: «ولا الليلُ سابقُ النهارِ» أن الليل مَسْبوقٌ لا سابق، فأورده سؤالاً وقال: كيف يكون الليلُ سابقاً مَسْبوقاً؟ وأجاب بأن المُرادَ من الليل هنا

= لا يشبه، والمثبت موافق لما في نسخ تفسير الطبري ١٩/٤٣٩ كما ذكر محققه، والنكت والعيون، وزاد المسير، وتفسير القرطبي، انظر التعليق الثالث الآتي.

(١) في النسخ والمطبوع: الفجر، وهو تحريف، والمثبت من تفسير القرطبي.

(٢) في المطبوع: أي من البروج.

(٣) انظر الأقوال في تفسير الطبري ١٩/٤٣٩-٤٤٠، وتفسير عبد الرزاق ٢/١٤٣، ومعاني القرآن ٥/٤٩٦، وإعراب القرآن ٣/ ٣٩٥ كلاهما للنحاس، والنكت والعيون ٥/١٨، وزاد المسير ٧/ ٢٠، وتفسير القرطبي ١٧/ ٤٥٠-٤٥١.

سُلطانُ الليل وهو القَمر، وهو لا يَسبق الشمسَ بالحركة اليوميَّة السَّريعة، والمُرادُ من الليل هناك نَفْسُ الليل، وكلٌّ واحدٍ لمَّا كان في عَقِب الآخَر كأنه طالبُه[١]. انتهى.

وعَرَض له هذا السؤال لكونه جَعلَ ضميرَ الفاعل في قوله: «يطلُبُه» عائداً على النهار، وضميرَ المفعول عائداً على الليل، والظَّاهر أن ضميرَ الفاعل عائدٌ على ما هو الفاعل في المعنى وهو الليل، لأنه كان قبل دخول همزة النَّقْل: يَغْشى الليلُ النَّهارَ، وضميرَ المفعول[٢] عائدٌ على النَّهار؛ لأنه المفعول قبل النَّقْل وبعده.

وقرأ عُمارَة بن عَقيل بن بلال بن جَرير بن الخَطَفى: «سابقُ» بغير تنوين «النهارَ» بالنصب، قال المبرّد: سمعتُه يقرأ فقلت: ما هذا؟! قال: أردْتُ سابقٌ النهارَ، فحذفتُ لأنه أخفُّ. انتهى[٣]. وحذفُ التنوين فيه لالتقاء السَّاكنَين.

وتقدَّم شرحُ: «وكلٌّ في فَلَكٍ يَسْبحون» في سورة الأنبياء[٤].

والظَّاهر من الذُّرِّيَّة أنه يُراد بها الأبناء ومَن نَشأ منهم.

وقيل: يَنْطَلِق[٥] على الآباء وعلى الأبناء. قاله أبو عثمان[٦].

وقال ابن عطية: هذا تخليطٌ، ولا يُعرف هذا في اللغة[٧]. انتهى.

وتقدَّم الكلامُ في الذُّرِّية في «آل عمران»[٨].

---

(١) التفسير الكبير ١٧/ ٧٤.

(٢) في (د٣ يه): الفاعل (؟!)، وقد نقل الآلوسي ٢٢/ ٣٥١-٣٥٢ كلام الرازي وتعقُّبَ أبي حيان.

(٣) إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٣٩٥، وعنه القرطبي ١٧/ ٤٥٢، وانظر الكامل ١/ ٣٢٨، وذكر القراءة ابن خالويه في مختصره ١٢٥ (وفيه خطأ في الضبط)، ونسبها ابن عطية في المحرر ٤/ ٤٥٤ إلى عبادة (نقلاً عن الزهراوي)، ولعله تحريف.

(٤) في الآية (٣٣) منها.

(٥) في (يه): يطلق (وهما سواء).

(٦) تفسير القرطبي ١٧/ ٤٥٣، والنكت والعيون ٥/ ١٩ وفيه: أبان بن عثمان.

(٧) المحرر الوجيز ٤/ ٤٥٥.

(٨) في الآية (٣٤) منها.

والظاهر أن الضَّميرَ في «لهم» وفي «ذُرِّيَّاتهم» عائدٌ على شيء واحد، فالمعنى: أنه تعالى حمل ذُرِّيَّات هؤلاء، وهم آباؤهم الأقدمون، في سفينة نوح عليه السلام. قاله ابن عباس وجماعة، و«من مِثله» للسُّفن الموجودة في جنسِ بني آدم إلى يوم القيامة.

أو أُريد بقوله: «ذُرِّياتهم» حذف مُضاف، أي: ذُرِّيات جِنسهم.

أو أُريد بالذُّرية مَن لا يُطيق المشيَ والرُّكوب من الذريَّة والضُّعَفاء، فالفُلْك اسمُ جِنْس مَنَّ عليهم بذلك، وكونُ الفُلك مُراداً به الجنس قاله ابن عباس أيضاً ومُجاهد والسُّدِّي، و«من مثله» الإبِل وسائر ما يُرْكَب.

وقيل: الضَّميران مُخْتَلِفان، أي: ذرية القرون الماضية. قاله عليّ بن سليمان، وكان آيةً لهؤلاء إذْ هم نَسْلُ تلك الذرّية.

وقيل: الذريّة: النُّطَف، والفُلْك المَشْحون: بطون النساء. ذكره الماورديّ، ونُسِب إلى عليِّ بن أبي طالب[١].

وهذا لا يصحُّ لأنه من نوعِ تفسيرِ الباطنيَّة وغُلاةِ المُتَصَوِّفة الذين يُفَسِّرون كتابَ الله بشيءٍ[٢] لا يدلُّ عليه اللفظُ بجهةٍ من جهات الدَّلالة، يُحَرِّفون الكَلِمَ عن مَواضِعِه.

ويدلُّ على أنه أُريد ظاهرُ الفُلْك قوله: «وخَلقْنا لهم من مِثلِه ما يَرْكبون» يعني[٣]: الإبل والخيل والبِغال والحمير، والمُماثَلَة في أنه مَرْكوبٌ مُبْلِغٌ للأقطار[٤] فقط.

هذا إذا كان الفُلْك جِنساً، وأمَّا إنْ أُريد به سَفينةُ نوح عليه السلام فالمُماثَلَة تكون في كونها سُفُناً مثلها، وهي الموجودة في بني آدم.

---

(١) انظر الأقوال في تفسير الطبري ١٩/ ٤٤٤-٤٤٦، ومعاني القرآن ٥/ ٤٩٨، وإعراب القرآن ٣/ ٣٩٦ كلاهما للنحاس، والنكت والعيون ٥/ ١٩-٢٠، والكشف والبيان ٥/ ١٩٨، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٥٥، وزاد المسير ٧/ ٢١-٢٢، وتفسير القرطبي ١٧/ ٤٥٣-٤٥٤.

(٢) في (أ ت ز٢) والمطبوع: على شيء، والمثبت من (د٣ يه).

(٣) في (يه): أي، وهما سواء.

(٤) في النسخ والمطبوع خلا (يه): للأوطان، والمثبت منها، وهو موافق لما في المحرر الوجيز ٤/ ٤٥٥.

ويَبْعُد قولُ مَن قال: الذريَّة في الفُلْك: قومُ نوحٍ في سفينته، والمِثْل الإبل وما يُرْكَب؛ لأنه يَدْفَعه قولُه: «وإنْ نَشأ نُغْرِقهم».

وقرأ نافع وابن عامر والأعمش وزيد بن عليّ وأبان بن عثمان: «ذُرِّيَّاتهم» بالجمع، وكسر زيد وأبان الذَّال، وباقي السَّبعة وطلحة وعيسى بالإفراد[١].

وقال الزمخشري: «ذُرِّيَّتهم» أولادَهم ومَن يَهُمُّهم حَمْلُه. وقيل: اسم الذريَّة يَقع على النِّساء لأنَّهنَّ مَزارِعُها، وفي الحديث أنه: نَهى عن قتل الذَّراري، يعني: النِّساء[٢]. «من مِثْلِه» من مِثلِ الفُلْك «ما يَرْكبون» من الإبل وهي سَفائنُ البَرِّ. وقيل: «الفُلْك المَشْحون» سَفينةُ نوح، ومعنى حَمْلِ الله ذُرِّياتِهم فيها: أنه حَمل فيها آباءهم الأقدمين وفي أصْلابهم هم وذُرِّيَّاتُهم، وإنما ذَكر ذُرِّياتهم دونهم لأنه أبلَغُ في الامتنانِ عليهم، وأدْخَلُ في التَّعَجُّب من قُدرته في حَمْلِ أعقابهم إلى يوم القيامة في سفينةِ نوح، و«من مِثْلِه» من مِثْلِ ذلك الفُلْكِ ما يَرْكبون من السُّفُن[٣]. انتهى.

وقال أبو عبد الله الرازي: إنما خَصَّ الذُّرِّيات بالذِّكر لأن الموجودين كانوا كُفَّاراً لا فائدةَ في وجودهم، أي: لم يكن الحَمْلُ حَمْلاً لهم، وإنما كان حَمْلاً لما في أصلابهم من المؤمنين.

وقال أيضاً: الضَّمير في «وآيةٌ لهم» عائدٌ على العِباد في قوله: «يا حَسْرَةً على العِباد» ثم قال بعدُ: «وآيةٌ لهم الأرضُ المَيْتَةُ أحْييناها، وآيةٌ لهم الليل، وآية لهم أنَّا حمَلْنا ذُرِّيَّتهم» ذُرِّيَّات العِباد. ولا يَلْزم أن يكون الضَّميرُ في الموضعَيْن لمَعْنَيَيْن[٤]،

(١) السبعة ٥٤٠-٥٤١، والتيسير ١٨٤، والنشر ٢/ ٢٧٣، ومختصر في الشواذ ١٢٥، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٥٥.

(٢) أخرج أحمد (٤٧٣٩)، والبخاري (٣٠١٥)، ومسلم (١٧٤٤) من حديث ابن عمر ﵄ أن رسول الله ﷺ رأى في بعض مغازيه امرأة مقتولة، فنهى عن قتل النساء والصبيان. وسلف في تفسير الآية (١٩٠) من سورة البقرة.
وأخرج أحمد (١٥٩٩٢) من حديث رباح بن الربيع قال: غزونا مع النبي ﷺ، فمررنا على امرأة مقتولة وقد اجتمع عليها الناس، قال: فأفرجوا له، فقال: ما كانت هذه تقاتل، ثم قال لرجل: انطلق إلى خالد بن الوليد فقل له: إن رسول الله يأمرك أن لا تقتل ذرّية ولا عسيفاً.

(٣) الكشاف ٣/ ٣٢٤.

(٤) في التفسير الكبير ٢٦/ ٧٩: أن يكون المراد بالضمير في الموضعين أشخاصاً مُعَيَّنين.

فهو كقوله: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ﴾ [النساء: ٢٩] إنما يُريد: لا يقتلُ بعضُكم بعضاً، فكذلك هذا «وآيةٌ لهم» أي: آيةٌ لكلِّ بعضٍ منهم أنَّا حَمَلْنا ذُرِّيةَ كلِّ بعضٍ منهم، أو ذُرِّيةَ بعضٍ منهم. انتهى.

والظاهر في قوله: «وخَلَقْنا» أنه أُريد الإنشاءُ والاختراع، فالمُرادُ الإبل وما يُرْكَب، وتكون «من» للبيان، وإنْ كان ما يَصْنَعُه الإنسان قد يُنْسَب إلى الله خَلْقاً، لكن الأكثر ما ذكرنا، وإذا أُريد به السُّفن تكون «من» للتَّبعيض.

و«لهم» الظَّاهر عَوْدُه على ما عاد عليه «وآيةٌ لهم» لأنهم المحدَّث عنهم. وجُوِّز أنْ يَعودَ على الذُّرية.

والظاهر أن الضَّميرَ في «مِثْلِه» عائدٌ على الفُلْك.

وقيل: يعود على مَعْلوم غيرِ مَذْكور، وتقديرُه: من مِثْلِ ما ذكرنا من المخلوقات في قوله: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ﴾ [يس: ٣٦]، كما قالوا في قوله: ﴿مِن ثَمَرِهِۦ﴾ [يس: ٣٥]، أي: من ثَمَرِ ما ذكرنا.

وقرأ الحسن: «نُغَرِّقْهم» مُشدَّداً، والجمهور مُخَفَّفاً[1].

والصَّريخ: فَعيل بمعنى صارخ، أي: مُسْتَغيث، وبمعنى مُصْرِخ، أي: مُغيث، وهذا معناه هنا، أي: فلا مُغيثَ لهم ولا مُعِين.

وقال الزمخشري: أي: فلا إغاثةَ لهم[2]. انتهى.

كأنه جعله مَصْدراً من أفْعَلَ، ويحتاج إلى نَقْلٍ أن صَريْخاً يكون مَصْدراً بمعنى إصْراخ.

والظاهر أن قوله: «فلا صَريخَ لهم» أي: لا مُغيثَ لهؤلاء الذين شاء الله إغراقَهم «ولا هم يُنْقَذون» أي: يَنْجُون من الموت بالغَرَق، نفى أوَّلاً الصَّريخ وهو خاص، ثم نفى ثانياً إنقاذَهم بصَرِيخٍ أو غيره.

وقال ابن عطيَّة: وقوله: «فلا صَرِيخَ لهم» استئنافُ إخبارٍ عن المُسافِرين في

---

(١) مختصر في الشواذ ١٢٥، والكشاف ٣/ ٣٢٥.
(٢) الكشاف ٣/ ٣٢٤.

البحر ـ ناجِينَ كانوا أو مُغْرَقِين ـ هم[١] بهذه[٢] الحال لا نَجاةَ لهم إلا برحمةِ الله، وليس قولُه: «فلا صَريخَ لهم» مَرْبوطاً بالمُغْرَقين، وقد يصحُّ رَبْطُه به، والأولُ أحْسَن فتأمَّلْه[٣]. انتهى.

وليس بحَسَنٍ ولا أحْسن، والفاء في «فلا صَريخَ لهم» تُعَلِّقُ الجملةَ بما قبلها تعليقاً واضحاً، وترتبط[٤] به رَبْطاً لائحاً، والخَلاصُ من العذاب بما يَدْفَعُه من أصْله، فنفى بقوله: «فلا صَريخَ لهم» وما[٥] يَدْفَعُه بعد وقوعه، فنفى بقوله: «ولا هم يُنْقَذون».

وانتصب «رَحْمةً» على الاستثناء المُفَرَّغ للمفعول من أجله، أي: لرَحْمةٍ منَّا. قاله الكسائي والزجَّاج[٦].

«إلى حين» أي: إلى حينِ الموت. قاله قتادة[٧].

وقال الزمخشري: إلّا[٨] لرحمةٍ منَّا ولتَمْتِيع بالحياة «إلى حين» أي: إلى أجَلٍ يَموتون فيه، لا بُدَّ لهم منه بعد النَّجاةِ من مَوْتِ الغَرق[٩]. انتهى.

وإنما قال: لا بُدَّ لهم من موت الغَرَق؛ لأنه تعالى قال: «وإنْ نَشَأ» أي: إغْراقَهم «نُغْرِقْهم» فمَنْ شاء إغْراقَه لا بُدَّ[١٠] أن يموتَ بالغَرَق.

والظّاهر أن «رَحْمةً، ومَتاعاً إلى حين» يكون للذين يُنْقَذون، فلا يُفيد الدَّوامَ،

---

(١) في المطبوع: فهم.
(٢) في (أ ت ز٢ يه): فهذه، وفي المطبوع: في هذه، والمثبت من (د٣).
(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٤٥٥.
(٤) في (د٣ يه): وتربطه.
(٥) في (أ ح د٢ د٣ ز٢ ع): وأما، وفي (ت): وإنما، وليس في (يه) لسقط فيها، والمثبت من المطبوع.
(٦) في معاني القرآن ٤/ ٢٨٩، ونقله عنهما النحاس في إعراب القرآن ٣/ ٣٩٧، وابن عطية في المحرر الوجيز ٤/ ٤٥٥، والقرطبي ١٧/ ٤٥٥.
(٧) أخرجه الطبري ١٩/ ٤٤٧.
(٨) في النسخ والمطبوع: إما، وهو تحريف، والمثبت من الكشاف.
(٩) الكشاف ٢/ ورقة ٢١٤، و٣/ ٣٢٤ من المطبوع (وفيه تحريف).
(١٠) في (د٣): فمن نشأ إغراقه فلا بد.

بل يُنقِذُه الله رحمةً له، ويُمَتِّعُه إلى حينٍ، ثمَّ يُميتُه.

وقيل: فيه تقسيمٌ «إلا رَحْمةً» لمَن عَلم أنه يؤمن، فيُنْقِذه الله رَحمةً، ومَن علم أنه لا يؤمن يُمَتِّعه زَمَاناً، ويَزداد إثْماً[١].

❁ ❁ ❁

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُواْ مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٥﴾ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُواْ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤٦﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُواْ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾﴾.

الضَّمير في «لهم» لقريش[٢]، و«ما بين أيديكم» قال قتادة ومقاتل: عَذابَ الأُمم قبلَكم «وما خَلْفَكم» عَذابَ الآخرة. وقال مجاهد عكسه.

وقال الحسن: خُوِّفوا بما مضى من ذُنوبهم وما يأتي منها.

وقال مجاهد أيضاً كقول الحسن: ما تقدَّم من ذُنوبكم وما تأخَّر «لعلكم تُرْحَمون»[٣].

وجوابُ «إذا» محذوف يدلُّ عليه ما بعدَه، أي: أعْرَضوا.

«وما تأتيهم من آية» أي: دَأبُهم الإعْراضُ عن[٤] كلِّ آيةٍ تأتيهم.

(١) التفسير الكبير ٢٦/ ٨٢.

(٢) في (د٣): عائد على قريش.

(٣) انظر الأقوال في تفسير عبد الرزاق ٢/ ١٤٤، والطبري ١٩/ ٤٤٨، ومعاني القرآن للنحاس ٥/ ٤٩٩-٥٠٠، والكشف والبيان ٥/ ١٩٩، والنكت والعيون ٥/ ٢١، والكشاف ٣/ ٣٢٥، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٥٥، وزاد المسير ٧/ ٢٢-٢٣، وتفسير القرطبي ١٧/ ٤٥٥-٤٥٦.

(٤) في (أ ز٢) والمطبوع: عند.

«وإذا قيل لهم أنفقوا» لمَّا أسلم حَواشي الكُفَّار من أقربائهم ومواليهم من المُسْتَضعَفين؛ قَطَعوا عنهم ما كانوا يُواسُونهم به ـ وكان ذلك بمكة أوّلاً قبل نزولِ آيات القتال ـ فنَدَبهم المؤمنون إلى صِلَةِ قراباتهم، فقالوا: «أَنُطْعِمُ مَن لو يشاءُ الله أطْعَمَه»؟!

وقيل: شَحَّت قُريشٌ بسبب أزْمةٍ على المساكين[١] من مؤمن وغيره، فنَدَبهم النبيُّ ﷺ إلى النَّفَقة عليهم، فقالوا هذا القولَ.

وقيل: قال فُقراء المؤمنين: أعطونا ما زَعَمْتُم من أموالكم أنها لله، فحَرَموهم، وقالوا ذلك على سَبيلِ الاستهزاء.

وقال ابن عباس: كان بمكَّةَ زَنادقةٌ إذا أُمِروا بالصَّدَقة قالوا: لا والله، أيُفْقِرُه الله ونُطْعِمُه نحن؟ وكانوا يَسْمعون المؤمنين يُعَلِّقون الأفعالَ بمَشيئةِ الله: لو شاء الله لأَغْنى فُلاناً، ولو شاء لأعَزَّه، ولو شاء لكان كذا، فأخرجوا هذا الجوابَ مَخْرَجَ الاستهزاء بالمؤمنين، وبما كانوا يقولون.

وقال القُشَيري: نزلت في قومٍ من الزَّنادِقة لا يؤمنون بالصانع، استهزؤوا بالمسلمين[٢] بهذا القول.

وقال الحسن: «وإذا قيل لهم» أي: اليهود؛ أُمِروا بإطْعامِ الفُقَراء[٣].

وجوابُ «لو يَشاء» قولُه: «أطْعَمَه» وورودُ الموجَب بغير لام فصيحٌ، ومنه: ﴿أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم﴾ [الأعراف: ١٠٠] ﴿لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا﴾ [الواقعة: ٧٠]، والأكثرُ مَجيئه باللام.

والتّصريحُ بالوَصْفَين[٤] من الكُفر والإيمان دليلٌ على أن المَقولَ لهم هم

(١) في المطبوع: سحق قريش بسبب أذية المساكين (؟!).
(٢) في (ت د٣): بالمؤمنين.
(٣) انظر الأقوال في معاني القرآن للنحاس ٥/ ٥٠١، وتفسير الثعلبي ٥/ ١٩٩، والماوردي ٥/ ٢١، والقرطبي ١٧/ ٤٥٦-٤٥٨، والكشاف ٣/ ٣٢٥، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٥٦، وزاد المسير ٧/ ٢٤.
(٤) في المطبوع: بالموضعين (تحريف).

الكافرون، والقائل لهم هم المؤمنون، وأنّ كلَّ وَصْفٍ حاملٌ صاحِبَه على ما صَدر منه، إذْ:

كلُّ إناءٍ بالذي فيه يَرْشَحُ[١]

وأُمِروا بالإنفاق ممَّا رزقهم الله، وهو عامٌّ في الإطعام وغيره، فأجابوا بغايةِ المُخالفة؛ لأن نَفْيَ إطعامهم يقتضي نَفْيَ الإنفاق العام، فكأنهم قالوا: لا نُنْفِقُ ولا أقلَّ الأشياء التي كانوا يسمحون[٢] بها، ويؤثرون بها على أنفُسهم وهو الإطعام الذي به يفتخرون، وهذا على سبيل المُبالغة؛ كمن يقول لشخص: أعطِ لزيدٍ ديناراً، فيقول: لا أُعطيه درهماً، فهذا أبلغُ من: لا أُعطيه ديناراً[٣].

والظاهر أنّ قوله: «إنْ أنتم إلا في ضَلالٍ مُبين» من تمامِ كلام الكفار يُخاطبون المؤمنين، أي: حيث طَلَبْتُم أنْ نُطعمَ[٤] مَن لا يُريد الله إطْعامَه؛ إذْ لو أراد إطعامَه لأطعمه هو.

ويجوز أنْ يكون من قول الله لهم، استأنفَ زَجْرَهم به، أو من قول المؤمنين لهم[٥].

ثم حكى تعالى عنهم ما يقولون على سَبيلِ الاستهزاء والتَّعْجيلِ لما يُوعدون به، أي: متى يوم القيامة الذي أنتم تُوعِدوننا[٦] به، أو متى هذا العذابُ الذي تُهَدِّدوننا به، وهو سؤالٌ على سبيل الاستهزاء منهم، لما أُمروا بالتَّقوى ـ ولا يُتَّقى إلا ممَّا يُخاف وهم غيرُ مؤمنين ـ سألوا متى يَقَعُ هذا الذي تُخَوِّفونا به؟ استهزاءً منهم.

---

(١) صدره: ويأبى الذي في القلب إلا تبيُّناً... وكل، وقبله:

ومستهجن مدحي له إن تأكدت له عقد الإخلاص والحر يُمدح

وهما لكشاجم كما في زهر الآداب ١٠٦٢، وانظر مجمع الأمثال ٢/ ١٦٢.

(٢) في (د٣): يسخون.

(٣) التفسير الكبير ٢٦/ ٨٤-٨٥.

(٤) في المطبوع: تطعموا.

(٥) انظر تفسير الثعلبي ٥/ ١٩٩، والماوردي ٥/ ٢٢، والقرطبي ١٧/ ٤٥٧، والكشاف ٣/ ٣٢٥، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٥٦، وزاد المسير ٧/ ٢٤.

(٦) في (د٣): تعدوننا.

«ما يَنْظرون» أي: ما يَنْتظرون، ولمَّا كانت هذه الصَّيحةُ لا بُدَّ من وُقوعها جُعلوا كأنهم مُنتظِروها، وهذه هي النَّفْخَةُ الأُولى، تأخُذهم فيَهْلِكون وهم يَتخاصَمون في مُعامَلاتهم وأسواقِهم في أماكنهم؛ من غير إمْهالٍ لتَوْصية، ولا رُجوعٍ إلى أهل.

وفي الحديث: «تقومُ السَّاعةُ والرَّجُلان قد نَشَرا ثَوْبَهُما يتبايعانه، فما يَطْويانه حتى تقوم، والرجلُ يَخْفِض مِيزانَه ويَرْفَعُه، والرجل يَرْفع أَكْلَته إلى فيه، فما تصلُ إلى فيه حتى تقوم»(١).

وقيل: لا يَرْجعون إلى أهلهم قولاً، وقيل: «ولا إلى أهلهم(٢) يَرْجعون» أبداً.

وقرأ أُبيّ: «يَخْتَصِمون» على الأصل(٣). والحِرْمِيَّان وأبو عمرو والأعْرَج وشِبْل وابن قسطنطين بإدغام التاء في الصَّاد ونقلِ حركتها إلى الخاء(٤). وأبو عمرو أيضاً وقالون بخُلْف بالاختلاس وتشديد الصَّاد. وعنهما إسْكانُ الخاء وشَدُّ الصَّاد. وحمزة بإسكان الخاء وتخفيف الصَّاد من خَصِم. وباقي السَّبعة بكسر الخاء وشدِّ الصَّاد(٥). وفرقةٌ بكسر الياء إتباعاً لكسرة الخاء وشَدِّ(٦) الصَّاد.

وقرأ ابن مُحَيْصِن «يُرْجَعون» بضمِّ الياء وفتح الجيم(٧).

وقرأ الأعرج: «في الصُّوَر» بفتح الواو(٨)، والجمهور بإسكانها.

---

(١) أخرجه أحمد (٨٨٢٤)، والبخاري (٦٥٠٦)، ومسلم (٢٩٥٤) من حديث أبي هريرة ﷺ.
(٢) في (أ ز٢ يه): أهليهم، في الموضعين.
(٣) معاني القرآن للفراء ٢/ ٣٧٩، وللنحاس ٥/ ٥٠٢، وإعراب القرآن له ٣/ ٣٩٧، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٥٧، وزاد المسير ٧/ ٢٥، وتفسير القرطبي ١٧/ ٤٥٩.
(٤) انظر السبعة ٥٤١، والتيسير ١٨٤، والنشر ٢/ ٣٥٤، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٥٦.
(٥) السبعة ٥٤١، والتيسير ١٨٤، والنشر ٢/ ٣٥٤، وإعراب القرآن للنحاس ٣/ ٣٩٧، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٥٦، وتفسير القرطبي ١٧/ ٤٥٨.
(٦) في (د٣): وتشديد، وفي (يه): ويشدّ، وكله سواء، ورويت هذه القراءة عن عاصم، انظر السبعة ٥٤١، والنشر ٢/ ٣٥٤، وتفسير القرطبي ١٧/ ٤٥٩، وجامع البيان للداني ٢/ ٣٦٦.
(٧) المحرر الوجيز ٤/ ٤٥٧.
(٨) إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٣٩٩، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٥٧، وتفسير القرطبي ١٧/ ٤٦١، ونسبها ابن جني في المحتسب ٢/ ٢١٢ إلى قتادة.

وقُرِئَ: «من الأجْدافِ» بالفاء بدل الثَّاء[١]، وقرأ الجمهور بالثاء.

و«يَنْسِلون» بكسر السِّين، وابن أبي إسحاق وأبو عمرو بخلافٍ عنه بضمِّها[٢].

وهذه النَّفْخَةُ هي الثانيةُ التي يقومُ الناسُ أحياءً عنها.

ولا تَنافُرَ بين «يَنْسِلون» وبين ﴿فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨] لأنه لا يَنْسِلُ إلا قائماً، ولأنّ[٣] تقارُبَ[٤] الزَّمانَين يجعله كأنه زمانٌ واحد.

وقرأ ابن أبي ليلى «يا وَيْلَتَنا» بتاء التأنيث[٥]، وعنه أيضاً: «يا وَيْلَتا» بالتاء بعدها ألفٌ بدلٌ من ياء الإضافة[٦]. ومعنى هذه القراءة أنَّ كلَّ واحدٍ منهم يقول: يا وَيْلَتا، والجمهور بدونها[٧].

«مَنْ بَعَثَنا» مَن استفهام[٨]، وبعث فعلٌ ماض.

وعليّ وابن عباس والضحّاك وأبو نَهيك «من» حرف جرّ «بَعْثِنا» مجرورٌ به[٩].

والمَرْقَد: استعارةٌ عن مَضْجَع الميت، واحتمل أن يكون مصدراً، أي: من رُقادِنا، وهو أجود، أو يكون مكاناً، فيكون المفرَدُ فيه يُرادُ به الجمع، أي: من مَراقِدنا.

وما رُوي عن أُبيّ بن كعب ومجاهد وقتادة من أن جميعَ البشرِ ينامون نومةً قبل الحَشْر؛ فقالوا: هو غيرُ صحيحِ الإسناد.

---

(١) الكشاف ٣/ ٣٢٥، وعنه القرطبي ١٧/ ٤٦٢.
(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٤٥٧، ومختصر في الشواذ ١٢٥ عن ابن أبي إسحاق، وقراءة أبي عمرو المشهورة عنه كقراءة الجماعة.
(٣) في (أ د٣ ز٢): أو لأن.
(٤) في (أ ت ز٢) والمطبوع: تفاوت، والمثبت من (د٣ يه).
(٥) مختصر في الشواذ ١٢٥، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٥٧، وتفسير القرطبي ١٧/ ٤٦٤.
(٦) المحتسب ٢/ ٢١٣.
(٧) كلمة: بدونها، من (د٣ يه)، يعني بدون تاء التأنيث «يا ويلنا».
(٨) في النسخ: استفهاماً، والمثبت من المطبوع.
(٩) مختصر في الشواذ ١٢٥، والمحتسب ٢/ ٢١٣، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٥٨، وتفسير القرطبي ١٧/ ٤٦٣، ٤٦٤، وزاد ابن الجوزي ٧/ ٢٥ نسبتها إلى أبي رزين وعاصم الجحدري.

وقيل: قالوا: «من مَرْقَدِنا» لأن عذابَ القبر كان كالرُّقادِ في جَنْب ما صاروا إليه من عذابِ جَهنَّم.

والظاهر أن «هذا» ابتداءُ كلامٍ؛ فقيل: من الله على سَبيلِ التَّوبيخ والتَّوقيفِ على إنكارِهم.

وقال الفرَّاء: من قولِ الملائكة. وقال قتادة ومجاهد: من قول المؤمنين للكفَّار على سَبيلِ التَّقريع.

وقال ابن زيد: من قول الكَفَرة؛ لمَّا رأوا البَعْثَ[1] الذي كانوا يُكذِّبون به في الدُّنيا قالوا ذلك[2].

والاستفهامُ بـ «مَن» سؤالٌ عن الذي بَعَثَهم.

وتَضمَّن قولُه: «هذا ما وَعَد الرَّحمن» ذكرَ الباعِثِ، أي: الرحمن الذي وَعَدَكموه.

و«ما» يجوز أن تكون مَصْدريَّة على تَسْميةِ المَوْعود والمَصْدوق فيه بالوَعْد والصِّدق. وبمعنى الذي، أي: هذا الذي وَعَدَه الرحمن والذي صَدَقَه المُرْسَلون، أي: صَدَق فيه، من قولهم: صَدَقْتُ زيداً الحديثَ، أي: صَدَقْتُه فيه، ومنه قولهم: صَدَقَني سِنَّ بَكْرِه، أي: في سِنِّ بَكْرِه[3].

وقال الزجاج: ويجوز أن يكون «هذا» إشارةً إلى المَرْقَد، ثم استأنفَ «ما وَعَد الرحمن» ويُضمر الخبر: حَقٌّ أو نحوه[4].

وتَبِعه الزمخشري فقال: ويجوز أن يكون «هذا» صِفَةً للمَرْقَد، و«ما وَعَد» خبرُ

---

(١) في المطبوع: الكفرة أو البعث (؟!).

(٢) انظر الأقوال في معاني القرآن للفراء ٢/ ٣٨٠، وللنحاس ٥/ ٥٠٥-٥٠٦، وإعراب القرآن ٣/ ٤٠٠، وتفسير الطبري ١٩/ ٤٥٦-٤٥٨، والثعلبي ٥/ ٢٠٠، والماوردي ٥/ ٢٣-٢٤، والقرطبي ١٧/ ٤٦٤-٤٦٥، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٥٨، والكشاف ٣/ ٣٢٦، وزاد المسير ٧/ ٢٥-٢٦.

(٣) انظر الكشاف ٣/ ٣٢٦.

(٤) معاني القرآن للزجاج ٤/ ٢٩١، ونقله عنه النحاس في إعراب القرآن ٣/ ٤٠٠، وابن عطية ٤/ ٤٥٨، وابن الجوزي ٧/ ٢٦.

مبتدأ محذوف، أي: هذا وَعْدُ الرَّحمن، أو مبتدأ محذوفُ الخبر، أي: ما وَعَد الرحمنُ وصَدَق المُرْسَلون حَقٌّ عليكم[1]. انتهى.

وتقدَّمت قراءةُ: «إلا صَيْحَةٌ» بالرَّفع وتوجيهها[2].

«فاليومَ» هو يومُ القيامة، وانتصب على الظَّرف، والعاملُ فيه: «لا تُظْلَم».

والظاهر أن الخِطابَ لجميع العالَم، ويَنْدَرِج فيه مَن تقدَّم ذِكْرُه.

قيل: والصَّيْحةُ: قولُ إسْرافيلَ عليه السلام: أيَّتُها العِظامُ النَّخِرَة، والأوصالُ المُتَقطِّعة، والشُّعور المُتَمَزِّقة، إن الله يأمُرُكُنَّ أن تَجْتَمِعْنَ لفَصْلِ القَضاء، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ﴾ [ق: ٤٢][3].

❁ ❁ ❁

﴿إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾ وَٱمْتَٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٩﴾ ۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱصْلَوْهَا ٱلْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦٤﴾ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ فَٱسْتَبَقُوا۟ ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ ﴿٦٦﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَٰهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ﴿٦٧﴾ وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِى ٱلْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾ وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٠﴾﴾.

لمَّا ذَكر تعالى أهوالَ يوم القيامة أعْقَبَ ذلك بحالِ السُّعَداء والأشقياء.

والظَّاهر أنه إخْبارٌ لنا بما يكونون فيه إذا صاروا إلى ما أُعِدَّ لهم من الثَّواب

---

(١) الكشاف ٣/ ٣٢٦.

(٢) في الآية (٢٩) من هذه السورة.

(٣) تفسير القرطبي ١٩/ ٤٦٦.

والعِقاب. وقيل: هو حِكايةُ ما يُقال في ذلك اليوم.

وفي مثلِ هذه الحكاية زيادةُ تصويرٍ للمَوْعود، وتمكينٌ له في النُّفوس، وترغيبٌ في الحِرْص عليه وفيما يُثْمِرُه.

والظاهر أن الشُّغْلَ هو النَّعيم الذي قد شَغَلهم عن كلِّ ما يَخْطُر بالبال، وقال قريباً منه مُجاهد.

وبعضهم خَصَّ هذا الشُّغْل بافتضاض الأبكار. قاله ابن عباس، وعنه أيضاً: سَماعُ الأوتار.

وعن الحسن: شُغِلوا عمَّا فيه أهلُ النار. وعن الكلبي: عن أهاليهم من أهل النَّار، لا يَذْكرونهم لئلّا يَتَنَغَّصوا.

وعن ابن كَيْسان: الشُّغْلُ: التَّزاوُر. وقيل: ضيافةُ الله[١].

وأُفرد الشُّغل مَلْحوظاً فيه النَّعيم، وهو واحدٌ من حيث هو نَعيم.

وقرأ الحِرْميَّان وأبو عمرو بضمِّ الشّين وسكون الغين، وباقي السبعة بضمِّهما[٢].

ومجاهد وأبو السمَّال وابن هُبَيْرة فيما نقل ابن خالويه عنه بفتحتين[٣]. ويزيد النَّحوي وابن هُبَيرة فيما نقل أبو الفضل الرَّازي بفتح الشّين وإسكان الغين[٤].

وقرأ الجمهور: «فاكهون» بالألف. والحسن وأبو جعفر وقتادة وأبو حَيْوة

---

(١) انظر الأقوال في: تفسير الطبري ١٩/ ٤٦٠-٤٦١، والثعلبي ٥/ ٢٠٠-٢٠١، والماوردي ٥/ ٢٤، والقرطبي ١٧/ ٤٦٧-٤٦٨، وإعراب القرآن ٣/ ٤٠١، والكشاف ٣/ ٣٢٧، والمحرر الوجيز ٤/٤٥٨، وزاد المسير ٧/ ٢٧.

(٢) السبعة ٥٤١-٥٤٢، والتيسير ١٨٤، والنشر ٢/ ٢١٦.

(٣) إعراب القرآن ٣/ ٤٠١، ومختصر في الشواذ ١٢٥ (وتحرف فيه ابن هبيرة إلى أبو هريرة)، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٥٨.

(٤) في (د٣ يه): وسكون الغين، وهما بمعنى، وقراءة يزيد النحوي في مختصر في الشواذ ١٢٥، وذكر ابن عطية ٤٥٨/٤ أن ابن هبيرة قرأ على المنبر بفتح الشين وسكون الغين.

ومجاهد وشَيْبَة وأبو رَجاء ويحيى بن صبيح ونافع في رواية بغير ألف[١]. وطلحة والأعمش: «فاكهين» بالألف وبالياء[٢] نصباً على الحال، و«في شُغُلٍ» هو الخبر.

فبالألف أصحابُ فاكهة، كما يقال: لابِن وتامِر وشاحِم ولاحِم[٣]، وبغير ألف معناه فَرِحون طَرِبون، مأخوذٌ من الفُكاهة[٤].

قيل: والفاكِه والفَكِه: المُتَنَعِّم المُتَلَذِّذ، ومنه الفاكهة لأنه مما يُتَلَذَّذ به، وكذلك الفُكاهَة وهي المُزاحَة[٥].

وقرئ: «فَكِهين» بغير ألف وبالياء، وقُرئ: «فَكُهون» بضمِّ الكاف[٦]، يُقال: رجلٌ فَكِهٌ وفَكُهٌ، نحو نَدِس ونَدُس[٧].

ويجوز في «هم» أنْ يكون مبتدأ وخبرُه «في ظِلالٍ» و«مُتّكئون» خبرٌ ثان. أو خبرُه «مُتّكئون» و«في ظِلالٍ» مُتعلِّقٌ به.

أو يكون تأكيداً للضَّمير المُسْتَكِنّ في «فاكهون» و«في ظِلالٍ» حالٌ، و«مُتَّكئون» خبرٌ ثان لـ «إنّ».

أو يكون تأكيداً للضَّمير المُسْتَكِنّ في «شُغُلٍ» المُنْتَقِلِ إليه من العامل فيه.

وعلى هذا الوجه والذي قبلَه يكون الأزواج قد شاركوهم في التَّفَكُّه والشُّغُل والاتِّكاء على الأرائك وذلك من جهةِ المَنْطوق.

وعلى الأوّل شاركوهم في الظِّلال والاتِّكاء على الأرائك من حيث المَنْطوق، وهنَّ قد شارَكْنَهم في التَّفَكُّه والشُّغل من حيث المعنى.

---

(١) النشر ٢/ ٣٥٤-٣٥٥ عن أبي جعفر، ومختصر في الشواذ ١٢٥، وتفسير الطبري ١٩/ ٤٦٢، والثعلبي ٥/ ٢٠١، والقرطبي ١٧/ ٤٦٩، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٥٩، وزاد المسير ٧/ ٢٨ ونسبها إلى ابن مسعود والسلمي وأبي المتوكل وأبي الجوزاء والنخعي أيضاً.
(٢) إعراب القرآن ٣/ ٤٠١، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٥٩، وتفسير القرطبي ١٧/ ٤٦٩.
(٣) أي: صاحب لبن وتمر وشحم ولحم.
(٤) المحرر الوجيز ٤/ ٤٥٩.
(٥) في المطبوع: مأخوذ من الفكاهة وهي المزحة، وانظر الكشاف ٣/ ٣٢٧.
(٦) ذكرهما الزمخشري ٣/ ٣٢٧.
(٧) هو الذي يخالط الناس دون أن يثقل عليهم. المعجم الوسيط (ندس).

وقرأ الجمهور: «في ظِلالٍ»، قال ابن عطية: وهو جمع ظِلّ؛ إذ الجنَّةُ لا شمسَ فيها، وإنما هَواؤها سَجْسَج كوَقْتِ الأسْفار قبل طُلوع الشَّمس[١]. انتهى.

وجمع فِعْل على فِعال في الكثرة نحو: ذِئب وذئاب.

وأمَّا أنّ وقتَ الجنَّةِ كوقت الأسْفارِ قبل طُلوعِ الشمس فيحتاج هذا إلى نَقْلٍ صحيح[٢]، وكيف يكون ذلك وفي الحديث ما يدلُّ على أن حَوْراء من حُورِ الجنَّة لو ظَهَرَت لأضاءتْ منها الدنيا[٣]، أو نحوٌ من هذا[٤]؟!

قال: ويحتمل أن يكون جمع ظُلَّة، قال أبو عليّ: كبُرْمَة وبِرام، وقال منذر بن سعيد: جمع ظِلَّة بكسر الظَّاء، قال ابن عطية: وهي لغة في ظُلَّة[٥]. انتهى.

فيكون مثل لِقْحَة ولِقاح[٦]، وفِعال لا يَنْقاس في فِعْلَة بل يُحْفَظ.

وقرأ عبد الله والسُّلَميّ وطلحة وحمزة والكسائي: «في ظُلَل» جمع ظُلَّة[٧]، وجمع فُعْلَة على فُعَل مَقيسٌ، وهي عبارةٌ عن الملابِس والمَراتب من الحِجال والسُّتور ونحوها من الأشياء التي تُظِلّ[٨].

وقرأ عبد الله: «مُتَّكئين» نَصْباً على الحال[٩].

و«يَدَّعون» مضارع ادَّعى، وهو افْتَعل من دَعا، ومعناه: ولهم ما يَتَمَنَّون.

---

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٤٥٩.
(٢) نقل الآلوسي ٢٢/ ٣٨٠ عن ابن القيم في حادي الأرواح ١٨٩ ما يدل على أنه صحيح.
(٣) أخرجه البخاري (٢٧٩٦) من حديث أنس بن مالك ﷺ، عن النبي ﷺ: «... ولو أن امرأة من أهل الجنة اطلعت إلى أهل الأرض لأضاءت ما بينهما ولملأته ريحاً».
(٤) قال الآلوسي ٢٢/ ٣٨١: ويمكن الجواب بأن المراد تقريب الأمر لفهم السائل وإيضاح الحال بما يفهمه، أو بيان نورها في نفسها...
(٥) المحرر الوجيز ٤/ ٤٥٩، وانظر الحجة للفارسي ٦/ ٤٤، والبرمة: القدر من الحجارة. المعجم الوسيط (برم).
(٦) اللقحة: الناقة الحلوب الغزيرة اللبن. المعجم الوسيط (لقح).
(٧) السبعة ٥٤٢، والتيسير ١٨٤، والنشر ٢/ ٣٥٥، وتفسير الثعلبي ٥/ ٢٠١، والقرطبي ١٧/ ٤٦٩، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٥٩.
(٨) المحرر الوجيز ٤/ ٤٥٩.
(٩) الكشاف ٣/ ٣٢٧.

قال أبو عُبيدة: العرب تقول: ادَّعِ عليَّ ما شئتَ، بمعنى: تَمَنَّ عليَّ[(١)]، وتقول: فلانٌ في خير ما ادَّعى، أي: في خير ما تَمَنَّى.

قال الزجاج: وهو من الدُّعاء، أي: ما يَدْعو به أهلُ الجنّة يأتيهم[(٢)].

وقيل: يَدْعون فيه لأنفسهم. وقيل: يَتَداعَوْنَه؛ كقوله: ارْتَمَوْهَ وتَرامَوْه[(٣)].

وقرأ الجمهور: «سَلامٌ» بالرَّفع، قيل: وهو صفةٌ لـ «ما» أي: مُسَلَّمٌ لهم وخالِصٌ[(٤)]. انتهى.

ولا يصحُّ إنْ كانت «ما» بمعنى الذي؛ لأنها تكون إذْ ذاك معرفة، و«سَلامٌ» نكرة، ولا تُنْعت المعرفةُ بالنَّكرة، فإنْ كانت «ما» نكرةً موصوفةً جاز؛ إلا أنه لا يكون فيه عمومٌ كحالها بمعنى الذي.

وقيل: «سَلامٌ» مبتدأ، ويكون خبرُه ذلك الفعل النَّاصب لقوله: «قولاً» أي: سَلامٌ يُقال قولاً من ربٍّ رَحيم، أو يكون عليكم محذوفاً، أي سلامٌ عليكم قولاً من ربٍّ رَحيم.

وقيل: خبر مبتدأ محذوف، أي: هو سَلامٌ.

وقال الزمخشري: «سَلامٌ» بدلٌ من «ما يَدَّعون» كأنه قال: لهم سَلامٌ يُقال لهم قولاً من جهةِ ربٍّ رحيم[(٥)]، والمعنى: أن الله يُسَلِّم عليهم بواسطةِ الملائكة، أو بغير واسطة، مُبالغةً في تَعظيمهم، وذلك مُتَمَنَّاهم، ولهم ذلك لا يُمْنَعونَه، قال ابن عباس: والملائكةُ يَدْخلون عليهم بالتَّحيَّة من ربِّ العالَمين[(٦)]. انتهى.

---

(١) مجاز القرآن ٢/ ١٦٤، ونقله عنه النحاس في معاني القرآن ٥/ ٥٠٩، والماوردي في النكت والعيون ٥/ ٢٦، وابن عطية في المحرر الوجيز ٤/ ٤٥٩، والقرطبي ١٧/ ٤٧٠.

(٢) معاني القرآن ٤/ ٢٩٢، ونقله عنه الماوردي ٥/ ٢٦، والزمخشري ٣/ ٣٢٧، وابن الجوزي ٧/ ٢٩.

(٣) الكشاف ٣/ ٣٢٧.

(٤) المحرر الوجيز ٤/ ٤٥٩.

(٥) في (يه): الرب الرحيم.

(٦) الكشاف ٣/ ٣٢٧، وهو قول الزجاج في معاني القرآن ٤/ ٢٩٢، ونقله عنه النحاس في معاني القرآن ٥/ ٥١٠، والقرطبي ١٧/ ٤٧١.

وإذا كان «سَلامٌ» بدلاً من «ما يَدَّعون» كان «ما يَدَّعون» خُصوصاً، والظاهر أنه عُمومٌ في كلِّ ما يَدَّعون، وإذا كان عموماً لم يكن «سَلامٌ» بدلاً منه.

وقيل: «سَلامٌ» خبر لـ «ما يَدَّعون» و«ما يَدَّعون» مبتدأ، أي: ولهم ما يَدَّعون سَلامٌ خالصٌ لا شَوبَ فيه، و«قولاً» مصدرٌ مؤكِّد لقوله: «ولهم ما يَدَّعون سَلامٌ»، أي: عِدَةٌ من ربٍّ رَحيم.

قال الزمخشري: والأوْجَهُ أنْ ينتصبَ على الاختصاص، وهو من مَجازه[(١)]. انتهى. ويكون «لهم» مُتعلِّقاً على هذا الإعراب بـ «سَلامٌ».

وقرأ محمد بن كعب القُرَظِيّ: «سِلْمٌ» بكسر السين وسكون اللام[(٢)]، ومعناه: سَلامٌ، وقال أبو الفضل الرازي: مُسالِمٌ لهم، أي: ذلك مُسالم[(٣)].

وقرأ أُبيّ وعبد الله وعيسى والغَنَوي: «سَلاماً» بالنَّصْب على المَصْدر[(٤)].

وقال الزمخشري: نصبٌ على الحال، أي: لهم مرادُهم خالصاً[(٥)].

«وامتازوا اليوم» أي: انفَرِدوا عن المؤمنين، لأن المَحْشَر جَمع البَرَّ والفاجر، فأُمِر المجرمون بأن يكونوا على حِدَةٍ من المؤمنين.

والظاهر أن ثَمَّ قولاً مَحذوفاً؛ لمَّا ذكر تعالى ما يُقال للمؤمنين في قوله: «سَلامٌ قولاً من ربٍّ رحيم» قيل: ويُقال للمُجرمين: امتازوا.

ولمَّا امْتَثَلوا ما أُمِروا به قال لهم على جِهةِ التَّوبيخ والتَّقريع: «ألم أعْهَد إليكم» وَقَفَهم على عَهْده إليهم ومُخالفتهم إيَّاه.

---

(١) الكشاف ٣/ ٣٢٧ وما قبله منه.

(٢) المحتسب ٢/ ٢١٤، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٥٩، وتفسير القرطبي ١٧/ ٤٧٢.

(٣) قال الآلوسي ٢٢/ ٣٨٨: وليس بذاك.

(٤) معاني القرآن للفراء ٢/ ٣٨٠، وللنحاس ٥/ ٥١٠، وإعراب القرآن له ٣/ ٤٠٢، ومختصر في الشواذ ١٢٦، والمحتسب ٢/ ٢١٥، والكشاف ٣/ ٣٢٧، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٥٩، وزاد المسير ٧/ ٢٩، وتفسير القرطبي ١٧/ ٤٧١، ونسبها الثعلبي ٥/ ٢٠٢ إلى النخعي، وابن الجوزي إلى الجحدري.

(٥) الكشاف ٣/ ٣٢٧.

وعن الضحاك: لكلِّ كافرٍ بيتٌ من النَّار يكون فيه لا يَرى ولا يُرى. فعلى هذا معناه أن بعضَهم يَمْتازُ من بعض.

وعن قتادة: اعتَزلوا عن كلِّ خيرٍ[١].

والعَهْد: الوَصِيَّة، عَهِد إليه إذا وَصَّاه، وعَهِد الله إليهم ما رَكَزَ فيهم من أدلَّةِ العَقْل، وأنزل إليهم من أدلَّةِ السَّمع.

وعِبادةُ الشَّيطان: طاعَتُه فيما يُغْويه ويُزَيِّنُه[٢].

وقرأ الجمهور: «أَعْهَد» بفتح الهمزة والهاء.

وقرأ طلحة والهُذَيل بن شُرَحْبيل الكوفي بكسر الهمزة، قاله صاحب «اللَّوامح» وقال: لغة تميم. وهذا الكسرُ في النون والتَّاء أكثر من بين حروف المضارعة، يعني نَعْهَد وتَعْهَد[٣].

وقال ابن خالويه: «ألم إعْهَد» يحيى بن وَثَّاب، ألم أحَّد لغة تميم[٤].

وقال ابن عطية: وقرأ الهُذَيْل وابن وَثَّاب: «ألمِ إِعْهَد» بكسر الميم والهمزة وفتح الهاء، وهي على لُغة من كَسَر أوَّلَ المضارع سوى الياء، ورُوي عن ابن وَثَّاب: «ألم أعْهِد» بكسر الهاء، يقال: عَهِد وعَهَد[٥]. انتهى.

وقوله: بكسر الميم والهمزة؛ يعني أن كسرَ الميم يدلُّ على كسر الهمزة؛ لأن الحركة التي في الميم إنما هي حركةُ نقلِ الهمزة المكسورة، وحُذفت الهمزةُ حين نُقلت حركَتُها إلى السَّاكن قبلَها وهو الميم؛ لأنَّ الكسرة تكون فيهما في اللفظ، فيكون «ألم» بكسر الميم[٦] «إعْهَد» بالهمزة المقطوعة المكسورة لفظاً لأن هذا لا يجوز.

---

(١) تفسير الطبري ١٩/ ٤٦٩، والثعلبي ٥/ ٢٠٢، والماوردي ٥/ ٢٦، والقرطبي ١٧/ ٤٧٢، والكشاف ٣/ ٣٢٧.
(٢) الكشاف ٣/ ٣٢٧.
(٣) ذكرها السمين ٩/ ٢٨٠، والآلوسي ٢٢/ ٣٩١.
(٤) مختصر في الشواذ ١٢٥.
(٥) المحرر الوجيز ٤/ ٤٥٩.
(٦) قوله: لأن الكسرة... إلى هنا، ليس في المطبوع.

وقال الزمخشري: وقرئ: «إِعْهَد» بكسر الهمزة، وباب فَعِل كلُّه يجوز في حروف مُضارعتِه الكسرُ إلا في الياء، و«أعْهِد» بكسر الهاء، وقد جوَّز الزجاج أن يكن من باب: نَعِم يَنْعَم، وضَرَب يَضْرِب، و«أحْهَد» بالحاء، و«أحَّد» وهي لغة تميم، ومنه قولهم: دَحَّا مَحَّا. انتهى(١).

وقوله: إلا في الياء؛ لغةُ بعضِ كَلْب أنّهم يكسرون أيضاً في الياء يقولون: هو(٢) يِعْلَم.

وقولُه: دَحَّا مَحَّا؛ يريدون: دَعْها معها، أدغموا العين في الحاء(٣).

والإشارةُ بهذا إلى ما عَهِد إليهم من مَعصِيةِ الشيطان وطاعةِ الرَّحمن(٤).

وقرأ نافع وعاصم: «جِبِلًّا» بكسر الجيم والباء وتشديد اللام، وهي قراءة أبي حَيْوة وسُهَيل وأبي جعفر وشَيْبة وأبي رجاء والحسن بخلافٍ عنه(٥).

وقرأ العَرَبيَّان والهُذَيْل بن شُرَحْبيل بضمِّ الجيم وإسكان الباء. وباقي السَّبعة بضمِّهما وتخفيف اللام(٦).

والحسن وابن أبي إسحاق والزُّهري وابن هُرْمز وعبد الله بن عُبيد بن عُمير وحفص بن حُمَيْد بضمتين وتشديد اللام(٧).

---

(١) الكشاف ٣/ ٣٢٧، وانظر معاني القرآن للزجاج ٤/ ٢٩٤.

(٢) في النسخ والمطبوع خلا (د٣ يه): هل، والمثبت منهما.

(٣) نقله السمين ٩/ ٢٨٠-٢٨١، والآلوسي ٢٢/ ٣٩١-٣٩٢.

(٤) الكشاف ٣/ ٣٢٧.

(٥) السبعة ٥٤٢، والتيسير ١٨٤، والنشر ٢/ ٣٥٥، وإعراب القرآن ٣/ ٤٠٢، وتفسير الثعلبي ٥/ ٢٠٣، وزاد المسير ٧/ ٣٠، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٦٠ (وتحرف فيه بكسر الجيم والباء إلى: بفتح الباء والجيم)، وتفسير القرطبي ١٧/ ٤٧٣.

(٦) انظر المصادر في الحاشية السابقة، والعربيان هما ابن عامر وأبو عمرو.

(٧) إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٤٠٢، والمحتسب ٢/ ٢١٦، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٦٠، وتفسير القرطبي ١٧/ ٤٧٣ وزادوا في نسبتها إلى عيسى بن عمر وابن وثاب والنضر بن أنس.
وقرأ بها أيضاً يعقوب ـ وهو من العشرة ـ في رواية روح عنه، انظر النشر ٢/ ٣٥٥.
ونسبها ابن الجوزي في زاد المسير ٧/ ٣٠ إلى علي بن أبي طالب وابن عباس وأبي عبد الرحمن السلمي والزهري والأعمش.

والأشْهَب العُقَيْليّ واليَماني وحَمَّاد بن سَلَمة عن عاصم بكسر الجيم وسكون الباء[١].

والأعمش: «جِبِلاً» بكسرتين وتخفيف اللام[٢]. وقرئ: «جِبَلاً» بكسر الجيم وفتح الباء وتخفيف اللام[٣] جمع جِبْلَة، نحو فِطْرَة وفِطَر. فهذه سبعُ لغات قُرئ بها.

وقرأ علي بن أبي طالب وبعضُ الخُراسانيين: «جِيْلاً» بكسر الجيم بعدها ياء آخر الحروف واحدُ الأجْيال[٤].

والجِبِلّ بالباء بواحدةٍ من أسفل: الأُمَّةُ العظيمة. وقال الضحاك: أقلُّه عشرة آلاف[٥]. خاطب تعالى الكفَّارَ بما فعل معهم الشّيطان تَقْريعاً لهم.

وقرأ الجمهور: «أفلم تكونوا» بتاء الخطاب، وطلحة وعيسى بياء الغَيْبة[٦] عائداً على جِبِلّ.

ويُروى أنهم يَجْحَدون ويُخاصِمون، فيَشْهد عليهم جيرانُهم وعَشائرُهم وأهاليهم، فيَحْلِفون ما كانوا مُشركين، فحينئذٍ يُخْتَم على أفواههم، وتَكَلَّم أيديهم وأرجلُهم.

وفي الحديث: «يقول العبدُ يوم القيامة: إني لا أُجيزُ عليَّ شاهداً إلا من

---

(١) إعراب القرآن ٣/ ٤٠٣، ومختصر في الشواذ١٢٥، والمحتسب ٢/ ٢١٦، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٦٠، وتفسير القرطبي ١٧/ ٤٧٤.
ونسبها ابن الجوزي ٧/ ٣٠ إلى عبد الله بن عمرو وابن السميفع.

(٢) مختصر في الشواذ ١٢٥.

(٣) نسبها ابن الجوزي في زاد المسير ٧/ ٣٠ إلى أبي العالية وابن يعمر، وذكرها ابن خالويه في مختصره ص١٢٦ دون نسبة.

(٤) الكشاف ٣/ ٣٢٨، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٦٠، وذكرها النحاس في إعراب القرآن ٣/ ٤٠٣ دون نسبة، وعنه القرطبي ١٧/ ٤٧٤.

(٥) النكت والعيون ٥/ ٢٧، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٦٠، وتفسير القرطبي ١٧/ ٤٧٤.

(٦) المحرر الوجيز ٤/ ٤٦٠، ونسبها ابن الجوزي في زاد المسير ٧/ ٣١ إلى ابن عباس وأبي رزين وأبي عبد الرحمن السلمي وأبي رجاء ومجاهد وابن يعمر.

نفسي، فيُخْتَم على فيه، ويُقال لأركانه: انطِقي، فتَنْطِقُ بأعماله، ثم يُخَلَّى بينه وبين الكلام فيقول: بُعْداً لكنَّ وسُحْقاً؛ فعنكنّ كنتُ أُناضِل»[١].

وقرئ: «يُخْتَم» مَبنيًّا للمفعول[٢]، و«تتَكَلَّم أيديهم» بتاءين.

وقرئ: «ولْتُكَلِّمْنا أيديهم ولْتَشْهَدْ» بلام الأمرِ والجَزْم؛ على أن الله يأمرُ الأعضاءَ بالكلام والشَّهادة[٣].

وروى عبد الرحمن بن محمد بن طلحة عن أبيه عن جدِّه طلحة أنه قرأ: «ولِتُكَلِّمَنا أيديهم ولِتَشْهَدَ» بلام كي والنَّصب على معنى: ولِذلك نَخْتِمُ على أفواههم[٤].

والظاهر أن الأعين هي[٥] الأعضاء المُبْصِرة، والمعنى: لأعْمَيْناهم فلا يَرَوْن كيف يَمْشون. قاله الحسن وقتادة، ويؤيِّده مُناسبةُ المَسْخ؛ فهم في قَبْضَة القُدْرَة، وبمَدْرَج[٦] العَذاب إن شاءه الله لهم.

وقال ابن عباس: أراد أعْيُنَ البَصائر، والمعنى: ولو نشاء لَخَتَمْنا عليهم بالكُفر فلا يهتدي منهم أحدٌ أبداً[٧].

والطَّمْسُ: إذهابُ الشيء وأثرِه جُملةً حتى كأنه لم يوجد. فإنْ أُريد بالأعْيُن الحقيقةَ فالظَّاهر أنه يَطْمِس بمعنى يَمْسَح حقيقةً، ويجوز أن يكون الطَّمْسُ يُرادُ به العَمى من غير إذهابِ العُضْوِ وأثَرِه.

---

(١) الكشاف ٣/ ٣٢٨، وأخرجه مسلم (٢٩٦٩) من حديث أنس بن مالك ﷺ.
(٢) نسبها ابن الجوزي ٧/ ٣١ إلى أبي المتوكل وأبي الجوزاء.
(٣) ذكر القراءتين الزمخشري ٣/ ٣٢٨ دون نسبة.
(٤) المحتسب ٢/ ٢١٦، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٦٠، ونسبها الفراء ٢/ ٣٨١، والنحاس ٥/ ٥١٢ في معاني القرآن لهما، وابن الجوزي ٧/ ٣١ إلى عبد الله ابن مسعود. وذكرها الزمخشري ٣/ ٣٢٨ دون نسبة.
(٥) في (د٣): هنّ.
(٦) في المطبوع: وبروج.
(٧) المحرر الوجيز ٤/ ٤٦١ وما قبله منه، وانظر تفسير الطبري ١٩/ ٤٧٤-٤٧٥، والثعلبي ٥/ ٢٠٤، والماوردي ٥/ ٢٩، والقرطبي ١٧/ ٤٧٧-٤٧٨، ومعاني القرآن للنحاس ٥/ ٥١٣، وزاد المسير ٧/ ٣٢.

وقرأ الجمهور: «فاستَبَقوا» فعلاً ماضياً معطوفاً على «لَطَمَسْنا» وهو على الفَرْض والتَّقدير.

و«الصِّراطَ» منصوبٌ على تقدير إلى، حُذِفت ووَصل الفعل، والأصل: فاستَبَقوا إلى الصِّراط. أو مفعولاً به على تَضمين استبقوا معنى تَبادروا. أو جعله مَسْبوقاً لا مَسْبوقاً إليه.

قال الزمخشري: أو ينتصب على الظَّرْف[1]. انتهى.

وهذا لا يَجوز؛ لأن الصِّراطَ هو الطَّريق، وهو ظرفُ مكان مختصّ لا يصل إليه الفعل إلا بوساطة في إلا في شذوذ، كما أنشد سيبويه:

لَدْنٌ بهَزِّ الكَفِّ يَعْسِلُ مَتْنُه فيه كما عَسَل الطَّريقَ الثَّعلَبُ[2]

ومذهب ابنِ الطَّراوة أنّ الصِّراطَ والطَّريقَ والمَخْرَمَ وما أشبهها من الظُّروف المكانية ليست مُختصَّةً، فعلى مذهبه يَسوغ ما قاله الزمخشري[3].

وقرأ عيسى: «فاستَبِقوا» على الأمْر[4]، وهو على إضمار القول، أي: فيقال لهم: استَبِقوا الصِّراط، وهو أمرٌ على سَبيلِ[5] التَّعجيز، إذْ لا يمكنهم الاستباقُ مع طَمْسِ الأعْيُن.

«فأنَّى يُبْصِرون» أي: كيف يُبْصِرُ مَن طُمِس على عَينه.

والظَّاهر أن المَسْخَ حقيقةٌ، وهو تبديلُ صُوَرهم بصُوَرٍ شَنيعة. قال ابن عباس: لَمَسَخْناهم قِردةً وخَنازير كما تقدَّم في بني إسرائيل وغيرهم. وقيل: حجارةً.

وقال الحسن وقتادة وجماعة: لأقْعَدْناهم وأزْمَنَّاهم فلا يستطيعون تَصَرُّفاً.

---

(١) الكشاف ٣/ ٣٢٨ وما قبله منه.
(٢) الكتاب ١/ ٣٥-٣٦.
(٣) نقله السمين ٩/ ٢٨٣، والآلوسي ٢٢/ ٤٠٢، وانظر شرح التسهيل لابن مالك ٢/ ٢٢٨، وارتشاف الضرب ١٤٣٨.
(٤) مختصر في الشواذ ١٢٦.
(٥) في المطبوع: وهذا على سبيل.

والظاهر أن هذا لو كان كان يكون في الدنيا، وقال ابن سلام: هذا التَّوَعُّد كلُّه يوم القيامة[١].

وقرأ الجمهور: «على مَكانتهم» بالإفراد، وهي المكان، كالمَقامة والمَقام. وقرأ الحسن وأبو بكر بالجمع[٢].

والجمهور: «مُضِيًّا» بضمِّ الميم، وأبو حَيْوَة وأحمد بن جُبَير الأنطاكيّ عن الكسائي بكسرها إتْباعاً لحركة الضَّاد، كالعُتِيّ والعِتِيّ[٣]، ووزنه فُعول، التقت واوٌ ساكنة وياء، فأُبدِلت الواوُ ياءً، وأُدْغِمَت في الياء، وكُسِر ما قبلها لتَصِحَّ الياء.

وقُرِئ: «مَضِيًّا» بفتح الميم[٤]، فيكون من المَصادر التي جاءت على فَعيل؛ كالرَّسيم والوَجيف[٥].

ولمَّا ذكر تعالى الطَّمْسَ والمَسْخَ على تقدير المَشيئة ذكر تعالى دليلاً على باهر قُدرته في تَنْكيس المُعَمَّرين[٦]، وأن ذلك لا يَفْعله إلا هو تعالى.

وتَنْكيسُه قَلْبُه، وجَعْلُه على عكسِ ما خلقه أوَّلاً، وهو أنه خلَقَه على ضَعْفٍ في جَسَد، وخُلُوٍّ من عقلٍ وعلم، ثم جَعله يتزايدُ وينتقلُ من حالٍ إلى حال، إلى أن يَبْلُغَ أشُدَّه، ويَستكمِلَ قُوَّتَه، ويَعْقِلَ ويعلَمَ ما له وما عليه، فإذا انتهى نَكَّسه في

---

(١) انظر الأقوال في تفسير الطبري ١٩/ ٤٧٧، وإعراب القرآن ٣/ ٤٠٢، ومعاني القرآن ٥/ ٥١٤ كلاهما للنحاس، والنكت والعيون ٥/ ٢٩، والكشاف ٣/ ٣٢٩، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٦١، وزاد المسير ٧/ ٣٣، وتفسير القرطبي ١٧/ ٤٧٩.

(٢) السبعة ٥٤٢-٥٤٣، والتيسير ١٠٧، والنشر ٢/ ٢٦٣، ٣٥٥، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٦١، وتفسير القرطبي ١٧/ ٤٧٩ ونسباها أيضاً إلى ابن أبي إسحاق والسلمي وزر بن حبيش.
وكان في المطبوع من البحر: وقرأ الحسن على مكانتهم بالإفراد... وقرأ الجمهور وأبو بكر بالجمع. وهذا تحريف.

(٣) في المطبوع: كالعتبي والقتبي، وهو تحريف. وذكر هذه القراءة السمين في الدر المصون ٩/ ٢٨٤، والآلوسي في روح المعاني ٢٢/ ٤٠٤.

(٤) نسبها ابن عطية في المحرر ٤/ ٤٦١، والقرطبي ١٧/ ٤٧٩ إلى أبي حيوة. قال الزمخشري ٣/ ٣٢٩: وقرئ مضياً بالحركات الثلاث.

(٥) هما ضربان من عَدْو الناقة. المعجم الوسيط.

(٦) في المطبوع: تقدير المشبه... المعمر.

الخَلْق، فيَتناقَص حتى يَرجعَ في حالٍ شَبيهةٍ بحالِ الصَّبيِّ في ضَعْف جَسَدِه، وقِلَّةِ عقلِه، وخُلُوِّه من الفَهْم؛ كما يُنَكَّس السَّهْمُ فيُجْعَلَ أعلاه أسفلَه[1]. وفي هذا كلِّه دليلٌ على أنَّ مَن فعل هذه الأفاعيل قادرٌ على أن يَطْمِسَ وأن يَفْعَلَ بهم ما أراد.

وقرأ الجمهور: «نُنَكِّسْهُ» مُشدَّداً، وعاصم وحمزة مُخَفَّفاً[2].

وقرأ نافع وابن ذَكْوان وأبو عمرو في رواية عبَّاس: «تَعقِلون» بتاء الخطاب، وباقي السبعة بياء الغَيْبَة[3].

«وما عَلَّمْناه الشِّعرَ» الضَّمير في «عَلَّمْناه» للرَّسول ﷺ، كانوا يقولون فيه: شاعر، ورُوي أن القائلَ عُقْبَة بن أبي مُعَيْط[4]، فنفى الله ذلك عنه.

وقولُهم فيه شاعر؛ أمَّا مَن كان في طَبْعه الشِّعر فقولُه مُكابَرَةٌ وإيهامٌ للجاهل بالشِّعر، وأمَّا مَن ليس في طَبْعه فقولُه جهلٌ مَحْض.

وأين هو من الشِّعر والشِّعر إنما هو كلامٌ مَوزونٌ مُقَفًّى يدلُّ على معنًى تَنْتخبُه الشُّعَراء من كثرة التَّخييلِ، وتزويقِ الكلام، وغير ذلك ممَّا يتورَّع المُتَدَيِّن عن إنشاده فضْلاً عن إنشائه؟

وكان عليه السلام لا يقول الشعر، وإذا أنشد بيتاً أَحْرَز المعنى دون وَزْنه، كما أنشد:

ستُبدي لك الأيَّامُ ما كنتَ جاهلاً ... ويأتيك مَنْ لم تُزَوِّد بالأخبار[5]

وقيل له: مَن أشْعَرُ النَّاسِ؟ فقال: الذي يقول:

ألم تَرياني كلَّما جئتُ طارقاً ... وجَدْتُ بها وإنْ لم تَطَيَّبْ طِيباً[6]

---

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٤٦١، والكشاف ٣/ ٣٢٩.

(٢) السبعة ٥٤٣، والتيسير ١٨٥، والنشر ٢/ ٣٥٥، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٦١.

(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٤٦١، وانظر السبعة ٥٤٣، والتيسير ١٨٥، والنشر ٢/ ٢٥٧.

(٤) ذكر ذلك الزمخشري ٣/ ٣٢٩.

(٥) البيت لطرفة، وهو في ديوانه ٤٨، وروايته: ويأتيك بالأخبار مَن لم تزودِ.

(٦) البيت لامرئ القيس، وهو في ديوانه ١/ ٣٦٣ (بشرح السكري)، وروايته: طيباً وإن لم تطيب.

وأنشد يوماً:

أَتَجْعَلُ نَهْبي ونَهْبَ العُبَيْـ ـدِ بينَ الأقرعِ وعُيَيْنَةْ[١]

وأنشد يوماً:

كفى بالإسلامِ والشَّيبِ ناهيا

فقال أبو بكر وعمر: نَشْهد أنك رسولُ الله[٢]، إنما قال الشاعر: كفى الشَّيبُ والإسلامُ[٣].

وربّما أنشد البيتَ مُتَّزِناً في النَّادِر، رُوي عنه أنه أنشدَ بيتَ ابنِ رَواحة:

يَبيتُ يُجافي جَنْبَه عن فراشِه إذا استَثْقَلَت بالمُشركين المَضاجِعُ[٤]

ولا يَدلُّ إجراءُ البيت على لسانه مُتَّزِناً أنه يَعلم الشعرَ، وقد وقَع في كلامه عليه السلام ما يدخل[٥] الوزن؛ كقوله يوم حُنَين:

أنا النبيُّ لا كَذِبْ أنا ابنُ عبد المُطَّلِبْ[٦]

وكذلك قوله:

هل أنتِ إلا إصْبَعٌ دَمِيتِ وفي سبيل الله ما لَقِيتِ[٧]

وهو كلامٌ من جِنْسِ كلامه الذي كان يتكلَّم به على طَبيعته، من غير صَنْعَةٍ فيه، ولا قَصْدٍ لوَزْن، ولا تَكَلُّف.

---

(١) البيت للعباس بن مرداس، وهو في ديوانه ١١١، وروايته: بين عيينة والأقرع.
(٢) في (أ ت ز٢): لرسول الله.
(٣) البيت بتمامه:

عميرة ودع إن تجهزت غادياً كفى الشيب والإسلام للمرء ناهيا

وهو لسحيم عبد بني الحسحاس، انظر الخزانة ١/ ٢٦٧، وشرح أبيات مغني اللبيب ٢/ ٣٣٨.
(٤) ديوانه ٩٦، وانظر كتاب الشعر للمقدسي (١٩).
(٥) في (د٣): دخل، وفي المطبوع: يدخله.
(٦) انظر كتاب الشعر (١٠) (١١).
(٧) البيت لعبد الله بن رواحة، وهو في ديوانه ٨٧، وانظر ما سلف في تفسير الطبري ١٩/ ٤٨٠، والثعلبي ٥/ ٢٠٤-٢٠٥، والقرطبي ١٧/ ٤٨٠-٤٨٢، ومعاني القرآن للنحاس ٥/ ٥١٥، والكشاف ٣/ ٣٢٩، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٦١-٤٦٢، وزاد المسير ٧/ ٣٤-٣٥.

كما يوجد في القرآن شيء موزون ولا يُعَدُّ شعراً؛ كقوله تعالى: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢]، وقوله: ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩]، وفي كثيرٍ من النَّثْر الذي تُنْشِئه الفُصَحاء ولا يُسَمَّى ذلك شعراً، ولا يَخْطُرُ ببالِ المُنْشِئ ولا السَّامع أنه شِعرٌ.

«وما يَنْبَغي له» أي: ولا يُمكن له ولا يَصحُّ ولا يُناسِب؛ لأنه عليه السَّلام في طريق جِدٍّ مَحْض، والشِّعرُ أكثرُه في طريقِ هَزْلٍ، وتَحْسينٍ لما ليس حَسَناً، وتقبيحٍ لما ليس قَبيحاً، ومُغالاةٍ مُفْرِطة، جعله تعالى لا يَقْرِض الشِّعرَ، كما جعله أُمِّيًّا لا يَخُطُّ ولا يكتب؛ لتكونَ الحُجَّةُ أثْبت، والشُّبْهةُ أدْحَض.

وقيل: في هذه الآية دلالةٌ على غَضاضَةِ الشِّعر، وقد قال عليه السلام: «ما أنا بشاعرٍ ولا يَنْبغي لي»[١].

وذهب قومٌ إلى أنه لا غَضاضَةَ فيه، وإنما مَنَعه[٢] الله نبيَّه عليه الصلاة والسلام، وإنْ كان حِلْية جَليلةً، ليَجيءَ القرآنُ من قِبَله أغْرَب، فإنه لو كان له إدْراكُ الشِّعر لقيل في القرآن: هذا من تلك القُوَّة.

قال ابن عطية: وليس الأمر عندي كذلك، وقد كان عليه السَّلام من الفَصاحةِ والبَيان في النَّثر في الرُّتْبَةِ العُلْيا، ولكن كلام الله يُبين بإعجازه، ويُنذر[٣] برَصْفه، ويخرجه إحاطةُ علْم الله عن كلِّ كلام، وإنما منَع الله نبيَّه من الشعر تَرْفيعاً له عمَّا في قول الشِّعر من التَّخْييل والتَّزْويق للقول، وأما القرآن فهو ذِكرٌ لحَقائقَ وبَراهين، فما هو بقول شاعر، وهكذا كان أسلوبُ كلامه عليه السَّلام قولاً واحداً. انتهى.

والضمير في «له» للرَّسول، أي: وما يَنْبغي الشِّعرُ لرسول الله ﷺ.

وأبْعَدَ مَن ذهب إلى أنه عائدٌ على القرآن، أي: وما ينبغي الشِّعرُ للقرآن، ولم يَجْرِ له ذكر، لكنْ له أن يقول: يدلُّ الكلامُ عليه ويُبَيِّنُه عَوْدُ الضَّمير عليه في قوله:

---

(١) أخرجه عبد الرزاق ٢/ ١٤٥، والطبري ١٩/ ٤٨٠ من حديث عائشة رضي الله عنها، وانظر مسند أحمد (٢٤٠٢٣).

(٢) في (د٣ يه): منع، وهما سواء.

(٣) في المحرر الوجيز ٤/ ٤٦٢: ويبرز.

«إنْ هو إلا ذكرٌ وقرآنٌ مُبين» أي: كتابٌ سماويٌّ يُقرأ في المَحاريب، ويُنال بتلاوته والعملِ به ما فيه فَوْزُ الدَّارَيْن، فكم بينه وبين الشِّعر الذي أكثرُه من هَمَزات الشَّياطين[١].

وقرأ نافع وابن عامر: «لِتُنْذِرَ» بتاء الخطاب للرسول، وباقي السَّبعة بالياء للغَيْبة[٢]. فاحتمَل أن يعودَ على الرَّسول، واحتمل أن يَعودَ على القرآن.

وقرأ اليَماني: «لِيُنْذَر» بالياء مبنيَّةً للمفعول[٣]، ونقلها ابن خالويه عن الجَحْدريّ، وقال عن أبي السمَّال واليَماني أنهما قرأا: «لِيَنْذَر» بفتح الياء والذَّال[٤]، مضارع نَذِر بكسر الذَّال، إذا علم بالشيء فاستَعَدَّ له.

«مَن كان حَيًّا» أي: عاقلاً، قاله الضحّاك[٥]، لأن الغافل كالميت، ويُريد به من خُتم عليه بالإيمان، وكذلك قابله بقوله: «ويَحِقَّ القَوْلُ» أي: كلمةُ العَذابِ «على الكافرين» المحتومِ لهم بالمُوافاة على الكُفر.

* * *

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَـٰمًا فَهُمْ لَهَا مَـٰلِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَـٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَـٰفِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَٱتَّخَذُوا مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ ﴿٧٥﴾ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾ أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَـٰنُ أَنَّا خَلَقْنَـٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَـٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ

(١) انظر الكشاف ٣/ ٣٣٠، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٦٢.
(٢) السبعة ٥٤٤، والتيسير ١٨٥، والنشر ٢/ ٣٥٥، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٦٢، وهي قراءة يعقوب من العشرة.
(٣) إعراب القرآن ٣/ ٤٠٥، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٦٢، وزاد المسير ٧/ ٣٧ ونسبها إلى أبي المتوكل وأبي الجوزاء أيضاً.
(٤) مختصر في الشواذ ١٢٦، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٦٢، وتفسير القرطبي ١٧/ ٤٨٦.
(٥) أخرجه الطبري ١٩/ ٤٨١.

بِقَـٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخۡلُقَ مِثۡلَهُمۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلۡخَلَّـٰقُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبۡحَـٰنَ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾.

الإخبار وتنبيه الاستفهام لقريش، وإعراضُها عن عبادة الله، وعكوفُها على عبادة الأصنام.

ولمّا كانت الأشياءُ المَصْنوعةُ لا يُباشِرُها البشر إلا باليَدِ عَبَّر لهم بما يَقْرُبُ من أفهامهم بقوله: «ممَّا عَمِلَت أيدينا» أي: مما تَوَلَّينا عَملَه، ولا يُمكن لغيرنا أنْ يَعْمَلَه، فبقُدْرتنا وإرادتنا بَرَزت هذه الأشياء، لم يَشْرَكْنا فيها أحدٌ.

والباري تعالى مُنَزَّه عن اليَدِ التي هي الجارِحَة، وعن كل ما اقتضى التَّشبيهَ بالمُحْدَثات.

وذَكر الأنْعامَ لأنها كانت جُلَّ أموالهم، ونَبَّه على ما يَحْصل[1] لهم من منافعها.

«فهم لها مالكون» أي مَلَّكْناها إيَّاهم فهم مُتَصَرِّفون فيها تَصَرُّفَ المُلَّاك، مُخْتَصُّون بالانتفاع بها. أو مالكون: ضابِطون لها قاهِرونها، من قوله:

أصبحتُ لا أحْمِلُ السِّلاحَ ولا أمْلِكُ رأسَ البَعيرِ إنْ نَفَرا[2]

أي: لا أَضْبِطُه، وهو من جُملةِ النِّعَم الظَّاهرة، فلولا تَذْليْلُه تعالى إيَّاها وتسخيرُه لم يُقْدَر عليها، ألا ترى إلى ما نَدَّ منها لا يكاد يُقْدَر على رَدِّه، ولذلك أمر بتسبيح الله راكِبَها، وشُكْرِه على هذه النِّعمة بقوله: ﴿سُبۡحَـٰنَ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَـٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقۡرِنِينَ﴾ [الزخرف: ١٣].

وقرأ الجمهور: «رَكوبُهم» وهو فَعول بمعنى مَفْعول؛ كالحَصور والحَلوب والقَذوع، وهو ممَّا لا يَنْقاس.

---

(١) في النسخ والمطبوع غير (يه): يجعل، والمثبت منها.

(٢) البيت بلا نسبة في: معاني القرآن للزجاج ٤/ ٢٩٥، وللنحاس ٥/ ٥١٨، والكشاف ٣/ ٣٣٠، والنكت والعيون ٥/ ٣١، وزاد المسير ٧/ ٣٨، وسلف في تفسير الآية (١٠٣) من سورة آل عمران.

وقرأ أُبيّ وعائشة: «رَكوبَتُهم» بالتاء[١]، وهي فَعولَة بمعنى مَفْعولة. وقال الزمخشري: وقيل: الرَّكُوبَةُ جمع[٢]. انتهى.

ويعني: اسمَ جَمْع؛ لأن فَعولَة بفتح الفاء ليس بجمع تكسير، وقد عدَّ بعضُ أصحابنا أبنيةَ أسماءِ الجُموع فلم يذكر فيها فَعولَة[٣]، فينبغي أن يُعْتَقد فيها أنها اسمٌ مُفْرَد، لا جَمْعَ تكسير ولا اسْمَ جَمْع، أي: مَرْكُوبَتُهم، كالحَلُوبَة بمعنى المَحْلُوبَة.

وقرأ الحسن وأبو البَرَهْسَم والأعمش: «رُكوبُهم» بضمِّ الراء وبغير تاء[٤]، وهو مصدرٌ على حَذْف، أي: ذُو رُكوبِهم، أو فمن منافِعها[٥] رُكوبهم، فيحذف ذو أو يحذف مَنافِع.

قال ابن خالويه: العرب تقول: ناقةٌ رَكوب حَلوب، ورَكوبَةٌ حَلوبة، ورَكْباة حَلْباة، ورَكَبوت حَلَبوت، ورَكَبى حَلَبى، ورَكَبوتا حَلَبوتا[٦]، كلُّ ذلك مَحْكيّ، وأنشد:

رَكْبانَةٍ حَلْبانَةٍ زَفوفِ تَخْلِطُ بين وَبَرٍ وصُوفِ[٧]

وأجمل المَنافع هنا وفَصَّلها في قوله: ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ الآية [النحل: ٨٠].

والمَشارِب: جمع مَشْرَب، وهو إما مَصْدر، أي: شُرْب، أو مَوْضع الشُّرب[٨].

---

(١) معاني القرآن للفراء ٢/ ٣٨١، وإعراب القرآن للنحاس ٣/ ٤٠٦، ومختصر في الشواذ ١٢٦، والمحتسب ٢/ ٢١٦، والكشف والبيان ٥/ ٢٠٥-٢٠٦، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٦٣، وزاد المسير ٧/ ٣٩، وتفسير القرطبي ١٧/ ٤٨٦.

(٢) الكشاف ٣/ ٣٣٠.

(٣) انظر شرح الكافية الشافية لابن مالك ٤/ ١٨٨٥.

(٤) مختصر في الشواذ ١٢٦، والمحتسب ٢/ ٢١٦، وتفسير الثعلبي ٥/ ٢٠٥، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٦٣، وزاد المسير ٧/ ٣٨-٣٩ وزاد في نسبتها إلى أبي العالية وابن يعمر، وتفسير القرطبي ١٧/ ٤٨٦ وزاد في نسبتها إلى ابن السميفع، ولم نقف على قراءة أبي البرهسم.

(٥) في المطبوع: مصدر حذف مضاف. . . أو فحسن منافعها، وانظر الكشاف ٣/ ٣٣٠.

(٦) في مطبوع مختصر في الشواذ ١٢٦: وركوبتي حلوبتي، وانظر الدر المصون ٩/ ٢٨٥.

(٧) في مختصر في الشواذ ١٢٦: ركباءة حلباءة، وانظر الصحاح (حلب، صفف).

(٨) الكشاف ٣/ ٣٣٠.

ثم عَنَّفَهم واستَجْهَلَهم في اتِّخاذهم آلهةً لطلب الاستنصار.

«لا يستطيعون» أي: الآلهةُ نَصْرَ مُتَّخِذيهم، وهذا هو الظاهر، لمّا اتَّخَذوهم آلهةً للاستنصار بهم رَدَّ تعالى بأنهم ليست لهم قُدرةٌ على نَصْرِهم.

وقال ابن عطية: ويحتمل أن يكون الضَّميرُ في «يستطيعون» للكفّار، وفي «نَصْرِهم» للأصنام[1]. انتهى.

والظاهر أن الضَّمير في «وهم» عائدٌ على ما هو الظاهر في «لا يستطيعون» أي: والآلهةُ للكفار «جُنْدٌ مُحْضَرون» في الآخرة عند الحساب، على جِهةِ التَّوبيخ والنِّقْمَة، وسَمَّاهم جُنداً إذْ هم مُعَدُّون للنِّقْمَةِ[2] من عابديهم وللتَّوبيخ. أو مُحْضَرون لعَذابهم لأنهم يُجْعَلون وَقوداً للنَّار.

قيل: ويجوز أن يكون الضَّمير في «وهم» عائداً على الكفار، وفي «لهم» عائداً على الأصنام، أي: وهم للأصنام «جُنْدٌ مُحْضَرون» مُتَعَصِّبون لهم مُتَحَزِّبون[3] يَذُبُّون عنهم ـ يعني في الدنيا ـ ومع ذلك لا يستطيعون، أي: الكفَّار التَّناصُر[4]. وهذا القولُ مُرَكَّبٌ على أن الضَّمير في «لا يستطيعون» للكفار.

ثم آنَس تعالى نبيَّه بقوله: «فلا يَحْزُنْكَ قولُهم» أي: لا يَهُمَّنَّك تكذيبُهم وأذاهم وجفاؤهم، وتوعَّدَ الكفَّارَ بقوله: «إنَّا نَعْلَم ما يُسِرُّون وما يُعْلِنون» فنُجازيهم على ذلك.

«أوَلم يَرَ الإنسانُ» قَبَّح تعالى إنكارَ الكَفَرَةِ البَعْثَ حيث قَرَّرَ أن عُنْصُرَه الذي خَلقه منه هو نُطْفَةُ ماءٍ مَهينٍ خارجٍ من مَخْرَج النَّجاسَة، أفضى به على مَهانَةِ أصْلِه إلى أن يُخاصِمَ الباري تعالى ويقول: «مَن يُحْيي» المَيِّت بعد ما رَمَّ؟! مع علمه أنه مُنْشَأٌ من مَوات[5].

---

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٤٦٣.

(٢) في (د٣): للانتقام.

(٣) في المطبوع: متحيرون (؟!).

(٤) المحرر الوجيز ٤/ ٤٦٣.

(٥) الكشاف ٣/ ٣٣١.

وقائلُ ذلك: العاصي بن وائل، أو أُمَيَّة بن خَلَف، أو أُبيّ بن خلف أقوال، أصحُّها أنه أُبَيُّ بن خَلَف. رواه ابن وَهْب عن مالك، وقاله ابن إسحاق وغيرُه، والقول أنه أمية قاله مجاهد وقتادة.

ويحتمل أن كلًّا منهم وَقَع ذلك منه، وقد كان لأُبيّ مع الرسول مُراجَعات ومقامات، جاء بالعَظْم الرَّميم بمكة ففَتَّه[١] في وجهه الكريم وقال: مَن يُحيي هذا يا محمد؟ فقال: الله يُحييه، ويُميتك ويُحييك ويُدْخِلُك جهنَّم، ثم نزلت الآية.

وأُبيّ هذا قتلَه رسول الله ﷺ بيده يومَ أُحُد بالحَرْبة، فخَرَجت[٢] من عُنُقه.

ووَهِم مَن نسب إلى ابن عباس أن الجاني بالعَظْم هو عبد الله بن أُبَيّ بن سَلول؛ لأن السُّورة والآية مكية بإجماع، ولأن عبد الله بن أُبي لم يُجاهِر قطُّ هذه المُجاهَرة[٣].

وبين قوله: «فإذا هو خَصيمٌ مُبين» وبين «خَلَقْناه من نُطْفَةٍ» جُمَلٌ محذوفة تَبَيَّن أكثرُها في قوله في سورة المؤمنون[٤] [١٣] ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾ وإنما اعْتَقَب قولَه: «فإذا هو خَصيمٌ مُبين» الوصفُ الذي آلَ إليه من التَّمييز والإدراكِ الذي يتأتَّى معه الخِصام، أي: فإذا هو بعد ما كان نُطفةً رجلٌ مُمَيِّزٌ مِنطيقٌ قادرٌ على الخِصام مُبينٌ مُعْرِبٌ عمَّا في نفسِه.

«وضَرب لنا مَثَلاً ونسي خَلْقَه» أي: نَشْأتَه من النُّطْفة، فذَهل عنها، أو تَرَك ذِكْرَها على طريق اللَّدَد والمُكابَرة والاستبعادِ لما لا يُسْتَبْعَد.

---

(١) في (ت ز٢) والمطبوع: ففته، وهما سواء.
(٢) في (أ ت ز٢): تخرج.
(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٤٦٣-٤٦٤، وانظر تفسير عبد الرزاق ٢/ ١٤٦، والطبري ١٩/ ٤٨٦-٤٨٧، والثعلبي ٥/ ٢٠٦، والماوردي ٥/ ٣٣، والقرطبي ١٧/ ٤٨٩، وسيرة ابن هشام ١/ ٣٦١-٣٦٢، ومعاني القرآن للزجاج ٤/ ٢٩٥، وللنحاس ٥/ ٥١٩-٥٢٠، والكشاف ٣/ ٣٣١، وزاد المسير ٧/ ٤٠-٤١. وكان في المطبوع: المهاجرة، بدل المجاهرة في الموضعين، وهو تحريف.
(٤) في النسخ خلا (يه): المؤمنين، والمثبت منها ومن المطبوع.

وقرأ زيد بن عليّ: «ونَسي خالقه» اسم فاعل[١]، والجمهور: «خَلْقَه» أي: نَشأته.

وسَمَّى قولَه: «مَن يُحيي العِظامَ وهي رَميم» لِمَا دَلَّ عليه من قِصَّةٍ عجيبةٍ شَبيهةٍ بالمَثَل[٢]، وهي إنكار قدرة الله على إحياء الموتى، أو لما فيه من التشبيه بخلقه في تعجيزه تعالى عن إحياء الموتى، كما هم عاجزون عن ذلك.

وقال الزمخشري: والرَّميم: اسمٌ لما بَليَ من العظام غيرُ صِفة؛ كالرِّمَّة والرُّفات، فلا يُقال: لمَ لم يؤنَّث وقد وقع خبراً لمؤنَّث؟ ولا هو فعيل بمعنى فاعل أو مفعول. انتهى.

واستُدلَّ بقوله: «قلْ يُحييها» على أن الحياة تَحُلُّها، وهو استدلالٌ ظاهر، ومَن قال: إن الحياة لا تَحُلُّها قال: المراد بإحياء العِظامِ رَدُّها إلى ما كانت عليه غَضَّةً رَطْبَةً في بَدَنٍ حيٍّ حَسَّاس.

«وهو بكلِّ خَلْقٍ عَليم» يعلم كيفيَّات ما يَخْلق، لا يتعاظَمُه شيءٌ من المُنْشَآت والمُعادات جِنساً ونوعاً، دِقَّةً وجَلالَة.

«الذي جَعل لكم من الشَّجَر الأخضرِ ناراً» ذكرَ ما هو أغْرَبُ من خَلْق الإنسان من النُّطْفَة؛ وهو إبرازُ الشيء من ضِدِّه، وذلك أبْدَعُ شيء، وهو انْقِداحُ النَّار من الشَّجَرِ الأخضر، ألا ترى أن الماءَ يُطفئ النَّار، ومع ذلك خَرَجَت مما هو مُشتَمِلٌ على الماء، والأعرابُ تُوري النَّارَ من الشَّجَر الأخضر، وأكثرُها من المَرْخ والعَفار، وفي أمثالهم: في كلِّ شَجَرٍ نار، واستَمْجَدَ المَرْخُ والعَفار[٣]، يَقطَعُ الرجلُ منهما غُصْنَيْن مثلَ السِّواكَيْن، وهما أخضران يَقطُرُ منهما الماء، فيَسْحَق المَرْخَ ـ وهو ذكرٌ ـ على العَفار ـ وهي أُنثى ـ فتَنْقَدحُ النار بإذن الله عز وجل.

وعن ابن عباس: ليس شجرٌ إلا وفيه نارٌ إلا العُنَّاب.

---

(١) ذكرها السمين في الدر المصون ٩/ ٢٨٦.

(٢) في الكشاف ٣/ ٣٣١ والكلام منه: فإن قلت: لم سمى قوله: من يحيي العظام وهي رميم مثلاً؟ قلت لما دل عليه من قصة عجيبة شبيهة بالمثل.

(٣) جمهرة الأمثال ٢/ ٩٢، ومجمع الأمثال ٢/ ٧٤، والمستقصى ٢/ ١٨٣، وتفسير الثعلبي ٥/ ٢٠٦، والقرطبي ١٧/ ٤٩١.

وقرأ الجمهور: «الأَخْضَرِ» وقُرئ: «الخَضْراء»[(١)] وأهلُ الحِجاز يؤنّثون الجِنْسَ المُمَيّز واحدُه بالتاء، وبنو تميم وأهلُ نَجْدٍ يُذَكِّرونه إلا ألفاظاً استُثْنيت في كُتب النَّحو.

ثمّ ذكر ما هو أبْدَعُ وأغْرَبُ من خَلْق الإنسان من نُطْفَة، ومن إعادة المَوْتى؛ وهو إنشاءُ هذه المخلوقات العظيمةِ الغريبةِ من صَرْف العَدَم إلى الوجود، فقال: «أوَلَيس الذي خلَقَ السَّماواتِ والأرضَ بقادرٍ على أن يَخْلُقَ مِثْلَهم».

وقرأ الجمهور: «بقادِرٍ» بباء الجرِّ داخلةً على اسم الفاعل.

وقرأ الجَحْدَري وابن أبي إسحاق والأعْرج وسَلَّام ويعقوب: «يَقْدِر» فعلاً مُضارعاً[(٢)]، أي: مَن قَدَر على خَلْقِ السَّماوات والأرض مع عِظَم شَأْنِهما كان على خَلْقِ الأناسِيّ قادراً[(٣)].

والضمير في «مثلَهم» عائدٌ على الناس. قاله الرُّمانيّ. وقال جماعة من المُفَسِّرين: عائدٌ على السَّماوات والأرض، وعاد الضَّمير عليهما كضَمير مَن يَعْقل من حيث كانت مُتَضِمِّنَةً مَن يَعْقل من الملائكة والثَّقَلَين[(٤)].

وقال الزمخشري: «مثلَهم» يحتمل معنيَيْن: أنْ يَخْلُقَ مثلَهم في الصِّغَر والقَماءة بالإضافة إلى السَّماوات والأرض، أو أنْ يُعيدَهم؛ لأن المُعادَ مِثْلٌ للمبتدأ وليس به[(٥)]. انتهى.

ونقول: إن المُعادَ هو عَيْنُ المبتدأ، ولو كان مثلَه لم يُسمَّ ذلك إعادة، بل يكون إنشاءً مُسْتَأنَفاً.

وقرأ الجمهور: «الخَلَّاق» بصيغة المُبالَغة لِكَثْرة مَخْلوقاته.

---

(١) الكشاف ٣/ ٣٣٢ وما قبله كله منه.

(٢) النشر ٢/ ٣٥٥ وهي رواية رويس عن يعقوب، وإعراب القرآن ٣/ ٤٠٨، ومختصر في الشواذ ١٢٦، وتفسير الثعلبي ٥/ ٢٠٦، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٦٤، وتفسير القرطبي ١٧/ ٤٩٣، وزاد المسير ٧/ ٤٢ ونسبها أيضاً إلى أبي بكر الصديق ﷺ.

(٣) الكشاف ٣/ ٣٣٢.

(٤) المحرر الوجيز ٤/ ٤٦٤.

(٥) الكشاف ٣/ ٣٣٢.

وقرأ الحسن والجَحْدَريّ ومالك بن دينار وزيد بن عليّ: «الخالق» اسم فاعل[(١)].

«إنما أمرُه إذا أراد شيئاً أنْ يقول له كُنْ فيكون» تقدَّم شرحُ مثل هذه الجُملة والخلاف في «فيكون» من حيث القراءةُ نصباً ورفعاً[(٢)].

«فسُبحان الذي بيده مَلَكوتُ كلِّ شيء» تَنْزيهٌ عامٌّ له تعالى من جميع النَّقائص.

وقرأ الجمهور: «مَلَكوت»، وطلحة والأعمش: «مَلَكَة»[(٣)] على وزن شَجَرَة، ومعناه: ضَبْطُ كلِّ شيء والقُدْرةُ عليه.

وقُرئ: «مَمْلَكَة» على وزن مَفْعَلة، وقُرئ: «مُلْك»[(٤)] والمعنى: أنه مُتَصَرِّفٌ فيه على ما أراد وقضى.

والجمهور: «تُرْجَعون» مبنيًّا للمفعول، وزيد بن عليٍّ مبنيًّا للفاعل[(٥)].

---

(١) مختصر في الشواذ ١٢٦، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٦٤، وتفسير القرطبي ١٧/ ٤٩٢، وزاد المسير ٧/ ٤٣ ونسبها إلى أبي بن كعب أيضاً.

(٢) في تفسير الآية (١١٧) من سورة البقرة.

(٣) مختصر في الشواذ ١٢٦، والمحتسب ٢/ ٢١٧، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٦٤، وتفسير القرطبي ١٧/ ٤٩٣ وزادوا في نسبتها إلى ابن مسعود وإبراهيم التيمي أيضاً.

(٤) الكشاف ٣/ ٣٣٢.

(٥) وهي قراءة يعقوب ـ من العشرة ـ في جميع القرآن كما في النشر ٢/ ٢٠٨، وذكر قراءة زيد بن علي: السمين الحلبي في الدر المصون ٩/ ٢٨٧، والآلوسي في روح المعاني ٢٢/ ٤٢٨.

سورة الصافات

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفّٗا ١ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجۡرٗا ٢ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكۡرًا ٣ إِنَّ إِلَٰهَكُمۡ لَوَٰحِدٞ ٤ رَّبُّ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَرَبُّ ٱلۡمَشَٰرِقِ ٥ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِزِينَةٍ ٱلۡكَوَاكِبِ ٦ وَحِفۡظٗا
مِّن كُلِّ شَيۡطَٰنٖ مَّارِدٖ ٧ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلۡمَلَإِ ٱلۡأَعۡلَىٰ وَيُقۡذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٖ ٨ دُحُورٗاۖ وَلَهُمۡ
عَذَابٞ وَاصِبٌ ٩ إِلَّا مَنۡ خَطِفَ ٱلۡخَطۡفَةَ فَأَتۡبَعَهُۥ شِهَابٞ ثَاقِبٞ ١٠ فَٱسۡتَفۡتِهِمۡ أَهُمۡ أَشَدُّ خَلۡقًا أَم
مَّنۡ خَلَقۡنَآۚ إِنَّا خَلَقۡنَٰهُم مِّن طِينٖ لَّازِبِۭ ١١ بَلۡ عَجِبۡتَ وَيَسۡخَرُونَ ١٢ وَإِذَا ذُكِّرُواْ لَا يَذۡكُرُونَ ١٣
وَإِذَا رَأَوۡاْ ءَايَةٗ يَسۡتَسۡخِرُونَ ١٤ وَقَالُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٌ ١٥ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا
لَمَبۡعُوثُونَ ١٦ أَوَ ءَابَآؤُنَا ٱلۡأَوَّلُونَ ١٧ قُلۡ نَعَمۡ وَأَنتُمۡ دَٰخِرُونَ ١٨ فَإِنَّمَا هِيَ زَجۡرَةٞ وَٰحِدَةٞ فَإِذَا هُمۡ
يَنظُرُونَ ١٩ وَقَالُواْ يَٰوَيۡلَنَا هَٰذَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ٢٠ هَٰذَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ٢١ ۞
ٱحۡشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزۡوَٰجَهُمۡ وَمَا كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ٢٢ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهۡدُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡجَحِيمِ ٢٣
وَقِفُوهُمۡۖ إِنَّهُم مَّسۡـُٔولُونَ ٢٤ مَا لَكُمۡ لَا تَنَاصَرُونَ ٢٥ بَلۡ هُمُ ٱلۡيَوۡمَ مُسۡتَسۡلِمُونَ ٢٦ وَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ
بَعۡضٖ يَتَسَآءَلُونَ ٢٧ قَالُوٓاْ إِنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَأۡتُونَنَا عَنِ ٱلۡيَمِينِ ٢٨ قَالُواْ بَل لَّمۡ تَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ٢٩ وَمَا
كَانَ لَنَا عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنِۭۖ بَلۡ كُنتُمۡ قَوۡمٗا طَٰغِينَ ٣٠ فَحَقَّ عَلَيۡنَا قَوۡلُ رَبِّنَآۖ إِنَّا لَذَآئِقُونَ ٣١
فَأَغۡوَيۡنَٰكُمۡ إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ ٣٢ فَإِنَّهُمۡ يَوۡمَئِذٖ فِي ٱلۡعَذَابِ مُشۡتَرِكُونَ ٣٣ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفۡعَلُ بِٱلۡمُجۡرِمِينَ
٣٤ إِنَّهُمۡ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسۡتَكۡبِرُونَ ٣٥ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٖ
مَّجۡنُونِۭ ٣٦ بَلۡ جَآءَ بِٱلۡحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٣٧ إِنَّكُمۡ لَذَآئِقُواْ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَلِيمِ ٣٨ وَمَا تُجۡزَوۡنَ إِلَّا
مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٣٩ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ٤٠ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ رِزۡقٞ مَّعۡلُومٞ ٤١ فَوَٰكِهُۖ وَهُم
مُّكۡرَمُونَ ٤٢ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ٤٣ عَلَىٰ سُرُرٖ مُّتَقَٰبِلِينَ ٤٤ يُطَافُ عَلَيۡهِم بِكَأۡسٖ مِّن مَّعِينِۭ ٤٥
بَيۡضَآءَ لَذَّةٖ لِّلشَّٰرِبِينَ ٤٦ لَا فِيهَا غَوۡلٞ وَلَا هُمۡ عَنۡهَا يُنزَفُونَ ٤٧ وَعِندَهُمۡ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ عِينٞ

﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ
لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَئِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ
أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَاللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ
رَبِّي لَكُنتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾
إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾ لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ﴿٦١﴾ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ
الزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِّلظَّالِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا
كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا
مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾ إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ ﴿٦٩﴾ فَهُمْ عَلَىٰ
آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٧١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ ﴿٧٢﴾
فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿٧٤﴾ وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ
فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾
وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَامٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُ مِنْ
عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ ﴿٨٢﴾ ۞ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَاءَ رَبَّهُ
بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَئِفْكًا آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا
ظَنُّكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾
فَرَاغَ إِلَىٰ آلِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ ﴿٩٣﴾
فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ﴿٩٤﴾ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا ابْنُوا لَهُ
بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾ ﴾.

المفردات الزَّجْرُ: الدَّفْعُ عن الشيء بتسلُّطٍ وصياحٍ، والزَّجْرَةُ: الصَّيْحةُ، مِن قولك: زَجَرَ الراعي الإبلَ والغنمَ: إذا صاحَ عليهما فرِيْعَت لصوته، قال الشاعر:

زَجْرَ أبي عروةَ السِّبَاعَ إذ   أَشْفَقَ أنْ يَخْتَلِطْنَ بالغَنَمِ

يريد: تصويته بها[1].

الثَّاقِب: الشَّديدُ النَّفاذ.

اللَّازِب: اللازمُ ما جاوَرَهُ واللاصِقُ به.

---

(١) الكشاف ٣/ ٣٥٣، والبيت للنابغة الجعدي، وهو في ديوانه ص ١٥٨.

اللَّذِيذ: المُستَطَاب، يقال: لَذَّ الشيءُ يَلَذُّ، فهو لَذِيْذٌ، ولَذٌّ على وَزن: فَعِل، ك: طَبّ[١]، قال الشاعر:

تَلَذُّ بطعمِهِ وتخالُ فيه ... إذا نَبَّهتها بَعْدَ المنامِ[٢]

وقال:

ولَذٌّ كطَعْمِ الصَّرْخَدِيِّ تَرَكْتُهُ ... بأرضِ العِدَا مِن خَشْيَةِ الحَدَثانِ

يريد: النومَ[٣].

وقال:

بحديثك اللَّذِّ الذي لو كُلِّمَتْ ... أُسدُ الفَلَاةِ به أَتَيْنَ سِرَاعا[٤]

الغَول: اسمٌ عامٌّ في الأَذَى، تقول: غَالَهُ كذا وكذا: إذا ضَرَّه في خفاء، ومنه: الغِيْلَة في القَتْل، والغِيْلَة في الرَّضاع[٥]، وغَالَهُ الشَّيءُ: أَهْلَكَهُ وأفسدَهُ، ومنه: الغُول التي في أكاذيب العرب، وفي أمثالهم: الغَضَبُ غول الحِلْم[٦]، وقال الشاعر:

---

(١) المصدر السابق، وينظر لسان العرب (لذذ).

(٢) لم نقف عليه فيما بين أيدينا من مصادر.

(٣) الكشاف ٣/ ٣٤٠، وينظر تفسير القرطبي ١٨/ ٣٠، والبيت للراعي النميري، وهو في ديوانه ص١٨٦، وروايته فيه هكذا:

ولَذٍّ كطَعْمِ الصَّرْخديّ طَرَحْتُهُ ... عشيَّةَ خِمْسِ القومِ والعينُ عاشِقُه

وهو بالرواية المذكورة أعلاه عند الأزهريّ في تهذيب اللغة ١٤/ ٤٠٩، والقالي في أماليه ١/ ٢١٠، والجاحظ في كتابه الحيوان ١/ ٢٦٦، وصرخد: موضع يُنسب إليه الشراب. اللسان (صرخد)، قال الأزهريّ: أراد أنه لمَّا دخل ديار أعدائه لم يَنَمْ؛ حذاراً لهم.

(٤) المحرر الوجيز ٤/ ٤٧٢، ولم نقف عليه عند غيره من مصادر أدبيّة.

(٥) المصدر السابق، والغِيْلَة في الرضاع: أن يُجامع الرَّجُلُ زوجته وهي مرضع، وكذلك إذا حملت وهي مرضع، ومنه قوله ﷺ: «لقد هممتُ أنْ أنهى عن الغِيْلَة» [وهو عند مسلم (١٤٤٢)، وأحمد (٢٧٠٣٤) من حديث جدامة بنت وهب]. النهاية في غريب الحديث والأَثَر (غيل).

(٦) الكشاف ٣/ ٣٤٠، وينظر الصحاح (غول)، والمثل في المستقصى للزمخشري ١/ ٣٣٧، ومعناه: مُهْلِكه، يُضرَب في وجوب كظم الغيظ. وأورده ابنُ عبد البرّ في بهجة المجالس، باب مكارم الأخلاق، وعزاه للشعبي.

مَضَى أَوَّلونا ناعِمِينَ بعيشِهم جميعاً وغالَتْنِي بمكَّة غُولُ[١]

أي: عاقَتْنِي عَوَائِقُ، وقال:

وما زَالَتِ الخمرُ تَغْتَالُنا وتَذهَبُ بالأوَّلِ الأوَّلِ[٢]

نزفت الشاربَ الخمرُ، وأنْزَفَ هو: ذَهَبَ عقلُه مِن السُّكْرِ، فهو نَزِيْفٌ ومَنْزُوف، الثلاثيُّ متعدٍّ، والرباعيُّ لازِمٌ، نحو: كَبَبْتُ الرَّجُلَ وأَكَبَّ هو، وقَشَعَتِ الرِّيحُ السحابَ، وأَقْشَعَ هو: أي: دَخَلا في الكَبِّ والقَشْع، وقال الشاعر، وهو الأسود:

لعَمْرِي لَئِن أَنْزَفْتُمُ أو صَحَوْتُمُ لَبِئْسَ النَّدامَى كُنْتُمُ آلَ أَبجَرَا[٣]

ونُزِفَ الشَّارِبُ بضمِّ الزاي، ويقال: نُزِفَ المَطْعُونُ: ذَهَبَ دَمُهُ كلُّه مبنيًّا للمفعول، ونَزَحْتُ الرَّكِيَّةَ[٤]، حتى نَزَفْتُها: لم يَبْقَ فيها ماء، ويقال: أَنْزَفَ الرَّجُلُ: نَفِدَ شَرابُه، فـ: أنزف، مُشتركٌ بين سَكِرَ ونَفِدَ.

البَيْضُ معروفٌ، وهو اسمُ جنسٍ، الواحدة: بَيْضَة، وسُمِّيَ بذلك؛ لبياضِه، ويُجمَع على بُيُوض، قال الشاعر:

بِتَيهاءَ قَفْرٍ والمَطِيُّ كأنَّها قَطَا الحَزْنِ قد كانت فِراخاً بُيوضُها[٥]

---

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٤٧٣، ولم نقف على البيت فيما بين أيدينا من مصادر أدبيَّة.

(٢) المصدر السابق، وينظر تفسير الرازي ٢٦/ ١٣٧، والقرطبي ١٨/ ٣٣، والبيت لمطيع بن إياس، وهو في مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/ ١٦٩، واللسان (غول)، برواية: وما زالت الكأسُ.... البيت.

(٣) نُسبَ البيت في الأغاني ١٣/ ١٣٣، وتفسير الطبري ١٩/ ٥٣٧، والصحاح (نزف)، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٧٢ للأُبَيْرد الرِّياحي، ونُسبَ في تفسير القرطبي ١٨/ ٣٢ للحطيئة، ولم نقف عليه في ديوانه، وأورده أيضاً البغدادي في خزانة الأدب ٩/ ٣٨٨ ولم ينسبه.

(٤) الرَّكِيَّة: البئر، والجمع رُكِيّ ورَكَايا. القاموس (ركو).

(٥) البيت لعمرو بن أحمر الباهلي، وهو في كتاب الحيوان للجاحظ ٥/ ٥٧٥، والمعاني الكبير لابن قتيبة ١/ ٣١٣، واللسان (عرض) و(كون)، وأسرار العربية لابن الأنباري ص ١٣٤، وخزانة الأدب ٩/ ٢٠١، والتيهاء: الأرض التي لا يهتدى فيها. والحزن: ما غَلُظَ من الأرض، اللسان (تيه) و(حزن)، وقد شبَّه الشاعرُ المطيَّ بالقَطَا ـ طائر ـ التي فارقت فراخها لتحمل إليها الماء فتسقيها، فهو أسرع لطيرانها.

«الزَّقُّوم»: شجرةٌ مَسْمُومةٌ لها لَبَنٌ إنْ مَسَّ جسمَ إنسانٍ تورَّم ومات منه في أغلب الأمْرِ، تَنْبُتُ في البلادِ المجدبة المجاورة للصحراء، والتَّزَقُّم: البَلْعُ على شدَّةٍ وجَهْدٍ[(١)].

شابَ الشَّيءَ بالشَّيءِ يَشُوبه شوباً: خَلَطه به ومَزَجه.

رَاغَ يَرُوغُ: مَالَ في خُفْيَة، مِن رَوْغَة الثعلب.

زَفَّ: أسرَعَ، وأَزَفَّ: دَخَلَ في الزَّفِيْف[(٢)]، فهمزته ليست للتعدية، وأَزَفَّه: حَمَلَه على الزَّفِيْف، قاله الأصمعيُّ[(٣)]، فالهمزةُ فيه للتعدية، وقال الشاعر، وهو الفَرَزْدَق:

فجاء قَرِيعُ الشَّولِ قبلَ إفالِها ... يَزِفُّ وجاءَتْ خَلْفَه وهي زُفَّفُ[(٤)]

وقال الهُذَليُّ:

وزَفَّتِ الشَّولَ مِنْ بَرْدِ العَشِيِّ كما ... زَفَّ النَّعَامَ إلى حفَّانِهِ الرَّوحُ[(٥)]

* * *

﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا ۝١ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا ۝٢ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا ۝٣ إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ ۝٤ رَّبُّ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ ۝٥ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ۝٦ وَحِفْظًا
مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ۝٧ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ۝٨ دُحُورًا وَلَهُمْ

---

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٤٧٥.

(٢) الزفيف: سرعة المشي مع تقارُب خَطْو وسكون. اللسان (زفف).

(٣) ينظر الحجة لأبي عليّ الفارسي ٦/ ٥٧، والكشف عن وجوه القراءات لمكي ٢/ ٢٢٥، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٧٩، وتفسير القرطبي ١٨/ ٥٥.

(٤) تفسير القرطبيّ ١٨/ ٥٥، والبيت في ديوان الفرزدق ١/ ٢٧، وفيه: وراحت، بدل: وجاءت.

(٥) المحرّر الوجيز ٤/ ٤٧٣، وينظر تهذيب اللغة (حفّ)، ولسان العرب (حفف)، والبيت من قصيدة يرثي بها أبو ذؤيب الهذليّ صديقاً له قُتلَ في وقعة، والشول: التي شالت ألبانها، وخفَّت بطونها من أولادها، وأتى على نتاجها سبعة أشهر أو ثمانية، والحَفَّان: صغار النعام، والرَّوح: صفة للنعام، وهو سعة في الرجلين. خزانة الأدب الشاهد الخامس والخمسون بعد الثلاث مئة.

عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴿٩﴾ إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿١٠﴾﴾.

التفسير

هذه السورة مكِّيَّة، ومناسبة أوَّلها لآخِر «يس»: أنَّه تعالى لمَّا ذَكَر المعادَ وقدرتَه على إحياءِ الموتى، وأنَّه هو مُنْشِئُهم، وإذا تعلَّقت إرادتُه بشيء كان، ذَكر تعالى هنا وحدانيتَه، إذ لا يتمُّ ما تعلَّقت به الإرادةُ وجوداً وعَدَماً إلَّا بكون المريدِ واحداً، وتقدَّم الكلام على ذلك في قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢].

وأَقْسَم تعالى بأشياءَ مِن مخلوقاته: «والصَّافَّات»، قال ابنُ مسعود وقتادة ومسروق: هم الملائكة تصفُّ في السماء في العبادة والذِّكْرِ صفوفاً، وقيل: تصفُّ أجنحتها في الهواء واقفةً مُنتظِرةً لأَمْر اللهِ، وقيل: مَن يَصفُّ مِن بني آدم في قتالٍ في سبيل الله، أو في صلاةٍ وطاعة. وقيل: الطير من قوله: ﴿وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ﴾[1] [النور: ٤١].

و«الزاجرات» قال مجاهد والسدي: الملائكة تَزْجُر السحابَ وغيرَها مِن مخلوقاتِ اللهِ تعالى. وقال قتادة: آياتُ القرآن؛ لتضمُّنه النواهيَ الشرعيَّةَ، وقيل: كلُّ ما زَجَر عن معاصي الله تعالى[2].

و«التاليات»: القارئات، قال مجاهد: الملائكة تَتْلُو ذِكْرَه، وقال قتادة: بنو آدمَ يَتْلُون كَلِمَهُ المنزَّل وتسبيحه وتكبيره[3].

قال الزمخشريُّ: ويجوز أن يُقسِمَ بنفوسِ العلماء العمَّال الصافَّات أقدامها في التهجُّد وسائرِ الصلوات وصفوفِ الجماعات، «فالزاجرات» بالمواعظ والنصائح، «فالتاليات» آياتِ اللهِ والدارساتِ شرائعَه، أو بنفوس قُوَّاد الغُزاة في سبيل الله، التي تصفُّ الصفوفَ وتَزْجُرُ الخيلَ للجهاد، وتَتْلو الذِّكْرَ مع ذلك لا يَشْغَلها عنه تلك الشواغل[4]. انتهى.

---

(١) تفسير القرطبي ١٨/٦، وينظر النكت والعيون ٥/٣٦، وزاد المسير ٧/٤٤، وتنظر الآثار عند الطبريّ ١٩/٤٩٢-٤٩٣.
(٢) تفسير القرطبي ١٨/٤، وتنظر الآثار عند الطبريّ ١٩/٤٩٣-٤٩٤.
(٣) ينظر المحرر الوجيز ٤/٤٦٥، وتفسير القرطبي ١٨/٦-٧، والكشاف ٣/٣٣٣، وتنظر الآثار عند الطبريّ ١٩/٤٩٤-٤٩٥.
(٤) الكشاف ٣/٣٣٤.

وقال ما معناه: إنَّ الفاءَ العاطفة في «الصافَّات»[١] إمَّا أنْ تدلَّ على ترتُّب معانيها في الوجود، كقوله:

يا لَهْفَ زَيَّابَةَ للحارِثِ الصَّا بحِ فالغانِمِ فالآيبِ[٢]

أي: الذي صَبحَ فَغَنِمَ فَآبَ، وإمَّا على ترتُّبها في التفاوت مِن بعضِ الوجوه، كقولك: خُذِ الأفضلَ فالأكمل، واعْمَل الأحسنَ فالأجمل، وإمَّا على ترتيب موصوفاتها في ذلك، كقولك[٣]: رَحِمَ اللهُ المُحلِّقين فالمقصِّرين، فأمَّا هنا فإن وَحَّدْتَ الموصوفَ كانت للدلالة على ترتُّب الصفاتِ في التفاضل؛ فإذا كان الموحَّد الملائكة فيكون الفَضْل للصَّفِّ، ثُمَّ الزَّجْر، ثُمَّ التلاوة، وإمَّا على العكس، وإن ثَلَّثْتَ[٤] الموصوفَ فترتَّب في الفَضْل، فتكون «الصافَّات» ذوات فَضْلٍ، و«الزَّاجِرات» أفضل، و«التاليات» أبهر فضلاً، أو على العكس[٥]. انتهى.

ومعنى: العكس، في المكانين؛ أنَّكَ ترتقي مِن أفضلَ إلى فاضل إلى مفضولٍ، أو تَبْدَأُ بالأدنى ثم بالفاضِلِ ثمَّ بالأفضل.

وأدغم ابنُ مسعود ومَسْرُوق والأعمشُ وأبو عمرو وحمزة التاءاتِ الثلاثَ[٦].

والجملة المُقسَم عليها تَضمَّنت وحدانيته تعالى، أي: هو واحدٌ مِن جميع الجهات التي يَنظُر فيها المُتفكِّر، و«ربُّ» خبرٌ بعدَ خبرٍ على مذهب مَن يُجيز تعدادَ الأخبار، أو خبرُ مبتدأ محذوف، وهو: أمدحُ، أي: هو ربُّ.

---

(١) يعني في قوله تعالى: ﴿فَالزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا ۝ فَالتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا﴾ [الصافات: ٢-٣].
(٢) الكشاف ٣/ ٣٣٤، والبيت لابن زيَّابة التيمي، وهو في شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ١/ ١٤٧، وأمالي ابن الشجري ٢/ ٥٠٨، وخزانة الأدب ٥/ ١٠٧، وزيَّابة اسم أمّ الشاعر.
(٣) الذي في مطبوع الكشاف ٣/ ٣٣٤: كقوله. وفي مخطوطه الورقة (٢١٨): كقولك. كما هنا.
(٤) في النسخ: وإن تليت. والمثبت من الكشاف ٣/ ٣٣٤، وهو الصواب، وينظر الدر المصون ٩/ ٢٩٠-٢٩١، واللباب ١٦/ ٢٧٢.
(٥) الكشاف ٣/ ٣٣٤ بتصرف.
(٦) المحرر الوجيز ٤/ ٤٦٥، والقراءة في السبعة ص ٥٤٩، والتيسير ص ١٨٥، وأدغم أيضاً يعقوب، ينظر النشر ١/ ٢٨٨، ٣١٠، ٣١٦، وينظر أيضاً قولُ النحاس في هذه القراءة في كتابه إعراب القرآن ٣/ ٤٠٩.

وذَكَر المشارقَ؛ لأنَّها مطالعُ الأنوار، والإبصار بها أكلَفُ، وذِكْرُها يُغني عن ذِكْر المغارب، إذ ذاك مفهومٌ مِن المشارق، والمشارق ثلاث مئةٍ وستُّون مشرقاً وكذلك المغارب، تُشرِق الشمسُ كلَّ يوم في مَشْرِق منها، وتَغرُب في مَغْرِب، ولا تَطلُع ولا تَغرُب في واحدٍ يومين، وثُنِّي في ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ﴾ [الرحمن:١٧] باعتبار مشرقَي الصيف والشتاء ومغربَيْهما.

وقال ابنُ عطيَّة: أراد تعالى مشارِقَ الشمسِ ومغاربَها، وهي مئة وثمانون في السَّنَة ـ فيما يَزعمون ـ مِن أطولِ أيَّام السَّنة إلى أَقْصَرها، ثمَّ أَخبر تعالى عن قُدرته بتزيينِ السماء بالكواكب، وانتظم التَّزيين أَنْ جَعَلها «حفظاً» وحِرْزاً مِن الشيطان[١]. انتهى.

والزِّيْنَةُ مصدرٌ كالنِّسْبَةِ واسمٌ لِمَا يُزانُ به الشيءُ، كاللِّيْقَة اسمٌ لما تُلاقُ به الدَّوَاةُ[٢].

وقرأ الجمهور: «بزينةِ الكواكبِ» بالإضافة[٣]، فاحتمل المصدر مضافاً للفاعل، أي: بأنْ زانتِ السماءَ الكواكبُ، أو مضافاً للمفعول، أي: بأنْ زيَّنَ اللهُ الكواكبَ، واحتمل أنْ يكون ما يُزانُ به، فالكواكبُ بيانٌ للزينة؛ لأنَّ الزينةَ مُبهَمة في الكواكب وغيرِها ممَّا يُزان به، أو ممَّا زُيِّنت الكواكبُ؛ من إضاءتها وثبوتها.

وقرأ ابنُ مسعود ومسروق ـ بخلافٍ عنه ـ وأبو زُرْعَة وابنُ وثَّاب وطلحة: «بزينةٍ» منوَّناً «الكواكبِ» بالخفض[٤] بدلاً مِن: زينة.

وقرأ ابنُ وثَّاب ومسروق ـ بخلافٍ عنهما ـ والأعمش وطلحة وأبو بكر: «بزينةٍ»

---

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٤٦٥.

(٢) وهي من صوفٍ ونحوِه. المعجم الوسيط (ليق)، قلت: واللِّيقة تُجعَل في الدَّواة لتمتصَّ الحبرَ فيكتب به.

(٣) وهي قراءة ابن كثير ونافع وأبي عمرو وابنِ عامر والكسائي وأبي جعفر ويعقوب وخلف. السبعة ص ٥٤٧، والتيسير ص ١٨٦، والنشر ٢/ ٣٥٦.

(٤) وهي أيضاً قراءة حمزة وحفص عن عاصم ـ من السبعة ـ وكذا وردت عنهما القراءةُ في المحرر الوجيز ٤/ ٤٦٥-٤٦٦، والكلام منه، ولعلَّ عدم ذِكْرهم سبقُ نظرٍ من المصنِّف رحمه الله تعالى. تنظر المصادر الآنفة الذكر.

منوَّناً «الكواكبَ» نصباً[١]، فاحتمل أن يكون «بزينة» مصدراً، و«الكواكب» مفعول به، كقوله: ﴿أَوْ إِطْعَٰمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ۝ يَتِيمًا﴾ [البلد: ١٤] واحتمل أن يكون «الكواكب» بدلاً مِن «السماء» أي: زَيَّنَّا كواكبَ السماء.

وقرأ زيد بنُ عليّ بتنوين: زينة، ورَفْع «الكواكب»[٢]، على خبرِ مبتدإٍ، أي: هو الكواكب، أو على الفاعليَّة بالمصدر، أي: بأَنْ زيّنت الكواكب، ورَفْعُ الفاعلِ بالمصدر المنوَّن زَعَمَ الفرَّاء أنَّه ليس بمسموعٍ[٣]، وأجاز البَصرِيُّون ذلك على قلَّةٍ.

وقال ابنُ عباس: «بزينة الكواكب» بضوءِ الكواكب[٤]، قيل: ويجوز أَنْ يُراد أشكالُها المختلفة، كشكل الثُّريَّا وبناتِ نَعْش والجَوْزَاء وغيرِ ذلك، ومطالعُها ومسايرُها.

وخصَّ «السماء الدُّنيا» بالذِّكْر؛ لأنَّها التي تُشاهَد بالأبصار، والحِفْظ مِن الشياطين إنَّما هو فيها وحدها.

وانتصب «وحفظاً» على المصدر، أي: وحَفِظْناها حِفْظاً، أو على المفعول مِن أجله على زيادةِ الواو، أو على تأخيرِ العامل، أي: ولحِفْظها زيَّنَّاها بالكواكب، أو حَمْلاً على معنى ما تقدَّم؛ لأنَّ المعنى: إنَّا خَلَقْنا الكواكبَ زينةً للسماءِ وحفظاً، وكلُّ هذه الأقوال منقولة.

والمَارِد تقدَّم شَرْحُه في قوله: ﴿شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا﴾ في «النساء» [الآية:١١٧] وهناك جاء «مريداً»، وهنا: «مارد»؛ مراعاةً للفواصل.

---

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٤٦٦، وتنظر قراءة أبي بكر ـ شعبة ـ عن عاصم أيضاً في المصادر الآنفة الذكر.

(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٤٦٦ نقلاً عن الزهراوي، ولم ينسبها، وأوردها أيضاً ابن الجوزي في زاد المسير ٧/ ٤٦ وعزاها لأبيّ ومعاذ القارئ وأبي نهيك وأبي حصين الأسدي في آخرين.

(٣) وكذا نقل عنه المصنِّف في ارتشاف الضَّرَب ٥/ ٢٢٦٠، وقال عقبها: والفرَّاء سامع لغة. والذي في معاني القرآن للفراء ٢/ ٣٨٢: ولو نصبتَ «الكواكب» إذا نوَّنت في الزينة، كان وجهاً صواباً، تريد: بتزييننا الكواكبَ. ولو رفعتَ «الكواكب» تريد: زيَّنَّاها بتزيينها الكواكبُ، تجعل «الكواكب» هي التي زيّنت السماء. اهـ. فليحرَّر، ولينظر تفسير الطبري ١٩/ ٤٩٧-٤٩٨.

(٤) تفسير الثعلبي ٥/ ٢٠٩، والكشاف ٣/ ٣٣٥.

«لا يَسمَّعون إلى المَلأ الأعْلَى» كلامٌ منقطع مُبْتَدأٌ اقتصاصاً لما عليه حالُ المُسْتَرِقة للسمع، وأنَّهم لا يَقدِرُون أنْ يتسمَّعوا، أو يَسمعوا وهم مَقْذوفونَ بالشُّهُب مُبْعَدون عن ذلك، إلَّا مَن أُمْهِلَ حتى خَطِفَ الخَطْفَةَ واسْتَرق استراقةً، فعندها تُعاجله الملائكةُ باتِّباع الشهاب الثاقِب.

ولا يجوز أن يكون «لا يَسمَّعون» صفةً ولا استئنافاً جواباً لسائلٍ سَأَلَ: لِمَ تُحفَظ مِن الشياطين؟ لأنَّ الوصفَ بكونهم لا يَسمعون، أو الجواب: لا معنى للحِفْظِ مِن الشياطين، على تقديرهما، إذ يصير المعنى مع الوصف: وحفظاً مِن كلِّ شيطانٍ ماردٍ غيرِ سامعٍ أو مُسمعٍ، وكذلك لا يَستقيم مع كونه جواباً، وقول مَن قال: إنَّ الأصلَ لأنْ لا يَسمعوا، فحذفت اللام و«أنْ» فارتفع الفعل، قولٌ مُتَعسِّف يُصانُ كلامُ اللهِ عنه.

وقرأ الجمهور: «لا يَسْمَعُونَ» نفى سماعَهم وإنْ كانوا يتسمَّعون بقوله: ﴿إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ﴾ [الشعراء: ٢١٢]، وعدَّاه بـ «إلى» لتضمُّنه معنى الإصغاء.

وقرأ ابنُ عباسٍ - بخلافٍ عنه - وابنُ وثَّاب وعبد الله بنُ مسلم وطلحة والأعمش وحمزةُ والكسائيُّ وحَفْص بشَدِّ السينِ والميم[١]، بمعنى: لا يتسمَّعون، أدغمت التاء في السين، وتقتضي نَفْيَ التسمُّع.

وظاهرُ الأحاديث أنَّهم يتسمَّعون حتى الآنَ، لكنَّهم لا يَسمعونَ، وإنْ سَمِعَ أحدٌ منهم شيئاً لم يُفْلِت الشهابَ قَبْلَ أنْ يُلقي ذلك السمعَ إلى الذي تحتَه؛ لأنَّ السماءَ مُلئت حرساً وشُهُباً مِن وقتِ بعثةِ رسولِ الله ﷺ، وكان الرَّجْمُ في الجاهلية أَخَفَّ، فلمَّا كانت ثمرةُ التسمُّع هو السمع، وقد انتفى السمعُ بنفي التسمُّع في هذه القراءة لانتفاءِ ثمرته وهو السمع.

و«المَلَأ الأعْلَى» هم الملائكة، والإِنْسُ والجِنُّ هم المَلَأُ الأسفلُ؛ لأنَّهم سكَّان الأرض، وقال ابنُ عبَّاس: هم أشرافُ الملائكةِ، وعنه: كُتَّابُهم[٢].

و«يُقذَفون»: يُرْمَون ويُرجَمون مِن كلِّ جانبٍ، أي: مِن كلِّ جهةٍ يَصْعَدونَ إلى

(١) أي: «لا يَسَّمَّعون»، وهي أيضاً قراءةُ خَلَف من العشرة، ينظر السبعة ص ٥٤٧، والتيسير ص ١٨٦، والنشر ٢/ ٣٥٦.
(٢) الكشاف ٣/ ٣٣٦.

السماء منها، والمَرْجُومُ بها هي التي يَرَاها الناسُ تَنْقَضُّ، وليست بالكواكب الجارية في السماء؛ لأنَّ تلك لا تُرَى حركتُها، وهذه الراجمةُ تُرَى حركتُها؛ لقُرْبها مِنَّا، قاله مكِّيّ والنَّقَّاشُ[١].

وقرأ محبوب عن أبي غمرو: «ويَقْذِفُون» مبنيًّا للفاعل[٢].

و«دُحُوراً» مصدر في موضع الحال، قال مجاهد: مَطْرُودين[٣]، أو مفعولٌ مِن أجله، أي: ويُقذَفُون للطَّرْدِ، أو مصدرٌ لـ «يُقذفون»؛ لأنَّه متضمِّن معنى الطَّرْد، أي: ويُدْحَرونَ مِن كلِّ جانبٍ دُحُوراً، ويُقذَفون مِن كلِّ جانبٍ قَذْفاً، فإمَّا أن يكون التجوُّز في «ويُقذَفون»، وإمَّا في «دُحُوراً».

وقرأ عليّ، والسُّلمِيُّ، وابنُ أبي عَبْلَة، والطبرانيُّ عن رجالِه عن أبي جعفر: «دَحُوراً» بنصب الدَّالِ[٤]، أي: قَذْفاً دَحُوراً.

ويجوز أن يكون مصدراً كالقَبُول والوَلوع إلَّا أنَّ هذه ألفاظ ذُكرَ أنَّها محصورةٌ.

والوَاصِب: الدَّائِم، قاله السُّدِّيُّ وأبو صالح[٥]، وتقدَّم في سورة «النحل»[٦]،

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٤٦٦.

(٢) لم نقف عليها عند غيره ممَّن سَبَقه، وأوردها عنه الآلوسي في روح المعاني ٢٣/ ١٨.

(٣) معاني القرآن للنحاس ٦/ ١١، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٦٦، وتفسير الرازي ٢٦/ ١٢٣، وأخرجه عنه الطبري ١٩/ ٥٠٥-٥٠٦.

(٤) القراءة في المحرر الوجيز ٤/ ٤٦٦، والكشاف ٣/ ٣٣٦ عن السلمي، وفي زاد المسير ٧/ ٤٧ عن عليّ وأبي رجاء والسلمي والضحاك وأيوب السختياني وابن أبي عبلة، وفي تفسير القرطبي ١٨/ ١٢ عن السلمي ويعقوب الحضرمي، وفي القراءات الشاذة ص ١٢٧ عن عليّ والسلمي، وفي المحتسب ٢/ ٢١٩ عن السلمي، وقوله: والطبراني عن رجاله عن أبي جعفر. لم نهتدِ لمعناه، ونقلها عنه الآلوسي في روح المعاني ٢٣/ ١٨، ولم نقف عليها في كتب الطبراني المتوافرة لدينا.

(٥) كذا في النسخ، والذي في المحرر الوجيز ٤/ ٤٦٦-٤٦٧ أنَّه الدائم، لكن من مجاهد وقتادة وعكرمة، وكذا عزاه ابن الجوزي في زاد المسير ٧/ ٤٧، والقرطبي ١٨/ ١٣، وزاد ابنُ الجوزيِ: الفراءَ وابنَ قتيبة، وأخرجه عنهم الطبريُّ ١٩/ ٥٠٧، والذي في المحرر الوجيز عن السدي وأبي صالح أنَّ الواصبَ هو الموجع، وكذا ورد في زاد المسير، وتفسير القرطبي، وأخرجه عنهما ـ وعن غيرهما ـ الطبريُّ ١٩/ ٥٠٦.

(٦) عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًاۚ﴾ [الآية: ٥٢].

ويقال: وَصَبَ الشيءُ وُصُوباً: دَامَ.

وقال مجاهد: الموجع، ومنه: الوَصَب[١]، كأنَّ المعنى: إنَّهم في الدنيا مَرْجومونَ، وفي الآخِرَة معذَّبون، ويجوز أن يكون هذا العذاب الدائم لهم في الدنيا؛ وهو رَجْمُهم دائماً، وعَدَمُ بلوغِهم ما يقصدون مِن استراقِ السَّمْع.

«إِلَّا مَن خَطِفَ الخَطْفَةَ» «مَن» بَدَلٌ مِن الضمير في «لا يَسمَّعونَ»، ويجوز أن يكون منصوباً على الاستثناءِ، أي: لا يَسْمَع الشياطينُ إلَّا الشيطان الذي خَطِفَ.

وقرأ الجمهور: «خَطِفَ» ثلاثياً، بكسر الطَّاء، وقرأ الحسن وقتادة: بكسرِ الخاء والطَّاءِ مُشدَّدَة[٢]، قال أبو حاتم: ويُقال: هي لغة بكرِ بنِ وائل وتميم بنِ مُرّ.

وقُرِئَ: «خَطِّفَ» بفتح الخاء وكسر الطاء مُشدَّدة، ونَسَبها ابنُ خالويه إلى الحسن وقتادة وعيسى، وعن الحسن أيضاً التخفيف[٣].

وأصله في هاتين القراءتين: اخْتطفَ، ففي الأُولى لمَّا أُسكنت التاءُ للإدغام، والخاء ساكنة كُسرت؛ لالتقاء الساكنين، فذهبت أَلِفُ الوَصْلِ، وكسرت الطاء إتْباعاً لحركة الخاء. وفي القراءةِ الثانية إشكالٌ؛ لأَجْلِ كسرةِ الطَّاء مشدَّدة مع فتحِ الخاء، والمنقول عن العرب في مِثْلِ هذا ـ نحو: اختصم ـ إذا أُدغم لُغَى ثلاث: خَصَّم وخِصِّم[٤]، فإنْ صَحَّتْ هذه القراءةُ، فالوَجْهُ فيها أنَّه لمَّا نُقلت حركةُ التاء إلى الخاءِ، وأرادوا إدْغامَها في الطَّاء، توهَّموا بقاءَ الخاءِ مكسورةً؛ لالتقاءِ السَّاكنَين، فأَتْبعوا الطَّاءَ حركةَ الخاءِ المتوهَّمة، وهذا

(١) تقدَّم آنفاً أنَّ الواصبَ هو الموجع، هو قول السدي وأبي صالح، وأنَّ قولَ مجاهد أنَّ الواصب هو الدائم، وهو قول غيره كابن عباس وابن زيد، كما ورد عند الطبري ١٩/ ٥٠٧، ينظر المحرر الوجيز ٤/ ٤٦٦-٤٦٧.

(٢) أي: «خِطِّف»، ينظر المحرر الوجيز ٤/ ٤٦٧ وما بعده منه أيضاً، والقراءة في القراءات الشاذة ص ١٢٧.

(٣) يعني: «خِطِفَ»، ينظر القراءات الشاذة ص ١٢٧، والقراءة الأولى أوردها أيضاً الزمخشريُّ في الكشاف ٣/ ٣٣٦ ولم ينسبها، وأوردها أيضاً ابنُ الجوزي في زاد المسير ٧/ ٤٧ وعزاها لابن السميفع، والقراءة الثانية أوردها أيضاً ابنُ عطية في المحرر الوجيز ٤/ ٤٦٧ وعزاها لابن عباس، وستأتي عنه قريباً، وابن الجوزي في زاد المسير ٧/ ٤٧ وعزاها للجحدري.

(٤) ولعلَّ الوجه الثالث هو: خَصِّم، قياساً على القراءة المُتكلَّم عنها: «خَطِّف».

تعليل شذوذ[١]. وعن ابن عباس: «خِطِف» بكسر الخاء والطاء مخفَّفة[٢]، أتبع حركة الخاء لحركة الطاء، كما قالوا: نِعِم.

وقُرِئَ: «فأتبعه» مخففاً ومُشدَّداً[٣].

والثاقب: قال السُّدِّيُّ وقتادة: هو النافذُ بضوئه وشعاعِه المنير[٤].

﴿فَٱسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَآ ۚ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍۭ ﴿١١﴾ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ذُكِّرُوا۟ لَا يَذْكُرُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا رَأَوْا۟ ءَايَةً يَسْتَسْخِرُونَ ﴿١٤﴾ وَقَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿١٧﴾ قُلْ نَعَمْ وَأَنتُمْ دَٰخِرُونَ ﴿١٨﴾ فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا هَٰذَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿٢٠﴾ هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢١﴾﴾.

الاستفتاء نوعٌ مِن السؤال، والهمزة وإنْ خَرَجَت إلى معنى التقرير، فهيَ في الأصل لمعنى الاستفهام، أي: فاسْتَخْبِرْهم، والضمير لمشركي مكَّة.

وقيل: نزلت في أبي الأشدّ بنِ كَلَدَة، وكُنِّيَ بذلك؛ لشِدَّة بَطْشِه وقوَّتِه[٥].

وعَادَلَ في هذا الاستفهام التقريريّ في الأَشَدِّيَّة بينهم وبين مَن خَلَقَ مِن غيرهم مِن الأُمَم والجِنِّ والملائكة والأفلاكِ والأَرَضين، وفي مصحف عبدِ الله: «أَمْ مَنْ عَددنا»[٦] وهو تفسيرٌ لـ «مَن خَلَقْنا» أي: أم مَن عَدَدنا مِن الصَّافَّات وما بعدَها مِن

---

(١) ينظر المنصف لابن جنّيّ ٢/ ٣٣٥-٣٣٦، والمبدع في التّصريف للمصنِّف ص ٢٤٧، وارتشاف الضَّرَب ٢/ ٤٩٥، والدر المصون ٩/ ٢٩٥، مع الإشارة إلى أنَّه من قول المصنِّف: وفي القراءة الثانية، إلى هذا الموضع لم يَرِد إلَّا في النسخة الحميدية (يه)، وسقط من باقي النسخ.

(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٤٦٧، وينظر معاني القرآن للزجاج ٤/ ٢٩٩، وينظر التعليق المتقدِّم قريباً عنها.

(٣) يعني: «فَأَتْبَعَهُ» و«فاتَّبَعَهُ». الكشاف ٣/ ٣٣٦، الأولى قراءة الجمهور، ولم نقف على القراءة الثانية عند غيره ممَّن سبقه، وأوردها عنه السمين في الدر المصون ٩/ ٢٩٥.

(٤) المحرر الوجيز ٤/ ٤٦٧ وزاد نسبته لابن زيد، وأخرجه عنهم الطبريُّ ١٩/ ٥٠٨-٥٠٩.

(٥) الكشاف ٣/ ٣٣٧، ونقله عنه القرطبيُّ في التفسير ١٨/ ١٦، وينظر تفسير الثعلبي ٥/ ٢٠٩، وأبو الأشدّ هو: كَلَدة بن أسيد بن خلف، وخبره في الروض الأنف للسهيلي ٢/ ٩٥، ونقله عنه الشاميُّ في سبل الهدى والرشاد ١/ ٦٣٧.

(٦) المحرر الوجيز ٤/ ٤٦٧، وينظر الكشاف ٣/ ٣٣٧، وتفسير الطبري ١٩/ ٥٠٩.

المخلوقين، وغُلِّب العاقلُ على غيرِه في قوله: «مَنْ خلَقْنا»، واقتصر على الفاعل في «خَلَقنا»، ولم يذكر متعلَّق الخَلْق، اكتفاءً ببيان ما تقدَّمه، وكأنَّه قال: «أم مَنْ خَلَقنا» مِن غرائبِ المصنوعات وعجائبها.

وقرأ الأعمش: «أَمَن» بتخفيفِ الميم دونَ «أم»[١] جَعَلَه استفهاماً ثانياً تقريراً أيضاً، فهما جملتان مستقلَّتان في التقرير، و«مَن» مبتدأة، والخبر محذوفٌ، تقديره: «أشدُّ»، فعلى «أم مَنْ» هو تقريرٌ واحد، ونظيره: ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ﴾ [النازعات:٢٧].

قال الزمخشريُّ: و«أشدُّ خلقاً» يَحتمل أقوى خَلْقاً، مِن قولهم: شديد الخَلْق، وفي خَلْقِه شِدَّة، وأَصعب خَلْقاً وأَشقّه، على معنى الرَّدِّ؛ لإنكارهم البعثَ والنَّشْأَة الأُخرى، وأنَّ مَن هانَ عليه خَلْقُ هذه الخلائق العظيمة ولم يَصعُب عليه اختراعُها، كان خَلْقُ البَشَر عليه أهونَ، وخَلْقهم «مِن طينٍ لازِبٍ؛ إمَّا شهادةٌ عليهم بالضَّعْف والرَّخاوة؛ لأنَّ ما يُصنَع مِن الطين غيرُ موصوفٍ بالصَّلابة والقُوَّة، أو احتجاجٌ عليهم بأنَّ الطينَ اللازِبَ الذي خُلِقوا منه ترابٌ، فمن أينَ استَنْكَروا أنْ يُخلَقوا مِن ترابٍ مِثْلِه، حيث قالوا: «أئذا كُنَّا تراباً»، وهذا المعنى يَعضُده ما يَتلوه مِن ذِكْر إنكارِهم البعث[٢]. انتهى. والذي يَظهر الاحتمالُ الأوَّل.

وقيل: «أم مَنْ خَلَقنا» من الأمم الماضية، كقوله: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا﴾ [ق:٣٦] وقوله: ﴿كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً﴾ [التوبة:٦٩] وأضاف الخَلْقَ مِن الطين إليهم، والمخلوق منه هو أبوهم آدم، إذ كانوا نَسْلَه.

وقال الطبريُّ: خُلقَ ابن آدمَ مِن ترابٍ وماءٍ ونارٍ وهواءٍ، وهذا كلُّه إذا خُلِطَ صار طيناً لازِباً يَلزم ما جاوره[٣].

وعبَّر ابنُ عباس عن اللَّازِب بالحُرِّ، أي: الكريمُ الجَيِّد[٤].

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٤٦٧.
(٢) الكشاف ٣/ ٣٣٧.
(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٤٦٧، وكلام الطبري في التفسير ١٩/ ٥١٠-٥١١.
(٤) ليست في (ز٢)، وبعدها في (د٣) و(يه): وقرئ: «لازم» بالميم، و«لاتب» والمعنى واحد. اهـ. ينظر تفسير الطبري ١٩/ ٥١١، والكشاف ٣/ ٣٣٧، والقرطبي ١٨/ ١٧، وقولُ ابنِ عباس عند الطبري ١٩/ ٥١١-٥١٢.

وقرأ الجمهور: «بَلْ عَجِبْتَ» بتاء الخطاب، أي: مِن قُدرة اللهِ على هذه الخلائقِ العظيمة «و» هم «يَسخَرُون» منكَ ومِن تعجُّبك، وممَّا تريهم مِن آثارِ قدرةِ الله، أو عَجبتَ مِن إنكارِهم البعثَ وهم يَسخرون مِن أَمْرِ البَعْث، أو عجبتَ مِن إعراضِهم عن الحقِّ وعماهم عن الهدى، وأَنْ يكونوا كافرينَ مع ما جِئتَهم به مِن عندِ الله.

وقرأ حمزة والكسائيُّ وابنُ سعدان وابنُ مقسم: بتاء المتكلِّم، ورُوِيَت عن عليّ وعبد الله وابنِ عباس والنخعي وابنِ وثَّاب وطلحة وشقيق والأعمش، وأنْكَر شُرَيْح القاضي هذه القراءةَ، وقال: اللهُ لا يَعجَبُ. فقال إبراهيم: كان شُرَيحٌ معجباً بعِلْمه، وعبدُ الله أَعلَم منه. يعني: عبد الله بن مسعود[١].

والظاهر أنَّ ضميرَ المتكلِّم هو اللهُ تعالى، والعَجَب لا يَجوز على الله تعالى؛ لأنَّه رَوعَةٌ تَعتري المتعجِّبَ مِن الشيء، وقد جاء في الحديث إسنادُ العَجَب إلى الله تعالى[٢]، وتُؤُوِّل على أنَّه صفةُ فِعْلٍ يُظْهِرُها اللهُ تعالى في صِفَة المتعجَّب منه؛ مِن تعظيمٍ أو تحقيرٍ، حتى يصيرَ الناسُ متعجِّبين منه، فالمعنى: «بَلْ عَجِبتُ» من ضلالتهم وسُوءِ نِحْلَتِهم، وجَعَلتها للناظرين فيها وفيما اقترنَ بها مِن شَرْعي وهُدَاي متعجَّباً[٣].

---

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٤٦٧، وينظر زاد المسير ٧/ ٤٩-٥٠، وقراءة حمزة والكسائي في السبعة ص ٥٤٧، والتيسير ص ١٨٦، وهي أيضاً قراءة خلف، ينظر النشر ٢/ ٣٥٦، وإنكارُ شريح لقراءة الضَّمِّ عند النحاس في كتابه معاني القرآن ٦/ ١٥، والزمخشري في الكشاف ٣/ ٣٣٧، والقرطبيّ ١٨/ ١٨، وأورد إنكار القراءة أيضاً الزجاج في كتابه معاني القرآن ٤/ ٣٠٠، وقال: وإنكارهم هذا غلط، لأن القراءة والرواية كثيرةٌ، والعَجَب من الله عز وجل خلافُه من الآدميين. اهـ. والخبر عن شريح أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات (٩٩١).

(٢) الكشاف ٣/ ٣٣٧، وأورد في إسناد العجب إلى الله تعالى قوله ﷺ: «عَجِبَ ربُّكم من إلِّكم وقنوطكم وسرعة إجابته إياكم»، والحديث أورده أبو عبيد في غريب الحديث ٢/ ٢٦٩، وقال: فإن كان المحفوظ قوله: «من إلِّكم» بكسر الألف، فإني أحسبها: «من ألِّكم» بالفتح، وهو أشبه بالمصادر. وهو أن يرفع الرجل صوته بالدعاء، ويجأر فيه. وورد في بعض نسخ غريب الحديث كما ورد ذلك في حاشيته: يروى هذا عن عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة الماجشون، عن محمد بن عمرو يرفعه. اهـ. وأورد الحديثَ أيضاً القرطبي في التفسير ١٨/ ٢٠، وأورد أيضاً قولَه ﷺ: «عَجِبَ الله من قوم يدخلونَ الجنَّة في السلاسل»، وهو عند البخاري (٣٠١٠)، وأحمد (٩٢٧١) من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٤٦٧.

وقال الزمخشريُّ: أي: بَلَغَ مِن عِظَمِ آياتي وكثرةِ خلائقي أنِّي عجبتُ منها، فكيف بعبادي؟! وهؤلاء بجهلهم وعِنَادهم يَسخرون مِن آياتي، أو عجِبت مِن أنْ يُنكرِوا البعثَ ممَّن هذه أفعالُه وهم يَسخَرون ممَّن يصف اللهَ بالقدرة عليه، قال: ويُجرّد العَجَب لمعنى الاستعظام، أو يُخيّل العَجَب ويُفرَض[١].

وقيل: هو ضميرُ الرسول، أي: قل «بَل عجبتُ»، قاله مكّيّ وعليُّ بنُ سليمان، «و» هم «يسخرونَ» مِن نُبوأتك، والحقِّ الذي عندك[٢].

«وإذا ذُكِّرُوا» وُعِظُوا «لا يَذْكُرون» أي: لا يتَّعظون، وذَكَر جناح بنُ حُبيش: «ذُكِروا» بتخفيفِ الكاف[٣].

رُويَ أنَّ رُكانةَ رجلاً مِن المشركين مِن أهل مكَّة لَقِيَه الرسولُ في جبلٍ خالٍ يَرعى غنماً له، وكان مِن أقوى الناس، فقال له: «يا رُكانة، أرأيتَ إنْ صَرَعْتُكَ أتؤمنُ بي؟» قال: نعم: فَصَرَعه ثلاثاً، ثم عَرَضَ عليه آياتٍ؛ مِن دُعاءِ شجرةٍ وإقبالها، فلم يُؤمِن وجاء إلى مكَّة، فقال: يا بني هاشم، سَاحِرُوا بصاحِبكم أهلَ الأرض. فنزلت فيه وفي نُظَرائه[٤].

«وإذا رَأَوا آيةً يَسْتَسْخِرون» قال مجاهد وقتادة: يَسْخَرُون، يكون اسْتَفْعَل بمعنى المجرَّد، وقيل: فيه معنى الطَّلَب، أي: يطلبون أن يكونوا ممَّن يسخَر[٥].

وقال الزمخشريُّ: يُبالغون في السُّخْرية، أو يَستدعي بعضُهم مِن بعضٍ أنْ يسخَرَ منها[٦].

---

(١) الكشاف ٣/ ٣٣٧.
(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٤٦٧-٤٦٨، وكلام مكي في مشكل إعراب القرآن ٢/ ٦١١، وينظر تفسير القرطبي ١٨/ ١٩، وإعراب القرآن للنحاس ٣/ ٤١٣.
(٣) القراءات الشاذة ص ١٢٧.
(٤) المحرر الوجيز ٤/ ٤٦٨، والخبر عند ابن هشام في السيرة النبوية ١/ ٣٩٠-٣٩١، وابن الأثير في أسد الغابة ٢/ ٢٣٦ دون ذِكر سبب النزول، قال ابنُ الأثير: ثم أسلمَ بَعْدُ ونزل المدينة. اهـ. وذكره ابن حجر في الإصابة ٤/ ٢٨٦، وقد روى خبرَ المصارعة فقط أبو داود (٤٠٧٨)، والترمذي (١٧٨٤)، وقال: هذا حديث حسن غريب، وإسناده ليس بالقائم.
(٥) المحرر الوجيز ٤/ ٤٦٨، وقول مجاهد وقتادة أخرجه الطبري ١٩/ ٥١٥-٥١٦.
(٦) الكشاف ٣/ ٣٣٧.

وقُرِئ: «يَسْتَسْحِرون» بالحاءِ المهملة، وهو عبارةٌ عمَّا قال رُكانة أنَّه اسْتَسْحَر الرَّسولَ[١]، والإشارة بهذا إلى ما ظَهَرَ على يديه عليه السلام مِن الخارقِ المُعجِز.

وتقدَّم الخلافُ في كسر ميمِ «مِتْنَا» وضَمِّها[٢]، ومَن قرأ «إذا» بالاستفهام، فجوابُ «إذا» محذوف، أي: نبعَثُ، ويدلُّ عليه «أإنَّا لمبعوثونَ»، أو يَعْرى عن الشَّرْط ويكون ظرفاً محضاً، ويقدَّر العامل: أَنُبْعَثُ إذا متنا.

وقرأ الجمهور: «أَوَآباؤنا» بفتح الواو في «أو»، وقرأ أبو جعفر وشيبة وابنُ عامر ونافع في رواية قالون: بالسُّكون[٣]، فهي حرف عطف، ومَن فَتَح قالوا: حرفُ عطفٍ دخلت عليه همزةُ الاستفهام[٤].

قال الزمخشريُّ: «أَوَآباؤنا» معطوفٌ على محلِّ «إنَّ» واسمِها، أو على الضمير في «مبعوثون»، والذي جوَّز العطفَ عليه الفَصْلُ بهمزة الاستفهام، والمعنى: أَيُبْعَث أيضاً آباؤنا، على زيادةِ الاستبعاد، يَعنون أنَّهم أقدَمُ فَبَعْثُهم أَبْعَدُ وأَبْطَلُ[٥]. انتهى.

أمَّا قوله: معطوف على محلِّ «إنَّ» واسمِها، فمذهبُ سيبويه خلافُه[٦]؛ لأنَّ قولَك: إنَّ زيداً قائمٌ وعَمرٌو، وعَمرو فيه مرفوعٌ على الابتداءِ، وخبرُه محذوف.

وأمَّا قوله: أو على الضمير في «مبعوثون» إلى آخِرِه، فلا يجوز عَطْفه على الضمير؛ لأنَّ همزةَ الاستفهام لا تَدخُل إلَّا على الجُمَل لا على المفرَد؛ لأنَّه إذا عُطفَ على المُفرَد كان الفِعْلُ عاملاً في المفرد بوساطة حرفِ العطف، وهمزةُ الاستفهام لا يَعمل فيما بَعْدَها ما قَبْلَها، فقوله: «أَوَ آباؤنا» مبتدأٌ، خبرُه محذوف، تقديره: مبعوثون، ويدلُّ عليه ما قَبْلَه، فإذا قلت: أَقامَ زيدٌ أو عمرٌو، فعمرٌو مبتدأ محذوفُ الخبر؛ لِمَا ذكرنا.

---

(١) المحرر الوجيز ٤/٤٦٨، وعزا القراءة بقوله: وفي بعض القراءات القديمة. ولم نقف على القراءة عند غيره ممَّن سبقه، وأوردها عنه الآلوسي في روح المعاني ٢٣/٣٢.
(٢) عند تفسير الآية (٨٢) من سورة المؤمنون.
(٣) أي: «أَوْآباؤُنا»، والقراءة في السبعة ص ٢٨٧، والتيسير ص ١٨٦، والنشر ٢/٣٥٦.
(٤) المحرر الوجيز ٤/٤٦٨.
(٥) الكشاف ٣/٣٣٧.
(٦) ينظر كتاب سيبويه ٢/١٤٤-١٤٥.

واستفهامهم تضمَّن إنكاراً واستبعاداً، فأَمَرَ اللهُ نبيَّه أنْ يُجيبهم بـ «نَعَم وأنتم دَاخرُون» أي: صاغرونَ، وهي جملة حاليَّة العاملُ فيها محذوفٌ تقديره: نَعَم تُبعَثون، وزادهم في الجواب أنَّ بَعْثَهم وهم ملتبسون بالصَّغَار والذُّلِّ.

وقرأ ابنُ وثَّاب: «نَعِم» بكسر العين[1]، وتقدَّم الخلافُ فيها في سورة «الأعراف»[2].

و«هي» كنايةٌ عن البعْثة، أي: «فإنَّما» بعثُهم «زَجْرَةٌ» أي: صيحةٌ، وهي النفخة الثانية؛ لمَّا كانت بعثُهم ناشئةً عن الزَّجْرَة جُعلت إيَّاها مجازاً.

وقال[3] الزمخشريُّ: هي مُبْهمَة يُوضِحها خبرُها[4]. انتهى.

وكثيراً ما يقول هو وابنُ مالك: إنَّ الضميرَ يُفسِّره الخبرُ. وجَعَل مِن ذلك ابنُ مالك ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا﴾ وتكلَّمنا معه في ذلك في «شرح التسهيل»[5].

وقال الزمخشريُّ: «فإنَّما» جوابُ شَرْطٍ مقدَّر، وتقديره: إذا كان ذلك فما «هي» إلَّا «زَجْرَة واحدة»[6]. انتهى. وكثيراً ما تُضمَر جملةُ الشَّرْطِ قَبْلَ فاءٍ إذا ساغَ تقديرُه، ولا ضرورةَ تَدعو إلى ذلك، ولا يُحذَف الشَّرْطُ ويَبقى جوابُه، إلَّا إذا انْجَزَمَ الفعلُ في الذي يُطلَق عليه أنَّه جوابُ الأمر والنهي وما ذُكرَ معهما، على قول بعضهم، أمَّا ابتداءً فلا يَجوز حَذْفُه.

«ويَنظُرون» مِن النَّظَر، أي: فإذا هم بُصَراء «ينظرون»، أو مِن الانتظار، أي:

---

(١) وقرأ بها أيضاً الكسائي ـ من السبعة ـ وقراءته في السبعة ص ٢٨١، والتيسير ص ١١٠، والنشر ٢/ ٢٦٩، ولم نقف على قراءة ابن وثَّاب عند غيره ممَّن سبقه، وأوردها عنه السمينُ في الدر المصون ٩/ ٢٩٨، وابنُ عادل في اللباب ١٦/ ٢٩٠، قال السمين معقِّباً على البحر المحيط: وكلامه هنا مُوهِمٌ أنَّ ابنَ وثَّاب متفردٌ بها.

(٢) عند تفسير الآية (٤٤).

(٣) فوقها في (ز٢): لفظ.

(٤) الكشاف ٣/ ٣٣٨.

(٥) التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل للمصنِّف ٢/ ٢٦٩-٢٧٠، وينظر شرح التسهيل لابن مالك ١/ ١٧٨-١٧٩، وارتشاف الضرب ٢/ ٩٤٦.

(٦) الكشاف ٣/ ٣٣٨.

فإذا هم يَنتظِرون ما يُفْعَل بهم وما يؤمرون به.

والظاهر أنَّ قوله: «وقالوا يا وَيْلَنا» مِن كلام بعض الكفَّار لبعضٍ إلى آخِرِ الجُملتين، أقرُّوا بأنَّه يومُ الجزاء وأنَّه يومُ الفَصْل، وخاطب به بعضُهم بعضاً.

ووقف أبو حاتم على قوله: «يا ويلنا»، وجَعَل «هذا يوم الدين» إلى آخِره، من قول اللهِ لهم أو الملائكة[1]، وقيل: «هذا يوم الدِّين» مِن كلام الكَفَرة، و«هذا يوم الفَصْل» ليس مِن كلامهم، وإنَّما المعنى يقال لهم: هذا يوم الفَصْل ويومُ الدِّين، يومُ الجَزَاء والمعاوَضَة، و«يوم الفَصْل» يوم الفَرق بين فِرَق الهدى وفِرَق الضلال، وفي «الذي كنتم به تكذبون» توبيخٌ لهم وتقريعٌ.

﴿ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾ بَلْ هُمُ ٱلْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ﴿٢٦﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٧﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٨﴾ قَالُوا۟ بَل لَّمْ تَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍۭ بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ ﴿٣٠﴾ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَآ ۖ إِنَّا لَذَآئِقُونَ ﴿٣١﴾ فَأَغْوَيْنَٰكُمْ إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ ﴿٣٢﴾ فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا۟ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍۭ ﴿٣٦﴾ بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾ إِنَّكُمْ لَذَآئِقُوا۟ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾﴾.

«احشروا» خطابٌ مِن اللهِ للملائكة، أو خطابُ الملائكة بعضِهم لبعض، أي: اجْمَعُوا الظالمين ونساءَهم الكافراتِ، قاله ابنُ عبَّاس، ورجَّحه الرُّمَّانيّ، أو أنواعهم وضرباءَهم، قاله عمر وابنُ عبَّاس أيضاً وقتادة[2].

أو أشباههم مِن العُصَاة؛ أهل الزِّنى مع أهل الزِّنى، وأهل السَّرِقة مع أهل السَّرِقة، أو: قرناءَهم من الشياطين[3].

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٤٦٨، وما بعده منه أيضاً، وينظر الكشاف ٣/ ٣٣٨.
(٢) المصدر السابق، وتنظر الآثار عند الطبري ١٩/ ٥١٩-٥٢١، وعند الماوردي في النكت والعيون ٥/ ٤٢-٤٣، وابن الجوزي في زاد المسير ٧/ ٥٢.
(٣) الكشاف ٣/ ٣٣٨.

وقرأ عيسى بن سليمان الحجازيّ: «وأزواجُهم» مرفوعاً[(١)] عطفاً على ضمير «ظلموا»، أي: وظَلَم أزواجُهم.

«فاهْدُوهم» أي: عَرِّفوهم وقُودوهم إلى طريق النارِ حتى يَسلكوها، و«الجحيم» طبقةٌ مِن طَبَقات جهنَّم.

«وقِفُوهم» كما قال: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ [الأنعام:٢٧] وقوف توبيخ لهم «إنَّهم مسؤولون» قرأ عيسى «أنَّهم» بفتح الهمزة[(٢)]، قال عبد الله: يُسألون عن شُرْب الماء البارد، على طريق الهُزء بهم، وعنه أيضاً: يُسألون عن لا إلهَ إلَّا الله[(٣)].

وقال الجمهور: وعن أعمالهم، ويُوقَفون على قُبْحها، وفي الحديث: «لا تَزولُ قَدَما عبدٍ حتى يُسألَ عن خمسٍ: شبابه فيما أبْلَاه، وعن عُمُره فيما أفناه، وعن مَالِهِ كيف كَسَبه وفيما أنفقه، وعن ما عَملَ فيما عَلِم»[(٤)].

وقال ابنُ عطيَّة: ويَحتمل أن يكون المعنى على نحوِ ما فسَّره بقوله: «ما لكم لا تَنَاصرون» أي: «إنَّهم مسؤولون» عن امتناعهم عن التَّناصُر، وهذا على سبيل التوبيخ في الامتناع[(٥)].

وقال الزمخشريُّ: هذا تهكُّم بهم، وتوبيخٌ لهم بالعَجْز عن التناصر بَعْدَما كانوا على خلافِ ذلك في الدُّنيا متعاضِدين متناصِرين[(٦)].

---

(١) القراءات الشاذة ص ١٢٧.
(٢) المصدر السابق.
(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٤٦٩، وما بعده منه أيضاً، وقولُ ابنِ مسعود الأول عند الطبري ١٩/ ٥٢٢-٥٢٣، والقول الثاني أورده الثعلبي في الكشف والبيان ٥/ ٢١١، وابنُ الجوزي في زاد المسير ٧/ ٥٣، والقرطبي ١٨/ ٢٤، لكن نَسَبوه لابن عباس.
(٤) المحرر الوجيز ٤/ ٤٦٩، وينظر تفسير الثعلبي ٥/ ٢١١، والحديث بهذا اللفظ أخرجه الترمذي (٢٥٨٣) من حديث ابن مسعود ﷺ، وقال: هذا حديث غريب، لا نعرفه من حديث ابن مسعود عن النبي ﷺ إلَّا من حديث حسين بن قيس، وحسين يُضعَّف في الحديث. اهـ.
ثم أخرج الحديثَ بنحوه عن أبي برزة الأسلمي (٥٨٤)، وقال: هذا حديث حسن صحيح.
(٥) المحرر الوجيز ٤/ ٤٦٩.
(٦) الكشاف ٣/ ٣٣٨.

وقال الثعلبيُّ: «ما لكم لا تناصرون» جوابُ أبي جَهْلٍ حين قال في بدر: نحن جميعٌ منتصر[١].

وقرئ: «لا تناصرون» بتاء واحدة، وبتاءين، وبإدغام إحداهما في الأخرى[٢].

«بل هم اليوم مستسلمون» أي: قد أسلم بعضُهم بعضاً وخَذَله عن عَجْزٍ، فكلُّ واحدٍ منهم مُستسلِم غيرُ منتصر.

«وأَقبلَ بعضُهم على بعضٍ يَتَساءَلون» قال قتادة: هم جنٌّ وإنْس، وتَسَاؤلهم على معنى التقريع والنَّدَم والسُّخْط[٣]، «قالوا» أي: قالت الإنس للجِنِّ، قاله مجاهد وابنُ زيدٍ، أو ضَعَفة الإنْسِ الكفرة لكُبَرائهم وقادَتهم[٤].

و«اليمين» الجارحةُ، وليست مرادةً هنا، فقيل: استُعيرت لجهة الخير، أو للقوَّة، والشِّدَّة، أو لجهة الشهواتِ، أو لجهة التمويهِ والإغواء وإظهارِ أنَّها رَشَد، أو الحَلِف، ولكلٍّ مِن هذه الاستعارات وَجْهٌ، فأمَّا استعارتها لجهةِ الخير، فلأنَّ الجارحةَ أشرفُ العُضْوَيْن وأمتنهما[٥]، وكانوا يَتَيَمَّنُونَ بها حتى في السَّانِح[٦] ويُصافحون، ويماسحون، ويُناولون، ويُزاولون بها أكثرَ الأمور، ويُباشرون بها

---

(١) الكشف والبيان ٥/ ٢١٢.

(٢) ينظر الكشاف ٣/ ٣٣٨، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٦٩، وقراءة التاء الواحدة هي قراءة الجمهور، وقراءة التاءين بلا إدغام نسبها ابنُ عطية إلى حرفِ ابنِ مسعود وإلى خَلْقٍ، وأوردها أيضاً الآلوسي في روح المعاني وعزاها للبَزّيّ في روايته عن ابن كثير، وقراءة الإدغام في التاءين نُسِبت أيضاً للبزّيّ عن ابن كثير وإلى أبي جعفر بن القعقاع من قراءة ابن مسعود في حالة الوصل مع المَدِّ المشبع للساكنين، أي هكذا: «لاَتَّناصرون». ينظر التيسير ص٨٣، والسبعة ص ٤٢١، والنشر ٢/ ٢٣٢-٢٣٣، والبدور الزاهرة ص٢٦٩.

(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٤٦٩، وقول قتادة عند الطبري ١٩/ ٥٢٤.

(٤) المحرر الوجيز ٤/ ٤٦٩، وأخرجه عنهما الطبريُّ ١٩/ ٥٢٥-٥٢٦.

(٥) في النسخ عدا (د٣) و(به): وأيمنهما. والمثبت منهما ومن الكشاف ٣/ ٣٣٨.

(٦) السانح: ما أتاكَ عن يمينك من ظَبْي أو طائر أو غير ذلك، والبارح ما أتاكَ ذلك عن يسارك، قال أبو عمرو الشيباني: والسانح أحسن حالاً عندهم في التيمُّن من البارح. اللسان (سنح).

أفاضلَ الأشياء، وجُعلت لكاتبِ الحسنات، ولأَخْذِ المؤمن كتابَه بها، والشِّمال بخلافِ ذلك.

وأمَّا استعارتها للقوَّة والشِّدَّة، فإنَّها يقع بها البَطْش، فالمعنى أنَّكم تُغْوونَنا(١) بقوَّتكم وتَحملوننا على طريق الضلال.

وأمَّا استعارتها لجهة الشهواتِ، فلأنَّ جهة اليمين هي الجهةُ الثقيلة مِن الإنسان وفيها كَبِده، وجهة شِماله فيها قَلْبه وفِكْره، وهي أخفُّ، والمنهزم يَرجعُ على شقِّه الأيسر، إذ هو أخفُّ شقيَّه.

وأمَّا استعارتها لجهة التمويه والإغواء فكأنَّهم شَبَّهوا أقوالَ المُغوين بالسَّوانِح التي هي عندهم محمودةٌ، كأنَّ التمويهَ في غوايتهم أظهر ما يَحمدونه.

وأمَّا الحَلِف، فإنَّهم يَحلفون لهم ويَأتونهم إتيانَ المُقْسِمين على حُسْنِ ما يَتَّبعونهم فيه.

«قالوا» أي: المخاطبون؛ إمَّا الجِنُّ وإمَّا قادةُ الكفر: «بَلْ لم تكونوا مؤمنين» أي: لم نَقْسِركم على الكفر، بل أنتم مِن ذواتكم أبيتم الإيمانَ.

وقال الزمخشريُّ: وأَعْرَضْتم مع تمكُّنكم واختياركم مختارين عليه الكفرَ غيرَ مُلْجَئِين «وما كان لنا عليكم» مِن تسلُّط نَسلبكم به تمكُّنَكم واختيارَكم، «بَلْ كُنتم قوماً» مختارينَ الطُّغيان(٢). ولفظةُ التمكُّن والاختيار ألفاظُ المعتزلة؛ جرياً على مذهبهم.

«فحقَّ علينا قولُ ربِّنا» أي: لَزِمنا قولُ ربِّنا، أي: وَعِيْده لنا بالعذاب.

والظاهر أنَّ قوله: «إنَّا لذائقون» إخبارٌ منهم أنَّهم ذائقون العذابَ جميعهم الرؤساء والأتْباع.

وقال الزمخشريُّ: فلَزِمنا «قولُ ربِّنا إنَّا لذائقونَ» يعني: وعيدَ اللهِ بأنَّا ذائقونَ لعذابه لا محالةَ؛ لعِلْمه بحالِنا واستحقاقِنا بها العقوبة، ولو حكى الوعيدَ كما هو

(١) في النسخ عدا (يه): تعروننا، وفي (يه): تغزوننا، والمثبت من المحرر الوجيز ٤/ ٤٦٩.
(٢) الكشاف ٣/ ٣٣٩.

لقال: إنَّكم لذائقونَ، ولكنَّه عَدَل به إلى لفظ المتكلِّم؛ لأنَّهم متكلِّمون بذلك عن أنفسِهم؛ ونحوه قول القائل:

لـقـد زَعَـمَـتْ هَـوَازِنُ قَـلَّ مَـالـي[١]

ولو حكى قولها لقال: قلَّ مالُكَ، ومنه: قولُ المُحلِّف للحالف: احلف لأخرجنَّ ولتخرجنَّ، الهمزةُ لحكاية لفظِ الحالف، والتاء لإقبال المُحلِّف على الحَلِف[٢]. انتهى.

«فأغويناكم» دَعَوناكم إلى الغيِّ، فكانت فيكم قابليَّة له، فغَوَيتم «إنَّا كنَّا غاوِين» فأردنا أنْ تُشاركونا في الغَيِّ.

«فإنَّهم يومئذٍ في العذاب مشتركون» أي: يومَ إذ تَسَاءلوا وتَراجعوا في القول، وهذا إخبارٌ منه تعالى كما اشتركوا في الغَيِّ اشتركوا فيما ترتَّب عليه من العذاب؟

«إنَّا كذلك» أي: مِثْل هذا الفعل بهؤلاء نفعل بكلِّ مُجرمٍ، فيترتَّب على إجرامه عذابُه.

ثمَّ أخبر عنهم بأكبر إجْرامهم، وهو الشِّرْك بالله واستكبارُهم عن توحيدِه وإفرادِه بالإلهيَّة، ثم ذَكَر عنهم ما قَدَحُوا به في الرَّسول، وهو نسبته إلى الشِّعْر والجنون، وأنَّهم ليسوا بتاركي آلهتهم له، ولِمَا جاءَ به، فجمعوا بين إنكارِ الوحدانيَّة وإنكارِ الرسالة، وقولهم «الشاعرِ مجنون» تخليطٌ في كلامهم وارتباكٌ في غَيِّهم، فإنَّ الشاعر هو الذي عنده مِن الفَهْم والحِذْق وجَودة الإدراك ما يَنظم به المعانيَ الغريبة ويَصوغها في قالَب الألفاظ البديعة، ومَن كان مجنوناً لا يَصلُ إلى شيء مِن ذلك.

ثمَّ أضرب تعالى عن كلامهم وأخبر بأنَّه جاء بالحقّ، وهو الثابت الذي لا يَلحقه اضْمِحلال، فليس ما جاءَ به شعراً، بل هو الحقُّ الذي لا شَكَّ فيه، ثم أخبر أنَّه

---

(١) المصدر السابق، وصدر البيت ليزيد بن الجهم كما في الحماسة البصرية ٢/ ١٢، وورد عنده هكذا:

تُـسـائِـلُـنـي هـوازن أيـن مـالـي وهـل لـي غـيـرُ مـا أنـفـقـتُ مـالُ

(٢) الكشاف ٣/ ٣٣٩، وعبارته الأخيرة: والتاء لإقبال المحالف على المحلف.

صَدَّقَ مَن تَقَدَّمه مِن المرسلين، إذ هُو وهُم على طريقةٍ واحدة في دعوى الأُمم إلى التوحيد وتَرْكِ عبادةِ غيره.

وقرأ عبد الله: «وصَدَقَ» بتخفيف الدَّالِ «المرسلونَ» بالواو، رَفْعاً[١]، أي: وصَدَقَ المرسلونَ في التبشير به، وفي أنَّه يأتي آخِرَهم.

وقرأ الجمهور: «لذائقو العذاب» بحذفِ النون للإضافة، وأبو السَّمَّال وأبان بن تغلب عن عاصم بحَذْفِها ـ لالتقاء لام التعريف ـ ونَصْبِ «العذاب»[٢]، كما حذفَ بعضُهم التنوينَ لذلك في قراءة مَن قرأَ: «أَحَدُ الله»[٣].

ونَقَلَ ابنُ عطيَّة عن أبي السَّمَّال أنَّه قَرَأَ: «لذائقٌ» منوَّناً، «العذابَ» بالنصب[٤]، ويُخرَّج على أنَّ التقدير: لجمعٌ ذائقٌ، وإلَّا لم يَتطابق المُفرد وضميرُ الجَمْع في «إنَّكم»، وقول الشاعر:

فألْفَيْتُه غيرَ مُسْتَعتِبٍ ولا ذاكرَ اللهَ إلَّا قليلا[٥]

وقُرِئَ «لذائقون» بالنون «العذابَ» بالنصب[٦].

«وما تُجزَون إلَّا» جزاءَ مِثْل عملكم، إذ هو ثمرةُ عملكم.

﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَٰكِهُ وَهُم مُّكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٤﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿٤٥﴾ بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّى كَانَ لِى قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِى سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّى لَكُنتُ مِنَ

(١) القراءات الشاذة ص ١٢٨.
(٢) القراءات الشاذة ص ١٢٧ عن أبي السمال.
(٣) وهي روايةٌ لهارون عن أبي عمرو، كما ذكر ذلك ابن مجاهد في السبعة ص ٧٠١.
(٤) المحرر الوجيز ٤/ ٤٧١.
(٥) البيت لأبي الأسود الدؤلي، وهو في ديوانه ص ٥٤.
(٦) ينظر الكشاف ٣/ ٣٣٩، والإملاء ٢/ ٢٠٦.

ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾ لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ﴿٦١﴾﴾.

«إلا عبادَ الله» استثناءٌ منقطع، لمَّا ذَكَر شيئاً مِن أحوال الكفَّار وعذابِهم، ذَكَر شيئاً مِن أحوال المؤمنين ونعيمِهم، و«المُخلَصين» صفةُ مدحٍ لأنَّ كونهم عباد الله يَلزم منه أن يكونوا مخلصين، ووصف رِزق بـ «معلوم» أي: عندهم، فقد قرَّت عُيونهم بما يَستدِرُّ عليهم مِن الرِّزق، وبأنَّ شهواتِهم تأْتيهم بحَسَبها.

وقال الزمخشريُّ: «معلوم» بخصائصَ خُلِقَ عليها؛ مِن طِيْبِ طَعْمٍ ورائحةٍ ولذَّةٍ وحُسْنِ منظر، وقيل: معلومُ الوقت، كقوله: ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مريم: ٦٢] وعن قتادة: الرِّزق المعلوم الجنَّةُ. وقوله: «في جنَّات» يَأباه[١].

«فواكهُ» بَدَلٌ مِن «رزق»، وهي ما يُتلذَّذ به ولا يُتقوَّت؛ لحِفْظ الصحة، يعني أنَّ رِزْقَهم كلَّه «فواكهُ» لاستغنائهم عن حِفظِ الصِّحَّة بالأقوات؛ لأنَّهم أجسامٌ مُحكَمة مخلوقةٌ للأَبَد، فكلُّ ما يأكلونه فهو على سبيل التلذُّذ.

وقرأ ابنُ مقْسَم: «مُكَرَّمون» بفتح الكاف مشدَّد الراء[٢].

ذَكَر أوَّلاً الرِّزقَ وهو ما تتلذَّذ به الأجسام، وثانياً الإكرامَ وهو ما تتلذَّذ به النفوسُ، ورِزْقٌ بإهانةٍ تَنكيدٌ، ثمَّ ذَكَر المحلَّ الذي هم فيه، وهو «جنَّات النَّعيم»، ثم أشرفَ المَحَلِّ وهو السُّرُر، ثم لذَّةَ التآنُس، بأنَّ بعضَهم يُقابِل بعضاً، وهو أتمُّ السُّرور وآنَسُهُ، ثم المشروبَ، وأنَّهم لا يَتناولون ذلك بأنفسهم بل يُطافُ عليهم بالكؤوس، ثم وَصَف ما يُطاف عليهم به مِن الطِّيب وانتفاءِ المفاسد، ثم ذَكَر تمامَ اللذَّة الجسمانيَّة، وخَتَم بها كما بَدَأ باللذَّة الجسمانيَّة مِن الرِّزْق، وهي أبلغُ الملاذِّ، وهي التآنُس بالنِّساء.

وقرأ الجمهور: «على سُرُرٍ» بضمِّ الراء، وأبو السَّمَّال بفتحها[٣]، وهي لغةُ

---

(١) الكشاف ٣/ ٣٣٩، وقول قتادة عند الطبري ١٩/ ٥٣٠.

(٢) الإملاء ٢/ ٢٠٦ دون عزوٍ.

(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٤٧١، وذكر ابن خالويه في القراءات الشاذة ص ٧١ أنَّ سيبويه والفراء أجازا: سرير، وسُرَر، بالفتح، وكذلك في كلِّ المصاحف. اهـ.

بعضٍ تميم وكلب يَفتحون ما كان جَمْعاً على فُعُل مِن المضعَّف إذا كان اسماً.

واختلف النحويُّون في الصفة؛ فمنهم مَن قاسَها على الاسم ففَتَحَ، فيقول ذلك بفتح اللام على تلك اللغة الثانية في الاسم، ومنهم مَن خَصَّ ذلك بالاسم وهو مَوْرِدُ السماع في تلك اللغة[١].

وقيل: التقابُل لا يَنظر بعضُهم إلى قفا[٢] بعضٍ، وفي الحديث أنَّه في أحيان تُرفَع عنهم سُتُورٌ فيَنظر بعضُهم إلى بعض، ولا محالَةَ أنَّ أكثر أحيانهم هم فيها في قصورهم[٣].

و«يُطاف» مبنيٌّ للمفعول، وحُذفَ الفاعل وهو المُثبَت في آيةٍ أُخرى في قوله: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ﴾ [الإنسان: ١٩] ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ﴾ [الطور: ٢٤]، ولعلَّهم مَن مات مِن أولاد المشركين قَبْلَ التكليف، ففي «صحيح البخاريّ» أنَّهم خَدَمُ أهلِ الجنة[٤].

والكأس: ما كان مِن الزُّجاج فيه خمرٌ أو نحوه مِن الأنبذة، ولا يُسمَّى كأساً إلَّا وفيه ذلك، وقد تسَمَّى الخمرُ نفسُها كأساً؛ تسميةً للشيء بمحلِّه، قال:

وكأسٍ شَرِبْتُ على لذَّةٍ ... وأُخرى تَداويتُ مِنها بِهَا[٥]

---

(١) ينظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ١/ ٣٥١، والمنصف لابن جني ٣/ ٩١، وارتشاف الضَّرَب ١/ ٤٢٦، والتسهيل لابن مالك ص ٢٧٣.

(٢) في النسخ الخطية عدا (د٣) و(يه): فناء. والمثبت منهما ومن مطبوع البحر والكشاف ٣/ ٣٤٠، وينظر تفسير الطبري ١٩/ ٥٣٠، وتفسير القرطبي ١٨/ ٢٩.

(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٤٧١.

(٤) لم نقف عليه عند البخاري، ولا عند مسلم، وأخرجه أبو يعلى (٤٠٩٠) من حديث أنس ﷺ، وفي إسناده: يزيد الرقاشي، وهو ضعيف، وأخرجه أيضاً الطبراني في الكبير (٦٩٩٣) من حديث سمرة بن جندب ﷺ وفي إسناده: عباد بن منصور، وثقه يحيى القطان، وفيه ضعف.

والذي في صحيح البخاري (١٣٨٣) من حديث ابن عباس أنه قال: سُئلَ رسول الله ﷺ عن أولاد المشركين، فقال: «الله إذ خلقهم أعلم بما كانوا عاملين»، وهو عند مسلم (٢٦٦٠)، وأحمد (١٨٤٥)، وكذا ورد من حديث أبي هريرة، وهو عند البخاري (١٣٨٤)، ومسلم (٢٦٥٨)، وأحمد (٧٣٢٥). وينظر تفسير ابن كثير عند تفسير الآية (١٥) من سورة الإسراء.

(٥) البيت للأعشى، وهو في ديوانه ص ٢٢٣.

وقال ابنُ عباس والضَّحَّاك والأخفش: كلُّ كأسٍ في القرآن فهو خمرٌ[١]، وقيل: الكأس: هيئةٌ مخصوصةٌ في الأواني، وهو كلُّ ما اتَّسع فَمُه ولم يَكن له مِقْبَض، ولا يُراعَى كونه لخمرٍ أوْ لا.

«مِن مَعِيْن»: مِن شراب مَعِيْنٍ، أو مِن نَهْرٍ[٢] وهو الجاري على وَجْه الأرض كما يَجري الماء.

و«بَيضاء» صفةٌ للكأس أو للخمر، وقال الحسن: خمرُ الجنَّة أشدُّ بياضاً مِن اللَّبَن[٣].

وفي قراءة عبدِ الله: «صَفراء»[٤]، كما قال بعضُ المولَّدِين:

صَفْرَاءُ لا تَنْزِلُ الأحزانُ سَاحتَها لو مَسَّها حَجَرٌ مَسَّتْهُ سَرَّاءُ[٥]

و«لذَّة» صفةٌ بالمصدر على سبيل المبالغة، أو على حذف، أي: ذات لذَّة، أو على تأنيث لَذٍّ بمعنى لذيذ.

«لا فيها غَولٌ» قال ابنُ عباس وقتادة: هو صُدَاع في الرأس. وقال ابنُ عباس أيضاً ومجاهد وابنُ زيد: وَجَعٌ في البطن[٦]. انتهى.

---

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٤٧١-٤٧٢، وما بعده منه أيضاً، وقول ابنِ عباس في الكشاف ٣/ ٣٤٠، وقول الضحاك عند الطبري ١٩/ ٥٣١، وقول الأخفش عند الثعلبي في الكشف والبيان ٥/ ٢١٣، وعند الزمخشري في الكشاف ٣/ ٣٤٠.

(٢) في النسخ عدا (د٣) و(يه): ثَمْد. والمثبت منهما ومن الكشاف ٣/ ٣٤٠، والثَّمْد والثَّمَد: الماء القليل الذي لا مادَّة له. مختار الصحاح (ثمد).

(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٤٧٢، وزاد المسير ٧/ ٥٦، وتفسير القرطبي ١٨/ ٣٠.

(٤) المحرر الوجيز ٤/ ٤٧٢، والقراءة في القراءات الشاذة ص ١٢٨ وعزاها لابن مسعود والحسن والضحاك، وذكرها أيضاً عن ابن مسعود الطبريُّ في التفسير ١٩/ ٥٣١-٥٣٢ نقلاً عن السدي.

(٥) البيت لأبي نواس، وهو في ديوانه ص ٧، وهو أوَّل من نَهَج للشعر طريقته الحضرية وأخرجه من اللهجة البدوية، وكانت وفاته سنة (١٩٩هـ). الشعر والشعراء لابن قتيبة ٢/ ٧٩٦ ومابعدها، والأعلام ٢/ ٢٢٥.

(٦) المحرر الوجيز ٤/ ٤٧٢، وأخرجه عنهم الطبريُّ ١٩/ ٥٣٢-٥٣٣.

والاسم يشملُ أنواعَ الفساد الناشئةَ عن شُرْب الخمر، فينتفي جميعها مِن مغصٍ وصداعٍ وخمار وعَرْبَدة ولَغوٍ وتَأْثيم ونحو ذلك.

ولما كان السُّكْرُ أعظمَ مفاسدها أفردَهُ بالذِّكْر، فقال: «ولا هم عنها يُنزَفون»، وقرأ الحِرْميَّان والعربيَّان بضمِّ الياء وفتحِ الزاي هنا وفي «الواقعة»[١]، وبذهاب العقل فسَّره ابنُ عباس ومجاهد وقتادة، وحمزة والكسائيُّ بكسرها فيهما، وعاصم بفتحها هنا وكسرها في «الواقعة»[٢]، وابنُ أبي إسحاق بفتح الياء وكسر الزاي[٣]، وطلحة بفتح الياء وضمِّ الزاي[٤].

قال ابنُ عباس ومجاهد وابنُ زيد: «قاصراتُ الطَّرْف» قَصَرْنَ الطَّرْفَ على أزواجهنَّ، لا يَمتدُّ طَرْفُهنَّ إلى أجنبيٍّ[٥]، كقوله تعالى: ﴿عُرُبًا﴾ [الواقعة:٣٧] وقال الشاعر:

مِن القاصراتِ الطَّرْفِ لو دَبَّ مُحْوِلٌ ... من الذَّرِّ فوقَ الإتْبِ منها لأثَّرا[٦]

والعِين جَمْعُ: عيناء، وهي الواسعةُ العَيْن في جمالٍ.

«كأنهنَّ بَيْضٌ مَكْنُون» شَبَّهَهُنَّ - قال الجمهورُ - ببيضِ النَّعام المَكْنون في عُشِّه، وهو الأُدْحِيَّة[٧]، ولونها بياضٌ به صُفْرةٌ حَسَنة، وبها تُشبَّه النِّساء، فيقال: بيضات الخدور، ومنه قولُ امرئ القيس:

وبَيْضةِ خِدْرٍ لا يُرام خِباؤها ... تَمتَّعتُ مِن لهوٍ بها غيرَ مُعجَلِ

كبِكْرِ مُقاناةِ البياضِ بصُفْرَةٍ ... غَذاها نَميرُ الماءِ غيرَ المُحلَّلِ[٨]

---

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٤٧٢، والحِرْميان: ابن كثير ونافع، والعربيان: أبو عمرو وابن عامر، والقراءة في السبعة ص ٥٤٧، والتيسير ص ١٨٦، والنشر ٢/ ٣٥٧.
(٢) تنظر المصادر الآنفة الذكر، والآثار الثلاثة المذكورة عند الطبري ١٩/ ٥٣٥-٥٣٦.
(٣) أي: «يَنْزِفون»، والقراءة في المحرر الوجيز ٤/ ٤٧٣.
(٤) أي: «يَنْزُفون»، والقراءة في المحرر الوجيز ٤/ ٤٧٣، والكشاف ٣/ ٣٤٠.
(٥) المحرر الوجيز ٤/ ٤٧٣، وتنظر الآثار عند الطبري ١٩/ ٥٣٧-٥٣٨.
(٦) البيت لامرئ القيس، وهو في ديوانه ص ٦٨، وسلف.
(٧) الأُدْحِي والأُدْحِيَّة والأُدْحُوَّة: مبيض النَّعام في الرمل. القاموس (دحو).
(٨) البيتان من معلقته، وهما في ديوانه ص ١٣ و١٦، وبينهما تسعة أبيات أُخرى، والبِكْر هنا: البيضة الأولى من بيض النعام، وهي أيضاً الدُّرَّة التي لم تُثقَب.

وقال السُّدِّيُّ وابنُ جبير: شَبَّه ألوانَهنَّ بلونِ قِشْرِ البيضة الدَّاخل[١]، وهو غِرْقِئ البيضة، وهو المَكْنون في كِنٍّ، ورجَّحه الطبريُّ، وقال: وأمَّا خارجُ قِشْرِ البيضة فليس بمكنونٍ[٢].

وعن ابنِ عبَّاس: البيضُ المَكنون: الجَوهر المَصُون[٣]. واللفظُ يَنبُو عن هذا القول.

وقالت فرقة: هو تشبيهٌ عامٌّ لجملة المرأةِ بجملة البَيْضة، أرادَ بذلك تَناسُب أجزاءِ المرأة، وأنَّ كلَّ جُزءٍ منها نِسْبَتُه في الجَودة إلى نوعِه نسبةُ الآخَر مِن أجزائِها إلى نَوعِه، فنِسْبَة شعرِها إلى عينِها مستويةٌ، إذ هما غاية في نوعِها، والبيضةُ أشدُّ الأشياء تَنَاسُبَ أجزاءٍ؛ لأنَّك من حيث جِئْتها فالنَّظَرُ واحدٌ[٤]، كما قال بعضُ الأدباء يتغزَّل:

تَـنَـاسَـبـتِ الأعـضـاءُ فـيـه فـلا تَـرَى بـهـنَّ اخـتـلافـاً بـل أَتَـيْـنَ عـلـى قَـدْرِ[٥]

وتَسَاؤُلهم في الجنَّة تساؤلُ راحةٍ وتنعُّم، يَتَذاكرون نعيمَهم وحالَ الدنيا والإيمانَ وثمرته، و«فأَقْبَلَ» معطوف على «يطاف عليهم»، والمعنى: يَشربون فيَتحدَّثون على الشَّراب، كعادة الشُّرَّاب في الدنيا، قال الشاعر:

ومـا بَـقِـيَـت مِـن الـلَّـذَّاتِ إلَّا أحـاديـثُ الـكـرامِ عـلـى الـمُـدامِ[٦]

---

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٤٧٣، وأخرجه عنهما الطبريُّ ١٩/ ٥٤٠.
(٢) تفسير الطبري ١٩/ ٥٤١.
(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٤٧٣، ونَسَبَ الكلامَ للطبريّ، وكلامه عن ابن عباس في التفسير ١٩/ ٥٤١ لكن بلفظ: اللؤلؤ المكنون، بدل: الجوهر المصون.
(٤) المحرر الوجيز ٤/ ٤٧٣.
(٥) لم نقف عليه عند غيره ممَّن سبقه، وأورده عنه السمينُ في الدر المصون ٩/ ٣٠٨ وورد عنده: فيها، بدل: فيه، والآلوسي في روح المعاني ٢٣/ ٥٩.
(٦) ينظر تفسير القرطبي ١٨/ ٣٦، والكشاف ٣/ ٣٤٠، وتفسير الرازي ٢٦/ ١٣٨، والبيت أورده الثعالبيُّ في يتيمة الدهر ١/ ١٣٢، وفي ثمار القلوب ص ٥٦٥، وعزاه لأبي محمد عبد الله بن عمرو بن محمد كاتب سيف الدولة ونديمه، وورد عنده: الشراب، بدل: المدام، وأورده أيضاً ابن سعيد الأندلسي في المغرب في حُلَى المغرب ٢/ ٣١٩ وعزاه لأبي الحسن علي بن حريق، وفيه: الرجال، بدل: الكرام، و: الشراب، بدل: المدام.

وجِيْءَ به ماضياً؛ لصِدْق الإخبار به، فكأنَّه وَقَعَ، ثم حكى تعالى عن بعضِهم ما حكى، يتذكَّر بذلك نِعَمَه تعالى عليه حيث هداهُ إلى الإيمان واعتقادِ وقوعِ البَعْث والثوابِ والعقابِ وهو مِثالٌ للتحفُّظ مِن قُرناء السوء والبُعْدِ منهم.

قال ابنُ عباس وغيره: كان هذا القائلُ وقرينه مِن البَشَر. وقالت فرقة: هما اللذان في قوله: ﴿يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا﴾ [الفرقان:٢٨]، وقال مجاهد: كان إنسيًّا وجِنيًّا مِن الشياطين الكَفَرة[(١)].

وقرأ الجمهور: «من المُصَدِّقين» بتخفيف الصاد مِن التصديق، وفرقة بشدِّها مِن التَّصَدُّق[(٢)].

قال فرات بن ثعلبة البَهْراني: كانا شَرِيكَيْن بثمانيةِ آلافِ درهم، يَعْبُدُ اللهَ أحدُهما ويُقْصر من التجارة والنَّظَر، والآخَر كان كافراً مُقْبِلاً على مالِه، فانْفَصَل مِن شريكه لتقصيرِه، فكلَّما اشترى داراً أو جاريةً أو بستاناً ونحوَه، عَرَضه على المؤمِن وفَخَرَ عليه، فيتصدَّق المؤمِن بنحوِ مِن ذلك ليشتري به في الجنَّة، فكان مِن أمرِهما في الآخِرَة ما قصَّه الله[(٣)].

وقال الزمخشريُّ: نزلت في رَجُلٍ تصدَّق بمالِهِ لوَجْهِ اللهِ، فاحتاجَ فاسْتَجْدَى بعضَ إخوانه، فقال: وأَيْنَ مَالُكَ؟ قال: تصدَّقت به ليعوِّضنِيَ اللهُ في الآخرة خيراً منه. فقال: أئِنَّك لمنَ المُصَدِّقينَ بيومِ الدين، أو مِن المتصدِّقين لطَلَب الثواب، واللهِ لا أُعطيك شيئاً[(٤)].

«أئِنَّا لَمدِينونَ» قال ابنُ عباس وقتادة والسُّدِّي: لمُجازَونَ مُحاسَبون[(٥)]، وقيل:

---

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٤٧٣، وأثَر ابنِ عباس ومجاهد عند الطبري ١٩/ ٥٤٣.
(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٤٧٣، والقراءة في تفسير الطبري ١٩/ ٥٤٥، والكشاف ٣/ ٣٤١ دون عزوٍ، وأوردها ابنُ الجوزي في زاد المسير ٧/ ٥٩ وعزاها لبكر بن عبد الرحمن القاضي، عن حمزة، والقرطبيُّ ١٨/ ٣٦ وعزاها لعلي بن كِيْسة، عن سليم، عن حمزة. وهي غير المشهورة عن حمزة، والمشهور عنه كقراءة الجماعة.
(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٤٧٣، والخبر أخرجه الطبري ١٩/ ٥٤٣-٥٤٥.
(٤) الكشاف ٣/ ٣٤١.
(٥) المحرر الوجيز ٤/ ٤٧٤، وأخرجه عنهم الطبريُّ ١٩/ ٥٤٥-٥٤٦.

لَمَسُوسُونَ مَرْبُوبُونَ، يقال: دَانَهُ سَاسَهُ، ومنه الحديث: «العاقِلُ مَن دَانَ نفسَه»[(١)].

والظاهر أنَّ الضميرَ في «قال هل أنتم» عائدٌ على «قائل» في قوله: «قال قائل»، قيل: وفي الكلام حذفٌ، تقديره: فقال لهذا القائلِ حاضِرُوه مِن الملائكة: إنَّ قَرِينَك هذا في جهنَّم يُعذَّب. فقال عند ذلك: ﴿هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ﴾.

والخطاب في «هل أنتم» يَجوز أَنْ يكون للملائكة، وأَنْ يكون لرفقائه في الجنَّة الذينَ كان هو وإيَّاهم يَتَساءَلون، أو لخَدَمَتِه، وهذا هو الظاهر، لمَّا كان قرينُهُ ينكِر البعثَ عَلِمَ أنَّه في النار، فقال: «هل أنتم مُطَّلِعون» إلى النَّار لأُرِيكم ذلك القرينَ. وعلى هذا القول لا يَحتاج الكلامُ إلى حَذْفٍ، ولا لقول الملائكة: إنَّ قرينَك في جهنَّم يُعذَّب.

قيل: إنَّ في الجنَّة كُوًى يَنظُر أهلُها منها إلى أهل النَّار، وقيل: القائل: «هل أنتم مُطَّلِعون» اللهُ تعالى، وقيل: بعضُ الملائكة، يقول لأهل الجنَّة: هل تُحبُّونَ أَنْ تَطَّلِعوا فتعلموا أينَ منزِلتُكم مِن مَنْزِلة أهلِ النَّار.

وقرأ الجمهور: «مُطَّلِعون» بتشديدِ الطاء المفتوحة، وفتح النون، فـ «اطَّلع» بشدِّ الطاء فعلاً ماضياً.

وقرأ أبو عمرو في رواية حسين الجُعْفي: «مُطْلِعون» بإسكان الطاء وفتح النون، «فأُطْلِع» بضمِّ الهمزة وسكونِ الطاء وكسرِ اللام فعلاً ماضياً مبنيًّا للمفعول، وهي قراءةُ ابنِ عباس وابنِ محيصن وعمار بنِ أبي عمَّار وأبي سرَّاج[(٢)].

وقُرئ: «مُطَّلعون» مُشدَّداً، «فأَطَّلِعَ» مشدَّداً مضارعاً منصوباً على جواب الاستفهام[(٣)].

---

(١) الكشاف ٣/ ٣٤١، والحديث أخرجه الترمذي (٢٤٥٩) وحسَّنه، وابنُ ماجه (٤٢٦٠)، من حديث شداد بن أوس ﷺ، وهو عند أحمد (١٧١٢٣)، ولفظه عندهم: «الكَيِّس» بدل: «العاقل»، وفي إسناده: أبو بكر بن أبي مريم، وهو ضعيف.

(٢) ينظر المحرر الوجيز ٤/ ٤٧٤، وزاد المسير ٧/ ٦٠، وتفسير القرطبي ١٨/ ٣٧، والقراءة في القراءات الشاذة ص ١٢٧-١٢٨، والمحتسب ٢/ ٢١٩، وهي في السبعة ص ٥٤٨ عن أبي عمرو في رواية الجعفي عنه، وهي غير المشهورة عن أبي عمرو، والمشهور عنه كقراءة الجماعة.

(٣) الكشاف ٣/ ٣٤١، وينظر معاني القرآن للفراء ٢/ ٣٨٧.

وقُرِئ: «مُطْلِعون» بالتخفيف، «فأَطْلَعَ» مخفَّفاً فعلاً ماضياً، و«فأَطْلُعَ» مخفَّفاً مضارعاً منصوباً[١].

وقرأ أبو البَرَهْسَم وعمار بنُ أبي عمار فيما ذكره خَلَف عن عمَّار: «مُطْلِعونِ» بتخفيف الطاء وكَسْرِ النون، «فأُطْلِعَ» ماضياً مبنيًّا للمفعول، وردَّ هذه القراءةَ أبو حاتم وغيرُه؛ لجَمْعِها بين نونِ الجمع وياءِ المتكلِّم، والوجه: مُطْلعيَّ، كما قال: «أَوَ مُخْرِجِيَّ هُم»، ووَجَّهَها أبو الفتح على تنزيلِ اسمِ الفاعل منزلةَ المضارع، وأنشدَ الطبريُّ على هذا قول الشاعر:

ومَا أَدْرِي وظَنِّي كلَّ ظَنٍّ أَمُسْلِمُني إلى قومي شَراحِ

قال الفَرَّاء: يريد شَرَاحيل[٢].

وقال الزمخشريُّ: أراد: مُطْلِعونَ إيَّايَ، فوضع المَتَّصل موضعَ المنفصل، كقوله:

هم الفاعلونَ الخيرَ والآمِرُونه[٣]

أو شُبِّه اسم الفاعل في ذلك بالمضارع، لتَآخٍ بينهما، كأنَّه قال: تَطَّلِعون. وهو ضعيف، لا يَقَع إلَّا في الشِّعْر. انتهى.

فالتخريجُ الثاني تخريجُ أبي الفتْح، وتخريجه الأوَّل لا يَجوز؛ لأنَّه ليس مِن مواضع الضمير المنفصل، فيكونَ المتَّصل وُضِعَ موضعه، لا يَجوز: هندٌ زيدٌ

(١) الكشاف ٣/ ٣٤١.

(٢) وتمامُ كلام الفراء في كتابه معاني القرآن ٢/ ٣٨٦: ولم يقل: أمسلميَّ. وهو وجه الكلام. المحرر الوجيز ٤/ ٤٧٤، والكشاف ٣/ ٣٤١، وزاد المسير ٧/ ٦٠، وكلامُ أبي الفتح بنِ جنِّيّ في المحتسب ٢/ ٢٢٠، وإنشادُ الطبريِّ في التفسير ١٩/ ٥٤٩، وذكره أيضاً الفراء في معاني القرآن ٢/ ٣٨٦، كما مَرَّ آنفاً، وقال البغدادي في شرح شواهد المغني ٦/ ٥٧: لم أقف على قائله، وقال العيني: وقائله يزيد بن مخرم الحارثي. اهـ.
وقوله ﷺ: «أوَمُخْرِجيَّ هم» أخرجه البخاري (٣)، ومسلم (١٦٠)، من حديث السيدة عائشة ﵂، وهو عند أحمد (٢٥٨٦٥).

(٣) الكشاف ٣/ ٣٤١، وما بعده منه أيضاً، وصدر البيت المذكور سلف في تفسير سورة البقرة، عند تفسير الآية (٢٦٧).

ضاربُ إيَّاها، ولا زيدٌ ضاربُ إيَّايَ، وكلامُ الزمخشريِّ يدلُّ على جَوازه، فالأولى تخريجُ أبي الفتح، وقد جاء منه:

أَمُسْلِمُني إلى قومي شَراحِ[1]

وقول الآخَر:

فهل فتًى مِن سَرَاةِ القومِ يَحملني وليس حامِلَني إلَّا ابنُ حَمَّالِ[2]

وقول الآخَر:

وليس بمُعْيِيْنِي وفي الناسِ مُمْتِعٌ صديقٌ إذا أعيا عليَّ صديقُ[3]

فهذه أبياتٌ ثَبَتَ التنوينُ فيها مع ياء المتكلِّم، فكذلك ثَبَتَت نونُ الجَمْع معها؛ إجراءً للنون مجرى التنوين لاجتماعهما في السقوط للإضافة، ويقال: طَلَعَ علينا فلانٌ، وأَطلع واطَّلَع بمعنًى واحد، ومَن قَرأ: «فأُطْلِع» مبنيًّا للمفعول، فضميرُه القائلُ الرأيَ هو المفعولُ الذي لم يُسَمَّ فاعلُه، وهو مُتَعدٍّ بالهمزة، إذ تقول: طَلَعَ زيدٌ وأَطْلَعه غيرُه.

وقال صاحب «اللوامح»: طَلَع واطَّلَع إذا بَدَا وظَهَر، واطَّلع اطِّلاعاً: إذا أَقْبَلَ وجاءَ، ومعنى ذلك: هل أنتم مُقبِلون فأُقْبل، وإنَّما أُقيم المصدر فيه مُقامَ الفاعل، بتقدير: فأُطْلِعَ الإطْلَاع، أو حرف الجرِّ المحذوف، أي: فأُطْلِعَ به؛ لأنَّ: أَطْلَعَ، لازِمٌ، كما أنَّ أَقْبَل، كذلك. انتهى.

وقد ذَكرنا أنَّ أَطْلَع عُدِّيَ بالهمزة مِن طَلَعَ اللازم، وأمَّا قوله: أو حرف الجرِّ المحذوف، أي: فأُطْلِع به، فهذا لا يَجوز؛ لأنَّ مفعولَ ما لم يُسَمَّ فاعلُه لا يَجوز

---

(١) تقدم تخريجه قريباً.

(٢) لم نقف على البيت بهذا اللفظ، بل أورده المبرِّد في الكامل ١/ ٤٦٧ هكذا:

ألا فتًى من بني ذُبْيان يَحملني وليس يحملني إلَّا ابنُ حمَّال

وعزاه لأبي مُحَلِّم السعدي ونقله عنه البغدادي في خزانة الأدب ٤/ ٢٦٥، وأورد العَجُز فقط الأنباري في الإنصاف ١/ ١٢٩، ورضيّ الدين الاستراباذي في شرح الكافية ١/ ٢٦٠، وأورده عن المصنِّف باللفظ المذكور أعلاه السمين في الدر المصون ٩/ ٣١٠.

(٣) جاء في النسخ عدا (د٣) و(يه) أوّلُ البيت: وليس بمعييني. وزِيدت تتمته منهما، والبيت من شواهد التوضيح ص ١١٨، وشرح الأشموني على الألفية ١/ ١٢٦، ولم يُنسَب.

حَذْفه؛ لأنَّه نائبٌ عن الفاعل، فكما أنَّ الفاعلَ لا يَجوز حَذْفُه دونَ عامِله، فكذلك هذا، لو قلت: زيد ممرورٌ، أو مغضوبٌ، تريد: به، أو عليه، لم يَجز.

و«سواء الجَحيم» وَسَطها، تقول: تَعبْتُ حتى انقطع سَوَائي.

وقال عيسى بن عمر لأبي عبيدة: كنت أكتب حتى ينقطع سوائي[1].

قال ابنُ عبَّاس: سُمِّي «سواء»؛ لاستواءِ المسافة منه إلى الجوانب[2]، يعني: سواء الجحيم.

وقال خُلَيْد[3] العَصَري: رَآه قد تَبدَّلَت حالُه، فلولا ما عَرَّفه اللهُ به لم يَعْرِفْه، قال له عند ذلك: «تاللهِ إنْ كِدْتَ لَتُردِيْن» أي: لتُهلكني بإغوائك.

و«إنْ» مخفَّفة مِن الثقيلة، يُلْقَى بها القَسَمُ، و«تالله» قَسَم فيه التعجُّب مِن سلامته منه، إذ كان قرينُه قارَبَ أنْ يُرْدِيَه.

«ولولا نعمة ربِّي» وهي توفيقُه للإيمان، والبُعْد مِن قرين السُّوء «لكنتُ مِن المُحضَرين» للعذاب كما أُحْضِرْتَه أنتَ.

«أَفَما نحن بميِّتين» قرأ زيد بن عليٍّ: «بمَائِتِيْنَ»[4]، والظاهر أنَّه مِن كلامِ القائل يُسمِع قرينَه على جهة التوبيخ له، أي: لسنا أهلَ الجنَّة بميتين، لكن الموتة الأُولى كانت لنا في الدُّنيا، بخلافِ أهلِ النَّار فإنَّهم في كلِّ ساعةٍ يَتمنَّونَ فيها الموت «وما نحنُ بمعذَّبين» كحالِ أهلِ النار، بل نحن منعَّمون دائماً.

ويكون في خطابه ذلك مُنَكِّلاً له مُقرِّعاً مُحزِناً له بما أَنعمَ اللهُ به عليه مِن دخولِه الجنَّةَ، مُعْلِماً له بتباينِ حالِهِ في الآخِرة بحالِه، كما كانَتَا تَتَباينان في الدُّنيا،

(١) تفسير القرطبي ١٨/ ٣٩، والكلام في مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/ ١٧٠.
(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٤٧٤، وأخرجه عنه الطبري ١٩/ ٥٤٧.
(٣) تصحفت في النسخ عدا (يه) إلى: خليل. والمثبت منها ومن المحرر الوجيز ٤/ ٤٧٤، والكلام منه، وينظر زاد المسير ٧/ ٦٠، وهو: خُلَيْد بن عبد الله العَصَري أبو سليمان البَصْري، تنظر ترجمته في تهذيب الكمال وغيره. وينظر قول مُطَرِّف عند الطبري ١٩/ ٥٤٨، وعند أبي نعيم في حلية الأولياء ٢/ ٢٠١، وينظر أيضاً قول قتادة عن بعض العلماء عند القرطبي ١٨/ ٣٩.
(٤) الكشاف ٣/ ٣٤١ دون عزوٍ، ونقلها عنه القرطبي ١٨/ ٣٩.

وإنَّما كان يقول فيها: في الدنيا؛ مِن أنَّه ليس بعدَ الموتِ جزاء ظَهَرَ له خلافه يُعذَّب بكفرِه بالله وإنكارِ البَعْثِ.

ويجوز أَنْ يكون خطاباً مِن القائل لرفقائِهِ؛ لمَّا رَأى ما نَزَلَ بقرينِه، وَقَفَهُم على نِعَمِه تعالى عليهم في دَيمومةِ خلودِهم في الجنَّة ونَعيمهم فيها، ويتَّصل قولُه: «إنَّ هذا» إلى قوله: «العاملون» بهذا التأويلِ اتِّصالاً واضحاً خطاباً لرفقائه.

ويجوز أَنْ يكون تمَّ كلامُه عند قوله: «لَتُردين» ويكون «أَفَما نحن» إلى «بمعذَّبين» مِن كلامِه وكلامِ رفقائه، وكذلك «إنَّ هذا» إلى «العاملون» أي: إنَّ هذا الأَمْرَ الذي نحن فيه مِن النعيم والنجاةِ مِن النار.

وقيل: هو مِن قولِ اللهِ تعالى؛ تقريراً لقولهم، وتصديقاً له، وخطاباً لرسولِ اللهِ وأمَّته، ويُقوِّي هذا قولُه: «لمِثْلِ هذا فليعملِ العاملون» والآخرةُ ليست بدارِ عمل، ولا يُناسب ذلك قول المؤمن في الآخِرة إلَّا على تَجوُّز، كأنَّه يقول: لِمثْلِ هذا ينبغي أَنْ يَعمل العاملون.

وقال الزمخشريُّ: الذي عُطفت عليه الفاء محذوفٌ، معناه: أَنحنُ مُخلَّدونَ مُنَعَّمونَ، فما نحن بميِّتين ولا بمعذَّبين[1]، انتهى.

وتقدَّم مِن مذهبه أنَّه إذا تقدَّمت همزةُ الاستفهام وجاء بَعْدَها حرفُ العطف بضميرِ ما يَصِحُّ به إقرارُ الهمزةِ والحرفِ في محلَّيهما اللَّذَيْن وَقَعا فيهما، ومذهب الجماعة أنَّ حرفَ العطف هو المتقدِّم في التقدير والهمزة بَعْدَه، ولكنَّه لمَّا كانت الهمزةُ لها صَدْر الكلام قُدِّمت، فالتقدير عند الجماعة: فأما، وقد رَجَعَ الزمخشريُّ إلى مذهب الجماعة، وتقدَّم الكلام معه في ذلك.

﴿أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمْ لَءَاكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾ إِنَّهُمْ أَلْفَوْا۟ ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ ﴿٦٩﴾ فَهُمْ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٧١﴾

(١) الكشاف ٣/ ٣٤١.

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ ﴿٧٢﴾ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿٧٤﴾ وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ ﴿٨٢﴾﴾.

لمَّا انقضت قصَّةُ المؤمن وقرينه، وكان ذلك على سبيل الاسْتِطْراد مِن شيء إلى شيء، عادَ إلى ذِكْر الجنَّة والرزقِ الذي أَعَدَّ اللهُ فيها لأهلها، فقال: «أذلكَ» الرزقُ «خيرٌ نُزُلاً» والنُّزُل ما يُعَدُّ للأضيافِ، وعَادَلَ بين ذلك الرزقِ وبينَ شجرةِ الزَّقوم فلا سَوَاء، الرِّزْقُ المعلوم يَحصل به اللَّذَّةُ والسُّرور، وشَجَرة الزَّقوم يَحصل بها الأَلَم والغَمُّ، فلا اشتراكَ بينهما في الخَيْرِيَّة، والمرادُ تقريرُ قريشٍ والكفَّار وتَوقِيْفُهم على شيئين أَحدهما فاسد، ولو كان الكلامُ استفهاماً حقيقة لم يَجُز؛ إذ لا يَتوهَّم أَحَدٌ أنَّ في شجرة الزقوم خيراً حتى يُعادِلَ بينها وبين رِزْقِ الجنَّة، ولكن المؤمن لمَّا اختارَ ما أَدَّى إلى رِزْقِ الجنَّة، والكافر اختار ما أَدَّى إلى شجرة الزقوم، قيل ذلك توبيخاً للكافرين وتوقيفاً على سُوء اختيارهم.

«إنَّا جعلناها فتنةً للظالمين» قال قتادة ومجاهد والسُّدِّيّ: أبو جهل ونُظَراؤه، لمَّا نَزَلت قال الكفَّارُ: يُخبِر محمَّدٌ عنِ النَّار أنَّها تُنْبِتُ الأشجارَ وهي تَأكلها وتُذْهِبها. ففَتَنوا بذلك أنفسَهم وجَهَلة أَتباعهم، وقال أبو جهل: إنَّما الزَّقوم التَّمْرُ بالزُّبْدِ ونحن نَتَزقَّمُه[1].

وقيل: مَنْبتها في قَعْرِ جهنَّم وأَغصانها تَرتفع إلى دَرَكاتها.

واستُعيرَ الطَّلْعُ - وهي النَّخْلَة - لِمَا تَحمل هذه الشجرةُ، وشُبِّه طَلْعُها بثمر شجرةٍ معروفةٍ يقال لثمرها: «رؤوس الشياطين» وهي بناحيةِ اليَمَن يقال لها: الأَسْتَن، وذَكَرها النابغةُ في قوله:

تَحِيدُ مِن أَسْتَنٍ سُودٍ أَسافِلُهُ ... مَشْيَ الإماء الغَوادي تَحمل الخُرُما[2]

---

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٤٧٥، والآثار عند الطبري ١٩/ ٥٥٢.

(٢) ينظر المحرر الوجيز ٤/ ٤٧٥، وتفسير القرطبي ١٨/ ٤٤، ومعاني القرآن للنحاس ٦/ ٣٤، والبيت في ديوان النابغة الذبياني ص ١٠٣.

وهو شَجَر خَشِنٌ مُرٌّ مُنكَر الصُّورة، سَمَّت ثَمَرَهُ العربُ بذلك؛ تشبيهاً برؤوس الشياطين، ثم صار أصلاً يُشبَّه به.

وقيل: هو شَجَرٌ يقال له: الصَّوم، ذَكَرهُ سَاعِدَة بنُ جُؤَيَّة الهُذَلي في قوله:

مُوَكَّلٌ بشُدوفِ الصَّومِ يَرْقبها مِن المغارِبِ مخطوفُ الحَشَا زَرِمُ[١]

وقيل: مِن الشياطين صِنفٌ مِن الحيَّات ذوات أعراف، ومنه:

عُجَيْزٌ تَحلفُ حينَ أَحلفُ كمِثْلِ شيطانِ الحَماطِ أَعْرَفُ[٢]

وقيل: شُبِّهَ بما اشتهر في النفوس مِن كراهة رؤوس الشياطين وقُبْحها وإن كانت غيرَ مرئيَّة، ولذلك يُصوِّرون الشيطانَ في أقبح الصُّوَر، وإذا رَأَوا أشْعَثَ منتفشَ الشَّعَر قالوا: كأنَّه وجهُ شيطان، وكأنَّ رأسَه رأسُ شيطان، وهذا بخلاف المَلَك يُشبِّهونَ به الصورةَ الحسنةَ، وكما شَبَّه امرؤُ القيس المَسْنُونةَ الزُّرْقَ بأنيابِ الغُول في قوله:

ومَسْنُونَةٌ زُرْقٌ كأنيابِ أَغْوالِ[٣]

وإن كان لم يُشاهِد تلك الأنياب، وهذا كلُّه تَشبيهٌ تخييليّ.

والضمير في «منها» يَعود على الشجرة، أي: مِن طَلْعها.

---

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٤٧٥، وما بعده منه أيضاً، والبيت في ديوان الهذليين ١/ ١٩٤، والشُّدُوف: الشُّخُوص، ويرقبها: يخشى أن تكون ناساً، والمغارب: كلّ مكان يتوارى فيه، والزَّرِم هنا: الذي لا يثبت في مكان. اللسان (زرم)، والبيت يَصِفُ حماراً ـ أو غيرَه ـ يَرقب الشجَر يخشاه أن يكون ناساً. ينظر لسان العرب (شدف).

(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٤٧٦، والبيت في معاني القرآن للفراء ٢/ ٣٨٧، والمعاني الكبير ٢/ ٦٦٨، وثمار القلوب ص ٤٢٢، واللسان وتاج العروس (عنجرد)، وورد في المصادر: عَنْجَرِد، بدل: عجيز، والعَنْجَرِد: المرأة السَّلِيطة أو الخبيثة، أو السيِّئة الخُلُق البذيئة اللسان. والحَمَاطةُ من الشجر ومن العشب. يريد: كحيَّة تأوي الحَمَاطة.

(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٤٧٦، وينظر معاني القرآن للزجاج ٤/ ٣٠٦-٣٠٧، وللنحاس ٦/ ٣٣-٣٤، وصدر البيت: أيقتُلني والمَشْرَفيُّ مضاجعي، والمشرفيّ: سيف نُسبَ إلى قرى بالشام يقال لها: المشارف، وأراد بالمسنونة الزرق سهاماً محدَّدة الأزجَّة صافية.

وقرأ الجمهور: «لَشَوباً» بفتح الشين، وشيبان النَّحْوي بضمِّها[1]، قال الزجَّاج: الفَتْح للمصدر، والضَّمّ للاسم[2]. يعني أنَّه فَعْلٌ بمعنى مَفْعُول، أي: مَشُوب، كالنَّقْض بمعنى المَنْقُوض، وفسّر بالخَلْط. و«الحميم» الماءُ السَّخن جدًّا، قيل: ويُراد به هنا شرابُهم الذي هو طِيْنَةُ الخَبَال، صَدِيدُهم وما يَنْماعُ منهم.

ولمَّا ذَكَر أنَّهم يَملؤون بطونَهم مِن شجرة الزَّقُّوم للجُوعِ الذي يَلحقهم، أو لإكْراههم على الأكل ومَلْءِ البطون زيادة في عذابهم، ذَكَر ما يُسْقَون لغَلَبة العَطَش، وهو ما يُمزَج لهم مِن الحميم.

ولمَّا كان الأكل يَعْتَقبه مِلْءُ البطنِ كان العطف بالفاء في قوله: «فمالؤون»، ولمَّا كان الشرْبُ يَكثُر تراخِيْه عن الأكل أَتَى بلفظ «ثمَّ» المقتضية المُهْلة، أو لمَّا امتَلأَت بطونُهم مِن ثمر الشجرة - وهو حارٌّ- أَحرقَ بطونَهم، وعَطَّشهم، فأَخَّر سَقْيَهم زماناً؛ ليزدادوا بالعَطَش عذاباً إلى عذابهم، ثم سُقُوا ما هو أَحرُّ وآلَمُ وأكره.

«ثم إنَّ مرجعَهم لإلى الجحيم» لمَّا ذُهِبَ بهم مِن منازلهم التي أُسكنوها في النَّار إلى شجرةِ الزَّقُّوم للأَكْل والتَّملُّؤ منها والسَّقْي مِن الحميم وتَرَاخي رجوعُهم إلى منازلهم دخلت «ثمَّ» للدلالة على ذلك، والرُّجوع دليلٌ على الانتقال في وقت الأَكْل والشُّرب إلى مكانٍ غيرِ مكانِهما.

ثمَّ ذَكَر تعالى حالَهم في تقليدِ آبائهم، والضمير لقريش، وأنَّ ذلك التقليدَ كان سبباً لاستحقاقهم تلك الشدائد، أي: وَجَدُوا «آباءَهم ضالِّين» فاتَّبعوهم على ضَلَالتهم مُسْرِعين في ذلك، لا يُثبِّطهم شيء.

ثمَّ أخبر بضلالِ أكثرِ مَن تقدَّم مِن الأُمم، هذا وما خَلَت أزمانُهم مِن إرسالِ الرُّسلِ وإنذارِهم عواقبَ التكذيب.

وفي قوله: «فانظر» ما يقتضي إهلاكَهم وسُوء عاقبتهم، واستثنى «المُخْلَصين» مِن عباده، وهم الأقلُّ المقابِل لقوله: «أكثر الأوَّلين»، والمعنى: إلَّا عبادَ اللهِ فإنَّهم نَجوا.

---

(١) أي: «لَشُوباً»، المحرر الوجيز ٤/ ٤٧٦، وما بعده منه أيضاً، والقراءة في القراءات الشاذة ص ١٢٨، والمحتسب ٢/ ٢٢٠.

(٢) معاني القرآن للزجاج ٤/ ٣٠٧.

ولمَّا ذَكَر ضلالَ الأوَّلين ذَكَر أوَّلهم شُهْرةً وهم قومُ نوح، ونداؤه عليه السلام تضمَّن أشياءَ؛ منها الدُّعاء على قومِه وسؤالُه النجاةَ وطَلَب النُّصرة، وأجابه تعالى في كلٍّ ذلك إجابةً بَلَغ بها مرادَه، واللام في «فَلَنِعْمَ» جوابُ قَسَم، كقوله:

يميناً لَنِعْمَ السَّيِّدانِ وُجِدتُما[1]

والمخصوص بالمَدْح محذوفٌ، تقديره: فَلَنِعْمَ المُجيبونَ نحن، وجاء بصيغة الجَمْع؛ للعَظَمة والكِبْرياء، كقوله: ﴿فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ﴾ [المرسلات: ٢٣].

و«الكَرْب العظيم» قال السُّدِّيّ: الغَرَق[2]، ومنه: تَكذيبُ الكَفَرة وركوبُ الماء وهَوْلُه، و«هم» فَصْلٌ مُتعيّن للفَصْلِيَّة لا يَحتمل غيره، قال ابنُ عباس وقتادة: أهلُ الأرض كلُّهم مِن ذُرِّيَّة نوح[3]، وفي الحديث أنَّه عليه السلام قَرَأ: «وجَعَلْنا ذُرِّيَّته هُمُ البَاقين» فقال: «سَام وحَام ويَافِث»، وقال الطبريُّ: العربُ من أولاد سام، والسُّودان من أولادِ حَام، والتُّرْك والصَّقْلَب وغيرهم من أولادِ يَافِث. وقالت فرقة: أَبْقى اللهُ ذُرِّيَّة نوح ومَدَّ في نَسْلِه، وليس الناسُ مُنحصِرين في نَسْلِه، بل في الأُمم مَن لا يَرجع إليه[4].

«وتَرَكنا عليه في الآخِرين» أي: في الباقِين غابرَ الدَّهْرِ، ومفعول «تَرَكنا» محذوف، تقديره: ثناءً حسناً جميلاً إلى آخِرِ الدَّهْرِ، قاله ابنُ عبَّاس ومجاهد وقتادة والسُّدِّي.

و«سَلام» رَفْعٌ بالابتداء مُسْتأنف، سَلَّم اللهُ عليه ليَقتَدي بذلك البَشَر، فلا يَذْكُره أَحَدٌ مِن العالمين بسُوء، سَلَّم تعالى عليه جزاءً على ما صَبَرَ طويلاً مِن أقوالِ الكفرة وإذايتهم له.

---

(١) صدر بيت لزهير، وهو في ديوانه ص ١٤، وعجزه:

علـى كـلِّ حـالٍ مـن سَـحِيـلٍ ومُـبْـرَم

وأصل السحيل والمُبْرَم؛ أنَّ المبرم يُفتل خيطاه ثم يصيران خيطاً واحداً، والسَّحِيل: خيط واحدٌ لا يُضَمُّ إليه آخَرُ.

(٢) أخرجه الطبري ١٩/ ٥٦٠.

(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٤٧٧، وأخرجه عنهما الطبريُّ ١٩/ ٥٦٠-٥٦١.

(٤) المحرر الوجيز ٤/ ٤٧٧، والحديث المرفوع أخرجه الترمذي (٣٢٣٠)، والطبري ١٩/ ٥٦٠ من حديث سَمُرة بن جندب ﷺ. وقولُ الطبريِّ في التفسير ١٩/ ٥٦٠.

وقال الزمخشريُّ: «وتَرَكنا عليه في الآخِرين» هذه الكلمةَ، وهي «سَلَام على نوحٍ في العالمين» يعني: يُسلِّمونَ عليه تسليماً، ويَدعُون له، وهو مِن الكلام المحكيِّ، كقولك: قرأتُ «سورةٌ أنزلناها» [النور: ١][١]. انتهى.

وهذا قول الفرَّاء وغيرِه مِن الكوفيين، جَعَلوا «سلام على نوح في العالمين» جملةً في موضعِ نصبٍ بـ«تركنا»، وهذا هو المتروكُ عليه، وكأنَّه قال: وتَرَكنا على نوح تسليماً يُسلِّم به عليه إلى يوم القيامة[٢]. انتهى.

وفي قراءةِ عبدِ الله: «سَلَاماً» بالنصب[٣].

ومعنى «في العالمين» ثبوتُ هذه التحية مثبوتة فيهم جميعاً، مُدَامة عليه في الملائكة والثَّقَلَيْن، يُسلِّمون عليه عن آخِرهم، ثم علَّل هذه التحية عليه «في العالمين» بأنَّه كان مُحسناً، ثم علّل إحسانه بكونه مُؤمناً، فدلَّ على جلالةِ الإيمان ومَحَلِّه عند الله.

«ثم أغرقنا الآخَرين» أي: مَن كان مُكذِّباً له مِن قومه، لمَّا ذَكَر نجاته ونجاةَ أهلِه إذ كانوا مؤمنين، ذَكَر هلاكَ غيرهم بالغَرَق.

﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ۝٨٣ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ۝٨٤ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ ۝٨٥ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ۝٨٦ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٨٧ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ ۝٨٨ فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ ۝٨٩ فَتَوَلَّوْا۟ عَنْهُ مُدْبِرِينَ ۝٩٠ فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ۝٩١ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ۝٩٢ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا بِٱلْيَمِينِ ۝٩٣ فَأَقْبَلُوٓا۟ إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ۝٩٤ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ۝٩٥ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ۝٩٦ قَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ لَهُۥ بُنْيَٰنًا فَأَلْقُوهُ فِى ٱلْجَحِيمِ ۝٩٧ فَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ ۝٩٨﴾.

والظاهر عَوْدُ الضميرِ في «مِن شيعتِه» على نوح، قاله ابنُ عباس ومجاهد وقتادة والسُّدِّيُّ، أي: ممَّن شَايَعَه في أصول الدِّين والتوحيد[٤]، وإنِ اختلفت شرائعُهما،

(١) الكشاف ٣/ ٣٤٣.
(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٤٧٧، وما بعده منه أيضاً، وقول الفراء في كتابه معاني القرآن ٢/ ٣٨٧-٣٨٨.
(٣) المصدران السابقان.
(٤) المحرر الوجيز ٤/ ٤٧٧، والآثار عند الطبري ١٩/ ٥٦٣-٥٦٤.

أو اتَّفق أكثرُهما، أو ممَّن شايَعَه في التَّصَلُّب في دينِ اللهِ ومصابرةِ المكذِّبين، وكان بين نوحٍ وإبراهيم ألفا سنةٍ وستُّ مئةٍ وأربعونَ سنةً، وبينهما مِن الأنبياء هود وصالح عليهما السلام[(١)].

وقال الفرَّاء: الضمير في «مِن شيعته» يَعود على محمَّد ﷺ[(٢)]. والأعرف أنَّ المُتأخِّرَ في الزمان هو شيعةٌ للمتقدِّم، وجاء عكس ذلك في قول الكُمَيْت:

ومـالـيَ إلَّا آل أحـمـدَ شـيـعـةٌ ومالـيَ إلَّا مَشعبُ الحقِّ مشعبُ[(٣)]

جعلهم شيعةً لنفسه.

وقال الزمخشريُّ: فإن قلت: بِمَ تعلَّق الظَّرْف؟ قلت: بما في الشِّيْعَة مِن معنى المشايعة، يعني: وإنَّ ممَّن شايَعَه على دينه وتقواهُ حين جاءَ ربَّه بقلبٍ سليمٍ «لإبراهيم»، أو بمحذوف وهو: اُذْكُر[(٤)]. انتهى.

أمَّا التخريج الأوَّل فلا يجوز، لأنَّ فيه الفَصْلَ بين العامل والمعمول بأجنبيٍّ وهو قوله: «لَإبراهيم» لأنَّه أجنبيٌّ مِن شيعتِه، ومِن «إذ»، وزاد المَنْعَ إذ قدَّره: ممَّن شايَعَهُ حين جاءَ «لَإبراهيم» لأنَّه قدَّر: ممَّن شايَعَه، فجعل العامل صلةً لموصولٍ، وفصل بينه وبين «إذ» بأجنبيٍّ وهو قوله: «لَإبراهيم»، وأيضاً فلامُ التوكيد تمنع أَنْ يَعمل ما قَبْلَها فيما بَعْدَها، لو قلت: إنَّ ضارباً لَقَادِمٌ علينا زيداً، وتقديره: إنَّ ضارباً زيداً لَقَادمٌ علينا، لم يَجز.

وأمَّا تقدير: اُذْكُر، فهو المعهودُ عند المُعْرِبين.

(١) الكشاف ٣/ ٣٤٤، ونقله عنه الرازيُّ ٢٦/ ١٤٦، والقرطبيُّ ١٨/ ٤٩، والذي في تفسير أبي الليث السمرقندي أنه كان بين نوح وإبراهيم ألف سنة، ويقال: ألفان وأربعون سنة. وفي عرائس المجالس للثعلبي ص ٧٤ أنه كان بين طوفان نوح ومولدِ إبراهيم عليه السلام ألف ومئتان وثلاث وستون سنة.
وأخرج الطبراني في الأوسط (٤٠٣)، والحاكم في المستدرك ٢/ ٢٦٢ عن أبي أمامة أن رجلاً سأل رسولَ الله ﷺ: كم بين نوح وإبراهيم: قال: «عَشْرة قرون»، قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه.

(٢) معاني القرآن للفراء ٢/ ٣٨٨.

(٣) ديوان الكميت الأصغرِ بنِ زيد ص ٥١٧.

(٤) الكشاف ٣/ ٣٤٤.

ومجيئه «ربَّه بقلب سليم» إخلاصُه الدِّينَ لله، وسلامةُ قلبه براءَتُه مِن الشِّرْك والشَّكِّ والنقائِصِ التي تعتري القلوبَ مِن الغِلِّ والحسد والخُبْثِ والمَكْرِ والكِبْر ونحوه، قال عروة بنُ الزبير: لم يَلعن شيئاً قَطُّ[1].

وقيل: «سليم» مِن الشِّرْك، ولا معنى للتخصيص.

وأجازوا في نصب «أئِفْكاً» وجوهاً: أحدها: أن يكون مفعولاً بـ «تريدون»، و«آلهة» بدلاً منه، وهو استفهام تقرير، ولم يَذكُر ابنُ عطيَّة غيرَ هذا الوجه، وذَكَره الزمخشريُّ، قال: فسّر الإفك بقوله: «آلهة مِن دونِ الله» على أنَّها إفك في أنفسها[2].

والثاني: أن يكون مفعولاً مِن أجله، أي: أتُريدونَ آلهةً مِن دونِ الله إفكاً، و«آلهة» مفعول به، وقدَّمه عنايةً به، وقدّم المفعول له على المفعول به؛ لأنَّه كان الأهمّ عنده أنْ يُكافحهم بأنَّهم على إفكٍ وباطلٍ في شِرْكهم، وبَدَأَ بهذا الوجه الزمخشريُّ.

والثالث: أن يكون حالاً، أي: أتريدون آلهةً مِن دونِ الله آفِكينَ، قاله الزمخشريُّ[3]، وجَعْلُ المصدرِ حالاً لا يَطَّرِد إلَّا مع «أمَّا» في نحو: أمَّا عِلْماً فعالِم.

«فمَا ظنَّكم بربِّ العالمين» استفهام توبيخ وتحذيرٍ وتوعُّد، أي: أيُّ شيءٍ ظنّكم بمَن هو يستحقُّ لِأن تَعبدوه ـ إذ هو ربُّ العالمين ـ حتى تَركتم عبادتَه وعَدَلتم به الأصنامَ، أو: أيُّ شيءٍ ظنّكم بفِعْله معكم مِن عقابكم، إذ قد عَبَدْتُم غيرَه، كما تقول: أسأتَ إلى فلانٍ، فمَا ظنُّك به أنْ يُوقِعَ بكَ جزاءَ ما أسأتَ إليه.

ولمَّا وبخَّهم على عبادة غيرِ الله أراد أنْ يُريَهم أنَّ أصنامَهم لا تَنفع ولا تَضُرُّ فعمد إلى ما يَجعله منفرداً بها حتى يكسرَها ويُبيِّن لهم حالَها وعجزَها، «فنَظَر نَظْرَة في النجوم» والظاهر أنَّه أراد عِلْمَ الكواكب وما يُعزَى إليها مِن التأثيرات التي

---

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٤٧٨، وتفسير القرطبي ١٨/ ٥٠، وأخرجه عنه الطبري ١٩/ ٥٦٥.

(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٤٧٨، والكشاف ٣/ ٣٤٤.

(٣) الكشاف ٣/ ٣٤٤.

جَعَلها اللهُ لها، والظاهر أنَّ نَظَرَه كان فيها، أي: في عِلْمها، أو في كتابها الذي اشتملَ على أحوالها وأحكامها، قيل: وكانوا يُعانون ذلك، فأتاهم مِن الجهة التي يُعانونها وأوهمهم بأنَّه استدلَّ بأمَارة في عِلْم النجوم أنَّه يَسْقَم، أي: يُشارِف السُّقْمَ، قيل: وهو الطَّاعون، وكان أغلبَ الأسقام عليهم إذ ذاك، وخافوا العَدْوَى وهربوا منه إلى عيدِهم، ولذلك قال: «فَتَوَلَّوا عنه مُدْبِرين» قال معناه ابنُ عباسٍ[1]، وتَرَكوه في بيت الأصنام ففَعَل ما فَعَل.

وقيل: كانوا أهلَ رِعاية وفِلاحة، فكانوا يَحتاجون إلى عِلْم النجوم.

وقيل: أرسلَ إليه مَلِكُهم: إنَّ غداً عِيْدَنا فاحْضُر مَعَنا. فنَظَر إلى نجمٍ طالعٍ فقال: إنَّ هذا يَطْلُع مع سُقْمي[2].

وقيل: معنى «فنَظَر نَظْرة في النُّجوم» أي: فيما نَجَمَ إليه مِن أمورِ قومِه وحالِه معهم.

ومعنى «فَتولَّوا عنه مُدْبِرين» أي: لكفرهم به واحتقارِهم له.

وقوله: «إنِّي سَقِيمٌ» من المعاريض، عَرَضَ أنَّه يَسْقَم في المَآلِ، وفَهِموا منه أنَّه مُلْتَبِسٌ بالسُّقْم، وابنُ آدَمَ لابُدَّ أنْ يَسْقم، والمَثَل: «كفى بالسلامةِ داءً»[3]، وقال لبيد:

فدَعوتُ ربِّي بالسَّلامَةِ جاهِداً ... لِيُصحَّنِي فإذا السَّلامَةُ دَاءُ[4]

---

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٤٧٨، وأخرجه عنه الطبري ١٩/ ٥٦٦.

(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٤٧٨، والنكت والعيون ٥/ ٥٦، ونَسَباه لعبد الرحمن بن زيد، عن أبيه، وأخرجه هكذا الطبريُّ ١٩/ ٥٦٧.

(٣) الكشاف ٣/ ٣٤٤، وما بعده منه أيضاً، وينظر تفسير القرطبي ١٨/ ٥٣، وهذا المَثَل من كلام النبيِّ ﷺ، أورده عنه الميداني في مجمع الأمثال ٢/ ٤٥٠، وأخرجه عنه القضاعي في مسند الشهاب (١٤٠٩) من حديث أنس ﷺ.

(٤) الكشاف ٣/ ٣٤٤، ولم نقف على البيت في ديوان لبيد، ونسبه له الثعالبيُّ في التمثيل والمحاضرة ص ٦١، وله أو لبعض شعراء الجاهلية الجرجاني في دلائل الإعجاز ص٤٩٧-٣٩٨، وأورده أيضاً القيروانيُّ في زهر الآداب ١/ ٢٢٣ ونسبه لعمرو بن قميئة، والبغداديُّ في خزانة الأدب ٢/ ٢١٧ ونسبه لبعض شعراء الجاهلية.

ومات رجل فجاءَةً، فالتفَّ عليه الناسُ، فقالوا: مات وهو صحيح؟! فقال أعرابيٌّ: أصحيحٌ مَنِ الموتُ في عُنُقه[١]؟!

«فراغ إلى آلهتهم» أي: أصنامِهم التي هي في زَعْمهم آلِهَة، كقوله: ﴿أَيْنَ شُرَكَآءِىَ﴾ [النحل:٢٧] وعرض الأكل عليها، واستفهامُها عن النُّطْق هو على سبيلِ الهُزْء؛ لكونها منحطَّة عن رُتبة عابِدِيها، إذ هم يَأكلون ويَنطقون، ورُوي أنَّهم كانوا يَضعون عندها طعاماً ويَعتقدون أنَّها تُصيبُ منه شميماً وهو يَأكله خَدَمَتُها[٢].

«فَرَاغَ عليهم ضَرْباً باليمين» أي: أَقبل عليهم مُسْتَخفياً ضارباً، فهو مصدر في موضعِ الحال، أو يَضْرِبهم ضَرْباً، فهو مصدرُ فِعْلٍ محذوف، أو ضُمِّن «فَرَاغَ عليهم» معنى ضَربهم، و«باليمين» أي: يمين يَدَيْه، قاله ابنُ عباس[٣]؛ لأنَّها أقوى يدَيْه، أو بِقُوَّته؛ لأنَّه قيل: كان يَجمع يدَيْه في الآلة التي يَضْرِبها بها، وهي الفأس، وقيل: بسبب الحَلِف الذي هو: ﴿وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم﴾ [الأنبياء: ٥٧].

وقرأ الجمهور: «يَزِفُّونَ» بفتح الياء، من زَفَّ: أَسْرَع، أو مِن زِفافِ العَرُوس وهو التمهُّل في المِشْيَة، إذ كانوا في طمأنينة أَنْ يَنال أصنامَهم شيءٌ لعِزَّتهم.

وقرأ حمزة ومجاهد وابنُ وثَّاب والأعمش: بضمِّ الياء، مِن أَزَفَّ: دَخَل في الزَّفيف، فالهمزة ليست للتعدِّي، أو حمل غيره على الزفيف، فهي للتعدِّي، قاله الأصمعيُّ[٤].

وقرأ مجاهد أيضاً وعبد الله بنُ يزيد والضحاك ويحيى بنُ عبد الرحمن المُقْري وابنُ أبي عبلة: «يَزِفُون» مضارع: وَزَفَ، بمعنى: أَسْرَع، وقال الكسائيُّ والفرَّاء: لا نَعرفها بمعنى زَفَّ. وقال مجاهد: الوزيفُ: النَّسَلان[٥].

---

(١) الكشاف ٣/ ٣٤٤.

(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٤٧٩.

(٣) المصدر السابق، وأخرجه عنه الطبري ١٩/ ٤٧٩.

(٤) المحرر الوجيز ٤/ ٤٧٩، وينظر تفسير القرطبي ١٨/ ٥٥-٥٧، وقراءة حمزة في السبعة ص٥٤٨، والتيسير ص ١٨٦، والنشر ٢/ ٣٥٧.

(٥) المحرر الوجيز ٤/ ٤٧٩، والقراءة في القراءات الشاذة ص ١٢٨، والمحتسب ٢/ ٢٢١، وقول الكسائي في إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٤٢٩-٤٣٠، وقول الفراء في كتابه معاني القرآن ٢/ ٣٨٩ وفيه أيضاً قول الكسائي، وقول مجاهد أخرجه الطبريُّ ١٩/ ٥٧٣.

وقرئ: «يُزَفُّون» مبنيًا للمفعول، وقرئ: «يَزْفُون» بسكون الزاي، مِن: زَفَاه: إذا حَدَاهُ، فكأنَّ بعضَهم يَزْفُو بعضاً؛ لتَسَارعهم إليه[١].

وبين قوله: «فَرَاغَ عليهم ضرباً باليمين» وبين قوله: «فأقبلوا إليه يَزِفُّون» جُمَلٌ محذوفة هي مذكورةٌ في سورة «اقتربَ»، ولا تعارضَ بين قوله: «فأقبلوا إليه يَزِفُّون» وبين سؤالِهم: «مَن فَعَلَ هذا بآلهتنا» وإخبارِ مَن عَرَّضَ بأنَّ إبراهيم كان يَذْكُر أصنامَهم؛ لأنَّ هذا الإقبال كان قد تَقَضَّى تلك الجُمَلَ المحذوفة، أي: «فأقبلوا إليه» أي: إلى الإنكار عليه في كَسْرِ أصنامهم وتأنيبِه على ذلك، وليس هذا الإقبالُ الإقبالَ مِن عيدهم، بل بعد مجيئهم مِن عيدهم جَرَت تلك المفاوضات المذكورة في سورة «اقترب».

واستسلفَ الزمخشريُّ في كلامه أشياءَ لم تتضمَّنها الآياتُ، صارت الآيات عنده بها كالتناقض، قال: حيث ذكرَ هنا أنَّهم أَدْبَروا عنه خِيْفَةَ العَدْوى، فلمَّا أبصروه يَكسرهم أَقبلوا إليه مُتبادرين ليَكفُّوه ويُوقعوا به، وذكرَ ثَمَّ أنَّهم سألوا عن الكاسِر حتى قِيل لهم: سمعنا إبراهيمَ يَذمُّهم، فلعلَّه هو الكاسر، ففي أحدهما أنَّهم شاهدوه يَكسِرها، وفي الآخَر أنَّهم استدلُّوا بذمِّه على أنَّه الكاسر[٢]. انتهى ما أبدى مِن التناقض، وليس في الآيات ما يدلُّ على أنَّهم أبصروه يَكسِرهم، فيكون فيه كالتناقض، ولمَّا قرّر أنَّه كالتناقض، قال:

قلت: فيه وجهان: أحدهما: أن يكون الذين أبصروه وزَفُّوا إليه نَفَراً منهم دونَ جمهورهم وكبرائهم، فلمَّا رَجَعَ الجمهورُ والعِلْيَةُ مِن عيدهم إلى بيتِ الأصنام ليَأكلوا الطعامَ الذي وَضَعوه عندها لتُبرِّك عليه ورَأَوها مكسورةً، اشمأَزُّوا مِن ذلك، وسَألوا «مَن فَعَلَ هذا»، لم يَنُمّ عليه أولئك النَّفَرُ نَمِيمةً صريحةً، ولكن على سبيل التَّورية والتعريض بقولهم: «سمعنا فتًى يَذكُرُهم» لبعضِ الصوارف.

والثاني: أنْ يَكسِرَها ويَذهَب ولا يَشعر بذلك أحدٌ، ويكون إقبالهم إليه يَزِفُّون بعد رجوعِهم عِن عيدِهم وسؤالِهم عن الكاسِرِ، وقولِهم: ﴿قَالُوا۟ فَأْتُوا۟ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ﴾[٣] [الأنبياء: ٦١] انتهى. وهذا الوجه الثاني الذي ذَكَره هو الصحيح.

---

(١) الكشاف ٣/ ٣٤٥، ونقله عنه القرطبيُّ ١٨/ ٥٧.
(٢) الكشاف ٣/ ٣٤٥.
(٣) المصدر السابق.

«قال أتعبدونَ ما تَنْحِتون» استفهامُ توبيخٍ وإنكار عليهم، كيف هم يَعبُدون صوراً صَوَّرُوها بأيديهم وشَكَّلوها على ما يريدون مِن الأشكال؟!

«واللهُ خَلَقَكم وما تعملون» الظاهر أنَّ «ما» موصولة بمعنى «الذي»، معطوفة على الضمير في «خَلَقكم» أي: أنْشَأَ ذواتكم وذوات ما تَعملونَ مِن الأصنام، والعمل هنا هو التصويرُ والتَّشكِيل، كما تقول: عَمِلَ الصَّائغُ الخَلْخَالَ، وعَمِلَ الحدَّادُ القُفْلَ والنَّجَّارُ الخِزَانَةَ، وبحَمْل ذلك على أنَّ «ما» بمعنى «الذي» يَتِمّ الاحتجاجُ عليهم، بأنَّ كُلًّا مِن الصَّنَم وعابِدِه هو مخلوقٌ لله تعالى، والعابد هو المُصوِّر ذلك المعبودَ، فكيف يَعبُد مخلوقٌ مخلوقاً؟! وكلاهما خَلْقُ اللهِ، وهو المُنْفَرِد بإنشاء ذواتهما، والعابِدُ مُصوِّر الصَّنَم معبوده، و«ما» في «ما تَنحتون» بمعنى «الذي» فكذلك في «وما تعملون» لأنَّ نَحْتَهم هو عَمَلُهم.

وقيل: «ما» مصدريَّة، أي: خَلَقَكُم وعَمَلَكُم، وجَعَلوا ذلك قاعدةً على خَلْقِ اللهِ أفعالَ العبادِ، وقد نَدَّدَ الزمخشريُّ بقائل هذه المقالة بما يُوقَف عليه في كتابه[1].

وقيل: «ما» استفهام إنكاريّ، أي: وأيّ شيءٍ تَعملونَ في عبادتكم أصناماً نحتموها، أي: لا عملَ لكم يُعتَبر.

وقيل: «ما» نافية، أي: وما أَنتم تعملونَ شيئاً في وقتِ خَلْقِكم، ولا تَقدِرون على شيء.

وكون «ما» مصدريَّة واستفهاميَّة ونعتاً، أقوالٌ مُتَكلَّفة خارجة عن طريق البلاغة.

ولمَّا غَلَبهم إبراهيمُ عليه السلام بالحُجَّة مَالُوا إلى الغَلَبة بقوَّة الشَّوْكَة والجَمْعِ، فقالوا: «ابْنُوا له بنياناً» أي: في موضع إيقادِ النَّار، وقيل: هو المَنْجَنيق الذي رُميَ عنه، وأرادُوا به كيداً، فأبطل اللهُ مكرَهم وجَعَلهم الأذلِّين الأسفلين، وكذا عادةُ من غُلِبَ بالحُجَّةِ رَجَع إلى الكَيْد.

❁ ❁ ❁

(١) الكشاف ٣/ ٣٤٦، وينظر أيضاً قولُ مكّيّ في كتابه مشكل إعراب القرآن ٢/ ٦١٥-٦١٦، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٧٩.

﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ
﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ
يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾
وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ
الْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ
نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٢﴾
وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ ۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ
وَهَارُونَ ﴿١١٤﴾ وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿١١٥﴾ وَنَصَرْنَاهُمْ فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ
﴿١١٦﴾ وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ ﴿١١٧﴾ وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي
الْآخِرِينَ ﴿١١٩﴾ سَلَامٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾ إِنَّهُمَا مِنْ
عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٢﴾ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدْعُونَ
بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ﴿١٢٥﴾ اللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ
لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٢٩﴾ سَلَامٌ عَلَىٰ إِلْ يَاسِينَ
﴿١٣٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾
إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ ﴿١٣٥﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ ﴿١٣٦﴾ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ
عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِاللَّيْلِ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ
الْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ
الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ ۞ فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾
وَأَنبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ
إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٤٨﴾ فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ ﴿١٤٩﴾ أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ
شَاهِدُونَ ﴿١٥٠﴾ أَلَا إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَصْطَفَى
الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٥٦﴾
فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٥٧﴾ وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا ۚ وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ
﴿١٥٨﴾ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٠﴾ فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾ مَا أَنتُمْ
عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾ وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ
﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾ وَإِن كَانُوا لَيَقُولُونَ ﴿١٦٧﴾ لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٦٨﴾ لَكُنَّا عِبَادَ
اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٩﴾ فَكَفَرُوا بِهِ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٧٠﴾ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ

لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٤﴾ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ
﴿١٧٥﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٧﴾ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ
﴿١٧٨﴾ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٩﴾ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ
﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾.

المفردات تَلَّ الرَّجُلُ الرَّجُلَ: صَرَعَهُ على شقِّه، وقيل: وَضَعه بقوَّة، وقال سَاعِدة بنُ جُؤَيَّة:

وظَلَّ تليلاً للجَبِيْن وللفَم[(١)]

والجَبينانِ: ما اكتَنَفَ الجبهةَ مِن هنا ومِن هنا، وشَذَّ جَمْعُ الجَبِيْن على: أَجْبُن، وقياسُه في القِلَّة: أَجْبِنَة، ككَثِيْبٍ وأَكْثِبَة، وفي الكَثْرة: جُبْنان وجُبُن، ككُثْبَان وكُثُب.

الذِّبح: اسمُ ما يُذبَح، كالرِّعْي اسمُ ما يُرعَى. أَبَقَ: هَرَب، سَاهَمَ: قَارَع، المُدْحَض: المَغْلُوب، الحوت معروف.

أَلَامَ: أَتَى بما يُلامُ عليه قال:

وكَم مِن مُلِيْمٍ لم يُصَبْ بمَلامَةٍ ... ومُتَّبَعٍ بالذَّنْبِ ليس لَهُ ذَنْبُ[(٢)]

العَرَاء: الأرضُ الفَيْحاء[(٣)] لا شَجَرَ فيها ولا مَعْلَم، قال:

رَفَعْتُ رِجْلاً لا أَخافُ عِثَارَها ... ونَبَذْتُ بالمتن العَراءِ ثيابي[(٤)]

---

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٤٨٢، ولم نقف على عجز البيت عند غيره، ولم ترد لفظة: وللفم. في (د٣) و(يه) والمحرر الوجيز.

(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٤٨٦، والبيت نُسبَ للأحوص الأنصاري، وهو في ملحق ديوانه ص٢١٨، ونُسبَ لجميل بثينة كما في سمط اللآلي ٣/ ٩٤٧، وهو بلا نسبة في أمالي القالي ١/ ١٦، والبيان والتبيين ٢/ ٣٦٣.

(٣) كذا في النسخ، والذي في المحرر الوجيز ٤/ ٤٨٦: الفيفاء، والذي في مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/ ١٧٥ ومعاجم اللغة: الفضاء، والفيحاء: الواسعة من الدُّور والرياض. تاج العروس (فوح)، والفيفاء: الصحراء الملساء، والجمع: الفيافي. لسان العرب (فيف).

(٤) المحرر الوجيز ٤/ ٤٨٦، والبيت أورده أبو عبيدة في مجاز القرآن ٢/ ١٧٥ ونسبه للخزاعي، ونقله عنه القرطبيُّ ١٨/ ١٠٢، وأورده أيضاً المبرِّدُ في الكامل ١/ ٣٦٠ ونسبه للهذلي، والطبريُّ في التفسير ١٩/ ٦٣١ ولم ينسبه.

اليَقْطِين: يَفْعِيل كالتَّعْصِيد، مِن قَطَنَ: أَقَامَ بالمكان، وهو ما كان مِن الشَّجَر لا يَقوم على ساقٍ مِن عودٍ، كشَجَر البِطِّيخ والقَرْع والحَنْظَل والقِثَّاء.

الساحة: الفِنَاء، وجمعها: سُوح، قال:

فكان سِيَّان أَنْ لا يَسْرَحُوا نَعَماً   أو يَسْرَحُوهُ بها واغْبَرَّت السُّوحُ[1]

* * *

﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ ۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾﴾.

التفسير لَمَّا سلَّمه اللهُ منهم ومِن النَّار التي أَلْقوْهُ فيها، عَزَمَ على مفارقتهم، وعبَّر بالذهاب إلى ربِّه عن هجرته إلى أرضِ الشام، كما قال: ﴿إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓ﴾ [العنكبوت:٢٦] ليتمكَّن مِن عبادة ربِّه ويتفرَّغ له مِن غيرِ أَنْ يَلقى مَن يُشَوِّش عليه، فهاجر مِن أرضِ بابل مِن مملكة نُمروذ إلى الشام، وقيل: إلى أرضِ مصر، ويَبعُد قولُ من قال: ليس المرادُ بذهابه الهجرةَ، وإنَّما مرادُه لقاءَ الله بعد الاحتراق، ظانًّا منه أنَّه سيموت في النار، فقالها قَبْلَ أَنْ يُطرَح في النَّارِ، و«سَيَهْدِين» أي: إلى الجنَّة، نحا إلى هذا قتادة[2]؛ لأنَّ قولَه: «ربِّ هَبْ لي مِن الصالحين» يَدفع هذا القولَ، فالمُعتَقِد أنَّه يموت في النار لا يَدعو بأَنْ يَهَبَ اللهُ له ولداً صالحاً.

«سَيَهْدِين» يُوفِّقني إلى ما فيه صلاحي «من الصالحين»، أي: ولداً يكون في عِدَاد الصالحين، ولفظُ الهِبَة غلبَ في الولد وإن كان قد جاءَ في الأخ، كقوله:

(١) البيت لأبي ذؤيب الهذلي، وهو في ديوان الهذليين ١/ ١٠٧، والخصائص لابن جنِّي ١/ ٣٤٨، وخزانة الأدب ٤/ ٨٩ و٥/ ١٣٤.

(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٤٨٠، وقول قتادة عند الطبري ١٩/ ٥٧٦.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا﴾ [مريم:٥٣] واشتملت البِشَارةُ على ذكوريَّة المولودِ، وبلوغِهِ سِنَّ الحُلُم، ووصفِه بالحِلْم، وأيُّ حِلْم أعظمُ مِن قوله وقد عَرَضَ عليه أَبوهُ الذَّبْحَ: «سَتجدُني إنْ شاءَ اللهُ مِن الصابرين».

«فلمَّا بَلَغَ معه السعيَ» بين هذه الجملة والتي قَبْلَها محذوفٌ، تقديره: فوُلِدَ له وشَبَّ «فلمَّا بَلَغَ» أي: بَلَغَ أَنْ يَسْعَى مع أبيهِ في أشغاله وحوائجه، وقال ابنُ عباس ومجاهد وابنُ زيد: السَّعْي هنا العملُ والعبادة والمَعونة. وقال قتادة: السَّعْي على القَدَم؛ يُريد سَعْياً متمكّناً[١].

و«معه» قال الزمخشريُّ: لا يصحُّ تعلُّقه بـ «بلغ» لاقتضائه بلوغهما معاً حدَّ السعي، ولا بـ «السعي»؛ لأنَّ صِلَة المصدر لا تتقدَّم عليه، فبقي أَنْ يكون بياناً، كأنَّه لمَّا قال: فلمَّا بَلَغَ السعي، أي: الحدَّ الذي يَقدِر فيه على السَّعي، قيل: مع مَن؟ فقال: مع أبيه، والمعنى في اختصاص الأب؛ أنَّه أَرفقُ الناس به وأَعطفهم عليه، وغيرُه رُبَّما عنَّف عليه في الاستسعاء فلا يَحتمله؛ لأنَّه لم تَسْتَحكم قوَّته ولم يَصْلُب عُودُهُ، وكان إذ ذاكَ ابنَ ثلاثَ عَشْرَة سنةً[٢]. انتهى.

«قال يا بُنَيَّ» نداءُ شفقةٍ وترحُّم، «إنِّي أرى في المنام أنِّي أَذْبَحُك» أي: بأَمْرٍ مِن الله، ويدلُّ عليه: «افْعَلْ ما تُؤْمَرُ» ورُؤيا الأنبياء وحيٌ[٣] كاليَقَظة، وذَكَر له الرؤيا؛ تجسيراً على احتمال تلكِ البَلِيَّة العظيمة، وشاوَرَهُ بقوله: «فانظُر ماذا ترى» وإن كان حَتْماً مِن الله؛ ليَعْلَم ما عندَه مِن تلقِّي هذا الامتحان العظيم، ويُصبِّره إنْ جَزِعَ، ويُوطِّن نفسَه على ملاقاة هذا البلاءِ، ويُسكِّن نفسَه لِمَا لا بُدَّ منه، إذ مفاجأةُ البلاء قَبْلَ الشعورِ به أَصعبُ على النفس.

وكان ما رَآهُ في المنام ولم يَكن في اليَقَظة كرُؤْيا يوسف عليه السلام، ورُؤْيا رسولِ الله ﷺ دخولَ المسجدِ الحرام؛ ليدلَّ على أنَّ حالتَي الأنبياء يقظةً ومناماً سواءٌ في الصِّدْقِ متظافرتان عليه.

---

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٤٨١، والآثار عند الطبري ١٩/ ٥٧٩-٥٨٠.

(٢) الكشاف ٣/ ٣٤٧.

(٣) أخرجه البخاري (١٣٨) من قول عُبَيْد بن عُمير.

قيل: إنَّه حينَ بَشَّرته الملائكة «بغلام حليم» قال: هو إذَن ذَبيحُ اللهِ. فلمَّا بلغ حدَّ السعي معه، قيل له: أَوْفِ بنذرِك[1].

وقيل: رأى ليلةَ التروية قائلاً يقول له: إنَّ اللهَ يَأْمُرك بذَبْح ابنِك هذا. فلمَّا أَصبح روّى في ذلك مِن الصَّباح إلى الرَّواح أَمِنَ اللهِ هذا الحُلُم؟ فمن ثَمَّ سُمِّيَ يومَ التروية، فلمَّا أمسى رَأى مِثْلَ ذلك، فعَرف أنَّه مِن اللهِ، فمِن ثَمَّ سُمِّيَ يومَ عرفة، ثُمَّ رَأى مِثْلَه في الليلة الثالثة، فَهَمَّ بنَحْرِه، فسمِّي يومَ النحر.

وقرأ الجمهور«تَرَى» بفتح التاء والراء، وعبدُ الله والأسود بنُ يزيد وابنُ وثَّاب وطلحة والأعمش ومجاهد وحمزةُ والكسائيُّ: بضمِّ التاء وكَسْرِ الراء[2]، والضحاك والأعمش أيضاً بضمِّ التاءِ وفَتْحِ الراء[3].

فالأوَّل مِن الرَّأْي، والثاني: ماذا تُرينيه وما تُبديه لا نَظَرَ فيه، والثالث: ما الذي يُخيَّل إليك ويُوقع في قلبك.

و«انظر» معلَّقة، و«ماذا» استفهامٌ، فإن كانت «ذا» موصولةً بمعنى «الذي» فـ «ما» مبتدأ، والفعل بَعْدَ «ذا» صلة، وإن كانت «ماذا» مركَّبة، ففي موضع نَصْب بالفعل بَعْدَها، والجملة واسمُ الاستفهام الذي هو معمولٌ للفعل بَعْدَهُ في موضع نصبٍ لـ: انظُر.

ولمَّا كان خطابُ الأب: «يا بُنَيَّ» على سبيل الترحُّم، قال هو: «يا أَبتِ» على سبيل التعظيم والتوقير.

«افعل ما تُؤْمَر» أي: ما تُؤْمَرُهُ، حَذَفه وهو منصوب، وأَصله: ما تُؤْمَرُ به، فحذف الحرفَ، واتَّصل الضمير منصوباً، فجاز حَذْفُه، لوجودِ شرائطِ الحَذْف فيه.

---

(١) المصدر السابق ٣/ ٣٤٨، وما بعده منه أيضاً، وأورد الخبرَ الآلوسي في روح المعاني ٢٣/ ١٣٦ وقال إثرها: ولعلَّ هذا القولَ كان في المنام، وإلَّا فما يصنع بقوله: «إني أرى في المنام أنِّي أذبحك».

(٢) أي: «تُرِي»، والقراءة من المحرر الوجيز ٤/ ٤٨١، وهي في السبعة ص ٥٤٨، والتيسير ص١٨٦، وهي أيضاً قراءة خلف ـ من العشرة ـ ينظر النشر ٢/ ٣٥٧.

(٣) أي: «تُرَى»، والقراءة من المحرر الوجيز ٤/ ٤٨١، وهي في تفسير البغوي ٤/ ٣٣، وزاد المسير ٧/ ٧٥.

وقال الزمخشريُّ: أوأَمْرَك، على إضافة المصدرِ إلى المفعولِ الذي لم يُسَمَّ فاعِلُه، وفي ذلك خلافٌ هل يعتقد في المصدر العامل أنَّه يَجوز أنْ يُبنَى للمفعول، فيكون ما بَعْدَه مفعولاً لم يُسَمَّ فاعله، أم لا يكون ذلك؟

«سَتَجدني إنْ شاءَ اللهُ مِن الصابرين» كلامُ مَن أُوتيَ الحِلْم والصبرَ والامتثال لأَمْرِ الله، والرِّضا بما أَمَرَ.

«فلمَّا أسلما» أي: لأَمْرِ اللهِ، ويقال: اسْتَسْلَم وسَلَّم بمعناها.

وقرأ الجمهور: «أسلما»، وقرأ عبد الله وعليّ وابنُ عباس ومجاهد والضحاك وجعفر بنُ محمد والأعمش والثوريُّ «سَلَّما»[1] أي: فوَّضَا إليه في قضائه وقَدَرِه، وقُرِئَ: «اسْتَسْلَما»[2]، ثلاثُ قراءات.

وقال قتادة في «أَسْلَما»: أَسْلَم هذا ابنَه، وأسلم هذا نفسَه[3]. فجعل «أسلما» متعدِّياً، وغيرُه جَعَله لازماً بمعنى انْقَادَ لأَمْرِ اللهِ وخَضَع له.

«وتَلَّهُ للجَبِيْن» أوقعه على أَحَدِ جَنْبَيْه في الأرض تواضعاً، مباشِراً الأَمْرَ بصبرٍ وجَلَدٍ، وذلك عند الصخرة التي بمنًى، وعن الحسن: في الموضع المُشْرِف على مسجِد منًى، وعن الضحاك: في المَنْحر الذي يُنحَر فيه اليوم[4].

وجواب «لمَّا» محذوفٌ مُقدَّر بَعْدَ: «وتَلَّه للجبين» أي: أَجْزَلْنا أَجْرَهما، قاله بعضُ البصريين[5]، أو بَعْدَ «الرؤيا» أي: كان ما كان ممَّا ينطق به الحالُ ولا يُحيط به الوَصْفُ مِن استبشارهما وحَمْدِهما اللهَ على ما أنعم به، إلى ألفاظٍ كثيرة، ذَكَرها الزمخشريُّ على عادته في خطابته[6].

---

(١) ينظر المحرر الوجيز ٤/ ٤٨١، وزاد المسير ٧/ ٧٥، وتفسير القرطبي ١٨/ ٦٨، وهي في القراءات الشاذة ص ١٢٨، والمحتسب ٢/ ٢٢٢.
(٢) تفسير الثعلبي ٥/ ٢٢٥، وعزاها لابن عباس، والكشاف ٣/ ٣٤٨ ولم ينسبها.
(٣) تفسير الثعلبي ٥/ ٢٢٥، وتفسير القرطبي ١٨/ ٦٨، وأخرجه عنه الطبريُّ ١٩/ ٥٨٤.
(٤) الكشاف ٣/ ٣٤٨.
(٥) المحرر الوجيز ٤/ ٤٨١، وينظر إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٤٣٣.
(٦) الكشاف ٣/ ٣٤٨.

أو قيل: «وتَلَّهُ» تقديره: «فلمَّا أَسْلَما» أسلما «وتَلَّهُ»، قال ابنُ عطيَّة: وهو قولُ الخليل وسيبويه، وهو عندهم كقول امرئ القيس:

فـلـمَّـا أَجَـزْنـا سـاحـةَ الـحـيِّ وانـتـحـى

أي: أجزنا وانتحى[(١)].

وقال الكوفيُّون: الجوابُ مُثْبَتٌ، وهو: «وناديناه» على زيادة الواو[(٢)].

وقالت فرقة: هو «وتَلَّهُ» على زيادة الواو.

وذَكَر الزمخشريُّ في قصَّة إبراهيمَ وابنِه وما جَرَى بينهما مِن الأقوال والأفعال فصولاً ـ اللهُ أعلم بصحَّتها ـ يُوقَف عليها في كتابه[(٣)].

و«أنْ» مُفسِّرة، أي: قد صدَّقت، وقرأ زيد بنُ عليٍّ: «ونَادَيْناه قَدْ صَدَّقتَ» بحذف «أَنْ»[(٤)]، وقُرِئَ: «صَدَقْتَ»[(٥)] بالتخفيف، وقرأ فيَّاض: «الرِّيَّا» بكسر الراء والإدغام[(٦)].

وتصديقُ الرؤيا، قال الزمخشريُّ: بَذَلَ وُسْعَه وفَعَلَ ما يَفعَلُ الذَّابحُ مِن بَطْحِه على شِقِّه وإمرارِ الشَّفْرَة على حَلْقه، ولكنَّ اللهَ سبحانَهُ جاءَ بما مَنَعَ الشَّفرةَ أنْ تمضيَ فيه، وهذا لا يَقْدَح في فِعْلِ إبراهيم، ألا تَرَى أنَّه لا يُسمَّى عاصياً ولا مُفَرِّطاً، بل يُسمَّى مطيعاً ومجتهداً، كما لو مَضَت فيه الشَّفرةُ وفَرَتِ الأوداجَ[(٧)]

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٤٨١، وصدر البيت في ديوان امرئ القيس ص ١٥، وعجزه:
بـنـا بـطـنُ خِـقْـفٍ ذي ركـام عَـقَـنْـقَـل
وسلف.
(٢) إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٤٣٣، وتفسير القرطبي ١٨/ ٦٨.
(٣) ينظر الكشاف ٣/ ٣٤٧-٣٤٨.
(٤) كذا وردت القراءة في النسخ، أي: بحذف «أنْ» وحَذْفِ لفظة: «يا إبراهيم»، ولعلَّها سقطت سهواً. ولم نقف على القراءة عند غيره ممَّن سبقه، وأوردها عنه الآلوسي في روح المعاني ٢٣/ ١٤٠.
(٥) القراءات الشاذة ص ١٢٨ وعزاها لبعضهم.
(٦) المصدر السابق.
(٧) أَفْرَيْتُ الأوداجَ: قطعتها. اللسان (فرا).

وأنهرتِ الدَّمَ، وليس هذا مِن وُرود النَّسْخ على المأمور به قَبْلَ الفعل ولا قَبْلَ أوانِ الفعلِ في شيء، كما يَسبق إلى بعضِ الأوهام حتى يشتغلَ بالكلام فيه[١].

وقال ابنُ عطيَّة: «قد صَدَّقت» يحتمل أنْ يُريد: بقلبك، على معنى: كانت عندكَ رُؤْياك صادقةً حقًّا مِن اللهِ، فعَمِلْتَ بحَسَبها حين آمنتَ بِها واعتقدتَ صِدْقَها، ويَحتمل أنْ يريد: صَدَّقْتَ بعملك[٢] ما حَصَل عن الرؤيا في نفسِك، كأنَّه قال: قد وَفَّيْتَها حقَّها مِن العمل. انتهى.

«إنَّا كذلك نجزي المحسنين» تعليلٌ لتخويلِ ما خوَّلهما اللهُ مِن الفَرَج بعد الشِّدَّة والظَّفَر بالبُغْيَة بَعْدَ اليأس، «إنَّ هذا» أي: ما أُمر به إبراهيمُ مِن ذَبْح ابنِه «لهو البَلاءُ المُبين» أي: الاختبارُ البَيِّن الذي يَتميَّز فيه المخلصون وغيرهم، أو المِحْنَةُ البَيِّنة الصعوبة التي لا مِحْنَةَ أصعب منها.

«وفَدَيناهُ بِذبحٍ» قال ابنُ عباس: هو الكبش الذي قَرَّبه هابيلُ فقُبِلَ منه، وكان يرعى في الجنَّة حتى فُديَ به إسماعيلُ[٣].

وقال أيضاً هو والحسن: فُديَ بِوَعِلٍ أُهبطَ عليه مِن ثَبِيْر[٤].

وقال الجمهور: كبش أبيضُ أقرنُ أعيَن، ووصفَ بالعِظَم، قال مجاهد: لأنَّه مُتقَبَّل يقيناً، وقال عمرو بنُ عُبَيْد: لأنَّه جَرَت السُّنَّةُ به وصار دِيْناً باقياً آخِرَ الدهر، وقال الحسين بنُ الفَضْل: لأنَّه كان مِن عند الله، وقال أبو بكر الوَرَّاق: لأنَّه لم يَكن عن نَسْلٍ بل عن التكوين، وقال ابنُ عباس وابنُ جبير: عِظَمُه كونه مِن كِبَاش الجنَّة، رَعَى فيها أربعينَ خريفاً[٥].

---

(١) الكشاف ٣/ ٣٥١.

(٢) في النسخ: بقلبك. والمثبت من المحرر الوجيز ٤/ ٤٨٢.

(٣) الكشاف ٣/ ٣٤٩، وأخرجه عنه الطبريُّ ١٩/ ٦٠١.

(٤) المحرر الوجيز ٤/ ٤٨٢، وأورده أيضاً الزمخشري في الكشاف ٣/ ٣٤٩ عن الحسن، وأخرجه عنهما الطبريُّ ١٩/ ٦٠٣-٦٠٤، وثَبِيْر: جبلٌ بمكَّة. النهاية (ثبر)، مع الإشارة إلى أنَّه ورد في (ت): يثرب، وفي (به): نذير، وفي المطبوع من البحر: سرو.

(٥) المحرر الوجيز ٤/ ٤٨٢، وأثر مجاهد وابن عباس عند الطبري ١٩/ ٦٠٤-٦٠٥، وفيه أيضاً قول عمرو بن عبيد عن الحسن، وكذا ورد عند الثعلبي ٥/ ٢٢٦، وقول الحسين بن الفضل عند البغوي ٤/ ٣٥، وأورده أيضاً مع قولِ أبي بكر الوراق الثعلبيُّ ٥/ ٢٢٦.

وفي قوله: «وفَدَيْناهُ بذِبْحٍ عظيم» دليلٌ على أنَّ إبراهيمَ لم يَذْبَح ابنَه وقد فُديَ، وقالت فرقة: وَقَعَ الذَّبْحُ وقَام[1] بَعْدَ ذلك، قال ابنُ عطيَّة: وهذا كَذِبٌ صُرَاح، وقالت فرقة: لم يَرَ إبراهيمُ في منامه إلَّا إمْرَارَ الشَّفْرَة فقط، فظنَّ أنَّه ذَبْحٌ مُجْهِزٌ فنفذَ لذلك، فلمَّا وَقَعَ الذي رَآهُ وَقَعَ النَّسْخُ، قال: ولا اختلافَ، فإنَّ إبراهيمَ عليه السلام أَمَرَّ الشفرةَ على حَلْقِ ابنِه فلم تَقْطَع[2]. انتهى.

والذي دلَّ عليه القرآنُ أنَّه تلَّه للجبين فقط، ولم يأتِ في حديثٍ صحيح أنَّه أَمَرَّ الشفرةَ على حَلْقِ ابنِه.

«وتَرَكنا عليه» إلى «المؤمنين» تقدَّم تفسيرُ نظيرِه في آخِرِ قصَّة نوح قَبْل قصَّة إبراهيم هنا[3]، وقال هنا: «كذلك» دونَ: إنَّا، اكتفاءً بذِكْر ذلك قَبْلُ وبَعْدُ.

«وبَشَّرْناهُ بإسحاقَ نبيًّا مِن الصالحين» الظاهر أنَّ هذه بِشَارة غير تلك البِشَارة، وأنَّ الغلامَ الحليمَ المُبشَّر به إبراهيمُ هو إسماعيل وأنَّه هو الذَّبِيح لا إسحاق، وهو قول ابنِ عباس وابنِ عُمر ومعاوية بنِ أبي سفيان ومحمد بنِ كعب القُرَظِيّ والشعبيّ والحسن ومجاهد وجماعة مِن التابعين[4]، واستدلُّوا بظاهر هذه الآيات، وبقوله عليه السلام: «أنَا ابنُ الذَّبِيحَيْن»[5] وقول الأعرابيّ له: يا ابنَ الذَّبِيحَيْن. فتبسَّم عليه السلام، يعني: إسماعيلَ وأباه عبدَ الله، وكان عبدُ المُطَّلِب نَذَرَ ذَبْحَ أَحَدِ ولدِه، فخرجَ السَّهمُ على عبدِ الله، فَمَنَعه أخوالُه، وقالوا له: اِفْدِ ابْنَكَ بمئةٍ مِن الإبل،

(١) كذا في النسخ، والذي في المحرر الوجيز ٤/ ٤٨٢ والكلام منه: والْتَأم. وكذا ورد في تفسير القرطبي ١٨/ ٦٦ عن بعضهم أنَّه كلَّما قطع جُزءاً الْتَأَمَ.

(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٤٨٢-٤٨٣.

(٣) عند تفسير الآية (٧٩-٨٠).

(٤) ينظر تفسير الثعلبي ٥/ ٢١٨-٢١٩، والبغوي ٤/ ٣٢، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٨٠، والكشاف ٣/ ٣٥٠، وزاد المسير ٧/ ٧٢-٧٣، وتفسير الرازي ٢٦/ ١٥٣-١٥٤، وتفسير القرطبي ١٨/ ٦٣، وتنظر الأقوال عند الطبري ١٩/ ٥٩٢-٥٩٧، قال ابن كثير في التفسير ٧/ ٣٣: وهو الصحيح المقطوع به. وينظر أيضاً الشفا للقاضي عياض ١/ ٢٢٨، والتعريف والإعلام للسهيلي ص ١٤٦، وكتاب الإسرائيليات والموضوعات للدكتور محمد أبو شهبة ص ٢٥٢-٢٦٠.

(٥) الكشاف ٣/ ٣٥٠، قال ابنُ حجر في الكافي الشاف ص ١٤١: بيَّض له. يعني الزيلعي ولم يقف عليه.

ففَدَاه بها[١]، وفيما أوحى اللهُ لموسى في حديثٍ طويل: وأمَّا إسماعيل فإنَّه جَادَ بدَمِ نفسِه[٢].

وسأل عمر بنُ عبد العزيز يهوديًّا أَسْلَم عن ذلك، فقال: إنَّ اليهودَ لتَعْلَم أنَّه إسماعيل، ولكنَّهم يَحسدونكم مَعْشَرَ العرب[٣].

وكان قَرْنا الكَبْش مَنُوطَيْن في الكعبة في أيدي بني إسماعيل إلى أنِ احترق البيت، قال الشعبيُّ: رأيتهما معلَّقين في الكعبة[٤].

وسأل الأصمعيُّ أبا عمرو بنَ العَلاء عن الذَّبيح؟ فقال: يا أصمعيُّ أينَ عَزَبَ عنك عَقْلُكَ، ومتى كان إسحاقُ بمكَّة؟ وإنَّما كان إسماعيل بمكَّة، وهو الذي بَنَى البيتَ مع أبيه، والمَنْحَر بمكَّة[٥]. انتهى.

ووصفه تعالى بالصَّبْر في قوله: «وإسماعيل وإدريس وذا الكفل كلّ من الصابرين» وهو صَبْرُه على الذَّبْح، وبصِدْق الوعد في قوله: «إنَّه كان صادقَ الوَعْدِ» لأنَّه وَعَد أَبَاهُ مِن نفسِه الصبرَ على الذَّبْح، فوفَّى به.

وذَكَر الطبريُّ أنَّ ابنَ عباس قال: الذبيحُ إسماعيلُ ويَزعُم اليهودُ أنَّه إسحاق، وكَذَبت اليهودُ[٦].

---

(١) الكشاف ٣/ ٣٥٠، وينظر تفسير الثعلبي ٥/ ٢٢١، والحديث أخرجه الطبري ١٩/ ٥٩٧-٥٩٨، والحاكم ٢/ ٥٥٤ من حديث الصُّنابحي عن معاوية بن أبي سفيان. قال ابن كثير في التفسير ٧/ ٣٥: وهذا حديث غريب جدًّا.

(٢) الكشاف ٣/ ٣٥٠، من خبر محمد بن كعب القرظي، ولم نقف على الخبر عند غيره، بل أورد الثعلبي ٥/ ٢٢٠-٢٢١ خبراً عن عُمر، عن موسى عليه الصلاة والسلام، وفيه أنَّ إسحاقَ هو الذي جاد بالذبح. وكذا ورد عند الطبري ١٩/ ٥٨٩-٥٩٠ في خبرٍ عن عُبيد بن عمير.

(٣) الكشاف ٣/ ٣٥٠، وعَزَا الخبرَ فيه لمحمد بن كعب القرظي، وأورد الخبر أيضاً البغويُّ ٤/ ٣٢، وابنُ عطية في المحرر الوجيز ٤/ ٤٨١، وأخرجه الطبريُّ في تاريخه ١/ ٢٧٠، وفي التفسير ١٩/ ٥٩٧.

(٤) الكشاف ٣/ ٣٥٠، وينظر تفسير البغوي ٤/ ٣٣، والخبر أخرجه الطبريُّ في تاريخه ١/ ٢٦٩، وفي التفسير ١٩/ ٥٩٥.

(٥) الكشاف ٣/ ٣٥٠، وينظر تفسير البغوي ٤/ ٣٣، والرازي ٢٦/ ١٥٣، والقرطبي ١٨/ ٦٣.

(٦) المحرر الوجيز ٤/ ٤٨١، وخبرُ ابن عباس عند الطبري ١٩/ ٥٩٤، وفي تاريخه أيضاً ١/ ٢٦٨، وأخرجه أيضاً الحاكم في المستدرك ٢/ ٥٥٤-٥٥٥.

ومِن أقوى ما يُستَدلُّ به أنَّ اللهَ تعالى بَشَّرَ إبراهيمَ بإسحاقَ وولد إسحاق يعقوب، فلو كان الذبيحُ إسحاق لكان ذلك الإخبار غيرَ مطابقٍ للواقع، وهو محالٌ في إخبارِ الله تعالى.

وذهبت جماعةٌ إلى أنَّ الذبيحَ هو إسحاق منهم العبَّاس بنُ عبد المطلب وابنُ مسعود وعليّ وعطاء وعكرمة وكعب وعُبَيْد بنُ عمير وابنُ عباس في رواية، وكان أمْرُ ذبحِه بالشَّام، وقال عطاء ومقاتل: ببيتِ المقدس، وقيل: بالحجاز، جاء مع أبيه على البُرَاق. وقال عبيد بنُ عمير: كان بالمقام[(١)].

وقال ابنُ عباس: والبِشارة في قوله: «وبَشَّرناهُ بإسحاق» هي بشارة بنبوته[(٢)].

وقالوا: أخبر تعالى عن خليلِه إبراهيمَ حين هاجَرَ إلى الشام بأنَّه استَوْهَبَه ولداً، ثم أَتْبَعَ تلك البشارةَ بغلامٍ حليمٍ، ثمَّ ذَكَر رُؤْياهُ بذَبْح ذلك الغلام المبشَّر به، ويدلُّ عليه كتاب يعقوبَ إلى يوسفَ عليهما السلام: مِن يعقوبَ إسرائيل اللهِ ابنِ إسحاقَ ذبيحِ الله ابنِ إبراهيمَ خليل الله[(٣)].

ومَن جَعَلَ الذَّبيحَ إسحاقَ جَعَلَ هذه البشارةَ بشارةً بنبوَّته كما ذكرنا عن ابن عباس، وقالوا: لا يَجوز أنْ يُبشِّرَه اللهُ بولادته ونبوَّته معاً؛ لأنَّ الامتحانَ بذَبْحه لا يصحُّ مع عِلْمِه بأنَّه سيكون نبيًّا[(٤)]، ومَن جَعَله إسماعيلَ جَعَلها بشارةً بولادةِ إسحاق.

---

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٤٨٠، وينظر تفسير الثعلبي ٥/٢١٨-٢١٩، والكشاف ٣/ ٣٥٠، وتفسير القرطبي ١٨/ ٧١-٧٢، وتنظر الأقوال بأنَّ الذبيحَ إسحاق عند الطبريّ ١٩/٥٨٨-٥٩٢، وتنظر الأقوال في مكان الذبح عند الطبري في تاريخه ١/ ٢٧٢-٢٧٧، والبداية والنهاية ١/ ٣٦٥.

(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٤٨٠.

(٣) الكشاف ٣/ ٣٥٠، قال ابن حجر في الكافي الشاف ص ١٤١: الترمذي في النوادر في الحادي والعشرين بعد المئتين... وساق الخبر بإسناده إلى وهب بن منبه، وذَكَر خبراً آخَرَ للدارقطني في غرائب مالك من رواية إسحاق بن وهب الطوسي، عن ابن وهب، عن مالك، عن نافع، عن ابن عمر، يرفعه بنحوه. قال الدارقطني: هذا موضوع، وإسحاق كان يضع الحديث على ابن وهب.اهـ. ولم نقف على الخبر في المطبوع من كتاب نوادر الأصول للحكيم الترمذي.

(٤) الكشاف ٣/ ٣٥١.

وانتصب «نبيًّا» على الحال، وهي حال مقدَّرة، فإن كان إسحاقُ هو الذَّبيحَ، (١) فيظهر كونها مقدَّرة، وإن كان إسماعيلُ هو الذبيحَ(١)، وكانت هذه البشارةُ بولادة إسحاق، فقد جَعَلَ الزمخشريُّ ذلكَ محلَّ سؤالٍ، قال:

فإن قلت: فَرْقٌ بينَ هذا وبينَ قولِهِ: ﴿فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾(٢)[الزمر:٧٣] وذلك أنَّ المدخولَ موجودٌ مع وجودِ الدُّخول، والخلود غيرُ موجودٍ معهما، فَقَدَّرْتَ: مُقدِّرينَ الخلودَ، فكان مستقيماً، وليس كذلك المُبشَّر به؛ فإنَّه معدومٌ وقتَ وجود البشارة، وعَدَم المُبشَّر به أَوجب عدمَ حالِه؛ لأنَّ الحالَ حِلْيَةٌ لا تَقوم إلَّا بالمُحلَّى، وهذا المُبشَّر به الذي هو إسحاق حين وُجِدَ لم تُوجَد النُّبُوَّةُ أيضاً بوجودِه، بل تراخَت عنه مدَّةً طويلة، فكيف يجعل «نبيًّا» حالاً مقدَّرة، والحال صفةٌ للفاعل والمفعول عند وجودِ الفِعْلِ منه أو به، فالخلودُ إن لم يكن صفتَهم عند دخولِ الجنَّة، فتقديرها صفتهم؛ لأنَّ المعنى: مُقَدِّرينَ الخلودَ، وليس كذلك النُّبوَّةُ؛ فإنَّه لا سبيلَ إلى أَنْ تكونَ موجودةً أو مُقَدَّرةً وقتَ وجودِ البشارة بإسحاق؛ لعَدَم إسحاق.

قلت: هذا سؤالٌ دقيقُ السِّلْكِ ضَيِّقُ المَسْلَك، والذي يَحُلُّ الإشكالَ أنَّه لا بُدَّ مِن تقدير مضافٍ محذوف، وذلك قولُه: وبَشَّرْناه بوجودِ إسحاقَ نبيًّا، أي: بأَنْ يُوجَد مُقدَّرةً نبوَّته، فالعامل في الحال الوجودُ لا فِعْلُ البِشارة، وبذلك يَرجعُ نظيرَ قولِه تعالى: ﴿فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾ من الصالحين، حالٌ ثانية، و وُرودها على سبيل الثناءِ والتَّقْرِيظ؛ لأنَّ كلَّ نبيٍّ لا بُدَّ أن يكونَ مِن الصالحين. انتهى.

«وباركنا عليه وعلى إسحاق» أَفَضْنَا عليهما بركاتِ الدِّين والدُّنيا، وبأَنْ أَخرجنا أنبياءَ بني إسرائيل مِن صُلْبه، «ومِن ذُرِّيتهما محسنٌ وظالم» فيه وعيدٌ لليهود، ومَن كان مِن ذُرِّيَّتهما لم يُؤمِن بمحمَّد ﷺ، وفيه دليلٌ على أنَّ البَرَّ قد يَلِدُ الفاجرَ ولا يَلحقه مِن ذلك عَتَبٌ ولا مَنْقَصَةٌ.

(١-١) زيادة من (د٣) و(يه)، ولم ترد في النسخ الأخرى.

(٢) الكشاف ٣/ ٣٥١، وعبارته فيه: ﴿نَبِيًّا﴾ حالٌ مقدَّرة كقوله تعالى: ﴿فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾ فإن قلت... إلى تمام العبارة المذكورة أعلاه.

﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١١٤﴾ وَنَجَّيْنَٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١١٥﴾
وَنَصَرْنَٰهُمْ فَكَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٦﴾ وَءَاتَيْنَٰهُمَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ ﴿١١٧﴾ وَهَدَيْنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ
﴿١١٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١١٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى
ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٢﴾ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ
أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٢٥﴾ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ
﴿١٢٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٢٩﴾ سَلَٰمٌ
عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ
ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ إِذْ نَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٣٥﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿١٣٦﴾
وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِٱلَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾﴾.

الكَرْبُ العظيم: تَعبُّد القِبْط لهم، ثم خَوفهم مِن جيش فرعونَ، ثُمَّ البحر بَعْدَ ذلك، والضمير في «ونصرناهم» عائد على موسى وهارون وقومِهما، وقيل: عائد على موسى وهارون فقط؛ تعظيماً لهما بكناية الجماعة.

و«هُم» يجوز أن يكون فَصْلاً وتوكيداً وبَدَلاً، و«الكتاب المُسْتَبِين» التوراةُ، كما قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾ [المائدة: ٤٤]، و«الصراط المستقيم» هو الإسلام وشَرْعُ اللهِ.

و«إلياس» قال ابنُ مسعود وقتادة: هو إدريس عليه السلام[1]، ونقلوا عن ابنِ مسعود وابنِ وثّاب والأعمش والمنهال بن عَمرو والحكم بنِ عُتَيْبَة الكوفيّ أنّهم قَرَؤوا: «وإنَّ إدريسَ لَمن المرسلين»[2] وهي محمولةٌ عندي على تفسيره؛ لأنَّ المستفيضَ عن ابنِ مسعود أنَّه قَرَأَ «وإنَّ إلياسَ»، وأيضاً تفسيرُه «إلياسَ» بأنَّه «إدريس» لعلَّه لا يَصحُّ عنه[3]؛ لأنَّ إدريسَ في التاريخ المنقول كان قَبْلَ نوح، وفي

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٤٨٣، وقول ابنِ مسعود عند الثعلبي ٥/ ٢٢٧، وقول قتادة عند الطبري ٩/ ٣٨٣ و١٩/ ٦١٢.

(٢) ينظر المحرر الوجيز ٤/ ٤٨٤، والكشاف ٣/ ٣٥٢، وزاد المسير ٧/ ٧٩، وتفسير القرطبي ١٨/ ٨٤، والقراءة في القراءات الشاذة ص ١٢٨، والمحتسب ٢/ ٢٢٤.

(٣) نَقَلَ الثعلبيُّ في التفسير ٥/ ٢٢٧ عن عكرمة ـ بعد أن ذَكَر تفسير ابن مسعود بأنَّ إلياس هو إدريس ـ قولَه: هو في مصحف عبد الله: «وإن إدريس لمن المرسلين»، وقال: ـ أي =

سورة «الأنعام» ذكر «إلياس» وأنَّه مِن ذُرِّيَّة إبراهيم، أو مِن ذُرِّيَّة نوح، على ما يَحتمله قولُه تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ﴾ [الأنعام: ٨٤] وذكرَ في جملة هذه الذُّرِّيَّة «إلياس».

وقيل: «إلياس» من أولادِ هارون، قال الطبريُّ: هو إلياس بنُ ياسين[1] بن فنحاص بن العيزار بن هارون.

وقرأ الجمهور: «وإنَّ إلياسَ» بهمزة قَطْعٍ مكسورة، وقرأ عكرمة والحسنِ ـ بخلافٍ عنهما ـ والأعرج وأبو رجاء وابنُ عامر وابنُ محيصن: بوَصْلِ الألف[2]، فاحتمل أن يكون وَصَلَ همزةَ القَطْع، واحتمل أنْ يكون اسمه: ياساً، ودخلت عليه «أل»

= الثعلبيُّ ـ: وتفرَّد عبد الله وعكرمة بهذا القول. اهـ. وينظر تفسير البغوي ٤/٣٦، والرازي ٢٦/١٦١، وذكر ابنُ عطية في المحرر الوجيز ٤/٤٨٤ عن قراءة ابن مسعود والأعمش أنَّ قطرب هو الذي روى هذه القراءة، والذي في المحتسب ٢/٢٢٥ عن قطرب، عن ابنِ مسعود: «وإنَّ إدراس»، و«سلامٌ على إدراسين»، قال: وجاء عنه: «إدْرَسِين»، وكذلك عن قتادة. وقال: وفي بعض القراءة: «إدْريسين». قال ابنُ جنيّ: أما ما رواه ابنُ مجاهد عن ابن مسعود من: «إدريس» و«إدْراسين» فيجب أن يكون من تحريف العربِ الكَلِمَ الأعجمي؛ لأنه ليس من لغتها، فَتُقِلُّ الحَفْل به... إلى آخر كلامه.

(١) كذا في النسخ الخطية للبحر المحيط ومطبوعه، وكذا في نسخةٍ خطيَّة بهامش تفسير الطبري ١٩/٦١٢، وتفسير الثعلبي ٥/٢٢٧، والكشاف ٣/٣٥٢، وتفسير الرازي ٢٦/١٦١، والذي في المحرر الوجيز ٤/٤٨٣ ـ والكلام منه ـ: إلياس بن نسي، وفي مطبوع تفسير الطبري ١٩/٦١٢: إلياس بن تسبي.
قال ف. عبد الرحيم في الإعلام بأصول الأعلام ص ٤٤-٤٦ بعد أن ذَكَر الأقوالَ في اختلاف اسمه: لم يرد في كتب اليهود شيء في نسبه البتة، قال ابن كثير: هو إلياس النشبي. اهـ. «النشبي» هذا تصحيف: «تشبي» بالتاء المثناة الفوقية، نسبة إلى تشبة وهي موضع، وكذلك يبدو أن: «يسي» في قولِ ابنِ إسحاق: هو إلياس بن يسي. اهـ. تصحيف: «تشبي»، ويكون: «ابن» على هذا التقدير خطأ. اهـ. مع الإشارة إلى أنَّه وقع عند ابن كثير في تفسيره ٤/١٩ (طبعة دار الفكر): إلياس بن نسي، وفي (مطبوع دار طيبة): إلياس بن ياسين، وجاء بهامشه نسخة: شبي، ونسخة أخرى: تبي، بدل: ياسين.

(٢) المحرر الوجيز ٤/٤٨٣-٤٨٤، والكشاف ٣/٣٥٢، وقراءة ابنِ عامر في السبعة ص ٥٤٨، والتيسير ص ١٨٧، والنشر ٢/٣٥٧ وما بعدها، وقراءة عكرمة والحسن وابن محيصن وأبي رجاء في المحتسب ٢/٢٢٣.

كما دخلت على «اليَسَع»[(١)].

وفي حرف أُبَيٍّ ومصحفه: «وإنَّ إيْلِيْسَ» بهمزةٍ مكسورة، بَعدَها ياءٌ ساكنة، بَعْدَها لامٌ مكسورة، بَعْدَها ياءٌ ساكنة وسِيْن مفتوحة[(٢)]، وقُرِئَ: «وإنَّ إدراس»[(٣)] و«إدراس» لغةٌ في «إدريس» كإبراهام في إبراهيم.

«أَتَدْعُونَ بَعْلاً» أي: تعبدونَ بَعْلاً، وهو عَلَم لصَنَم لهم، قاله الضحاك والحسن وابن زيد[(٤)]، قيل: وكان مِن ذَهَبٍ، وطُوله عشرونَ ذِرَاعاً، وله أربعةُ أَوْجُهٍ، فُتِنُوا به وعظَّموه حتى أخدموه أربع مئة سَادِنٍ، وجعلوهم أنبياءَه فكان الشيطانُ يَدخُل في جوفِ بَعْلٍ ويَتكلَّم بشريعةِ الضلالة، والسَّدَنَةُ يحفظونها ويُعلِّمونها الناسَ، وهم أهل بَعْلَبَك مِن بلادِ الشام، وبه سُمِّيت مَدِينتهم: بَعْلَبَك[(٥)].

وقال عكرمة وقتادة: البَعْلُ: الرَّبُّ، بلغة اليمن[(٦)].

وسمع ابنُ عبَّاس رجلاً يَنشُدُ ضالَّة، فقال له رجلٌ: أَنا بَعْلُها. فقال ابنُ عباس: اللهُ أكبرُ أَتدعونَ بَعْلاً[(٧)].

ويقال: مَن بَعْلُ هذه الدار، أي: مَن رَبُّها، والمعنى على هذا: أَتعبدونَ بعضَ البُعُول وتَتْركون عبادةَ اللهِ.

---

(١) ذكر ذلك الفراءُ في كتابه معاني القرآن ٢/ ٣٩٢، وقال: وقرأ بعضهم: «وإنَّ اليَاسَ».

(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٤٨٤، وعزاه لمصحف أُبَي فقط، وأورد القراءةَ أيضاً ابنُ جنِّيّ في المحتسب ٢/ ٢٢٥ ومعها قراءته في الموضع الآخر: «على إيليسين» [الآية: ١٣٠]، وستأتي هذه القراءة في موضعها.

(٣) الكشاف ٣/ ٣٥٢.

(٤) المحرر الوجيز ٤/ ٤٨٤، وأثَر الضحاك وابن زيد عند الطبريّ ١٩/ ٦١٤، وفي النكت والعيون ٥/ ٦٤.

(٥) الكشاف ٣/ ٣٥٢، ونقله عنه الرازي في التفسير ٢٦/ ١٦١، والقرطبيُّ ١٨/ ٨٧، وأصل الخبر عند الثعلبي في عرائس المجالس ص ٢٥٥-٢٦١، وفي تفسيره ٥/ ٢٢٧-٢٣٧ عند ذِكْر قصة إلياس عليه السلام.

(٦) تفسير البغوي ٤/ ٤١، وأخرجه عنهما الطبريُّ ١٩/ ٦١٢-٦١٣، وزاد مجاهداً والسديَّ وغيرهما.

(٧) المحرر الوجيز ٤/ ٤٨٤، وأخرجه عنه الطبريُّ ١٩/ ٦١٣بنحوه.

وقالت فرقة: إنَّ بَعْلاً اسمُ امرأةٍ أتتهم بضلالة فاتَّبعوها[(١)].

وقرئ: «أَتَدْعُونَ بَعْلاءَ» بالمدِّ على وزن حمراء[(٢)]، وتُؤْنِسُ هذه القراءةُ قولَ مَن قال: إنَّه اسمُ امرأةٍ.

وقرأ الكوفيُّون وزيد بنُ عليٍّ: «اللهَ ربَّكم وربَّ آبائِكم» بالنصب في الثلاثة، بدلاً مِن «أحسن»، أو عطفَ بيانٍ إنْ قلنا: إنَّ إضافةَ أفعل التفضيل مَحْضَةٌ، وباقي السبعة بالرَّفع[(٣)]، أي: هو اللهُ، أو يكون استئنافاً مبتدأ، و«ربّكم» خبرُه، ورويَ عن حمزة أنَّه إذا وَصَلَ نَصَبَ، وإذا وَقَفَ رَفَعَ[(٤)].

«فكذبوه» أي: كذَّبه قومُه؛ إمَّا في قوله: «الله ربّكم» هذه النِّسَب، أو «فكذَّبوه» فيما جاءَ به مِن عندِ الله مِن الأمْرِ بالتوحيد وتَركِ الصَّنَم والإيمانِ بما جاءَت به الرُّسل، و«مُحْضَرون» مجموعونَ للعذاب.

«إلَّا عبادَ اللهِ المُخْلَصين» استثناءٌ يدلُّ على أنَّ مِن قومِه مُخْلصين لم يُكذِّبوه، فهو استثناءٌ متَّصل مِن ضمير «فكذبوه»، ولا يجوز أن يكون استثناءً مِن «فإنَّهم لمحضرون» لأنَّهم كانوا يكونون مُندَرِجين فيمَن كذبَ، ويكونون «عبادَ اللهِ المُخلَصين» وذلك لا يُمكن ولا يُناسِب أن يكون استثناءً منقطعاً، إذ يصيرُ المعنى: لكن عباد الله المخلصين مِن غيرِ قومه لايَحضرون للعذاب، ولا مسيسَ لهؤلاء المستثنين بالآية التي فيها قصَّة «إلياس» هذه.

وقرأ زيد بنُ عليّ ونافع وابنُ عامر: «على آلِ ياسين»[(٥)]، وزعموا أنَّ «آل

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٤٨٤ نقلاً عن ابن إسحاق، وأخرجه عنه الطبريُّ ١٩/ ٦١٤، وفي تاريخه ١/ ٤٦١.

(٢) ذكر هذه القراءةَ ابنُ خالويه في القراءات الشاذَّة ص ١٢٨ لكنها رُسمت في مطبوعه هكذا: «ءاتدعون بعلاً» بالمدّ بعضهم. فلعلَّها بمدِّ اللام لا الألف، وتصحَّفت برَسْمها في المطبوع، وينظر الدر المصون ٩/ ٣٢٧، واللباب ١٦/ ٣٤٠.

(٣) ينظر تفسير الثعلبي ٥/ ٢٣٧، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٨٥، وتفسير القرطبي ١٨/ ٨٧، حيث قرأ بالنصب حمزة والكسائي وعاصم ـ في رواية حفص ـ ويعقوب وخَلَف ـ من العشرة ـ وقرأ الباقون بالرفع، السبعة ص ٥٤٩، والتيسير ص ١٨٧، والنشر ٢/ ٣٦٠.

(٤) الكشاف ٣/ ٣٥٢، ونقلها عنه الرازيُّ ٢٦/ ١٦٢، والقرطبيُّ ١٨/ ٨٨.

(٥) وقرأ بها أيضاً يعقوب ـ من العشرة ـ ينظر السبعة ص ٥٤٩، والتيسير ص ١٨٧، والنشر ٢/ ٣٦٠.

ياسين» مفصولةٌ في المصحف، و«ياسين» اسمٌ لإلياس[١]، وقيل: اسمٌ لأبي إلياس؛ لأنَّه: إلياس بنُ ياسين، وآل ياسين هو ابنُه إلياس[٢]، وقيل: «ياسين» هو اسمُ محمَّدٍ ﷺ[٣].

وقرأ باقي السبعة: «على إلْيَاسِيْن» بهمزة مكسورة، أي: إلْيَاسيِّيْن، جَمَعَ المنسوبينَ إلى «إلياس» معه، فسَلَّم عليهم، وهذا يدلُّ على أنَّ مِن قومه مَن كان اتَّبعه على الدِّيْن، فكلُّ واحدٍ ممَّن نُسِبَ إليه كأنَّه إلْيَاسِيّ، فلمَّا جُمعت خُفِّفت ياءُ النَّسب؛ بحَذْفِ إحداهما كراهةَ التضعيفِ، فالتقى ساكنان؛ الياءُ فيه وحرفُ العلَّة الذي للجَمْع، فحُذفَت؛ لالتقائهما، كما قالوا: الأَشْعَرون والأَعْجَمُون والخُبَيْبُون والمُهَلَّبون، وحكى أبو عَمرو أنَّ منادياً نادى يومَ الكُلاب: هَلَكَ اليَزِيْدُون[٤]، وقال الزمخشريُّ: لو كان جَمْعاً؛ لعُرِّف بالألف واللام[٥].

وقرأ أبو رجاء والحسن: «على اليَاسِين» بوَصْلِ الألف[٦]؛ على أنَّه جمعٌ يُراد به «إلياس» وقومُه المؤمنون، وحُذفَت ياءُ النَّسَب، كما قالوا: الأشعرون، والألفُ واللام دخلت على الجَمْع، واسمُه على هذا: ياس.

وقرأ ابنُ مسعود ـ ومَن ذُكرَ معه أنَّه قَرأَ ـ: «إدريس»، «سلامٌ على إِدْرَاسِين»[٧]، وعن قتادة: «وإنَّ إِدْرِيْس»، وقرأ: «على إِدْريسين»[٨]، وقرأ أُبَيّ: «على إيليس»

---

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٤٨٤.
(٢) الكشاف ٣/ ٣٥٢-٣٥٣.
(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٤٨٤، وينظر قولُ السُّهيلي في ذلك في كتابه «التعريف والإعلام» ص١٤٨، وتفسير القرطبي ١٨/ ٩١.
(٤) المحرر الوجيز ٤/ ٤٨٤، والخبر في مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/ ١٧٣، وفيه: ويعني: يزيدَ بن عبد الدار، ويزيدَ بن هَوْبَر، ويزيدَ بن مُخرَّم.
(٥) الكشاف ٣/ ٣٥٢.
(٦) المحرر الوجيز ٤/ ٤٨٤، وتفسير القرطبي ١٨/ ٨٨، والقراءة في المحتسب ٢/ ٢٢٣ دون نسبة، وينظر كلام السُّهيلي في كتابه التعريف والإعلام ص ١٤٨ حول القراءة.
(٧) المحرر الوجيز ٤/ ٤٨٤، وذَكَر أنها أيضاً قراءةُ الأعمش، والقراءة في القراءات الشاذة ص١٢٨، وفي المحتسب ٢/ ٢٢٥، وزاد: يحيى والمنهال بنَ عَمرو والحكم بنَ عُتَيْبة، وسلفت.
(٨) المحتسب ٢/ ٢٢٥، وينظر تفسير القرطبي ١٨/ ٨٨.

كقراءته: «وإنَّ إيليس لمن المرسلين»[١].

«إلَّا عجوزاً» هي امرأةُ لوطٍ، وكانت كافرةً، إمَّا مُسْتَسِرَّةً بكفرها[٢] وإمَّا مُعْلِنَةً، وكان نكاحُ الوثنيَّات عندهم جائزاً.

«مصْبِحين» حال، أي: داخلينَ في الصَّباح.

والخطاب في: «وإنَّكم» لقريش، وكانت متاجرهم إلى الشام على مدائنِ قومِ لوط، «أفلا تعقلون» تعتبرون بما جَرَى على مَن كذَّب الرُّسُلَ.

﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ ۞ فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾ وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔامَنُوا۟ فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٤٨﴾ فَٱسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿١٤٩﴾ أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثًا وَهُمْ شَٰهِدُونَ ﴿١٥٠﴾ أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ أَمْ لَكُمْ سُلْطَٰنٌ مُّبِينٌ ﴿١٥٦﴾ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٥٧﴾﴾.

«يونس» بنُ متَّى مِن بني إسرائيل، ورُوِيَ أنَّه نُبِّئَ وهو ابنُ ثمانٍ وعشرينَ سَنَةً، بَعَثَهُ اللهُ إلى قومه، فَدعَاهُم مَرَّةً، فخالفوه فوَعَدهم بالعذاب فأَعْلَمه اللهُ بيومه، فحدَّده يونسُ لهم، ثمَّ إنَّ قومَه لمَّا رَأَوْا مخايلَ العذابِ قَبْلَ أنْ يُباشِرَهم تَابوا وآمَنُوا، فتابَ اللهُ عليهم وصَرَفَ العذابَ عنهم[٣]، وتقدَّم شَرْحُ قصَّته وأَعَدْنَا طَرفاً منها؛ لبُعْدِ ما بينَ الذِّكْرَيْن.

---

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٤٨٤، والقراءة في المحتسب ٢/ ٢٢٥ لكن هكذا جاءت: «وإنَّ إيليس»، و«على إيليسين»، أي: بزيادة الياء والنون في الثانية، وكذا وردت في الدر المصون ٩/ ٣٢٩، واللباب ١٦/ ٣٤٣، وسلفت عند تفسير الآية (١٢٣).

(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٤٨٥، وفيه: مُتَسَتِّرةً منه عليه السلام. اهـ. واسْتَسَرَّ الأَمْرُ: خَفِي، ومنه قولهم: وَقَفْتُ على مُسْتَسَرِّه. تاج العروس (سرر).

(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٤٨٥، وينظر تفسيرُ القرطبي ١٨/ ٩٣، وخبرُ ابنِ عباس عند الطبري ١٦/ ٣٧٥-٣٧٦.

قيل: ولَحِقَت يونسَ غَضْبَةٌ فأبَقَ إلى ركوب السفينةِ؛ فراراً مِن قومِه، وعبّر عن الهروبِ بالإباق، إذ هو عبدٌ للهِ خَرَجَ فارًّا مِن غيرِ إذْنٍ مِن الله، ورُوي عن ابنِ مسعود أنَّه لما أبْعَدَت السفينةُ في البحر ويُونس فيها، رَكَدَتْ، فقال أهلُها: إنَّ فيها لَمَن يَحْبِسُ اللهُ السفينةَ بسببِه، فَلْنَقْتَرِع. فأخذوا لكلٍّ سهماً على أنّ مَن طَفَا سَهْمُه فهو، ومَن غَرِقَ سهمُه فليس إيَّاه، فطفا سهمُ يونس، فَعَلُوا ذلك ثلاثاً تَقَعُ القُرْعَةُ فيها عليه، فأَزْمَعُوا على أنْ يَطرحُوه، فجاء إلى رُكْنٍ منها لِيَقَعَ منه، فإذا بدابَّة من دوابِّ البحر تَرْقُبُه وتَرْصُد له، فانتقل إلى الرُّكن الآخر، فوجدها، حتى استدارَ بالمركب وهي لا تُفارِقه، فعَلِمَ أنَّ ذلك مِن عندِ اللهِ، فترامى إليها، فالتقمته[١]. ففي قصَّة يونسَ عليه السلام هنا جُمَلٌ محذوفةٌ مقدَّرة قَبْلَ ذِكْرِ فراره إلى الفُلْك، كما في قصَّتِه في سورة «الأنبياء» في قوله: ﴿إِذ ذَّهَبَ مُغَـٰضِبًا﴾ [الآية:٨٧] هو ما بَعْدَ هذا، وقوله: ﴿فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَـٰتِ﴾ [الأنبياء:٨٧] جُمَلٌ محذوفة أيضاً، وبمجموع القَصَصِ يتبيَّن ما حُذفَ في كلِّ قصَّة منها.

«فسَاهَم فكان مِن المُدْحَضِين» مِن المَغْلُوبين، وحقيقته: مِن المُزْلَقِين عن مَقَام الظَّفَر في الاسْتِهام[٢].

وقُرِئ: «وهو مَلِيْم» بفتح الميم[٣]، وقياسه: مَلُوم؛ لأنَّه مِن: لُمْتُه أَلومُهُ لَوماً، فهو مِن ذوات الواو، ولكنَّه جِيْءَ به على: لِيْمَ، كما قالوا: مَشِيْب ومَدْعِيّ، في: مَشُوب ومَدْعُوّ؛ بناءً على شِيْبَ ودُعِي[٤].

«مِن المُسَبِّحين» مِن الذاكرينَ اللهَ تعالى بالتسبيح والتقديس، والظاهر أنَّه يُريد ما ذكرَ في قوله في سورة «الأنبياء»: ﴿أَن لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَـٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [الآية: ٨٧]. وقال ابنُ جبير: هو قوله: سبحانَ الله[٥]. وقالت فرقة:

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٤٨٥، وينظر تفسير الثعلبي ٥/ ٢٣٩، وعرائس المجالس ص٤١٢-٤١٣.
(٢) ينظر الكشاف ٣/ ٣٥٣، والاسْتِهام مِن: استهموا، أي: اقْتَرَعُوا. مختار الصحاح (سهم).
(٣) الكشاف ٣/ ٣٥٣.
(٤) المصدر السابق.
(٥) أخرجه الطبريُّ ١٩/ ١٠٠.

تسبيحُه صلاةُ التطوع، فقال ابنُ عباس وقتادة وأبو العالية: صلاتُه في وقت الرَّخاء نَفَعَتْهُ في وقت الشِّدَّة[١].

وقال الضحاك بنُ قيس على منبره: اذْكُروا اللهَ في الرَّخاء يَذْكُرْكُم في وقت الشِّدَّة، إنَّ يُونس كان عبداً ذاكراً، فلمَّا أصابته الشِّدَّةُ نَفَعهُ ذلكَ، قال اللهُ عزَّ وجلَّ: «فلولا أنَّه كان مِن المُسبحين لَلَبِثَ في بطنِه إلى يوم يبعثون»[٢].

وقال الحسن: تسبيحُه صلاتُه في بطن الحوت[٣]. ورُويَ أنَّه كان يَرْفَعُ لحمَ الحوتِ بيدَيْه، يقول: لأَبْنِيَنَّ لكَ مسجداً حيث لم يَبْنِهِ أَحَدٌ قَبْلِي[٤].

ورُويَ أنَّ الحوتَ مشى به البحار كلَّها حتى قَذَفَهُ في نَصِيْبِيْن مِن ناحية المَوْصِل[٥].

ورُويَ أنَّ الحوتَ سافَرَ مع السفينة رافعاً رأسَه يتنفَّس ويُونس يُسبِّح، ولم يُفارِقْهم حتى انْتَهَوا إلى البرِّ، فلفَظَهُ سالماً لم يتغيَّر منه شيءٌ، فأسلموا[٦].

والظاهر أنَّ قولَه: «لَلَبِثَ في بطنِه» يريد حيًّا إلى يوم البعث، وعن قتادة: لكان بَطْنُ الحوتِ له قبراً إلى يومِ القيامة[٧].

وذكروا في مدَّة لُبْثِه في بطنِ الحوت أقوالاً مُتَكاذِبَةً، ضَرَبْنا عن ذِكْرِها صَفْحاً[٨].

---

(١) المحرر الوجيز ٤/٤٨٦، وما بعده منه أيضاً، وتنظر الآثار عند الطبريّ ١٩/٦٢٨-٦٢٩.
(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (٣٤٧٩٤)، والطبريُّ ١٩/ ٦٣٠.
(٣) المحرر الوجيز ٤/٤٨٦، وأخرجه الطبريُّ ١٩/ ٦٣٠.
(٤) المحرر الوجيز ٤/٤٨٦، وأورد الخبر أيضاً الثعلبي في تفسيره الكشف والبيان ٤/ ٢٦٨ عن عوفٍ عمَّن بَلَّغَهُ، مختصراً، وأخرجه عنه الطبريُّ ١٦/ ٣٨٠.
(٥) المحرر الوجيز ٤/٤٨٦، والخبر عند ابن أبي حاتم في التفسير ١٠/ ٣٢٣٠ عن سعيد بن جبير بنحوه، وينظر الكشاف ٣/ ٣٥٣، والقرطبي ١٨/ ١٠١.
(٦) الكشاف ٣/ ٣٥٣، ونقله عنه القرطبيُّ ١٨/٩٦.
(٧) الكشاف ٣/ ٣٥٣، وأخرجه عنه الطبريُّ ١٩/ ٦٣١.
(٨) تنظر هذه الأقوال في عرائس المجالس ص ٤١٣، والكشاف ٣/ ٣٥٣، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٨٦، وتفسير البغوي ٤/ ٤٣، وزاد المسير ٧/ ٨٨، والقرطبي ١٨/ ٩٥.

«وهو سقيم» رُويَ أنَّه عَادَ بَدَنُه كَبَدنِ الصَّبِيِّ حين يُولَد، قاله ابنُ عباس والسُّدِّيُّ[١].

وقال ابنُ عباس وأبو هريرة وعمرو بنُ ميمون: اليَقْطِينُ القَرْعُ خاصَّة[٢]، قيل: وهي كانت التي أنبتها اللهُ عليه وتَجمَعُ خصالاً؛ بَرْدَ الظِّلِّ، والمَلْمَس، وعِظَمَ الوَرَق، وأنَّ الذُّباب لا يَقْرَبُها، قيل: وماءُ وَرَقهِ إذا رُشَّ به مكانٌ لم يَقْرَبْهُ ذبابٌ، وقال أُمَيَّة بنُ أبي الصَّلْت:

فأَنبت يقطيناً عليهِ برحمةٍ مِن اللهِ لولا اللهُ أُلْفي ضاحيا[٣]

وفيما رُويَ: إنَّك لَتُحِبُّ القَرْعَ؟ قال: «أَجَل هي شَجَرة أخي يونس»[٤].

وقيل: هي شجرةُ الموز، تَغَطَّى بوَرَقها، واستظلَّ بأغصانها، وأفطر على ثمارِها[٥].

ومعنى: «أنبتنا عليه شَجَرة» أي: أَنبتناها مظلَّة له، كما يُطنَّبُ البيتُ على الإنسان[٦]، وقوله: «شجرة» والشجرة في كلام العرب ما كان على سَاقٍ من عُودٍ، فيحتمل أن يكون اللهُ أنبتها ذات ساقٍ يَستظلُّ بوَرَقها، خرقاً للعادة، فَنَبتَ وصحَّ وحَسُنَ وَجْهه؛ لأنَّ وَرَقَ القَرْعِ أنفعُ شيء لمن يَتَسلَّخ جِلْده[٧].

«وأرسلناهُ إلى مئةِ ألفٍ أو يزيدون» قال الجمهور: رسالته هذه هي الأُولى التي أَبَقَ بَعْدَها، ذَكَرها آخِرَ القصصِ؛ تنبيهاً على رسالته، ويدلُّ عليه: «فآمَنُوا فمتَّعناهم»

(١) الكشاف ٣/ ٣٥٣ دون عزوٍ، وأورده عن السُّدِّيّ الماورديُّ في النكت والعيون ٥/ ٦٨، وأخرجه عنهما الطبريُّ ١٩/ ٦٣٢.
(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٤٨٧، وتنظر الآثار عند الطبريّ ١٩/ ٦٣٣-٦٣٥.
(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٤٨٧، والبيت في صلة ديوان أمية بن أبي الصلت ص ١٩٦، وأُلفي: وُجِدَ، والضاحي: المُعرَّض للشمس.
(٤) الكشاف ٣/ ٣٥٣، وأورده أيضاً الغزاليُّ في الإحياء ٢/ ٣٧١، والقرطبيُّ ١٨/ ١٠٤، ولم نقف عليه مسنداً، وكذا قال ابنُ حجر في الكافي الشاف ص ١٤١.
(٥) الكشاف ٣/ ٣٥٣.
(٦) المصدر السابق، والطُّنُب: الحبل تُشَدُّ به الخيمة ونحوها، والجمع: أطناب. المصباح المنير (طنب).
(٧) المحرر الوجيز ٤/ ٤٨٧.

وتَمتيعُ تلك الأُمَّة هو الذي أغْضَبَ يُونسَ عليه السلام حتى أبَقَ.

وقال ابنُ عباس وقتادة: هي رسالةٌ أُخرى بَعْدَ أنْ نُبِذَ بالعَرَاء، وهي إلى أهل نِيْنَوى مِن ناحية الموصل(١).

وقال الزمخشريُّ: المراد به ما سبق مِن إرساله إلى قومه، وهم أهل نِيْنَوى، وقيل: هو إرسالٌ ثانٍ بَعْدَ ما جَرَى إليه إلى الأوَّلين أو إلى غيرهم، وقيل: أسلموا فسَأَلُوه أنْ يَرْجعَ إليهم، فأَبَى؛ لأنَّ النَّبِيَّ إذا هَاجَر عن قومِه لم يَرجع إليهم مقيماً فيهم، وقال لهم: إنَّ اللهَ باعثٌ إليكم نبيًّا.

وقرأ الجمهور: «أو» قال ابنُ عباس بمعنى «بل»، وقيل: بمعنى الواو، وبالواو قَرَأَ جعفر بن محمد(٢)، وقيل: للإبهام على المخاطَب. وقال المُبرِّد وكثيرٌ مِن البَصْريِّين: المعنى: على نَظَر البَشَر وحَزْرِهم أنَّ مَن رآهم قال: هم مئةُ ألفٍ أو يَزيدون(٣).

وهذا القول لم يَذكُر الزمخشريُّ غيرَه، قال: «أو يزيدون» في مَرْأَى النَّاظِر، إذا رَآها الرَّائي قال: هي مئةُ ألفٍ أو أكثر، والغَرَض الوَصْفُ بالكَثرة(٤).

والزيادة ثلاثونَ ألفاً، قاله ابنُ عباس، أو سبعونَ ألفاً، قاله ابنُ جبير، أو عشرونَ ألفاً، رواه أُبَيّ عن النبيِّ ﷺ، وإذا صحَّ بَطَلَ ما سواه(٥).

«فآمَنوا» رُويَ أنَّهم خَرجوا بالأطفال والأولاد والبهائم، وفرَّقوا بينها وبين الأمَّهات، وناحُوا وضَجُّوا وأَخْلَصوا، فرَفَع اللهُ عنهم(٦).

---

(١) المصدر السابق، وأثر ابن عباس وقتادة عند الطبريّ ١٩/ ٦٣٨-٦٣٩.

(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٤٨٧، وأثر ابن عباس عند الطبريّ ١٩/ ٦٣٧، ولفظه عنده: بل يزيدون، كانوا مئة ألف وثلاثين ألفاً. وستأتي الأقوال في هذه الزيادة قريباً، وقراءة جعفر بن محمد في المحتسب ٢/ ٢٢٦، وأورد القراءةَ أيضاً ابنُ الجوزي في زاد المسير ٧/ ٨٩ وعزاها لأُبَيّ ومعاذ وأبي المتوكِّل وأبي عمران الجواني.

(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٤٨٨.

(٤) الكشاف ٣/ ٣٥٤.

(٥) ينظر زاد المسير ٧/ ٩٠، وتفسير الثعلبي ٥/ ٢٤٠، وتنظر الآثار عند الطبري ١٩/ ٦٣٧، والحديث المرفوع عند الترمذي (٣٢٢٩)، وقال: هذا حديث غريب.

(٦) المحرر الوجيز ٤/ ٤٨٨.

والتمتيع هنا هو بالحياة، والحِيْن آجالُهم السابقة في الأَزَل، قاله قتادة والسُّدِّيُّ[١].

والضمير في «فاسْتَفْتِهم» لقريش كما في قولِ أوَّلَ السورة: «فاسْتَفْتِهم» [الآية:١١]، وقال الزمخشريُّ: «فاستفتهم» معطوف على مِثْلِه في أوَّل السورةِ، وإن تباعَدَت بينهما المسافةُ، أَمَرَ رسولَه باستفتاءِ قريشٍ عن وَجْهِ إنكارِ البعث أوَّلاً، ثم سَاقَ الكلامَ موصولاً بعضُه ببعضٍ، ثمَّ أَمَرَ باستفتائِهم عن وَجْهِ القِسْمَة الضِّيْزَى[٢]. انتهى.

ويَبعُد ما قاله مِن العطف، وإذا كانوا قد عَدُّوا الفَصْلَ بجملةٍ مِثْل قولك: كُلْ لحماً واضْرِب زيداً وخُبْزاً، مِن أَقْبَح التركيب، فكيف بجُمَل كثيرةٍ وقصصٍ مُتَباينة، فالقولُ بالعطف لا يَجوز[٣].

والاستفتاءُ هنا سؤالٌ على جهة التوبيخ والتَّقْريع على قولِهم البُهتان على اللهِ؛ حيث جَعَلوا للهِ الإناثَ في قولهم: الملائكةُ بناتُ الله، مع كراهتهم لهنَّ، وَوَأْدِهِم إيَّاهنَّ، واستنكافِهم مِن ذِكْرهنَّ، وارتكبوا ثلاثةَ أنواعٍ مِن الكُفر؛ التَّجْسِيم؛ لأنَّ الوِلادة مُختصَّة بالأجسام، وتَفْضِيل أنفسِهم، حيث جَعَلوا أَرْفَعَ الجِنْسَيْن لهم، وغيرَه للهِ تعالى، واستهانتِهم بمَن هو مُكرَّم عندَ اللهِ، حيث أَنَّثوهم وهم الملائكة.

بَدَأَ أوَّلاً بتوبيخِهم على تَفْضيل أنفسِهم بقوله: «أَلِرَبِّكَ البناتُ»، وعَدَل عن قوله: أَلربِّكم؛ لِمَا في تَرْك الإضافة إليهم مِن تَخْسِيسِهم وشَرَفِ نبيِّه بالإضافة إليه، وثنَّى بأَنَّ نسبةَ الأُنوثة إلى الملائكة تقتضي المشاهدة، فأَنكرَ عليهم بقوله: «أَمْ خَلَقْنا الملائكةَ إناثاً وهم شَاهِدُون» أي: خَلَقْناهم وهُم لا يَشهدونَ شيئاً مِن حالهم، كما قال في الأُخرى: ﴿أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ﴾ [الزخرف:١٩] وكما قال: ﴿مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ﴾ [الكهف:٥١] ثمَّ أخبر عنهم ثالثاً بأعظمِ الكُفْر،

(١) المصدر السابق، وأخرجه عنهما الطبريُّ ١٩/ ٦٤٠.
(٢) الكشاف ٣/ ٣٥٤، وقِسْمَة ضِيزَى: جائرة. مختار الصحاح (ضاز).
(٣) ينظر ما قاله السمينُ الحلبيُّ في الدر المصون ٩/ ٣٣٢-٣٣٣ حول كلام المصنِّف هنا.

وهو ادِّعاؤهم أنَّه تعالى قَدْ وَلَدَ، فبَلَغَ إِفْكُهم إلى نسبةِ الوَلَد، ولمَّا كان هذا أفحش قال: «وإنَّهم لكاذبون»، واحتمل أَنْ تخصَّ هذه الجملة بقولهم: «وَلَد الله»، ويكون تأكيداً لقوله: «مِن إفْكِهم»، واحتمل أَنْ يَعُمَّ هذا القولَ ونسبة الأُنوثة للملائكة وكونهم بنات الله «وإنَّهم لكاذبون».

وقال الزمخشريُّ: فإن قلت: لِمَ قال: «وهم شاهدونَ» فخصَّ عِلْمَ المشاهَدة؟

قلت: ما هو إلَّا استهزاءٌ بهم وتجهيلٌ، كقوله: ﴿أَشَهِدُواْ خَلْقَهُمْۚ﴾ [الزخرف:١٩] وذلك أنَّهم كما لم يَعلموا ذلك بطريق المشاهَدة، لم يَعلمُوه بخَلْقِ اللهِ عِلْمَه في قلوبهم، ولا بإخبار صادقٍ، ولا بطريقِ استدلالٍ ولا نَظَرٍ، ويجوز أَنْ يكون المعنى: أنَّهم يقولونَ ذلك، كالقائل قولاً عن ثَلجِ صَدْرٍ وطُمأنينة نَفْسٍ لإفراط جَهْلهم، كأنَّهم قد شاهدوا خَلْقَه، وقُرئَ: «وَلَدُ اللهِ» أي: الملائكةُ وَلَدُه، والوَلَدُ فَعَل بمعنى مَفْعُول يَقَعُ على الواحد والجَمْع، والمُذَكَّر والمُؤنَّث، تقول: هذه وَلَدي، وهؤلاء وَلَدي[١]. انتهى.

وقرأ الجمهور: «أَصْطَفَى» بهمزة الاستفهام على طريقةِ الإنكار والاستبعاد، وقرأ نافع في رواية إسماعيل، وابن جَمَّاز وجماعة، وإسماعيل عن أبي جعفر، وشيبة: بوَصْلِ الألف[٢]، وهو مِن كلام الكفَّار، حكى تعالى شنيعَ قولهم، وهو أنَّهم ما كَفَاهم أنْ قالوا: «وَلَد الله» حتى جَعَلوا ذلكَ الولدَ بناتٍ، وأنَّه تعالى اختارهم على البَنِيْن.

وقال الزمخشريُّ: بدلاً عن قولهم: «وَلَد الله»، وقد قَرَأ بها حمزة والأعمش[٣]، وهذه القراءة وإن كان هذا مَحْمَلها، فهي ضعيفةٌ، والذي أَضْعَفَها أَنَّ الإنكارَ قد اكْتَنَفَ هذه الجملة مِن جانِبَيْها، وذلك قوله: «وإنَّهم لكاذبون»، «ما لكم

(١) الكشاف ٣/ ٣٥٤.

(٢) ينظر تفسير الثعلبي ٥/ ٢٤٠، والمحرر الوجيز ٤/٤٨٨، وتفسير القرطبي ١٨/١٠٩، وقراءة نافع ـ وهي غير المشهورة عنه ـ وأبي جعفر في السبعة ص ٥٤٩، وقراءة أبي جعفر أيضاً في النشر ٢/ ٣٦٠، وقرأ بها في رواية = حمزة، وهي في إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٤٤، وستأتي ضمن كلام الزمخشري الآتي.

(٣) ينظر التعليق السابق.

كيف تَحكمون» فمَن جَعَلها للإثبات فقد أوقعها دخيلةً بين نَسِيبَيْن[(١)]، وليست دخيلةً بين نَسِيبين، بل لها مناسَبةٌ ظاهِرةٌ مع قولهم: «وَلَد الله».

وأمَّا قوله: «وإنَّهم لكاذبون» فهي جملةُ اعتراضٍ بين مقالَتي الكَفَرة، جاءت للتشديد والتأكيد في كونِ مقالتهم تلك هي مِن إفْكِهم.

«ما لكم كيف تحكمون» تقرير وتوبيخٌ واستفهام عن البُرهان والحُجَّة.

وقرأ طلحة بنُ مُصرِّف: «تَذْكُرونَ» بسكونِ الذَّال وضمِّ الكاف[(٢)].

«أَمْ لكم سُلْطان مبين» أي: حُجَّة نَزَلت عليكم مِن السماء وخَبَر بأنَّ الملائكةَ بناتُ اللهِ، «فَأْتُوا بكتابِكم» الذي أُنزل عليكم بذلك، كقوله: ﴿أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا۟ بِهِۦ يُشْرِكُونَ﴾ [الروم: ٣٥].

﴿وَجَعَلُوا۟ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا ۚ وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٠﴾ فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾ وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾ وَإِن كَانُوا۟ لَيَقُولُونَ ﴿١٦٧﴾ لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦٨﴾ لَكُنَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٩﴾ فَكَفَرُوا۟ بِهِۦ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٧٠﴾ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٤﴾ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٥﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٧﴾ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٨﴾ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٩﴾ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾.

الظاهر أنَّ الجِنَّةَ هم الشياطين، وعن الكفار في ذلك مَقالات شَنيعة؛ منها أنَّه تعالى صَاهَرَ سرواتِ الجنِّ، فوَلَد فيهم الملائكة، وهم فرقة مِن بني مُدْلج، وشافَهَ بذلك بعضُ الكفار أبا بكر الصِّدِّيق[(٣)].

---

(١) الكشاف ٣/ ٣٥٥.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٤٨٨، وعزا الخبر لمجاهد، وكذا نسبه الماورديُّ في النكت والعيون ٥/ ٧١، وأخرجه عنه الطبريُّ ١٩/ ٦٤٥، والبيهقي في الشعب (١٤١).

«ولقد عَلمت الجِنَّة» أي: الشياطين، أنَّها مُحضَرة أَمْرَ اللهِ مِن ثوابٍ وعقاب، قاله ابنُ عطيَّة[١].

وقال الزمخشريُّ: إذا فُسِّرت الجِنَّة بالشياطين؛ فيجوز أَنْ يكون الضمير في «إنَّهم لمحضرون» لهم، والمعنى أنَّ الشياطينَ عالمونَ أنَّ الله يُحْضِرهم النارَ ويُعذِّبهم، ولو كانوا مناسبين له أو شركاء في وجوبِ الطاعة لَمَا عذَّبهم[٢].

وقيل: الضمير في «وجعلوا» لفرقة مِن كُفَّار قريش والعربِ، و«الجِنَّةُ»: الملائكةُ، سُمُّوا بذلك؛ لاجْتِنَانهم وخَفَائِهم.

وقال الزمخشريُّ: وإنَّما ذَكَرهم بهذا الاسم وَضْعاً منهم وتقصيراً بهم وإن كانوا معظمين في أنفسِهم أَنْ يَبلغوا منزلةَ المناسبة التي أضافوها إليهم، وفيه إشارة إلى أنَّ مَن صفته الاجْتِنانَ والاسْتِتار ـ وهو مِن صفات الأجرام ـ لا يَصْلُح أَنْ يناسب مَن لا يَجوز عليه ذلك[٣]. انتهى.

«ولقد عَلمت الجِنَّة» أي: الملائكة «إنَّهم» أي: الكفرة المُدَّعين نسبةً بين الملائكة وبينَ الله تعالى «لمحضرون» النارَ، مُعذَّبون بما يَقولون، وأُضيف ذلك إلى عِلْم مَن نُسبوا لذلك؛ مبالغةً في تكذيب النَّاسِبين.

ثم نَزَّهَ تعالى نفسَه عن الوصف الذي لا يَليق به «إلَّا عبادَ اللهِ» استثناءٌ منقطع، قالوا: إمَّا من «يَصِفون» أي: «إلا عبادَ الله» فإنَّهم يَصفونه بصفاتِه العُلَا، وإمَّا مِن «لَمحضرون» أي: إلَّا عبادَ اللهِ فإنَّهم ناجُونَ مِن العذاب، وتكون جملةُ التنزيه اعتراضاً، وعلى كلا القولَيْن فالاستثناءُ منقطع.

والظاهر أنَّ الواوَ في «وما تعبدون» للعطف، عطفت «ما تعبدون» على الضمير في: إنَّكم، وأنَّ الضميرَ في «عليه» عائد على «ما»، والمعنى: قُلْ لهم يا محمَّد: إنَّكم وما تعبدونَ مِن الأصنام «ما أنتم» وهم، وغلبَ الخطابُ، كما تقول: أنتَ وزيدٌ تَخرجان، «عليه» أي: على عبادةِ معبودِكم «بفاتنين» أي: بحامِلين بالفتنة على

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٤٨٨.
(٢) الكشاف ٣/ ٣٥٥.
(٣) المصدر السابق.

عبادته إلَّا مَن قَدَّرَ اللهُ في سابقِ عِلْمه أنَّه مِن أهلِ النار، فالضمير في «عليه» عائدٌ على «ما» على حَذْف مضاف، كما قلنا، أي: على عبادته ـ وضُمِّن: فاتِنين، على معنى: حاملين بالفتنة، و«مَن» مفعول «بفاتنين»، فرغَ له العامل إذ لم يأخذ «بفاتنين» مفعولاً.

وقيل: «عليه» بمعنى «به»، أي: ما أنتم بالذي تَعبدونَ بفاتنين، و«به» متعلِّق «بفاتنين»، المعنى: ما أنتم بفاتنين بذلك الذي عَبَدْتُموه إلَّا مَن سَبَقَ عليه القَدَر أنَّه يَصْلَى النَّار.

وجَعَل الزمخشريُّ الضميرَ في «عليه» عائداً على «الله»، قال: فإنْ قلتَ: كيف يَفتنونَهم على الله؟

قلتُ: يُفسِدونهم عليه بإغوائهم واستهوائهم، مِن قولك: فَتَنَ فُلانٌ على فلانٍ امرأتَه، كما تقول: أَفْسَدَها عليه وخَبَّبها[1] عليه، ويجوز أَنْ تكون الواو في «وما تعبدون» بمعنى «مع» مِثْلُها في قولهم: كلُّ رجلٍ وضَيْعَته، فكما جاز السكوت على: كلّ رجلٍ وضيعته، جاز أَنْ يُسكَت على قوله: «فإنَّكم وما تعبدونَ»؛ لأنَّ قولَه: «وما تعبدون» سادٌّ مَسَدَّ الخبر؛ لأنَّ معناه: فإنَّكم مع ما تعبدون، والمعنى: فإنَّكم مع آلهتِكم، أي: فإنَّكم قرناؤهم وأصحابُهم لا تَبرحون تعبدونها، ثمَّ قال: «ما أنتم عليه» أي: على ما تعبدون «بفاتنين» بباعِثين أو حامِلين على طريق الفتنة والإضلال «إلَّا مَن هو» ضَالٌّ منكم[2]. انتهى.

وكونُ الواوِ في «وما تعبدون» واو «مع» غيرُ متبادِرٍ إلى الذِّهْنِ، وقَطْعُ «ما أَنتم عليه بفاتنين» عن «إنَّكم وما تعبدونَ» ليس بجيِّد؛ لأنَّ اتِّصاله به هو السَّابِقُ إلى الفَهْم مع صحَّة المعنى، فلا ينبغي العدولُ عنه.

وقرأ الحسن وابنُ أبي عبلة: «صالو الجحيم» بالواو، وهكذا في كتاب «الكامل» للهُذَليّ، وفي كتاب ابنِ خالويه عنهما: «صَالُ» مكتوباً بغيرِ واو، وفي كتاب ابنِ عطية: وقرأ الحسن «صالو» مكتوباً بالواو، وفي كتاب «اللوامح» وكتاب

---

(١) التخبيب: إفسادُ الرجلِ عبداً أو أَمَةً لغيره، يقال: خَبَّبَها فأفسدها. اللسان (خبب).
(٢) الكشاف ٣/ ٣٥٥.

الزمخشريّ عن الحسن: «صالُ» مكتوباً بغير واو[١].

فمَن أثبت الواوَ فهو جَمْعُ سلامة، سقطت النون للإضافة، حمل أوّلاً على لفظِ «مَن» فأفرد، ثم ثانياً على معناها فجمعَ، كقوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة:٨] حمل في «يقول» على لفظ «مَن»، وفي «وما هم» على المعنى، واجتمع الحَمْلُ على اللفظ والمعنى في جملةٍ واحدة وهي صلةٌ للموصول، كقوله: ﴿إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ﴾[٢][البقرة:١١١] وقول الشاعر:

وأَيْـقَـظَ مَـن كـان مـنـكـم نـيـامًـا[٣]

ومَن لم يُثبِت الواوَ احتمل أن يكون جَمْعاً وحُذفت الواو خطًّا، كما حذفت في حالة الوَصْل لفظاً؛ لأجل التقاءِ الساكنين، واحتمل أن يكون «صال» مُفرَداً حُذفت لامُهُ تخفيفاً، وجَرَى الإعرابُ في عينِه، كما حذف مِن قوله: ﴿وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾ [الرحمن:٥٤] ﴿وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ﴾ [الرحمن:٢٤] برفع النون[٤] و«الجوارُ»[٥]، وقالوا: ما بَاليتُ به بالة، أي: بَالِيَة، كعَافِيَة مِن عافى، فحذفت لام بالية، وقالوا: بَالة، وبَالَ بحَذْف اللام فيهما[٦].

وقال الزمخشريُّ، وقد وَجَّه نحواً مِن الوَجْهين السابِقَين وجَعَلهما أوّلاً وثالثاً، فقال: والثاني: أنْ يكون أَصْلُه: صائلٌ، على القَلْب، ثمَّ يُقال صالٌ في صائل، كقولهم: شاك في شائك[٧]. انتهى.

---

(١) القراءات الشاذة لابن خالويه ص ١٢٨، والمحرر الوجيز ٤/٤٨٩، والكشاف ٣/٣٥٦.
(٢) يعني: فأفرد في «كان»، وجمع في «هوداً». الدر المصون ٩/٣٣٧.
(٣) لم نقف على تمامه ولا على قائله، وسلف.
(٤) أي: من قوله تعالى: ﴿دَانٍ﴾، ولم نقف على من قرأ بها، وأوردها الزمخشريُّ في الكشاف ٣/٣٥٦، والقرطبيُّ ١٨/١١٣ دون نسبة.
(٥) وهي قراءة الحسن وعبد الوارث عن أبي عمرو. القراءات الشاذة ص ٤٣ و١٤٩.
(٦) الكشاف ٣/٣٥٦، وما بعده منه أيضاً، وينظر المنصف لابن جنّي ٢/٢٣٦-٢٣٨، والخصائص ٣/ ٧١-٧٢.
(٧) الكشاف ٣/٣٥٦.

«وما منَّا» أي: أَحَدٌ «إلَّا له مقامٌ معلوم» أي: مقام في العبادة والانتهاء إلى أَمْرِ الله، مَقْصُورٌ عليه لا يَتجاوزه، كما رُوِيَ: فمنهم راكعٌ لا يُقيم ظَهْرَه، وساجدٌ لا يَرفَعُ رأسَه[1]، وهذا قولُ الملائكة، وهو يُقوِّي قولَ مَن جَعَلَ الجِنَّة هم الملائكة تَبَرُّؤًا عن ما نَسَبَ إليهم الكفرةُ مِن كونهم بنات اللهِ، وأخبروا عن حالِ عبوديتهم وعلى أيِّ حالة هم فيها، وفي الحديث: «إنَّ السماءَ ما فيها مَوْضِعُ [قَدَم] إلَّا وفيه مَلَكٌ ساجدٌ أو واقفٌ يُصلِّي»[2]، وعن ابنِ مسعود: «مَوْضِعُ شبرٍ إلَّا وعليه جبهةُ مَلَكٍ أو قَدَمَاهُ»[3].

وحذف المبتدأ مع «مِن» جيِّد فَصيح، كما مرَّ في قوله: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ﴾ [النساء:١٥٩] أي: وإنْ مِن أهلِ الكتاب أَحَدٌ، وقالت العرب: منَّا ظَعَنَ ومنَّا أقام، تريد: منَّا فريقٌ ظَعَنَ، ومنَّا فريقٌ أقام.

وقال الزمخشريُّ: «وما مِنَّا أَحَدٌ إلَّا له مقامٌ معلوم» حَذَفَ الموصوفَ وأقام الصفَةَ مَقامَهُ، كقوله:

أَنَا ابنُ جَلَا وطَلَّاعِ الثَّنَايا[4]

... بِكَفِّي كانَ مِن أَرْمَى البَشَرِ[5]

انتهى. وليس هذا مِن حذف الموصوف وإقامةِ الصفة مقامه؛ لأنَّ أحدًا المحذوفَ مُبتدأٌ، و«إلَّا له» خبرُه، ولأنَّه لا يَنعقد كلامٌ مِن قوله: وما مِنَّا أَحَدٌ،

(١) المصدر السابق.

(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٤٨٩، وما بين حاصرتين لم يرد في النسخ، واستدرك منه ومن مصادر التخريج، والحديث عند الطبري في التفسير ١٩/ ٦٥١، والمروزي في تعظيم قدر الصلاة (٢٥٣)، وأبي الشيخ في العظمة (٥١٠) من حديث عائشة ﵂.

(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٤٨٩، والحديث عند عبد الرزاق في التفسير ٢/ ١٥٨، والمروزي في تعظيم قدر الصلاة (٢٥٤)، والطبراني في الكبير (١٥٩)، قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/ ٩٨: رواه الطبراني عن شيخه عبد الله بن محمد بن سعيد بن أبي مريم، وهو ضعيف.

(٤) الكشاف ٣/ ٣٥٦، وصدر البيت لسُحَيم بن وَثيل، وعجزه:

متى أَضَعُ العمامةَ تعرفوني

وسلف في تفسير سورة التوبة عند تفسير الآية (١٠١).

(٥) الكشاف ٣/ ٣٥٦، وسلف في الموضع الآنف الذكر.

فقوله: «إلَّا له مقامٌ معلوم»، وهو محطُّ الفائدة، وإنْ تُخُيِّلَ أنَّ «إلَّا له مقامٌ معلوم» في موضع الصفة، فقد نَصُّوا على أنَّ «إلَّا» لا تكون صفةً إذا حذفَ موصوفها، وأنَّها فارقت: غيراً، إذا كانت صفةً في ذلك؛ لتمكُّن «غير» في الوصف، وقلَّة تمكُّن «إلَّا» فيه، وجَعَل ذلكَ كقوله: أَنَا ابنُ جَلَا، أي: ابنُ رجلٍ جَلَا. و: بكفي كان، أي: رجل كان، وهذا عند النحويين مِن أقبح الضَّرَائر؛ حيث حذف الموصوفَ وأقام الجملةَ مقامَه، ولم يتقدَّمْه «مِن».

«وإنَّا لنحنُ الصَّافُّون» أي: أقدامَنا في الصلاة، أو: أجنحتَنا في الهواء، أو حول العرش دَاعِينَ للمؤمنين.

وقال الزهراويُّ: قيل: إنَّ المسلمينَ إنَّما اصْطَفُّوا في الصلاة منذ نَزَلت هذه الآيةُ، ولا يَصطفُّ أحدٌ مِن المِلل غير المسلمين[1].

«وإنَّا لنحنُ المُسبِّحون» أي: المنزِّهون اللهَ عن ما نَسبَ إليه الكفرةُ، أو المنزِّهوه بلفظ التسبيح، أو المُصَلُّون، وينبغي أنْ يُجعَل قوله: «سبحان الله عمَّا يصفون» مِن كلام الملائكة فتَطَّرِد الجُمَل وتَنساقُ لقائلٍ واحد، فكأنَّه قيل: ولقد عَلمت الملائكةُ أنَّ ناسِبي ذلك محضرونَ للعذاب، وقالوا: سبحانَ اللهِ، فنزَّهوه عن ذلك، واستَثنوا مَن أَخْلَصَ مِن عبادِ الله، وقالوا للكفرة: فإنَّكم وآلهتَكم إلى آخِرِه، وكيف نكون مناسِبيْه ونحن عبيدٌ بين يديه، لكلٍّ مِنَّا مقامٌ مِن الطاعة، إلى ما وَصَفوا به أنفسَهم مِن رُتَبِ العبوديَّة.

وقيل: «وما مِنَّا إلَّا له مقامٌ معلوم» هو مِن قولِ رسول الله ﷺ، أي: وما مِن المرسلينَ أَحَدٌ «إلَّا له مقامٌ معلومٌ» يومَ القيامة على قَدْرِ عَمَلِه مِن قوله تعالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ [الإسراء:٧٩]، ثم ذَكَر أعمالَهم وأنَّهم المُصْطَفُّون في الصلاة المنزِّهونَ اللهَ عن ما يقول أهلُ الضَّلَالِ، والضمير في «ليقولون» لكفارِ قريش: «لو أنَّ عندنا ذكراً» أي: كتاباً «مِن» كُتُب «الأوَّلين» الذين نَزَلَ عليهم التوراةُ والإنجيل، لأَخلصنا العبادةَ للهِ ولَم نُكذِّب كما كذَّبوا، «فكفروا به» أي: فجاءَهم الذِّكر الذي كانوا يَتمنَّونه، وهو أشرفُ الأذكار؛ لإعجازِه مِن بين

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٤٨٩.

الكتبِ «فسوف يعلمون» عاقبةَ كُفرهم وما يَحلُّ بهم مِن الانتقام، وأكَّدوا قولَهم بـ: «إنْ» المخفَّفة، وباللام لكونهم كانوا جادِّين في ذلك، ثم ظَهَرَ منهم التكذيب والنُّفُور البليغ، كقوله: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ﴾ [البقرة: ٨٩].

«ولقد سَبَقَت كَلمتُنا» قرأ الجمهور بالإفراد، لمَّا انتظمت في معنًى واحد عبّر عنها بالإفراد، وقرأ الضَّحَّاك بالجمع(١)، والمراد المَوْعِد بِعُلُوهم على عدِّوهم في مقامات الحِجَاج ومَلاحِم القتال في الدنيا، وعُلُوِّهم عليهم في الآخرة، وقال الحسن(٢): ما غُلِبَ نبيٌّ في حربٍ ولا قُتِلَ فيها.

«فتولَّ عنهم» أي: أعرِض عنهم «حتى حينٍ» أي: إلى مُدَّة يسيرةٍ وهي مُدَّةُ الكَفِّ عن القتال، وعن السُّدِّيّ: إلى يوم بدر، ورجَّحه الطبريُّ، وقال قتادة: إلى موتهم، وقال ابنُ زيد: إلى يومِ القيامة(٣).

«وأَبْصِرْهم» أي: انْظُرْ إلى عاقبةِ أَمْرِهم «فسوفَ» يُبْصِرونها، وما يحلُّ بهم مِن العذاب والأَسْر والقَتْل، أو: سوف يُبْصِرونَكَ، وما يتمُّ لَكَ مِن الظَّفَر بهم والنُّصْرَة عليهم، وأَمْرُهُ بإبصارهم إشارةٌ إلى الحالة المُنتَظَرة الكائنة لا محالةَ، وأنَّها قريبةٌ كأنَّها بين ناظِرَيه، بحيث هو يُبْصِرها، وفي ذلك تسليةٌ وتنفيسٌ عنه عليه السلام.

«أَفبعذابِنا يَستعجلونَ» استفهامُ توبيخ، «فإذا نَزَلَ» هو، أي: العذاب، مثّلَ العذاب النازل بهم بَعْدَما أُنذِروه فأنكروه، بجيشٍ أَنْذَر بهجومه قومَه بعضُ نُصَّاحِهم، فلم يَلتفتوا إلى إنذاره، ولا أَخَذوا أُهْبَتَه، ولا دَبَّروا أَمْرَهم تدبيراً يُنْجِيهم حتى أَنَاخَ بفِنائِهم، فشنَّ عليهم الغارَةَ، وقَطَعَ دابِرَهم، وكانت عادةُ مَغاويرِهم أنْ يُغِيْرُوا صباحاً، فسُمِّيت الغارَةُ: صباحاً(٤)، وإن وَقَعت في وقتٍ آخر، وما فَصُحَت هذه الآيةُ ولا كانت لها الرَّوعة التي يُحَسُّ بها ويَروقك مَوردُها على نفسِك وطَبْعِك إلَّا لمجيئِها على طريقةِ التمثيل، قاله الزمخشريُّ(٥).

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٤٩٠، وذكرها أيضاً الزمخشريُّ في الكشاف ٣/ ٣٥٧ دون نسبة.
(٢) الكشاف ٣/ ٣٥٧، وما قبله منه أيضاً.
(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٤٩٠، وينظر تفسير الطبري ١٩/ ٦٥٨-٦٥٩، وفيه الآثار المذكورة.
(٤) الكشاف ٣/ ٣٥٧، وورد في المعاجم (صبح): يوم الصَّبَاح: يوم الغارَة.
(٥) الكشاف ٣/ ٣٥٧.

وقرأ الجمهور: «نَزَلَ» مبنيًّا للفاعل، وابنُ مسعود مبنيًّا للمفعول[١]، و«بساحتهم» هو القائم مقامَ الفاعلِ، ونزل بساحةِ فلانٍ، يُستَعمل فيما وَرَدَ على الإنسان مِن خيرٍ أو شَرٍّ، وسُوء الصَّبَاح يُستَعمل في حلولِ الغارَاتِ والرَّزَايا، ومِثْل قولِ الصارخ: يا صَبَاحَاهُ، وحُكْمُ: سَاءَ ـ هنا ـ حُكْمُ «بئس»، وقرأ عبد الله: «فبئس»[٢]، والمخصوص بالذَّمِّ محذوفٌ تقديره: فساءَ صباحُ المُنذَرينَ صباحُهم.

«وتَوَلَّ عنهم حتى حينٍ» كرّر الأَمْرَ بالتولّي؛ تأنيساً له عليه الصلاة والسلام وتسليةً وتأكيداً لوقوعِ المِيْعَاد، ولم يُقيِّد أَمْره بالإبصار، كما قيَّده في الأوَّل؛ إمَّا لاكتفائِهِ به في الأوَّل فحذفه اختصاراً، وإمَّا لِمَا في تَرْكِ التقييد مِن جَوَلان الذِّهْنِ فيما يتعلَّق به الإبصار منه مِن صنوفِ المسرَّات، والإبصار منهم مِن صنوف المساءات.

وقيل: أُريد بالأوَّل عذابُ الدنيا، وبالآخر عذابُ الآخِرَة.

وخَتَم تعالى هذه السُّورة بتنزيهه عَن ما يَصفُه به المشركون، وأَضاف الرَّبَّ إلى نبيِّه؛ تشريفاً له بإضافته وخطابه، ثمَّ إلى العِزَّة، وهي العِزَّة المخلوقة الكائنة للأنبياء والمؤمنين، وكذلك قال الفقهاءُ مِن جهة أنَّها مَرْبُوبة.

وقال محمد بنُ سحنون وغيرُه: مَن حَلَفَ بعزَّة اللهِ تعالى، يُريد عزَّته التي خلق بين عبادِه، وهي التي في قوله: «رَبِّ العِزَّة» فليست بيمين[٣].

وقال الزمخشريُّ: أُضيفَ الرَّبُّ إلى العِزَّة؛ لاختصاصِه بها، كأنَّه قيل: ذو العِزَّة، كما تقول: صاحب صِدْق؛ لاختصاصه بالصِّدق[٤]. انتهى.

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٤٩٠، والمحتسب ٢/ ٢٢٩، وأورد القراءةَ أيضاً ابنُ الجوزي في زاد المسير ٧/ ٩٤ وزاد نسبتها لأبي عمران والجحدري وابن يعمر.

(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٤٩٠، والكشاف ٣/ ٣٥٧، والقراءة أيضاً في معاني القرآن للفراء ٢/ ٣٩٦.

(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٤٩٠، ونقله عنه القرطبيُّ ١٨/ ١١٩.

(٤) الكشاف ٣/ ٣٥٧.

فعلى هذا تَنعقد اليمينُ بعزَّة اللهِ؛ لأنَّها صفةٌ مِن صفاتِه، قال: ويجوز أَنْ يُراد أنَّه ما مِن عِزَّةٍ لأحدٍ مِن الملوك وغيرهم إلَّا وهو رَبُّها ومالكُها كقوله: ﴿وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ﴾ [آل عمران:٢٦] وعن عليٍّ كرَّم الله وجهه: مَن أَحَبَّ أَنْ يكتالَ بالمِكيال الأوفى مِن الأَجْرِ يومَ القيامة، فليَكُن آخِرَ كلامِه إذا قام مِن مجلسِه: «سبحانَ ربِّك ربِّ العِزَّة» إلى آخِرِ السُّورة[1].

(١) الكشاف ٣/ ٣٥٧-٣٥٨، وخبر عليٍّ أخرجه عبد الرزاق في المصنَّف (٣١٩٧)، والثعلبيُّ في الكشف والبيان ٥/ ٢٤٢، ومن طريقه البغويُّ في التفسير ٤/ ٤٦. وأخرجه ابنُ أبي حاتم ١٠/ ٣٢٣٤ من رواية الشعبيّ، عن النبيِّ ﷺ مرسلاً.

سورة ﴿صٓ﴾

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ ١ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي عِزَّةٖ وَشِقَاقٖ ٢ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَبۡلِهِم مِّن قَرۡنٖ فَنَادَواْ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٖ ٣ وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡۖ وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٞ كَذَّابٌ ٤ أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ ٥ وَٱنطَلَقَ ٱلۡمَلَأُ مِنۡهُمۡ أَنِ ٱمۡشُواْ وَٱصۡبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمۡۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٞ يُرَادُ ٦ مَا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِي ٱلۡمِلَّةِ ٱلۡأٓخِرَةِ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا ٱخۡتِلَٰقٌ ٧ أَءُنزِلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ مِنۢ بَيۡنِنَاۚ بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ مِّن ذِكۡرِيۚ بَل لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ ٨ أَمۡ عِندَهُمۡ خَزَآئِنُ رَحۡمَةِ رَبِّكَ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡوَهَّابِ ٩ أَمۡ لَهُم مُّلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۖ فَلۡيَرۡتَقُواْ فِي ٱلۡأَسۡبَٰبِ ١٠ جُندٞ مَّا هُنَالِكَ مَهۡزُومٞ مِّنَ ٱلۡأَحۡزَابِ ١١ كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ وَعَادٞ وَفِرۡعَوۡنُ ذُو ٱلۡأَوۡتَادِ ١٢ وَثَمُودُ وَقَوۡمُ لُوطٖ وَأَصۡحَٰبُ لۡـَٔيۡكَةِۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡأَحۡزَابُ ١٣ إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ١٤﴾.

المفردات «لَاتَ»: هي «لا» أُلحقت التاءُ، كما أُلحقت في «ثُمَّ» و«رُبَّ»، فقالوا: «ثُمَّت» و«رُبَّت» وهي تعمل عَمَلَ «ليس» في مذهب سِيبويه، وعَمل «إنَّ» في مذهب الأخفش(١)، فإنِ ارتفعَ ما بَعْدَها، فعلى الابتداء عندَه، ولها أحكامٌ ذُكرت في علم النَّحو، ويأتي شيءٌ منها هنا عندَ ذِكْر القراءاتِ التي فيها.

والمَنَاص: المَنْجَا والفَوت، يقال: نَاصَه يَنُوصُه: إذا فَاتَهُ.

وقال الفَرَّاء: النَّوصُ: التأخُّر، يقال: نَاصَ عن قَرْنِه يَنُوص نوصاً ومَنَاصاً، أي: فرَّ وراغ، وأنشد لامرئ القيس:

---

(١) ينظر كتاب سيبويه ١/ ٥٧-٥٨، ومعاني القرآن للأخفش ٢/ ٦٧٠.

أَمِـنْ ذِكْـرِ سـلـمـى أَنْ نَـأَتْـكَ تَـنُـوصُ[١]

واسْتَنَاصَ: طَلَبَ المَنَاصَ، قال حارثة بنُ بدر:

غَـمْـرُ الـجِـراءِ إذا قَـصَـرْتُ عِـنَـانَـهُ بِيَدي استناصَ ورَامَ جَرْيَ المِسْحَلِ[٢]

وقال الجوهريُّ: استناص: تأخَّر. وقال النَّحَّاسُ: نَاصَ يَنُوص: تقدَّم[٣].

الوَتِد معروف، وكَسْرُ التاء أَشْهَر مِن فتحها، ويقال: وَتِدٌ واتدٌ، كما يقال: شُغْلٌ شَاغِلٌ، قاله الأصمعيُّ، وأنشد:

لاقَـت عـلـى الـمـاءِ جُـذَيْـلاً وَاتِـدا ولـم يـكـن يُـخْـلِـفُـهـا الـمَـوَاعِـدَا[٤]

وقالوا: وَدٌّ، فأدغموا[٥]، قال الشاعر:

تُـخْـرِجُ الـوَدَّ إذا مـا أَشْـجَـذَتْ وتُـوارِيْـهِ إذا مـا تَـشْـتَـكِـرْ[٦]

وقالوا فيه: وَتّ، فأدغموا بإبدال الدَّالِ تاءً، وفيه قَلْبُ الثاني للأوَّل، وهو قليلٌ.

* * *

(١) ينظر تفسير القرطبي ١٨/ ١٢٧، ومعاني القرآن للفراء ٢/ ٣٩٧، والصحاح (نوص)، وصدر البيت لامرئ القيس، وهو في ديوانه ص ١٧٧، وعجزه:

فـتـقـصـر عـنـهـا خـطـوة أو تـبـوص

(٢) الكشاف ٣/ ٣٥٩، والبيت في العين ٧/ ١٦٠، واللسان (نوص)، ومعنى: غمر الجراء: كثير الجري، والمِسْحَل: الحمار الوحشي. لسان العرب (سحل).

(٣) تفسير القرطبي ١٨/ ١٢٧، وكلام الجوهري في الصحاح (نوص)، وكلام النحاس في كتابه إعراب القرآن ٣/ ٤٥٠.

(٤) تفسير القرطبي ١٨/ ١٣٩، والكلام من الصحاح (وتد)، والرجز في جمهرة اللغة والمحكم (جذل)، وأساس البلاغة ولسان العرب (وتد) ونُسبَ لأبي محمد عبد الله بن ربعي الفقعسي، والشطر الأول منه في تهذيب اللغة ١٤/ ١٤٨ (وتد)، والجُذَيل: المنتصب الذي لا يبرح مكانه، مشبَّه بالجِذْل، وهو أصل الشجرة. جمهرة اللغة (جذل).

(٥) ينظر كتاب سيبويه ٤/ ٤٨٢، والأصول في النحو لابن السراج ٣/ ٤٣٢، وهي لغة بني تميم.

(٦) القائل امرؤ القيس، والبيت في ديوانه ص ١٤٤، ومعنى أشجذت: أقلعت وسكنت، وقوله: تشتكر: أي: تحتفل ويكثر مطرها، يعني أن وَتِد الخِباء يبدو عند سكون هذه الديمة ـ المطر الدائم ـ ويَخْفَى ويستتر عند احتفال مطرها وكثرته.

﴿صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ ١ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي عِزَّةٖ وَشِقَاقٖ ٢ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَبۡلِهِم مِّن قَرۡنٖ فَنَادَواْ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٖ ٣ وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡۖ وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٞ كَذَّابٌ ٤ أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ ٥ وَٱنطَلَقَ ٱلۡمَلَأُ مِنۡهُمۡ أَنِ ٱمۡشُواْ وَٱصۡبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمۡۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٞ يُرَادُ ٦ مَا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِي ٱلۡمِلَّةِ ٱلۡأٓخِرَةِ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا ٱخۡتِلَٰقٌ ٧ أَءُنزِلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ مِنۢ بَيۡنِنَاۚ بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ مِّن ذِكۡرِيۚ بَل لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ ٨ أَمۡ عِندَهُمۡ خَزَآئِنُ رَحۡمَةِ رَبِّكَ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡوَهَّابِ ٩ أَمۡ لَهُم مُّلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۖ فَلۡيَرۡتَقُواْ فِي ٱلۡأَسۡبَٰبِ ١٠ جُندٞ مَّا هُنَالِكَ مَهۡزُومٞ مِّنَ ٱلۡأَحۡزَابِ ١١ كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ وَعَادٞ وَفِرۡعَوۡنُ ذُو ٱلۡأَوۡتَادِ ١٢ وَثَمُودُ وَقَوۡمُ لُوطٖ وَأَصۡحَٰبُ لۡـَٔيۡكَةِۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡأَحۡزَابُ ١٣ إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ١٤﴾.

التفسير

هذه السُّورة مكِّيَّة، ومناسبتها لآخِرِ ما قَبْلَها أنَّه لمَّا ذَكَر عن الكفَّار أنَّهم كانوا يقولون: «لو أنَّ عندنا ذكراً مِن الأوَّلين» لأخلصوا العبادةَ لله، وأخبر أنَّهم أتاهم الذِّكْرُ فكفروا به = بَدَأَ في هذه السُّورة بالقَسَم بالقُرآن ذي الذِّكْر الذي جاءَهم وأخبر عنهم أنَّهم كافرون به، وأنَّهم في تعزُّز ومشاقَّة للرسول الذي جاءَ به، ثمَّ ذَكَر مَن أهلكَ مِن القُرُون التي شاقَّت الرُّسُل؛ ليتَّعظوا.

وروي أنَّه لَمَا مرضَ أبو طالب جاءَت قريش ورسول الله ﷺ، وعند رأسِ أبي طالب مجلسُ رجلٍ، فقام أبو جهل كي يَمنعه، وشَكَوه إلى أبي طالب، فقال: يا ابنَ أخي ما تريد مِن قومِك؟ فقال: «يا عَمّ إنَّما أُريد منهم كلمةً تذلُّ لهم بها العربُ، وتُؤَدِّي إليهم الجزيةَ بها العَجَمُ» قال: وما الكلمة؟ قال: «كلمةٌ واحدةٌ»، قال: وما هي؟ قال: «لا إلهَ إلَّا اللهُ». قال: فقاموا، وقالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ﴾؟! قال: فنزَلَ فيهم القرآنُ: ﴿صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ ١﴾ حتى بلغ ﴿إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا ٱخۡتِلَٰقٌ﴾(١).

---

(١) تفسير القرطبي ١٨/ ١٣٣، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٩٣، وأسباب النزول للواحدي ص ٣٨٦ من حديث ابن عباس، وأخرجه عنه الترمذي (٣٢٣٢)، وقال عنه: حديث حسن. وهو عند أحمد (٢٠٠٨)، والطبري ٢٣/ ١٩، وفي إسناده: يحيى بن عمارة ـ أو: ابن عباد، أو: عباد ـ مجهول، تفرَّد بالرواية عنه الأعمش. ميزان الاعتدال الترجمة (٩٠٦٣).

قرأ الجمهور: صَادْ، بسكونِ الدَّال، وقرأ أُبَيّ والحسن وابنُ أبي إسحاق وأبو السَّمَّال وابنُ أبي عبلة ونَصْر بنُ عاصم: صَادِ، بكَسْر الدَّالِ[1]، والظاهر أنَّه كَسْرٌ لالتقاءِ الساكِنَيْن، وهو حرفٌ مِن حروف المعجم: نحو: ﴿قٓ﴾ [ق:١] و﴿نٓ﴾ [القلم:١].

وقال الحسن: هو أَمْرٌ مِن صادَى، أي: عارَضَ، ومنه: الصَّدَى، وهو ما يُعارِض الصوتَ في الأماكن الصُّلْبة الخالية مِن الأجسام، أي: عارِض بعَمَلِك القرآنَ، وعنه أيضاً: صادَيْتُ: حادَثْتُ، أي: حادِث[2]، وهو قريبٌ مِن القول الأوَّل.

وقرأ عيسى ومحبوب عن أبي عَمرو وفرقة: «صادَ» بفتح الدَّالِ، وكذا قرأ: «قافَ» و«نونَ»، بفتح الفاء والنون؛ فقيل: الفَتْح لالتقاء الساكنين؛ طلباً للتخفيف، وقيل: انتصبَ على أنَّه مُقسَمٌ به، حُذفَ منه حرفُ القَسَم نحو قوله: اللهِ لأَفْعَلَنَّ[3].

وهو اسمٌ للسورة، وامتَنَع مِن الصَّرْف؛ للعَلَميَّة والتأنيث، وقد صَرَفها مَن قرأ: «صادٍ» بالجرِّ والتنوين، على تأويلِ الكتاب والتنزيل، وهو ابنُ أبي إسحاق في رواية[4].

وقرأ الحسن أيضاً: «صادُ» بضمِّ الدَّالِ، فإن كان اسماً للسورة، فخبرُ مبتدأ محذوف، أي: هذه صادُ، وهي قراءةُ ابنِ السَّمَيْفَع وهارون الأعور، وقَرَأا: «قافُ»، و«نونُ» بضمِّ الفاءِ والنون[5].

وقيل: هو حرفٌ دالٌّ على معنًى مِن فِعْلٍ أو مِن اسمٍ؛ فقال الضحاك: معناه: صَدَقَ اللهُ، وقال محمد بنُ كعب: مفتاحُ أَسماءِ اللهِ: صَمَدٌ، صَادِقُ الوَعْدِ، صَانِعُ

---

(١) ينظر المحرر الوجيز ٤/ ٤٩١، وزاد المسير ٧/ ٩٧، وتفسير القرطبي ١٨/ ١٢١، والقراءة في القراءات الشاذة ص ١٢٩، والمحتسب ٢/ ٢٣٠.
(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٤٩١، وتفسير القرطبي ١٨/ ١٢١، وقول الحسن عند الطبري ٢٠/ ٥.
(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٤٩١، وتفسير القرطبي ١٨/ ١٢١-١٢٢، والقراءة في القراءات الشاذة ص ١٢٩، والمحتسب ٢/ ٢٣٠.
(٤) ينظر المحرر الوجيز ٤/ ٤٩١، وتفسير القرطبي ١٨/ ١٢٢، وإعراب القرآن للنحاس ٣/ ٤٥١.
(٥) تفسير القرطبي ١٨/ ١٢٢، والقراءات الشاذة ص ١٢٩ و١٤٤.

المصنوعات، وقيل: معناه: صَدَقَ محمَّد[1].

قال ابنُ عباس وابنُ جبير والسُّدِّيُّ: «ذي الذِّكر»: ذي الشَّرَف الباقي المُخلَّد، وقال قتادة والضحاك: ذي التذكرة للناسِ والهدايةِ لهم، وقيل: «ذي الذِّكْر» للأُمَم والقصص والغُيوب والشرائع[2].

وجوابُ القَسَم قيل: مذكورٌ، فقال الكوفيون والزَّجّاج: هو قوله: «إنَّ ذلك لحقٌّ تخاصُمُ أهلِ النَّار» [الآية:٦٤]، وقال الفَرَّاء: لا نَجده مستقيماً في العربيَّة؛ لتأخُّره جدًّا عن قوله: «والقرآنِ».

وقال الأخفش: هو «إنْ كلٌّ إلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ» [الآية:١٤]، وقال قوم: «كم أهلكنا» [الآية:٣] وحذفت اللام ـ أي: لَكَمْ ـ لمَّا طَالَ الكلامُ، كما حُذفت في ﴿وَٱلشَّمۡسِ﴾ [الآية:١] ثم قال: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ﴾ [الآية:٩] حكاه الفَرَّاء وثَعْلَبُ[3]، وهذه الأقوالُ يَجب اطِّراحُها.

وقيل: هو صاد، إذ معناه: صَدَقَ محمَّدٌ، أو صَدَقَ اللهُ، وكون: صاد، جوابَ القَسَم، قاله الفرَّاء وثَعلب[4]، وهذا مبنيٌّ على تقدُّم جوابِ القَسَم واعتقادِ أنَّ الصادَ تدلُّ على ما ذَكَروه.

وقيل: الجواب محذوفٌ، فقدَّره الحَوفيُّ: لقد جاءَكم الحَقُّ، ونحوه، والزمخشريُّ: إنَّه لَمُعْجِز[5]، وابنُ عطيَّة: ما الأَمْرُ كما يزعمون، ونحو هذا مِن التقدير، ونَقَلَ أنَّ قتادة والطبريَّ قالا: هو محذوف قَبْلَ «بل»، قال: وهو الصحيح[6]، وقدَّره ما ذكرنا عنه، وينبغي أَنْ يُقدّر هنا ما أثبت جواباً للقرآن حينَ

---

(١) ينظر المحرر الوجيز ٤/ ٤٩١، وتفسير الثعلبي ٥/ ٢٤٥، والنكت والعيون ٥/ ٧٥، وتفسير القرطبي ١٨/ ١٢٢-١٢٣، وقول الضحاك عند الطبري ٢٠/ ٧.

(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٤٩١، وتنظر الآثار عند الطبري ٢٠/ ٨-٩.

(٣) ينظر المحرر الوجيز ٤/ ٤٩١، وتفسير الثعلبي ٥/ ٢٤٥، والقرطبي ١٨/ ١٢٤-١٢٥، وقول الزجاج في كتابه معاني القرآن ٤/ ٣١٩، وينظر معاني القرآن للفراء ٢/ ٣٩٧، وللأخفش ٢/ ٦٧٠، والوقف والابتدا للأنباري ٢/ ٨٦٠-٨٦١.

(٤) زاد المسير ٧/ ٩٨، وقول الفراء في كتابه معاني القرآن ٢/ ٣٩٦-٣٩٧.

(٥) الكشاف ٣/ ٣٥٩.

(٦) المحرر الوجيز ٤/ ٤٩٢.

أقسَمَ به، وذلك في قوله تعالى: ﴿يسٓ ۝ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ۝ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [يس: ١-٣] فيكون التقدير: هنا: صٓ والقرآن ذي الذكر، إنك لمن المرسلين، ويُقوِّي هذا التقديرَ ذِكْرُ النِّذارة هنا في قوله: «وعَجبوا أَنْ جاءَهم منذرٌ منهم»، وقال هناك: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا﴾ [يس: ٦] فالرسالة تتضمَّن النِّذارة والبِشارة، و«بل» للانتقال مِن هذا القَسَم والمُقْسَم عليه إلى حال تعزّز الكفَّار ومشاقّتهم في قَبول رسالتِك، وامتثالِ ما جئتَ به، واعتراف بالحقِّ.

وقرأ حمَّاد بنُ الزِّبْرِقان، وسَورة عن الكسائيِّ، وميمونة عن أبي جعفر، والجَحْدَريّ مِن طريق العقيلي: «في غِرَّة» بالغين المعجمة والراء[١]، أي: في غَفْلَة ومشاقَّة.

«قَبْلهم» أي: مِن قَبْل هؤلاء ذَوي المَنَعة الشديدة والشِّقاق، وهذا وعيدٌ لهم.

«فَنَادَوا» أي: استَغَاثوا ونَادَوا بالتوبة، قاله الحسن[٢]، أو: رَفَعوا أصواتهم، يقال: فلانٌ أَنْدَى صوتاً، أي: أَرْفَعُ، وذلك بعد معاينةِ العذاب، فلم يَكُ وقت نَفْعٍ.

وقرأ الجمهور: «وَلَاتَ حِيْنَ» بفتح التاء ونَصْب النون، فعلى قولِ سيبويه[٣] عَمِلَت عمل «ليس» واسمها محذوف، تقديره: ولاتَ الحينُ حينَ فوتٍ ولا فرارٍ، وعلى قول الأخفش يكون «حين» اسمَ «لات» عَمِلَت عَمَل «إنَّ» نَصبت الاسم، ورَفَعت الخبر، والخبر محذوف، تقديره: [٤]«ولاتَ حينَ مناصٍ» أي: لهم، أي: كائن لهم، وعنه قولٌ آخَر أنَّ «حين» منصوب بفعل محذوف، تقديره[٤]: «ولات» أرى «حينَ مَنَاص»[٥].

---

(١) ينظر الكشاف ٣/ ٣٥٩، وزاد المسير ٧/ ٩٩، والقراءة في القراءات الشاذَّة ص ٥٥ و١٢٩، وسلف الكلام عن حماد عند تفسير الآية (١١٤) من سورة التوبة، وعن تصحيفه للقراءة، فلتنظر ثمَّة.
(٢) الكشاف ٣/ ٣٥٩.
(٣) ينظر الكتاب ١/ ٥٨-٦٠.
(٤-٤) زيادة من (د٣) و(يه).
(٥) ينظر الكشاف ٣/ ٣٥٩، وإعراب القرآن للنحاس ٣/ ٤٥١ وما بعدها.

وقرأ أبو السَّمَّال: «ولاتُ حينُ» بضمِّ التاء ورَفْعِ النون[١]، فعلى قولِ سيبويه «حين» مسمَّاه اسم «لات»، والخبر محذوف، وعلى قولِ الأخفش مبتدأ، والخبر محذوف.

وقرأ عيسى بنُ عمر: «ولاتِ حينِ» بكسر التاء، وجَرِّ النون[٢] بعد «لات»، وتَخريجه مُشكِلٌ، وقد تمحَّل الزمخشريُّ في تخريج الجَرِّ في قوله:

طَلَبوا صُلْحَنا وَلاتَ أَوَانٍ فأَجَبْنا أَنْ لات حينَ بقاءِ[٣]

قال: شُبِّه: أوان بـ «إذٍ» في قوله:

.... وأنتَ إذٍ صحيحُ[٤]

في أنَّه زمانٌ قُطعَ منه المضافُ إليه وعُوِّض التنوين لأنَّ الأصلَ: ولاتَ أوانَ صُلْحٍ.

فإن قلت: فما تقول في «حينَ مناص»، والمضاف إليه قائم؟

قلت: نُزِّلَ قَطْعُ المضاف إليه من «مناص» ـ لأنَّ أصله: حينَ مناصِهم ـ منزلةَ قَطْعِه مِن «حين» لاتحاد المضاف والمضاف إليه، وجُعل تنوينه عِوَضاً مِن الضمير المحذوف، ثم بُنِيَ الحين؛ لكونه مضافاً إلى غير متمكّن. انتهى هذا التمحُّل.

(١) القراءات الشاذة ص ١٢٩.
(٢) ينظر الكشاف ٣/٣٥٩، وتفسير القرطبي ١٨/١٣١، والقراءة في القراءات الشاذة ص١٢٩.
(٣) الكشاف ٣/٣٥٩، وعزا البيت فيه لأبي زبيد حرملة بن المنذر الطائي، وهو في معاني القرآن للفراء ٢/٣٩٨، وتأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص ٤٠٣، وإعراب القرآن للنحاس ٣/٤٥٢، ومحاضرات الأدباء ٣/٣٤٩، وخزانة الأدب ٤/١٦٩.
(٤) وتمامه:

نهيتُكَ عن طِلابِكَ أمَّ عمرٍو بعاقبةٍ وأنتَ إذٍ صحيحُ

والبيت لأبي ذؤيب، وهو في ديوان الهذليين ١/٦٨، والخصائص لابن جنّي ٢/٣٧٦، وخزانة الأدب ٦/٥٣٩، والشاعر يخاطب قلبَه بأنَّه نَصَحه أن ينثني عن حبِّ هذه المرأة وألَّا يتورَّط فيه فيصعب الخلوص من مشاقِّه، وقد كان ذلك في الوقت الذي يسهل عليه فيه الخروج منه.

والذي ظَهَرَ لي في تخريج هذه القراءة الشاذَّة والبيتِ النادرِ في جَرِّ ما بَعْدَ «لات»: أنَّ الجَرَّ هو على إضمار «مِن» كأنَّه قال: لات مِن حينِ مناصٍ، ولات مِن أوانِ صُلْح، كما جَرُّوا بها في قولهم: على كم جِذْعٍ بيتك، أي: مِن جِذْعٍ، في أصحِّ القولين، وكما قالوا: ألَا رَجُلٍ جَزَاهُ اللهُ خيراً، يريدون: ألَا مِن رَجُلٍ، ويكون موضع: مِن حين مناص، رَفْعاً على أنَّه اسمُ «لات» بمعنى «ليس»، كما تقول: ليسَ مِن رَجُلٍ قائماً، والخبرُ محذوف، وهذا على قول سيبويه، أو على أنَّه مبتدأٌ والخبر محذوف، على قول الأخفش.

وقال بعضهم: ومِن العرب مَن يَخفض بـ «لات»، وأنشد الفرَّاء:

ولَتَنْدَمَنَّ وَلاتَ ساعةِ مَنْدَمِ[1]

وخرَّج الأخفش: ولاتَ أوانٍ، على إضمار: «حين»، أي: ولاتَ حينَ أوانٍ، حذفَ «حين» وأبقى: أوان، على جَرِّه. وقال أبو إسحاق: ولات أوانِنا، فحذفَ المضاف إليه، فوَجَب أنْ لا يُعرَب، وكَسره لالتقاء الساكنَيْن[2].

وهذا هو الوجه الذي قرَّره الزمخشريُّ أَخَذَهُ مِن أبي إسحاق الزجَّاج، وأَنْشَده المُبرِّد: ولات أَوَانٌ، بالرفع[3].

وعن عيسى: «ولات حينُ» بالرفع «مناصَ» بالفتح[4]، قال صاحب «اللوامح»: فإنْ صحَّ ذلك فلعلَّه بَنَى «حين» على الضَّمِّ، فيكون في الكلام تقديم وتأخير، وأَجراه مُجرى «قَبْل» و«بَعْد» في الغاية، وبَنَى «مناص» على الفتح مع «لات»، على

(١) تفسير القرطبي ١٨/ ١٢٨، وكلام الفراء في كتابه معاني القرآن ٢/ ٣٩٧، وورد فيه طرف البيت هكذا: ولات ساعةِ مندم. ثم قال بعده: ولا أحفظ صدره. والبيت بتمامه في تفسير القرطبي، وخزانة الأدب ٤/ ١٧٤، وصدره:

فَلَتَعرِفَنَّ خلائقاً مشمولةً

(٢) تفسير القرطبي ١٨/ ١٣١، وكلام الأخفش في كتابه معاني القرآن ٢/ ٦٧٠، وينظر إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٤٥٤، وكلام أبي إسحاق الزجاج في كتابه معاني القرآن ٤/ ٣٢٠-٣٢١.

(٣) تفسير القرطبي ١٨/ ١٣١، وينظر أيضاً معاني القرآن للزجاج ٤/ ٣٢٠.

(٤) أورد القراءةَ ابنُ عطية في المحرر الوجيز ٤/ ٤٩٢ هكذا: وقرأ بعض الناس: «لات حينُ» برفع النون من «حين» على إضمار الخبر.

تقدير: لات مناص حين، لكن «لا» إنَّما تعمل في النكرات في اتِّصالها بهنَّ دونَ أَنْ يَفصل بينهما ظرفٌ أو غيره، وقد يَجوز أن يَكون لذلك معنًى لا أعرفه. انتهى.

وقرأ عيسى أيضاً: «ولاتِ» بكسر التاء، و«حينَ» بنصبِ النون[1]، وتقدَّم تخريجُ نصبِ «حين».

و«لات» رُوي فيها فتحُ التاء وضمُّها وكَسْرُها، والوقفُ عليها بالتاء قولُ سيبويه والفرَّاء وابنِ كيسان والزَّجَّاج، ووَقَفَ الكسائيُّ والمُبرِّد بالهاء، وقومٌ على «لا»، وزَعَموا أنَّ التاءَ زِيدت في «حين»، واختاره أبو عبيد، وذَكَر أنَّه رآه في الإمام[2] مخلوطاً تاؤه بـ «حين»[3]، وكيف يَصنَعُ بقوله: ولاتَ ساعةِ مَنْدَم، ولاتَ أوانٍ[4].

وقال الكلبيُّ: كانوا إذا قاتلوا فاضْطُرُّوا، قال بعضُهم لبعض: مَنَاص، أي: عليكم بالفِرار، فلمَّا أَتَاهم العذابُ قالوا: مناص، فقال اللهُ: «ولاتَ حينَ مناص»[5].

قال القشيريُّ: فعلى هذا يكون التقدير: فنَادوا مناص، فحذفَ؛ لدلالة ما بَعْدَه عليه، أي: ليس الوقتُ وقتَ ندائكم به، وفيه نوع تهكُّم، إذ كلُّ مَن هَلَك مِن القرون يقول: مناص، عند الاضطرار[6]. انتهى.

وقال الجرجانيُّ: أي: فنَادَوا حين لا مَنَاص، أي: ساعةَ لا مَنْجا ولا فوت، فلمَّا قدَّم «لا» وأخَّر «حين» اقتضى ذلك الواو، كما يقتضي الحال إذا جعل ابتداءً

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٤٩٢، وينظر إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٤٥٣، والكشاف ٣/ ٣٥٩، وزاد المسير ٧/ ١٠٠، وتفسير القرطبي ١٨/ ١٢٨-١٢٩.

(٢) يعني: مصحف عثمان.

(٣) يعني: «ولا تحين»، تنظر المصادر الآنفة الذكر، وينظر أيضاً كتاب سيبويه ١/ ٥٧-٥٨، ومعاني القرآن للفراء ٢/ ٣٩٨، وللزجاج ٤/ ٣٢٠، وتفسير الطبري ٢٠/ ١٥-١٧، وكلام أبي عبيد في كتابه «القراءات» كما ذكر ذلك القرطبي ١٨/ ١٢٧.

(٤) تقدم تخريج البيتين قريباً.

(٥) تفسير القرطبي ١٨/ ١٢٦، وما بعده منه أيضاً، وينظر تفسير السمرقندي ٣/ ١٢٩، والنكت والعيون ٥/ ٧٨.

(٦) تفسير القرطبي ١٨/ ١٢٦.

وخبراً، مِثْل: جاءَ زيدٌ راكباً، ثم تقول: جاء زيدٌ وهو راكبٌ، فـ «حين» ظرفٌ لقوله: «فنَادَوا»[1]. انتهى.

وكون أصلِ هذه الجملة: فنادوا حينَ لا مَنَاص، وأنَّ «حين» ظرفٌ لقوله: «فنادوا» = دعوى أعجميَّةٌ مخالفةٌ لنَظْم القرآنِ، والمعنى على نَظْمه في غاية الوضوح، والجملة في موضع الحال، أي: فنَادوا وهم لات حينَ مناص، أي: لهم.

ولمَّا أَخبر تعالى عن الكفَّار أَنَّهم في «عِزَّة وشِقاق» أَردفه بما صَدَرَ عنهم مِن كلماتهم الفاسدة مِن نسبتهم إليه السِّحْرَ والكذبَ، ووضع الظاهر موضعَ المضمر في قوله: «قال الكافرون» أي: وقالوا تنبيهاً على الصفة التي أَوجبت لهم العَجَب حين نَسَبوا مَن جاء بالهدى والتوحيد إلى السِّحْر والكذب: «أَجَعل الآلهةَ إلهاً واحداً»، قالوا: كيف يكون إلهٌ واحد يَرزقُ الجميعَ ويَنظر في كلِّ أمورهم، و«جعل» بمعنى «صيَّر» في القول والدَّعوى والزَّعْم، وذِكْر عَجَبهم ممَّا لا يعجب منه، والضمير في «وعجبوا» لهم، أي: استغربوا مَجِيءَ رسولٍ مِن أنفسِهم.

وقرأ الجمهور: «عُجَاب» وهو بناءُ مبالغة، كرَجُلٍ طُوال وسُراع، في: طَويل وسَريع، وقرأ عليٌّ والسُّلَميُّ وعيسى وابنُ مقسم بشدِّ الجيم[2]، وقالوا: رجل كُرَّام، وطعامٌ طُيَّاب، وهو أبلغ مِن فُعَال المخفَّف، وقال مقاتل: «عُجَّاب» لغةُ أزدِ شَنُوءَة[3].

والذين قالوا: «أَجَعَل الآلهةَ إلهاً واحداً» قال ابنُ عباس: صناديدُ قريش، وهم ستَّةٌ وعشرون.

«وانْطَلَقَ المَلأُ منهم» الظاهر انطلاقُهم عن مجلسِ أبي طالب حين اجْتَمعوا هم والرَّسول عندَه وشَكَوه، على ما تقدَّم في سبب النزول، ويكون ثَمَّ محذوف، تقديرهُ يَتَحاورون «أَنِ امشوا»، وتكون «أَنْ» مفسِّرة لذلك المحذوف، و«امشوا» أَمْرٌ بالمشي وهو نَقْلُ الأقدام عن ذلك المجلس.

---

(١) المصدر السابق.

(٢) أي: «عُجَّابٌ»، المحرر الوجيز ٤/ ٤٩٢، وتفسير الثعلبي ٥/ ٢٤٨، والقرطبي ١٨/ ١٣٢، والقراءة في القراءات الشاذة ص ١٢٩، والمحتسب ٢/ ٢٣٠.

(٣) تفسير القرطبي ١٨/ ١٣٣.

وقال الزمخشريُّ: و«أَنْ» بمعنى «أي» لأنَّ المنطلقين عن مجلس التقاول لابُدَّ لهم مِن أَنْ يتكلَّموا ويَتفاوضوا فيما جَرَى لهم، فكان انطلاقهم مضمَّناً معنى القولِ[١].

والأَمْرُ بالمشي لا يُراد به نَقْلُ الخُطا، إنَّما معناه أنَّ بعضَهم أَمَرَ بعضاً، وقيل: أَمَرَ الأشرافُ أَتْبَاعَهم وعَوَامَّهم.

ويجوز أن تكون «أَنْ» مصدريَّة، أي: وانْطَلَقوا بقولهم: «امْشُوا»، وقيل: الانطلاق هنا الاندفاعُ في القول والكلام، و«أَنْ» مُفسِّرة على هذا، والأَمْرُ بالمشي لا يُراد به نَقْلُ الخُطَا، إنَّما معناه: سِيْرُوا على طريقتكم ودُوموا على سيرتكم، وقيل: «امشوا» دعاءٌ بكَسْب الماشية، قيل: وهو ضعيفٌ؛ لأنَّه كان يَلزم أَنْ تكون الأَلِفُ مقطوعةً؛ لأنَّه إنَّما يُقال: أَمْشَى الرَّجُلُ، إذا صار صاحبَ ماشية، وأيضاً فهذا المعنى غيرُ متمكّن في الآية[٢].

وقال الزمخشريُّ: ويَجوز أنَّهم قالوا: «امْشُوا» أي: اكْثُرُوا واجْتَمِعُوا، مِن: مَشَتِ المرأةُ: إذا كَثُرت وِلَادَتُها، ومنه: الماشية للتفاؤل[٣]. انتهى.

وأَمَرُوا بالصَّبر على الآلهة، أي: على عبادتِها والتمسُّك بها، والإشارة بقوله: «إنَّ هذا» أي: ظهورَ محمَّدٍ ﷺ وعُلوَّه بالنبوَّة «لشيءٌ يُراد» أي: يُراد منَّا الانقياد إليه، أو يُريده اللهُ ويَحكُم بإمضائه، فليس فيه إلَّا الصبر، أو «إنَّ هذا» الأَمْرَ «لشيءٌ» مِن نوائب الدَّهْر «يُراد» مِنَّا، فلا انفكاكَ عنه، أو إنَّ دينَكم «لشيءٌ يُراد» أي: يُطلَب ليُؤخَذ منكم وتُغلَبوا عليه، احتمالات أربعة.

وقال القَفَّال: هذه كلمة تُذكَر للتهديد والتخويفِ، المعنى أنَّه ليس غَرَضُه مِن هذا القولِ تقريرَ الدِّين، وإنَّما غَرَضه أَنْ يَسْتَولي علينا فيَحكم في أموالِنا وأولادِنا بما يُريد[٤].

---

(١) الكشاف ٣/ ٣٦٠.
(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٤٩٣-٤٩٤.
(٣) الكشاف ٣/ ٣٦٠.
(٤) تفسير الرازي ٢٦/ ١٧٨.

«ما سمعنا بهذا في الملَّة الآخِرَة» قال ابنُ عبَّاس ومجاهد ومحمد بنُ كعب ومقاتل: مِلَّة النصارى؛ لأنَّ فيها التثليثَ ولا تُوَحِّد. وقال مجاهد وقتادة: مِلَّة العرب؛ قريش ونِحْلتها[1].

وقال الفرَّاء والزجَّاج: مِلَّة اليهود والنصرانيَّة[2]؛ أشركت اليهودُ بعُزَير، وثَلَّثت النصارى.

وقيل: «في المِلَّة الآخِرَة» التي كنَّا نَسمع أنَّها تكون في آخِرِ الزمان، وذلك أنَّه قَبْلَ المَبعث كان الناس يَستشعرون خروجَ نبيٍّ وحدوثَ مِلَّةٍ ودِيْنٍ، ويدلُّ على صحَّة هذا ما رُويَ مِن أقوالِ الأَحْبار أُولي الصَّوَامِع، وما رُويَ عن الكُهَّان؛ شق وسطيح وغيرِهما وما كانت بنو إسرائيل تَعتقد مِن أنَّه يكون منهم[3].

وقيل: «في المِلَّة» في موضع الحال من «هذا»، أي: «ما سمعنا بهذا» كائناً «في الملَّة الآخِرَة» أي: لم نَسمع مِن أهلِ الكتاب ولا الكُهَّان أنَّه يَحدُث في الملَّة الآخِرَة توحيدُ اللهِ، «إن هذا إلَّا اختِلاق» أي: افْتِعال وكَذِب[4]، «أأُنزِل عليه الذِّكْرُ مِن بيننا» أنكروا أنْ يَختصَّ بالشَّرَف مِن بينِ أَشرافهم ويَنزل عليه الكتاب مِن بينهم، وهذا الإنكار هو ناشئٌ عن حَسَد عظيم انْطَوت عليه صدورُهم، فنَطَقت به ألسنتُهم.

«بل هم في شكٍّ مِن ذِكْري» أي: مِن القرآن الذي أنزلته على رسولي، يَرتابون فيه، والإخبار بأنَّهم «في شَكٍّ» يقتضي كَذبَهم في قولهم: «إنْ هذا إلَّا اختلاق». «بل لمَّا يذوقوا عذاب» أي: بَعْدُ، فإذا ذَاقُوه عَرفوا أنَّ ما جاءَ به حقٌّ وزَالَ عنهم الشَّكُّ.

«أم عندَهم خزائنُ رحمةِ ربِّك» أي: ليسوا مُتَصرِّفين في خزائنِ الرحمة؛ فيُعطونَ ما شاؤوا لمن شاؤوا، ويَمنعون مَن شاؤوا ما شاؤوا، ويَصْطَفون للرسالة

(١) ينظر تفسير الثعلبي ٥/ ٢٤٨، والبغوي ٤/ ٤٩، والنكت والعيون ٥/ ٧٩، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٩٤، وتفسير القرطبي ١٨/ ١٣٥، وتنظر الآثار عند الطبريّ ٢٠/ ٢٢-٢٣.
(٢) معاني القرآن للفراء ٢/ ٣٩٩، وللزجاج ٤/ ٣٢٢.
(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٤٩٤.
(٤) الكشاف ٣/ ٣٦١.

مَن أرادوا، وإنَّما يَملكها ويَتصرَّف فيها «العزيز» الذي لا يُغالب «الوهَّاب» مَا شاءَ لمَن شاءَ.

لمَّا استفهم استفهامَ إنكارٍ في قوله: «أم عندَهم خزائنُ رحمةِ ربِّك» وكان ذلك دليلاً على انتفاءِ تصرُّفهم في خزائنِ رحمةِ الله، أَتَى الإنكارُ والتوبيخ بانتفاءِ ما هو أعمُّ، فقال: «أَمْ لهم ملكُ السماوات والأرض» أي: ليس لهم شيءٌ مِن ذلك.

«فليرتقوا» أي: أَلَهم شيءٌ مِن ذلك فليَصعدوا في الأسباب المُوصِلَة إلى السماء والمعارج التي يتوصَّل بها إلى تدبيرِ العالَم فيَضعون الرسالةَ فيمَن اختارُوا، ثمَّ صَغَّرهم وحقَّرهم فأَخبر بما يَؤُول إليه أَمْرُهم مِن الهزيمة والخَيْبَة.

قيل: و«ما» زائدة، ويجوز أَنْ تكون صفةً أُريدَ به التعظيمُ على سبيل الهُزْءِ بهم أو التحقير؛ لأنَّ «ما» الصفة تستعمل على هذَيْن المعنيَيْن، و«هنالك» ظرفُ مكان يُشَار به للبعيد، والظاهر أنَّه يُشَار به للمكان الذي تَفَاوضوا فيه مع رسولِ الله ﷺ بتلك الكلمات السابقة، وهو مكَّة، فيكون ذلك إخباراً بالغيب عن هَزيمتهم بمكَّة يومَ الفتح، فالمعنى أنَّهم يَصيرون مهزومين بمكَّة يومَ الفتح.

وقيل: «هنالك» إشارةٌ إلى الارْتِقاء في الأسباب، أي: هؤلاء القوم إن رَامُوا ذلكَ جندٌ مهزوم، وقيل: أُشيرَ بـ«هنالك» إلى جملة الأصنام وعَضْدِها[1]، أي: هم جندٌ مهزوم في هذه السبيل.

وقال مجاهد وقتادة: الإشارة إلى يوم بَدْرٍ، وكان غَيْبًا أَعْلَمَ اللهُ به على لسانِ رسوله، وقيل: الإشارة إلى حَضْرِ عامِ الخندق بالمدينة[2].

وقال الزمخشريُّ: و«هنالك» إشارةٌ إلى حيث وَضَعوا فيه أنفسَهم مِن الانتداب لمِثْل ذلك القولِ العظيم، مِن قولهم لمَن يُندَب لأَمْرٍ ليس مِن أهله: لستَ هنالك[3]. انتهى.

---

(١) العَضْدُ: الناصِر والمُعِين، وهم عَضْدِي وأعضادِي. القاموس (عضد).

(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٤٩٥، وينظر تفسير الثعلبي ٥/ ٢٤٩، والقرطبي ١٨/ ١٣٧، وخبر مجاهد وقتادة عند الطبريّ ٢٠/ ٢٩.

(٣) الكشاف ٣/ ٣٦٢.

و«هنالك» يحتمل أنْ يكون في موضع الصفة لـ «جُند» أي: كائنٌ هنالك، ويحتمل أنْ يكون متعلِّقاً بـ «مهزوم»، و«جند» خبرُ مبتدأ محذوف، أي: هم «جندٌ»، و«مهزومٌ» خبره.

وقال أبو البقاء: «جُنْدٌ» مبتدأ، و«ما» زائدة، و«هنالك» نعت، و«مهزوم» الخبر[١]. انتهى. وفيه بُعْدٌ؛ لِتَفَلُّتِه عن الكلام الذي قَبْلَه.

ومعنى: «مِن الأحزاب» مِن جملة الأحزاب الذين تعصَّبوا في الباطل وكَذَّبوا الرُّسُلَ.

ولمَّا ذَكَر تعالى أنَّه أهلكَ قَبْلَ قريش قروناً كثيرةً لمَّا كذَّبوا رُسُلَهم، سَرَدَ منهم هنا مَن لهم تعلُّق بعرفانه، و«ذُو الأَوتاد» أي: صاحبُ الأوتاد، وأصله مِن ثَبَات البيتِ المُطَنَّب بأوتادِه[٢]، قال الأَفْوَه الأَوْدِي:

والبيتُ لا يُبْتَنى إلَّا على عَمَدٍ ولا عمادَ إذا لم تُرْسَ أوتادُ[٣]

فاستعيرَ لثبات العزِّ والملكِ واستقامَةِ الأَمْرِ، كما قال الأسود:

في ظلِّ مَلْكٍ ثابتِ الأوتادِ

قاله الزمخشريُّ وأَخَذَه مِن كلامِ غيره[٤].

وقال ابنُ عباس وقتادة وعطاء: كانت له أَوتاد وخُشُب يُلعَب له بها وعليها. وقال السُّدِّيُّ: كان يَقتُل الناسَ بالأوتاد ويَسْمُرهم في الأرض بها. وقال الضحاك: أَراد المبانيَ العظيمة الثابتة، وقيل: عبارة عن كَثْرَة أَخْبِيته وعِظَمِ عساكره[٥].

---

(١) الإملاء ٢/ ٢٠٩.

(٢) الطُّنُب: حبلٌ طويل يُشَدُّ به سُرادق البيت، أو الوتدُ. القاموس (طنب).

(٣) الكشاف ٣/ ٣٦٢، والبيت في العِقْد لابن عبد ربِّه ١/ ٩، والتمثيل والمحاضرة للثعالبي ص٥١، وأمالي القالي ٢/ ٢٢٤، والحماسة البصرية ٢/ ٦٩، والأفوه: صلاءة بن عمرو.

(٤) الكشاف ٣/ ٣٦٢، وينظر تفسير الثعلبي ٥/ ٢٤٩، وصدر البيت:

ولقد غَنَوْا فيها بأَنْعَمِ عِيْشةٍ

وهو في غريب القرآن لابن قتيبة ص ٣٧٧، والمفضليات ص ٢١٧.

(٥) المحرر الوجيز ٤/ ٤٩٥، وأَثَر ابنِ عباس وقتادة والسدي والضحاك عند الطبري ٢٠/ ٣٠.

وقيل: كان يشْبَح المعذَّب بين أربعِ سوارٍ، كلُّ طَرَف مِن أطرافه إلى ساريةٍ مَضْرُوب فيها وَتِد مِن حديد ويَتركه حتى يموتَ. ورُويَ معناه عن الحسن ومجاهد[١].

وقيل: كان يمدُّه بينَ أربعةِ أوتاد في الأرض، ويُرسِل عليه العقارِبَ والحيَّات، وقيل: يَشدُّهم بأربعةِ أوتاد، ثم يَرفَعُ صخرةً فتُلقى عليه فَتَشدَخه، وقاله ابنُ مسعود وابنُ عبَّاس في رواية عطيَّة[٢].

«الأوتاد»: الجنود يَشُدُّون ملْكَه، كما يُقوّي الوَتِدُ الشَّيءَ، وقيل: بَنَى مَناراً يَذبَح عليه الناس، قاله ابنُ جبير[٣].

«أولئك الأحزاب» أي: الذين تحزَّبوا على أنبيائهم كما تحزَّبت قريش على رسول الله ﷺ، والظاهر أنَّ الإشارةَ بـ «أولئك» إلى أقْرَب مذكور، وهم «قوم نوح»، ومَن عُطفَ عليهم، وفيه تفخيمٌ لشَأْنهم وإعلاءٌ لهم على مَن تحزَّب على رسول الله ﷺ، أي: هؤلاء العظماء لمَّا كَذَّبوا عُوقبوا فكذلك أنتم.

«إنْ كُلٌّ إلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ فحقَّ عِقَابِ» فوجب عِقَابهم، كذَّبت قومُ نوح نوحاً فأُغرقوا، وقومُ هود فأُهلكوا بالرِّيح، وفرعونُ فأُغرق، وثمودُ بالصَّيْحة، وقومُ لوطٍ بالخَسْف، والأَيْكَة بعذاب الظُّلَّة، ومعنى «إنْ كُلٌّ» ما كلٌّ مِن قومِ نوح فمَن بَعْدَه «فحقَّ عقاب» أي: وجب عقابُهم، فكذلك يحِقُّ عليكم أيُّها المكذبون بالرُّسُل.

وقال الزمخشريُّ: «أولئك الأحزاب» قَصَدَ بهذه الإشارةِ الإعلامَ بأَنَّ الأحزابَ الذين جعلَ الجند المهزوم هم هم، وأنَّهم الذين وُجدَ منهم التكذيب، ولقد ذَكَر تكذيبَهم أوَّلاً في الجملة الخبريَّة على وَجْه الإبهام، ثمَّ جاء بالجملة الاستثنائيَّة فأَوضحه فيها، بأنَّ كلَّ واحدٍ مِن الأحزاب كذَّب كلَّ الرسل؛ لأنَّهم إذا كذَّبوا واحداً منهم فقد كذَّبوهم جميعاً، وفي تكريرِ التكذيب وإيضاحِه بَعْدَ إبهامِه والتنويعِ في تكريره بالجملة الخبريَّة أوَّلاً، وبالاستثنائية ثانياً، وما في الاستثنائيَّة مِن الوَضْع

(١) الكشاف ٣/ ٣٦٢، وتفسير القرطبي ١٨/ ١٣٨-١٣٩، وينظر زاد المسير ٧/ ١٠٥.
(٢) الكشاف ٣/ ٣٦٢، وتفسير الثعلبي ٥/ ٢٤٩-٢٥٠، وزاد المسير ٧/ ١٠٥-١٠٦، وتفسير القرطبي ١٨/ ١٣٨-١٣٩.
(٣) زاد المسير ٧/ ١٠٦ دون عزوٍ.

على وَجْه التوكيد والتخصيص = أنواعٌ مِن المبالغة المُسَجَّلة عليهم باستحقاقِ أَشَدِّ العذاب وأبلغه، ثم قال: «فحقَّ عقابِ» أي: فوجبَ لذلك أنْ أُعاقبَهم حقَّ عقابهم[١]. انتهى.

❋ ❋ ❋

﴿وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ مَّا لَهَا مِن فَوَاقٖ (١٥) وَقَالُواْ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبۡلَ يَوۡمِ
ٱلۡحِسَابِ (١٦) ٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلۡأَيۡدِۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ (١٧) إِنَّا سَخَّرۡنَا ٱلۡجِبَالَ
مَعَهُۥ يُسَبِّحۡنَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِشۡرَاقِ (١٨) وَٱلطَّيۡرَ مَحۡشُورَةٗۖ كُلّٞ لَّهُۥٓ أَوَّابٞ (١٩) وَشَدَدۡنَا مُلۡكَهُۥ وَءَاتَيۡنَٰهُ
ٱلۡحِكۡمَةَ وَفَصۡلَ ٱلۡخِطَابِ (٢٠) ۞ وَهَلۡ أَتَىٰكَ نَبَؤُاْ ٱلۡخَصۡمِ إِذۡ تَسَوَّرُواْ ٱلۡمِحۡرَابَ (٢١) إِذۡ دَخَلُواْ عَلَىٰ
دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنۡهُمۡۖ قَالُواْ لَا تَخَفۡۖ خَصۡمَانِ بَغَىٰ بَعۡضُنَا عَلَىٰ بَعۡضٖ فَٱحۡكُم بَيۡنَنَا بِٱلۡحَقِّ وَلَا تُشۡطِطۡ
وَٱهۡدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ (٢٢) إِنَّ هَٰذَآ أَخِي لَهُۥ تِسۡعٞ وَتِسۡعُونَ نَعۡجَةٗ وَلِيَ نَعۡجَةٞ وَٰحِدَةٞ فَقَالَ أَكۡفِلۡنِيهَا
وَعَزَّنِي فِي ٱلۡخِطَابِ (٢٣) قَالَ لَقَدۡ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعۡجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦۖ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡخُلَطَآءِ لَيَبۡغِي
بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٞ مَّا هُمۡۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسۡتَغۡفَرَ
رَبَّهُۥ وَخَرَّۤ رَاكِعٗاۤ وَأَنَابَ ۩ (٢٤) فَغَفَرۡنَا لَهُۥ ذَٰلِكَۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلۡفَىٰ وَحُسۡنَ مَـَٔابٖ (٢٥) يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا
جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ
يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ (٢٦) وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا
بَيۡنَهُمَا بَٰطِلٗاۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ (٢٧) أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ
ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلۡمُفۡسِدِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلۡمُتَّقِينَ كَٱلۡفُجَّارِ (٢٨) كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ
ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ (٢٩) وَوَهَبۡنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيۡمَٰنَۚ نِعۡمَ ٱلۡعَبۡدُۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ (٣٠) إِذۡ عُرِضَ
عَلَيۡهِ بِٱلۡعَشِيِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلۡجِيَادُ (٣١) فَقَالَ إِنِّيٓ أَحۡبَبۡتُ حُبَّ ٱلۡخَيۡرِ عَن ذِكۡرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتۡ
بِٱلۡحِجَابِ (٣٢) رُدُّوهَا عَلَيَّۖ فَطَفِقَ مَسۡحَۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلۡأَعۡنَاقِ (٣٣) وَلَقَدۡ فَتَنَّا سُلَيۡمَٰنَ وَأَلۡقَيۡنَا عَلَىٰ
كُرۡسِيِّهِۦ جَسَدٗا ثُمَّ أَنَابَ (٣٤) قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَهَبۡ لِي مُلۡكٗا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ
ٱلۡوَهَّابُ (٣٥) فَسَخَّرۡنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجۡرِي بِأَمۡرِهِۦ رُخَآءً حَيۡثُ أَصَابَ (٣٦) وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٖ وَغَوَّاصٖ (٣٧)
وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي ٱلۡأَصۡفَادِ (٣٨) هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمۡنُنۡ أَوۡ أَمۡسِكۡ بِغَيۡرِ حِسَابٖ (٣٩) وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلۡفَىٰ
وَحُسۡنَ مَـَٔابٖ (٤٠)﴾.

---

(١) الكشاف ٣/ ٣٦٢-٣٦٣.

المفردات الفُواق بضمِّ الفاء وفتحِها: الزمانُ الذي ما بينَ حَلْبَتَي الحالب ورَضْعَتي الرَّاضع، وفي الحديث: «العيادةُ قَدْرَ فواق الناقة»[1].

وأَفَاقَتِ الناقةُ إفاقةً: اجْتَمعت الفِيْقَة في ضَرْعها، فهي مُفِيْقٌ ومُفِيْقَةٌ، عن أبي عمرو، والفِيْقَة: اللَّبَن الذي يَجتمع بين الحَلْبَتين، ويُجمَع على: أفواق، وأفاويق جَمْع الجَمْع.

وقال أبو عبيدة والفرَّاء ومُؤَرِّج: الفَواق بالفتحِ: الإفاقة والاستراحة[2].

القِطُّ، قال الفرَّاء: الحَظُّ والنصيب، ومنه قيل للصَّكِّ: القِطّ، وقال أبو عبيدة والكسائيُّ: القِطُّ: الكتابُ بالجوائز، قال الأعشى:

ولا المَلِكُ النُّعمانُ يومَ لَقِيتُهُ بِغِبْطَتِهِ يُعطي القُطوطَ ويَأْفِقُ[3]

ويُروَى: بإمَّتِه، أي: بنعمته، ويَأْفِق: يُصْلِح، وهو في الكتاب أكثرُ استعمالاً، قال أميَّة بنُ أبي الصَّلْت:

قومٌ لهم ساحةٌ أرضُ العراقِ وما يُجْبَى إليهم بها والقِطُّ والقَلَمُ[4]

---

(١) تفسر القرطبي ١٨/ ١٤٠-١٤١، والحديث عند البيهقي في شعب الإيمان (٩٢٢٢) من حديث أنس ﷺ، وفي إسناده: أبو عبد الله مندل بن علي العنزي الكوفي، ضعَّفه أحمد كما في تهذيب التهذيب، وأورد الحديث السيوطي في الجامع الصغير (٤/ ٣٩٦ فيض القدير)، ورمز لصحته.

(٢) تفسير الثعلبي ٥/ ٢٥٠، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٩٦، وتفسير الرازي ٢٦/ ١٨٢-١٨٣، والقرطبي ١٨/ ١٤١، وكلام أبي عبيدة في كتابه مجاز القرآن ٢/ ١٧٩، وكلام الفراء في معاني القرآن ٢/ ٤٠٠.

(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٤٩٦، وينظر معاني القرآن للفراء ٢/ ٤٠٠، والبيت في ديوان الأعشى ص ٢٦٩، وفيه: بإمَّته، بدل: بغبطته. وهي المشار إليها بعد رواية البيت أعلاه.

(٤) كذا ورد البيت في النسخ، ولم نقف عليه هكذا عند غيره، ونقله عنه السمين في الدر المصون ٩/ ٣٦٤، وابنُ عادل في اللباب ١٦/ ٣٨٧، وهو من البحر البسيط، والبيت في ديوان أمية ص ١٢٨، وروايته فيه هكذا:

قوم لهم ساحة العراق إذا ساروا جميعاً والقطّ والقلم

وهو من البحر المنسرح، وأورده هكذا أيضاً ابن هشام في السيرة النبوية ١/ ٤٧، وأورده الماورديُّ في النكت والعيون ٥/ ٨٣ لكن بلفظ: يجبى إليه، بدل: ساروا جميعاً، ونَقَله عنه =

ويُجمَع أيضاً على: قِطَطة، وفي القليل: أقطّ وأقطاط.

تَسَوَّر الحائطَ والسُّورَ ـ وتَسَنَّمه ـ والبعيرَ: عَلَا أعلاه، والسُّور: حائط المدينة، وهو غير مهموز.

الشَّطَط: مجاوَزَةُ الحَدِّ وتَخطّي الحقِّ، وقال أبو عبيد: شَطَطتُ على فلانٍ وأَشْططتُ: جُرْتُ في الحُكْم(١).

التِّسْعُ: رُتْبَةٌ مِن العدد معروفة، وكَسْرُ التاء أشهر مِن الفتح.

النَّعْجَة: الأُنثى مِن بَقَر الوَحْش ومِن الضأن، ويُكنَى بها عن المرأة(٢)، قال الشاعر:

هُما نَعْجَتانِ مِن نِعَاجِ تَبَالة لدى جُؤذَرَيْنِ أو كبعضِ دُمَى هَكِرْ

وقال ابنُ عَون:

أَنَا أَبوهنَّ ثلاثٌ هُنَّهْ رابعةٌ في البيت صُغْراهُنَّهْ
ونَعجَتي خمساً تُوفِّيهنَّهْ إلَّا فتًى سَجْحٌ يُغَذِّيهُنَّهْ(٣)

عَزَّه: غَلَبه، يَعُزُّهُ عَزًّا، وفي المَثَل: مَن عَزَّ بَزَّ، أي: مَن غَلَبَ سَلَبَ، وقال الشاعر:

= القرطبيُّ ١٨/١٤٣، ومع الإشارة إلى أنه ورد في النسخ الخطية للبحر ـ عدا (د٣) و(يه) ـ والمطبوع: والعَلَم، بدل: والقلم.

(١) تفسير القرطبي ١٨/١٦٢-١٦٣، وقول أبي عبيد في كتابه غريب الحديث ٤/٣٠٨، وينظر الصحاح (شطط).

(٢) المحرر الوجيز ٤/٤٩٩-٥٠٠، والبيت لامرئ القيس، وهو في ديوانه ص ١١٠، وتبالة: موضع تألفه الوحوش، والجُؤذر: وَلَد البقرة، وهَكِر: مدينة باليمن. والشاعر يُشبّه جاريتين له بالنِّعاج أو بالدُّمى.

(٣) أورد البيتين القرطبي ١٨/ ١٦٤، وزاد عليهما بيتاً ثالثاً، وهو:

لَهِيَ النَّقَا في الجوع يطويهنَّهْ ويلُ الرغيفِ ويلَهُ مِنهُنَّهْ

ولم نقف عليهما عند غيره ممَّن سبقه، وأوردهما الآلوسي في روح المعاني ٢٣/٢٤٧، مع الإشارة إلى أنَّه ورد في القرطبي: سمح، بدل: سجح، واختلفت النُّسخ في البحر في شكل هذه الكلمة.

قَطَاةٌ عَزَّهَا شَرَكٌ فباتَت تُجاذِبُهُ وقد عَلِقَ الجناحُ[(١)]

الصافِن مِن الخيل: الذي يَرفَعُ إحدى يَديه ويَقف على طَرَفِ سُنْبُكِه[(٢)]، وقد يفعل ذلك برِجْله، وهي علامةُ الفَراهَة، وأنشد الزجّاج:

أَلِفَ الصُّفُونَ فما يَزالُ كأنَّهُ مِمَّا يَقومُ على الثلاثِ كَسِيرا[(٣)]

وقال أبو عُبَيْدة: الصَّافِن: الذي يَجمع يديه ويُسوِّيهما، وأمَّا الذي يَقِفُ على طَرَف السُّنْبُكِ فهو المتخيِّم[(٤)].

وقال القُتَبيُّ: الصافِنُ: الواقفُ في الخيل وغيرِها، وفي الحديث: «مَن سرَّه أنْ يقومَ الناس له صفوناً، فليَتبوَّأ مقعدَه مِن النار» أي: يديمون له القيامَ[(٥)]، حكاه قطرب، وأنشد للنابغة:

لَنَا قُبَّةٌ مَضْروبةٌ بفِنائها عِتاقُ المَهارى والجِيَاد الصَّوَافِن[(٦)]

---

(١) تفسير القرطبي ١٨/ ١٦٦، وينظر الصحاح (عزز)، والمثل ذكره الميداني في مجمع الأمثال ٢/ ٣٠٧، والزمخشري في المستقصى ٢/ ٣٥٧، والبيت اختلف في قائله، فقيل: مجنون ليلى، وقيل: نُصيب بن رباح، وقيل: توبة بن الحُميِّر. ينظر ديوان مجنون ليلى ص ٩٠، وشعر نُصيب ص ٧٤، والكامل للمبرِّد ٢/ ٩٢٩، وشرح ديوان الحماسة للتبريزي ٣/ ١٥١، وسمط اللآلي ٢/ ٦٩٦، وورد في الكامل عن قائل البيت: أحسبه توبة بن الحميِّر، قال أبو الحسن: يقال إنه لمجنون بني عامر، وهو الصواب.

(٢) السُّنْبُك: طَرَف الحافر وجانباه من قُدُم، وجمعه: سنابك. اللسان (سنبك).

(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٥٠٣، والبيت في معاني القرآن للزجاج ٤/ ٣٣٠، والنكت والعيون ٥/ ٩٢، واللسان (صفن)، وتفسير القرطبي ١٨/ ١٩١، ولم نقف على قائله.

(٤) المحرر الوجيز ٤/ ٥٠٣، وكلام أبي عبيدة في كتابه مجاز القرآن ٢/ ١٨٢، وورد فيهما: فهو مُخِيم، بدل: فهو المتخيم. ولعلَّ ما ورد عندهما هو الصواب، ينظر لسان العرب (خيم).

(٥) زاد المسير ٧/ ١٢٧-١٢٨، والنكت والعيون ٥/ ٩١، وينظر تفسير الثعلبي ٥/ ٢٦٩، والقرطبي ١٨/ ١٩٠-١٩١، والحديث قال عنه ابنُ حجر في الكافي الشاف ص ١٤٢: لم أجده هكذا. اهـ. وقال ابنُ العربي في أحكام القرآن ٤/ ١٦٥٣: هذا حديث موضوع. اهـ. وأخرج أبو داود (٥٢٢٩)، والترمذي (٢٧٥٥) عن معاوية أنه قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «من سَرَّهُ أن يتمثَّل له الرجال قياماً فليتبوَّأ مقعده من النار».

(٦) النكت والعيون ٥/ ٩١، وتفسير القرطبي ١٨/ ١٩١، والبيت أورده أيضاً أبو البقاء هبة الله بن نما الحلي في كتابه المناقب المزيدية في أخبار الملوك الأسدية، فصل في الرهائن، والبيت يَمدح فيه النعمانَ، وورد فيه: له، بدل: لنا، ولم نقف على البيت في ديوان النابغة المطبوع.

وقال الفرَّاء: على هذا رأيتُ العربَ وأشعارَهم تدلُّ على أنَّه القيام خاصَّة[(١)].

جادَ الفَرَسُ: صَارَ رَابِضاً، يَجود جُودة ـ بالضم ـ فهو جَوَاد، للذَّكَر والأُنثى مِن خيلٍ جيادٍ وأَجواد وأَجاويد، وقيل: الطِّوال الأعناق مِن الجِيد، وهو العُنُق، إذ هي مِن صفات فراهتها[(٢)]، وقيل: الجِياد جَمْع: جَود، كثَوب وثِياب.

الرخاء: اللَّيِّنة، مشتقة مِن الرّخاوة.

* * *

﴿وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ مَّا لَهَا مِن فَوَاقٖ ۝١٥ وَقَالُواْ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبۡلَ يَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ ۝١٦ ٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلۡأَيۡدِۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ۝١٧ إِنَّا سَخَّرۡنَا ٱلۡجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحۡنَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِشۡرَاقِ ۝١٨ وَٱلطَّيۡرَ مَحۡشُورَةٗۖ كُلّٞ لَّهُۥٓ أَوَّابٞ ۝١٩ وَشَدَدۡنَا مُلۡكَهُۥ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحِكۡمَةَ وَفَصۡلَ ٱلۡخِطَابِ ۝٢٠ ۞ وَهَلۡ أَتَىٰكَ نَبَؤُاْ ٱلۡخَصۡمِ إِذۡ تَسَوَّرُواْ ٱلۡمِحۡرَابَ ۝٢١ إِذۡ دَخَلُواْ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنۡهُمۡۖ قَالُواْ لَا تَخَفۡۖ خَصۡمَانِ بَغَىٰ بَعۡضُنَا عَلَىٰ بَعۡضٖ فَٱحۡكُم بَيۡنَنَا بِٱلۡحَقِّ وَلَا تُشۡطِطۡ وَٱهۡدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ۝٢٢ إِنَّ هَٰذَآ أَخِي لَهُۥ تِسۡعٞ وَتِسۡعُونَ نَعۡجَةٗ وَلِيَ نَعۡجَةٞ وَٰحِدَةٞ فَقَالَ أَكۡفِلۡنِيهَا وَعَزَّنِي فِي ٱلۡخِطَابِ ۝٢٣ قَالَ لَقَدۡ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعۡجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦۖ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡخُلَطَآءِ لَيَبۡغِي بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٞ مَّا هُمۡۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسۡتَغۡفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّۤ رَاكِعٗا وَأَنَابَ۩ ۝٢٤ فَغَفَرۡنَا لَهُۥ ذَٰلِكَۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلۡفَىٰ وَحُسۡنَ مَـَٔابٖ ۝٢٥﴾.

«وما يَنظر» أي: يَنتظر، «هؤلاء» إشارة إلى كُفَّار قريش، والإشارة بـ «هؤلاء» مقوِّية أنَّ الإشارةَ بـ «أولئك» هي للذين يَلونها مِن قومِ نوح وما عُطف عليه، وقال الزمخشريُّ: ويجوز أن يكون إشارةً إلى جميعِ الأحزاب؛ لاستحضارهم بالذِّكر، أو لأنَّهم كالحضور عندَ الله[(٣)]. انتهى. وفيه بُعْدٌ.

وهذا إخبارٌ منه تعالى صَدَّقه الوجودُ، والصَّيْحَة ما نَالَهم مِن قَتْلٍ وأَسْرٍ وغَلَبة، كما تقول: صَاح فيهم الدَّهْرُ، وقال قتادة: تَوعَّدهم بصيحةِ القيامة والنَّفْخ في

(١) زاد المسير ٧/ ١٢٧، وكلام الفراء في كتابه معاني القرآن ٢/ ٤٠٥.
(٢) تفسير القرطبي ١٨/ ١٩٠، والنكت والعيون ٥/ ٩٢.
(٣) الكشاف ٣/ ٣٦٣.

الصُّور، وقيل: بصيحةٍ يَهلكون بها في الدنيا[١]، فالقول الأوَّل فيه الانتظارُ مِن الرسول لشيءٍ مُعيَّن فيهم، وعلى هذَيْن القولَيْن هم بمَدْرَج عقوبةٍ وتَحتَ أمْرٍ خَطِرٍ ما يَنتظرون فيه إلا الهلكة.

وقرأ الجمهور: «مِن فَواق» بفتح الفاء، والسُّلَميُّ وابنُ وثاب والأعمش وحمزة والكسائيُّ وطلحة: بضمِّها[٢]، فقيل: هما بمعنًى واحد، كقُصَاص الشَّعَر وقَصاصه، وقال ابنُ زيد والسُّدِّيُّ: بالفتح: إفاقة[٣]، مِن: أفاق واسْتَرَاح، كجَواب مِن: أجاب.

قال ابنُ عباس: «مِن فواق» مِن ترداد. وقال مجاهد: مِن رجوع[٤].

«عَجِّل لنا قِطَّنا» نصيبنا مِن الجنَّة؛ لنتنعَّم به في الدنيا، قاله الحسن وقتادة وابنُ جبير[٥]. وقال قتادة أيضاً ومجاهد: نَصِيبنا مِن العذاب[٦]. وقال أبو العالية والكلبيُّ: صُحُفنا بإيماننا. وقال السُّدِّيُّ: المعنى: أَرِنا منازلَنا مِن الجنَّة حتى نتابعَك[٧]. وعلى كلِّ قول فإنَّما قالوا ذلك على سبيلِ الاستخفاف والاستهزاء.

ومعنى: «قَبْلَ يومِ الحساب» أي: الذي تَزعمون أنَّه واقعٌ في العالَم، إذ هم كفرةٌ لا يُؤمنون بالبَعْث.

ولمَّا كانت مقالتهم تقتضي الاستخفافَ أَمَرَ تعالى نبيَّه بالصَّبْر على أَذَاهُم، وذَكَر قصصاً للأنبياء داود وسليمان وأيوب وغيرهم وما عَرَض لهم، فصَبروا حتى فرَّج الله

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٤٩٥، وقول قتادة عند الطبري ٢٠/ ٣٣ بنحوه.
(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٤٩٦، وينظر تفسير الثعلبي ٥/ ٢٥٠، والقرطبي ١٨/ ١٤٠، وقراءة حمزة والكسائي في السبعة ص ٥٥٢، والتيسير ص ١٨٧، وهي أيضاً قراءة خَلَف، ينظر النشر ٢/ ٣٦١.
(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٤٩٦، وأخرجه عنهما الطبري ٢٠/ ٣٥.
(٤) النكت والعيون ٥/ ٨٢، وزاد المسير ٧/ ١٠٨، وأخرجه عنهما الطبريُّ ٢٠/ ٣٤.
(٥) تفسير القرطبي ١٨/ ١٤٢ عن الحسن وابن جبير، وزاد المسير ٧/ ١٠٨ عن ابن جبير والسديّ، وأخرجه عنهما الطبريُّ ٢٠/ ٣٨-٣٩.
(٦) تفسير الثعلبي ٥/ ٢٥١، وتفسير القرطبي ١٨/ ١٤٢، وأخرجه عنهما الطبريُّ ٢٠/ ٣٧-٣٨.
(٧) المحرر الوجيز ٤/ ٤٩٦، وقول السدي عند الطبري ٢٠/ ٣٨.

عنهم، وصارت عاقبتهم أحسنَ عاقبة، فكذلك أنتَ تَصبِر ويَؤول أمْرُك إلى أحسنِ مآلٍ وتَبلغ ما تُريد مِن إقامة دينِك وإماتة الضلال.

وقيل: «اصْبِر على ما يقولون» وعَظِّم أمْرَ مخالفتهم لله في أعينهم، وذَكِّرهم بقصَّة داود وما عرضَ له، وهو قد أُوتيَ النبوَّة والملكَ، فما الظَّنّ بكم مع كفرِكم وعصيانِكم. انتهى. وهو مُلتَقَط مِن كلامِ الزمخشريِّ مع تغييرِ بعض ألفاظٍ لا تُناسِبُ مَنْصِبَ النبوَّة[1].

وقيل: أَمَرَهُ بالصَّبر، وذكر قصص الأنبياء لتكون برهاناً على صحَّة نبوَّته، وقيل: «اصبر على ما يقولون» وحافِظ على ما كُلِّفت به مِن مصابرتِهم وتحمُّل أَذَاهم، واذْكُر «داودَ» وكرامتَه على الله، وما عَرَض له، وما لَقي مِن عَتَبِ الله.

«ذا الأيد» أي: ذا القوَّة في الدِّين والشَّرْع والصَّدْع بأَمْر الله والطاعةِ لله، وكان مع ذلك قويًّا في بَدَنه.

والأوَّاب: الرَّجَّاع إلى طاعة الله، قاله مجاهد وابن زيد، وقالَ السُّدِّيُّ: المُسبِّح[2]، ووَصْفُه بأنَّه أوَّاب يدلُّ على أنَّ «ذا الأَيْد» معناه: القوَّة في الدِّين، ويقال: رَجُلٌ أَيِّد، وذو أَيْدٍ، وذو آدٍ، وأيادُ كلِّ شيء: ما يتقوَّى به[3].

و«الإشراق»: ووقتِ الإشراق، قال ثعلب: شَرَقَت الشمسُ: إذا طَلَعَت، وأَشْرَقت: إذا أَضاءَت، وَصَفَت[4]، وفي الحديث أنَّه عليه الصلاة والسلام صلَّى صلاةَ الضحى، وقال: «يا أمَّ هانئ، هذه صلاةُ الإشراق»[5]، وفي هذين الوقتين

(١) ينظر الكشاف ٣/ ٣٦٣.

(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٤٩٦، والآثار عند الطبري ٢٠/ ٤١-٤٣.

(٣) الكشاف ٣/ ٣٦٣، وينظر جمهرة اللغة ١/ ١٦ (أدد).

(٤) تفسير القرطبي ١٨/ ١٤٥، وينظر الصحاح (شرق).

(٥) تفسير القرطبي ١٨/ ١٤٥، والحديث أخرجه الطبراني في الكبير ٢٤/ ٤٠٦ (٩٨٦)، والثعلبي في التفسير ٥/ ٢٥١-٢٥٢، والبغوي في التفسير ٤/ ٥١، وفي إسناده: حجَّاج بن نصير وأبو بكر الهذلي، وكلاهما ضعيف. ميزان الاعتدال الترجمة (١٦٦٦) و(٩٤٢٨)، ومجمع الزوائد ٢/ ٢٣٨ و٧/ ٩٩.

كانت صلاةُ بني إسرائيل، وتقدَّم الكلامُ في تسبيح الجبال في قصَّة داودَ في سورة «الأنبياء»[١].

وأَتَى بالمضارع لا باسم الفاعل؛ دلالةً على حدوثِ التَّسبيح شيئاً بَعْدَ شيء، وحالاً بعد حالٍ، فكأنَّ السامعَ محاضِر تلكَ الجبال يَسمعها تُسبِّح، ومثله قولُ الأعشى:

لعمري لقد لاحَت عيونٌ كثيرةٌ إلى ضوءِ نارٍ في يَفَاعٍ تُحَرَّقُ

أي: تُحرَّق شيئاً فشيئاً، ولو قال: مُحرّقة، لم يدلّ على هذا المعنى[٢].

وقرأ الجمهور: «والطيرَ مَحشورةً» بنصبهما، عطفاً على «الجبال يُسبِّحن» عَطْفَ مفعولٍ على مفعول، وحالٍ على حال، كقولك: ضَربتُ هنداً مجرَّدةً، ودَعْداً لابسةً، وقرأ ابنُ أبي عَبْلَة والجحدريُّ: «والطيرُ مَحْشُورةٌ» برفعهما[٣]، مبتدأً وخبراً، وجاء «محشورة» باسم المفعول؛ لأنَّه لم يَرِد أنَّها تُحشَر شيئاً فشيئاً، إذ حاشِرُها هو اللهُ تعالى، فحَشْرها جملةً واحدة أدلُّ على القدرة.

والظاهر عَوْدُ الضمير في «له» على «داود» أي: كلّ واحدٍ مِن الجبال والطير لأجل داود، أي: لأَجْلِ تسبيحه مُسبِّح؛ لأنَّها كانت ترجِّعُ بتسبيحه، ووضع الأوَّاب موضع المُسبِّح.

وقيل: الضمير عائد على الله، أي: كلّ مِن داود والجبال والطير لله «أوَّاب» أي: مُسبِّح مُرَجِّع للتسبيح.

وقرأ الجمهور: «وشَدَدْنا» مخفَّفًا، أي: قوَّينا، كقوله: ﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ﴾ [القصص: ٣٥] والحسن وابنُ أبي عَبْلَة بشدِّ الدَّالِ[٤].

---

(١) عند تفسير الآية (٧٩) منها.

(٢) الكشاف ٣/ ٣٦٤ دون ذِكر صدر البيت، والبيت كاملاً في ديوان الأعشى ص ٢٧٣، واليَفَاع: المُرتَفع من كلِّ شيء. اللسان (يفع).

(٣) ينظر المحرر الوجيز ٤/ ٤٩٧، وزاد المسير ٧/ ١١١، والقراءات الشاذة ص ١٢٩.

(٤) تفسير الثعلبي ٥/ ٢٥٢، والمحرر الوجيز ٤/ ٤٩٧ عن الحسن، وينظر الكشاف ٣/ ٣٦٥.

وهي عبارةٌ شاملةٌ لِمَا وَهَبَ اللهُ تعالى مِن قوَّةٍ وجُنْدٍ ونِعْمَة، فالتخصيص ببعضِ الأشياء لا يَظهر، وقال السُّدِّيُّ: بالجنود[١].

قيل: كان يَبيت حولَ محرابه أربعونَ ألفَ مُسْتَلْئِم يَحرسُونه[٢]، وهذا بعيدٌ في العادة، وقيل: بهيبةٍ قَذَفها اللهُ له في قلوب قومِه.

و«الحِكْمَة» هنا النبوَّة، أو الزَّبُور، أو الفَهْم في الدِّين، أو كلّ كلام وافقَ الحقَّ، أقوال، و«فَصْل الخطاب» قال عليٌّ والشعبيُّ: إيجابُ اليمين على المدَّعى عليه، والبينة على المُدَّعي، وقال ابنُ عباس ومجاهد والسُّدِّيُّ: القضاءُ بين الناس بالحقِّ وإصابتُه وفَهْمُه.

وقال الشعبيُّ: كلمة: أمَّا بَعْدُ، لأنَّه أوَّل مَن تكلَّم بها وفَصَلَ بين كلامين[٣]، قال الزمخشريُّ: لأنَّه يفتتح إذا تكلَّم في الأمْرِ الذي له شأنٌ بذِكْر الله وتحميدِه، فإذا أراد أنْ يَخرج إلى الغَرَض المَسُوق إليه فَصَلَ بينه وبين ذِكْر الله بقوله: أمَّا بَعْدُ، ويجوز أنْ يُراد الخطابُ القَصْدُ الذي ليس فيه اختصار مُخِلٌّ ولا إشباعٌ مُمِلٌّ، ومنه ما جاء في صفة كلامِ رسول الله ﷺ: «فَصْلٌ لا نَذرٌ ولا هَذَر»[٤]. انتهى.

ولـمَّا كان تعالى قد كَمَّلَ نفسَ نبيِّه داود بالحكمة أردفه ببيانِ كمالِ خَلْقه في النُّطق والعبادة، فقال: «وفَصْل الخطاب».

«وهل أَتَاكَ نَبَأُ الخَصْم» لمَّا أَثنى تعالى على داودَ عليه السلام بما أَثنى، ذَكَر قصَّته هذه ليُعلِمَ أنَّ مِثْلَ قصَّته لا يُقدَح في الثناء عليه والتعظيم لقَدْرِه وإن تضمَّنت

---

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٤٩٧، وخبر السدي عند الطبري ٢٠/ ٤٦، والحاكم ٢/ ٥٨٦-٥٨٧.

(٢) الكشاف ٣/ ٣٦٥، والمُسْتلئم: لابِسُ عُدَّة الحرب. اللسان (سقط)، وينظر خبر السدي الآنف الذكر، وعرائس المجالس ص ٢٨٠.

(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٤٩٧، وينظر تفسير القرطبي ١٨/ ١٤٩-١٥٠، وعرائس المجالس ص٢٧٩، وتنظر الآثار عند الطبري ٢٠/ ٤٨-٥١، وتفسير الثعلبي ٥/ ٢٥٣، والنكت والعيون ٥/ ٨٤، والبغوي ٤/ ٥٢.

(٤) الكشاف ٣/ ٣٦٥، وخبرُ صفةِ كلامه ﷺ أخرجه الحاكم ٣/ ٩، وابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ٣/ ٣١٧ ضمن حديث طويل عن هشام بن حبيش بن خويلد ﷺ، وأورده القاضي عياض في الشفا، والشامي في سبل الهدى والرشاد ٣/ ٣٤٨، والنَّزْر: القليل، والهَذَر: الهذيان، والمعنى: ليس بقليل فيدلَّ على عِيّ، ولا كثير فاسد. النهاية (نزر) و(هذر).

استغفاره ربَّه، وليس في الاستغفار ما يُشعِر بارتكاب أَمْرٍ يُستَغفَر منه، ومازال الاستغفارُ شعارَ الأنبياء المشهودِ لهم بالعِصْمة، ومَجيْءُ مِثْلِ هذا الاستفهام إنَّما يكون لغرابة ما يَجِيءُ معه مِن القصص، كقوله: ﴿وَهَلْ أَتَنكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ﴾ [طه:٩] فيتهيَّأ المخاطَب بهذا الاستفهام لِمَا يأتي بَعْدَه ويَصْغِي لذلك، وذَكَر المفسِّرون في هذه القصَّة أشياءَ لا تُناسِب مناصبَ الأنبياء، ضَرَبْنا عن ذِكْرها صَفْحاً، وتكلَّمنا على ألفاظِ الآية.

والنَّبأ: الخَبَر، و«الخصم»: أصله مصدر، فلذلك يصلح للمفرَد والمُذَكَّر وفروعهما، وهنا جاء للجَمْع، ولذلك قال: «إذ تسوَّروا» «إذ دخلوا»، كما قال الشاعر:

وخَصْمٍ يَعُدُّونَ الذُّحُولَ كأنَّهم قُرُومٌ غَيَارَى كُلَّ أَزْهَرَ مُصْعَبِ[(١)]

والظاهر أنَّهم كانوا جماعةً، فلذلك أتَى بضمير الجَمْع، فإن كان المتحاكمان اثنين، فيكون قد جاءَ معهم غيرُهم على جهة المعاضَدَة والمؤانسة، ولا خلافَ أنَّهم كانوا ملائكةً، كذا قال بعضُهم[(٢)]، وقيل: كانا أخوين مِن بني إسرائيل لأبٍ وأمٍّ، والأوَّل أشهر، وقيل: «الخَصْم» هنا اثنان، وتُجوِّزَ في العبارة فأُخبِر عنهما إخبارَ ما زاد على اثنين؛ لأنَّ معنى الجمع في التثنية، وقيل: معنى «خصمان»: فريقان، فيكون «تسوَّروا» و«دخلوا» عائداً على الخَصْم الذي هو جميع الفريقين، ويدلُّ على أنَّ «خصمان» بمعنى: فريقان، قراءةُ مَن قرأ: «بَغَى بعضُهم على بعض»[(٣)]، وقال تعالى: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ﴾ [الحج:١٩] أي: فريقان، فأمَّا «إنَّ هذا أخي» وما رُويَ أنَّه بُعثَ إليه مَلَكان، فالمعنى أنَّ التحاكمَ كان بين اثنين ولا يَمتنع أنْ يَصحبَهما غيرُهما، وأطلق على الجميع خَصْم، وعلى الفريقين خصمان؛ لأنَّ مَن جاء مع متخاصِم لمعاضدةٍ فهو في صورة خَصْمٍ فلا يَبعد أن تُطلَق عليه التسميةُ.

---

(١) ينظر المحرر الوجيز ٤/ ٤٩٧-٤٩٨، وتفسير الثعلبي ٥/ ٢٥٦، والطبري ٢٠/ ٥٢-٥٣، ومجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/ ١٨٠، والبيت للبيد، وهو في شرح ديوانه ص ١٩، وورد فيه: قيام بالعراء، بدل: يعدُّون الذحول. والذَّحْلُ: الثَّأْرُ، والقُروم: الفحول، وأزهر: أبيض، ومصعب: لم يُركب.

(٢) ينظر النكت والعيون ٥/ ٨٦، وزاد المسير ٧/ ١١٨.

(٣) الكشاف ٣/ ٣٦٧، ولم نقف على القراءة عند غيره.

والعاملُ في الظَّرْف ـ وهو «إذ» ـ «أَتَاكَ»، قاله الحوفيُّ، وردَّ بأنَّ إتيانَ النَّبأ رسولَ اللهِ ﷺ لا يَقَعُ إلَّا في عهدِه لا في عهدِ داود.

وقال ابنُ عطيَّة وأبو البقاء: العامل فيه «نبأ»[١]، وردَّ بما ردَّ به ما قَبْلَه، إذ النَّبأ الواقع في عهدِ داود عليه السلام لا يصحُّ إتيانُه رسولَ الله ﷺ، وإن أردتَ بالنَّبأ القصَّةَ في نفسِها لم يكن ناصباً.

وقيل: العاملُ فيه محذوف، تقديره: «وهل أَتَاكَ نَبَأُ» تَحَاكُم «الخصم» قاله الزمخشريُّ[٢]، ويَجوز أنْ ينتصبَ بـ «الخصم» لما فيه مِن معنى الفعل، و«إذ دخلوا» بدلٌ مِن «إذ» الأولى، وقيل: ينتصب بـ «تسوَّروا».

ورُوِيَ أنَّ اللهَ تعالى بَعَثَ إليه مَلَكين في صورة إنسانَيْن، فَطَلبا أَنْ يَدخُلا عليه، فوجداهُ في يومِ عبادته، فمَنَعهما الحَرَسُ، فتسوَّرا عليه المحرابَ، فلم يَشعُر إلَّا وهما بين يدَيْه جالسان[٣].

قال ابنُ عباس: جَزَّأ زمانَه أربعةَ أجزاء؛ يوماً للعبادة، ويوماً للقضاء، ويوماً للاشتغال بخواصِّ أمورِه، ويوماً لجميع بني إسرائيل، فيَعظهم ويُبكيهم، فجاؤوه في غير يوم القضاء، ففَزِعَ منهم؛ لأنَّهم نزلوا عليه مِن فوق وفي يوم الاحتجاب والحرس حولَه لا يتركون مَن يَدخُل عليه[٤]، فخاف أَنْ يُؤذوه، وقيل: كان ذلك ليلاً، ويحتمل أَنْ يكون فَزَعه من أجل أنَّ أهل مملكته قد استَهانوه حتى تَرَكَ بعضُهم الاستئذانَ، فيكون فَزَعه على فسادِ السيرة لا مِن الدَّاخِلين.

وقال أبو الأحوص: فَزِعَ منهم؛ لأنَّهما دَخَلا عليه وكلٌّ منهما آخِذٌ برأس صاحبِه، وقيل: فَزِعَ منهما لمَّا رَأى مِن تسوُّرهم على موضعٍ مرتفع جدًّا لا يُمكن أَنْ يُرتَقى إليه إلَّا بَعْدَ أشهر مع أعوانٍ وكثرة عددٍ، وقيل: إنَّهما قالا: لم نتوصَّل إليك إلَّا بالتسوُّر؛ لمَنْعِ الحُجَّاب، وخفنا تَفَاقُم الأَمْرِ بيننا، فقَبِلَ داود عذرَهم.

---

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٤٩٨، والإملاء ٢/ ٢٠٩.
(٢) الكشاف ٣/ ٣٦٨، وما بعده منه أيضاً.
(٣) المصدر السابق، وينظر عرائس المجالس ص ٢٨٣.
(٤) الكشاف ٣/ ٣٦٨، وينظر عرائس المجالس ص ٢٨٧.

لمَّا أدركوا منه الفَزَع «قالوا: لا تَخَف» أي: لسنا ممَّن جاءَ إلَّا لأجلِ التَّحاكم، «خصمان» يحتمل أنْ يكون هذا موصولاً بقولهما «لا تَخَف» بادرا بإخبار ما جاءا إليه، ويحتمل أنْ يكون سَألهم: ما أَمْرُكم؟ فقالوا: «خصمان»، أي: نحن «خصمان بَغَى» أي: جَارَ بعضُنا على بعض، كما قال الشاعر:

ولَكِنَّ الفتى حَمَلَ بنَ بَدْرٍ بَغَى والبَغْيُ مَرْتَعُهُ وَخِيْمُ[(١)]

وقرأ أبو يزيد الجرار[(٢)] عن الكسائيّ: «خِصْمانِ» بكسر الخاء، وفي أَمْرِهم له ونَهْيهم بعضُ فَظَاظةٍ[(٣)] على الحُكَّام، حَمَلَ على ذلك ما هم فيه مِن التخاصُم والتَّشاجُر فاسْتَدْعَوا عَدْلَه مِن غير ارتياب بأنَّه يَحكم بالحقِّ.

وقرأ الجمهور: «ولا تُشْطِطْ» مفكوكاً، مِن: أَشَطَّ، رباعيًا، وأبو رجاء وابنُ أبي عَبْلَة وقتادة والحسن وأبو حيوة: «تَشْطُطْ» مِن: شَطَّ، ثلاثيًا[(٤)]، وقرأ قتادة أيضاً «تُشِطَّ» مُدغماً[(٥)]، مِن: أَشَطَّ، وقرأ زِرٌّ: «تُشَاطِطْ» بضمِّ التاء، وبألفٍ على وزن تُفاعِلْ مفكوكاً[(٦)]، وعن قتادة أيضاً: «تُشَطِّطْ» مِن: شَطَّطَ[(٧)].

و«سواء الصراط»: وَسَطُ طريقِ الحقِّ، لا مَيْلَ فيه مِن هنا ولا هنا.

«إنَّ هذا أخي» هو قول المدَّعي منهما، و«أخي» عطفُ بيانٍ عند ابنِ عطيَّة،

---

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٤٩٩، والبيت لقيس بن زهير العبسي، وهو في شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ١/ ٤٢٩، والتعازي والمراثي ص ٢٨٢، وأمالي القالي ١/ ٢٦١، وخزانة الأدب ٨/ ٣٧٠.

(٢) في (د٣): الجزار، وفي (يه): الجزاز، وفي مطبوع البحر: الجراد، والقراءة في القراءات الشاذة ص ١٢٩، وورد فيه: أبو يزيد الخزان. ولم نقف عليه.

(٣) في (ز٢): غضاضة.

(٤) ينظر المحرر الوجيز ٤/ ٤٩٩، وتفسير الثعلبي ٥/ ٢٥٧، والقراءات الشاذة ص ١٢٩-١٣٠، والمحتسب ٢/ ٢٣١.

(٥) لم نقف عليها عند غيره، وأوردها عنه السمين في الدر المصون ٩/ ٣٦٩، وابنُ عادل في اللباب ١٦/ ٣٩٦.

(٦) المحرر الوجيز ٤/ ٤٩٩، وينظر الكشاف ٣/ ٣٦٨، والقراءة في القراءات الشاذة ص ١٣٠.

(٧) ينظر الكشاف ٣/ ٣٦٨، والقراءات الشاذة ص ١٣٠.

وبَدَلٌ أو خَبَر لـ «إنَّ» عند الزمخشريّ[١]، والأُخوَّة هنا مستعارةٌ، إذ هما مَلَكان، لكنَّهما لمَّا ظَهَرا في صورةِ إنسانَيْن تكلَّما بالأُخوَّة، ومجازُها أنَّها أُخوَّة في الدِّين والإيمان، أو على معنى الصُّحبة والمرافقة، أو على معنى الشَّرِكة والخُلْطَة؛ لقوله: «وإنَّ كثيراً مِن الخُلَطَاء»، وكلُّ واحدةٍ مِن هذه الأُخوَّات تقتضي مَنْعَ الاعتداء وتَنْدُب إلى العدل.

وقرأ الجمهور: «تِسْعٌ وتِسْعُونَ» بكسر التاء فيهما، وقرأ الحسن وزيد بن عليٍّ: بفتحها فيهما[٢].

وقرأ الجمهور: «نَعْجَة» بفتح النون، والحسن وابنُ هرمز: بكسر النون[٣]، وهي لغةٌ لبعض بني تميم.

قيل: وكنَّى بالنَّعجة عن الزَّوجة، فقال: «أَكْفِلْنِيها» أي: رُدَّها في كَفَالتي، وقال ابنُ كيسان: اجْعَلْها كِفْلي، أي: نصيبي، وقال ابنُ عباس: أَعْطِنِيها، وعنه وعن ابنِ مسعود: تحوَّل لي عنها، وعن أبي العالية: ضُمَّها إليَّ حتى أَكْفَلَها[٤].

«وعَزَّني في الخطاب» قال الضَّحَّاك: إن تكلَّم كان أفصحَ منِّي، وإنْ حارب كان أبطشَ منِّي[٥].

وقال ابنُ عطيَّة: كان أَوجهَ منِّي وأَقوى، فإذا خاطَبْته كان كلامُه أقوى مِن كلامي، وقوَّته أَعظم مِن قوَّتي.

وقال الزمخشريُّ: جاءَني بِحِجاجٍ لم أَقْدِر أَنْ أُوردَ عليه ما أَردُّه به، وأراد بالخطاب مخاطبةَ المحاجّ المُجادِل، أو أراد: خَطبتُ المرأةَ وخَطَبها هو، فخاطبني

---

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٤٩٩، والكشاف ٣/ ٣٦٨.
(٢) أي: «تَسْعٌ وتَسْعُونَ»، وهي في القراءات الشاذة ص ١٣٠، والمحتسب ٢/ ٢٣١.
(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٥٠٠ عن الحسن، وفي مجمع البيان ٢٣/ ١٠٤ عن الحسن والأعرج عبد الرحمن بن هرمز، والقراءة عنهما في المحتسب ٢/ ٢٣٢.
(٤) ينظر المحرر الوجيز ٤/ ٥٠٠، وتفسير الثعلبي ٥/ ٢٥٧، والنكت والعيون ٥/ ٨٧، وتفسير القرطبي ١٨/ ١٦٦، وتنظر الآثار عند الطبري ٢٠/ ٥٩.
(٥) تفسير الثعلبي ٥/ ٢٥٨، والبغوي ٤/ ٥٤.

خطاباً، أي: غالَبَني في الخُطبة فغَلَبني، حيث زُوِّجها دُوني[١].

وقيل: غَلَبني بسلطانه؛ لأنَّه لمَّا سأله لم يَستطع خلافه، قال الحافظ أبو بكر بنُ العربيّ[٢]: كان ببلادِنا أميرٌ يُقال له: سير بنُ أبي بكر[٣]، فكلَّمته في أنْ يَسأل لي رجلاً حاجةً، فقال لي: أمَا عَلِمْتَ أنَّ طَلَبَ السلطانِ للحاجةِ غَصْبٌ لها؟! فقلت: أمَّا إذا كان عَدْلاً فلا.

وقرأ أبو حيوة وطلحة: «وَعَزَنِي» بتخفيف الزاي[٤]، قال أبو الفتح: حَذَفَ الزايَ الواحدةَ تخفيفاً، كما قال أبو زُبَيْد:

أَحَسْنَ بِهِ فَهُنَّ إليه شُوسُ[٥]

ورُوِيَ كذلك عن عاصم[٦]، وقرأ عبد الله وأبو وائل ومسروق والضَّحَّاك والحسن وعبيد بنُ عمير: «وعَازَّني» بألفٍ وتشديد الزاي[٧]، أي: وغالبني.

والظاهر إبقاءُ لفظِ النَّعجة على حقيقتها؛ مِن كونِها أُنثى الضَّأن، ولا يُكنى بها عن المرأةِ ولا ضرورةَ تَدعو إلى ذلك؛ لأنَّ ذلك الإخبار كان صادراً مِن الملائكة على سبيل التصوير للمسألة والفَرَض لها مِن غير تلبُّسٍ بشيء منها، فمثَّلوا بقصَّة رجلٍ له نعجةٌ ولخليطِه تسعٌ وتسعونَ، فأراد صاحبُه تتمَّة المئة، فطَمع في نعجةِ

---

(١) الكشاف ٣/ ٣٦٩.

(٢) في كتابه أحكام القرآن ٤/ ١٦٢١، وما قبله منه أيضاً، وينظر تفسير القرطبي ١٨/ ١٦٧.

(٣) هو أَحَدُ أمراء السلطان يوسف بن تاشفين. نفح الطيب ٤/ ٣٧٣.

(٤) ينظر المحرر الوجيز ٤/ ٥٠٠، والكشاف ٣/ ٣٦٩، والقراءات الشاذة ص ١٣٠، والمحتسب ٢/ ٢٣٢.

(٥) المحرر الوجيز ٤/ ٥٠٠، وكلام أبي الفتح بن جنّيّ في كتابه المحتسب ٢/ ٢٣٢، وصدر البيت:

خلا أنَّ العِتاقَ من المطايا

وهو في الخصائص ٢/ ٤٣٨، ورسالة الصاهل والشاحج ص ٦٤٥، وسلف، والشاهد فيه: أَحَسْنَ، يريد: أَحْسَسْنَ. الدر المصون ٩/ ٣٧٠.

(٦) المحرر الوجيز ٤/ ٥٠٠ نقلاً عن أبي حاتم، وهي رواية غير المشهورة عنه.

(٧) ينظر المحرر الوجيز ٤/ ٥٠٠، وتفسير الثعلبي ٥/ ٢٥٨، وزاد المسير ٧/ ١٢٠، وتفسير القرطبي ١٨/ ١٦٧، والقراءات الشاذة ص ١٣٠.

خليطِه، وأَراد انتزاعَها منه، وحاجَّه في ذلك محاجَّةَ حريصٍ على بلوغ مرادِه، ويدلُّ على ذلك قوله: «وإنَّ كثيراً مِن الخُلطاء» وهذا التصويرُ والتمثيل أبلغُ في المقصود وأدلُّ على المراد.

«قال لقد ظَلَمك بسؤالِ نَعْجَتِك إلى نعاجِهِ» ليس هذا ابتداءً مِن داود عليه السلام إثْرَ فَرَاغ لفظ المدَّعي، ولا فُتيا بظاهر كلامه قَبْلَ ظهور ما يَجب، فقيل ذلك على تقديرٍ، أي: لئن كان ما تقول «لقد ظَلَمك»، وقيل: ثَمَّ محذوف، أي: فأقرَّ المدَّعى عليه، فقال «لقد ظَلَمك»، ولكنَّه لم يَحْكِ في القرآن اعترافَ المدَّعى عليه؛ لأنَّه معلوم مِن الشرائع كلِّها، إذ لا يَحكُم الحاكمُ إلَّا بعد إجابة المدَّعى عليه.

فأمَّا ما قاله الحَلِيميُّ مِن أنَّه رَأى في المدَّعي مخايلَ الضَّعْف والهَضِيْمة، فحملَ أَمْره على أنَّه مظلوم ـ كما تقول ـ فدَعَاه ذلك إلى أنْ لا يسأل المدَّعى عليه، فاستعجل بقوله: «لقد ظَلَمك»[1] = فقولٌ ضعيفٌ لا يُعوَّل عليه.

ورُويَ أنَّ داودَ عليه السلام لمَّا سمع كلام الشاكي قال للآخَر: ما تقول؟ فأقرَّ، فقال له: لَئِن لم تَرجِع إلى الحقِّ لأكسرنَّ الذي فيه عيناك، وقال للثاني: «لقد ظَلَمك» فتبسَّما عند ذلك وذَهَبا ولم يَرَهما لحينِه، ورُويَ أنهما ذَهَبا نحو السماء بمَرْأًى منه[2].

وأضاف المصدر إلى المفعول، وضُمِّن السؤالُ معنى الإضافة، أي: بإضافةِ نعجتِك، على سبيلِ السؤال والطَّلَب، ولذلك عدَّاه بـ «إلى».

«وإنَّ كثيراً مِن الخُلطاء ليَبغي بعضُهم على بعض» هذا مِن كلامِ داودَ، ويدلُّ على أنَّ زمانه كان فيه الظُّلم والاعتداء كثيراً.

و«الخُلَطاء»: الشُّركاء الذين خَلَطوا أموالَهم، الواحدُ: خليطٌ، قَصَدَ داودُ بهذا الكلام الموعظةَ الحسنة والترغيبَ في إيثار عادةِ الخُلطاء الصُّلحاء الذين حكم لهم بالقلَّة، وأَنْ يُكرِّه إليهم الظُّلْم، وأَنْ يُسلِّي المظلومَ عن ما جَرَى عليه مِن خليطه، وأنَّ له في أكثرِ الخلطاء أُسوة.

---

(١) تفسير القرطبي ١٨/ ١٧١، وكلام الحليمي في كتابه المنهاج في شعب الإيمان ٢/ ٥٥٢.
(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٥٠٠.

وقرئ: «لَيَبْغِيَ» بفتح الياء[١]، على تقدير حذفِ النون الخفيفة، وأصله: لَيَبْغِيَنْ، كما قال:

اضْرِبَ عنكَ الهمومَ طارِقَها[٢]

يريد: اضْرِبَنْ، ويكون على تقدير قَسَم محذوف، ذلك القَسَم وجوابُه خبر لـ «إنَّ»، وعلى قراءةِ الجمهور يكون: «لَيَبْغِي» خبراً لـ «إنَّ»، وقرئ: «لَيَبْغِ» بحذف الياء[٣]، كقوله:

محمَّد تَفْدِ نفسَك كلُّ نَفْسٍ[٤]

أي: تفدي، على أحَدِ القولين.

و«قليلٌ» خبر مقدَّم، و«ما» زائدة تُفيد معنَى التعظيم والتعجيب، و«هم» مبتدأ.

«وظَنَّ دَاودُ» لمَّا كان الظَّنُّ الغالِب يُقارب العلمَ استُعير له، ومعناه: وعَلِمَ داودُ وأيقنَ أنَّا ابتليناهُ بمحاكمة الخصمَيْن، وأنكر ابنُ عطيَّة مَجِيْءَ الظَّنِّ بمعنى اليقين، وقال: لسنا نَجِده في كلام العرب، وإنَّما هو توقُّفٌ بين مُعتَقَدين غلبَ أحدهما على الآخَر، وتُوقِعه العربُ على العِلْم الذي ليس على الحواسّ ولا له اليقين التامّ، ولكن يخلط الناسُ في هذا ويقولون: ظَنَّ، بمعنى: أيقنَ[٥]، وطوَّل ابنُ عطيَّة في ذلك بما يُوقَف عليه في كتابه.

---

(١) الكشاف ٣/ ٣٧١، وما بعده منه أيضاً.

(٢) المصدر السابق، وصدر البيت المذكور نُسِبَ لطرفة بن العبد، وهو في النوادر لأبي زيد ص١٣، والخصائص ١/ ١٢٦، والعقد لابن عبد ربّه ٥/ ٣٥٦، ورسالة الصاهل والشاحج ص٤٦١، وخزانة الأدب ١١/ ٤٥٠، ولم نقف على البيت في ديوان طرفة، وعجزه:

ضَرْبَكَ بالسيف قونسَ الفرسِ

والقونس: عظم ناتئ بين أُذني الفرس. القاموس المحيط (قنس).

(٣) الكشاف ٣/ ٣٧١.

(٤) وعجزه:

إذا ما خِفْتَ من أمرٍ تبالا

وسلف.

(٥) المحرر الوجيز ٤/ ٥٠٠-٥٠١.

وقرأ الجمهور: «فَتَنَّاهُ»، وعمر بنُ الخطَّاب وأبو رجاء والحسن بخلاف عنه: بِشَدِّ التاء والنون[1] مبالغةً، والضَّحَّاك: «أَفْتَنَّاه»[2] كقوله:

لَئِنْ فَتَنَتْنِي لَهْيَ بالأمسِ أَفْتَنَتْ[3]

وقتادة وأبو عمرو في رواية: يُخَفِّف التاءَ والنون[4]، والألف ضميرُ الخصمين.

«فاستغفرَ ربَّه وخَرَّ راكعاً»، «راكعاً» حال، والخُرُور: الهَوِيُّ إلى الأرض، فإمَّا أنَّه عبَّر بالركوع عن السجود، وإمَّا أنَّه ذَكَر أوّلَ أحوالِ الخرور، أي: راكعاً لِيَسْجُد. وقال الحسن: لأنَّه لا يكون ساجداً حتى يركعَ[5].

وقال الحسن بنُ الفَضْل: خَرَّ مِن ركوعه، أي: سَجَدَ بَعْدَ أَنْ كان راكعاً.

وقال قوم: يُقال: خَرَّ، لمَن رَكَع وإنْ لم يَنْتَهِ إلى الأرض[6].

والذي نذهب إليه ما دلَّ عليه ظاهرُ الآية مِن أنَّ المُتسوِّرين المحرابَ كانوا مِن الإنس، دَخَلوا عليه مِن غيرِ المدخل، وفي غير وقتِ جلوسه للحُكْم، وأنَّه فَزِعَ منهم ظانًّا أنَّهم يغتالونه؛ إذ كان منفرداً في محرابِه لعبادة ربِّه، فلمَّا اتَّضح له أنَّهم جاؤوا في حُكومَةٍ وبَرَزَ منهم اثنانِ للتحاكُم ـ كما قصَّ اللهُ تعالى ـ وأنَّ داودَ عليه

---

(١) أي: «فَتَّنَّاهُ»، المحرر الوجيز ٤/ ٥٠١، والقراءة في القراءات الشاذة ص ١٣٠، والمحتسب ٢/ ٢٣٢.

(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٥٠١، ووردت فيه القراءة هكذا: «افتتناه» من غير ضبط، وأوردها أيضاً الزمخشري في الكشاف ٣/ ٣٧١ دون عزوٍ.

(٣) الكشاف ٣/ ٣٧١، وعجز البيت المذكور أعلاه:

سعيداً فأمسى قد غوى كلَّ مسلم

وهو في جمهرة اللغة ٢/ ٢٥ (تفن)، والصحاح (فتن)، ونُسبَ لأعشى همدان، وأورده أيضاً أبو بكر الأنباري في الزاهر ١/ ٤٧٢ دون نسبة، ونَسَبه ابنُ جنِّيّ في الخصائص ٣/ ٣١٥ لابن قيس.

(٤) أي: «فَتَنَاهُ»، ينظر الكشاف ٣/ ٣٧١، وتفسير القرطبي ١٨/ ١٧٣، وقراءة أبي عمرو ـ برواية عبد الوهاب وعلي بن نصر ـ في السبعة ص ٥٥٣، وينظر أيضاً القراءات الشاذة ص ١٣٠، والمحتسب ٢/ ٢٣٢.

(٥) الكشاف ٣/ ٣٧١.

(٦) المحرر الوجيز ٤/ ٥٠١.

السلام ظَنَّ دخولَهم عليه في ذلك الوقت ومِن تلك الجهة، ابتلاءً مِن الله له أنْ يَغتالُوهُ، فلم يَقَع ما كان ظنّه، فاستغفر مِن ذلك الظَّنِّ حيث أُخلفَ ولم يكن يَقَع مظنونُه، وخرَّ ساجداً ورَجَعَ إلى الله، وأنَّه تعالى غفر له ذلك الظَّنّ، ولذلك أشار بقوله: «فغفَرنا له ذلك» ولم يتقدَّم سوى قوله: «وظَنَّ داود أنَّما فَتَنَّاه».

ويُعلَم قَطْعاً أنَّ الأنبياءَ عليهم السلام معصومونَ مِن الخطايا لا يُمكن وقوعُهم في شيءٍ منها ضرورةَ أنْ لو جوَّزنا عليهم شيئاً مِن ذلك، بَطَلَت الشرائع، ولم نَثِقْ بشيءٍ ممَّا يذكرون أنَّه أوَحى اللهُ به إليهم، فما حكى اللهُ تعالى في كتابه يمرُّ على ما أراده تعالى، وما حكى القُصَّاص ممَّا فيه غَضٌّ من منصب النبوَّة، طَرَحناه، ونَحْنُ كما قال الشاعر:

ونُؤْثِرُ حُكْمَ العقلِ في كلِّ شُبهةٍ ... إذا آثَرَ الأخبارَ جلَّاسُ قُصّاص[(١)]

﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾ وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِىِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَىَّ ۖ فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٠﴾﴾.

جَعْلُه تعالى داودَ خليفةً في الأرض يدلُّ على مكانتِه عليه السلام عندَه واصطفائِهِ، ويَدفَعُ في صَدْرِ مَن نَسَبَ إليه شيئاً ممَّا لا يَليقُ بمنصب النبوَّة.

واحتمل لفظ «خليفة» أنْ يكون معناه: تَخْلُفُ مَن تقدَّمكَ مِن الأنبياء في الدعاء

(١) لم نقف على البيت عند غيره ممَّن سبقه، وأورده عنه الآلوسي في روح المعاني ٢٣/ ٢٦٠.

إلى الله تعالى وإلى دينه، واحتمل أن يكون معناه[١]: أنْ يُعلِيَ قَدْرَك بجَعْلك مَلِكاً نافذَ الحُكْم، ومنه قيل: خُلَفاءُ الله في أرضِه.

واستُدلَّ مِن هذه الآية على احتياجِ الأرض إلى خليفةٍ مِن الله، ولا يَلزم ذلك مِن الآية، بل لزومه مِن جهة الشَّرْع والإجماع. قال ابنُ عطيَّة[٢]: ولا يُقال: خليفة الله إلَّا لرسوله، وأمَّا الخُلفاء، فكلُّ واحدٍ منهم خليفةُ الذي قَبْلَه، وما يَجِيْءُ في الشِّعْر مِن تسميةِ أحدِهم: خليفة الله، فذلك تجوُّزٌ، كما قال ابن قيس الرُّقَيَّات:

خليفةُ اللهِ في بَرِيَّتِهِ جَفَّت بذاكَ الأقلامُ والكُتُبُ[٣]

وقالت الصحابة لأبي بكر: خليفةُ رسولِ الله، وبذلك كان يُدعَى مدَّته، فلمَّا وَلِيَ عمرُ قالوا: خليفةُ خليفةِ رسولِ الله، وطال الأمْرُ ورَأوا أنَّه في المستقبل [سيطول أكثر] فدَعَوه: أمير المؤمنين، وقُصرَ هذا الاسم على الخلفاء[٤]. انتهى.

«فاحْكُم بين الناس بالحقِّ» أمْرٌ بالديمومة وتنبيهٌ لغيرِه ممَّن وَليَ أمورَ الناسِ، وإلَّا فمِن حيث هو معصومٌ لا يَحكُم إلَّا بالحقِّ، أُمِرَ أوَّلاً بالحُكم بالحقِّ، ولمَّا كان الهوى قد يَعْرِض لغيرِ المعصوم أُمِرَ باجتنابه، وذكرَ نتيجة اتِّباعه، وهو إضلاله عن سبيلِ الله.

و«فيُضلَّك» جوابٌ للنَّهْي، والفاعل في «فيُضلَّك» ضمير الهوى، أو ضميرُ المصدر المفهوم مِن «ولا تَتَّبع»، أي: فيُضلَّك اتِّباعُ الهوى، ولمَّا ذَكَر ما ترتَّب على اتِّباع الهوى ـ وهو الإضلال عن سبيل الله ـ ذَكر عقابَ الضَّالِّ.

وقرأ الجمهور: «يَضِلُّون» بفتح الياء؛ لأنَّهم لمَّا أضلَّهم اتِّباع الهوى صاروا ضالِّين، وقرأ ابنُ عبَّاس والحسن ـ بخلافٍ عنهما ـ وأبو حَيْوَة: بضمِّ الياء[٥]،

---

(١) من قوله: في الدعاء... إلى هنا، زيادة من (د٣) و(يه).

(٢) في المحرر الوجيز ٤/ ٥٠٢، وما قبله منه أيضاً.

(٣) المصدر السابق، والبيت في ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات ص ٥، وورد فيه: فوق منبره، بدل: في بريته. وكذا ورد في طبقات الشعراء للجمحي ٢/ ٦٥٥، وأورده أيضاً المبرِّد في الكامل ٢/ ٨٢٩ بلفظ: ... في رعيَّته. وينظر خزانة الأدب ٧/ ٢٨٧ وما بعدها.

(٤) المحرر الوجيز ٤/ ٥٠٢، وما ورد بين حاصرتين لم يرد في النسخ، واستدرك منه.

(٥) ينظر المحرر الوجيز ٤/ ٥٠٢، وزاد المسير ٧/ ١٢٤، والقراءات الشاذة ص ١٣٠.

وهذه القراءة أعمُّ؛ لأنَّه لا يَضِلُّ إلَّا ضَالٌّ في نفسِه، وقراءةُ الجمهور أوضح.

و«بما نَسُوا» متعلِّق بما تعلَّق به «لهم»، و«نَسُوا»: تَرَكُوا، و«يوم» يجوز أن يكون منصوباً بـ «نَسُوا»، أو بما تعلَّق به «لهم»، ويكون النسيانُ عبارةً عن ضلالهم عن سبيل الله.

وانتصب «باطلاً» على أنَّه نعتٌ لمصدر محذوف، أي: خَلْقاً باطلاً، أو على الحال، أي: مبطِلين، أو ذوي باطلٍ، أو على أنَّه مفعولٌ مِن أجله، ومعنى: «باطلاً» عَبَثاً.

«ذلك» أي: كون خَلقها باطلاً «ظَنُّ الذين كفروا» أي: مَظْنُونهم، وهؤلاء وإن كانوا مُقرِّين بأنَّ خالقَ السماواتِ والأرض هو اللهُ تعالى، فهم مِن حيث أنكروا المَعَادَ والثوابَ والعقابَ ظانُّونَ أنَّ خَلْقَ ذلك ليس بحكمةٍ، وأنَّ خَلْقَ ذلك إنَّما هو عَبَثٌ، ولذلك قال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥] فنبَّه على المَعَاد والرجوع إلى جزائِه، ثم ذَكَر ما بينَ المؤمنِ عامِلِ الصالحات والمُفْسِدِ مِن التَّبايُن وأنَّهما ليسا سِيَّين، وقَابَلَ الصلاحَ بالفسادِ والتقوى بالفُجور.

قال ابنُ عباس: هي عامَّةٌ في جميع المسلمين والكافرين. وقيل: في قوم مِن مشركي قريش قالوا: نحن لنا في الآخرة أعظم ممَّا لنا في الدنيا، فأنزل اللهُ هذه الآيةَ. وقيل: في جماعة مِن المؤمنين والكافرين معيَّنين بارَزُوا يوم بَدر: عليّ، وحمزة، وعبيدة بن الحارث ﷺ، وعتبة، وشيبة، والوليد بنُ عتبة، وُصِفَ كُلٌّ بما ناسَبَه(١).

والاستفهام بـ «أم» في الموضعين استفهامُ إنكار، والمعنى: أنَّه لا يَستوي عند الله مَن أَصْلَح ومَن أَفْسَد، ولا مَن اتقى ومَن فَجَر، وكيف تكون التسوية بين مَن أَطاع ومَن عصى، إذن كان يَبطل الجزاءُ، والجزاء لا محالةَ واقعٌ فالتسوية منتفيةٌ.

ولمَّا انتفتِ التسويةُ بَيَّنَ ما تَصلُح به لمتَّبِعه السعادةُ الأبديَّة، وهو كتاب الله تعالى، فقال: «كتاب أنزلناه» وارتفاعه على إضمار مبتدأ، أي: هذا كتاب.

---

(١) ينظر زاد المسير ٧/ ١٢٥، وتفسير القرطبي ١٨/ ١٨٩، وإعراب القرآن للنحاس ٣/ ٤٦٢.

وقرأ الجمهور: «مُبارَكٌ» على الصفة، وقُرئ: «مباركاً» على الحال اللازمة[١]؛ لأنَّ البركةَ لا تفارقه.

وقرأ الجمهور: «لِيَدَّبَّرُوا» بياء الغيبة، وشدِّ الدالِ، وأصله: لِيَتَدبَّروا، وقرأ عليٌّ بهذا الأصل[٢].

وقرأ أبو جعفر: بتاء الخطاب وتخفيف الدَّال، وجاء كذلك عن عاصم والكسائيّ بخلاف عنهما[٣]، والأصل: لِتَتَدَبَّروا، بتاءين، فحذفت إحداهما على الخلاف الذي فيها أهيَ تاء المُضارَعَة أم التاء التي تليها؟

واللام في «لِيَدبَّروا» لام «كي»، وأسندَ التَّدبُّر في الجميع وهو التفكُّر في الآيات والتأمُّل الذي يُفضِي بصاحبه إلى النَّظَر في عواقب الأشياءِ، وأسندَ التَّذَكُّر إلى أُولي العقول؛ لأنَّ ذا العقل فيه ما يَهديه إلى الحقِّ وهو عَقْلُه، فلا يَحتاج إلَّا إلى ما يُذكِّره فيتذكَّر.

والمخصوصُ بالمدح محذوفٌ، التقدير: «نِعْمَ العَبْدُ» هو، أي: سليمان، وقرئ: «نَعِمَ العَبْدُ» على الأصل[٤]، كما قال:

نَعِمَ السَّاعُونَ في القَومِ الشُّطُرْ[٥]

أثنى تعالى عليه؛ لكثرة رُجوعه إليه، أو لكثرةِ تَسبيحه، «إذ عُرِضَ» الناصب

---

(١) الكشاف ٣/ ٣٧٢.
(٢) الكشاف ٣/ ٣٧٢.
(٣) أي: «لِتَدَبَّروا»، والقراءة عند الطبري ٢٠/ ٧٩ وعزاها لأبي جعفر وعاصم، وفي المحرر الوجيز ٤/ ٥٠٣ وعزاها لحفص عن عاصم، وفي كلامه هذا نظر، لأنَّ قراءة حفص عن عاصم هي كقراءة الجمهور، فلعله: الأعشى، كما سيرد عند الثعلبي، وتفسير الثعلبي ٥/ ٢٦٨ وعزاها لأبي جعفر وعاصم في رواية الأعشى - والبرجمي، وتفسير القرطبي ١٨/ ١٨٩ وعزاها لأبي جعفر وشيبة وعليّ، والقراءة في السبعة ص ٥٥٣ عن عاصم في رواية الكسائي وحسين عن أبي بكر، وقراءة أبي جعفر في النشر ٢/ ٣٦١، وقراءة علي في القراءات الشاذة ص ١٣٠.
(٤) الكشاف ٣/ ٣٧٣.
(٥) عجز بيت لطرفة بن العبد، وهو في ديوانه ص ٥٨، وصدره: خالَتي والنفسُ قِدْماً أنَّهم. والشُّطُر الواحد: شطير: البعيد.

لـ «إذ» قيل: «أوّاب»، وقيل: اذْكُر، على الاختلاف في تأويل هذه الآية.

قال الجمهور: عُرِضَت عليه آلافٌ مِن الخيل تَرَكها أبوه له، وقيل: ألفٌ واحد، فأُجْرِيت بين يديه عشاءً، فتَشَاغل بحُسْنها وجَرْيها ومحبَّتها عن ذِكْرٍ له، فقال: «رُدُّوها»، «فطَفق» يَضْرِب أعناقَها وعراقيبَها بالسَّيف؛ لما كانت سببَ الذُّهول عن ذلك الذِّكر، فأَبْدَلَهُ اللهُ أَسرعَ منها الرِّيْحَ.

وقال قوم منهم الثعلبيُّ: كانت بالناس مَجَاعَةٌ، ولحومُ الخيلِ لهم حلال، فعَقَرها لتُؤْكَلَ على سبيل القُرْبة، ونَحْرِ الهَدْي عندنا[1]. انتهى. وفي هذه القصَّة ألفاظٌ فيها غَضٌّ مِن منصب النبوَّة كَنَّيْنَا عنه.

و«الخير» في قوله: «حُبّ الخير» في هذا القول يُراد به الخيلُ، والعربُ تُسمِّي الخيلَ: الخيرَ، قاله قتادة والسُّدِّيّ، وقال الضحاك وابنُ جبير: «الخيرُ» هنا المالُ[2].

وانتصب«حُبّ الخير» قيل: على المفعول به؛ لتضمُّن «أَحببت» معنى: آثَرْتُ، قاله الفرَّاء[3]، وقيل: منصوبٌ على المصدر التشبيهيّ، أي: أَحببتُ الخيلَ حبَّ الخير، أي: حُبًّا مِثْلَ حبِّ الخيرِ.

وقيل: عُدِّي بـ «عن» مُضَمَّناً معنى فِعْلٍ يتعدَّى بها، أي: أَنبْتُ حبَّ الخيرِ عن ذِكْر ربِّي، أوجعلتُ حبَّ الخير مُغْنِياً عن ذِكْر ربِّي.

وذَكَر أبو الفتح الهَمْداني في كتاب «التبيان»: أنَّ «أَحببت» بمعنى: لَزِمت، من قوله:

مِــثْــلَ بَــعِــيْــرِ الــسَّــوءِ إذْ أَحــبَّــا[4]

---

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٥٠٣، وكلام الثعلبي في الكشف والبيان ٥/ ٢٦٩، وينظر أَثَر ابن عباس عند الطبري ٢٠/ ٨٧.

(٢) النكت والعيون ٥/ ٩٢، وزاد المسير ٧/ ١٢٩، وأَثَر قتادة والسدي عند الطبري ٢٠/ ٨٤.

(٣) في كتابه معاني القرآن ٢/ ٤٠٥، وينظر إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٤٦٣، وتفسير القرطبي ١٨/ ١٩٣.

(٤) الكشاف ٣/ ٣٧٣، ونقله عنه القرطبي ١٨/ ١٩٣، والرجز لأبي محمد الفقعسي وهو في =

وقالت فرقة: «أَحببتُ» سَقطتُ إلى الأرض، مأخوذ مِن: أَحَبَّ البعيرُ: إذا أَعْيَى وسَقط[(١)].

قال بعضهم: أَحَبَّ البعيرُ: بَرَك، وفلانٌ: طَأْطَأَ رَأْسَهُ، وقال أبو زيد: بَعيرٌ مُحِبٌّ، وقد أَحَبَّ إحباباً: إذا أصابه مرضٌ أو كَسْرٌ، فلا يَبرحُ مكانَه حتى يبرأ أو يموتَ. وقال ثعلب: يُقال للبعيرِ الحَسِيْر: مُحِبٌّ، فالمعنى: قَعَدْتُ عن ذِكْرِ رَبِّي، و«حبّ الخير» على هذا مفعولٌ مِن أجله[(٢)].

والظاهر أنَّ الضمير في «تَوارت» عائد على «الصافنات»، أي: دَخَلَت إصْطَبْلَاتها فهي الحِجَاب، وقيل: «حتى تَوارَت» في المسابقة بما يَحجبها عن النَّظَر، وقيل: الضميرُ للشمس وإنْ لم يَجْرِ لها ذِكْر؛ لدلالة: العَشِيّ عليها.

وقالت طائفة: عُرِضَ على سليمان الخيلُ وهو في الصلاة، فأَشار إليهم: أنِّي في صلاة، فأَزالُوها عنه حتى دَخَلت في الإصْطَبْلَات، فقال هُوَ لمَّا فَرَغَ مِن صلاته: «إنِّي أَحببتُ حُبَّ الخير» أي: الذي عندَ الله في الآخِرَة بسبب ذِكْر ربِّي، كأنَّه يقول: فشَغَلَني ذلكَ عن رؤيةِ الخيل حتى أُدخلت إصْطَبْلَاتها «رُدُّوها عليَّ فطَفِقَ» يَمسحُ أعرافَها وسوقَها؛ محبَّة لها[(٣)].

وقال ابنُ عباس والزهريُّ: مَسْحُه بالسُّوق والأعناقِ لم يكن بالسَّيف، بل بيدَيْه، تكريماً لها ومَحبَّةً. ورجَّحه الطبريُّ[(٤)].

وقيل: بل غَسْلاً بالماء، وقال الثعلبيُّ: إنَّ هذا المَسْح كان وَسْماً في السُّوق والأَعناق، بوَسْمِ حَبْسٍ في سبيل الله[(٥)]. انتهى. وهذا القول هو الذي يُناسِب

= الأصمعيات ص ١٦٣، والاشتقاق ١/ ٣٩، والفصول والغايات ص ٣٤٠، واللسان (حبب)، وقبله: حُلْت عليه بالقَفِيل ضربا، والقَفِيل: السَّوط.

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٥٠٤.

(٢) تفسير القرطبي ١٨/ ١٩٣، وينظر الصحاح (حبب).

(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٥٠٤.

(٤) ينظر المحرر الوجيز ٤/ ٥٠٤، وزاد المسير ٧/ ١٣١، وتفسير الثعلبي ٥/ ٢٧٠، وتفسير الطبري ٢٠/ ٨٧.

(٥) المحرر الوجيز ٤/ ٥٠٤، ولم نقف على كلام الثعلبي في تفسيره.

مناصبَ الأنبياء لا القول المنسوب للجمهور؛ فإنَّ في قصَّته ما لا يَليقُ ذِكْره بالنسبة للأنبياء.

و«حتى توارت» غاية، فالفعل يكون قَبْلَها مُتطاولاً حتى تصحَّ الغايةُ، ف «أحببت» معناه: داومت المحبَّة.

وقال الزمخشريُّ: فإن قلت: بِمَ اتَّصل قولُه: «رُدُّوها عليَّ»؟ قلتُ: بمحذوفٍ تقديره: قال: «رُدُّوها عليَّ» فأُضمر، وأُضْمِر ما هو جوابٌ له، كأنَّ قائلاً قال: فماذا قال سليمانُ؟ لأنَّه موضعٌ مقتضٍ للسؤال اقتضاءً ظاهراً[1].

ثم ذَكَر الزمخشريُّ لفظاً فيه غَضٌّ مِن النبوَّة، فترَكتُه، وما ذهب إليه مِن هذا الإضمار لا يحتاج إليه؛ إذِ الجملة مندرجةٌ تحت حكايةِ القول، وهو: «فقال إنِّي أَحببتُ»، فهذه الجملةُ وجملةُ «رُدُّوها عليَّ» مَحكيَّتان ب «قال»، و«طَفِقَ» مِن أفعال المقارَبَة للشُّروع في الفعل، وحذف خبرها، لدلالة المصدر عليه، أي: فَطَفِقَ يَمسحُ مَسْحاً.

وقرأ الجمهور: «مَسْحاً»، وزيد بن عليّ: «مِسَاحاً» على وزن قتال[2].

والباءُ في «بالسُّوق» زائدة، كهي في قوله: ﴿فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم﴾ [المائدة:٦] وحكى سيبويه: مَسَحْتُ برأسِه ورأسَه[3]، بمعنًى واحد، وتقدَّم الكلام على ذلك في «المائدة».

وقرأ الجمهور: «بالسُّوق» بغيرِ همز، على وزن فُعْل، وهو جمع: سَاق، على وزن فَعَلٍ بفتح العين ـ كأَسد وأُسْد، وابنُ كثير بالهمز[4]، قال أبو عليٍّ: وهي ضعيفةٌ، لكن وجهها في القياس أنَّ الضمَّة لَمَّا كانت تَلي الواوَ قُدِّرَ أنَّها[5] عليها

(١) الكشاف ٣/ ٣٧٤.

(٢) لم نقف عليها عند غيره ممَّن سبقه، وأوردها عنه السمين في الدر المصون ٩/ ٣٧٧، وابنُ عادل في اللباب ١٦/ ٤١٦.

(٣) الذي في كتاب سيبويه ١/ ٧٤: خشَّنت بصدره وصدر زيد، بمعنى: أوغرت.

(٤) المحرر الوجيز ٤/ ٥٠٤، والقراءة في السبعة ص ٥٥٣، والتيسير ص ١٦٨، والنشر ٢/ ٣٣٨.

(٥) من هنا، إلى قوله الآتي: . . .الكثير الهبات لا يتعاظم عنده. ليست في (د٢).

فهُمزت، كما يفعلون بالواو المضمومة، ووَجْه هَمْزِ السُّوق مِن السماع أنَّ أبا حيَّة النميري كان يَهمزُ كلَّ واوٍ ساكنة قَبْلَها ضمَّة وكان يُنشِد:

لَحُبَّ المُؤْقِدانِ[1] إلَيَّ مُؤْسَى[2]

انتهى. وليست ضعيفةً، لأنَّ السَّاقَ فيه الهمزُ لغة، ووزنه: فُعْل بسكون العينِ، فجاءت هذه القراءةُ على هذه اللُّغة.

وقرأ ابنُ محيصن: بهمزةٍ بَعْدَها الواو[3]، ورواها بكَّار عن قُنْبُل[4].

وقرأ زيد بنُ عليّ: «بالسَّاق» مُفرَداً[5]، اكتفي به عن الجَمْع؛ لأَمْنِ اللَّبْس.

ومِن غريب القولِ أنَّ الضميرَ في «رُدُّوها» عائدٌ على الشمس[6]، وقد اختلفوا في عَدَدِ هذه الخيل على أقوالٍ مُتكاذِبة سَوَّدوا الورقَ بذِكْرِها.

«ولقد فَتَنَّا سليمانَ وألقينا على كرسيِّه جَسَدًا» نَقَلَ المفسِّرون في هذه الفِتْنَة وإلقاءِ الجَسَد أقوالاً يَجب بَراءةُ الأنبياءِ منها، يُوقَف عليها في كُتُبهم، وهي ممَّا لا يحلُّ نَقْلُها وإنَّما هيَ مِن أوضاع اليهود والزَّنادقة.

ولم يُبيِّن اللهُ الفتنةَ ما هي، ولا الجَسَدَ الذي ألقاه على كرسيِّ سليمان، وأقربُ ما قيل فيه أنَّ المرادَ بالفتنة كونه لم يَسْتَثْنِ في الحديث الذي قال فيه: لأَطوفنَّ الليلةَ على سبعينَ امرأةً، كلّ واحدةٍ تأتي بفارسٍ يُجاهِد في سبيلِ الله. ولم يَقُل: إنْ شاءَ اللهُ، فطاف عليهنَّ، فلم تَحمل إلَّا امرأةٌ واحدةٌ، وجاءت بشِقِّ رَجُلٍ، قال رسولُ الله ﷺ: «والَّذي نفسِي بيدِه، لو قال: إنْ شاءَ اللهُ، لجاهدوا في سبيلِ الله فرساناً أجمعون»[7].

(١) في النسخ: أحب المؤقدين. والمثبت من مصادر التخريج الآتية، وسلف.
(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٥٠٤، وكلام أبي عليّ في كتابه الحجَّة ٦/ ٦٨-٦٩، وصدر البيت لجرير، وهو في ديوانه ١/ ٢٨٨، وسلف في تفسير سورة البقرة، عند تفسير الآية (٤).
(٣) أي: «بالسؤوق»، المحرر الوجيز ٤/ ٥٠٤، وأوردها أيضاً الزمخشري في الكشاف ٣/ ٣٧٤ ولم يَعزُها.
(٤) السبعة ص ٥٥٣-٥٥٤، والنشر ٢/ ٣٣٨.
(٥) الكشاف ٣/ ٣٧٤، وما بعده منه أيضاً.
(٦) ينظر تفسير الرازي ٢٦/ ٢٠٤-٢٠٥.
(٧) أخرجه البخاري (٢٨١٩)، ومسلم (١٦٥٤) من حديث أبي هريرة، وهو عند أحمد (٧٧١٥).

فالمراد بقوله: «ولقد فَتَنَّا سليمانَ وألقينا على كرسيِّه جَسَداً» هو هذا، والجَسَد المُلقَى هو المولودُ شِقُّ رَجُلٍ، وقال قوم: مَرِضَ سليمانُ مرضاً كالإغماء حتى صارَ على كرسيِّه جَسَداً، كأنَّه بِلَا رُوحٍ(١).

ولمَّا أَمَرَ تعالى نبيَّه عليه السلام بالصَّبْر على ما يقول كفَّار قريش وغيرهم، أَمَرَهُ بأَنْ يَذكُر مَن ابْتُليَ فصَبَر، فذكر قصَّة داودَ وقصَّة سليمانَ وقصَّة أيوب ليتأسَّى بهم، وذَكَر ما لهم عندَه مِن الزُّلفى والمَكَانة، فلم يَكن ليَذكُر مَن يتأسَّى به ممَّن نَسَبَ المفسِّرون إليه ما يَعظُم أنْ يتفوَّه به، ويَستحيل عقلاً وجودُ بعضِ ما ذَكَروه، كتمثُّل الشيطانِ بصورة نَبيٍّ حتى يَلتَبِس أَمْرُه عند الناس ويعتقدونَ أنَّ ذلك المتصوّر هو النبيّ ولو أمكن وجودُ هذا لم يُوثَقَ بإرسال نَبيٍّ، وإنَّما هذه مقالةٌ مُسترقة مِن زنادقةِ السُّوفِسْطائيَّة، نسألُ اللهَ سلامةَ أدياننا وعقولنا منها.

«ثم أَنَابَ» أي: بعد امتحانِنا إيَّاه دوام الإنابة والرُّجوع.

«قال رَبِّ اغْفِر لي» هذا أَدَبُ الأنبياء والصالحين مِن طَلَب المغفرةِ من اللهِ هضماً للنَّفس وإظهاراً للذلَّة والخُشوع، وطَلَبَاً للترقِّي في المقامات، وفي الحديث: «إنِّي لأَستغفرُ اللهَ في اليوم والليلة سبعينَ مرَّةً»(٢) والاستغفارُ مقدِّمةٌ بين يدَي ما يَطلُب المستغفرُ بطَلَب الأهمِّ في دِينه فيترتَّب عليه أَمْرُ دنياه، كقولِ نوح فيما حكى اللهُ عنه: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾ الآية [نوح: ١٠-١١].

والظاهر أنَّ طَلَبه المُلْكَ كان بَعْدَ هذه المحْنَة، وذَكَر المفسِّرون أنَّه أقَام في مُلْكه عشرينَ سنةً قَبْلَ هذا الابتلاء، وأقام بَعْدَها عشرينَ سنةً، فيُمكن أنَّه كان في مُلْكٍ قَبْلَ المحنَة، ثم سَأَلَ بَعْدَها مُلْكاً مقيَّداً بالوصف الذي بَعْدَهُ، وهو كونه «لا ينبغي لأحدٍ» مِن بَعْدِه، واختلفوا في هذا القَيْدِ، فقال عطاء بنُ أبي رباح وقتادة: أي: مدَّة حياتي لا أُسْلَبُه ويَصير إلى غيري(٣). وقال ابنُ عطيَّة: إنَّما قَصَدَ

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٥٠٥.
(٢) أخرجه البخاري (٦٣٠٧) من حديث أبي هريرة، وهو عند أحمد (٧٧٩٣).
(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٥٠٥، وما بعده منه أيضاً، وأثر قتادة عند الطبري ٢٠/ ٩٣.

بذلك قَصْداً جائزاً؛ لأنَّ للإنسان أَنْ يَرغَبَ مِن فَضْلِ اللهِ فيما لا يَناله أَحَدٌ، لاسيَّما بحسَب المكانة والنبوَّة، وانظر إلى قوله: «لا ينبغي» إنَّما هي لفظة مُحتَملَة ليست بقَطْعٍ في أنَّه لا يُعطي اللهُ نحوَ ذلك المُلْك لأَحَدٍ[1]. انتهى.

وقال الزمخشريُّ: كان سليمانُ عليه السلام ناشئاً في بيتِ المِلْكِ والنبوَّة ووارثاً لهما، فأراد أَنْ يَطلُبَ مِن ربِّه معجزةً، فطَلَب على حسَب إِلْفِه مُلْكاً زائداً على الممالك زيادةً خارقةً للعادة بالغةً حدَّ الإعجاز؛ ليكونَ ذلك دليلاً على نبوَّته قاهراً للمبعوث إليهم، ولن تكون معجزةً حتى تَخرقَ العاداتِ، فذلك مَعْنِيُّ قوله: «لا ينبغي لأحدٍ مِن بعدي».

وقيل: كان ملكاً عظيماً، فخاف أَنْ يُعطَى مِثْلَه أحدٌ فلا يُحافظ على حدودِ الله فيه، كما قالت الملائكة: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ﴾ [البقرة: ٣٠] وقيل: ملكاً لا أُسْلَبه ولا يَقوم فيه غيري مَقامي.

ويجوز أَنْ يُقال: عَلِمَ اللهُ فيما اختصَّه به مِن ذلك الملكِ العظيم مصالحَ في الدِّين، وعَلِمَ أنَّه لا يَضْطَلع بأعبائه غيره، وأَوجبت الحكمةُ استيهابَه، فأَمَرَه أَنْ يَستوهبه إيَّاه، فاستوهبه بأمرٍ مِن اللهِ على الصفة التي عَلِمَ اللهُ أنَّه لا يَضبطه عليها إلَّاهو وَحْدَهُ دونَ سائرِ عبادِه.

أو أراد أن يقول: مُلْكاً عظيماً، فقال: «لا ينبغي لأحدٍ مِن بعدي»، ولم يَقصِد بذلك إلَّا عِظَم الملكِ وسَعَته، كما تقول: لفلانٍ ما ليسَ لأحدٍ مِن الفَضْل والمال، ورُبَّما كان للناس أمثالُ ذلك، ولكنَّك تريدُ تعظيمَ ما عنده[2]. انتهى.

ولمَّا بَالغَ في صفة هذا الملكِ الذي طَلَبه، أَتَى في صفتِه تعالى باللفظ الدَّالِّ على المبالغة، فقال: «إنَّكَ أنتَ الوهَّابُ» أي: الكثيرُ الهِبَات لا يَتعاظم عندَه[3] هبة، ولمَّا طَلَب الهبةَ التي اختصَّ بطلَبها، وَهَبه وأَعطاهُ ما ذَكَر تعالى مِن قوله: «فسَخَّرنا له الرِّيْحَ».

---

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٥٠٥.

(٢) الكشاف ٣/ ٣٧٥.

(٣) هنا نهاية السقط في (د٢).

وقرأ الجمهور بالإفراد، والحسن وأبو رجاء وقتادة وأبو جعفر: «الرِّياح» بالجمع[(١)]، وهو أعمُّ، لعِظَم ملكِ سليمان، وإن كان المُفرَد بمعنى الجَمْع؛ لكونه اسمَ جنس.

«تجري» يَحتمل أنْ تكونَ جملة حاليَّةً، أي: جاريةً، وأنْ تكون تفسيريَّة لقوله: «فسخَّرنا له الريح تجري بأَمْرِه» أي: لا تمتنع عليه إذا أراد جَرْيَها.

«رُخاءً» قال ابنُ عباس والحسن والضَّحَّاك: مُطِيْعَة، وقال مجاهد: طَيِّبَة[(٢)].

«حيث أصاب» أي: حيث قَصَدَ وأراد، حكى الزجَّاج[(٣)] عن العرب: أصابَ الصوابَ فأَخْطَأ الجوابَ، أي: قَصَدَ، وعن رؤبة أنَّ رَجُلَين مِن أهل اللغة قَصَداه لِيَسْألاه عن هذه الكلمة، فخرجَ إليهما، فقال: أين تُصِيبان؟ فقالا: هذه طِلْبَتُنا. ويقال: أصابَ اللهُ بكَ خيراً. وأنشد الثعلبيُّ:

أَصابَ الكلامَ فَلَم يَسْتَطِع ... فَأَخْطَا الجوابَ لَدَى المفصلِ[(٤)]

وقال وهب: «حيث أصاب» أي: أراد[(٥)]، قيل: ويجوز أنْ يكونَ «أصاب» دخلت فيه همزةُ التَّعْدِية، مِن صَابَ يَصُوبُ، أي: حيث وجَّه جنودَه وجَعَلهم يَصُوبونَ صَوْبَ السحاب والمَطَر.

---

(١) ينظر زاد المسير ٧/ ١٣٩، والكشاف ٣/ ٣٧٥، والمحرر الوجيز ٤/ ٥٠٦، وقراءة أبي جعفر في النشر ٢/ ٢٢٣.

(٢) زاد المسير ٧/ ١٤٠، وينظر النكت والعيون ٥/ ٩٩، وتنظر الآثار عند الطبري ٢٠/ ٩٤-٩٦.

(٣) كذا في النسخ، والذي في الكشاف ٣/ ٣٧٥ - والكلام منه -: حكى الأصمعي. وكذا ورد في تفسير السمرقندي ٣/ ١٣٧، والنكت والعيون ٥/ ٩٩، وتفسير الرازي ٢٦/ ٢١٠، والذي ورد عن الزجاج في المحرر الوجيز ٣/ ٥٠٦ عند تفسير قوله تعالى: ﴿حَيْثُ أَصَابَ﴾ أنه قال: معناه: قَصَد. وكلامه في كتابه معاني القرآن ٤/ ٣٣٣.

(٤) المحرر الوجيز ٤/ ٥٠٦، ونقله عنه القرطبي ١٨/ ٢٠٨، وكلام الثعلبي في تفسيره ٥/ ٢٧٩، ولم نقف على البيت عند غيرهم ممَّن سبقه، وأورده السمين في الدر المصون ٩/ ٣٧٩، وابن عادل في اللباب ١٦/ ٤٢٤، وورد فيهما: الجواب، بدل: الكلام. والآلوسي في روح المعاني ٢٣/ ٢٩٦، وورد فيه: المعضل، بدل: المفصل.

(٥) المحرر الوجيز ٤/ ٥٠٦، وأخرجه عنه الطبريُّ ٢٠/ ٩٨.

وقيل: «أصاب»: أراد، بلغة حِمْيَر، وقال قتادة: بلغة هَجَر(١).

«والشياطين» معطوف على «الرِّيح»، و«كلَّ بَنَّاء وغَوَّاص» بَدَلٌ، وأتى بِبُنْيَة المُبالَغة، كما قال: ﴿يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ﴾، الآية [١٣ من سورة سبأ]، وقال النابغة:

إلَّا سليمانَ إذْ قال الإلَهُ لَهُ ... قُمْ في البَرِيَّة فاحْدُدْها عن الفَنَد
وخَيِّس الجِنَّ إنِّي قَدْ أَذِنتُ لَهُم ... يَبْنُونَ تَدْمُرَ بالصُّفَّاحِ والعَمَدِ(٢)

والمعطوفُ على العامِّ عامٌّ، فالتقدير: وكلّ غَوَّاص، أي: في البحر يَستخرجونَ له الحِلْيَة، وهو أوَّل مَن اسْتَخرَجَ الدُّرَّ(٣).

«وآخَرِيْنَ» عطفٌ على «كلّ»، فهو داخل في البَدَل، إذ هو بَدَلُ كلٍّ مِن كُلّ، بَدَل التفصيل، أي: من الجِنِّ ـ وهم المَرَدَةَ ـ سَخَّرهم له حتى قَرَنهم في الأصفاد؛ لِكُفْرهم، وقال النابغة في ذلك:

فَمَن أطَاعَكَ فانْفَعْهُ بطاعَتِهِ ... كما أطاعَكَ وادْلُلْهُ على الرَّشَدِ
ومَن عَصَاكَ فعاقِبْهُ مُعاقَبَةً ... تَنْهَى الظَّلومَ ولا تَقْعُد على ضَمَدِ(٤)

وتقدَّم تفسيرُ «مُقَرَّنين في الأصفاد» في أواخِر سورة «إبراهيم» عليه السلام، وأوصاف مِن مُلْكِ سليمان في سورة «النمل»(٥).

«هذا عطاؤنا» إشارة لمَا أعطاه اللهُ تعالى مِن المُلْكِ الضَّخم وتَسخيرِ الريح والإنسِ والجِنِّ والطيرِ، وأَمَرَهُ بأَنْ يَمُنَّ على مَن يشاء ويُمسِك عن مَن يَشاء، وَقَفَهُ

(١) تفسير القرطبي ١٨/٢٠٨، والقول الأول في عرائس المجالس ص ٢٩٥، وتفسير الثعلبي ٥/٢٧٩.

(٢) تفسير القرطبي ١٨/٢٠٨، والبيتان للنابغة الذبياني، وهما في ديوانه ص ٣٣، والفَنَد: الخطأ في الرأي والقول، وخَيِّس: ذَلِّل، والصُّفَّاح: حجارة عراض رقاق، والعَمَد: السواري من الرخام.

(٣) الكشاف ٣/٣٧٦، وينظر النكت والعيون ٣/٤٦١، وتفسير القرطبي ١٨/٢٠٨.

(٤) ديوان النابغة الذبياني ص ٣٣، وهما بيتان يليان البيتين السالفين قريباً، والأبيات من قصيدة يمدح بها النعمان.

(٥) ينظر تفسير الآية (٤٩) من سورة إبراهيم، وتفسير الآية (١٦) من سورة النمل.

على قَدْرِ النِّعْمَة، ثمَّ أبَاح له التصرُّفَ فيها بمشيئته، وهو تعالى قد عَلِمَ أنَّه لا يَتصرَّف إلَّا بطاعة الله. قاله الحسن وغيره[1]، وقال قتادة: إشارة إلى ما فَعَلَه الجنُّ، أي: «فامْنُن» على مَن شئتَ منهم، وأطلِقْه مِن وثاقه وسَرِّحه مِن خدمته، أو «أمسك» أمْرَه، كما تريد، وقال ابنُ عباس: إشارة إلى ما وَهَبه مِن النِّساء وأقْدَرَهُ عليهنَّ مِن جماعِهنَّ[2]. انتهى. ولعلَّه لا يصحُّ عن ابنِ عباس[3]؛ لأنَّه لم يَجْرِ هنا ذِكْرُ النِّسَاء، ولا ما أُوتيَ مِن القُدْرة على ذلك.

و«بغير حساب» في موضع الحال مِن «عطاؤنا» أي: هذا عطاؤنا جمًّا كثيراً لا تَكاد تَقْدِر على حَصْرِه، ويجوز أن يكون «بغير حساب» مِن تمام «فامْنُن» أو «أَمْسِك»، أي: لا حسابَ عليك في إعطاءِ مَن شِئْتَ أو حرمانه، أو في إطلاق مَن شئتَ مِن الشياطين أو إيثاقه.

وخَتَم تعالى قصَّته بما ذكرَ في قصَّة والدِه وهو قوله: «وإنَّ له عندنا لزُلْفى وحُسْن مآب»، وقرأ الجمهور: «وحُسْنَ مَآبٍ» بالنَّصْبِ عطفاً على «لَزُلْفَى»، وقرأ الحسن وابنُ أبي عبلة: بالرَّفْع[4]، ويَقفانِ على «لَزُلْفى» ويَبْتَدِآن: «وحُسْنُ مآب»، وهو مبتدأ خبرُه محذوف، تقديره: وحُسْنُ مآبٍ له.

❋ ❋ ❋

﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٤٣﴾ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾ وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ

(١) المحرر الوجيز ٤/٥٠٦، وتفسير القرطبي ١٨/٢٠٩ وعزاه الأخير للحسن والضحاك وغيرهما، وأخرجه عنهما الطبريُّ ٢٠/٩٩.
(٢) المحرر الوجيز ٤/٥٠٦، وينظر تفسير القرطبي ١٨/٢٠٩، وأثر قتادة وابنِ عباس عند الطبريّ ٢٠/١٠٠، وفي إسنادِ ابنِ عباس: سعد بن طريف الإسكاف الحَذَّاء الحنظلي الكوفي، وهو ضعيف أو متروك، تنظر ترجمته في تهذيب الكمال.
(٣) ينظر التعليق السابق.
(٤) لم نقف على القراءة عند غيره ممَّن سبقه، وأوردها عنه السمين في الدر المصون ٩/٣٨٠، وابنُ عادل في اللباب ١٦/٤٢٦، والآلوسي في روح المعاني ٢٣/٣٠٠.

إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ أُوْلِي ٱلۡأَيۡدِي وَٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّآ أَخۡلَصۡنَٰهُم بِخَالِصَةٖ ذِكۡرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾
وَإِنَّهُمۡ عِندَنَا لَمِنَ ٱلۡمُصۡطَفَيۡنَ ٱلۡأَخۡيَارِ ﴿٤٧﴾ وَٱذۡكُرۡ إِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ وَكُلّٞ مِّنَ ٱلۡأَخۡيَارِ
﴿٤٨﴾ هَٰذَا ذِكۡرٞۚ وَإِنَّ لِلۡمُتَّقِينَ لَحُسۡنَ مَـَٔابٖ ﴿٤٩﴾ جَنَّٰتِ عَدۡنٖ مُّفَتَّحَةٗ لَّهُمُ ٱلۡأَبۡوَٰبُ ﴿٥٠﴾ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا
يَدۡعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٖ كَثِيرَةٖ وَشَرَابٖ ﴿٥١﴾ ۞ وَعِندَهُمۡ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ أَتۡرَابٌ ﴿٥٢﴾ هَٰذَا مَا
تُوعَدُونَ لِيَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰذَا لَرِزۡقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾ هَٰذَاۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٖ
﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصۡلَوۡنَهَا فَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ﴿٥٦﴾ هَٰذَا فَلۡيَذُوقُوهُ حَمِيمٞ وَغَسَّاقٞ ﴿٥٧﴾ وَءَاخَرُ مِن شَكۡلِهِۦٓ أَزۡوَٰجٌ
﴿٥٨﴾ هَٰذَا فَوۡجٞ مُّقۡتَحِمٞ مَّعَكُمۡ لَا مَرۡحَبَۢا بِهِمۡۚ إِنَّهُمۡ صَالُواْ ٱلنَّارِ ﴿٥٩﴾ قَالُواْ بَلۡ أَنتُمۡ لَا مَرۡحَبَۢا بِكُمۡۖ
أَنتُمۡ قَدَّمۡتُمُوهُ لَنَاۖ فَبِئۡسَ ٱلۡقَرَارُ ﴿٦٠﴾ قَالُواْ رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدۡهُ عَذَابٗا ضِعۡفٗا فِي ٱلنَّارِ
﴿٦١﴾ وَقَالُواْ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالٗا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلۡأَشۡرَارِ ﴿٦٢﴾ أَتَّخَذۡنَٰهُمۡ سِخۡرِيًّا أَمۡ زَاغَتۡ عَنۡهُمُ
ٱلۡأَبۡصَٰرُ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقّٞ تَخَاصُمُ أَهۡلِ ٱلنَّارِ ﴿٦٤﴾ قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٞۖ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ
ٱلۡقَهَّارُ ﴿٦٥﴾ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفَّٰرُ ﴿٦٦﴾ قُلۡ هُوَ نَبَؤٌاْ عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنتُمۡ
عَنۡهُ مُعۡرِضُونَ ﴿٦٨﴾ مَا كَانَ لِيَ مِنۡ عِلۡمِۭ بِٱلۡمَلَإِ ٱلۡأَعۡلَىٰٓ إِذۡ يَخۡتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾ إِن يُوحَىٰٓ إِلَيَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠
نَذِيرٞ مُّبِينٌ ﴿٧٠﴾ إِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرٗا مِّن طِينٖ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيۡتُهُۥ وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن
رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمۡ أَجۡمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبۡلِيسَ ٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ
ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ
﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ﴿٧٦﴾ قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ﴿٧٧﴾
وَإِنَّ عَلَيۡكَ لَعۡنَتِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ
ٱلۡمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ
مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٨٣﴾ قَالَ فَٱلۡحَقُّ وَٱلۡحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ أَجۡمَعِينَ
﴿٨٥﴾ قُلۡ مَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾
وَلَتَعۡلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعۡدَ حِينِۭ ﴿٨٨﴾﴾.

المفردات الضِّغْثُ: حُزْمَةٌ صغيرةٌ مِن حشيشٍ أو رَيْحان أو قُضْبان، وقيل: القَبْضَةُ الكبيرة مِن القُضْبان، ومنه قولهم: ضِغْثٌ على إبَّالَة[١]، والإبَّالة: الحُزْمَة مِن الحَطَب، والضِّغْث: القَبْضَةُ عليها مِن الحَطَب أيضاً، ومنه قول الشاعر:

(١) مَثَل يُضرَب لمن حَمَّلك مكروهاً ثم زادك عليه. مجمع الأمثال ١/٤١٩، والمستقصى ٢/١٤٨.

وأسفلَ منّي نَهْدَةٌ قد ربطتُها وألقيتُ ضِغْثاً مِن خَلًى مُتطيِّبِ[1]

الحِنْثُ: فِعْلُ ما حَلَفَ على تَرْكه، وتَرْكُ ما حَلَف على فِعْلِه.

الغَسَّاقُ: ما سَالَ[2]، يقال: غَسَقَتِ العَيْنُ والجُرْحُ، وعن أبي عُبَيْدة أيضاً أنَّه البارِدُ المُنْتِن، بلغة التُّرْك[3]، وقال الأزهريُّ: الغاسِق: البارِد، ولهذا قيل للَّيْلِ: غَاسِقٌ؛ لأنَّه أبردُ مِن النهار.

الاقْتِحام: ركوبُ الشِّدَّة والدُّخول فيها، والقَحْمَةُ: الشِّدَّةُ[4].

* * *

﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٤٣﴾ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾ وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾ وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾﴾.

التفسير لمَّا أَمَرَ نبيَّه بالصَّبْر وذَكَر ابتلاءَ داود وسليمان وأثنى عليهما، ذَكَر مَن كان أشدَّ ابتلاءً منهما وأنَّه كان في غاية الصَّبْر بحيث أثنى اللهُ عليه بذلك.

و«أيوب» عطفُ بيان أو بَدَل، قال الزمخشريُّ: و«إذ» بَدَلُ اشتمالٍ منه، وقرأ

---

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٥٠٨، والبيت في مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/ ١٨٥ وعزاه لعوف بن الخَرِع، ونَقَله عنه الطبريُّ ٢٠/ ١١١.
(٢) زاد المسير ٧/ ١٥٠، وعزاه لأبي عبيدة، وما بعده منه أيضاً.
(٣) زاد المسير ٧/ ١٥٠، ونُسِبَ الكلام في مطبوعه لغير أبي عبيدة، وذلك بإضافة لفظة: [غيره] بين حاصرتين، والكلامُ نَقَله عنه ابن قتيبة بقوله: لم يكن أبو عبيدة يذهب إلى أنَّ في القرآن شيئاً من غير لغة العرب، وكان يقول: هو اتِّفاق يقع بين اللغتين، وكان [غيره]... إلى آخر الكلام. وكلامُ ابن قتيبة في كتابه أدب الكاتب ص ٤٩٦، وكذا نقله عنه الجواليقي في المعرَّب ص ٢٨٣، فالصواب عزو الكلام المذكور أعلاه لغير أبي عبيدة، والله تعالى أعلم.
(٤) الكشاف ٣/ ٣٧٩.

الجمهور: «أَنِّي» بفتح الهمزة، وعيسى بكسرها[1]، وجاء بضمير التَّكلُّم؛ حكايةً لكلامه الذي ناداه بسببه، ولو لم يَحْكِ لقال: إنَّه مسَّه؛ لأنَّه غائب.

وأسندَ المسَّ إلى الشيطان، قال الزمخشريُّ: لمَّا كانت وسوسته إليه وطاعته له فيما وَسوس سبباً فيما مسَّه الله به مِن النَّصَب والعذابِ نَسَبَهُ إليه، وقد رَاعَى الأدبَ في ذلك حيث لم يَنْسِبْه إلى الله في دعائه، مع أنَّه فاعله ولا يَقْدِر عليه إلَّا هو، وقيل: أَراد ما كان يُوسوس به إليه في مرضه مِن تعظيم ما نزل به مِن البَلَاء، فالتَجأَ إلى الله في أنْ يكفيه ذلك بكَشْف البلاء أو بالتوفيق في دَفْعه وردِّه بالصَّبْر الجميل، وذُكِرَ في سبب بلائِهِ أنَّ رجلاً استغاثَهُ على ظالمٍ فلم يُغِثْهُ، وقيل: كانت مواشيه في ناحية مَلِكٍ كافر، فداهَنَهُ ولم يَغْزُهُ، وقيل: أُعجِبَ بكثرة ماله[2]. انتهى.

ولا يُناسِب مناصبَ الأنبياء ما ذَكَر الزمخشريُّ مِن أنَّ أيوبَ كانت منه طاعةٌ للشيطان فيما وَسوس به، وأنَّ ذلك كان سبباً لِمَا مسَّه اللهُ به مِن النُّصْب والعذاب، ولا أنَّ رجلاً استغاثه على ظالم فلم يُغثه، ولا أنَّه دَاهَنَ كافراً، ولا أنَّه أُعجبَ بكثرة ماله، وكذلك مارَوَوْا مِن أنَّ الشَّيطانَ سَلَّطه اللهُ عليه حتى أذهب أَهْلَه ومالَه، لا يُمكن أنْ يَصِحَّ، ولا قدرةَ له على البَشَر إلَّا بإلقاءِ الوَساوس الفاسدةِ لغيرِ المعصوم.

والذي نقول أنَّه تعالى ابْتَلَى أيوبَ عليه السلام في جَسَدِه وأهلِهِ ومالِه على ما رُويَ في الأخبار، وروى أنس عن النبيِّ ﷺ: «أنَّ أيوب بَقِيَ في محنته ثماني عَشْرة سنةً يَتساقط لحمُه حتى ملَّه العالَم ولم يَصبر عليه إلَّا امرأته»[3]، ولم يُبَيِّن لنا تعالى السببَ المقتضي لعلَّته.

---

(١) المحرر الوجيز ٤/٥٠٧، ونقلها عنه القرطبي ١٨/ ٢١٠، وأوردها أيضاً النحاس في إعراب القرآن ٣/ ٤٦٤.

(٢) الكشاف ٣/ ٣٧٦، وينظر تفسير الثعلبي ٥/ ٢٨٠، والمحرر الوجيز ٤/ ٥٠٦-٥٠٧، وتفسير القرطبي ١٨/ ٢١٢-٢١٥.

(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٥٠٧، والحديث عند أبي يعلى (٣٦١٧)، والبزار (٢٣٥٧ ـ كشف الأستار)، والطبري في تفسيره ٢٠/ ١٠٩-١١٠، وابن حبان (٢٨٩٨)، وأورده ابن كثير في البداية والنهاية ١/ ٥١٠-٥١١، وقال: وهذا غريب رَفْعه جدًّا، والأشبه أن يكون موقوفاً. وأورده أيضاً الهيثمي في مجمع الزوائد ٨/ ٢٠٨، وقال: رواه أبو يعلى والبزار، ورجال البزار رجال الصحيح.

وأمّا إسنادُه المسَّ إلى الشيطان؛ فسَبَب ذلك أنَّه كان يَعوده ثلاثةٌ مِن المؤمنين، فارتدَّ أحدُهم، فسَأَل عنه، فقيل: أَلقى إليه الشيطانُ أنَّ اللهَ لا يَبتلي الأنبياءَ والصالحين، فحينئذ قال: «مَسَّنِي الشَّيْطانُ» نزَّل لِشَفَقته على المؤمنين مسَّ الشيطانِ ذلك المؤمنَ حتى ارتدَّ مسًّا لنفسه؛ لأنَّ الخَيِّر يتألَّم برجوع الخَيِّر المؤمن إلى الكفر، ولذلك جاء بَعْدَهُ: «ارْكُض برِجْلِك» حتى يغتسلَ ويذهبَ عنه البلاءُ، فلا يرتدّ أَحَدٌ مِن المؤمنين بسبب طُول بلائِه، وتسويلِ الشيطان أنَّه تعالى لا يَبتلي الأنبياء.

وقيل: أَشار بقوله: «مَسَّني الشيطان» إلى تعريضه لامرأتِهِ وطَلَبِه أَنْ تُشْرِكَ بالله، فكأنَّه تَشكَّى هذا الأَمْرَ، وكان عليه أشدَّ مِن مَرَضه[(١)].

وقرأ الجمهور: «بِنُصْب» بضمِّ النون وسكونِ الصَّاد، قيل: جَمْع: نَصَب، كوَثَن ووُثْن، وأبو جعفر وشيبة، وأبو عمارة عن حفصٍ، والجعفيُّ عن أبي بكر، وأبو معاذ عن نافع: بضَّمتين[(٢)]، وزيد بن عليّ والحسن والسُّدِّيّ وابنُ أبي عبلة ويعقوب والجحدريُّ: بفتحتين[(٣)]، وأبو حيوة ويعقوب ـ في رواية ـ وهبيرة عن حفصٍ: بفتحِ النون وسكون الصاد[(٤)].

وقال الزمخشريُّ: النُّصْب والنَّصَب كالرُّشد والرَّشَد، والنَّصب على أصلِ المصدر، والنُّصُب تَثقيلُ: نُصْب، والمعنى واحد، وهو التَّعَب والمشقَّة، والعَذَابُ الأَلَمُ، يريد مرضَه وما كان يُقاسِي فيه مِن أنواعِ الوَصَب[(٥)]. انتهى.

وقال ابنُ عطيَّة، وقد ذَكَر هذه القراءاتِ: وذلك كلُّه بمعنًى واحد، معناه: المشقَّة، وكثيراً ما يُستَعمل النَّصَب في مشقَّة الإعياء، وفرَّق بعضُ الناسِ بين هذه

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٥٠٧، وينظر زاد المسير ٧/ ١٤٤، وتفسير القرطبي ١٨/ ٢١٢.
(٢) ينظر المحرر الوجيز ٤/ ٥٠٧، وتفسير الثعلبي ٤/ ٢٧٩، وزاد المسير ٧/ ١٤٢، وتفيسر القرطبي ١٨/ ٢١١، ورواية أبي عمارة، عن حفص، عن عاصم في السبعة ص ٥٥٤، وقراءة أبي جعفر في النشر ٢/ ٣٦١، وهي أيضاً في القراءات الشاذة ص ١٣٠ وزاد معه: الحسن.
(٣) تنظر المصادر الآنفة الذكر، وقراءة يعقوب ـ وهو من العشرة ـ في النشر ٢/ ٣٦١.
(٤) تنظر المصادر السالفة، وقراءة هبيرة، عن حفص، عن عاصم في السبعة ص ٥٥٤، ورواية أبي جعفر عند القرطبي ١٨/ ٢١١.
(٥) الكشاف ٣/ ٣٧٦.

الألفاظ، والصواب أنَّها لغاتٌ بمعنًى، مِن قولهم: أَنْصَبَني الأَمْرُ[١]: إذا شقَّ عليَّ. انتهى.

وقال السُّدِّيّ: «بنصبٍ» في الجسد «وعذاب» في المال[٢]، وفي الكلام حذف، تقديره: فاسْتَجَبْنا له، وقلنا: ارْكُض برِجْلِك، فرَكَضَ فنَبَعت عينٌ، فقلنا له: «هذا مغتسلٌ باردٌ وشَرَابٌ» فيه شفاؤك، فاغْتَسَل فَبَرِئَ، «ووَهَبْنا له»، ويدلُّ على هذه المحذوفاتِ معنى الكلام وسِيَاقُه، وتقدَّم الكلام في الركض في سورة «الأنبياء»[٣]، وعن قتادة والحسن ومقاتل: كان ذلك بأرض الجَابِيَة مِن الشَّام[٤].

ومعنى: «هذا مغتسل» أي: ما تغتسل به «وشَرَابٌ» أي: ما تَشْرَبه، فبِاغْتِسَالك يَبْرَأُ ظاهرُك، وبِشُرْبِكَ يَبْرَأُ باطنُك، والظاهر أنَّ المُشار إليه كان واحداً وهو العينُ التي نَبَعَت بضَرْبه، اغتسلَ منها وشربَ، وقيل: نبعت له عينان شَرِبَ مِن إحداهما، واغتسلَ مِن الأُخرى.

وقيل: ضَرَب بِرِجْله اليُمنى فنَبَعت عينٌ حارَّةٌ فاغتسلَ منها، وباليسرى فنَبَعَت باردة فشَرِب منها[٥]، وهذا مخالِفٌ لظاهر قوله: «هذا مغتسلٌ باردٌ» فإنَّه يدلُّ على أنَّه ماءٌ واحدٌ.

وقيل: أُمِرَ بالرَّكْضِ بالرِّجْلِ ليتناثَرَ عنه كلُّ داءٍ بجسده. وقال القتبيُّ: المُغتَسَل: الماءُ الذي يُغتَسَل به[٦].

وقال مقاتل: هو الموضع الذي يغتسلُ فيه، وقال الحسن: رَكَضَ بِرِجْلِه فنَبَعَت

---

(١) بعدها في المحرر الوجيز ٤/ ٥٠٧: ونصبني.
(٢) أخرجه عنه الطبريُّ ٢٠/ ١٠٧، وأخرجه أيضاً عن قتادة ٢٠/ ١٠٦.
(٣) عند تفسير الآية (١٢) و(١٣) منها.
(٤) النكت والعيون ٥/ ١٠٢، والمحرر الوجيز ٤/ ٥٠٧، والكشاف ٣/ ٣٧٦، وتفسير النيسابوري ٢٣/ ١٠٠، عن قتادة، وأخرجه عنه الطبريُّ ٢٠/ ١٠٧، وقول الحسن في النكت والعيون ٥/ ١٠٢ لكن عن كيفية اغتساله، وقول مقاتل فيه أيضاً لكن في المراد من المغتسل، وسيأتيان قريباً. والجابية: قرية من أعمال دمشق، ثُمَّ من عمل الجيدور من ناحية الجولان قرب مرج الصفر في شمالي حوران. معجم البلدان ٢/ ٩١.
(٥) ينظر المحرر الوجيز ٤/ ٥٠٧، والكشاف ٣/ ٣٧٦-٣٧٧.
(٦) تفسير القرطبي ١٨/ ٢١٦، وكلام القتبي في كتابه تفسير غريب القرآن ص ٣٨٠.

عينُ ماءٍ، فاغتسلَ منها، ثم مَشَى نحواً مِن أربعينَ ذراعاً، ثمَّ رَكَضَ برِجْلِه فنَبَعَت عينٌ فشربَ منها(١).

قيل: والجمهور على أنَّه رَكَضَ رَكْضَتَيْن فنَبَعَت له عينان، اغتسل من واحدة، وشَرِبَ مِن أُخرى، والجمهور على أنَّه تعالى أحيا له مَن مات مِن أهله وعافَى المرضى وجَمَعَ عليه مَن شُتِّتَ منهم.

وقيل: رَزَقَهُ أولاداً وذُرِّيَّةً قَدْرَ ذُرِّيَّته الذين هَلَكوا، ولم يَرُدَّ أهلَه الذين هَلَكوا بأعيانهم، وظاهر هذه الهبة أنَّها في الدنيا، وقيل ذلك وَعْدٌ، وتكون تلك الهبة في الآخِرة، وقيل: وَهَبَهُ مَن كان حيًّا منهم، وعافَاهُ مِن الأسقام، وأَرغدَ لهم العيشَ، فتناسلوا حتى تضاعَفَ عَدَدُهم، وصار مِثْلَهم.

و«رحمة» و«ذكرى» مفعولانِ لهما، أي: إنَّ الهِبَةَ كانت لرحمتنا إيَّاه، وليتذكَّر أربابُ العقولِ ما يَحصُل للصابر مِن الخير، وما يَؤُول إليه مِن الأَجْرِ.

وفي الكلام حَذْفٌ، تقديره: وكان حَلَفَ: لَيَضرِبَنَّ امرأتَه مئةَ ضربة؛ لسببٍ جَرَى منها، وكانت محسنةً له، فجعلنا له خلاصاً مِن يمينه بقولِنا: «وخُذْ بيدِك ضِغْثاً» قال ابنُ عباس: الضِّغْث: عِثْكال النَّخْلِ، وقال مجاهد: الأَثْلُ، وهو نَبْتٌ له شَوك. وقال الضَّحَّاك: حُزْمَةٌ مِن الحشيش مختلفة، وقال الأخفش: الشَّجَر الرَّطْبُ(٢).

واختلفوا في السبب الذي أَوجبَ حَلِفَه، ومحصولُ أقوالِهم هو تمثُّل الشيطانِ لها في صورة ناصحٍ أو مُدَاوٍ، وعَرض لها بشفاء أيوب على يَدَيْه، على شَرْطٍ لا يُمكِن وقوعُه مِن مؤمنٍ، فذَكَرت ذلك له، فعَلِمَ أنَّ الذي عَرض لها هو الشيطان، وغَضِبَ لعَرْضِها ذلك عليه، فحَلَف، وقيل غير ذلك مِن الأسباب(٣)، وهي

(١) قول مقاتل في النكت والعيون ٥/ ١٠٢، وقول الحسن عند ابن الجوزي في زاد المسير ٧/ ١٤٣، وأخرجه عنه الطبريُّ ١٦/ ٣٦٤-٣٦٥ مطوَّلاً، و٢٠/ ١٠٨ مختصراً.

(٢) ينظر النكت والعيون ٥/ ١٠٣، والمحرر الوجيز ٤/ ٥٠٨، وزاد المسير ٧/ ١٤٤، وتفسير القرطبي ١٨/ ٢١٨، وتنظر الآثار عند الطبري ٢٠/ ١١١-١١٣ مع الإشارة إلى أنَّ قولَ مجاهد: هو الأَثْلُ، أخرجه الطبريُّ ٢٠/ ١١٢ عنه، عن ابن عباس ﵄.

(٣) ينظر المحرر الوجيز ٤/ ٥٠٨، وزاد المسير ٧/ ١٤٣-١٤٤، وتفسير القرطبي ١٨/ ٢١٧-٢١٨، وتنظر الآثار في ذلك عند الطبري ٢٠/ ١١٠ وما بعدها.

متعارضة، فحَلَّل اللهُ يمينَه بأهونِ شيءٍ عليه وعليها؛ لحُسْنِ خدمتها إيَّاه ورضاهُ عنها.

وقد وَقَعَ مِثْلُ هذه الرُّخصة في الإسلام؛ أُتيَ رسولُ الله ﷺ بمُخْدَجٍ قد خَبَثَ بأَمَةٍ، فقال: «خُذُوا عِثْكالاً فيه مئةُ شِمْرَاخ، فاضْرِبُوه بها ضَرْبةً»، وقالَ بذلكَ بعضُ أهلِ العِلْم في الأَيْمان، قال: ويَجبُ أنْ يُصيبَ المضروبَ كلُّ واحدٍ مِن المئة إمَّا أطرافها قائمة، وإمَّا أعراضها مبسوطة، مع وجودِ صورةِ الضربة[1].

والجمهور على تَرْك القول به في الحدود وأنَّ البِرَّ في الأَيْمان لا يَقَعُ إلَّا بإتمامِ عَدَدِ الضَّرَبات[2].

ووَصَفَ اللهُ تعالى نبيَّه أيوب بالصَّبْرِ، وقد قال: «مَسَّنِيَ الضُّرُّ» فدلَّ على أنَّ الشكوى إلى الله تعالى لا تُنافي الوَصْفَ بالصَّبْر، وقد قال يعقوبُ: ﴿إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [يوسف:٨٦] على أنَّ أيوبَ عليهِ السلام طَلَب الشفاءَ خِيْفَةً على قومِه أنْ يُوَسْوِسَ إليهم الشيطانُ أنَّه لو كان نبيًّا لم يُبْتَلَ، وتألُّفاً لقومه على الطاعة، وبَلَغَ أَمْرُه في البلاء إلى أنَّه لم يَبْقَ منه إلَّا القلب واللسان، ويُروى أنَّه قال في مناجاته: إلهي، قد علمتَ أنَّهُ لم يُخالف لساني قلبي، ولم يتبعْ قَلْبي بَصَري، ولم يَهَبْنِي[3] ما ملكت يميني، ولم آكُل إلَّا ومعي يتيم، ولم أَبِتْ شَبْعانَ ولا كاسياً ومَعي جائعٌ أو عريان، فكَشَفَ اللهُ عنه.

وقرأ ابنُ عباس وابنُ كثير وأهلُ مكَّة: «عبدنا» على الإفراد، و«إبراهيم» بَدَل

---

(١) الكشاف ٣/ ٣٧٧، والحديث المرفوع عند أبي داود (٤٤٧٢)، والنسائي في الكبرى (٧٢٦٨)، وأحمد (٢١٩٣٥)، من حديث سعيد بن سعد بن عبادة ﷺ، ويُنظر ثمَّة تتمة تخريجه والاختلافُ بوصله وإرساله، وتخريج أحاديث الكشاف لابن حجر ص ١٤٢، والمُخْدَج: ناقص الخَلْق. النهاية (خدج).

(٢) ينظر تفسير القرطبي ١٨/ ٢١٨-٢٢٠، وأحكام القرآن للهراسي ٤/ ٣٦١، ولابن العربي ٤/ ١٦٣٩-١٦٤٠.

(٣) من الهَيْبَة، أي: لم يَخَفْني. كذا ورد بهامش مخطوط الكشاف الورقة (٢٣٦)، والكلام من الكشاف ٣/ ٣٧٧.

منه، أو عطف بيان، والجمهور على الجمع[1]، وما بَعْدَهُ مِن الثلاثة بَدَل أو عطفُ بيان.

وقرأ الجمهور: «أُولي الأَيدِي» بالياء، قال ابنُ عباس ومجاهد: أي: القوَّة في طاعة الله، وقيل: إحسانهم في الدِّين، وتقدُّمهم عندَ اللهِ على عَمَلِ صِدْقٍ، فهي كالأيدي، وهو قريب مما قبله، وقيل: النِّعَم التي أَسْدَاها اللهُ إليهم مِن النُّبُوَّة والمكانة. وقيل: «الأيدي»: الجوارح المتصرِّفة في الخير، و«الأبصار» الثَّاقِبَة فيه[2].

وقال الزمخشريُّ: لمَّا كانت أكثرُ الأعمالِ تُباشَر بالأيدي، غُلِّبت، فقيل في كلِّ عملٍ: هذا ممَّا عَملت أيديهم، وإن كان عملاً لا يتأتَّى فيه أو كان العُمَّالُ جُذَّماً لا أَيديَ لهم، وعلى ذلك وَرَدَ قولُه عزَّ وعَلَا: «أُولي الأيدي والأبصار» يريد: أُولي الأعمال والفِكر، كأنَّ الذين لا يَعملون أعمالَ الآخِرَة ولا يُجاهدون في اللهِ ولا يُفكِّرون أفكارَ ذوي الدِّيانات، ولا يَستبصرونَ، في حُكْم الزَّمْنَى الذينَ لا يَقدرونَ على إعمالِ جوارحِهم والمَسْلُوبي العقول الذين لا استبصارَ بهم، وفيه تعريضٌ بكلِّ مَن لم يكن مِن عُمَّال اللهِ ولا مِن المُستبصرين في دِيْنِ اللهِ، وتوبيخٌ على تَرْكِهم المجاهدةَ والتأمُّلَ مع كونهم متمكِّنين منها[3]. انتهى. وهو تكثير.

وقال أبو عبد الله الرازيُّ: اليَدُ آلةٌ لأكثرِ الأعمال، والبَصَر آلةٌ لأقوى الإدراكات، فحَسُنَ التعبيرُ عن العمل باليَدِ، وعن الإدراك بالبَصَر، والنَّفْسُ الناطقةُ لها قوَّتان؛ عاملةٌ وعالِمَةٌ، فـ «أُولي الأيدي والأبصار» إشارةٌ إلى هاتين الحالتين[4].

---

(١) المحرر الوجيز ٤/٥٠٨، وينظر زاد المسير ٧/١٤٦، وتفسير القرطبي ١٨/ ٢٢٣، وقراءة ابنِ عباس أخرجها عنه الطبريُّ ٢٠/ ١١٤، وقراءة ابن كثير في السبعة ص ٥٥٤، والتيسير ص ١٨٨، والنشر ٢/ ٣٦١.

(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٥٠٩، وتنظر الآثار عند الطبري ٢٠/ ١١٤-١١٦.

(٣) الكشاف ٣/ ٣٧٧.

(٤) تفسير الرازي ٢٦/ ٢١٦-٢١٧.

وقرأ عبد الله والحسن وعيسى والأعمش: «الأَيْدِ» بغير ياء[١]، فقيل: يُراد «الأيدي» حذفَ الياء، واجْتزأ بالكسرة عنها، ولمَّا كانت «أل» تُعاقِب التنوينَ، حُذفت الياءُ معها، كما حُذفت مع التنوينِ[٢]، وهذا تخريجٌ لا يَسوغ؛ لأنَّ حَذْفَ هذه الياء مع وجودِ «أل» ذَكَره سِيبويه في الضرائر[٣].

وقيل: «الأَيْدي» القُوَّة في طاعة الله، و«الأَبصار» عبارةٌ عن البَصَائر التي يُبصِرون بها الحقائقَ ويَنظرونَ بنورِ الله تعالى[٤].

وقال الزمخشريُّ: وتفسيره «الأَيْد» مِن التأييدِ قَلِقٌ غيرُ متمكِّن[٥]. انتهى. وإنَّما كان قَلِقاً عندَه لعَطْف «الأبصار» عليه، ولا ينبغي أنْ يقلق؛ لأنَّه فسَّر «أُولي الأيدي والأَبصار» بقوله: يُريد: أُولي الأعمالِ والفِكر.

وقرئ: «الأيادي» جَمْع الجَمْع[٦]، كأَوْطُب وأَوَاطِب[٧].

وقرأ أبو جعفر وشيبة والأعرج ونافع وهشام: «بخالِصَةِ» بغيرِ تنوين أضيفت إلى «ذكرى»، وقرأ باقي السبعة بالتنوين، و«ذكرى» بَدَل مِن «بخالصة»[٨].

وقرأ الأعمش وطلحة: «بخالصتهم»[٩].

و«أخلصناهم» جَعَلْناهم لنا خَالِصِين، و: خَالِصَة، يَحتمل ـ وهو الأظهر ـ أن

---

(١) ينظر زاد المسير ٧/ ١٤٦، وتفسير القرطبي ١٨/ ٢٢٤، والقراءة في القراءات الشاذة ص١٣٠، والمحتسب ٢/ ٢٣٣.
(٢) ينظر المحرر الوجيز ٤/ ٥٠٩.
(٣) الكتاب ٤/ ١٩٠-١٩١.
(٤) المحرر الوجيز ٤/ ٥٠٩.
(٥) الكشاف ٣/ ٣٧٨.
(٦) الكشاف ٣/ ٣٧٧.
(٧) الوَطْبُ: سقاءُ اللَّبن. والجمع: أوطُب، ووِطاب، وأوطاب، وجمع الجمع: أواطب. القاموس (وطب).
(٨) المحرر الوجيز ٤/ ٥٠٩، وينظر تفسير القرطبي ١٨/ ٢٢٥، وقراءة نافع وهشام عن ابنِ عامر في السبعة ص ٥٥٤، والتيسير ص ١٨٨، وقراءة أبي جعفر في النشر ٢/ ٣٦١.
(٩) ينظر المحرر الوجيز ٤/ ٥٠٩، والكشاف ٣/ ٣٧٨، والقراءة في القراءات الشاذة ص ١٣٠ عن الأعمش.

يكون اسمَ فاعلٍ، عبّر به عن مزيَّة أو رُتْبة أو خَصْلة خَالِصَة لا شوبَ فيها، ويحتمل أن يكون مصدراً كالعَاقِبة، فيكون قد حذفَ منه الفاعل، أي: أخلصناهم بأَنْ أَخْلَصُوا ذِكْرى الدَّار، فيكون «ذكرى» مفعولاً، أو: بأَنْ أخلصناهم ذِكرى الدَّار، أو يكون الفاعلُ «ذكرى»، أي: بأَنْ خَلَصَت لهم ذِكْرَى الدَّار، و«الدار» في كلِّ وَجْهٍ في موضع نَصب بـ «ذكرى»، و«ذكرى» مصدرٌ، و«الدَّار» دارُ الآخِرَة.

قال قتادة: المعنى: بأَنْ خَلَص لهم التذكيرُ بالدارِ الآخِرَة ودعاء الناس إليها وحَضِّهم عليها. وقال مجاهد: خَلَصَ لهم ذِكْرُهم الدارَ الآخِرَة وخوفُهم لها، والعَمَلُ بحسَب ذلك، وقال ابنُ زيد: وَهَبْنا لهم أَفْضَلَ ما في الدَّارِ الآخِرَة، وأَخلَصْناهم به، وأعطيناهم إيَّاه، وقال ابنُ عطيَّة: ويحتمل أَنْ يُريد بالدَّار دارَ الدُّنيا، على معنى ذِكْر الثناء والتعظيم مِن الناس، والحمد الباقي الذي هو الخُلْد المَجَازِي، فتَجِيْءُ الآية في معنى قوله: ﴿لِسَانَ صِدْقٍ﴾ [مريم: ٥٠] وقوله: ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي ٱلْآخِرِينَ﴾[1] [الصافات: ٧٨]. انتهى.

وحكى الزمخشريُّ هذا الاحتمالَ قولاً، فقال: وقيل: «ذِكْرى الدَّار»: الثناءُ الجميلُ في الدنيا، ولسانُ الصِّدْق[2]. انتهى.

والباء في «بخالصة» باءُ السَّبَب، أي: بسبب هذه الخَصْلة، وبأَنَّهم مِن أهلها، ويَعضُده قراءةُ «بخالِصَتهم»[3].

«وإنَّهم عندنا لَمِنَ المُصْطَفَين» أي: المختارِين مِن بينِ أبناءِ جِنْسِهم «الأخيار» جمع: خَيِّر وخَيْر، كَميِّت ومَيْت وأموات، وتقدَّم الكلامُ في «اليَسَع» في سورة «الأنعام»، وذي الكفل في سورة «الأنبياء»[4].

و«عندنا» ظرفٌ معمول لمحذوف دلَّ عليه «المُصطفين»، أي: وإنَّهم مُصْطَفونَ عندنا، أو معمول للمصطفين وإن كان بـ «أل»؛ لأنَّهم يَتَسمَّحون في الظَّرف

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٥٠٩، وتنظر الآثار عند الطبريّ ٢٠/ ١١٧-١١٩.
(٢) الكشاف ٣/ ٣٧٨.
(٣) وهي قراءة الأعمش وطلحة، كما مَرَّ تخريجها قريباً.
(٤) ينظر تفسير الآية (٨٦) من سورة الأنعام، و(٨٥) من سورة الأنبياء.

والمجرور ما لا يَتَسمَّحون في غيرهما، أو على التَّبيين، أي: أَعني عندنا، ولا يَجوز أن يكون «عندنا» في موضع الخبر، ويَعني بالعنديَّة المكانة، و«لَمنَ المصطفين» في موضع خبرٍ ثانٍ لوجودِ اللام، لا يَجوز: إنَّ زيداً قائمٌ لَمنطلق، و«كلٌّ» أي: وكلُّهم «مِن الأخيار».

﴿هَٰذَا ذِكْرٌ ۚ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ ﴿٤٩﴾ جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ﴿٥٠﴾ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ ﴿٥٢﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾ هَٰذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٥٦﴾ هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴿٥٧﴾ وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ ﴿٥٨﴾ هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ ۖ لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْ ۚ إِنَّهُمْ صَالُوا۟ ٱلنَّارِ ﴿٥٩﴾ قَالُوا۟ بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًۢا بِكُمْ ۖ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا ۖ فَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِى ٱلنَّارِ ﴿٦١﴾ وَقَالُوا۟ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾ أَتَّخَذْنَٰهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ ﴿٦٤﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ ۖ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴿٦٦﴾﴾.

لمَّا أَمَرَه تعالى بالصَّبْر على سفاهَةِ قومِه، وذَكَر جملةً مِن الأنبياء وأحوالِهم، ذَكَر ما يَؤُول إليه حالُ المؤمنين والكافرين مِن الجزاء، ومَقَرّ كلِّ واحدٍ مِن الفريقين، ولمَّا كان ما يَذكُره نوعاً مِن أنواعِ التنزيل، قال: «هذا ذِكْرٌ» كأنَّه فَصَلَ بينَ ما قَبْلَه وما بَعْدَه، أَلَا ترى أنَّه لمَّا ذَكَر أهلَ الجنَّة وأعقبه بذِكْر أهلِ النار، قال: «هذا وإنَّ للطاغين»، وقال ابنُ عباس: هذا ذِكْر مَن مَضَى مِن الأنبياء[1]، وقيل: «هذا ذِكْرٌ» أي: شَرَفٌ تُذكَرون به أبداً.

وقرأ الجمهور: «جنَّاتِ» بالنَّصب، وهو بَدَل، فإن كان «عَدْن» عَلَماً، فبَدَلُ معرفة مِن نكرة، وإن كان نكرةً فبَدَلُ نكرةٍ مِن نكرةٍ.

وقال الزمخشريُّ: «جنات عدن» معرفة لقوله: ﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ [مريم: ٦١] وانتصابُها على أنَّها عطفُ بيان لـ «حُسْن مآب»، و«مُفتَّحة» حال، والعامل فيها ما في «للمتَّقين» مِن معنى الفِعْل، وفي «مُفتَّحة» ضميرُ الجنَّات، و«الأبواب»

(١) الكشاف ٣/ ٣٧٨.

بَدَل مِن الضمير، تقديره: مُفتَّحة هي الأبوابُ، كقولهم: ضُرِبَ زيدٌ اليَدُ والرِّجْلُ، وهو مِن بَدَل الاشتمال[١]. انتهى.

ولا يتعيَّن أن يكون «جنَّات عَدْن» معرفة بالدليل الذي استدلَّ به، وهو قوله: ﴿جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي﴾ لأنَّه اعتقد أنَّ «التي» صفة لـ «جنَّات عَدْن»، ولا يتعيَّن ما ذَكَره؛ إذ يجوز أَنْ تكون «التي» بدلاً مِن «جنَّات عَدْن»، أَلَا ترى أنَّ «الذي» و«التي» وجموعَهما تُستَعمل استعمالَ الأسماء، فتَلِي العواملَ، فلا يَلزم أَنْ تكون صفةً.

وأمَّا انتصابُها على أنَّها عطفُ بيان، فلا يجوز؛ لأنَّ النَّحويين في ذلك على مذهبَيْن:

أحدهما: أنَّ ذلك لا يكون إلَّا في المعارف، فلا يكون عطف البيان إلَّا تابعاً لمعرفة، وهو مذهب البصريين.

والثاني: أنَّه يَجوز أَنْ يكون في النَّكِرات، فيكون عطفُ البيان تابعاً لنكرة، كما تكون المعرفةُ فيه تابعةً لمعرفة، وهذا مذهب الكوفيين، وتَبِعَهم الفارسيُّ.

وأمَّا تخالفهما في التنكير والتعريف، فلم يَذهَب إليه أَحَدٌ سوى هذا المصنِّف، وقد أَجازَ ذلك في قوله: ﴿مَّقَامُ إِبۡرَٰهِيمَۖ﴾ [آل عمران: ٩٧] فأَعْرَبَه عطفَ بيانٍ تابعاً لنَكِرة، وهو «آياتٌ بيِّنات»، و«مقام إبراهيم» معرفة[٢]، وقد رَدَدْنا عليه ذلك في موضعه في «آل عمران»[٣].

وأمَّا قوله: وفي «مُفتَّحة» ضمير الجنَّات؛ فجمهورُ النحويين أَعربُوا «الأبواب» مفعولاً لم يُسَمَّ فاعله، مرفوعاً بـ «مفتَّحة»، وجاء أبو عليٍّ فقال: إذا كان كذلك لم يَكن في ذلك ضميرٌ يَعودُ على «جنَّات عَدن» مِن الحال إن أعربَ «مفتَّحة» حالاً، أو مِن النَّعْت إن أعربَ نعتاً لـ «جنَّات عَدْن»، فقال: في «مفتَّحة» ضميرٌ يَعود على «الجنَّات»، حتى ترتبطَ الحالُ بصاحبها، أو النعتُ بمنعوتِه.

---

(١) المصدر السابق.

(٢) ينظر الكشاف ١/ ٤٤٧-٤٤٨، ونقله عنه ابنُ مالك في كتابه شرح التسهيل ٣/ ٢١٤.

(٣) عند تفسير الآية (٩٧) منها.

و«الأبواب» بَدَل، وقال مَن أعربَ «الأبواب» مفعولاً لم يُسَمَّ فاعلُه: العائدُ على الجنَّات محذوفٌ تقديره: الأبوابُ منها، وألزمَ أبو علي أنَّ البَدَل في مِثْلِ هذا لا بُدَّ فيه مِن الضمير، إمَّا ملفوظاً به، أو مُقدَّراً، وإذا كان الكلام مُحتاجاً إلى تقديرٍ واحدٍ، كان أَولى ممَّا يَحتاجُ إلى تقديرَيْن، وأمَّا الكوفيون؛ فالرابطُ عندهم هو «أل» لمقامه مقامَ الضمير، فكأنَّه قال: مفتَّحة لهم أبوابُها.

وأمَّا قوله: وهو مِن بَدَل الاشتمال، فإن عَنَى بقوله: وهو قوله: اليَد والرِّجْل، فهو وَهم، وإنَّما هو مِن بَدَل بعضٍ مِن كُلٍّ، وإن عَنَى الأبواب، فقد يَصحُّ؛ لأنَّ أبواب الجنَّات ليست بعضاً مِن الجنَّات.

وأمَّا تشبيهه ما قدَّره مِن قوله: «مفتَّحة» هي الأبواب، بقولهم: ضُرِبَ زيدٌ اليَدُ والرِّجْلُ، فوَجْهه أنَّ الأبواب بَدَل مِن ذلك الضمير المستكنّ، كما أنَّ اليَدَ والرِّجْلَ بَدَلٌ مِن الظاهر الذي هو: زيد.

وقال أبو إسحاق وتَبِعَه ابنُ عطيَّة: «مفتَّحة» نعت لـ «جنَّات عَدْن»[1].

وقال الحوفيُّ: «مفتَّحة» حالٌ، والعامل فيها محذوفٌ يدلُّ عليه المعنى، تقديره: يَدْخُلونها.

وقرأ زيد بنُ عليٍّ وعبد الله بنُ رفيع وأبو حيوة: «جنَّاتُ عَدْن مُفتَّحةٌ» برَفْع التاءين[2]، مبتدأ وخبر، أو كلٌّ منهما خبرُ مبتدأ محذوف، أي: هو «جنَّات عَدْن» هي «مُفتَّحةٌ».

والاتِّكاء مِن هيئات أهلِ السعادة «يَدْعُونَ فيها» يدلُّ على أنَّ عندَهم مَن يَستخدمُونَه فيما يَستدعونَ، كقوله: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ﴾ [الإنسان:١٩] ولمَّا كانت الفاكهةُ تَتنوَّع، وَصَفَها بالكَثْرة، وكَثْرَتُها باختلافِ أنواعِها، وكَثْرة كلِّ نوعٍ منها، ولمَّا كان الشَّرابُ نوعاً واحداً ـ وهو الخمر ـ أُفردَ.

---

(١) كلامُ ابنِ عطية في المحرر الوجيز ٤/ ٥١٠، والذي في معاني القرآن لأبي إسحاق الزجاج ٤/ ٣٣٧: ومعنى «مفتَّحة لهم الأبواب» أي: منها. وكذا نَقَل عنه القرطبي ١٨/ ٢٢٦.

(٢) الكشاف ٣/ ٣٧٨-٣٧٩ دون عزوٍ، وما بعده منه أيضاً، وأوردها أيضاً كذلك الرازي ٢٦/ ٢١٩، والقراءة في القراءات الشاذة ص ١٣٠ عن عبد العزيز بن رفيع وأبي حيوة.

«وعندَهم قاصراتُ الطَّرْفِ» قال قتادة: معناه: على أزواجهنَّ[١]، «أَتْرابٌ» أي: أَمْثَالٌ على سِنٍّ واحدةٍ، وأصله في بني آدم؛ لكونِهم مَسَّ أجسادَهم الترابُ في وقتٍ واحد، والأقران أَثْبتُ في التَّحابّ.

والظاهر أنَّ هذا الوصفَ هو بينهنَّ، وقيل: بينَ أزواجهنَّ، أسنانُهُنَّ كأسنانِهم، وقال ابنُ عباس: يريد الآدمِيَّات[٢]، وقال صاحب «الغنيان»: حُورٌ.

وقرأ ابنُ كثير وأبو عمرو: «هذا ما يُوعَدُونَ» بياء الغيبة، إذ قَبْلَه «وعندهم»، وباقي السبعة بتاء الخطاب على الالتفات[٣]، والمعنى: هذا ما وَقَعَ به الوعدُ ليومِ الجَزَاء.

«إنَّ هذا» أي: ما ذكرَ للمتَّقين ممَّا تقدَّم «لَرِزْقُنا» دائماً، أي: لا نفادَ له.

«هذا وإنَّ للطَّاغينَ لَشَرَّ مَآبٍ» قال الزجَّاجُ: أي: الأَمْرُ هذا[٤]، وقال أبو عليٍّ: هذا للمؤمنين، وقال أبو البقاء: مبتدأٌ محذوفُ الخبر، أو خبرٌ محذوفُ المبتدأ[٥].

والطاغون هنا الكُفَّار، وقال الجُبَّائيُّ: أصحابُ الكبائر كفاراً كانوا أو لم يكونوا. وقال ابنُ عباس: المعنى: الذين طَغَوا عليَّ، وكَذَّبوا رُسُلي، لهم شَرّ مآب، أي: مَرْجِع ومَصِير[٦].

«فبئسَ المِهَاد» أي: هي.

«هذا» في موضع رَفْع مبتدأ، خبرُه «حميمٌ وغَسَّاق»، أو خبرُ مبتدأ، أي: العذاب هذا، و«حميم» خبرُ مبتدأ، أو في موضع نَصْبٍ على الاشتغال، أي: لِيَذُوقوا «هذا فليَذُوقوه»، و«حميم» خبرُ مبتدأ، أي: هو حميم، أو مبتدأٌ محذوفُ الخبر، أي: منه «حميمٌ» ومنه «غَسَّاق»، كما قال الشاعر:

---

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٥١٠، وما بعده منه أيضاً، وأخرجه عنه الطبريُّ ٢٠/ ١٢٣.
(٢) تفسير القرطبي ١٨/ ٢٢٧.
(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٥١٠، وينظر تفسير القرطبي ١٨/ ٢٢٧-٢٢٨، وقراءة ابن كثير وأبي عمرو في السبعة ص ٥٥٥، والتيسير ص ١٨٨.
(٤) معاني القرآن للزجاج ٤/ ٣٣٨.
(٥) ينظر الإملاء ٢/ ٢١٢.
(٦) تفسير الرازي ٢٦/ ٢٢٠-٢٢١.

حتى إذا ما أَضاءَ الصُّبْحُ في غَلَسٍ وغُودرَ البَقْلُ مَلْوِيٌّ ومَحْصُودُ[١]

أي: منه مَلْوِيٌّ ومنه مَحْصُود، وهذه الأعاريب مَقُولة مَنْقُولة[٢].

وقيل: «هذا» مبتدأ، و«فليذوقوه» الخبر، وهذا على مذهب الأخفش في إجازته: زَيدٌ فاضْرِبه، مستَدِلًّا بقولِ الشاعر:

وقائلةٍ خولانُ فانْكِحْ فَتَاتَهُمْ[٣]

والغَسَّاق عن ابنِ عباس: الزمهرير، وعنه أيضاً وعن عطاء وقتادة وابنِ زيد: ما يَجري مِن صَدِيْدِ أهلِ النَّار، وعن كعبٍ: عينٌ في جهنَّم تسيلُ إليها حُمَةُ كلِّ ذي حُمَةٍ مِن حيَّة أو عقربٍ أو غيرهما، يُغمَسُ فيها فيتساقطُ الجِلْدُ واللَّحم عن العَظْم، وعن السُّدِّيِّ: ما يَسيلُ مِن دموعهم، وعن ابنِ عُمرَ: القَيْحُ يَسِيلُ منهم فيُسْقَونَهُ[٤].

وقرأ ابنُ أبي إسحاق وقتادة وابنُ وثَّاب وطلحة وحمزة والكسائيُّ وحفص والمُفضَّل وابنُ سعدان وهارون عن أبي عمرو: بتشديد السينِ[٥]، فإن كان صفةً فيكون ممَّا حذفَ موصوفها، وإن كان اسماً فَفَعَّال قليلٌ في الأسماء، جاء منه: الكَلَّاء، والجَبَّان، والفَيَّاد: ذَكَر البُوم، والعَقَّار، والخَطَّار[٦]، وقرأ باقي السَّبْعة: بتخفيف السين.

---

(١) معاني القرآن للفراء ٢/ ٤١٠، ونقله عنه النحاس في إعراب القرآن ٣/ ٤٦٩، والطبريُّ ٢٠/ ١٢٦، وينظر تفسير القرطبي ١٨/ ٢٢٩، والبيت لذي الرُّمَّة، وهو في ديوانه ٢/ ١٣٦٦، قال شارحه: يقال: قد ألوى النَّبْتُ إلواءً: إذا جفَّ، ومحصود: قد حُصدَ.

(٢) ينظر المصادر السالفة الذكر؛ وإعراب القرآن للنحاس ٣/ ٤٦٩-٤٧٠، والإملاء ٢/ ٢١٢، ومشكل إعراب القرآن لمكّي ٢/ ٦٢٧.

(٣) صدر بيت لم يُعرف قائله، وهو في الكتاب ١/ ١٣٩ و١٤٣، وعجزه: وأكرومةُ الحيَّين خِلْوٌ كما هيا، وسلف في سورة المائدة، عند تفسير الآية (٣٨).

(٤) ينظر النكت والعيون ٥/ ١٠٦-١٠٧، وزاد المسير ٧/ ١٥٠، وتفسير الثعلبي ٥/ ٢٨٢، والمحرر الوجيز ٤/ ٥١٠، وتفسير القرطبي ١٨/ ٢٣٠-٢٣١، وتنظر الآثار عند الطبريّ ٢٠/ ١٢٧-١٢٩.

(٥) ينظر تفسير الثعلبي ٥/ ٢٨١، والمحرر الوجيز ٤/ ٥١١، وزاد المسير ٧/ ١٤٩-١٥٠، وتفسير القرطبي ١٨/ ٢٢٩، والقراءة في السبعة ص ٥٥٥، والتيسير ص ١٨٨، وهي أيضاً قراءة خَلَف ـ من العشرة ـ ينظر النشر ٢/ ٣٦١.

(٦) قال الأصمعيُّ: الكَلَّاءُ: موضعٌ تَرْفَأُ فيه السُّفُن، وهو ساحل كلِّ نهر. الصحاح (كلأ)،

وقرأ الجمهور: «وآخَرُ» على الإفراد، فقيل: مبتدأٌ خبرُه محذوف، تقديره: ولهم عذابٌ آخَرُ، وقيل: خبرُه في الجملة، لأنَّ قولَه: «أزواج» مبتدأٌ، و«من شَكْلِه» خبرُه، والجملة خبرُ «وآخَرُ»، وقيل: خبره «أزواج»، و«مِن شَكْلِه» في موضع الصِّفَة، وجاز أَنْ يُخبر بالجمع عن الواحد مِن حيث هو دَرَجات ورُتَب مِن العذاب، أو سُمّي كلّ جزءٍ مِن ذلك الآخَر باسم الكُلِّ.

وقال الزمخشريُّ: «وآخَرُ» أي: وعذابٌ آخَرُ، أو: ومَذُوقٌ آخَرُ، و«أزواجٌ» صفةٌ لـ «آخَرُ» لأنَّه يَجوز أن يكون ضُرُوباً أو صفةٌ للثلاثة، وهي «حميم» و«غَسَّاق» و«آخَرُ مِن شَكْلِه»[١]. انتهى. وهو إعرابٌ أَخَذَهُ مِن الفرَّاء[٢].

وقرأ الحسن ومجاهد والجحدريُّ وابنُ جُبَير وعيسى وأبو عمرو: و«أُخَرُ» على الجَمْع[٣]، وهو مبتدأٌ، و«مِن شَكْلِه» في موضع الصفة، و«أزواج» خبره، أي: ومَذُوقات أُخَرُ مِن شَكْلِ هذا المَذُوق، مِن مِثْلِه في الشِّدَّة والفَظَاعة «أزواجٌ»: أجناسٌ[٤].

وقرأ مجاهد: «مِن شِكله» بكسر الشينِ[٥]، والجمهورُ: بفتحها، وهما لغتان بمعنى المِثْل والضَّرْب، وأمَّا إذا كان بمعنى الغُنْج[٦] فبِكَسْرِ الشينِ لا غَيْر.

= والجَبَّان والجَبَّانة: الصحراء. الصحاح (جبن)، والعَقَّار: الذي يُعنِّف بالإبل لا يَرْفُق بها. مقاييس اللغة ٤/ ٩١ (عقر)، والخَطَّار: العَطَّار. اللسان (خطر).
قال ابنُ جنّيّ في المبهج ص ٤٨ في ترجمة: وَدَّاك بن ثميل المازني: وهو فعَّال، من الودك، وأصله الصفة، ألا ترى أنَّ فعَّالاً بابه الصفة، وقلَّما يوجد في الأسماء، وفي الكتاب [يعني كتاب سيبويه ٤/ ٢٥٧] من ذلك الكَلَّاء والجَبَّان، وزاد أبو عليّ: الفَيَّاد: ذَكَر البوم، ووجدتُ أنا أيضاً: الجَيَّار، وهو السُّعَّال ونحوه، والخَطَّار: لضَرْبٍ من الدُّهن الطيب، فأمَّا: السَّمَّان: لما ينقش به، فيحتمل الأمرين.

(١) الكشاف ٣/ ٣٧٩.
(٢) معاني القرآن للفراء ٢/ ٤١١.
(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٥١١، وقراءة أبي عمرو في السبعة ص ٥٥٥، والتيسير ص ١٨٨، وهي أيضاً قراءة يعقوب ـ من العشرة ـ ينظر النشر ٢/ ٣٦١.
(٤) الكشاف ٣/ ٣٧٩.
(٥) ينظر المحرر الوجيز ٤/ ٥١١، والكشاف ٣/ ٣٧٩، وتفسير الرازي ٢٦/ ٢٢١.
(٦) في (أ) والمطبوع: الفتح، وفي (ح): القبح، وفي (ع): القيح. والمثبت من باقي النُّسخ =

وعن ابنِ مسعود: «وآخَرُ مِن شَكْلِه» هو الزَّمْهَرِير[١].

والظاهر أنَّ قولَه: «هذا فوجٌ مُقتَحمٌ معكم» مِن قول رؤسائِهم بعضِهم لبعض، والفَوْجُ: الجَمْعُ الكثير «مُقْتحم معكم» أي: النَّارَ، وهم الأَتْباع، ثمَّ دَعَوا عليهم بقولهم: «لا مَرْحَباً بهم» لأنَّ الرئيسَ إذا رَأَى الخَسِيْسَ قد قُرِنَ معه في العذاب، سَاءَهُ ذلك حيث وَقَعَ التَّساوي في العذاب، ولم يكن هو السالم مِن العذاب وأَتْباعه في العذاب.

و«مَرْحَباً» معناه: أَتيتَ رُحْباً وسَعَة لا ضِيقاً، وهو منصوب بفعلٍ يَجب إضمارُه ولا دعاء، و«بهم» بيانٌ للمَدعوِّ عليهم.

وقيل: «هذا فوجٌ» مِن كلام الملائكة خَزَنَةِ النَّار، وأنَّ الدُّعاءَ على الفوج، والتعليلُ بقولِه: «إنَّهم صَالُوا النَّار» مِن كلامِهم، وقيل: «هذا فوجٌ مُقتَحم معكم» مِن كلام الملائكةِ، والدُّعاءُ على الفَوج والإخبارُ بأَنَّهم «صَالُوا النار» مِن كلام الرُّؤساء المَتْبُوعين[٢].

«قالوا» أي: الفوج: «لا مَرْحباً بكم» رَدٌّ على الرُّؤساء ما دَعَوا به عليهم، ثمَّ ذكروا أنَّ ما وَقَعوا فيه مِن العذاب وصُلِّي النَّار إنَّما هو بما أَلقيتم إلينا وزَيَّنتُموه مِن الكفر، فكأنَّكم قدَّمتم لنا العذابَ أو الصُّلِيّ.

وإذا كان «لا مرحباً بهم» مِن كلام الخَزَنة، فلم يَجِئ التركيبُ: قالوا: بل هؤلاء لا مَرْحباً بهم، بل جاء بخطاب الأَتْباع للرُّؤساء؛ لتكونَ المواجهةُ لمَن كانوا لا يَقدرونَ على مواجهتهم في الدُّنيا بقبيحٍ أَشْفَى لصدورهم، حيث تَسبَّبوا في كُفرهم، وأنكى للرُّؤساء.

= ومن الكشاف ٣/ ٣٧٩، والغُنْج والغُنُج: الشَّكل، وامرأةٌ غَنِجَة: حَسَنَةُ الدَّلّ، وقيل: الغُنْج: مَلَاحة العينين. اللسان (غنج).

(١) تفسير القرطبي ١٨/ ٢٣١، وأخرجه عنه عبد الرزاق في التفسير ٢/ ١٦٦-١٦٧، وهنَّاد في الزهد (٢٩٤)، والطبري ٢٠/ ١٣١-١٣٢.

(٢) ينظر المحرر الوجيز ٤/ ٥١١، والكشاف ٣/ ٣٧٩، والنكت والعيون ٥/ ١٠٨، وتفسير القرطبي ١٨/ ٢٣٣.

«فبئسَ القَرَار» أي: النَّار، وهذه المُرَادَّةُ والدُّعاءُ، كقوله: ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا﴾ [الأعراف:٣٨] ولم يكتفِ الأتباعُ بِرَدِّ الدُّعاء على رُؤسائهم ولا بمواجَهتهم بقولهم: «أَنتم قَدَّمتُموه لنا» حتى سَأَلوا مِن اللهِ أَنْ يَزِيْدَ رُؤساءَهم ضِعْفاً مِن النار، والمعنى: مَن حَمَلَنا على عَمل السُّوء حتى صارَ جزاءَنا النَّار «فَزِدْهُ عذاباً ضِعْفاً» كما جاء في قول الأتباع: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ﴾أي: سادتهم ﴿ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ﴾ [الأحزاب:٦٨] ﴿رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ﴾ [الأعراف:٣٨].

ولمَّا كان الرُّؤساء ضُلَّالاً في أَنفسِهم، وأَضلُّوا أَتْباعَهم، ناسَبَ أَنْ يَدعُوا عليهم بأَنْ يَزيدهم ضِعْفاً، كما جاء: «فَعَلَيْه وِزْرُهُ ووِزْرُ مَن عَملَ بها إلى يوم القيامة»[١]، فعلى هذا الضمير في: «قالوا» للأَتْباع، و«مَن قَدَّم» هم الرُّؤساء، وقال ابنُ السائب: «قالوا ربَّنا»، إلى آخِرِه، قولُ جميعِ أهل النار[٢]، وقال الضَّحَّاك: «مَن قَدَّمَ» هو إبليس وقابيل، وقال ابنُ مسعود: الضِّعْف: حيّات وعَقَارِب.

«وقالوا» أي: أشرافُ الكُفَّار: «ما لَنَا لا نَرَى رجالاً» وهم مُسْتَضْعفُو المؤمنين الذين لا يُؤْبَهُ بهم «كُنَّا نَعُدُّهُم» في الدنيا «مِن الأشرار» أي: الأرذال الذين لا خيرَ فيهم، وليسوا على ديننا، كما قال: ﴿وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا﴾ [هود:٢٧].

ورُوِيَ أنَّ القائلينَ مِن كُفَّار عَصْرِ الرَّسولِ ﷺ هم: أبو جهل، وأُمَيَّة بنُ خَلَف، وأصحابُ القَلِيْب، والذين لم يَرَوهم: عمَّار وصُهَيب وسَلْمان، ومَن جَرى مَجراهم، قاله مجاهد وغيره[٣]، قيل: يَسْأَلونَ: أَينَ عمَّار؟ أَينَ صُهَيب؟ أَينَ فلانٌ؟

---

(١) هكذا ورد لفظ الحديث في النسخ الخطية، وعُدِّلت لفظة: وزره، إلى: وزرها، في مطبوع البحر، ولم نقف على طرف الحديث بهذا اللفظ، ولعلَّ المصنِّفَ ـ رحمه الله تعالى ـ رواه بالمعنى، والحديث كاملاً هكذا: «مَن سنَّ في الإسلام سُنَّةً سيئةً، كان عليه وزرها ووِزْرُ من عمل بها من بعده، من غير أن ينقصَ من أوزارهم شيء»، وهو عند مسلم (١٠١٧)، وأحمد (١٩١٥٦) من حديث جرير بن عبد الله البجلي ﷺ، وينظر تتمة تخريجه عند أصحاب السُّنن وغيرهم عند أحمد بالرواية رقم (١٩١٧٤).

(٢) زاد المسير ٧/ ١٥٢.

(٣) ينظر النكت والعيون ٥/ ١٠٩، والمحرر الوجيز ٤/ ٥١٢، والكشاف ٣/ ٣٨٠، وتفسير القرطبي ١٨/ ٢٣٤، وأخرجه الطبري ٢٠/ ١٣٦ من قول مجاهد، وهو عند ابن سعد في

يَعُدُّون ضعفاءَ المسلمين، فيقال لهم: أولئك في الفردوس[(١)].

وقرأ النَّحْويَّان وحمزة: «اتَّخَذْناهُم» وصلاً[(٢)]، فقال أبو حاتم والزمخشريُّ وابنُ عطيَّة: صِفَةٌ لرجال، قال الزمخشريُّ: مِثْل قوله: ﴿كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ﴾. وقال ابنُ الأنباري: حال، أي: وقدِ اتَّخذناهم[(٣)].

وقرأ أبو جعفر والأعرج والحسن وقتادة وباقي السبعة: بهمزة الاستفهام، لتقرير أنفسِهم على هذا على جهة التَّوبيخ لها والأسَف، أي: «أَتَّخَذْناهُم سخريًّا»، ولم يَكونوا كذلك.

وقرأ عبد الله وأصحابه ومجاهد والضَّحَّاك وأبو جعفر وشيبة والأعرج ونافع وحمزة والكسائيُّ: «سُخْرِيًّا» بضمِّ السين، ومعناها مِن السُّخْرة والاسْتِخدام، وقرأ الحسن وأبو رجاء وعيسى وابنُ محيصن وباقي السبعة: بكسر السين[(٤)]، ومعناها المشهور مِن السِّخر وهو الهُزْء، قال الشاعر:

إنِّي أَتاني لِسانٌ لا أُسَرُّ بها ... مِنْ عَلْوُ لا كَذِبٌ فيها ولا سُخُرُ[(٥)]

وقيل: بكسرِ السين، مِن التَّسخير، و«أَمْ» إن كان «أَتَّخذناهم» استفهاماً، إمَّا

= الطبقات ٣/ ٢١٤، وأحمد في فضائل الصحابة ٢/ ٨٥٩ (١٦٠٢)، والثعلبي في الكشف والبيان ٥/ ٢٨٣.

(١) تفسير القرطبي ١٨/ ٢٣٤، وعزاه لابن عباس، وأخرجه الطبريُّ ٢٠/ ١٣٦ من قول مجاهد.

(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٥١٢، وتفسير القرطبي ١٨/ ٢٣٤، والنحويَّان: الكسائي وأبو عمرو، والقراءة في السبعة ص ٥٥٦، والتيسير ص ١٨٨، وهي أيضاً قراءة يعقوب وخَلَف ـ وهما من العشرة ـ النشر ٢/ ٣٦٢.

(٣) قول أبي حاتم ـ وهو: السجستاني ـ عند القرطبي ١٨/ ٢٣٤، حيث نقله هو عن النحاس في إعراب القرآن ٣/ ٤٧١، وقول الزمخشري في الكشاف ٣/ ٣٨٠، ولم نقف على قولِ ابنِ عطية في المحرر الوجيز، وزاد النَّحَّاسُ في إعراب القرآن ٣/ ٤٧١: أبا عبيد، مع أبي حاتم، وقولُ ابنِ الأنباري في كتابه إيضاح الوقف والابتدا ٢/ ٨٦٤-٨٦٥، وفيه قول أبي حاتم أيضاً.

(٤) المحرر الوجيز ٤/ ٥١٢، وما بعده منه أيضاً، والقراءة في السبعة ص ٥٥٦، والتيسير ص١٦٠، وقرأ بالضَّمِّ أيضاً خَلَف مِن العشرة، ينظر النشر ٢/ ٣٢٩.

(٥) المحرر الوجيز ٤/ ٥١٢، والبيت لأعشى باهلة، وسلف في سورة المؤمنون، عند تفسير الآية (١٠٩) منها.

مُصَرَّحاً بهمزته، كقراءة مَن قرأ كذلك، أو مُؤَوَّلاً بالاستفهام، وحُذفت الهمزةُ للدلالة، فالظاهر أنَّها متَّصلة؛ لتقدُّم الهمزة، والمعنى: أيّ الفِعْلين فَعَلْنا بهم؛ الاستسخار منهم، أم ازْدِرَاؤهم وتحقيرهم، وأَنَّ أَبْصَارَنا كانت تَعْلُو عنهم وتقتحمهم، ويكون استفهاماً على معنى الإنكار على أنفسِهم للاستسخار والترفُّع جميعاً، وقال الحسن: كلّ ذلك قد فَعَلُوا؛ اتَّخذوهم سُخْرِيًّا، وزَاغَت عنهم أبصارُهم مُحقِّرةً لهم.

وإنْ كان «اتَّخذناهم» ليس استفهاماً، فـ «أم» منقطعة، ويجوز أَنْ تكونَ منقطعةً أيضاً مع تقدُّم الاستفهام؛ فَمَعَ عدم الاستفهام يكون كقولك: إنَّها لإبِلٍ أَمْ شَاء، أي: بل أهيَ شَاء، وعلى الاستفهام[1] يكون كقولك: أَزَيْدٌ عندكَ، أَمْ عندَكَ عَمْرو؟ استفهمتَ عن زيدٍ ثمّ أضربتَ عن ذلك واستفهمتَ عن عمرٍو، فالتقدير: بل أَزَاغَت عنهم الأَبْصار؟

ويجوز أن يكون قولهم: «أَمْ زَاغَت عنهم الأَبصار» له تعلُّق بقوله: «ما لَنَا لا نَرَى رجالاً» لأنَّ الاستفهامَ أَوَّلاً دلَّ على انتفاءِ رؤيتهم إيَّاهم، وذلك دليلٌ على أنَّهم ليسوا معهم في النَّار، ثمَّ أَضربوا عن هذا واستَفْهَموا فقالوا: «بل زاغت عنهم الأبصار» فأوهم فيها، فنَفَوا أوَّلاً ما يدلُّ على كونهم ليسوا معهم[2]، ثم جوّزوا أَنْ يكونوا معهم، ولكن أَبصارهم لم تَرَهم.

«إنَّ ذلك» أي: التفاوض الذي حَكيناه عنهم «لَحَقّ» أي: ثابتٌ واقِعٌ، لا بُدَّ أَنْ يجريَ بينهم.

وقرأ الجمهور: «تَخَاصُمُ» بالرَّفْع مضافاً إلى «أَهْل»، فقال ابنُ عطيَّة: بَدَلٌ مِن «لَحَقّ»[3]. وقال الزمخشريُّ: بَيَّن ما هو فقال: هو «تَخَاصُمُ»[4]، وأجازهما الحوفيّ، وأن يكون خبراً بعد خبر.

---

(١) من قوله: فمع عدم الاستفهام... إلى هنا، ليس في مطبوع البحر، وعبارة: إنها لإبل أم شاء. سلفت في سورة النمل، عند تفسير الآية (٢٠).
(٢) من قوله: معهم في النار... إلى هنا، زيادة من (يه).
(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٥١٢.
(٤) الكشاف ٣/ ٣٨٠.

وقرأ ابنُ محيصن: «تَخَاصُمٌ»[١] منوّناً «أهلُ» رفعاً بالمصدر المنوَّن[٢]، ولا يُجيز ذلك الفرَّاء[٣]، ويُجيزه سيبويه والبَصْرِيُّون.

وقرأ ابنُ أبي عبلة: «تَخاصُمَ أَهْلِ» بنصب الميم وجَرِّ «أهل»[٤]، قال الزمخشريُّ: على أنَّه صفةٌ لـ«ذلك»؛ لأنَّ أسماءَ الإشارة تُوصَف بأسماءِ الأجناس[٥]. وفي كتاب «اللَّوامِح»: ولو نَصَبَ «تَخاصُم أهلِ النَّار» لجازَ على البَدَل مِن ذلك.

وقرأ ابنُ السَّمَيْفَع: «تَخَاصَمَ» فعلاً ماضياً «أَهْلُ» فاعلاً[٦].

وسمَّى تعالى تلك المفاوضةَ التي جَرَت بين رُؤَساء الكُفَّار وأَتْبَاعِهم: تخاصماً؛ لأنَّ قولَهم: «لا مَرْحباً بهم» وقولَ الأتباع: «بَلْ أنتم لا مَرحباً بكم» هو مِن باب الخصومة، فسمّى التفاوض كلَّه تخاصماً؛ لاشتماله عليه.

«قل» يا محمد «إنَّما أنا مُنْذِر» أي: مُنْذِر المشركين عذابَ الله وأنَّه لا إلَهَ إلَّا اللهُ لا نِدَّ له ولا شريكَ، وهو الواحدُ القَهَّار لكلِّ شيء، وأنَّه مالكُ العالَم؛ عُلْوه وسُفْله، «العزيز» الذي لا يُغالَب «الغفَّار» لذنوبِ مَن آمَنَ به واتَّبع لدينه.

﴿قُلْ هُوَ نَبَؤٌا عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾ مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَىٰٓ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾ إِن يُوحَىٰٓ إِلَيَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٠﴾ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ الْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّۖ

(١) من قوله: وأجازهما الحوفي... إلى هنا، زيادة من (د٣) و(يه).
(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٥١٢، ولم نقف على القراءة عند غيره ممَّن سَبَقه، وأوردها عنه السمين في الدر المصون ٩/ ٣٩٤، وابنُ عادل في اللباب ١٦/ ٤٤٩.
(٣) وذكر ذلك أيضاً المصنِّفُ في كتابه ارتشاف الضرب ٥/ ٢٢٦٠، والذي ورد في معاني القرآن للفراء ٢/ ٣٨٢ إعمالُ المصدر المنوَّن، حيث قال عند تفسير قوله تعالى: ﴿بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ﴾ [الصافات: ٦]: إذا نوَّنت في الزينة، كان وجهاً صواباً، تريد: بتزييننا الكواكبَ.
(٤) المحرر الوجيز ٤/ ٥١٢، والكشاف ٣/ ٣٨٠، وزاد المسير ٧/ ١٥٣، وزاد الأخير نسبتها إلى أبي الجوزاء وأبي الشعثاء، وأبي عمران.
(٥) الكشاف ٣/ ٣٨٠، وينظر الدر المصون ٩/ ٣٩٥.
(٦) زاد المسير ٧/ ١٥٣، وزاد نسبتها إلى أبي مجلز وأبي العالية وأبي المتوكل، والقراءة في القراءات الشاذة ص ١٣٠.

أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ ﴿٨٨﴾﴾.

الضمير في قوله: «قل هو نَبأٌ» يَعود إلى ما أخبر به ﷺ مِن كونه رسولاً مُنذِراً داعياً إلى الله، وأنَّه تعالى هو المُنفَرِد بالألوهيَّة المُتَّصفُ بتلك الأوصاف مِن الوحدانيَّة والقَهْر ومُلْكِ العالَم وعِزَّته وغُفْرانه، وهو خبرٌ عظيم لا يُعرِض عن مِثْلِه إلَّا غافلٌ شديد الغَفْلَة.

وقال ابنُ عباس: النَّبأُ العظيم: القرآنُ، وقال الحسن: يوم القيامة، وقيل: قصص آدمَ والإنباءُ به مِن غير سماعٍ مِن أحدٍ[1].

وقال صاحب «التحرير»: سياقُ الآية وظاهرُها أنَّه يُريد بقوله: «قُلْ هو نبأ عظيم» ما قَصَّهُ اللهُ تعالى مِن مُنَاظَرَة أهلِ النار ومقاولة الأَتْباع مع السَّادات؛ لأنَّه مِن أحوال البَعْث، وقريش كانت تُنكِرُ البعثَ والحساب والعِقَاب، وهم عن ذلك «مُعْرِضون»، وقوله: «ما كانَ لي مِن علم بالمَلَإِ الأعلى إذ يَختصمُون» احتجاجٌ على قريش بأنَّ ما جاءَ به مِن عندِ الله لا مِن قِبَلِ نفسِه، فإنَّ مَن في الأرض مالَهُ عِلْمٌ بمَن في السماء إلَّا بإعلام اللهِ تعالى، وعِلْم المُغيَّبات لا يُوصَل إليه إلَّا بإعلام اللهِ تعالى، وعِلْمه بأحوالِ أهلِ النَّار وابتداءِ خَلْق آدمَ، لم يكن عنده عِلْم بذلك، فإخبارُه بذلك هو بإعلامِ اللهِ، والاستدلالُ بقصَّة آدمَ؛ لأنَّه أوَّلُ البَشر خُلِقَ، وبينَه وبينَ الرَّسولِ عليه السلام أزمانٌ متقادِمَة وقُرُون سالفة. انتهى. وفي آخِره بعضُ اختصارٍ.

ثم احتجَّ بصحَّة نبوَّته بأنَّ ما يُنبئُ به عن المَلَإِ الأعْلَى واختصامِهم، أَمْرٌ لم يَكن له به مِن عِلْم قطُّ، ثم عَلِمَه مِن غيرِ الطريق الذي يَسْلكه المتعلِّمون، بل ذلك مستفادٌ مِن الوحي.

---

(١) الكشاف ٣/ ٣٨١، وينظر تفسير البغوي ٤/ ٦٨، والطبري ٢٠/ ١٤٠-١٤١.

و«بالمَلَإِ» متعلِّق بـ «علم»، و«إذ» منصوبٌ به، وقال الزمخشريُّ: بمحذوف؛ لأنَّ المعنى: ما كان لي مِن عِلْمٍ بكلامِ المَلَإِ الأَعْلى وقتَ اختصامِهم، و«إذ قال» بَدَلٌ مِن «إذ يختصمون»[(١)]. انتهى.

والظاهر عَودُ الضمير في «يختصمون» على المَلَإِ الأعلى، وهم الملائكة، وأَبْعَدَ مَن قال: إنَّهم قريش[(٢)]، واختصامُ الملائكة في أَمْرِ آدَمَ وذُرِّيَّته في جَعْلِهم في الأرض، وقالوا: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾ [البقرة: ٣٠] قاله ابنُ عباس[(٣)]، وقال الحسن: قالوا: إنْ خَلَقَ اللهُ خَلْقاً، كُنَّا أكرمَ منه وأَعْلَمَ[(٤)].

وقيل: في الكفَّارات وغَفْرِ الذنوب؛ فإنَّ العبدَ إذا عمل حسنةً اختَلَفت الملائكةُ في قَدْرِ ثوابه في ذلك حتى يقضيَ اللهُ بما شاء، وفي الحديث: قال له ربُّه في نومه عليه السلام: فِيْمَ يَختصمونَ؟ فقلت: لا أدري. فقال: في الكفَّارات؛ وفي[(٥)]: إسباغ الوضوء في السَّبَرات، ونَقْل الخُطَا إلى الجماعات[(٦)].

وقال الزمخشريُّ: كانت مقاوَلَة اللهِ سبحانه بواسطة مَلَكٍ، فكأنَّ المُقاوِلَ في الحقيقة هو المَلَكُ المتوسِّط، فصحَّ أنَّ التقاوُلَ بين الملائكةِ وآدمَ وإبليسَ، وهم الملأ الأَعْلَى، والمرادُ بالاختصامِ التَّقاول[(٧)].

---

(١) الكشاف ٣/ ٣٨١.

(٢) ينظر معاني القرآن للنحاس ٦/ ١٣٧، والمحرر الوجيز ٤/ ٥١٣-٥١٤، وتفسير القرطبي ١٨/ ٢٣٧.

(٣) زاد المسير ٧/ ١٥٥، وعزاه أيضاً لمقاتل، وتفسير القرطبي ١٨/ ٢٣٦ وعزاه أيضاً للسدي، وأخرجه عن ابن عباس والسدي ـ وعن قتادة ـ الطبريُّ ٢٠/ ١٤٢.

(٤) زاد المسير ٧/ ١٥٥، وأخرجه عنه الطبري ١/ ٥٣٢.

(٥) في المحرر الوجيز ٤/ ٥١٣ ـ والكلام منه ـ: وهي.

(٦) الخبر أورده أيضاً الماورديُّ في النكت والعيون ٥/ ١١٠ وعزاه للحسن، عن النبيِّ ﷺ مرسلاً، وكذا نقله عنه القرطبيُّ ١٨/ ٢٣٦، وورد موصولاً عند الترمذي (٣٢٣٤)، وأحمد (٣٤٨٤) عن ابن عباس، وعند الترمذي (٣٢٣٥)، وأحمد (٢٢١٠٩) عن معاذ بن جبل، مرفوعاً، وقال ابنُ الجوزي في العلل المتناهية ١/ ٣٤: أصل هذا الحديث وطرقه مضطربة. اهـ. وينظر تتمة تخريجه والكلام عليه عند أحمد، والسَّبَرات: جَمْع: سَبْرة، وهي شدَّة البَرْد. النهاية (سبر).

(٧) الكشاف ٣/ ٣٨١-٣٨٢.

وقيل: المَلأُ الأَعْلَى: الملائكة، و«إذ يختصمون» الضميرُ فيه للعرب الكافرة، فبعضهم يقول: هيَ بناتُ اللهِ، وبعضهم: هي آلهةٌ تُعبَد، وغير ذلك مِن أقوالهم.

«إنْ يُوحَى إليَّ» أي: ما يُوحَى «إليَّ إلَّا أنَّما أنَا نذيرٌ مبين» أي: لأنَّما أنا نذير، أي: للإنذار، حذف اللام ووصل الفِعْل، والمفعول الذي لم يُسَمَّ فاعله يَجوز أن يكون ضميراً يدلُّ عليه المعنى، أي: «إنْ يُوحَى إليَّ» هو، أي: ما يُوحَى إلَّا الإنذارُ، وأُقيم «إليَّ» مقامه، ويَجوز أن يكون إنَّما هو المفعول الذي لم يُسَمَّ فاعله، أي: ما يُوحَى إليَّ إلَّا الإنذار.

وقرأ أبو جعفر: «إلَّا إنَّما» بكسر همزة «إنَّما» على الحكاية، أي: ما يُوحَى إليَّ إلَّا هذه الجملة، كأنَّه قيل له: أنتَ نذيرٌ مبينٌ، فحكى هو المعنى، وهذا كما يقول الإنسانُ: أنا عالِمٌ، فيقال له: قلتَ: إنَّكَ عالم، فيحكي المعنى[١].

وقال الزمخشريُّ: وقُرئ: «إنَّما» بالكسر، على الحكاية، أي: إلَّا هذا القول، وهو أنْ أقولَ لكم: «إنَّما أنا نذيرٌ مبين» ولا أدَّعي شيئاً آخر[٢]. انتهى.

وفي تخريجه تعارضٌ؛ لأنَّه قال: أي: إلَّا هذا القول، فظاهره الجملة التي هي «إنَّما أنا نذيرٌ مبين» ثم قال: وهو أنْ أقولَ لكم: إنِّي نذيرٌ، فالمقام مقامُ الفاعل هو أنْ أقولَ لكم، وإني وما بَعْدَهُ في موضع نَصْبٍ، وعلى قوله: إلَّا هذا القول، يكون في موضعِ رفعٍ، فتعارضا.

وتقدَّم أنَّ «إذ قال» بَدَلٌ مِن «إذ يختصمون» هذا إذا كانت الخصومةُ في شأنِ مَن يستخلَف في الأرض، وعلى غيرِهِ من الأقوال يكون منصوباً بـ: اذكر.

ولمَّا كانت قريش خَالَفُوا الرَّسولَ عليه السلام بسبب الحَسَد والكِبْر، ذَكَر حالَ إبليسَ حيث خَالَفَ أَمْرَ اللهِ؛ بسببِ الحَسَد والكِبْر، وما آلَ إليه مِن اللَّعْنَةَ والطَّرْد مِن رحمةِ الله؛ ليزدجرَ عن ذلك مَن فيه شيءٌ منهما.

وقال الزمخشريُّ: فإن قلت: كيف صحَّ أنْ يقول لهم: «إنِّي خالقٌ بشراً» وما عَرَفوا ما البَشَر ولا عَهِدُوا به قَبْلُ؟

---

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٥١٤.

(٢) الكشاف ٣/ ٣٨١، وينظر المحرر الوجيز ٤/ ٥١٤، والقراءة في النشر ٢/ ٣٦٢.

قلت: وجهه أَنْ يكونَ قد قال لهم: «إنِّي خالقٌ» خَلْقاً مِن صِفَتِه كَيْتَ وكَيْت، ولكنَّه حين حَكاهُ اقتصرَ على الاسم[١]. انتهى.

والبَشَر هو آدمُ عليه السلام، وذكرَ هنا أنَّه خَلَقه مِن طينٍ، وفي «آلِ عمران»: ﴿خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ﴾ [الآية:٥٩]، وفي «الحِجْر»: ﴿مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ [الآية:٢٦]، وفي الأنبياء: ﴿مِنْ عَجَلٍ﴾ [الآية:٣٧] ولا منافاةَ؛ ذَكَر المادَّة البَعيدة وهو التراب، ثم ما يَليه وهو الطينُ، ثم ما يَليه وهو الحَمأُ المسنون، ثم المادَّة الأخيرة تلي الحَمَأ وهو الصَّلصال[٢]، وأمَّا «مِن عَجَل» فمضى تفسيره[٣].

«فإذا سَوَّيته ونفختُ فيه مِن رُوحي فقَعُوا له ساجدينَ* فسَجَدَ الملائكةُ كلُّهم أجمعونَ إلَّا إبليس» تقدَّم الكلام على هذا في «الحِجْر»[٤]، وهنا: «استَكْبَرَ وكان مِن الكافرين»، وفي «البقرة»: ﴿أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الآية:٣٤] وفي «الأعراف»: ﴿لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ [الآية:١١] وفي «الحِجْر»: ﴿أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ [الآية:٣١]، وفي «الإسراء»: ﴿قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾ [الآية:٦١]، وفي «الكهف»: ﴿كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ﴾ [الآية:٥٠] والاستثناء في جميع هذه الآيات يدلُّ على أنَّه لم يَسجد؛ فتارةً أكد بالنفي المحض، وتارةً ذكرَ إبايَتَه عن السجود، وهو الأنَفَةُ مِن ذلك، وتارةً نصَّ على أنَّ ذلك الامتناعَ كان سَبَبه الاستكبار.

والظاهر أنَّ قوله: «وكان مِن الكافرين» أُريد به كُفْرُه ذلك الوقت، وإن لم يَكن قَبْلَه كافراً، وعَطْفُه على «اسْتَكْبَرَ» يقوِّي ذلك؛ لأنَّ الاستكبارَ عن السجود إنَّما حَصَلَ له وقتَ الأمْرِ، ويَحتمل أنْ يكون إخباراً منه؛ لسَبْقِ كُفره في الأزمنة الماضية في عِلْمِ الله.

«قال يا إبليسُ ما مَنَعَكَ أنْ تَسْجُدَ»، وفي «الأعراف» ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ﴾ [الآية:١٢] فدلَّ «أنْ تَسْجُدَ» هنا على أنَّ «لا» في «أنْ لا تَسْجُدَ» زائدةٌ، والمعنى

(١) الكشاف ٣/ ٣٨٢.
(٢) تفسير الرازي ٢٦/ ٢٢٨.
(٣) عند تفسير الآية (٣٧) من سورة الأنبياء.
(٤) عند تفسير الآية (٢٦) منها.

أيضاً يَدُلُّ على ذلك لأنَّه لا يُستَفْهم إلَّا عن المانع مِن السجود، وهو استفهامُ تقريرٍ وتوبيخ، و«ما» في «لِمَا خلقتُ» استدلَّ بها مَن يُجيز إطلاقَ «ما» على آحَادِ مَن يَعقل، وأوّل بأنَّ «ما» مصدريَّة، والمصدر يُراد به المخلوقُ لا حقيقة المَصْدَر.

وقرأ الجَحْدَرِيُّ: «لَمَّا» بفتح اللام وشَدِّ الميم، «خَلَقْتُ بيَدِي» على الإفراد[1]، والجمهور على التَثْنِيَة، وقُرئَ: «بيَدَيِّ» بكسر الياء، كقراءة: «بمُصْرِخِيِّ»[2] [إبراهيم:٢٢]، وقال تعالى: ﴿مِّمَّا عَمِلَتۡ أَيۡدِينَآ﴾ [يس:٧١] بالجمع.

وكلُّها عبارةٌ عن القُدرة والقُوَّة، وعبّر باليد؛ إذ كان عند البشر معتاداً أنَّ البَطْشَ والقُوَّة باليَدِ، وذهب القاضي أبو بكر بنُ الطَّيِّب إلى أنَّ اليَدَ صفةُ ذاتٍ، قال ابنُ عطيَّة[3]: وهو قولٌ مرغوبٌ عنه.

وقرأ الجمهور: «أَسْتَكْبَرْتَ» بهمزة الاستفهام، فـ «أم» متَّصِلَة عَادَلَت الهمزة، قال ابنُ عطيَّة: وذَهَبَ كثيرٌ مِن النَّحْويِّين إلى أنَّ «أم» لا تكون معادلةً للألف مع اختلافِ الفِعْلَين، وإنَّما تكون معادلةً إذا دَخَلَتا على فِعْلٍ واحد، كقولك: أَزَيْدٌ قامَ أَمْ عَمْرو؟ وقولِك: أَقامَ زيدٌ أم عمرو؟ فإذا اختلفَ الفِعْلان ـ كهذه الآية ـ فليست معادلةً، ومعنى الآية: أَحَدَثَ لكَ الاستكبارُ الآنَ أَمْ كنتَ قديماً ممَّن لا يَليقُ أَنْ تُكلَّفَ مِثْلَ هذا؛ لِعُلُوِّ مكانك، وهذا على جهة التوبيخ[4]. انتهى.

وهذا الذي ذَكَره عن كثيرٍ مِن النَّحْويِّين مذهبٌ غيرُ صحيح، قال سيبويه: وتقول: أَضَرَبْتَ زيداً أَمْ قَتَلْتَه؟، فالبَدْءُ هنا بالفِعْل أَحْسَنُ؛ لأَنَّكَ إنَّما تَسألُ عن

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٥١٤، وفيه أنَّ عاصماً الجحدريَّ قرأ: «لَمَّا» بفتح اللام وشَدِّ الميم، وأنَّ فرقةً قرأت: «بيدي» بفتح الياء، والقراءة في القراءات الشاذة ص ١٣٠ عن الجحدري هكذا: «لما خلقت بيدِيْ» واحدة. وأوردها أيضاً الزمخشريُّ في الكشاف ٣/ ٣٨٣ هكذا: وقُرئ: «بيدي» على التوحيد. ولم ينسبها.

(٢) الكشاف ٣/ ٣٨٣، وقراءة: «بِمُصْرِخِيِّ» قراءة حمزة والأعمش ويحيى بن وثَّاب، وسلفت في مكانها، فلتنظر ثَمَّة.

(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٥١٤-٥١٥، وما قبله منه أيضاً.

(٤) المحرر الوجيز ٤/ ٥١٥.

أحدِهما، لا تَدري أيّهما كان، ولا تَسألُ عن موضعِ أحدِهما، كأنَّكَ قلتَ: أيُّ ذلك كان[١]. انتهى. فعَادَلَ بـ «أم»الألفَ مع اختلافِ الفِعْلَين.

وقال الزمخشريُّ: «مِن العَالِين»: ممَّن عَلَوتَ وفُقْتَ، فأجاب بأنَّه مِن العَالِين، حيث قال: «أَنَا خيرٌ منه»، وقيل: «أَسْتَكْبَرتَ» الآنَ، أم لم تَزل مُذْ كنتَ مِن المستكبرين، ومعنى الهمزة التقرير[٢]. انتهى.

وقرأت فرقةٌ منهم ابنُ كثير وغيره: «اسْتَكْبَرْتَ» بصلةِ الألف، وهي قراءةُ أهلِ مكَّة وليست في مشهورِ ابنِ كثير[٣]، فاحتمل أَنْ تكونَ همزةُ الاستفهام حُذفَت؛ لدلالة «أم» عليها، كقوله:

بِسَبْعٍ رَمَيْنَ الجَمْرَ أَمْ بِثَمَانِ[٤]

واحتمل أن يكون إخباراً خَاطَبه بذلكَ على سبيل التَّقْرِيع، و«أم» تكون منقطعةً، والمعنى: بل أَنْتَ مِن العَالِين عند نفسِك؛ استخفافاً به.

«قال أَنَا خيرٌ منه خَلَقْتَني مِن نارٍ وخَلَقْتَهُ مِن طينٍ» تقدَّم الكلامُ على ذلك في «الأعراف»[٥].

«قال فاخرج منها» إلى قوله: «إلى يومِ الوقتِ المعلوم» تقدَّم الكلامُ على مِثْلِ ذلك في «الحِجْر»[٦]، إلَّا أنَّ هنا «لَعْنَتِي» وهناك: «اللَّعْنَة»، واللَّعْنَةُ أعمُّ، ألَا تَرَى إلى قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾ [البقرة:١٥٩] وأمَّا بالإضافة فالعمومُ في اللَّعَنات إنَّما حَصَلَ مِن جهة أنَّ مَن عليه لَعْنَة اللهِ كانت عليه لَعْنَة كلِّ لاعِنٍ، هذا من جهة المعنى، وأمَّا اللَّفظ فيقتضي التخصيص.

---

(١) الكتاب ٣/ ١٧١.
(٢) الكشاف ٣/ ٣٨٣.
(٣) ينظر المحرر الوجيز ٤/ ٥١٥، وتفسير القرطبي ١٨/ ٢٣٩، والقراءة غير المشهورة عن ابنِ كثير في السبعة ص ٥٥٦، والقراءات الشاذة ص ١٣٠.
(٤) عجز بيت لعمر بن أبي ربيعة، وهو في ديوانه ص ٢٠٩، وصدره: فوالله ما أدري وإني لحاسبٌ.
(٥) عند تفسير الآية (١٢) منها.
(٦) عند تفسير الآية (٣٤) منها وما بعدها.

«قالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهم» أَقْسَمَ إبليسُ هنا بعزَّة الله، وقال في «الأعراف»: ﴿فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ﴾ [الآية:١٦]، وفي «الحِجْر»: ﴿رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ﴾ [الآية:٣٩] وتقدَّم الكلام عليهما في موضعيهما، وأنَّ مِن المفسِّرين مَن قال: إنَّ الباء في «بما أغويتني» وفي «فبما أغويتني» ليست باءَ القَسَم[١]، فإنْ كانت باءَ القَسَم، فيكون ذلك في موطِنَيْن أو وقتين، ويدلّ على أنَّها أَقْسَامٌ اختلافُ متعلَّق القَسَم، فهنا «لأُغوينَّهم»، وفي «الأعراف»: «لأقعدنَّ»، وفي «الحِجْر»: «لأُزيننَّ».

وقرأ الجمهور: «قال فالحَقَّ والحَقَّ» بنصبِهما، أمَّا الأوَّل فمُقْسَمٌ به حُذفَ منه الحرفُ، كقولك: أمانةَ اللهِ لأَقومَنَّ، والمُقْسَم عليه: «لأملأنَّ»، «والحقَّ أقول» اعتراضٌ بين القَسَم وجوابِه، قال الزمخشريُّ: ومعناه: ولا أَقولُ إلَّا الحَقّ[٢]. انتهى. لأنَّ عندَه تقديم المفعول يُفيدُ الحَصْرَ.

والحَقّ المُقْسم به، إمَّا اسمُه تعالى الذي في قوله: ﴿أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾ [النور:٢٥] أو الذي هو نقيضُ الباطل، وقيل: «فالحَقّ» منصوبٌ على الإغراء، أي: فالزموا «الحَقَّ»، و«لأملأنَّ» جوابُ قَسَم محذوف، وقال الفَرَّاء: هو على معنى قولك: حَقًّا لا شَكَّ، ووجودُ الألفِ واللَّامِ وطَرْحُهما سواء، أي: لأملأنَّ جهنَّم حَقًّا[٣]. انتهى.

وهذا المصدر الجائي توكيداً لمضمونِ الجملة لا يَجوز تقديمُه عندَ جمهورِ النُّحاة، وذلك مخصوصٌ بالجملة التي جُزْءاها معرفتان جامدان جموداً مَحْضاً.

وقال صاحب «البسيط»: وقد يَجوز أن يكون الخبرُ نكرةً، قال: والمبتدأ يَكون ضميراً نحو: هو زَيدٌ معروفاً، وهو الحَقُّ بَيِّناً، وأَنَا الأميرُ مُفتخِراً، ويكون ظاهراً، كقولك: زيدٌ أَبوكَ عَطُوفاً، وأَخوكَ زيدٌ معروفاً. انتهى.

وقالت العرب: زيدٌ قائمٌ غيرَ ذي شَكٍّ، فجاءت الحالُ بعد جملةٍ والخبرُ نكرة، وهي حالٌ مُؤكِّدة لمضمونِ الجملةِ، وكأنَّ الفَرَّاء لم يَشترط هذا الذي ذَكَره

---

(١) ينظر تفسير الآية (١٦) من سورة الأعراف.

(٢) الكشاف ٣/ ٣٨٤.

(٣) معاني القرآن للفراء ٢/ ٤١٣، وينظر إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٤٧٤، وتفسير القرطبي ١٨/ ٢٤١، وارتشاف الضَّرَب ٤/ ١٧٨٧.

أصحابُنا مِن كونِ المبتدأ أو الخبر معرفتين جامدين؛ لأنَّه لا فرقَ بين تأكيدِ مضمونِ الجملة الابتدائيَّة وبينَ تأكيدِ الجملة الفعليَّة، وقيل: التقدير: أُحِقُّ الحَقَّ، أي: أَفْعَله[١].

وقرأ ابنُ عبَّاس ومجاهد والأعمش: بالرَّفْع فيهما[٢]؛ فالأوَّل مبتدأٌ خبرُه محذوف، قيل: تقديره: فالحَقُّ أَنَا، وقيل: فَالحقُّ مِنِّي، وقيل: تقديره: فالحقُّ قَسَمِي، وحُذفَ كما حُذفَ في: لَعَمْرُكَ لأقومَنّ[٣]، وفي:

.... يـمـيـنُ اللهِ أَبْـرَحُ قـاعـداً[٤]

أي: لعَمْرُك قَسَمِي، و: يمينُ اللهِ قَسَمِي، وهذه الجملة هي جملةُ القَسَم، وجوابُه: «لأملأنَّ».

وأمَّا «والحقُّ أَقول» فمبتدأٌ أيضاً، خبرُه الجملةُ، وحُذفَ العائدُ، كقراءة ابنِ عامر: «وكلٌّ وَعَدَ اللهُ الحُسْنى»[٥] [الحديد: ١٠].

وقال ابنُ عطيَّة: أمَّا الأوَّل فرَفْع على الابتداء، وخبرُه في قوله: «لأملأنَّ» لأنَّ المعنى: أَنْ أَمْلأَ[٦]. انتهى.

وهذا ليس بشيء؛ لأنَّ «لأملأنَّ» جوابُ قَسَم، ويجب أن يكون جملةً، فلا يتقدَّر بمفرَد، وأيضاً ليس مصدراً مقدَّراً بحرفٍ مَصْدَريٍّ والفِعْلِ حتى يَنحلَّ إليهما، ولكنَّه لمَّا صحَّ له إسنادٌ مَّا قدّر إلى المبتدأ حُكْم أنَّه خبر عنه.

---

(١) اختلفت النُّسَخ في رسم هذه العبارة؛ ففي أكثرها وردت هكذا: فالحق الحق، أي: أفعله، ولم ترد لفظة: فالحق، في (د٣) و(به)، ولم ترد لفظة: أي، في (ت) و(ع)، والمثبت من إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٤٧٤، وتفسير القرطبي ١٨/ ٢٤١. ولعلَّه الصواب.

(٢) ينظر المحرر الوجيز ٤/ ٥١٦، وزاد المسير ٧/ ١٥٨، والقراءات الشاذة ص ١٣٠.

(٣) ينظر الخصائص لابن جِنِّي ١/ ٣٩٣، وارتشاف الضَّرَب ٤/ ١٧٦٥.

(٤) البيت لامرئ القيس، وهو في ديوانه ص٣٢، وتمامه:

فـقـلـتُ يـمـيـنُ اللهِ أَبْـرَحُ قـاعـداً ولـو قـطـعـوا رأسـي لـديـكِ وأوصـالـي

وسلف في تفسير سورة البقرة، عند تفسير الآية (١٨٤) منها.

(٥) السبعة ص ٦٢٥، والتيسير ص ٢٠٨، والنشر ٢/ ٣٨٤.

(٦) المحرر الوجيز ٤/ ٥١٦.

وقرأ الحسن وعيسى وعبد الرحمن بنُ أبي حمَّاد عن أبي بكر بجَرِّهما[١]، ويُخرَّج على أنَّ الأوَّل مجرورٌ بواوِ القَسَم محذوفةً، تقديره: فَوَالحَقِّ، و«الحَقِّ» معطوفٌ عليه، كما تقول: واللهِ واللهِ لأقومنَّ، و«أقول» اعتراضٌ بين القَسَم وجوابه.

وقال الزمخشريُّ: «والحَقّ أقول» أي: ولا أقول إلَّا الحَقّ، على حكاية لفظ المُقسَم به، ومعناه التوكيد والتشديد، وهذا الوجهُ جائزٌ في المنصوبِ والمرفوعِ، وهو وَجْهٌ دقيقٌ حَسَنٌ[٢]. انتهى.

ومُلخَّصه أنَّه أعمل القولَ في لفظ المُقسَم به على سبيلِ الحكاية إنْ نَصْباً أو رَفْعاً أو جَرًّا.

وقرأ مجاهد والأعمش بخلاف عنهما ـ وأبان بنُ تغلب وطلحة في رواية ـ وحمزة، وعاصم عن المُفضَّل، وخَلَف والعَبسي: برَفْع «فالحقّ» ونَصْب «والحَقّ»[٣]، وتقدَّم إعرابهما.

والظاهر أنَّ قولَه: «أجمعين» تأكيدٌ للمُحدَّث عنه، والمعطوفِ عليه، وهو ضميرُ إبليس ومَن عُطف عليه، أو: ومنكَ ومِن تَابعيك أجمعين.

وأَجازَ الزمخشريُّ أَنْ يكون «أجمعين» تأكيداً للضمير الذي في «منهم» فقدَّر: لأملأنَّ جهنَّم مِن الشياطين وممَّن تَبِعهم مِن جميعِ الناس لا تفاوتَ في ذلك بين

(١) ينظر تفسير الثعلبي ٥/ ٢٨٦، والمحرر الوجيز ٤/ ٥١٦، والكشاف ٣/ ٣٨٤، وزاد المسير ٧/ ١٥٨، وتفسير القرطبي ١٨/ ٢٤١-٢٤٢، والقراءة في القراءات الشاذة ص ١٣٠ عن عيسى بن عمر، وقال ابن خالويه إثرها: جَعَله قَسَماً، والصواب أن يخفض الثانية؛ لأن القَسَم يكون بالواو، ولا يكون بالفاء.

(٢) الكشاف ٣/ ٣٨٤.

(٣) ينظر تفسير الثعلبي ٥/ ٢٨٥، والمحرر الوجيز ٤/ ٥١٦، وزاد المسير ٧/ ١٥٧، وتفسير القرطبي ١٨/ ٢٤١، وقراءة حمزة وعاصم في السبعة ص ٥٥٧، والتيسير ص ١٨٨، والنشر ٢/ ٣٦٢ وفيه أيضاً قراءة خلف، والعبسي لعلَّه: علي بن خلف بن ذي النون الأستاذ أبو الحسن الأندلسي الإشبيلي ثم القرطبي، وُلد سنة سبع عشرة وأربع مئة، رحل وأخذ القراءات بمصر عن أحمد بن نفيس وغيره، وأقرأ بجامع قرطبة وأخذ عنه جماعة، توفي سنة (٤٩٨هـ). معرفة القراء الكبار ٢/ ٨٨٥-٨٨٦.

ناسٍ وناسٍ بَعْدَ وجودِ الاتباع منهم مِن أولادِ الأنبياء وغيرِهم[(١)]. انتهى.

والضمير في «عليه» عائد على القرآن، قاله ابنُ عباس، وقيل: على الوحي، وقيل: على الدُّعَاة إلى الله.

«وما أنَا مِن المُتكلِّفين» أي: المُتَصَنِّعين المُتحلِّين بما ليسوا مِن أهله، فأَنْتَحِلَ النبوَّةَ وأتقوَّلَ على الله.

«إنْ هو» أي: القرآن «إلَّا ذكر» أي: مِن اللهِ «للعالمين» الثَّقَلَين؛ الإنس والجِنِّ.

«ولَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ» أي: عاقبةَ خَبَرِهِ وما ترتَّب عليه لمن آمَنَ به ومَن أَعرض عنه «بَعْدَ حين» قال ابنُ عباس وعكرمة وابنُ زيد: يعني يومَ القيامة[(٢)]. وقال قتادة والفَرَّاء والزجَّاج: بعد الموت[(٣)]، وكان الحسن يقول: يا ابنَ آدمَ، عندَ الموت يَأْتِيْكَ الخَبَرُ اليَقين[(٤)].

وقيل: المعنى: لَيَظْهَرَنَّ لكم حقيقةُ ما أَقول «بَعْدَ حين» أي: في المستأنَف إذا أَخَذَتْكم سيوفُ المسلمين، وذلك يوم بدر، أشار إلى ذلك السُّدِّيُّ[(٥)].

---

(١) الكشاف ٣/ ٣٨٤-٣٨٥.

(٢) ينظر تفسير الثعلبي ٥/ ٢٨٧، والمحرر الوجيز ٤/ ٥١٦، وزاد المسير ٧/ ١٥٩، وتفسير القرطبي ١٨/ ٢٤٣، وأثر ابنِ زيد عند الطبري ٢٠/ ١٥٢.

(٣) أثر قتادة عند الطبري ٢٠/ ١٥١، وينظر معاني القرآن للفراء ٢/ ٤١٣، وللزجاج ٤/ ٣٤٢، وإعراب القرآن للنحاس ٣/ ٤٧٤.

(٤) النكت والعيون ٥/ ١١٢، وتفسير القرطبي ١٨/ ٢٤٣، وهو عند الطبري ٢٠/ ١٥١.

(٥) المحرر الوجيز ٤/ ٥١٦، وتفسير القرطبي ١٨/ ٢٤٣، وأخرجه عنه الطبريُّ ٢٠/ ١٥١-١٥٢.

سورة الزّمر

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ١ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ
ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا
نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا
يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ٣ لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا
يَشَآءُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ٤ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ
عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ
مُّسَمًّى ۗ أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ٥ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم
مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۚ يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ ۚ
ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ٦ إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ
عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ ۗ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم
مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ٧ ۞ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ
ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓا۟ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ
أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ٨ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ
ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا
يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ٩ قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى
هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ١٠ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ
أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ١١ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ١٢ قُلْ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ
رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ١٣ قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى ١٤ فَٱعْبُدُوا۟ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ ۗ قُلْ إِنَّ

ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٥﴾ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ
ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ ۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟
ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ
أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾ أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ
ٱلْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِى ٱلنَّارِ ﴿١٩﴾ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ
تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٢٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً
فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ
حُطَٰمًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢١﴾ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ
نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ
ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ
وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ
﴿٢٣﴾ أَفَمَن يَتَّقِى بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٢٤﴾
كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٥﴾ فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلْخِزْىَ فِى
ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ
مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا
رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا
يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾».

المفردات التَّكْوِير: اللَّفُّ واللَّيُّ، يقال: كَارَ العِمَامَةَ على رأسِه وكَوَّرَها[1].

خَوَّله النِّعْمَةَ، أي: أعطاه ابتداءً مِن غيرِ مجازاةٍ، ولا يقال في الجزاء: خوّلَ، قال زهير:

هُنَالِكَ إِنْ يُسْتَخْوَلُوا المَالَ يُخْوِلُوا[2]

(١) الكشاف ٣/ ٣٨٧.

(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٥٢١-٥٢٢، وكذا وَرَدَ صدرُ البيت عند القرطبي ١٨/ ٢٥٢، وعند النحاس في معاني القرآن ٦/ ١٥٥، وورد في شرح ديوان زهير ص ١١٢ كما هي الروايةُ التي سيذكرها المصنِّف بعد ذِكْر صدر البيت المذكور أعلاه، وورد في شرح الديوان أيضاً: وقال الأصمعيُّ عن أبي عمرو: ولو أنشدتها لأنشدتها: هنالك إنْ يُسْتَخْوَلُوا المالَ يُخْوِلُوا،
=

ويُروى:

... يُسْتَخْبَلُوا المالَ يُخبِلُوا

وقال أبو النجم:

أَعْطَى فَلَمْ يَبْخَلْ ولم يُبَخّلِ كُومَ الذُّرَى مِن خَوَلِ المُخَوِّلِ[1]

هَاجَ الزَّرْعُ: ثَارَ مِن منابته[2]، وقيل: يَبِسَ[3].

الحُطَام: الفُتَات بعد يبسِه.

القُشَعْرِيْرَة: تَقَبُّض الجِلْدِ، يقال: اقْشَعَرَّ جِلْدُهُ مِن الخوف، وَقَفَّ شَعرُه، وهو مَثَلٌ في شِدَّة الخوف.

الشَّكَاسَةُ: سُوءُ الخُلُق وعُسْرُه.

* * *

﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝١ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ

= وقال أبو عمرو: الاخْتِبال: المنيحة [أي: الناقة أو الشاة تعطيها غيرك يحتلبها ثم يردّها عليك] وقال: لا أعرف الاستخبال، وأراه: يُسْتَخْوَلُوا، والاستخوال: أنْ يُملّكوهم إيَّاه. وقال غيره: الاستخبال: أن يستعير الرجلُ من الرجلِ إبلاً فيشربَ ألبانها وينتفع بأوبارها. ويَيْسِروا: من المَيْسِر.

وورد عجز البيت فيه:

وإن يَسْألوا يعطُوا وإن يَيْسِروا يُغْلُوا

ومعنى: يُغْلُوا: يأخذون سمانَ الجزر لا ينحرون إلَّا غالية.

(١) الكشاف ٣/ ٣٨٩، والبيت في ديوان أبي النجم الفضل بن قدامة العجلي ص ٣٣٩، وكُومَ الذُّرى: عظام الأسنمة.

(٢) قال الصفدي في تصحيح التصحيف وتحرير التحريف ص ٥٢٨: ويقولون: هاج الزرع: إذا غَلُظَ وخَشُنَ، لا يعرفون فيه غير ذلك، وإنما: هاج: تَصَوَّح وجفَّ، قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا﴾ [الزمر: ٢١]. وينظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/ ١٨٨-١٨٩، وإعراب القرآن للنحاس ٤/ ٨-٩، وتفسير القرطبي ١٨/ ٢٦٤.

(٣) الصحاح (هيج)، وينظر تفسير القرطبي ١٨/ ٢٦٤.

أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ
يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَـٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾ لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا
لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٤﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ
وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّـٰرُ ﴿٥﴾ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ
وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَـٰمِ ثَمَـٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۚ يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ
أُمَّهَـٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَـٰتٍ ثَلَـٰثٍ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا
هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٦﴾ إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ وَإِن
تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ ۗ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ
تَعْمَلُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٧﴾﴾.

التفسير

هذه السُّورة مَكِّيَّةٌ، وعن ابنِ عبَّاس: إلَّا ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ﴾ [الآية:٢٣] و﴿قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟﴾ [الآية:٥٣].

وعن مقاتل: إلَّا ﴿يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟﴾ [الآية:٥٣] وقوله: ﴿يَـٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَـٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ﴾ [الآية:١٠].

وعن بعضِ السَّلَف: إلَّا ﴿يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟﴾ إلى قوله: ﴿تَشْعُرُونَ﴾ ثلاث آيات [٥٣-٥٥].

وعن بعضِهم: إلَّا سَبْعَ آياتٍ؛ مِن قوله: ﴿يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟﴾ إلى آخِر السَّبْع، نزلت في وَحْشِيّ وأصحابه[١].

ومناسبتها لآخِر السورة قَبْلَها واضحة، وهو: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾﴾ وبَدَأ هنا: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَـٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾﴾.

وقال الفرَّاء والزَّجَّاج: «تنزيل» مبتدأ، و«مِن اللهِ» الخبر، أو خبرُ مبتدإٍ محذوف، أي: هذا تنزيلٌ، و«مِن الله» متعلِّق بـ «تنزيل»[٢].

---

(١) ينظر زاد المسير ٧/ ١٦٠، والنكت والعيون ٥/ ١١٣، والمحرر الوجيز ٤/ ٥١٧، والكشاف ٣/ ٣٨٥، وتفسير القرطبي ١٨/ ٢٤٥، ومعاني القرآن للزجاج ٤/ ٣٤٣.
(٢) معاني القرآن للفراء ٢/ ٤١٤، وللزجاج ٤/ ٣٤٣.

وأقول: إنَّه خبر، والمبتدأ «هو»؛ ليعودَ على قوله: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾ [ص: ٨٧] كأنَّه قيل: وهذا الذِّكْرُ ما هو؟ فقيل: هو «تنزيلُ الكتاب».

وقال الزمخشريُّ: أو غيرُ صلةٍ[1]، - يعني «مِن الله» - كقولك: هذا الكتابُ مِن فلانٍ إلى فلانٍ، وهو على هذا خبرٌ بَعْدَ خبرٍ، أو خبرُ مبتدأٍ محذوف، تقديره: هذا تنزيلُ الكتاب هذا مِن الله، أو حالٌ مِن التنزيل عَمِلَ فيها معنى الإشارة[2]. انتهى.

ولا يَجوز أَنْ يكونَ حالاً عَمِلَ فيها معنى الإشارة؛ لأنَّ معانيَ الأفعال لا تَعمل إذا كان ما هيَ فيه محذوفاً، ولذلكَ رَدُّوا على أبي العبَّاس قولَه في بيت الفَرَزْدَق:

... وإذْ ما مِثْلَهُم بَشَرُ[3]

أنَّ: مِثْلَهم، منصوبٌ بالخبرِ المحذوف، وهو مقدَّر: إذ ما في الوجود في حال مماثلتهم بَشَر.

و«الكتاب» هنا يَظهر أنَّه القرآن، وكرّر في قوله: «إنَّا أنزلنا إليكَ الكتابَ» على جهة التَّفخيم والتعظيم، وكونه في جملةٍ غيرِ السابقة ملحوظاً فيه إسناده إلى ضمير العَظَمة، وتشريف مَن أنزلَ إليه بالخطاب، وتخصيصه بالحقِّ.

وقرأ ابنُ أبي عبلة وزيد بن عليٍّ وعيسى: «تنزيلَ» بالنَّصْب[4]، أي: اقْرَأ والْزَم، وقال ابنُ عطيَّة: قال المفسِّرون في «تنزيل الكتاب»: هو القرآنُ، ويَظهر لي أنَّه اسمٌ عامٌّ لجميعِ ما تَنزَّل مِن عند الله مِن الكُتُب، فكأنَّه أخبر إخباراً مجرَّداً أنَّ

(١) قبلها في الكشاف ٣/ ٣٨٥: والجارُّ صلة التنزيل، كما تقول: نُزِّل من عند الله، أو غير صلة، . . . إلى آخر كلامه.
(٢) الكشاف ٣/ ٣٨٥.
(٣) وتمام البيت:
فأصبحوا قد أعادَ اللهُ نعمتَهم إذ هم قريش وإذ ما مثلهم بَشَرُ
وهو في ديوان الفرزدق ١/ ١٨٥، وكلام أبي العباس المبرِّد في كتابه المقتضب ٤/ ١٩١-١٩٢، وينظر ما جاء بهامشه، وينظر أيضاً كتاب سيبويه ١/ ٥٩-٦٠، والانتصار - أو نقضُ ابنِ ولَّاد على المبرِّد في ردِّه على سيبويه في الكتاب - لابن ولَّاد التميمي ص ١٦٨-١٦٩، ومغني اللبيب ص ٤٧٥، وخزانة الأدب ٤/ ١٣٣ وما بعدها.
(٤) ينظر المحرر الوجيز ٤/ ٥١٧، والقراءات الشاذة ص ١٣١.

الكُتُبَ الهادِيةَ الشارِعةَ إنَّما تَنزيلها مِن الله، وجعلَ هذا الإخبار تَقْدِمَةً وتوطئةً لقوله: «إنَّا أنزلنا إليكَ الكتابَ»، و«العزيز» في قُدرته «الحكيم» في ابتداعِه، و«الكتاب» الثاني هو القرآن لا يَحتمل غيرَ ذلك[1].

وقال الزمخشريُّ: فإن قلت: ما المراد بالكتاب؟ قلت: الظاهر على الوَجْهِ الأوَّل أنَّه القرآنُ، وعلى الثاني أنَّه السورةُ[2]. انتهى.

و«بالحقِّ» في موضع الحال، أي: ملتبساً بالحقِّ، وهو الصِّدْقُ الثابت فيما أَودعناهُ مِن إثباتِ التوحيد والنبوَّة والمَعَاد والتكاليف، فهذا كلُّه حقٌّ وصِدْقٌ يجب اعتقاده والعملُ به، أو يكون «بالحقِّ» بالدليل على أنَّه مِن عندِ الله، وهو عَجْزُ الفُصَحاءِ عن معارضته.

وقال ابنُ عطيَّة: أي: مُتَضمِّناً الحقّ فيه وفي أحكامِه وفي أَخباره، أو بمعنى: الاستحقاق وشُمُول المنفعة للعالَم في هدايتهم ودَعوتهم إلى الله[3]. انتهى ملخَّصاً.

ولمَّا امتَنَّ تعالى على رسوله بإنزال الكتاب عليه بالحقِّ، وكان من الحقِّ إخلاص العبادةِ لله، أَمَرَه تعالى بعبادته، فقال: «فاعْبُدِ اللهَ» وكأنَّ هذا الأَمْرَ ناشئٌ عن إنزال الكتاب، فالفاء فيه للرَّبْط، كما تقول: أَحْسَنَ إليكَ زيدٌ فاشْكُره.

«مُخْلِصاً» أي: مُمَحِّضاً له الدِّين مِن الشِّرْك والرِّياء وسائرِ ما يُفسِده.

وقرأ الجمهور: «الدِّيْن» بالنَّصْب، وقرأ ابنُ أبي عبلة: بالرَّفع[4]، فاعلاً بـ«مخلصاً» والرَّاجِعُ لذي الحال محذوفٌ على رأي البصريين، أي: الدِّيْنُ مِنْكَ، أو يكون «أل» عوضاً مِن الضمير، أي: دِيْنَك.

وقال الزمخشريُّ: وحَقُّ مَن رَفَعَهُ أَنْ يَقرأ «مُخْلَصاً» بفتح اللام، كقوله تعالى: ﴿وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ﴾ [النساء:١٤٦] حتى يطابِقَ قوله: «أَلَا لله الدِّيْنُ الخالص» والخالِص والمُخلَص واحدٌ إلَّا أَنْ يَصِفَ الدِّيْن بصفة صاحبِه على الإسناد

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٥١٧.
(٢) الكشاف ٣/ ٣٨٥-٣٨٦.
(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٥١٧.
(٤) ينظر الكشاف ٣/ ٣٨٦، وتفسير الرازي ٢٦/ ٢٤١.

المجازيِّ، كقولهم: شعرٌ شاعرٌ، وأمَّا مَن جَعَلَ «مُخلِصاً» حالاً مِن العابِد، و«له الدِّيْن» مبتدأ وخبراً، فقد جاءَ بإعرابٍ رَجَعَ به الكلامُ إلى قولك: «لله الدِّيْن» «أَلَا للهِ الدِّيْنُ الخالص»[١]. انتهى.

وقد قدَّمنا تخريجَه على أنَّه فاعل بـ«مخلصاً»، وقدَّرنا ما يَربط الحال بصاحبها.

وممَّن ذهب إلى أنَّ «له الدِّيْن» مُستأنَفٌ؛ مبتدأٌ وخبر، الفَرَّاءُ[٢].

«أَلَا للهِ الدِّيْنُ الخالِصُ» أي: مِن كلِّ شائبة وكَدَر، فهو الذي يَجب أَنْ تُخلص له الطاعة؛ لاطِّلاعه على الغيوب والأسرار، ولخلوص نعمته على عباده مِن غير استجرارِ منفعةٍ منهم.

قال الحسن: «الدِّيْنُ الخَالِص»: الإسلام، وقال قتادة: شهادة أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا الله[٣].

و«الذين اتخذوا» مبتدأ، والظاهر أَنَّهم المشركون، واحتمل أن يكونَ الخبرُ: قالوا، المحذوف المحكي به قولهم: «ما نَعْبُدُهم» أي: والمشركون المتَّخِذون مِن دونِ اللهِ أولياءَ، قالوا: ما نَعْبُدُ تلكَ الأولياء إلَّا ليُقَرِّبونا إلى الله زلفى.

واحتمل أن يكون الخبر «إنَّ اللهَ يَحكُم بينهم» وذلك القول المحذوف أَنْ يكون في موضع الحال، أي: اتَّخَذُوهم قائلينَ: «ما نَعْبُدهم».

وأجاز الزمخشريُّ أن يكون الخبر «إنَّ اللهَ يَحكُم»، وقالوا المحذوفة بَدَل مِن «اتَّخذوا» صلة «الذين»، فلا يكون له موضعٌ مِن الإعراب، وكأنه مِن بَدَل الاشتمال[٤].

وفي مصحف عبدِ الله: «قالوا ما نَعْبُدُهم» وبه قرأ هو وابنُ عبَّاسٍ ومجاهد وابنُ جبير[٥].

(١) الكشاف ٣/ ٣٨٦.
(٢) معاني القرآن للفراء ٢/ ٤١٤.
(٣) الكشاف ٣/ ٣٨٦، وأثر قتادة عند الطبري ٢٠/ ١٥٦.
(٤) ينظر الكشاف ٣/ ٣٨٦.
(٥) المحرر الوجيز ٤/ ٥١٨، وينظر الكشاف ٣/ ٣٨٦، وتفسير القرطبي ١٨/ ٢٤٧.

وأجاز الزمخشريُّ أن يكون «والذين اتَّخذوا» بمعنى: المُتَّخَذين، وهم: الملائكة، وعيسى، واللَّات، والعُزَّى، ونحوهم، والضمير في «اتَّخذوا» عائدٌ على المشركين، وإن لم يتقدَّم لهم ذِكْر؛ لدلالة سِيَاقِ الكلام عليهم، والعائد على الموصول محذوف، تقديره: والذين اتَّخذهم المشركونَ أولياءَ، و«أولياء» مفعولٌ ثانٍ[١].

وهذا الذي أجازه خلافُ الظاهر، وهذه المقالة شائِعَة في العرب، فقال ذلك ناسٌ منهم في الملائكة، وناسٌ في الأصنام والأوثان، قال مجاهد: وقد قالَ ذلك قومٌ مِن اليهود في عُزَير، وقومٌ مِن النصارى في المسيح[٢].

وقُرِئ: «ما نُعْبُدُهم» بضمِّ النون[٣]؛ إتباعاً لحركة الباء.

«إنَّ اللهَ يَحكُم بينهم» اقتصرَ في الرَّدِّ على مجرَّد التهديد، والظاهر أنَّ الضمير في «بينَهم» عائدٌ على المتَّخِذِين والمُتَّخَذِين، والحُكْم بينهم هو بإدخال الملائكةِ وعيسى عليه السلام الجنَّةَ، ويُدخِلهم النَّارَ مع الحِجَارة والخشب التي نَحتوها وعَبَدُوها مِن دونِ الله، يُعذِّبهم بها حيث يَجعلهم وإيَّاها حَصَبَ جهنَّم، واختلافُهم أنَّ مَن عَبَدُوه ـ كالملائكة وعيسى ـ كانوا مُتَبرِّئينَ منهم لاعنينَ لهم، مُوحِّدينَ الله.

وقيل: الضمير في «بينهم» عائدٌ على المشركين والمؤمنين؛ إذ كانوا يَلومُونهم على عبادة الأصنام فيقولونَ: ما نَعْبُدهم إلَّا ليُقرِّبونا إلى الله زلفى، والحُكْم ـ إذ ذاك ـ هو في يوم القيامة بينَ الفريقين.

«إنَّ اللهَ لا يَهدي مَن هو كاذِبٌ كفَّار»: «كاذبٌ» في دَعْوَاه أنَّ لله شريكاً «كَفَّار» لأَنْعُم اللهِ، حيث جَعَلَ مكانَ الشُّكْرِ الكُفْرَ، والمعنى: لا يَهدي مَن ختمَ عليه بالموافاة على الكُفْر، فهو عامٌّ والمعنى على الخصوص، فكم قد هُديَ مَن سَبَقَ منه الكذبُ والكفرُ، قال ابنُ عطيَّة[٤]: لا يَهدي الكاذبَ الكَفَّار في حال كَذِبه وكُفْره.

---

(١) الكشاف ٣/٣٨٦.
(٢) المحرر الوجيز ٤/٥١٨، وأثر مجاهد عند الطبري ٢٠/١٥٧.
(٣) الكشاف ٣/٣٨٦.
(٤) المحرر الوجيز ٤/٥١٨، وما قبله منه أيضاً.

وقال الزمخشريُّ: المراد بمَنْعِ الهداية مَنْعُ اللُّطْفِ؛ تسجيلاً عليهم بأَنْ لا لطفَ لهم، وأنَّهم في عِلْمِ اللهِ مِن الهالكين[١]. انتهى وهو على طريقة الاعتزال.

وقرأ أنس بنُ مالك والجحدريُّ والحسن والأعرج وابنُ يَعْمَر: «كَذَّابٌ كَفَّارٌ»[٢]، وقرأ زيد بنُ عليٍّ: «كَذُوب كَفُور»[٣].

ولمَّا كان مِن كَذِبهم دعوى بعضِهم أنَّ الملائكةَ بناتُ اللهِ وعَبَدُوها، عَقَّبه بقوله: «لو أَرادَ اللهُ أَنْ يَتَّخذَ ولداً» تَشْريفاً له وتَبَنِّياً، إذ يستحيلُ أَنْ يكون ذلك في حقِّه تعالى بالتَّوالُدِ المعروف «لاصْطَفَى» أي: اختارَ مِن مخلوقاته «ما يَشاء» وَلَداً على سبيل التَّبَنِّي، ولكنَّه تعالى لم يَشَأ ذلك؛ لقوله: ﴿وَمَا يَنۢبَغِي لِلرَّحۡمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ [مريم:٩٢] وهو عامٌّ في اتِّخاذ النَّسْلِ واتِّخاذ الاصْطِفاء، ويَدلُّ على أنَّ الاتِّخاذَ هو التَّبَنِّي والاصْطِفاءُ قوله: «ممَّا يَخْلُق» أي: مِن التي أَنْشَأها واخْتَرعها، ثم نزَّه تعالى نفسه تنزيهاً مُطلقاً، فقال: «سُبْحانَه» ثم وَصَفَ نفسَه بالوحدانيَّة وبالقهر، وهما الصفتان الدالَّتان على انفراده بالألوهيَّة والقَهْر لجميع العالَم.

وقال الزمخشريُّ: يعني: لو أَرادَ اتِّخاذَ الوَلَد لامْتَنَعَ ولم يَصحَّ؛ لكونه مُحالاً، ولم يَتَأَتَّ إلَّا أَنْ يَصْطَفِي مِن خَلْقِه بعضَه، ويَختصَّهم، ويُقرِّبهم، كما يَختصُّ الرَّجُلُ وَلَدَه ويُقرِّبه، وقد فَعَلَ ذلك بالملائكة فافْتَتَنْتُم به، وغرَّكم اختصاصَه إيَّاهم، فزعمتم أنَّهم أولادُه؛ جَهْلاً منكم به، وبحقيقته المُخالِفة لحقائقِ الأجسام والأعراض، كأنَّه قال: لو أَرادَ اتِّخاذَ الوَلَدِ، لم يَزِدْ على ما فَعَل مِن اصْطِفاءِ ما شاءَ مِن خَلْقِه وهم الملائكة، إلَّا أنَّكم لجَهْلِكم به حَسِبْتُم اصطفاءَهُم اتِّخاذَهم أولاداً، ثم تَماديتُم في جَهْلِكم وسَفَهِكم، فجعلتموهم بناتٍ، فكنتم كذَّابين كفَّارين، مُبالِغين في الافتراء على اللهِ وملائكتِه[٤]. انتهى.

والذي يدلُّ عليه تركيبُ «لو» وجوابِها أنّه كان يَترتَّب اصطفاءُ الوَلَد ممَّا يَخلُق على تقدير اتِّخاذه، لكنَّه لم يَتَّخِذْه فلا يَصطفيه.

---

(١) الكشاف ٣/ ٣٨٦.
(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٥١٨، وينظر الكشاف ٣/ ٣٨٦، والقراءات الشاذة ص ١٣١.
(٣) ينظر الكشاف ٣/ ٣٨٦.
(٤) الكشاف ٣/ ٣٨٧.

وأمَّا ما ذَكَره الزمخشريُّ مِن قوله: يعني: لو أَراد، إلى آخِره، وقولِه بَعْدُ: كأنَّه قال: لو أَرادَ اتِّخاذَ الوَلَد لم يَزِد على ما فَعَل مِن اصطفاءِ ما شاءَ مِن خَلْقِه وهم الملائكة = فليس مفهوماً مِن قوله: «لو أراد اللهُ أَنْ يتَّخذَ ولداً لاصْطَفَى ممَّا يَخْلُقُ ما شاءَ».

ولمَّا نَزَّهَ تعالى نفسَه وَوَصَفَ ذاتَه بالوحدة والقَهْر، ذَكَر ما دلَّ على ذلك مِن اختراعِ العالَم العُلْويّ والسُّفْليّ بالحقّ، وتكوير الليلِ والنَّهار، وتَسخير النَّيِّرين، وجَرْيهما على نظامٍ واحد، واتِّساق أَمْرِهما على ما أرادَ إلى أَجَلٍ مُسمًّى - وهو يومُ القيامة - حيث تُخرَّب بُنْيَةُ هذا العالَم، فيَزول جَرْيُهما، أو إلى وقتِ مَغِيبِهما كلَّ يومٍ وليلة، أو وقتِ قوانينها كلَّ شهر[١].

والتكوير: تَطْويلُ كُلٍّ منهما على الآخَر، فكأنَّ الآخَرَ صارَ عليه جُزْءاً منه، قال ابنُ عباس: يَحمِلُ اللَّيلَ على النَّهار. وقال الضَّحَّاك: يُدخِل الزيادة في أحدِهما بالنُّقصان مِن الآخَر[٢]. وقال أبو عبيدة: يُدخِلُ هذا على هذا[٣].

وقال الزمخشريُّ: وفيه أوجه: منها: أنَّ اللَّيلَ والنَّهار خِلْفَةٌ يَذهَبُ هذا ويَغْشَى مكانه هذا، وإذا غَشِيَ مكانَه، فكأنَّما أُلْبِسَهُ ولُفَّ عليه كما يُلَفُّ اللِّبَاسُ على اللَّابِس.

ومنها: أنَّ كلَّ واحدٍ منهما يُغيِّبُ الآخَرَ إذا طَرَأ عليه، فشُبِّه في تغييبه إيَّاه بشيءٍ ظاهرٍ لُفَّ عليه ما غيَّبه عن مَطامِح الأبصار.

ومنها: أنَّ هذا يَكُرُّ على هذا كُروراً متتابِعاً، فشُبِّه ذلك بتتابُعِ أكوار العِمامة بعضِها على إثْر بعض[٤]. انتهى.

---

(١) وعبارته في المحرر الوجيز ٤/ ٥١٩، والكلام منه: ويحتمل أن يُريد أوقات رجوعها إلى قوانينها كلّ شهرٍ في القمر وسنةٍ في الشمس.

(٢) النكت والعيون ٥/ ١١٥، وخبرُ ابن عباس عند الطبري ٢٠/ ١٥٩-١٦٠، وينظر إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٤، وتفسير القرطبي ١٨/ ٢٤٨.

(٣) زاد المسير ٧/ ١٦٣.

(٤) الكشاف ٣/ ٣٨٧.

«أَلَا هو العزيزُ» الذي لا يُغالَب «الغَفَّار» لمَن تَابَ، أو الحليمُ الذي لا يَعْجَل، سُمِّيَ الحِلْمُ غفراناً؛ مجازاً.

ولمَّا ذَكَر ما دلَّ على وحدانيته وقَهْرِه، ذَكَر الإنسانَ وهو الذي كُلِّف بأعباء التكاليف، فذكر أنَّه أَوْجَدَنا مِن نفسٍ واحدة وهي آدمُ عليه السلام، وذلك أنَّ حوَّاء على ما رُوي خُلِقَت مِن آدم، فقد صار خَلْقنا مِن نفسٍ واحدة بوساطة حوَّاء، وقيل: أخرج ذُرِّيَّة آدم مِن ظهره، كالذَّرِّ، ثم خَلَقَ بعد ذلك حوَّاء، فعلى هذا كان خَلْقنا مِن آدم بغيرِ واسطة، وجاءت «ثمَّ» على هذا القولِ على وَضْعها مِن المهلة في الزمان، وعلى القولِ الأوَّل يَظهر أنَّ خَلْق حوَّاء كان بعد خَلْقنا، وليس كذلك، فـ «ثمَّ» جاء لترتيب الأخبار؛ كأنَّه قيل: ثُمَّ كان مِن أَمْرِه قَبْلَ ذلك أَنْ جَعَلَ منها زوجَها، فليس الترتيبُ في زمان الجَعْل، وقيل: «ثمَّ» معطوف على الصفة التي هي «واحدة»، أي: مِن نفسٍ وحدَتْ، أي: انفردت، «ثُمَّ جَعَلَ».

قال الزمخشريُّ: فإنْ قلتَ: ما وَجْهُ قولِه تعالى: «ثُمَّ جَعَلَ منها زوجَها» وما تُعطيه مِن معنى التَّراخِي؟

قلت: هما آيتان مِن جُملة الآيات التي عَدَّدَها دَالًّا على وحدانيته وقُدرته تشعيب هذا الفائتِ للحَصْر مِن نفسِ آدم وخَلق حوَّاء مِن قُصَيْراه إلَّا أنَّ إحداهما جَعَلها اللهُ عادةً مستمرَّةً، والأُخرى لم تَجْرِ بها عادةٌ، ولم تُخْلَق أنثى غير حواء مِن قُصَيْرَى رَجُلٍ، فكانت أَدخلَ في كونها آيةً وأَجْلَبَ لعَجَب السامع، فعطفها بـ «ثُمَّ» على الآية الأُولى؛ للدَّلالة على مُباينتها فَضْلاً ومَزِيَّة، وتَرَاخيها عنها فيما يَرجع إلى زيادةِ كونها آيةً، فهو مِن التراخِي في الحالِ والمَنْزِلة لا مِن التراخِي في الوجود[1]. انتهى.

وأمَّا «ثُمَّ جَعَلَ منها زوجَها» فقد تقدَّم الكلامُ على هذا الجَعْلِ في أوَّل سورة «النساء».

ووَصْفُ الأَنْعامِ بالإنزال مجازٌ؛ إمَّا لأنَّ قضاياه تُوصَف بالنُّزول مِن السماء،

(١) المصدر السابق ٣/ ٣٨٨، والقُصَيْرَى: أسفل الأضلاع، أو آخِر ضِلَع في الجنب، وأصل العُنُق. القاموس (قصر).

حيث كتبَ في اللَّوح كلّ كائنٍ يكون، وإمَّا لعَيْشِها بالنَّبات، والنَّباتُ ناشِئٌ عن المطر، والمطر نازلٌ مِن السماء، فكأنَّه تعالى أنْزَلها، فيكون مِثْلَ قولِ الشاعر:

أَسْنِمَةُ الآبالِ في رَبابَهْ[1]

أي: في سَحَابة، وقال:

صَارَ الثَّرِيدُ في رؤوسِ العِيْدان[2]

وقيل: خَلَقها في الجنَّة، ثُمَّ أنزلها، فعلى هذا يكون إنزالُ أصولِها حقيقةً.

و«الأنعام»: الإبِلُ والبَقَر والضَّأْن والمَعْز «ثمانية أزواج» لأنَّ مِن كُلٍّ منها ذَكَر وأُنثى، والزَّوجُ ما كان معه آخَرُ مِن جنسه، فإذا انفَرَدَ فهو فَرْدٌ ووِتْر، قال تعالى: ﴿فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ﴾ [القيامة: ٣٩].

قال ابنُ زيد: «خَلْقاً مِن بَعْدِ خَلْق» آخَر، مِن ظهر آدمَ وظهور الآباء، وقال عكرمة ومجاهد والسُّدِّيُّ: رُتَباً خلقاً مِن بَعْدِ خَلْقٍ على المُضْغَة والعَلَقة وغير ذلك[3].

وأَخَذَه الزمخشريُّ، فقال: حيواناً سَوِيًّا مِن بَعْدِ عظام مكسوَّة لحماً، مِن بَعْدِ عظام عارِيَة، مِن بَعْدِ مُضَغٍ، مِن بَعْدِ عَلَقٍ، مِن بَعْدِ نُطَفٍ[4]. انتهى.

وقرأ عيسى وطلحة: «يَخْلُقكم» بإدغام القافِ في الكاف[5].

والظُّلمات الثلاث: البَطْنُ والرَّحِم والمَشِيْمَة، وقيل: الصُّلْب والرَّحِم والبَطْن.

«ذلكم» إشارةٌ إلى المتَّصف بتلك الأوصافِ السابقة؛ مِن خَلْق السماوات

(١) ينظر الكشاف ٣/ ٣٨٨، والمحرر الوجيز ٤/ ٥٢٠، والرجز سلف في تفسير سورة النحل، عند تفسير الآية (١٠).

(٢) عجز بيت، وصدره: الحمدُ لله العليّ المَنَّان، وأورده النحاس في كتابه معاني القرآن ٣/ ٤٢٦، والقرطبي في تفسيره ١٦/ ٨٧ ولم ينسباه، قال النحاس: وإنما يعني: السُّنْبُل، فسمَّاه: ثريداً، لأنَّ الثريد منه.

(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٥٢٠، وتنظر الآثار عند الطبريّ ٢٠/ ١٦٣-١٦٤.

(٤) الكشاف ٣/ ٣٨٨.

(٥) المحرر الوجيز ٤/ ٥٢٠، وينظر النشر ١/ ٢٨٦ وما بعدها.

والأرض وما بَعْدَ ذلك مِن الأفعال، «فأَنَّى تُصْرَفون» أي: كيف تَعدلون عن عبادته إلى عبادةِ غيرِه.

«إنْ تكفروا» قال ابنُ عباس: خطابٌ للكفَّار الذينَ لم يُرِدِ اللهُ أَنْ يُطهِّر قلوبَهم، وعِبَادُه هم المؤمنون[١]، ويُؤيِّده قوله قَبْلَه: «فأَنَّى تُصرَفون»، وهذا للكفَّار فجاء «إنْ تكفروا» خطاباً لهم «فإنَّ اللهَ غَنِيٌّ عنكم» وعن عبادتِكم، إذْ لا يَرجع إليه تعالى منفعةٌ بكم ولا بعبادتِكم؛ إذْ هو الغَنِيُّ المُطلَق.

قال ابنُ عطيَّة: ويَحتمل أنْ يكون مخاطبةً لجميع الناس؛ لأنَّه تعالى غَنِيٌّ عن جميعِهم، وهم فقراءُ إليه[٢]. انتهى.

ولفظ: عباده، عامٌّ، فقيل: المرادُ الخصوصُ؛ وهم الملائكةُ ومُؤْمِنو الإنسِ والجِنِّ، والرِّضا بمعنى الإرادة، فعلى هذا هي صفةُ ذاتٍ، وقيل: المرادُ العمومُ، كما دلَّ عليه اللفظُ، والرِّضا مغايرٌ للإرادة، عبَّر به عن الشُّكر والإثابة، أي: لا يَشْكُره لهم دِيْناً، ولا يُثيبهم به خيراً، فالرضا على هذا صفةُ فِعْلٍ بمعنى القَبول والإثابة.

قال ابنُ عطيَّة: وتَأمَّل الإرادة، فإنَّ حقيقتها إنَّما هي فيما لم يَقَع بَعْدُ، والرضا حقيقته إنَّما هي فيما قد وَقَعَ، واعْتَبِر هذا في آياتِ القرآنِ تَجِدهُ، وإن كانت العربُ قد تستعمل في أشعارها ـ على جهة التجوُّز ـ هذا بَدَل هذا[٣].

وقال الزمخشريُّ: ولقد تَمحَّل بعضُ الغُواة ليُثبِت لله ما نَفَاهُ عن ذاته مِن الرضا لعبادِه الكفرَ، فقال: هذا مِن العامِّ الذي أُريدَ به الخَاصُّ، وما أَرادَ إلَّا عبادَه الذين عَنَاهم في قوله: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾ [الإسراء: ٦٥] يريد: المعصومين؛ كقوله: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ﴾ [الإنسان: ٦] تَعالى اللهُ عمَّا يَقول الظالمونَ[٤]. انتهى.

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٥٢٠، وخبرُ ابنِ عباس عند الطبريّ ٢٠/ ١٦٨.
(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٥٢١.
(٣) المصدر السابق.
(٤) الكشاف ٣/ ٣٨٩.

فسمَّى عبدَ اللهِ بنَ عبَّاس ـ تُرْجُمانَ القرآنِ ـ وأعلامَ أهلِ السُّنَّة بعضَ الغُواةِ، وأطلقَ عليهم اسم الظالمين، وذلك مِن سَفَهه وجُرْأته، كما قلت في قصيدتي التي ذكرتُ فيها ما يُنقَدُ عليه:

ويَشْتُم أعلامَ الأئمَّة ضِلَّةً ولا سيَّما إنْ أولجوهُ المَضايقا[1]

«وإنْ تَشْكُروا يَرْضَهُ لكم» قال ابنُ عبَّاس: يُضاعِف لكم، وكأنَّه يُريد ثوابَ الشُّكْر، وقيل: يَقْبَله منكم.

قال صاحب «التحرير»: قُوَّة الكلام تدلُّ على أنَّ معنى «تشكروا»: تُؤْمِنوا حتى يصيرَ بإزاء الكفر، واللهُ تعالى قد سَمَّى الأعمالَ الصالحةَ والطاعاتِ شُكْراً في قوله: ﴿ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا﴾ [سبأ:١٣]. انتهى. وتقدَّم الكلامُ على هذه الآية في «سبأ».

وقرأ النَّحْوِيَّان وابنُ كثير: «يرضه» بوَصْلِ ضمَّةِ الهاء بواوٍ، وابنُ عامر وحفص: بضمَّة فقط، وأبو بكر: بسُكُون الهاء. قال أبو حاتم: وهو غَلَطٌ لا يجوز[2]. انتهى. وليسَ بغَلَطٍ، بل ذلك لغةٌ لبني كِلَاب وبني عُقَيْل.

«ولا تَزِرُ» إلى «بذات الصدور» تقدَّم الكلام عليه.

﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَـٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓا۟
إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلنَّارِ
﴿٨﴾ أَمَّنْ هُوَ قَـٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى
ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿٩﴾ قُلْ يَـٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ
لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَـٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّـٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ
﴿١٠﴾ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ إِنِّىٓ
أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾ قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى ﴿١٤﴾ فَٱعْبُدُوا۟ مَا شِئْتُم مِّن
دُونِهِۦ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْخَـٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٥﴾

(١) سلف في تفسير سورة النمل، عند تفسير الآية (٤٩).

(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٥٢١، وتنظر القراءات في السبعة ص ٥٦٠، والتيسير ص ١٨٩، والنشر ١/ ٣٠٧-٣٠٨.

لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴿١٦﴾﴾.

الظاهر أنَّ الإنسانَ هنا جِنْسُ الكافر، وقيل: مُعَيَّن، كعُتْبَة بنِ ربيعة، ويَدخُل في الضُّرِّ جميعُ المَكارِهِ في جسمٍ أو أهلٍ أو مالٍ.

«دعا ربَّه» اسْتَجارَ به وناداهُ، ولم يُؤمِّل في كَشْفِ الضُّرِّ سواهُ، «مُنِيْباً إليه» أي: راجعاً إليه وَحْدَهُ في إزالة ذلك.

«ثُمَّ إذا خَوَّلَهُ» أَنالَهُ وأَعطاهُ بَعْدَ كشفِ ذلك الضُّرِّ عنه، وحقيقةُ خَوَّل: أَنْ يكون مِن قولهم: هو خائِلُ مالٍ: إذا كان متعهِّداً له حسنَ القيام عليه، أو مِن: خَالَ يَخُول: إذا اخْتَالَ وافْتَخَرَ، وتقول العرب: إنَّ الغَنِيَّ طويلُ الذَّيْلِ مَيَّاسُ[(١)].

«نَسِيَ ما كان يَدْعُو» أي: تَرَكَ، والظاهر أنَّ «ما» بمعنى «الذي» أي: نَسِيَ الضُّرَّ الذي كان يَدعُو اللهَ إلى كَشْفِه، وقيل: «ما» بمعنى «مَن»، أي: نَسيَ ربَّه الذي كان يتضرَّع إليه ويَبتهل في كَشْفِ ضُرِّه، وقيل: «ما» مصدريَّة، أي: نَسِيَ كونَه يدعو، وقيل: تَمَّ الكلامُ عند قوله: «نَسِيَ» أي: نَسِيَ ما كان فيه مِن الضُّرِّ، و«ما» نافية، نَفَى أن يكون دعاءُ هذا الكافرِ خالصاً للهِ مَقصُوداً «مِن قَبْل» أي: مِن قَبْلِ الضَّرَر، وعلى الأقوال السابقة «مِن قَبْل» أي: مِن قَبْلِ تخويلِ النِّعمة، وهو زمانُ الضَّرَر.

«وجَعَلَ للهِ أنداداً» أي: أمثالاً يُضَادُّ بعضها بعضاً ويُعارِض، قال قتادة: أي: مِن الرِّجال يُطيعونهم في المعصية، وقال غيره: أوثاناً[(٢)]، وهذا مِن سُخْف عقولهم؛ حين مَسَّ الضرر دَعوا اللهَ، ولم يَلتَجِئوا في كَشْفه إلَّا إليه، وحينَ كَشَفَ ذلك وخوَّل النِّعْمَة، أشركوا به، فاللامُ لامُ العِلَّة، وقيل: لامُ العاقبة.

---

(١) الكشاف ٣/ ٣٨٩، والمَثَل في التمثيل والمحاضرة ص ٣٩٢، وجمهرة الأمثال ١/ ١٩٨، والمستقصى ١/ ٤٠٩، ومعناه: أي: لا يستطيع صاحب المال أن يكتمه. والمَثَل ورد عَجُزاً في بيتٍ قاله أحدُهم:

تأبى الدراهمُ إلَّا كشفَ أرؤسها ... إنَّ الغنيَّ طويلُ الذَّيلِ مَيَّاسُ

وهو عند الأصفهاني في محاضرات الأدباء ٢/ ٢٩٢، ولم ينسبه.

(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٥٢٢، وعُزِي القولُ الأوَّل في مطبوعه لمجاهد، وأورده الطبريُّ ٢٠/ ١٧٣ وأخرجه عن السُّدِّيّ، وكذا ورد عند القرطبي ١٨/ ٢٥٣.

وقرأ الجمهور: «لِيُضِلَّ» بضمِّ الياء، أي: ما اكْتَفَى بضلالِ نفسِه حتى جَعَلَ غيرَه يَضِلّ، وقرأ ابنُ كثير وأبو عَمرو وعيسى: بفتحها[١].

ثم أتى بصيغة الأَمْرِ، فقال: «تَمتَّع بكُفْرِكَ» أي: تلذَّذ به واصْنَع ما شئتَ «قليلاً» أي: عُمُراً قليلاً، والخطاب للكافر جاعلِ الأنداد لله، «إنَّك مِن أصحاب النار» أي: مِن سُكَّانها المُخلَّدِين فيها. وقال الزمخشريُّ: وقوله: «تَمتَّع بكُفْركَ» مِن باب الخذلانِ والتَّخْلِية، كأنَّه قيل له: إذْ قد أبيتَ قَبولَ ما أُمرتَ به من الإيمان والطاعة، فمِن حقِّك أنْ لا تُؤْمَر به بَعْدَ ذلك، وتُؤْمَر بتَرْكِه، مبالغةً في خذلانه وتخليتِه وشأنه؛ لأنَّه لا مبالغة في الخذلانِ أشدّ مِن أنْ يُبعَث على عكسِ ما أُمِرَ به، ونظيره في المعنى: ﴿مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ﴾[٢] [آل عمران: ١٩٧]. انتهى.

ولمَّا شَرَح تعالى شيئاً مِن أحوالِ الضالِّين المشركين، أَردفَهُ بشَرْح أحوالِ المهتدين الموحِّدين، فقال: «أَمَّن هو قَانِتٌ»، وقرأ ابنُ كثير ونافع وحمزة والأعمش وعيسى وشيبة والحسن في رواية «أَمَن» بتخفيف الميم[٣].

والظاهر أنَّ الهمزةَ لاستفهام التقرير، ومُقابِلُه محذوف؛ لفَهْم المعنى، والتقدير: أهذا القانت خيرٌ أم الكافر المخاطب بقوله: «قُلْ تَمتَّع بكفرك»؟ ويدلُّ عليه قوله: «قل هل يستوي الذين يَعلمون والذينَ لا يعلمون»[الزمر: ٩]، ومِن حَذْفِ المُقابِل قولُ الشاعر:

دعاني إليها القَلْبُ إنِّي لأمْرِها سميعٌ فَمَا أدْرِي أَرُشْدٌ طِلابُها[٤]

تقديره: أم غَيٌّ.

---

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٥٢٢، وزاد: شبلاً، وقراءةُ ابنِ كثير وأبي عمرو في السبعة ص ٢٦٧، والتيسير ص ١٣٤، والنشر ٢/ ٢٩٩.

(٢) الكشاف ٣/ ٣٨٩-٣٩٠.

(٣) ينظر تفسير الثعلبي ٥/ ٢٩٢، والمحرر الوجيز ٤/ ٥٢٢، وزاد المسير ٧/ ١٩٥-١٩٦، وتفسير القرطبي ١٨/ ٢٥٣، وقراءةُ ابن كثير ونافع وحمزة في السبعة ص ٥٦١، والتيسير ص١٨٩، والنشر ٢/ ٣٦٢.

(٤) سلف في تفسير سورة البقرة، عند تفسير الآية (١٣٣).

وقال الفَرَّاءُ: الهمزةُ للنداء، كأنَّه قيل: يا مَن هو قانتٌ[١]، ويكون قوله: «قُلْ» خطاباً له، وهذا القولُ أجنبيٌّ ممَّا قَبْلَه وما بَعْدَه، وضَعَّفَ هذا القولَ أبو عليٍّ الفارسيُّ[٢]، ولا التفاتَ لتضعيفِ الأخفش وأبي حاتم هذه القراءةَ[٣].

وقرأ باقي السبعة والحسن وقتادة والأعرج وأبو جعفر: «أَمَّن» بتشديد الميم[٤]، وهي «أم» أُدغمت ميمُها في ميم «مَن»، فاحتملت «أم» أنْ تكونَ متَّصلةً ومعادِلُها محذوفٌ قَبْلَها، تقديره: أَهَذا الكافرُ خيرٌ أَمْ مَن هو قانتٌ؟ قال معناه الأخفش، ويَحتاج مِثْلُ هذا التقدير إلى سماعٍ مِن العرب، وهو أَنْ يُحذَف المعادِل الأوَّل.

واحتملت «أم» أَنْ تكون منقطعةً، تتقدَّر بـ «بل» والهمزة، والتقدير: بل أَمْ مَن هو قانتٌ صفتُه كذا، كَمَن ليسَ كذلك؟.

وقال النَّحَّاس: «أم» بمعنى «بل»، و«مَن» بمعنى «الذي»، والتقدير: بل الذي هو قانتٌ أَفضلُ ممَّن ذُكِرَ قَبْلَه[٥]. انتهى.

ولا فَضْل لمَن قَبْلَه حتى يجعلَ هذا أفضل، بل يُقدَّر الخبر: مِن أصحاب الجنَّة، يدلُّ عليه مقابِلُه: «إِنَّكَ مِن أصحاب النَّار».

والقانِت: المُطِيع، قاله ابنُ عباس[٦]، وتقدَّم الكلامُ في القنوت في «البقرة»[٧].

وقرأ الجمهور: «ساجداً وقائماً» بالنَّصْب على الحال، والضَّحَّاك: برَفْعِهما[٨]؛ إمَّا على النعت لـ «قانت»، وإمَّا على أنَّه خبرٌ بعد خبرٍ، والواو للجَمْع بين الصفتين.

(١) معاني القرآن للفراء ٢/ ٤١٦، وينظر زاد المسير ٧/ ١٦٦، وتفسير القرطبي ١٨/ ٢٥٣.
(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٥٢٣، وينظر كلام أبي عليّ الفارسي في كتابه الحجَّة ٦/ ٩٢-٩٣.
(٣) ينظر إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٥.
(٤) تنظر مصادر القراءة الآنفة الذكر.
(٥) إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٥-٦، وينظر تفسير القرطبي ١٨/ ٢٥٤.
(٦) المحرر الوجيز ٤/ ٥٢٣، وأخرجه عنه الطبريُّ ٢٠/ ١٧٦.
(٧) عند تفسير الآية (١١٦) منها.
(٨) المحرر الوجيز ٤/ ٥٢٣، وينظر الكشاف ٣/ ٣٩٠، ومعاني القرآن للفراء ٢/ ٤١٧.

«يَحْذَرُ الآخِرَة» أي: عذابَ الآخِرَة «ويَرجُو رحمةَ ربِّه» أي: حُصولها، وقيل: نعيم الجنَّة.

وهذا المُتَّصِف بالقُنوت إلى سائر الأوصاف، قال مقاتل: عمَّار وصُهَيْب وابنُ مسعود وأبو ذَرٍّ، وقال ابنُ عمر: هو عثمان، وقال ابنُ عبَّاس في رواية الضَّحَّاك: هو أبو بكر وعُمر، وقال يحيى بنُ سلَّام: رسولُ اللهِ ﷺ[١].

والظاهر أنَّه مَن اتَّصَفَ بهذه الأوصاف مِن غير تعيين.

وفي الآية دليلٌ على فَضْلِ قيامِ اللَّيل، وأنَّه أَرجحُ مِن قيامِ النَّهار[٢].

ولـمَّا ذَكَر العملَ ذَكَر العِلْم، فقال: «قُل هَلْ يَستَوِي الذينَ يعلمونَ والذينَ لا يَعلمونَ» فدلَّ على أنَّ كمالَ الإنسان محصورٌ في هذَيْن المقصودَيْن، فكما لا يَستوي هذان، كذلك لا يَستوي المطيعُ والعاصي.

والمراد بالعِلْم هنا ما أَدَّى إلى معرفةِ الله ونجاةِ العَبْد مِن سَخَطه.

وقرئ: «يَذَّكَّر» بإدغام تاء «يَتَذَكَّر» في الذَّال[٣].

«قل يا عبادِ الذين آمَنُوا اتَّقوا رَبَّكُم» رُوِيَ أنَّها نزلت في جعفر بنِ أبي طالب وأصحابِه حينَ عَزَموا على الهجرة إلى أرضِ الحَبَشة، وَعَدَهم تعالى فقال: «لِلَّذِين أَحْسَنُوا في هذه الدنيا حَسَنةٌ»، والظاهر تعلُّق «في هذه» بـ«أحسنوا» وأنَّ المحسنين في الدنيا لهم في الآخِرَة حَسَنةٌ، أي: حَسَنةٌ عظيمةٌ وهي الجنَّة، قاله مقاتل[٤]. والصفةُ محذوفة يدلُّ عليها المعنى؛ لأنَّ مَن أَحْسَنَ في الدنيا لا يُوعَد أَنْ يكونَ له في الآخِرَة مُطْلَق حَسَنة، وقال السُّدِّيُّ: «في هذه» مِن تمام «حَسَنة»، أي: ولو تأخَّر لكان صفةً، أي: الذين يُحسنون لهم حَسَنةٌ كائنةٌ في الدُّنيا، فلمَّا تقدَّم انتصبَ على

---

(١) ينظر النكت والعيون ٥/ ١١٧، وأسباب النزول للواحدي ص ٣٨٨، وتفسير البغوي ٤/ ٧٣، وزاد المسير ٧/ ١٦٦-١٦٧، وتفسير القرطبي ١٨/ ٢٥٥.
(٢) تفسير الرازي ٢٦/ ٢٥٠.
(٣) الكشاف ٣/ ٣٩٠.
(٤) المحرر الوجيز ٤/ ٥٢٣، وينظر تفسير الثعلبي ٥/ ٢٩٤، وتفسير القرطبي ١٨/ ٢٥٦.

الحال، والحسنة التي لهم في الدنيا هي العاقِبَة، والظُّهور، وولايةُ اللهِ تعالى[١].

ثم حَضَّ على الهجرة، فقال: «وأرضُ اللهِ واسعةٌ»، كقوله: ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَاۚ﴾ [النساء:٩٧] أي: لا عُذْرَ للمفرِّطين البتةَ حتى إنِ اعتلُّوا بأوطانهم، وأنَّهم لا يتمكَّنون فيها مِن أعمالِ الطاعات، قيل لهم: إنَّ بلادَ اللهِ كثيرةٌ واسعةٌ، فتَحوَّلُوا إلى الأماكن التي تُمكنهم فيها الطاعات.

وقال عطاء: «وأرضُ اللهِ» المدينةُ للهجرة[٢]، قيل: فعلى هذا يكون «أَحْسَنوا»: هاجروا، و«حَسَنة»: رَاحَةٌ مِن الأعداء، وقال قوم: «أرضُ الله» هنا الجنَّة، قال ابنُ عطيَّة[٣]: وهذا القولُ تَحكُّم لا دليلَ عليه. انتهى.

وقال أبو مسلم: لا يَمتنع ذلك؛ لأنَّه تعالى أَمَرَ المؤمنين بالتَّقوى، ثم بيَّن أنَّه مِن اتَّقى له في الآخِرَة الحَسَنة، وهي الخلودُ في الجنَّة، ثم بيَّن أنَّ أرضَ اللهِ واسعةٌ لقوله: ﴿وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُۖ﴾ [الزمر:٧٤]، وقوله: ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾[٤] [آل عمران:١٣٣].

ولمَّا كانت رتبةُ الإحسانِ مُنتهى الرُّتَب، كما جاء: «ما الإحسان؟ قال: أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كأنَّكَ تَرَاهُ»[٥] وكان الصبرُ على ذلك مِن أشقِّ الأشياءِ، وخصوصاً مَن فارَقَ وطنَه وعشيرتَه وصَبَرَ على بلاءِ الغُرْبة = ذَكَر أنَّ الصابرينَ يُوفَّون أجورَهم بغيرِ

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٥٢٣، وورد في مطبوعه ـ كما هنا ـ: العاقبة، وكذا وردت في (د٣) و(ع) و(يه)، وورد في بقية النسخ الخطية للبحر، وتفسير الثعلبي ٥/ ٢٩٤، والنكت والعيون ٥/ ١١٨، وتفسير القرطبي ١٨/ ٢٥٦: العافية؛ حيث أورد معها الثعلبيُّ والماورديُّ لفظة: الصحة، ونسباها للسدي، وأخرجه عنه الطبريُّ ٢٠/ ١٧٩، وزاد معها أيضاً القرطبيُّ: الظَّفر والغنيمة، وينظر الكشاف ٣/ ٣٩١، وتفسير الرازي ٢٦/ ٢٥٢.

(٢) النكت والعيون ٥/ ١١٨.

(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٥٢٣، وما قبله منه أيضاً، وينظر تفسير القرطبي ١٨/ ٢٥٧، وأوردَ القولَ أيضاً الثعلبيُّ ٥/ ٢٩٤ وعزاه لمقاتل.

(٤) تفسير الرازي ٢٦/ ٢٥٣.

(٥) جزء من حديث سؤال جبريلَ عليه السلام النبيَّ ﷺ عن أركان الإسلام والإيمان والإحسان والساعة، وهو عند مسلم (٨)، وأحمد (٣٦٧) من حديث عمر ﷺ، وعند البخاري (٥٠)، وأحمد (٩٥٠١) من حديث أبي هريرة ﷺ.

حساب، أي: لا يُحاسَبون في الآخِرَة كما يُحاسَبُ غيرُهم، أو يُوفَّون ما لا يَحصُره حسابٌ؛ مِن الكَثْرة.

«قُلْ إنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللهَ مُخْلِصاً له الدِّيْن» أَمَرَهُ تعالى أَنْ يَصْدَعَ للكفار بما أَمَرَهُ به مِن عبادةِ الله، مُخَلِّصها مِن الشَّوائِب، «وأُمِرْتُ» أي: أُمرت بما أُمرت لأكونَ أوَّل مَن أسلم، أي: انقادَ للهِ تعالى، ويعني: مِن أهلِ عَصْرِه، أو مِن قوله؛ لأنَّه أوَّلُ مَن خَالَفَ عبادةَ الأصنام، أو أوَّل مَن دَعوتهم إلى الإسلام إسلاماً، أو أوَّل مَن دعا نفسَه إلى ما دَعا إليه غيرَه؛ لأكون مُقْتَدًى بي قولاً وفِعْلاً، لا كالملوك الذين يَأْمُرونَ بما لا يفعلونَ، أو أَنْ أَفْعَلَ ما أَستحقُّ به الأوَّليَّةَ مِن أعمالِ السابقين، دلالةٌ على السبب بالمسبّب.

وقال الزمخشريُّ[1]: فإن قلت: كيف عطفَ «أُمِرْت» على «أُمِرْت» وهما واحد؟ قلت: ليسا بواحدٍ، لاختلافِ جهتَيْهما، وذلك أنَّ الأَمْرَ بالإخلاص وتكليفه شَيءٌ، والأَمْر به لتُحْرِزَ به قَصَبَ السَّبق في الدِّين شَيءٌ، وإذا اختلف وَجْها الشيء وصِفتاهُ، يُنزَّل بذلك منزلةَ شيئَيْن مختلفَيْن، ولَكَ أَنْ تجعلَ اللامَ مزيدةً، مِثْلها في: أَردت لأَنْ أَفْعَلَ، ولا تُزاد إلَّا مع «أَنْ» خاصَّة دونَ الاسمِ الصريح، كأنَّها زِيدت عِوَضاً مِن ترك الأصل إلى ما يَقوم مقامه، كما عوّض السين في اسطاع، عِوَضاً مِن تَرْكِ الأصل الذي هو: أطوع، والدليلُ على هذا الوجه مَجيئه بغيرِ لازم في قوله: ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٧٢]، ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ١٠٤]، ﴿أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ﴾[2] [الأنعام: ١٤]. انتهى.

ويحتمل في «أَنْ أكونَ» ـ في ثلاثة المواضع ـ أصلُه: لأَنْ أكونَ، فيكون قد حُذفت اللَّامُ، والمأمور به محذوفٌ، وهو المصرَّح به هنا، أي: أُمِرْتُ أَنْ أَعبدَ اللهَ.

«قل إنِّي أخافُ إنْ عَصَيْتُ ربِّي عذابَ يومٍ عظيم» تقدَّم الكلامُ على هذه الجملة معمول القول في سورة «يونس»[3].

(١) الكشاف ٣/ ٣٩٢، وما قبله منه أيضاً.
(٢) المصدر السابق.
(٣) عند تفسير الآية (١٥) منها.

ولمَّا أمره أوّلاً أَنْ يُخبِرَ بأنّه أُمِرَ بعبادةِ الله، أُمِرَ ثانياً أَنْ يُخبِرَ بأنّه يَعبُدُ اللهَ وَحْدَهُ، وتقديمُ الجلالة دَالٌّ على الاهتمام بمَن يُعبَد، وعند الزمخشريِّ يدلُّ على الاختصاص، قال: ولدلالته على ذلك قدّم المعبود على فِعْلِ العبادة، وأخَّره في الأوّل، فالكلام أوَّلاً واقعٌ في الفِعْل نفسِه وإيجادِه، وثانياً فيمَن يُفْعَلُ الفِعْلُ لأَجْلِه، ولذلك رتّب عليه قوله: «فاعبدوا ما شئتم مِن دُونه» والمراد بهذا الأَمْر الوارد على وَجْهِ التخيير المبالغةُ في الخذلان والتَّخْلية[1]. انتهى.

وقال غيرُه: «فاعْبُدُوا ما شِئْتُم» صِيْغَةُ أَمرٍ على جهة التهديد، كقوله: «قُل تَمتَّع بكُفْرِكَ»[2].

«قُل إنَّ الخاسرينَ» أي: حقيقةُ الخُسْران «الذين خَسِروا» أي: هُمُ الذين خَسِروا «أنفسَهم» حيث صاروا مِن أهلِ النَّار، «وأَهْلِيهم» الذين كانوا معهم في الدُّنيا، حيث كانوا معهم في النار، فلم يَنتفعوا منهم بشيء، وإن كان أَهْلوهم قد آمَنُوا، فخسرانُهم إيَّاهم؛ كونهم لا يَجتمعون بهم ولا يَرجعون إليهم أبداً.

وقال قتادة: كأنَّ اللهَ قد أَعدَّ لهم أهلاً في الجنَّة فخَسِرُوهم، وقال معناه ميمون بنُ مِهْران، وقال الحسن: هُنَّ الحُور العِيْن[3].

ثمَّ ذَكَر ذلك الخسرانَ وبَالَغَ فيه؛ بالتَّنبيه عليه أوَّلاً، والإشارةِ إليه وتأكيدِه بالفَصْل، وتعريفه بـ «أل»، ووَصْفه بأنَّه «المُبين» أي: الواضح لمَن تأمَّله أدنى تأمُّل.

ولمَّا ذَكَر خسرانَهم أنفسَهم وأهليهم، ذَكَر حالَهم في جهنَّم، وأنَّه «مِن فَوقهم ظُلَلٌ ومِن تَحتهم ظُلَلٌ» فيظهر أنَّ النَّارَ تَغْشَاهم مِن فوقهم ومِن تحتهم، وسَمَّى ما تحتهم ظُلَلاً؛ لمقابلة ما فوقهم، كما قال: ﴿يَوْمَ يَغْشَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ [العنكبوت: ٥٥] وقال: ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾ [الأعراف: ٤١].

---

(١) الكشاف ٣/ ٣٩٢.
(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٥٢٤.
(٣) ينظر النكت والعيون ٥/ ١١٩، والمحرر الوجيز ٤/ ٥٢٤-٥٢٥، والكشاف ٣/ ٣٩٢، وزاد المسير ٧/ ١٦٩، وتفسير القرطبي ١٨/ ٢٦٠، وإعراب القرآن للنحاس ٤/ ٨، وفيه قول ميمون بن مهران عن ابن عباس، ونقله عنه القرطبيُّ.

وقيل: هي ظُلَل للذين هم تحتهم، إذِ النّار طباق، وقيل: إنَّما تحتهم يَلتهب ويَتصاعَد منه شيءٌ حتى يكون ظُلَّةً، فسُمِّي ظُلَّة باعتبارِ ما آلَ إليه أخيراً.

«ذلك» أي: ذلك العذاب «يُخوِّف اللهُ به عبادَه» ليَعلموا ما يُخلِّصهم منه، ثم ناداهم وأمَرَهم، فقال: «يا عبادِ فاتقون» أي: اتَّقوا عذابي.

﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّـٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿١٨﴾ أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِى ٱلنَّارِ ﴿١٩﴾ لَـٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٢٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَـٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَـٰمًا إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿٢١﴾ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَـٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ فَوَيْلٌ لِّلْقَـٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ أُو۟لَـٰٓئِكَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾﴾.

قال ابنُ زيد: نزلت «والذين اجْتَنَبوا الطاغوتَ» في زيد بنِ عَمرو بنِ نُفَيْل وسلمان وأبي ذرٍّ(١).

وقال ابنُ إسحاق: الإشارة بها إلى عبد الرحمن بنِ عوف وسعد بنِ أبي وقَّاص وسعيد بنِ زيد والزبير؛ وذلك أنَّه لمَّا أسلم أبو بكر سَمعوا ذلك فجاؤوه، وقالوا: أَسلمتَ؟ قال: نعم، وذَكَّرهم بالله، فآمَنُوا بأجمعهم، فنزلت فيهم، وهي مُحكَمة في الناس إلى يومِ القيامة(٢).

و«الطاغوت» تقدَّم الكلام عليها في «البقرة»(٣)، وقرأ الحسن: «الطواغيت» جَمْعاً(٤)، «أَنْ يعبدوها» أي: عبادتها، وهو بَدَلُ اشتمالٍ.

---

(١) ينظر النكت والعيون ٥/ ١٢١، وتفسير البغوي ٤/ ٧٥، والمحرر الوجيز ٤/ ٥٢٥، وزاد المسير ٧/ ١٧٠، وتفسير القرطبي ١٨/ ٢٦١، وأسباب النزول للواحدي ص ٣٨٨، وأخرجه الطبريُّ ٢٠/ ١٨٥، والثعلبيُّ ٥/ ٢٩٦، من طريق ابنِ زيد، عن أبيه زيد بن أسلم.

(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٥٢٥، وينظر تفسير القرطبي ١٨/ ٢٦١، وأسباب النزول للواحدي ص٣٨٨.

(٣) عند تفسير الآية (٢٥٧) منها.

(٤) الكشاف ٣/ ٣٩٣، وما بعده منه أيضاً، والقراءة في المحتسب ٢/ ٢٣٦.

«لهم البُشْرى» أي: مِن اللهِ تعالى بالثواب، «فبَشِّرْ عِبَادِ» هم المجتنبونَ الطاغوتَ المُنيبونَ إلى الله، وضعَ الظاهر موضعَ المُضمَر؛ ليدلَّ على أنَّهم هم، وليترتَّب على الظاهر الوصفُ، وهو «الذين يستمعونَ القولَ» وهو عامٌّ في جميع الأقوالِ «فيتَّبعون أَحْسَنَهُ» ثناءٌ عليهم بنفوذِ بَصَائرهم وتمييزهم الأحسن، فإذا سمعوا قولاً تبصَّروه.

قيل: وأحسنُ القولِ القرآنُ وما يَرجع إليه، وقيل: القولُ القرآنُ، وأَحْسَنُه ما فيه مِن صَفْحٍ وعَفْوٍ واحتمالٍ ونحوِ ذلك، وقال قتادة: أَحْسَنُ القولِ: طاعةُ اللهِ[(١)]، وعن ابنِ عبَّاس: هو الرَّجل يَجلِسُ مع القوم فيَسْمَع الحديثَ فيه محاسِن ومساوٍ، فيحدِّث بأحسنِ ما سمع ويَكفّ عمّا سِواه[(٢)].

و«الذين» وَصْفٌ لـ «عِباد»، وقيل: الوقف على «عباد»، و«الذين» مبتدأ، خبره «أولئك» وما بَعْدَهُ[(٣)].

«أَفَمن حقَّ عليه كلمةُ العذاب» قيل: نزلت في أبي جهل[(٤)]، أي: نَفَذَ عليه الوعيدُ بالعذاب.

والظاهر أنَّها جملةٌ مستقلّة، و«مَن» موصولة مبتدأ، والخبرُ محذوفٌ، فقيل: تقديره: تتأسَّف عليه، وقيل: تتخلَّص منه، وقدَّره الزمخشريُّ: فأنتَ تُخلِّصه، قال: حُذفَ؛ لدلالة «أَفَأَنْتَ تُنقِذُ» عليه، وقَدّرَ الزمخشريُّ بين الهمزةِ والفاء جملةً؛ حتى تَقَرَّ الهمزةُ في مكانها، والفاءُ في مكانها، فقال: التقدير: أَأَنْتَ مالكُ أَمْرِهم، فمَن حَقَّ عليه كلمةُ العذاب[(٥)]. وهو قولٌ انفرَد به فيما عَلِمْنَاه، والذي تقوله النُّحَاة أنَّ

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٥٢٥.
(٢) الكشاف ٣/ ٣٩٣، وينظر النكت والعيون ٥/ ١٢١، وتفسير القرطبي ١٨/ ٢٦١.
(٣) الكشاف ٣/ ٣٩٣، وينظر المكتفى للداني ص ٤٨٨، وإيضاح الوقف والابتداء للأنباري ٢/ ٨٦٨.
(٤) كذا ذَكَر المصنِّف، ونقله عنه الآلوسي في روح المعاني ٢٣/ ٤٠٤، والذي في زاد المسير ٧/ ١٧٢ عن عطاء أنه قال: يريد بهذه الآية أبا لهب وولده ومَن تخلَّف من عشيرة النبي ﷺ عن الإيمان. وكذا ذَكَر البغوي ٤/ ٧٥ وعزاه لابن عباس، وينظر أيضاً تفسير القرطبي ١٨/ ٢٦٢.
(٥) بعدها في الكشاف ٣/ ٣٩٣: فأنت تُنقِذه؟

الفاءَ للعطف وموضعها التقديم على الهمزة، لكن الهمزة لمَّا كان لها صدر الكلام، قدّمت، فالأصلُ عندهم: فَأَمَنَ حقَّ عليه، وعلى القول أنَّها جملةٌ مُستَقِلة يكون قوله: «أَفَأَنْتَ تُنقِذُ مَن في النار» استفهامَ توقيفٍ، وقدّم فيه الضمير؛ إشعاراً بأنَّكَ لست تَقْدِر أنْ تُنقِذَه مِن النار، بل لا يَقْدِر على ذلك أَحَدٌ إلَّا الله.

وذهبت فرقةٌ منهم الحَوفيُّ والزمخشريُّ[١] إلى أنَّ «مَن» شرطيَّة، وجوابُ الشرط: «أفأنتَ»، فالفاء فاءُ الجوابِ دَخلت على جملة الجزاء، وأُعيدت الهمزةُ؛ لتوكيد معنى الإنكار والاستبعاد، ووُضِعَ «مَن في النار» ـ وهو ظاهرٌ ـ مِوضعَ المُضمَر؛ إذ كانَ الأصلُ: تُنْقِذُه، وإنَّما أُظهرَ؛ تشهيراً لحالهم، وإظهاراً لخِسَّة منازلهم.

قال الحَوفيُّ: وجِيْءَ بألف الاستفهام لمَّا طالَ الكلامُ توكيداً، ولولا طُوله لم يَجُز الإتيان بها؛ لأنَّه لا يَصلحُ في العربيَّة أنْ يأتيَ بألفِ الاستفهام في الاسم، وألفٍ أُخرى في الجَزاء، ومعنى الكلام: أَفَأَنْتَ تُنْقِذه. انتهى.

وعلى هذا القول يكون قد اجتمعَ استفهامٌ وشَرْط على قولِ الجماعة أنَّ الهمزةَ قدّمت مِن تأخُّر، فيَجيء الخلافُ بين سيبويه ويُونس[٢]، هل الجملة الأخيرة هي للمستفهم عنها، أو هي جواب الشَّرْط، وعلى تقدير الزمخشريِّ لم تَدخُل الهمزة على اسمِ الشَّرْط، فلم يَجتمع استفهامٌ وشَرْط؛ لأنَّ الاستفهامَ عنده دَخَلَ على الجملة المحذوفة عنده، وهو: أأنت مالكُ أَمْرِهم، و«فمن» معطوفٌ على تلك الجملة المحذوفة، عُطفت جُملة الشَّرْط على جُملة الاستفهام، ونُزِّلَ استحقاقُهم العذابَ ـ وهم في الدنيا ـ منزلةَ دخولهم النار، ونُزِّلَ اجتهادُ الرَّسول عليه الصلاة والسلام في دعائهم إلى الإيمان منزلةَ إنقاذِهم مِن النار[٣].

ولمَّا ذَكَر حالَ الكفَّار في النَّار وأنَّ الخاسرينَ لهم ظُلَلٌ، ذَكَر حالَ المؤمنين، وناسَبَ الاستدراكُ هنا؛ إذ هو واقعٌ بين الكافرين والمؤمنين، فقال: «لَكِنِ الذينَ

(١) الكشاف ٣/ ٣٩٣-٣٩٤.
(٢) الكتاب ٣/ ٨٢-٨٣.
(٣) الكشاف ٣/ ٣٩٤.

اتَّقَوا» ففي ذلك حضٌّ على التقوى، لهم عَلَالي[١] مرتفعة، فوقَها عَلَالي مبنيَّة، أي: بناءَ المنازلِ التي سُوِّيت على الأرض، والضمير في «مِن تحتها» عائدٌ على الجَمْعَين، أي: مِن تحتِ الغُرف السُّفْلَى والغُرَف العُليا، لا تفاوتَ بينَ أعلاها وأسفلها.

وانتصب «وَعْد الله» على المصدر المؤكّد لمضمون الجملة قَبْلَه، إذ تضمَّنت معنى الوَعْدِ.

«ألم تَرَ» خطابٌ وتوقيفٌ للسامِع على ما يعتبر به مِن أفعال اللهِ الدَّالَّة على فناء الدُّنيا واضمِحلالها، «فَسَلَكَهُ ينابِيعَ» أي: أَدخله مسالِكَ وعيوناً، والظاهر أنَّ ماءَ العيون هو مِن ماء المطر تَحْبسه الأرضُ ويَخرُج شيئاً فشيئاً.

«ثم يُخرِج به زَرْعاً» ذكر مِنَّته تعالى علينا بما تَقوم به معيشتُنا، «مختلفاً ألوانُه» مِن أحمرَ وأبيضَ وأخضرَ وأصفرَ، وشمل لفظُ الزَّرْع جميعَ ما يُزرَع مِن مُقْتَاتٍ وغيرِه، أو: مختلفاً أصنافه؛ مِن بُرٍّ وشَعير وسِمْسِم وغيرِ ذلك، «ثم يَهيجُ» يُقارِب التمام «فتَرَاه مصفرًّا» أي: زالت خُضْرَته ونَضَارته.

وقرأ أبو بشر: «ثُمَّ يَجْعَلَه» بالنَّصْب في اللام[٢]، قال صاحبُ «الكامل»: وهو ضعيفٌ[٣]. انتهى.

«إنَّ في ذلك» أي: فيما ذكَر مِن إنزال المطر وإخراجِ الزَّرْع به وتنقُّلاته إلى حالة الحطاميَّة «لذكرى» أي: لتذكيراً وتنبيهاً على حكمة فاعلِ ذلك وقُدْرته.

---

(١) الكشاف ٣/ ٣٩٤ ـ والكلام منه ـ وهو تفسيرٌ لقوله تعالى: ﴿غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ﴾ [الزمر: ٢٠].

(٢) الإملاء للعكبري ٢/ ٢١٤ دون نسبة، وأبو بشر لعلَّه: حميد بن وزير القطان النيلي، أخذ القراءة عن يعقوب، وروى القراءةَ عنه الحسن بن مسلم، ولم تُذكر سنة وفاته. ولعلَّه: هارون بن حاتم الكوفي البزاز، مقرئ مشهور ضعَّفوه، توفي سنة (٢٤٩هـ). غاية النهاية ١/ ٢٦٥ و٢/ ٣٤٥-٣٤٦، ولعلَّه غيرهما.

(٣) صاحب الكامل هو أبو القاسم يوسف بن علي بن جبارة. وسلفت ترجمته، ووَجْه ضَعْفِ القراءة أنَّه لم يتقدَّم ما يقتضي نصبه في الظاهر، ولتخريجها وجهان ينظران في الدر المصون ٩/ ٤٢١.

«أفَمن شَرَحَ اللهُ صَدْرَهُ للإسلام» نزلت في حمزة، وعليٍّ[١]، و«مَن» مبتدأ، وخبره محذوفٌ يدلُّ عليه «فويلٌ للقاسيةِ قلوبهم» تقديره: كالقاسي المُعرِض عن الإسلام، وأبو لهب وابنُه كانا مِن القاسيةِ قلوبُهم.

وشَرْحُ الصَّدْرِ استعارةٌ عن قَبوله للإيمان والخير والنُّور والهداية، وفي الحديث: كيف انْشِرَاح الصدر؟ قال: «إذا دخلَ النورُ القلبَ، انْشَرَحَ وانْفَسَحَ» قلنا: وما علامَةُ ذلك؟ قال: «الإنابة إلى دارِ الخُلود، والتَّجَافي عن دار الغُرور، والتأهُّب للموت قَبْلَ الموت»[٢].

«فويلٌ للقاسية قلوبُهم مِن ذِكْرِ الله» أي: مِن أجل ذِكْره، إذا ذُكرَ اللهُ عندهم قَسَت قلوبُهم، وقال مالك بنُ دينار: ما ضُربَ عبدٌ بعقوبة أعظم مِن قسوة قلب[٣].

«أولئك» أي: القاسيةُ قلوبهم «في ضلالٍ مُبين» أي: في حَيْرَة واضحة لا تَخفى على مَن تأمَّلها.

﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ ﴿٢٣﴾ أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجۡهِهِۦ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ ذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَكۡسِبُونَ ﴿٢٤﴾ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ فَأَتَىٰهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿٢٥﴾ فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلۡخِزۡيَ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدۡ ضَرَبۡنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٖ لَّعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا غَيۡرَ ذِي عِوَجٖ لَّعَلَّهُمۡ

---

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٥٢٧، وزاد فيه: أبا لهب وابنَه، قال الواحديُّ في أسباب النزول ص٣٨٩: فعليٌّ وحمزة ممَّن شَرَح اللهُ صدرَه، وأبو لهب وأولاده الذين قست قلوبهم عن ذكر الله. اهـ. وانظر تفسير القرطبي ١٨/ ٢٦٥، وما سيأتي قريباً.

(٢) الكشاف ٣/ ٣٩٤، وينظر تفسير الثعلبي ٥/ ٢٩٧-٢٩٨، والحديث سلف في سورة الأنعام، عند تفسير الآية (١٢٥).

(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٥٢٧، وينظر تفسير البغوي ٤/ ٧٦، وأخرجه عنه الثعلبيُّ في تفسيره الكشف والبيان ٥/ ٢٩٨.

يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سالـماً[١] لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًاۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾﴾.

عن ابنِ عباس أنَّ قوماً مِن الصحابة قالوا: يا رسولَ الله، حَدِّثْنا بأحاديثَ حِسَان وبأخبارِ الدَّهر؟ فنَزَل: «اللهُ نَزَّلَ أحسنَ الحديثِ»[٢]، وعن ابنِ مسعود أنَّ الصحابةَ مَلُّوا مَلَّةً، فقالوا له: حَدِّثْنا، فنزلت[٣].

والابتداءُ باسم الله وإسنادُ «نَزَّل» لضميره مبنيًّا عليه، فيه تفخيمٌ للمُنزَّل ورَفْعٌ منه، كما تقول: المَلِكُ أَكْرَمَ فلاناً، هو أفخمُ مِن: أَكْرَمَ المَلِكُ فلاناً، وحكمة ذلك البَدَاءةُ بالأشرف ثمَّ تذكر ما تُسند إليه، وهو كثير في القرآن، كقوله: ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا﴾ [الحج: ٧٥] و«كتاباً» بَدَلٌ مِن «أَحْسَن الحديث».

وقال الزمخشريُّ: ويَحتمل أَنْ يكونَ حالاً منه[٤]. انتهى. وكأنَّه بناءً على أنَّ «أَحْسَن الحديث» معرفة؛ لإضافته إلى معرفة، وأَفْعَل التفضيل إذا أُضيف إلى معرفةٍ فيه خلافٌ، فقيل: إضافته مَحْضَةٌ، وقيل: غيرُ مَحْضَة، و«متشابهاً» مُطلَق في مُشَابهة بعضِه بعضاً، فمعانيه متشابهةٌ لا تناقضَ فيها ولا تعارضَ، وألفاظه في غاية الفَصَاحة والبَلَاغة والتَّناسب، بحيث أعجزت الفُصَحاء والبُلَغاء.

وقرأ الجمهور: «مَثَانِيَ» بفتح الياء، وهشام لابن عامر وأبو بِشْر: بسكون الياء،

---

(١) كذا في النسخ الخطية، وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو ويعقوب، في حين قرأ الباقون: ﴿سَلَمًا﴾. السبعة ص ٥٦٢، والتيسير ص ١٨٩، والنشر ٢/ ٣٦٢، وستأتي في موضعها.

(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٥٢٧، وأخرجه عنه مختصراً الطبريُّ ٢٠/ ١٩٣، وينظر خبر سعد بن أبي وقاص عند البغوي ٢/ ٤٠٨، والقرطبي ١٨/ ٢٦٧.

(٣) الكشاف ٣/ ٣٩٤، والمحرر الوجيز ٣/ ٢١٨-٢١٩، وتفسير القرطبي ١٨/ ٢٦٧، والخبر أخرجه أبو عُبيد في فضائل القرآن ص ٢٢، والطبريُّ في تفسيره ١٣/ ٨، وأبو نعيم في حلية الأولياء ٤/ ٢٤٨، عن عون بن عبد الله مطوَّلاً.

(٤) الكشاف ٣/ ٣٩٤، وجاء في هامش (ز٢) ما نصّه: قال الحلبي [يعني السمين، وكلامه في الدر المصون ٩/ ٤٢٢]: وعلى تقدير كونه نكرةً يحسن أيضاً أن يكون حالاً؛ لأن النكرة متى أُضيفت ساغ مجيء الحال منها بلا خلاف، والصحيح أن إضافة أفعل محضة. وذكر السفاقسي أيضاً مثله. فتأمل.

فاحتمل أَنْ يكونَ خبرَ مبتدأٍ محذوف، واحتمل أَنْ يكونَ منصوباً[١]، وسكّن الياء على قول مَن يُسكِّن الياء في كلِّ الأحوال؛ لانكسارِ ما قَبْلَها استثقالاً للحَرَكة عليها.

و«مثاني» يَظهر أنَّه جَمْعُ: مُثَنًّى، ومعناه: موضعُ تثنيةِ القَصَص والأحكام والعقائد والوَعْد والوعيد، وقيل: يُثَنَّى في الصلاة، فلا يُمَلُّ، وقال الزمخشريُّ: ويجوز أن يكون جمع: مَثْنَى ـ مَفْعَل ـ من التثنية[٢] بمعنى التكرير والإعادة[٣]. انتهى.

ووصفَ المُفرَد بالجَمْع؛ لأنَّ فيه تفاصيلَ، وتفاصيلُ الشيء جُملته، أَلَا تَرَى أَنَّكَ تقول: القرآنُ سُوَرٌ وآياتٌ، فكذلك تقول: أحكامٌ ومواعظُ مكرَّرات، وأصله: كتاباً متشابهاً فصولاً مثاني، حذفت الموصوف وأقمت صفتَه مقامه، وأجازَ الزمخشريُّ[٤] أن يكون مِن باب: بُرْمَةٌ أَعْشَار، وثَوبٌ أَخلاقٌ[٥]، وأَنْ يكون تمييزاً عن «متشابهاً»، فيكون منقولاً مِن الفاعل، أي: مُتَشَابهاً مَثَانِيه، كما تقول: رأيتُ رجلاً حَسَناً شمائلَ، وفائدةُ تَثْنِيَته وتكريره رُسوخُه في النُّفوس، إذ هي أَنفرُ شيءٍ عن سماعِ الوَعْظ والنَّصيحة[٦].

والظاهر حَمْلُ القُشَعْرِيرَة على الحقيقة، إذ هو موجودٌ عند الخشية محسوسٌ، يُدرِكه الإنسان مِن نفسِه، وهو حاصلٌ مِن التأثُّر القلبيّ. وقيل: هو تمثيلٌ، تصويراً لإفراط خشيتهم، والمعنى أنَّه حينَ يَسمعونه يُتْلَى ما فيه مِن آياتِ

---

(١) يعني: على التميز أو على النعت. الكشاف ٣/ ٣٩٥، وسيأتي، ولم نقف على القراءة عند غيره ممَّن سبقه، وأوردها عنه السمين في الدر المصون ٩/ ٤٢٢، وابنُ عادل في اللباب ١٦/ ٥٠١، والآلوسي في روح المعاني ٢٣/ ٤١٧، مع الإشارة إلى أن محقّق الدر المصون أشار بهامشه إلى قراءة أبي بشر، ونسبها إلى كتاب الكامل للهذلي (٢٣٤ مخطوط).

(٢) من قوله: فلا يُمَلُّ، . . . إلى هنا، زيادة من (د٣) و(يه)، ولم ترد في باقي النسخ.

(٣) الكشاف ٣/ ٣٩٥، وورد في مطبوعه ومخطوطه الورقة (٢٤٣): في التلاوة، بدل: في الصلاة.

(٤) الكشاف ٣/ ٣٩٥، وما قبله منه أيضاً.

(٥) البُرْمَة: قِدْرٌ؛ من حجارة. وقِدْرٌ أعشار: مكسرة على عشر قطع. وثوبٌ أخلاق: إذا كانت الخُلُوقة (أي: البِلَى) فيه كلِّه. القاموس المحيط (برم) و(قدر) و(خلق).

(٦) الكشاف ٣/ ٣٩٥.

الوعيد، عَرَتْهُم خشيةٌ تنقبضُ منها جلودُهم، ثم إذا ذَكَروا الله ورحمتَه، لانَتْ جلودُهم، أي: زالَ عنها ذلك التقبُّض الناشِئُ عن خشيةِ القلوب بزوالِ الخشية عنها.

وضُمّن «تَلِيْن» معنى: تَطْمَئِنّ جلودهم لَيِّنَةً غيرَ منقبضة، وقلوبُهم راجية غيرُ خاشية، ولذلك عدّاه بـ «إلى»، وكأنَّ في ذِكْرِ القلوب في هذه الجملة دليلٌ على تأثُّرها عندَ السماع، فاكتفى بقُشَعْرِيرَة الجلودِ عن ذِكْر خشيةِ القلوب؛ لقيام المسبّب مقامَ السبب، فلمَّا ذَكَر اللِّينَ ذَكَرهما، وفي ذِكْر اللِّين دليلٌ على المحذوف الذي هو رحمة الله، كما كان في قوله: ﴿إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنفال: ٢] دليلٌ بقوله: «وَجِلَت» على ذِكْر المحذوف، أي: إذا ذُكِرَ وعيدُ اللهِ وبَطْشُه[١].

وقال العبَّاس بنُ عبد المطلب: قال النبيُّ عليه الصلاة والسلام: «مَن اقْشَعَرَّ جِلْدُه مِن خشيةِ اللهِ تحاتَّت عنه ذنوبُه كما يَتَحاتُّ عن الشجرة اليابسة وَرَقُها»[٢].

وقال ابنُ عمر، وقد رَأى ساقطاً مِن سماعِ القرآن، فقال: إنَّا لَنَخْشَى الله وما نَسْقُط، هؤلاء يَدخُل الشيطانُ في جوفِ أحدِهم[٣].

وقالت أسماءُ بنتُ أبي بكر: كان أصحابُ رسولِ الله ﷺ تَدمَعُ أعينُهم وتَقْشَعِرُّ جلودُهم عندَ سماعِ القرآن، قيل لها: إنَّ قوماً اليومَ إذا سمعوا القرآن خَرَّ أحدُهم مغشيًّا عليه، فقالت: أَعوذُ باللهِ مِن الشيطانِ[٤].

وقال ابنُ سيرين: بيننا وبينَ هؤلاء الذين يُصرَعون عندَ قراءةِ القرآن أَنْ يُجعَل

---

(١) ينظر المصدر السابق.

(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٥٢٨، وينظر تفسير القرطبي ١٨/ ٢٦٩، والحديث أخرجه البزار في مسنده (١٣٢٢)، والثعلبي في الكشف والبيان ٥/ ٣٠٠.

(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٥٢٨، والخبر أخرجه أحمد في الزهد ص ٢٤٢، وأبو عبيد في فضائل القرآن ص ١١١، والثعلبيُّ في الكشف والبيان ٥/ ٢٩٩، والبغوي في التفسير ٤/ ٧٧.

(٤) المحرر الوجيز ٤/ ٥٢٨، وينظر تفسير القرطبي ١٨/ ٢٦٨-٢٦٩، والخبر أخرجه ابنُ المبارك في الزهد (١٠١٦)، وسعيد بن منصور (٩٥ ـ تفسير)، والثعلبيُّ في الكشف والبيان ٥/ ٢٩٩، والبغويُّ في التفسير ٤/ ٧٧.

أحدُهم على حائطٍ باسطاً رجليه، ثم يُقْرَأُ عليه القرآنُ كلُّه، فإن رَمَى بنفسِه فهو صادقٌ[١].

والإشارة بـ «ذلك» إلى الكتاب، أو إلى ذَيْنك الوصفَيْن مِن الاقْشِعْرار واللِّين، أي: أَثَر «هدى اللهِ»، «أَفَمن يتَّقي» أي: يَستقبل، كما قال الشاعر:

سَقَطَ النَّصِيْفُ ولم تُرِد إسقاطَهُ فتَنَاوَلَتْهُ واتَّقتنا باليَدِ[٢]

أي: استقبلتنا بيَدِها؛ لِتَقي بيدِها وجهَهَا أنْ يُرَى.

والظاهر حَمْل «بوجهه» على حقيقته، لمَّا كان يُلقَى في النار مغلولةً يَدَاه إلى رِجْليه مع عُنُقه، لم يكن له ما يتَّقي به النارَ إلَّا وَجْهه، قال مجاهد: يُجَرُّ على وَجْهه في النار[٣]، ويجوز أنْ يُعبَّر بالوَجْه عن الجملة.

وقيل: المعنى: وَصْفُ كَثرةِ ما يَنالهم مِن العذاب، يتَّقيه أوَّلاً بجوارحِه، فيتزيَّد حتى يتَّقيه بوَجْهه الذي هو أشرفُ جوارِحه، وفيه حواسُّه، وهو غايةُ العذاب، قال ابنُ عطيَّة[٤]: وهذا المعنى عندي أبين بلاغة، وفي هذا المضمار يَجري قولُ الشاعر:

يَلْقَى السيوفَ بوجهِهِ وبنَحْرِهِ ويُقِيم هامَتَه مقامَ المِغْفَرِ[٥]

---

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٥٢٨، وينظر تفسير البغوي ٤/ ٧٧، والقرطبي ١٨/ ٢٦٩، والخبر أخرجه الثعلبيُّ في الكشف والبيان ٥/ ٢٩٩، وأبو نعيم في حلية الأولياء ٢/ ٢٦٥ من طريق عمران ـ أو: حمران ـ بن عبد العزيز، عن ابن سيرين، ووقع عند القرطبي: عمر بن عبد العزيز، بدل: عمران أو حمران، وهو خطأ، فليُحرَّر.

(٢) البيت للنابغة الذبياني، وهو في ديوانه ص ٤٠، وسلف.

(٣) تفسير الثعلبي ٥/ ٣٠٠، والبغوي ٤/ ٧٧، والقرطبي ١٨/ ٢٧١، وأورده أيضاً ابنُ عطية في المحرر الوجيز ٤/ ٥٢٨، وأخرجه عنه الطبريُّ ٢٠/ ١٩٤، وورد في مطبوعهما: يخرّ، بدل: يجرّ.

(٤) المحرر الوجيز ٤/ ٥٢٨، وما قبله منه أيضاً.

(٥) المصدر السابق، والبيت اختلف في نسبته، فنُسِبَ في سمط اللآلي ١/ ١٨٢ لابن المولى محمد بن عبد الله بن مسلم، ونُسبَ للعلويّ صاحب الزنج في التذكرة الحمدونية ٢/ ٤٣٦، ولعبد الملك بن معاوية الحارثي في الحماسة البصرية ١/ ٢٠، ولأعرابي في زهر الآداب ٢/ ٨٤٤، ولم يُنسب في الصناعتين ص ٢٤٣، وديوان المعاني للعسكري ١/ ٤٧ و٢/ ٦٥.

لأنَّه إنَّما أراد عظيمَ جُرْأته عليها، فهو يَلقاها بكلِّ مِجَنٍّ وبكلِّ شيء منه حتَّى بوَجْهه وبنَحْره[١]. انتهى.

و«سوء العذاب» أَشدّه، وخبر «مَن» محذوف، قدَّره الزمخشريُّ: كمَن أَمِنَ العذابَ، وابنُ عطيَّة: كالمُنعَّمين في الجنَّة[٢].

«وقيل للظالمين»: أي: قال ذلك خَزَنةُ النَّار: «ذُوقوا ما كنتم» أي: وبالَ ما كنتم «تكسبون» مِن الأعمال السَّيِّئة.

«كذَّب الذين مِن قَبْلِهم» تمثيلٌ لقريش بالأُمم الماضية وما آلَ إليه أَمْرُهم مِن الهلاك، «فأَتَاهُم العذابُ مِن حيث لا يشعرون» مِنِ الجهة التي لا يَشعرونَ أنَّ العذابَ يأتيهم مِن قِبَلِها ولا يَخطُر ببالهم أنَّ الشَّرَّ يَأتيهم منها، كانوا في أَمْنٍ وغِبْطَةٍ وسُرور، فإذا هم معذَّبون مخزِيُّون ذَليلون في الدنيا، مِن ممسوخٍ ومقتول ومَأْسُور ومَنْفِيٍّ، ثمَّ أخبر أنَّ ما أعدَّ لهم في الآخِرَة أعظم.

وانتصب «قرآناً عربيًّا» على الحال، وهي حالٌ مؤكِّدة، والحال في الحقيقة هو «عربيًّا»، و«قرآناً» توطئةٌ له، وقيل: انتصبَ على المدح.

ونَفى عنه العوجَ؛ لأنَّه مستقيمٌ بَرِيْءٌ مِنَ الاختلافِ والتناقض، وقال عثمان بنُ عفان: غيرُ مُضطَرِب، وقال ابنُ عبَّاس: غيرُ مختلف، وقال مجاهد: غير ذي لَبْسٍ، وقال السُّدِّيُّ: غيرُ مخلوقٍ، وقيل: غير ذي لحنٍ[٣].

قال الزمخشريُّ: فإن قلت: فهلَّا قيل: مستقيماً، أو: غيرَ مُعْوَجٍّ؟ قلت: فيه فائدتان: إحداهما: نفي أَنْ يكونَ فيه عوجٌ قَطُّ، كما قال: ﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ﴾ [الكهف: ١] والثاني: أنَّ لفظَ العِوَج مختصٌّ بالمعاني دونَ الأعيان، وقيل: المراد بالعِوَج: الشَّكُّ واللَّبْسُ، وأنشد:

---

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٥٢٩.
(٢) الكشاف ٣/ ٣٩٦، والمحرر الوجيز ٤/ ٥٢٨.
(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٥٢٩، وتصحفت في مطبوعه: وقال مجاهد، إلى: وقرأ مجاهد. ونُسبَ القولُ الأخير فيه إلى بكر المزني، وقول مجاهد عند الطبريّ ٢٠/ ١٩٦، وينظر تفسير الثعلبي ٥/ ٣٠١، والبغوي ٤/ ٧٨، وزاد المسير ٧/ ١٧٩، والقرطبي ١٨/ ٢٧٢.

وقـد أتـاكَ يـقـيـنٌ غـيـرُ ذِي عِـوَجٍ   مِـن الإلـهِ وقـولٌ غـيـرُ مَـكْـذُوبِ[١]

انتهى.

ولمَّا ذَكَر تعالى أنَّه ضَرَب في القرآن مِن كلِّ مَثَلٍ، أي: محتاج إليه، ضَرَبَ هنا مَثَلاً لعابدِ آلهةٍ كثيرة، ومَن يَعبد الله وَحْدَه، ومثَّل برجلٍ مملوكٍ اشْتَركَ فيه مُلَّاك سَيِّئو الأخلاق، فهو لا يَقدِر أنْ يُوفِّيَ كلَّ واحدٍ منهم مقصودَه، إذ لا يتغاضى بعضُهم لبعضٍ؛ لمشاحَّتهم وطَلَبِ كلٍّ منهم أنْ يقضيَ حاجتَه على التمام، فلا يَزال في عَنَاء وتَعَب ولَوم مِن كلٍّ منهم، ورجلٍ آخَرَ مملوكٍ جميعه لرجلٍ واحد، فهو مَعْنِيٌّ بشُغْلِه، لا يَشْغَلُه عنه شيء، ومالكُه راضٍ عنه؛ إذ قد خَلَصَ لخدمتِه وبَذَلَ جهدَه في قضاءِ حوائجه، فلا يَلقى مِن سيِّده إلَّا إحساناً.

وتقدَّم الكلامُ في نَصْب المَثَل وما بعدَه، وقال الكسائيُّ: انتصبَ «رجُلاً» على إسقاطِ الخافض، أي: مَثَلاً لرجلٍ، أو: في رجل[٢].

«فيه» أي: في رَقِّه «شركاء»، و«فيه» صلةٌ لـ «شركاء».

وقرأ عبد الله وابنُ عبَّاس وعكرمة ومجاهد وقتادة والزهريُّ والحسن ـ بخلاف عنه ـ والجحدريُّ وابنُ كثير وأبو عَمْرٍو: «سالماً» اسم فاعل مِن: سَلِم، أي: خالصاً له مِن الشركة، وقرأ الأعرج وأبو جعفر وشيبة وأبو رجاء وطلحة ـ والحسن بخلاف عنه ـ وباقي السبعة: «سَلَماً» بفتحِ السين واللام[٣].

وقرأ ابنُ جبير: «سِلْماً» بكسر السين وسكونِ اللام، وهما مصدرانِ وصفَ بهما مبالغةً في الخلوص مِن الشركة[٤].

---

(١) الكشاف ٣/ ٣٩٦، والبيت أورده أيضاً القرطبيُّ ١٨/ ٢٧٣، ولم نقف عليه عند غيرهما ممَّن سبقهما، وأورده عن المصنِّف السمين في الدر المصون ٩/ ٤٢٤، وابنُ عادل في في اللباب ١٦/ ٥٠٧، والآلوسي في روح المعاني ٢٣/ ٤٢٣.

(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٥٢٩، وينظر تفسير البغوي ٤/ ٧٨، والقرطبي ١٨/ ٢٧٣.

(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٥٢٩، وينظر تفسير الثعلبي ٥/ ٣٠٢، وزاد المسير ٧/ ١٨٠، وتفسير القرطبي ١٨/ ٢٧٤، وسلف تخريج القراءة قريباً.

(٤) المحرر الوجيز ٤/ ٥٣٠، وينظر الكشاف ٣/ ٣٩٧، وتفسير الرازي ٢٦/ ٢٧٧، والقرطبي ١٨/ ٢٧٤.

وقرئ: «ورَجُلٌ سالمٌ» برفعهما[١]، وقال الزمخشريُّ: أي: وهناكَ «رَجُلٌ سالمٌ لرجُل»[٢]. انتهى. فجعلَ الخبر: هناك.

ويجوز أَنْ يكونَ «ورَجُلٌ» مبتدأ؛ لأنَّه موضعُ تفصيلٍ، إذ قد تقدَّم ما يدلُّ عليه، فيكون كقولِ امرئ القيس:

إذا ما بَكى مِنْ خَلْفِها انْحَرَفَت له ... بِشِقٍّ وشِقٌّ عندَنا لم يُحَوَّلِ[٣]

وقال الزمخشريُّ: وإنَّما جَعَله رَجُلاً؛ ليكونَ أفطنَ لِمَا شَقِيَ به أو سَعِد؛ فإنَّ المرأةَ والصبيَّ قد يَغفُلان عن ذلك[٤].

وانتصب «مَثَلاً» على التمييزِ المنقول مِن الفاعل، إذِ التقدير: هل يَستوي مَثَلُهما؟ واقتصرَ في التمييزِ على الواحد؛ لأنَّه المُقْتَصَر عليه أوَّلاً في قوله: «ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً» ولبيانِ الجنس.

وقرئ: «مَثَلَيْن»[٥] فطابق حالَي الرَّجُلَين.

وقال الزمخشريُّ: ويَجوز فيمَن قرأ «مَثَلَيْن» أن يكونَ الضميرُ في «يستويان» للمَثَلَين؛ لأنَّ التقدير: مَثَلَ رَجُلٍ ومَثَلَ رَجُلٍ، والمعنى: هل يستويانِ فيمَا يَرجعُ إلى الوصفيَّة، كما تقول: كَفَى بهما رَجُلَين[٦]. انتهى.

والظاهر أنَّه يعودُ الضميرُ في «يستويان» إلى الرَّجُلَين، وأمَّا إذا جعلته عائداً إلى المَثَلَين اللَّذَين ذَكَر أنَّ التقديرَ: مَثَلَ رَجُلٍ ورجلٍ؛ فإنَّ التمييزَ ـ إذ ذاك ـ يكون قد فُهِمَ مِن المميّز الذي هو الضمير، إذ يصير التقدير: هل يستوي المَثَلان مَثَلَيْن[٧].

(١) القراءة في الكشاف ٣/ ٣٩٧ دون نسبة، ونقلها عنه الرازيُّ ٢٦/ ٢٧٧، وأوردها أيضاً ابنُ الجوزي في زاد المسير ٧/ ١٨٠ وعزاها لرواية عن عبد الوارث عن أبي عمرو.
(٢) الكشاف ٣/ ٣٩٧.
(٣) ديوان امرئ القيس ص ١٢، وسلف.
(٤) الكشاف ٣/ ٣٩٧.
(٥) المصدر السابق، وأوردها عن المصنِّف السمين في الدر المصون ٩/ ٤٢٦، وابنُ عادل في اللباب ١٦/ ٥٠٩، والآلوسي في روح المعاني ٢٣/ ٤٢٥.
(٦) الكشاف ٣/ ٣٩٧.
(٧) تفسير الثعلبي ٥/ ٣٠٣، والكشاف ٣/ ٣٩٨، والمحرر الوجيز ٤/ ٥٣٠، وتفسير الطبريِّ ٢٠/ ٢٠٢.

«قُلِ الحمدُ لله» أي: الثناءُ والمَدْح لله لا لغيرِه، وهو الذي ثَبَتَت وحدانيَّته، فهو الذي يَجب أَنْ يُحمَد «بل أكثرهم لا يعلمون» فيُشرِكون به غيرَه.

ولفظة «الحمد لله» تُشعِر بوقوعِ الهلاك بهم كقوله: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام:٤٥] ولَمَّا لم يلتفتوا إلى هذه الدلائل الباهرة، أخبر الجميعَ بأنَّهم مَيِّتونَ وصائرونَ إليه، وأنَّ اختصامَكُم يكون بين يَدَيْه يوم القيامة، وهو الحَكَم العَدْل، فيتميَّز المُحِقُّ مِن المُبْطِل، وهو عليه السَّلام وأَتْباعُه المُحِقُّونَ الفائزونَ بالظَّفَر والغَلَبة، والكافرونَ هُمُ المبطلونَ، فالضمير في «إنَّكَ» خطابٌ للرَّسول وتَدخُل معه أُمَّتُه في ذلك، والظاهر عَودُ الضميرِ في «وإنَّهم» على الكفَّار، وغلبَ ضميرُ الخطاب في «إنَّكَ» على ضمير الغيبة في «إنَّهم»، ولذلك جاء: «تَخْتَصمون» بالخطاب، فتحتجّ أنتَ عليهم بأنَّكَ قد بَلَّغْتَ وكَذَّبوا، واجتهدتَ في الدعوة ولَجُّوا في العناد.

وقال أبو العالية: هم أهلُ القِبْلَة يَختصمون بينهم يومَ القيامة في مَظَالمهم.

وأَبْعَدَ مَن ذهب إلى أنَّ هذا الخِصَام سَبَبه ما كان في قَتْلِ عثمان وما جَرَى بين عليٍّ ومعاوية بسبب ذلك ﷺ(١).

وقيل: يَختصم الجميعُ؛ فالكفَّار يُخاصم بعضُهم بعضاً حتى يقال لهم: ﴿لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَىَّ﴾ [ق:٢٨]، والمؤمنون يُبَكِّتُونَ الكافرين بالحجَجِ، وأهلُ القِبْلَة يكون بينهم الخِصام(٢).

وقرأ ابنُ الزبير وابنُ أبي إسحاق وابنُ محيصن وعيسى واليمانيُّ وابنُ أبي غوث وابنُ أبي عبلة: «إنَّكَ مائِتٌ وإنَّهم مائِتُون»(٣) وهي تُشعِر بحدوث الصفة، والجمهور «مَيِّت» و«مَيِّتون» وهي تشعر بالثُّبوت واللُّزُوم كالحَيّ.

❁ ❁ ❁

(١) ينظر تفسير البغوي ٤/ ٧٨-٧٩، والمحرر الوجيز ٤/ ٥٣٠، والكشاف ٣/ ٣٩٧-٣٩٨، وزاد المسير ٧/ ١٨١، وتفسير القرطبي ١٨/ ٢٧٦، ٢٧٧، وتنظر هذه الأخبار وتخريجها عند الطبريّ ٢٠/ ٢٠٢، وتفسير الثعلبي ٥/ ٣٠٣-٣٠٤.

(٢) الكشاف ٣/ ٣٩٧، والتبكيت: التقريع، والغَلَبة بالحجَّة. القاموس (بكت).

(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٥٣٠، وينظر تفسير الثعلبي ٥/ ٣٠٢، والقرطبي ١٨/ ٢٧٥، والكشاف ٣/ ٣٩٧، والقراءة في القراءات الشاذة ص ١٣١.

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى
لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُم مَّا
يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟
وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٥﴾ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ
بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن
مُّضِلٍّ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ ﴿٣٧﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ
ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ
أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ
يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ
وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٤٠﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ
وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿٤١﴾ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ
مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ
أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ ۚ قُلْ
أَوَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ۖ لَّهُۥ مُلْكُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا
يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾ قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِى مَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ
﴿٤٦﴾ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلْعَذَابِ
يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟
وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤٨﴾ فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَٰهُ نِعْمَةً
مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍۭ ۚ بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾ قَدْ قَالَهَا ٱلَّذِينَ مِن
قَبْلِهِمْ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٥٠﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ ۚ وَٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ
هَٰٓؤُلَآءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥١﴾ أَوَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ
لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ ۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ
أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾
وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓا۟
أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ

﴿٥٥﴾ أن تقول نفس يا حسرتى على ما فرطت في جنب الله وإن كنت لمن الساخرين ﴿٥٦﴾ أو
تقول لو أن الله هداني لكنت من المتقين ﴿٥٧﴾ أو تقول حين ترى العذاب لو أن
لي كرة فأكون من المحسنين ﴿٥٨﴾ بلى قد جاءتك آياتي فكذبت بها واستكبرت وكنت
من الكافرين ﴿٥٩﴾ ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة أليس في
جهنم مثوى للمتكبرين ﴿٦٠﴾ وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم لا يمسهم السوء ولا هم
يحزنون ﴿٦١﴾ الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل ﴿٦٢﴾ له مقاليد السماوات
والأرض والذين كفروا بآيات الله أولئك هم الخاسرون ﴿٦٣﴾ قل أفغير الله تأمروني
أعبد أيها الجاهلون ﴿٦٤﴾ ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك
ولتكونن من الخاسرين ﴿٦٥﴾ بل الله فاعبد وكن من الشاكرين ﴿٦٦﴾ وما قدروا الله حق قدره
والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما
يشركون ﴿٦٧﴾ ونفخ في الصور فصعق من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم
نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون ﴿٦٨﴾ وأشرقت الأرض بنور ربها ووضع الكتاب وجيء
بالنبيين والشهداء وقضي بينهم بالحق وهم لا يظلمون ﴿٦٩﴾ ووفيت كل نفس ما عملت
وهو أعلم بما يفعلون ﴿٧٠﴾ وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمرا حتى إذا جاءوها فتحت
أبوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء
يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين ﴿٧١﴾ قيل ادخلوا أبواب
جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين ﴿٧٢﴾ وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا
حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين
﴿٧٣﴾ وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاء
فنعم أجر العاملين ﴿٧٤﴾ وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم
وقضي بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين ﴿٧٥﴾ ﴾.

المفردات اشْمَأَزَّ، قال أبو زيد: ذُعِرَ، وقال غيره: تقبَّض كراهةً ونُفوراً، قال الشاعر:

إذا عَضَّ الثِّقافُ بها اشْمَأَزَّت ... وَوَلَّته عَشَوْزَنَةً زَبُونا(١)

(١) ينظر المحرر الوجيز ٤/ ٥٣٤، وتفسير القرطبي ١٨/ ٢٨٩، والصحاح (شمز)، والبيت لعمرو بن كلثوم، وهو من معلقته ص ٨٥ (بشرح ابن كيسان)، قال الشارح: الثِّقاف: الخشبة التي تُقوَّم بها الرماح، والعَشَوْزَنَة: الناقة السيئة الخُلُق التي تَدفع من يحتلبها بيدها ورجلها.

المَقَالِيد: المَفَاتِيح، قيل: لا واحدَ لها مِن لَفْظِها، قاله التبريزيُّ[١]، وقيل: واحدها: مِقْلِيد، وقيل: مِقْلَاد[٢]، ويقال: إقْلِيد وأَقَالِيد، والكلمة أَصْلُها فارسيَّة[٣].

الزُّمَر: جَمْعُ: زُمْرَة، قال أبو عبيد والأخفش[٤]: جماعات مُتفرِّقة بعضُها إثْرَ بعضٍ، قال:

حـتَّـى احْـزَأَلَّـتْ زُمَـرٌ بَـعْـدَ زُمَـرْ[٥]

ويقال: تَزَمَّروا[٦].

والحفوف: الإحْدَاقُ بالشيء[٧]، قال الشاعر:

تَـحـفُّـهُ جـانـبـا نِـيْـقٍ ويَـتـبـعُـهُ مِثْل الزُّجاجةِ لم يكْحَلْ مِن الرَّمَدِ[٨]

---

(١) الكشاف ٣/ ٤٠٦ دون عزوه للتبريزي.
(٢) تفسير الثعلبي ٥/ ٣١٨.
(٣) الكشاف ٣/ ٤٠٦، وينظر أيضاً المصدر السابق، والمحرر الوجيز ٤/ ٥٣٩، وزاد المسير ٧/ ١٩٤، وتفسير القرطبي ١٨/ ٣٠٤، وينظر أيضاً المُعرَّب للجواليقي ص ٦٨ و٣٦٢.
(٤) كذا في النسخ، ومطبوع تفسير الثعلبي ٥/ ٣٢٦، والذي في تفسير القرطبي ١٨/ ٣١٦: أبو عُبَيدة والأخفش. وقول الأخفش عند البغوي ٤/ ٨٨، وقولُ أبي عبيدة في كتابه مجاز القرآن ٢/ ١٩١، وذكره أيضاً عنه ابنُ الجوزي في زاد المسير ٧/ ١٩٩، وينظر قولُ أبي عُبَيد في غريب الحديث ٣/ ٢٠٥-٢٠٦.
(٥) الكشاف ٣/ ٤١٠، وتفسير القرطبي ١٨/ ٣١٦، والرجز لمالك بن عوف قاله حين انهزم الناسُ يومَ حنين، وهو في السيرة النبوية لابن هشام ٢/ ٤٤٧، وقَبْله:

أَقْـدِم مُـحَـاجُ إنَّـه يـومٌ نُـكُـرْ
مِـثْـلي عـلـى مِـثْـلِك يـحـمـي ويَـكُـرّ
إذا أُضـيـع الـصَّـفُّ يـومـاً والـدُّبُـرْ

وينظر أساس البلاغة (حزل). وقوله: احْزَأَلَّت: ارتفعت. الإملاء المختصر في شرح غريب السير للخشني ٣/ ٩٩، وينظر لسان العرب (حزل).
(٦) الكشاف ٣/ ٤١٠.
(٧) المحرر الوجيز ٤/ ٥٤٤، قال الزبيدي في تاج العروس (حفف): والحِفاف كَكتاب: الإحداق بالشيء والإطافة به.
(٨) البيت للنابغة الذبياني، وهو في ديوانه ص ٣٥، وسلف.

وهذه اللفظةُ مأخوذةٌ مِن الجِفاف، وهو الجانب، ومنه قولُ الشاعر:

له لَحظاتٌ عن حِفافَي سَرِيْرِهِ إذا كرّها فيها عقابٌ ونائلُ(١)

* * *

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٥﴾ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ ﴿٣٧﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾.

التفسير «فَمَن أَظلم ممَّن كَذَبَ على الله» هذا تفسيرٌ وبيان للذين يكون بينَهم الخصومة، وهذا يَدلُّ على أنَّ الاختصامَ السابقَ يكون بين المؤمنين والكافرين، والمعنى: لا أَحَد في المُكذِّبين أظلم ممَّن افْتَرى على اللهِ، فنَسَبَ إليه الوَلَد والصَّاحِبَةَ والشَّريك، وحَرَّم وحَلَّل مِن غيرِ أَمْرِ الله «وكَذَّبَ بالصِّدْق» وهو ما جاءَ به رسولُ الله ﷺ «إذ جاءه» أي: وقتَ مجيئه فجَأَهُ بالتكذيب مِن غيرِ فِكْرٍ ولا ارتياء ولا نَظَرٍ، بل وقت مجيئه كَذَّب به.

ثمَّ توعَّدهم توعُّداً فيه احتقارُهم على جهة التوقيف، و«للكافرين» ممَّا قامَ فيه الظاهرُ مقام المُضمَر، أي: «مَثْوًى» لهم، وفيه تنبيهٌ على علَّة كَذِبهم وتكذيبهم وهو الكفر.

---

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٥٤٤، والبيت لابن هرمة، وهو في مجموع شعره ص ١٦٨، واللَّحظات: النظرات، والعقاب والنائل: العذاب والصِّلَة.

«والذي جاءَ بالصِّدْقِ» مُعَادِلٌ لقوله: «فَمَن أظلم»، «وصَدَّقَ به» مُقابلٌ لقوله: «وكَذَّبَ بالصِّدْق»، و«الذي» جنس، كأنَّه قال: والفريق الذي جاءَ بالصِّدْق، ويدلُّ عليه: «أولئكَ هم المُتَّقون» فجمع، كما أنَّ المراد بقوله: «فَمن أظلم» يُراد به جَمْع، ولذلك قال: «مَثْوى للكافرين»، وفي قراءةِ عبدِ الله: «والذي جاؤوا بالصِّدْق وصَدَّقوا به»[1].

وقيل: أراد: والذين، فحذفت النون، وهذا ليس بصحيح، إذ لو أُريد: «الذين» بلفظ «الذي» وحُذفت منه النون، لكانَ الضميرُ مجموعاً كقوله:

وإنَّ الـذي حـانـت بـفَـلْـجٍ دِمَـاؤهُـم[2]

أَلَا تَرَى أنَّه إذا حُذفت النونُ في المثنى، كان الضميرُ مثنى، كقوله:

أَبَـنـي كُـلَـيْـبٍ إنَّ عَـمَّـيَّ الـلَّـذا قَـتَـلا الـمـلـوكَ وفَـكَّـكـا الأغْـلالا[3]

وقيل: «الذي جاءَ بالصِّدْق وصَدَّقَ به» هو رسولُ الله ﷺ[4]، وقيل: «الذي جاءَ بالصِّدق» هو جبريل والذي «صَدَّق به» هو محمَّد ﷺ، وقال عليٌّ وأبو العالية والكلبيُّ وجماعةٌ: «الذي جاءَ بالصِّدْق» هو الرَّسول عليه الصلاة والسلام، والذي «صَدَّق به» هو أبو بكر، وقال أبو الأسود ومجاهد وجماعةٌ: الذي: «صَدَّق به» هو عليّ بن أبي طالب[5].

---

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٥٣١، وينظر تفسير القرطبي ١٨/ ٢٧٩، والقراءة في القراءات الشاذة ص١٣٢، وورد في مطبوعه: جاء، بدل: جاؤوا.

(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٥٣١، وينظر تفسير القرطبي ١٨/ ٢٧٩، وصدر البيت للأشهب بن رُمَيْلَة، وعجزه:

هُـمُ الـقـوم كُـلُّ الـقـومِ يـا أُمَّ خـالـدِ

وسلف.

(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٥٣١، والبيت للأخطل، وهو في ديوانه ص ٤٤، والشاهد فيه: اللَّذا، أراد: اللَّذان، فحذف النون.

(٤) من قوله: وقيل: الذي جاء بالصدق... إلى هنا، ليست في (ز٢).

(٥) المحرر الوجيز ٤/ ٥٣١، وينظر تفسير الثعلبي ٥/ ٣٠٤، والنكت والعيون ٥/ ١٢٦، وزاد المسير ٧/ ١٨٢، وتفسير القرطبي ١٨/ ٢٧٨-٢٧٩، وتنظر الآثار عند الطبري ٢٠/ ٢٠٤-٢٠٦.

وقال الزمخشريُّ: «والذي جاء بالصِّدْق وصَدَّق به» هو رسولُ الله ﷺ جاء بالصِّدْق، وآمَنَ به، وأَراد به إيَّاه ومَن تَبِعَه، كما أَراد بموسى إيَّاه وقومَه في قوله: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [المؤمنون:٤٩] فلذلك قال: «أولئك هُمُ المُتَّقونَ» إلَّا أنَّ هذا في الصفة وذاكَ في الاسم، ويجوز أَنْ يُريد: والفوج ـ أو الفريق ـ الذي جاء بالصِّدْق وصَدَّق به، وهم الرَّسولُ «الذي جاءَ بالصِّدق» وصحابتُه الذين صَدَّقوا به[١]. انتهى.

وقوله: وأَراد به إيَّاه ومَن تَبِعَه، كما أَراد بموسى إيَّاه وقومَه، استعملَ الضميرَ المنفصلَ في غيرِ موضعه، وإنَّما هو متَّصلٌ، فإصلاحه: وأَراده به ومَن تَبِعَه، كما أرادَه بموسى وقومِه[٢].

وقوله: «لعلَّهم يهتدون» الضميرُ في «لعلَّهم» لقومِ موسى لا لموسى وقومِه، أي: لعلَّ قومَه يَهتدون، إذ موسى عليه السلام مُهْتَدٍ، فالمُترجَّى هدايةُ قومه لا هدايته، إذ لا يُترجَّى إلَّا ما كان مفقوداً لا موجوداً.

وقوله: ويجوز، إلى آخره، فيه توزيعُ الصِّلَة، والفوج هو الموصولُ، فهو كقولك: جاءَ الفريقُ الذي شرفَ وشرفَ، والأظهرُ عدمُ التوزيع، بل المعطوف على الصِّلَة صِلَةٌ لمَن له الصِّلَة الأولى.

وقرأ الجمهور: «وصَدَّقَ» مشدَّداً، وأبو صالح وعكرمة بنُ سليمان ومحمد بنُ جُحَادة: مخفَّفًا[٣]، قال أبو صالح: وعَمِلَ به[٤]، وقيل: استحقَّ به اسمَ الصِّدْق، قال ابنُ عطيَّة[٥]: فعلى هذا إسنادُ الأفعالِ كلّها إلى محمَّد ﷺ، وكأنَّ أُمَّته في

(١) الكشاف ٣/ ٣٩٨.
(٢) ينظر ما قاله السمين الحلبيُّ في الدر المصون ٩/ ٤٢٨ حول هذا الكلام.
(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٥٣١، والقراءة في القراءات الشاذة ص ١٣٢، والمحتسب ٢/ ٢٣٧، وأبو صالح سلف التعريف به، وعكرمة بن سليمان هو: أبو القاسم المكي، عرض على شبل وغيره، وعرض عليه أحمد بن محمد البزي، بقي إلى المئتين. غاية النهاية ١/ ٥١٥، ومحمد بنُ جُحادة، أحَد الأئمة الثقات، حدَّث عن أنس بن مالك وغيره، وحدَّث عنه شعبة وغيره، توفي سنة (١٣١هـ). سير أعلام النبلاء ٦/ ١٧٤-١٧٥.
(٤) القراءات الشاذة ص ١٣٢.
(٥) المحرر الوجيز ٤/ ٥٣١، وما قبله منه أيضاً.

ضمنِ القول، وهو الذي يحسنُ «أولئك هم المتقون». انتهى.

وقال الزمخشريُّ: أي: صَدَقَ به الناسَ ولم يكذبهم به، يعني: أدَّاهُ إليهم كما نَزَلَ عليه مِن غيرِ تحريف، وقيل: معناه: وصار صادقاً به، أي بسببه، لأنَّ القرآنَ معجزةٌ، والمعجزةُ تصديقٌ مِن الحكيم - الذي لا يَفعل القبيحَ - لِمَن يُجْرِيها على يده، ولا يجوز أَنْ يصدقَ إلَّا الصادق، فيصيرُ لذلك صادقاً بالمعجزة، وقرئ: «وصُدِّقَ به»[1]. انتهى. يعني: مبنيًّا للمفعول مشدَّداً.

وقال صاحب «اللوامح»: «جاء بالصِّدْق» مِن عندِ الله، «وصدقَ» بقوله، أي: في قوله، أو في مَجيئه، فاجتمعَ له الصفتان مِن الصِّدْق؛ مِن صِدْقِه مِن عندِ الله وصِدْقِه بنفسه، وذلك مبالغةٌ في المدح. انتهى.

«لهم ما يشاؤون» عامٌّ في كلِّ ما تَشتهيه أنفسُهم وتتعلَّق به إرادتُهم، و«ليُكَفِّرَ» متعلِّق بالمحسنين، أي: الذين أَحْسَنوا ليُكفِّر، أو بمحذوف، أي: يَسَّرَ ذلك لهم ليُكَفِّر؛ لأنَّ التكفيرَ[2] لا يكون إلَّا بَعْدَ التيسير[3] للخير، و«أَسْوَأَ الذي عَملوا» هو كفرُ أهلِ الجاهليَّة ومعاصي أهلِ الإسلام، والتكفيرُ يدلُّ على سقوطِ العقاب عنهم على أكملِ الوجوه، والجزاء بالأحسن يدلُّ على حصول الثواب على أكملِ الوجوه، فقيل: ذلك يكون إذا صَدقوا الأنبياءَ فيما أَتَوا به.

وقال مقاتل: يجزيهم بالمحاسن مِن أعمالهم، ولا يجزيهم بالمساوئ، وهذا قولُ المرجئة، يقولون: لا يَضُرُّ شيءٌ مِن المعاصي مع الإيمان كما لا ينفع شيء من الطاعات مع الكفر، وكان مقاتلٌ شيخَ المرجئة[4]، واحتجَّ بهذه الآية.

وقام الظاهرُ مقامَ المُضمَر في «المحسنين»، أي: ذلك جزاؤهم، فنبَّه بالظاهر على العلَّة المقتضية لحصولِ الثواب.

---

(١) الكشاف ٣/ ٣٩٨، ولم نقف على القراءة عند غيره.
(٢) بعدها في (د٢): يدل على سقوط العقاب. ولم ترد في النسخ الأخرى، وستأتي قريباً.
(٣) بعدها في (ت): للتفضيل، وهو كقولك: الأشج، ولم ترد في النسخ الأخرى، ولا معنى لها هنا، وستأتي قريباً في مكانها.
(٤) من قوله: كما لا ينفع شيء...، إلى هنا، زيادة من (د٣) و(يه)، ولم ترد في النسخ الأخرى، والكلام من تفسير الرازي ٢٦/ ٢٨١، وأورد قولَ مقاتل أيضاً البغويُّ ٤/ ٧٩.

والظاهر أنَّ «أسوأ» أَفعَل التفضيل، وبه قرأ الجمهورُ، وإذا كَفَّر أَسْوأَ أعمالِهم فتكفيرُ ما هو دونَه أحرى.

وقيل: أَفْعَل ليس للتفضيل، وهو كقولك: الأَشَجُّ أَعدَلُ بني مروان[(١)]، أي: عَادِلٌ، فكذلك هذا، أي: سَيِّئ الذي عَملوا، ويدلُّ على هذا التأويل قراءةُ ابن مقسم وحامد بنِ يحيى عن ابنِ كثير ورواية عن البزي عن ابن كثير «أَسْوَاء» هنا وفي ﴿حمٓ﴾ «السجدة»: بألفٍ بين الواو والهمزة، جمع: سُوء[(٢)]، ولا تفضيلَ فيه.

والظاهر أنَّ «بأَحْسَن» أَفْعَل تفضيل، فقيل: ينظر إلى أحسنِ طاعاته فيجزي الباقي في الجزاء على قياسه وإنْ تخلَّف عنه بالتقصير، وقيل: «بأحسن» ثوابِ أعمالهم، وقيل: «بأحسن» مِن عملهم وهو الجنَّة، وهذا ينبو عنه «بأحسن الذي».

وقال الزمخشريُّ: أمَّا التفضيلُ فإيذان بأنَّ السيِّئَ الذي يَفرُط منهم، مِن الصغائر والزَّلَّات المكفَّرة هو عندَهم الأَسْوأ؛ لاستعظامِهم المعصيةَ، والحَسَن الذي يَعملونه هو: عندَ اللهِ الأَحْسَن؛ لحُسْنِ إخلاصهم فيه، فلذلك ذكر سَيِّئهم بالأسوأِ، وحَسَنَهم بالأَحْسَن[(٣)]. انتهى.

وهو على رأي المعتزلة، ويكون قد استعملَ «أسوأ» في التفضيل ـ على معتَقَدهم ـ وأَحْسَن في التفضيل ـ على ما هو عندَ الله ـ وذلك توزيعٌ في أفعل التفضيل، وهو خلافُ الظاهر.

---

(١) الكشاف ٣/ ٣٩٨.

(٢) المصدر السابق، ولم تُنسَب القراءة فيه، وهي في القراءات الشاذة ص ١٣٢ وعزاها للبزي عن ابنِ كثير، وأوردها عن المصنِّف السمينُ في الدر المصون ٩/ ٤٢٩، وابنُ عادل في اللباب ١٦/ ٥١٥، والآلوسي في روح المعاني ٢٣/ ٤٣٧-٤٣٨، وأما قراءة (حم) السجدة وهي قوله تعالى: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِى كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [فصلت: ٢٧]، فلم نقف عليها عند غيره، وأوردها عنه السمينُ في الدر المصون وابنُ عادل في اللباب في الموضع المشار إليه آنفاً.

(٣) الكشاف ٣/ ٣٩٨.

قالت قريش: لَئِن لَم يَنْتَهِ محمَّد عن تعييبِ آلهتِنا وتعييبِنا، لنُسَلِّطنَّها عليه؛ فتصيبه بخَبَلٍ وتَعتريه بسُوء، فأنزل اللهُ: «أَليسَ اللهُ بكافٍ عبدَهُ»[1] أي: شَرَّ مَن يُريده بشَرٍّ، والهمزة الداخلة على النفي للتقرير، أي: هو كافٍ عبدَه، وفي إضافته إليه؛ تشريفٌ عظيم لنبيِّه.

وقرأ الجمهور: «عَبْدَهُ» وهو رسولُ الله ﷺ، وقرأ أبو جعفر ومجاهد وابنُ وثَّاب وطلحة والأعمش وحمزة والكسائيُّ: «عِبَادَهُ» بالجمع[2]، أي: الأنبياء والمطيعين مِن المؤمنين.

«ويُخوِّفونكَ بالذين مِن دُونه» وهي الأصنام، ولمَّا بُعثَ خالدٌ إلى كَسْرِ العُزَّى، قال له سادِنُها: إنِّي أخافُ عليكَ منها، فلها قوَّة لا يقوم لها شيء، فأَخَذَ خالدٌ الفَأْسَ فهَشَم به وَجْهَها، ثم انصرف[3].

وفي قوله: «ويُخوِّفونكَ» تَهَكُّم بهم؛ لأنَّهم خوَّفوه ما لا يَقدر على نفعٍ ولا ضرٍّ، ونظيرُ هذا التخويف قولُ قومِ هُود له: ﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ﴾ [هود: ٥٤].

وقرئ: «بكافي عبادِهِ» على الإضافة، و«يُكافي عبادَه» مضارع، ونَصْب «عباده»[4]، فاحتمل أنْ يكون مُفَاعلة مِن الكفاية، كقولك: يُجازِي، في: يَجزِي، وهو أبلغُ مِن كفيَ؛ لبنائه على لفظِ المبالغة، وهو الظاهر، لكثرة تَردُّد هذا المعنى في القرآن، كقوله: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ١٣٧]، ويحتمل أنْ يكون مهموزاً مِن المكافأة، وهي المُجازاة، أي: يَجْزِيهم أَجْرَهم.

---

(١) ينظر المحرر الوجيز ٤/ ٥٣٢، والكشاف ٣/ ٣٩٨-٣٩٩، وتفسير القرطبي ١٨/ ٢٨١.

(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٥٣٢، وقراءة حمزة والكسائي في السبعة ص ٥٦٢، والتيسير ص ١٨٨، وقراءة أبي جعفر في النشر ٢/ ٣٦٢-٣٦٣، وفيه أنها أيضاً قراءةُ خَلَف، وهو من العشرة. ينظر تفسير الثعلبي ٥/ ٣٠٥، وتفسير القرطبي ١٨/ ٢٨٠.

(٣) تنظر المصادر في التعليق ما قبل السابق، وفيها أنَّ النبيَّ ﷺ هو الذي بَعَثَ خالداً، والخبر أخرجه الطبريُّ ٢٠/ ٢١٠-٢١١ من قول قتادة، وهو عند عبد الرزاق في التفسير ٢/ ١٧٣ بنحوه.

(٤) الكشاف ٣/ ٣٩٩، وما بعده منه أيضاً، والقراءتان في زاد المسير ٧/ ١٨٤، ونَسبَ القراءةَ الأولى لأُبيّ بن كعب وأبي العالية وأبي الجوزاء والشعبيّ، ونَسَب الثانيةَ لابن مسعود وأبي رجاء العطاردي.

ولمَّا كان تعالى كافي عبدَه، كان التخويفُ بغيرِه عَبَثاً باطلاً، ولمَّا اشتملت الآيةُ على مُهتدِين وضالِّين، أخبر أنَّ ذلك كلّه هو فاعله، ثم قال: «أَليسَ اللهُ بعزيزٍ» أي: غالبٍ مَنيعٍ «ذي انتِقام» وفيه وعيدٌ لقريش، ووَعْدٌ للمؤمنين.

ولمَّا أقرُّوا بالصانع ـ وهو الله ـ أخبرهم أنَّه تعالى هو المتصرِّف في نبيِّه بما أراد، وأنَّ تلك الأصنام التي يَدَّعونها آلهةً مِن دونه لا تكشِف ضرًّا، ولا تُمسك رحمةً، أي: صحَّة وَسَعة في الرزق ونحو ذلك، و: أرأيتم ـ هنا ـ جاريةٌ على وَضْعها، تعدَّت إلى مفعولِها الأوَّل وهو «ما تدعون»، وجاء المفعول الثاني جملةً استفهاميَّة، وفيها العائدُ على «ما»، وهو لفظ «هُنَّ»، وأُنِّث، تحقيراً لها وتعجيزاً وتضعيفاً، وكان فيها من سُمِّيَ تسميةَ الإناث، كالعُزَّى ومناة واللَّات، وأَضافَ إرادةَ اللهِ الضُّرَّ إلى نفسه، والرحمة إليها؛ لأنَّهم خوَّفوه مضرَّتها، فاستسلف منهم الإقرارَ بأنَّ اللهَ خالِقُ العالَم هو اللهُ، ثمَّ استخبرهم عن أصنامِهم، هل تَدفَعُ شَرًّا أو تجلب خيراً.

وقرأ الجمهور: «كاشِفَاتُ» و«مُمْسِكاتُ» على الإضافة، وشيبة والأعرج وعمرو بنُ عبيد وعيسى ـ بخلاف عنه ـ وأبو عمرو وأبو بكر: بتنوينهما ونَصْبِ ما بَعْدَهما[1].

ولمَّا تقرَّر أنَّه تعالى كافِيه، وأنَّ أصنامَهم لا تَضرُّ ولا تَنفع، أَمَرَهُ تعالى أنْ يُعلِم أنَّه تعالى هو حَسْبُه، أي: كافيه، والجواب في هذا الاستخبار محذوفٌ، والتقدير: فإنَّهم سيقولون: لا يَقدر على شيءٍ مِن ذلك.

وقال مقاتل: اسْتَخْبَرَهم، فسَكَتوا[2].

---

(١) أي: «كاشفاتٌ ضُرَّه» و«ممسكاتٌ رحمتَه». المحرر الوجيز ٤/ ٥٣٢-٥٣٣، وفيه أنَّ قراءة الأعرج هي مع قراءة الجمهور، وجاء بدلاً عنها ـ في قراءة التنوين والنصب ـ قراءةُ الحسن. وكذا وردت عن الحسن في تفسير القرطبي ١٨/ ٢٨٢، وأمَّا قراءة أبي عمرو وأبي بكر ـ يعني: شعبة في روايته عن عاصم ـ في السبعة ص ٥٦٢، والتيسير ص ١٩٠، وهي أيضاً قراءة يعقوب، ينظر النشر ٢/ ٣٦٣، وقراءة عاصم المشهورة بغير تنوين كقراءة الجمهور.

(٢) تفسير الثعلبي ٥/ ٣٠٥، وأورده أيضاً البغويُّ ٤/ ٨٠، والقرطبي ١٨/ ٢٨٢، والكشاف ٣/ ٣٩٩، مع الإشارة إلى أنَّ الأخير أورده دون نسبة لمقاتل.

«قلْ يا قومِ اعملوا» تقدَّم الكلامُ على نظيرها[1].

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿٤١﴾ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ ۚ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ۖ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾ قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِى مَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤٨﴾﴾.

لمَّا كان عليه السلام يَعْظُم عليه عدمُ إيمانهم ورجوعِهم إلى ما أنزل اللهُ تعالى عليه، سَلَّاه تعالى عن ذلك، وأخبره أنَّه أنزل عليه «الكتابَ» ـ وهو القرآنُ ـ مصحوباً «بالحقِّ» وهو دينُ الإسلام «للناس» أي: لأَجْلِهم، إذ فيه تكاليفُهم «فمَن اهْتَدَى» فثوابُ هدايته إنَّما هو له، و«مَن ضَلَّ» فعقابُ ضلالِه إنَّما هو عليه.

«وما أنتَ عليهم بوكيل» أي: فتُجْبِرهم على الإيمان، قال قتادة: «بوكيل» بحفيظ[2]، وقال الزمخشريُّ: «للناس» لأَجْلِ حاجتهم إليه؛ ليُبَشَّروا ويُنْذَروا فتقوى دواعيهم إلى اختيارِ الطاعة على المعصية، ولا حاجة لي إلى ذلك؛ فأَنا الغنيُّ، فمَن اختارَ الهدى فقد نَفَعَ نفسَه، ومَن اختارَ الضَّلالة فقد ضَرَّها، وما وُكِّلْتَ عليهم لتُجْبِرهم على الهدى، فإنَّ التكليف مَبنيٌّ على الاختيارِ دونَ الإجبار[3]. انتهى. وهو على مذهب المعتزلة.

---

(١) عند تفسير الآية (١٣٥) من سورة الأنعام.
(٢) أخرجه عنه ـ وعن السديّ أيضاً ـ الطبريُّ ٢٠/ ٢١٤.
(٣) الكشاف ٣/ ٤٠٠.

ولمَّا ذَكَر تعالى أنَّه أنزل الكتابَ على رسوله بالحقِّ للناس، نَبَّهَ على آيةٍ[١] مِن آياته الكُبَر، تدلُّ على الوحدانيَّة لا يَشْرَكُهُ في ذلك صَنَمٌ ولا غيرُه، فقال: «اللهُ يَتوفَّى الأَنْفُسَ حينَ موتِها» والأنفسُ هي: الأرواح، وقيل: النَّفْسُ غيرُ الروح، قاله ابنُ عباس[٢]، فالرُّوح لها تدبيرُ عالَم الحياة، والنَّفْس لها تدبيرُ عالَم الإحساس، وفرَّقت فرقةٌ بين نَفْسِ التَّمييز ونَفْسِ التَّخييل، والذي يدلُّ عليه الحديثُ واللغةُ أنَّ النَّفْسَ والرُّوح مُترادفان، وأنَّ فراقَ ذلك مِن الجسد هو الموت.

ومعنى «يتوفَّى الأنفس» يُميتها «والتي» أي: والأنفس التي «لم تَمُتْ في منامها» أي: يَتوفَّاها حينَ تنام؛ تشبيهاً للنُّوَّام بالأموات، ومنه: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيۡلِ﴾ [الأنعام: ٦٠] فَبَيْنَ الميتِ والنائمِ قَدْرٌ مُشتَرَك، وهو كونهما لا يُميِّزان ولا يَتصرَّفان، «فيُمْسِكُ مَن» قَضَى عليها الموتَ الحقيقيَّ، ولا يردّها في وقتها حيَّةً، «ويُرْسِل» النائمة لجَسَدها إلى أَجَلٍ ضَرَبه لموتها. وقيل: «يتوفَّى الأَنْفُسَ» يَستوفيها ويَقْبِضها، وهي الأنفس التي تكون معها الحياةُ والحركةُ، ويَتوفَّى الأنفسَ «التي لم تمت في منامها»، وهي أنفسُ التمييز، قالوا: فالتي تُتَوفَّى في النوم هي نَفْسُ التمييز لا نَفْس الحياة؛ لأنَّ نَفْسَ الحياة إذا زَالت زَالَ معها النَّفَسُ، والنائم يتنفَّس، وكون النَّفْس تُقبَض والروح في الجَسَد حالةَ النوم، بدليلِ أنَّه يَتقلَّب ويَتنفَّس، هو قولُ الأكثرين، ودَالٌّ على التغاير، وكونُها شيئاً واحداً هو قولُ ابنِ جبير وأَحَدُ قولَي ابنِ عباس[٣]، والخَوضُ في هذا وطَلَبُ إدراكِ ذلك على جَلِيَّته عَنَاءٌ ولا يُوصَل إلى ذلك.

«إنَّ في ذلك» أي: في توفِّي الأنفس مائِتَةً ونائمةً، وإمساكِها وإرسالِها إلى أَجَل «لآيَاتٍ» لَعَلَاماتٍ دالَّة على قُدرة الله وعِلْمه «لقومٍ» يُجيلون فيه أفكارَهم ويَعتبرون.

---

(١) في النسخ: أنه. مع الإشارة إلى أنَّ اللفظة لم تُنقط في النسخة (يه)، والمثبت من المحرر الوجيز ٤/ ٥٣٣، وهو الصواب.

(٢) تفسير الثعلبي ٥/ ٣٠٧، والمحرر الوجيز ٤/ ٥٣٤، والكشاف ٣/ ٤٠٠، والقرطبي ١٨/ ٢٨٥، بنحوه، قال ابنُ حجر في الكافي الشاف ص ١٤٣: لم أجده.

(٣) تنظر المصادر الآنفة الذكر، وينظر أثَر ابنِ جبير وغيرِه عند الطبري ٢٠/ ٢١٥-٢١٦.

وقرأ الجمهور: «قَضَى» مبنيًّا للفاعل، «الموتَ» نصباً، وابنُ وثَّاب والأعمش وطلحة وعيسى وحمزة والكسائيُّ: مبنيًّا للمفعول، «الموتُ» رَفْعاً[١]، و«أم» مُنقطِعةٌ تتقدَّر بـ «بل» والهمزةِ، وهو تقريرٌ وتوبيخٌ، وكانوا يقولون: هؤلاء شفعاؤنا عندنا، والشفاعة إنَّما هي لمَن ارْتَضاه الله وبإذنِه تعالى، وهذا مفقودٌ في آلهتهم، و«أوَلَو» معناه: أيتَّخذونَهم ـ شفعاءَهم ـ بهذه المثابة مِن كونهم لا يَعقلون ولا يَملكون شيئاً، وذلك في غاية النَّقْصِ، فكيف يَشفع هؤلاء؟! وتقدَّم لنا الكلام في «أوَلَو» في سورة البقرة[٢].

وقال ابنُ عطيَّة: متى دخلت ألفُ الاستفهام على واوِ العطف أو فَائه، أَحْدَثت معنى التقرير[٣]. انتهى. وإذا كانوا لا يَملكونَ شيئاً فكيف يَملكون الشفاعةَ؟!

وقال الزمخشريُّ: أي: ولو كانوا على هذه الصِّفة لا يَملكون شيئاً قَطُّ حتى يَملكوا الشفاعةَ ولا عقلَ لهم[٤]. انتهى.

فأتَى بقوله: «قَطُّ»، بَعْدَ قوله: «لا يَملكونَ»، وليس بفعلٍ ماضٍ، و«قَطُّ»: ظَرفٌ يُستَعمل مع الماضي لا مع غيرِه، وقد تكرَّر للزمخشريِّ هذا الاستعمال، وليس باستعمالٍ عربيٍّ.

«قل لله الشفاعة جميعاً» فهو مالكُها يَأذن فيها لمَن شاء، ثم أَتَى بعامٍّ وهو «له ملك السماوات والأرض»، فاندرجَ فيه مُلْكُ الشفاعة، ولمَّا كانت الشفاعةُ مِن غيرِه موقوفةً على إذنه، كانت الشفاعات كلُّها له، ولمَّا أَخبر أنَّ له ملكُ السماواتِ والأرض، هَدَّدهم بقوله: «ثمَّ إليه تُرجعون» فتَعلمون أنَّهم لا يَشفعون، ويَخيب سعيكم في عبادتهم.

وقال الزمخشريُّ: معناه: له ملكُ السماواتِ والأرض اليوم «ثم إليه تُرجعون»

---

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٥٣٤، وقراءة حمزة والكسائي في السبعة ص ٥٦٢، والتيسير ص ١٩٠، وهي أيضاً قراءة خَلَف ـ وهو من العشرة ـ ينظر النشر ٢/ ٣٦٢.

(٢) عند تفسير الآية (١٧٠) منها، وينظر أيضاً عند تفسير الآية (١٠٤) من سورة المائدة.

(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٥٣٤.

(٤) الكشاف ٣/ ٤٠٠.

يومَ القيامة، فلا يكون المُلك في ذلك اليوم إلَّا له، فله ملكُ الدنيا والآخِرة[١].

«وإذا ذُكرَ اللهُ وَحْدَهُ» أي: مُفرَداً بالذِّكر، ولم يُذكَر معه آلهتهم، وقيل: إذا قيل: لا إلَهَ إلَّا اللهُ، «وإذا ذُكرَ الذينَ مِن دُونه» وهي الأصنام، والاشمئزازُ والاستبشارُ متقابلان غايةً؛ لأنَّ الاشمئزازَ امتلاءُ القَلْب غَمًّا وغيظاً، فيَظهر أثَرُه، وهو الانقباضُ في الوَجْه، والاسْتِبْشار امتلأُوه سروراً، فيَظهر أثَره، وهو الانبساط والتهلُّل في الوجه.

وقال الزمخشريُّ[٢]: فإن قلت: ما العامل في «وإذا ذُكرَ»؟ قلت: العامل في «إذا» الفجائيَّة، تقديره: وقتَ ذِكْرِ الذين مِن دُونه فاجَؤوا وقتَ الاستبشار.

وقال الحوفيُّ: «إذا هم يَستبشرون»: «إذا» مُضافَةٌ إلى الابتداء والخبر، و«إذا» مكرَّرة للتوكيد، وحُذف ما تُضاف إليه، والتقدير: إذا كان ذلك «هم يَستبشرون»، فيكون: «هم يَستبشرون» العاملَ في «إذا»، المعنى: إذا كان ذلك استبشروا. انتهى.

أمَّا قولُ الزمخشريِّ فلا أعْلَمه مِن قولِ مَن ينتمي للنَّحْو، وهو أنَّ الظَّرْفَيْن معمولانِ لـ: فاجؤوا، ثمَّ «إذا» الأُولى تنتصب على الظَّرْف، والثانية على المفعول به.

وأمَّا قولُ الحوفيّ فبعيدٌ جِدًّا عن الصواب، إذ جعل «إذا» مضافةً إلى الابتداء والخبر، ثم قال: و«إذا» مكرّرة للتوكيد، وحُذفَ ما تُضاف إليه إلى آخِرِ كلامه، فإذا كانت «إذا» حُذفَ ما تضاف إليه، فكيف تكون مضافةً إلى الابتداء والخبر الذي هو «هم يَستبشرون»؟!

وهذا كلُّه يوجِبه عَدَمُ الإتقانِ لعِلْم النَّحْو والتحذُّق فيه، وقد تقدَّم لنا في مواضعَ «إذا» التي للمفاجأة جواباً لـ «إذا» الشَّرْطيَّة، وقد قرَّرنا في عِلْم النَّحْو الذي كتبناه: أنَّ «إذا» الشَّرْطيَّة ليست مضافةً إلى الجملة التي تَليها وإن كان مذهبَ الأكثرين، وأنَّها ليست بمعمولةٍ للجواب، وأقمنا الدليلَ على ذلك، بل هيَ معمولةٌ للفعل الذي يَليها، كسائر أسماء الشَّرْطِ الظرفيَّة، و«إذا» الفجائيَّة رابطةٌ لجملة الجزاء

(١) المصدر السابق ٣/ ٤٠١، وما بعده منه أيضاً.
(٢) الكشاف ٣/ ٤٠١، وما قبله منه أيضاً.

بجُملة الشَّرْط كالفاء، وهي معمولةٌ لِمَا بَعْدَها إنْ قُلنا: إنَّها ظرفٌ، سواء كان زماناً أم مكاناً، ومَن قال: إنَّها حرفٌ فلا يَعمل فيها شيء، فـ «إذا» الأُولى معمولةٌ لـ «ذُكِرَ»، والثانية معمولةٌ لـ «يَستبشرون».

ولمَّا أخبر عن سَخَافة عقولِهم باشمئزازهم مِن ذِكْرِ اللهِ واستبشارِهم بذِكْر الأصنام، أَمَرَهُ أنْ يَدعوَ بأسماءِ اللهِ العُظْمى؛ مِن القُدْرة والعِلْم ونِسبة الحُكْم إليه، إذ غيرُه لا قدرةَ له ولا عِلْم تامّ ولا حُكْم، وفي ذلك وَصْفٌ لحالِهم السَّيِّئ، ووعيدٌ لهم، وتسليةٌ للرَّسول عليه السلام، وتقدَّم الكلامُ في «اللَّهمَّ»، في سورة «آلِ عمران»[1].

«ولو أنَّ للذين ظَلَموا» تقدمَّ الكلامُ على شَبيهه في «العقود»[2].

«وبَدَا لهم مِن اللهِ» أي: كانت ظُنُونهم في الدُّنيا مُتفرِّقة حَسَب ضلالاتِهم وتخيُّلاتهم فيما يَعتقدونه، فإذا عايَنوا العذابَ يومَ القيامة، ظَهَرَ لهم خلافُ ما كانوا يَظنُّون وما كان في حِسَابهم. وقال سفيان الثوريُّ: وَيْلٌ لأهل الرِّياء مِن هذه الآية[3].

«وحَاقَ بهم ما كانوا» أي: جزاء ما كانوا، و«ما» في «ما كسبوا» يَحتمل أن تكون بمعنى «الذي» أي: سيئاتُ أعمالهم، وأنْ تكونَ مصدريَّة، أي: سيئاتُ كَسْبِهم، والسَّيِّئات: أنواعُ العذابِ، سُمِّيت سيئات، كما قال: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ﴾ [الشورى: ٤٠].

﴿فَإِذَا مَسَّ ٱلۡإِنسَٰنَ ضُرّٞ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلۡنَٰهُ نِعۡمَةٗ مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمِۭۚ بَلۡ هِيَ فِتۡنَةٞ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٤٩﴾ قَدۡ قَالَهَا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿٥٠﴾ فَأَصَابَهُمۡ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْۚ وَٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡ هَٰٓؤُلَآءِ سَيُصِيبُهُمۡ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْ وَمَا هُم بِمُعۡجِزِينَ ﴿٥١﴾ أَوَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿٥٢﴾ ۞ قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن

(١) عند تفسير الآية (٢٦) منها.
(٢) يعني: سورة المائدة، والكلام فيها عند تفسير الآية (٣٦) منها.
(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٥٣٥، والكشاف ٣/ ٤٠١، وتفسير القرطبي ١٨/ ٢٩١.

رَّحْمَةِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾﴾.

تقدَّم في غيرِ آيةٍ كون الإنسانِ إذا مسَّه الضُّرُّ الْتَجأ إلى الله مَعَ اعتقادِهم الأوثانَ وعبادتها، فإذا أصابتهم شِدَّة نَبذُوها وَدَعَوا ربَّ السماوات والأرض، وهذا يدلُّ على تناقُضِ آرائهم وشِدَّة اضطِرابها، والإنسان جنسٌ، و«ضُرّ» مُطلَق، والنِّعمة عامَّة في جميع ما يسرّ، ومن ذلك إزالة الضُّرّ.

وقيل: الإنسان معيَّن، وهو [أبو] حذيفةُ بنُ المغيرة[1].

والظاهر أنَّ «ما» في «إنَّما» كافَّة مُهَيِّئة لدخولِ «إنَّ» على الجملة الفعليَّة، وذُكِّرَ الضمير في «أوتيته» وإن كان عائداً على النِّعمة؛ لأنَّ معناها مُذَكَّرٌ ـ وهو الإنعام ـ أو المالُ على قولِ مَن شَرَح النِّعمة بالمالِ، أو المعنى: شيئاً مِن النِّعمة، أو لأنَّها تشتمل على مُذكَّر ومؤنَّث، فغلبَ المذكَّر.

وقيل: «ما» موصولة، والضمير عائدٌ على «ما»، أي: قال: إنَّ الذي أُوتيته على عِلْم مِنّي، أي: بوَجْه المكاسِب والمتاجر، قاله قتادة[2]، وفيه إعجابٌ بالنَّفْس وتعاظم مُفرِط، أو: «على عِلْم» مِن الله فيَّ، واستحقاقِ حُرْته عندَ الله، وفي هذا اغترارٌ بالله وعَجْزٌ وتَمَنٍّ على الله، أو: «على علم» منِّي بأنِّي سأُعطاه؛ لما فيَّ مِن فَضْلٍ واستحقاق.

«بَل هيَ فتنةٌ» إضرابٌ عن دَعْوَاه أنَّه إنَّما أُوتِيَه على عِلْمٍ، بل تلك النِّعمة فتنةٌ وابتلاءٌ، ذكَّر أوَّلاً في «أُوتيته» على المعنى إذ كانت «ما» مهيئة، ثمَّ عاد إلى اللفظ فأنَّث في قوله: «بل هي»، أو تكون هي عادت على الإتيانة، أي: بل إتيانته النِّعمة فتنةٌ.

(١) النكت والعيون ٥/ ١٣٠، وزاد المسير ٧/ ١٨٨، وتفسير القرطبي ١٨/ ٢٩٢، ولفظة: أبو. استدركت منها. وأبو حذيفة: مِهْشَم بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس، أسلم قبل دخولهم دار الأرقم، واستشهد يوم اليمامة سنة (١٢هـ). السيرة النبوية لابن هشام ١/ ٢٦٠، والثقات لابن حبان ٣/ ٣٩٨، والسير ١/ ١٦٤-١٦٧.

(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٥٣٦، وما بعده منه أيضاً، والخبر عند الطبريّ ٢٠/ ٢٢١بنحوه.

وكان العطفُ هنا بالفاء في «فإذا»، وبالواو في أوَّل السورة[1]؛ لأنَّها وقعت مسبَّبة عن قوله: «وإذا ذُكِرَ اللهُ» أي: يَشْمَئِزُّونَ عن ذِكْر اللهِ ويَستبشرون بذِكْر آلهتهم، فإذا مَسَّ أَحَدَهم ضُرٌّ، دعا مَن اشمأزَّ مِن ذِكْرِه دونَ مَنِ استبشر بذِكْرِه.

ومناسبة السَّبَبيَّة أنَّكَ تقول: زيدٌ مؤمنٌ، فإذا مَسَّه الضُّرُّ الْتَجَأَ إلى الله، فالتَّسبيب في هذا ظاهر، و: زيدٌ كافرٌ، فإذا مسَّه الضُّرُّ الْتَجَأَ إليه، تُقيم كفرَه مقامَ الإيمان في جَعْلِه سبباً للالتجاء، تحكي عكسَ ما فيه الكافِر، تَقصِدُ بذلك الإنكارَ والتَّعْجِيبَ مِن فِعْلِه المتناقض، حيث كَفَرَ بالله ثم الْتَجَأَ إليه في الشدائد.

وأمَّا الآية فلم تَقَع مسبّبة، بل ناسَبت ما قَبْلَها، فعطفت عليه بالواو، وإذا كانت «فإذا» متَّصلةً بقوله: «وإذا ذُكِرَ اللهُ وَحْدَهُ» كما قلنا، فما بينهما مِن الآي اعتراضٌ يُؤكّد به ما بين المتَّصلين، فدُعاءُ الرَّسول ربَّه بأمْرٍ منه، وقوله: «أنتَ تَحكُم» وتَعقيبه الوعيدَ تأكيدٌ لإنكارِ اشمئزازهم واستبشارهم ورجوعهم إلى الله في الشدائد دونَ آلهتهم، وقوله: «ولو أنَّ للذينَ ظَلَموا» مُتناوِلٌ لهم ولكلِّ ظالم إنْ جُعلَ مُطلقاً، أو إيَّاهم خاصَّةً إن عُنُوا به[2]. انتهى.

وهو مُلْتَقَطٌ أكثرُه مِن كلام الزمخشريِّ، وهو متكلِّف في رَبْطِ هذه الآية بقوله: «وإذا ذُكِرَ الله وَحْدَه اشْمَأَزَّت» مع بُعْدِ ما بَينهما مِن الفواصل، وإذا كان أبو عليٍّ الفارسيّ لا يُجيز الاعتراضَ بجُملتين، فكيف يُجيزه بهذه الجُمل الكثيرة.

والذي يَظهر في الرَّبْط أنَّه لمَّا قال: «ولو أنَّ للذين ظَلَموا» الآية، كان ذلك إشعاراً بما يَنال الظالمين مِن شِدَّة العذاب، وأنَّه يَظهر لهم يومَ القيامة مِن العذاب ما لَمْ يَكن في حِسَابهم، أَتْبَعَ ذلك بما يدلُّ على ظُلْمه وبَغْيه، إذ كان إذا مسَّه ضُرٌّ دَعَا اللهَ، فإذا أَحْسَنَ إليه لم يَنسُب ذلك إليه.

ثمَّ إنَّه يَبدو له مِن تلك النِّعمة أنَّها ابتلاءٌ وفتنة، كما بَدَا له في الآخِرةِ مِن عمله ـ الذي كان يظنُّه صالحاً ـ ما لم يكن في حِسَابه؛ مِن سُوء العذاب المترتِّب على

(١) أي: في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ﴾ [الآية:٨].
(٢) الكشاف ٣/ ٤٠٢-٤٠٣.

ذلك العمل تَرتُّب الفتنة على تلك النعمة. «ولكنَّ أكثرَهم لا يعلمون» أي: أنَّ ذلك استدراجٌ وامتحان.

«قد قالها الذين» أي: قال مِثْلَ مقالتهم «إنَّما أُوتيته على علم»، والظاهر أنَّ قائلي ذلك جماعةٌ مِن الأُمم الكافرة الماضية، كقارون في قوله: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ﴾ [القصص:٧٨].

وقيل: «الذين مِن قَبْلِهم» هم قارونُ وقومُه؛ إذ رَضُوا بمقالته، فنسبَ القول إليهم جميعاً.

وقُرِئَ: «قَدْ قالهُ» أي: قالَ القولَ أو الكلامَ[١].

«فما أَغنى عنهم» يَجوز أَنْ تكون «ما» نافية، وهو الظاهر، وأَنْ تكون استفهاميَّةً فيها معنى النفي، «ما كانوا يَكسبون» أي: مِن الأموال.

«والذين ظَلَموا مِن هؤلاء» إشارة إلى مُشْرِكي قريش، «سَيُصيبهم سيئاتُ ما كسبوا» جاء بسينِ الاستقبال التي هي أقلُّ تنفيساً في الزَّمان مِن «سوف»، وهو خبرُ غيب، أَبرزه الوجودُ في يوم بدر وغيرِه؛ قُتِلَ رؤساؤهم وحُبسَ عنهم الرِّزقُ، فلم يُمْطَرُوا سبعَ سنين، ثم بُسِطَ لهم فمُطِروا سبعَ سنين، فقيل لهم: «أَوَلَم تعلموا» أنَّه لا قابضَ ولا باسطَ إلَّا الله تعالى[٢].

«قل يا عباديَ الذين أَسْرَفوا» نزلت في وَحْشِيٍّ قاتلِ حمزة، قاله عطاء، أو في قوم آمَنُوا: عيَّاش بن ربيعة والوليد بن الوليد ونَفَرٌ معهما، فَفَتَنَتْهم قريش، فافْتُتِنُوا وظَنُّوا أَنْ لا توبةَ لهم، فكتب لهم عُمر بهذه الآية، قاله عمر والسُّدِّيُّ وقتادة وابنُ إسحاق، وقيل: في قوم كُفَّار مِن أهلِ الجاهليَّة، قالوا: وما يَنْفَعنا الإسلام وقد زَنَيْنا وقَتَلْنا النَّفْسَ وأَتَيْنا كلَّ كبيرةٍ[٣]؟!

---

(١) الكشاف ٣/ ٤٠٣، ولم نقف على القراءة عند غيره، ونقلها عنه الآلوسي في روح المعاني ٢٣/ ٤٥٤.

(٢) المصدر السابق.

(٣) الكلام بتمامه من المحرر الوجيز ٤/ ٥٣٧ لكن دون ذِكْر: عياش بن ربيعة في الخبر الثاني، وذُكَر مكانه: هشام بن العاصي، وكلاهما ذُكرا في خبرٍ عن شأن هجرتهما مع سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ، والخبر بتمامه في السيرة النبوية لابن هشام ١/ ٤٧٥-٤٧٦، وأخرجه من

ومناسبتها لمَا قَبْلَها أنّه تعالى لمَّا شدَّد على الكفَّار وذَكَر ما أعدَّ لهم مِن العذاب، وأنَّهم لو كان لأَحَدهم ما في الأرض ومِثْله معه لافْتَدَى به مِن عذاب اللهِ، ذَكَر ما في إحسانِه مِن غفرانِ الذنوب إذا آمَنَ العَبْدُ ورَجَعَ إلى الله، وكثيراً تأتي آياتُ الرحمة مع آياتِ النّقمة؛ ليَرْجُوَ العبدُ ويَخاف.

وهذه الآيةُ عامَّة في كلِّ كافرٍ يَتوب، ومؤمنٍ عاصٍ يَتوب تَمحو الذَّنْبَ توبَتُه، وقال عبدُ الله وعليّ وابنُ عُمر: هذه أرجى آيَة في كتاب الله[1]. وتقدَّم الخلاف في قراءة «لا تَقْنطوا» في «الحِجْر»[2].

= طريق ابنِ إسحاق، عن نافع، عن ابن عمر، عن عمر، الطبريُّ في التفسير ٢٠/ ٢٢٧، والثعلبيّ ٥/ ٣١١، والواحديُّ في أسباب النزول ص ٣٩٠-٣٩١، وأورده البغوي ٤/ ٨٣، والقرطبيُّ ١٨/ ٢٩٤.
وأخرجه أيضاً الطبريُّ في التفسير ٢٠/ ٢٢٧-٢٢٨ من قول ابنِ عمر، وأورده الثعلبيُّ ٥/ ٣١١، والواحديُّ في أسباب النزول ص ٣٨٩-٣٩٠، والبغويُّ ٤/ ٨٣.
مع الإشارة إلى أنَّ عياش بنَ ربيعة، ورد في معظم المصادر: عياش بن أبي ربيعة - وهو: ابن المغيرة بن عبد الله بن عمرو المخزومي - وهو الصواب، وترجمته في الإصابة ٧/ ١٨٤-١٨٥ وقصَّته أوردها أيضاً ابن حجر في الإصابة ١٠/ ٢٤٦ في ترجمة هشام بن العاصي، وصحَّح إسنادها، في حين ورد في إعراب القرآن للنحاس ٤/ ١٦: عياش بن عتبة. وفي تفسير القرطبي ١٨/ ٢٩٤: عياش بن أبي ربيعة بن عتبة. في أوَّل ذِكْرٍ له عنده، وفي الذِّكْر الثاني: عياش بن عتبة.
وأمَّا خبرُ عطاءٍ الأول في وحشي، فأخرجه الطبريُّ ٢٠/ ٢٢٥، وأورده أيضاً القرطبيُّ ١٨/ ٢٩٥ وعزاه أيضاً لابن عباس، والماورديُّ في النكت والعيون ٥/ ١٣١ وعزاه للحسن والكلبي، وأورد أيضاً القرطبيُّ الخبرَ من طريق ابن جريج، عن عطاء، عن ابن عباس، وهو عند البيهقي في شعب الإيمان (٧١٤٠)، والواحدي في أسباب النزول ص٣٤٩-٣٥٠.
وأمَّا الخبر الأخير فأورده أيضاً الثعلبي ٥/ ٣١١ وعزاه لقتادة، وأورده أيضاً الواحديُّ في أسباب النزول ص ٣٨٩-٣٩٠، والقرطبيُّ ١٨/ ٢٩٤-٢٩٥، ونسباه لابن عباس، وهو عند البخاري (٤٨١٠)، ومسلم (١٢٢).

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٥٣٧، ويعني بعبد اللهِ ابنَ مسعود، وأورده أيضاً عن ابن مسعود وابن عَمرو السمرقنديُّ في التفسير ٣/ ١٥٥، والقرطبيُّ عن علي وابنِ عمر، والماورديُّ في النكت والعيون عن عليٍّ ﷺ.
(٢) عند تفسير الآية (٥٦)، حيث قرأ أبو عمرو والكسائي وخَلَف ويعقوب: بكسر النون، وقرأ الباقون بالفتح. ينظر تخريج القراءة ثمَّة.

«إنَّ اللهَ يَغفِرُ الذنوبَ جميعاً» عامٌّ يُراد به ما سوى الشِّرْك، وهو مقيَّد أيضاً في المؤمن العاصي غيرِ التائب بالمشيئة.

وفي قوله: «يا عبادي» بإضافتِهم إليه وندائِهم إقبالٌ وتشريفٌ، و«أسرفوا على أنفسِهم» أي: بالمعاصي، والمعنى: إنَّ ضَرَرَ تلك الذنوب إنَّما هو عائدٌ عليهم، والنهي عن القُنُوط يقتضي الأمْرَ بالرَّجاء، وإضافة الرحمة إلى الله التفاتٌ مِن ضميرِ المتكلِّم إلى الاسم الغائب؛ لأنَّ في إضافتها إليه سَعَة للرَّحمة إذ أُضيفت إلى الله الذي هو أَعظمُ الأسماء؛ لأنَّه العَلَم المحتوي على معاني جميعِ الأسماء، ثم أَعاد الاسمَ الأعظمَ وأكّد الجملةَ بـ «إنَّ» مبالغةً في الوَعْد بالغفران، ثم وَصَفَ نفسَه بما سَبَقَ في الجملتين مِن الرحمة والغفران بصفتَي المبالغة، وأكّد بلفظ «هو» المقتضي عند بعضِهم الحَصْر.

وقال الزمخشريُّ: «إنَّ اللهَ يَغفرُ الذنوبَ جميعاً» بشَرْط التوبة، وقد تكرَّر ذِكْرُ هذا الشَّرْط في القرآن، فكان ذِكْره فيما ذُكرَ فيه ذِكْراً له فيما لم يُذكَر فيه؛ لأنَّ القرآنَ في حُكم كلامٍ واحد، ولا يَجوز فيه التناقضُ[(١)]. انتهى. وهو على طريقة المعتزلة في أنَّ المؤمنَ العاصيَ لا يُغفَر له إلَّا بشرط التوبة.

ولمَّا كانت هذه الآيةُ فيها فُسْحَةٌ عظيمة للمُسْرِف، أَتبعها بأنَّ الإنابةَ ـ وهي الرجوع ـ مطلوبةٌ مأمورٌ بها، ثم تَوعَّد مَن لم يَتُب بالعذاب حتى لا يَبقى المَرْءُ كالمهمل مِن الطاعة، والمُتَّكل على الغفران دونَ إنابة.

وقال الزمخشريُّ: وإنَّما ذَكَر الإنابةَ على إثْرِ المغفرة؛ لئلا يَطمعَ طامعٌ في حصولها بغيرِ توبة، وللدلالة على أنَّها شَرْط فيها لازمٌ لا تَحصُل بدونه[(٢)]. انتهى. وهو على طريقة الاعتزال.

«واتَّبِعوا أَحْسَنَ ما أُنزلَ إليكم مِن ربِّكم» مِثْل قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓۚ﴾ [الزمر:١٨] وهو القرآنُ، وليس المعنى أنَّ بعضَه أحسنُ مِن بعض، بل كلُّه حَسَنٌ، «مِن قَبْلِ أنْ يأتيَكم العذابُ بغتةً» أي: فجأة «وأنتم لا تشعرون» أي: وأنتم غافلونَ عن حُلوله بكم، فيكون ذلك أَشَدَّ في عذابكم.

---

(١) الكشاف ٣/ ٤٠٣.

(٢) المصدر السابق.

﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِي لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٩﴾ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ وَيُنَجِّي ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾﴾.

رُويَ أنَّه كان في بني إسرائيل عَالِمٌ تَرَكَ عِلْمَه وفَسَق، أتَاه إبليسُ فقال له: تَمتَّع مِن الدُّنيا، ثم تُبْ. فأَطَاعه، وأنفق مالَه في الفُجُور، فأَتَاهُ مَلَكُ الموتِ في أَلَذِّ ما كان، فقال: يا حَسْرَتا على ما فرَّطت في جَنْب اللهِ، ذَهَبَ عُمري في طاعةِ الشيطان وأسخطتُ ربِّي. فَندِمَ حينَ لم يَنفعه النَّدَمُ، فأنزلَ اللهُ خبرَه[1].

«أنْ تقول» مفعولٌ مِن أجله، فقدَّره ابنُ عطيَّة: أي: أَنيبوا مِن أَجْلِ «أنْ تقول»، والزمخشريُّ كراهةَ «أنْ تقول»[2]، والحَوفيُّ: أَنذرناكُم مخافةَ «أنْ تقول».

ونكّر «نَفْس» لأنَّه أُريدَ بها بعضُ الأنفس، وهي نفسُ الكافر، أو أُريد به التكثير، كما قال الأعشى:

وربَّ بَـقـيـعٍ لـو هَـتَـفْـتُ بـجـوِّهِ   أَتاني كريمٌ يَنْفُضُ الرأسَ مُغْضَبا[3]

يريد: أفواجاً مِن الكِرام يَنْصُرونه لا كريماً واحداً، أو أُريد نفسٌ متميِّزة مِن الأنْفُس؛ باللِّجاج الشديد في الكُفْر، أو بعذابٍ عظيم، قال هذه المُحتملات الزمخشريُّ[4]، والظاهر الأوَّل.

وقرأ الجمهور: «يا حَسْرتَى» بإبدال ياءِ المتكلِّم ألفاً، وأبو جعفر: «يا حَسْرَتي»

---

(١) تفسير الثعلبيّ ٥/٣١٦-٣١٧ من رواية أبي صالح، ونقلها عنه القرطبيُّ ١٨/٣٠١، وأوردها أيضاً الزمخشريُّ في الكشاف ٣/٤٠٤ ولم ينسبها.

(٢) المحرر الوجيز ٤/٥٣٨، والكشاف ٣/٤٠٤.

(٣) الكشاف ٣/٤٠٤، والبيت في ديوان الأعشى ص ١٦٥، والبقيع: موضعٌ فيه شجر من ضروب شتَّى، وهتفت بجوِّه: دعوت مستنجداً.

(٤) الكشاف ٣/٤٠٤.

بياء الإضافة[١]، وعنه: «يا حَسْرَتاي» بالألف والياء؛ جَمْعاً بين العِوَض والمعوّض، والياء مفتوحة أو ساكنة[٢].

وقال أبو الفضل الرازيُّ في تصنيفه كتاب «اللوامح»: ولو ذَهَبَ ذاهبٌ إلى أنَّه أرادَ تثنيةَ الحَسْرَة، مِثْل: لَبَّيْكَ وسَعْدَيْكَ، لأنَّ معناهما: لَبٌّ بَعْدَ لَبٍّ[٣]، وسَعْدٍ بَعْدَ سَعْد، فكذلك هذه الحَسْرة بَعْدَ حسرةٍ؛ لكثرة حَسَرَاتهم يومئذٍ، أو أراد حَسْرَتَيْن فقط؛ مِن فَوْتِ الجنَّة، ولدخولِ النَّار = لكانَ مذهباً، ولكان ألفُ التثنية في تقدير الياء على لغة بلحارث بن كعب. انتهى.

وقرأ ابنُ كثير في الوقف: «يا حَسْرَتَاه» بهاء السكت[٤]، قال سيبويه: ومعنى نداءِ الحَسْرَة والوَيْل: هذا وَقْتُك فاحْضُري[٥].

والجَنْب: الجَانِب، ومستحيلٌ على اللهِ الجارِحَة، فإضافةُ الجَنْبِ إليه مجازٌ، قال مجاهد والسُّدِّيُّ: في أَمْرِ الله، وقال الضحاك: في ذِكْرِ اللهِ، يعني: القرآن والعمل به، وقيل: في جهة طاعتِه[٦].

والجَنْب والجانِب: الجهةُ، وقال الشاعر:

---

(١) المحرر الوجيز ٥٣٨/٤، وهي في الكشاف ٤٠٤/٣ دون نسبة، وفي زاد المسير ١٩٢/٧ وعزاها للحسن وأبي العالية وأبي عمران وأبي الجوزاء، والقراءة ذكرها أيضاً ابنُ خالويه في القراءات الشاذة ص ٣٢ وعزاها للحسن وابن أبي إسحاق.

(٢) المحرر الوجيز ٥٣٨/٤، وتفسير القرطبي ٢٩٨/١٨، والقراءة في النشر ٣٦٣/٢، والمحتسب ٢٣٧/٢، والقراءات الشاذة ص ١٣١.

(٣) ورد في مجالس ثعلب ١٢٩/١: معنى: لبَّيْكَ: إجابةً بعد إجابة لك، ويقال: لَبَّ بالموضع: إذا أقام به، وأنشد:

لَبَّيْكُما لَبَّيْكُما ها أَنَذا لَدَيْكُما

وزاد في تهذيب اللغة ٧٠/٢ (سعد): إلباباً بعد إلباب، أي: لزوماً لطاعتك بعد لزوم.

(٤) وقرأ بها أيضاً رويس عن يعقوب، ينظر النشر ١٣٦/٢ و٣٦٣، والرواية عن ابنِ كثير في القراءات الشاذة ص ١٣١ وعزاها أيضاً لرواية عن عاصم.

(٥) المحرر الوجيز ٥٣٨/٤، ولم نقف على كلام سيبويه في كتابه.

(٦) ينظر النكت والعيون ١٣٢/٥-١٣٣، وتفسير الثعلبي ٣١٦/٥، والمحرر الوجيز ٥٣٨/٤، وتفسير القرطبي ٢٩٨/١٨، وإعراب القرآن للنحاس ١٧/٤، وقول مجاهد أخرجه الطبريُّ ٢٣٤/٢٠.

أَفي جَنْبِ بَكْرٍ قَطَّعَتْني مَلَامَةً سُلَيْمى لَقَد كانت مَلَامَتُها ثِنَى[(١)]

وقال الرَّاجِز:

النَّاسُ جَنْبٌ والأَميرُ جَنْبُ[(٢)]

ويقال: أَنَا في جَنْب فلانٍ وجانِبِه وناحِيَته، وفلانٌ لَيِّنُ الجَنْب والجانِب، ثم قالوا: فَرَّط في جَنْبِه، يريدون حقّه، قال سابقٌ البَرْبَريّ:

أَمَّا تَتَّقِينَ اللهَ في جَنْبِ عَاشِقٍ لهُ كَبِدٌ حَرَّى عَلَيكِ تَقَطَّعُ[(٣)]

وهذا مِن بابِ الكِناية؛ لأنَّكَ إذا أَثْبَتَّ الأَمْرَ في مكانِ الرّجل وحَيِّزِه، فقد أَثْبَتَه فيه، أَلَا ترى إلى قوله:

إنَّ السَّمَاحَةَ والمُرُوءةَ والنَّدَى في قبَّة ضربت على ابنِ الحَشْرَجِ[(٤)]

---

(١) تفسير الثعلبي ٥/٣١٦، والمحرر الوجيز ٤/٥٣٨، والبيت لكعب بن زهير، وهو في ديوانه ص ١٤، واللسان (ثني)، مع الإشارة إلى أنَّ لفظة: بكر، وقعت في النسخ الخطية للبحر ومطبوعه هكذا: تكنى، والمثبت من الديوان والمصادر، وورد في المصادر أيضاً: لعمري، بدل: سليمى. وورد عند الثعلبي: بِيَا، بدل: ثِنَى. ومعنى البيت: فعلت ما فعلت من أجل بكرٍ الذي نحرته لأضيافي، ومعنى: ثِنَى: مرَّة تلو مرَّة.

(٢) تفسير الثعلبي ٥/٣١٦، والمحرر الوجيز ٤/٥٣٨، وتفسير القرطبي ١٨/٢٩٩، والرجز في معاني القرآن للأخفش ١/٤٤٥-٤٤٦ دون نسبة، ونقله عنه الجوهريُّ في الصحاح، وابنُ منظور في اللسان (جنب)، وأورده أيضاً الأزهري في تهذيب اللغة ١١/١٢٢ (جنب) مرويًّا عن الليث.
ومع الإشارة إلى أنَّه ورد قَبْلَه عند القرطبيّ: قُسِمَ مجهوداً لذاك القلبُ. وفسَّر الرجَزَ بقوله: الناسُ من جانب، والأميرُ من جانب.

(٣) الكشاف ٣/٤٠٤، وورد في مطبوعه ومخطوطه الورقة (٢٤٧): وامق، بدل: عاشق، والبيت في تفسير القرطبي ١٨/٢٩٩، والحماسة البصرية ٢/١٢٢ منسوباً لكُثَيِّر، وهو في ديوانه ص ١٧٧، وفيه: حُبٌ، بدل: جَنْب، و: تصدَّع، بدل: تقطَّع، ونُسبَ أيضاً لجميل بثينة، وهو في ديوانه ص ١١٨، وورد أيضاً في جمهرة الأمثال ١/٢٢٨ دون نسبة؛ ومعنى قوله: حرَّى: تأنيث حرَّان من الحَرِّ، وهما للمبالغة، أي: لشِدَّة حَرِّها قد عطشت ويبست من العطش. تاج العروس (حرر).

(٤) الكشاف ٣/٤٠٤، والبيت لزياد بن سليمان الأعجم يمدح فيه عبدَ الله بنَ الحشرج، وهو في الأغاني ١٥/٣٨٦، ودلائل الإعجاز للجرجاني ص ٣٠٦، ومعاهد التنصيص ٢/١٧٣.

ومنه: قولُ الناس: لمكانِكَ فَعَلْتُ كَذَا، يريدون: لأَجْلِكَ، وكذلك: فَعَلْتُ هذا مِن جِهَتِك، و«ما» في «ما فَرَّطْت» مصدريَّة، أي: على تفريطي في طاعةِ الله.

«وإنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ» قال قتادة: لم يَكْفه أَنْ ضَيَّعَ طاعةَ اللهِ حتى سَخِرَ مِن أهلها. وقال الزمخشريُّ[1]: ومحلُّ «وإنْ كنتُ» النصب على الحال، كأنَّه قال: فَرَّطْتُ وأَنَا سَاخِرٌ، أي: فرَّطْتُ في حال سُخْرِيتي. انتهى.

ويَظهر أنَّه استئنافُ إخبارٍ عن نفسِه بما كان عليه في الدنيا لا حال.

«أَو تَقُولَ لَو أنَّ اللهَ هَدَانِي» أي: خَلَقَ فيَّ الهداية، وقال الزمخشريُّ: الهداية بالإلجاء؛ وهو خارجٌ عن الحِكْمة، أو بالإلطاف؛ ولم يكن مِن أهلها فيلطف به، أو بالوحي؛ فقد كان، ولكنَّه أعرض ولم يَتبعه حتى يهتدي، وإنَّما يقول هذا؛ تحيُّراً في أَمْرِه، وتَعلُّلاً بما لا يجدي عليه، كما حكى عنهم التَّعلُّل بإغواء الرؤساء والشياطين، ونحوُه: ﴿لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْ﴾[2] [إبراهيم: ٢١] انتهى. وهو على طريقة الاعتزال.

وانتصب «فَأَكونَ» على جواب التمنِّي الدَّالِّ عليه «لو»، أو على «كرَّة» إذ هو مصدر، فيكون مِثْلَ قولِه:

فمالَكَ منها غيرُ ذِكْرى وحَسْرَةٍ ... وتَسْأَلَ عن رُكْبانها أَيْنَ يَمَّمُوا[3]

وقول الآخَر:

لَلُبْسُ عَبَاءَةٍ وتَقَرَّ عَيْنِي ... أَحَبُّ إليَّ مِن لُبْسِ الشُّفُوفِ[4]

---

(١) الكشاف ٣/ ٤٠٤، وما قبله منه أيضاً، وقول قتادة عند الطبريّ ٢٠/ ٢٣٥.
(٢) الكشاف ٣/ ٤٠٤-٤٠٥.
(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٥٣٨، وتفسير القرطبيّ ١٨/ ٣٠٠-٣٠١ نقلاً عن الفرَّاء، والبيت في معاني القرآن له ٢/ ٤٢٣ دون نسبة، وورد فيه وفي المحرر: وحسبة، بدل: وحسرة، في حين ورد عند القرطبي: وخشية.
(٤) تفسير القرطبي ١٨/ ٣٠٠، وإعراب القرآن للنحاس ٤/ ١٨، والبيت لميسون بنت بحدل الكلبية، وسلف في تفسير سورة النساء، عند تفسير الآية (٨٩) منها.

والفَرْقُ بينهما؛ أنَّ الفاءَ إذا كانت في جواب التَّمنِّي كانت «أنْ» واجبةَ الإضمار، وكان الكونُ مترتِّباً على حصولِ المُتمنَّى لا مُتَمنَّى، وإذا كانت للعَطْف على «كَرَّة» جاز إظهارُ «أنْ» وإضمارُها، وكان الكونُ مُتَمنَّى.

«بلى» هو حرفُ جواب لمَنفِيٍّ، أو لداخلٍ عليه همزةُ التقرير، ولمَّا كان قوله: «لو أنَّ اللهَ هداني» وجوابه متضمِّناً نفيَ الهداية، كأنَّه قال: ما هداني اللهُ. فقيل له: «بلى قد جاءَتْكَ آياتي» مُرْشِدةً لكَ «فكذَّبت».

وقال الزمخشريُّ: رَدٌّ مِن اللهِ عليه، ومعناه: بلى قد هُديتَ بالوحي[1]. انتهى. جرياً على قواعدِ المعتزلة.

وقال ابنُ عطيَّة: وحَقُّ «بلى» أنْ تَجِيْءَ بعد نَفْيٍ عليه تقرير، وقوله: «بلى» جوابٌ لنفي مقدَّر، كأنَّ النَّفْسَ قالت: فعُمري في الدُّنيا لم يَتَّسِع للنَّظَر، أو قالت: فإنِّي لم يَتبيَّن لي الأَمْرُ في الدُّنيا، ونحو هذا[2]. انتهى.

وليس حَقُّ «بلى» ما ذكرَ، بل حقُّها أنْ تكونَ جوابَ نفي، ثمَّ حُملَ التقريرُ على النفي، ولذلك لم يَحمِلْه عليه بعضُ العرب، وأجابه بـ «نَعَم»، ووَقَع ذلك أيضاً في كلامِ سِيبويه نفسِه أنْ أجابَ التقريرَ بـ «نَعَم»؛ اتِّباعاً لبعضِ العرب[3].

وقال الزمخشريُّ: فإنْ قلت: هَلَّا قُرِنَ الجوابُ بما هو جوابٌ له، وهو قوله: «لو أنَّ اللهَ هداني» ولم يُفصَل بينهما بآية؟

قلت: لأنَّه لا يَخلو؛ إمَّا أنْ يُقدَّم على أُخرَى القرائنِ الثلاثِ فيُفرَق بينهنَّ، وإمَّا أنْ تُؤخَّرَ القرينةُ الوسطى.

فلم يَحسُن الأوَّل؛ لما فيه مِن تَبْتِير النَّظْم بالجَمْع بين القرائن، وأمَّا الثاني؛ فلِمَا فيه مِن نَقْضِ الترتيب، وهو التحسُّر على التفريط في الطاعة، ثمَّ التَّعلُّل بفَقْد

(١) الكشاف ٣/ ٤٠٥.
(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٥٣٨.
(٣) الكتاب ٤/ ٢٣٤، وعبارته فيه: فإذا استفهمت، فقلت: أتفعل؟ أجبت بـ «نعم»، فإذا قلت: ألست تفعل؟ قال: بلى.

الهداية، ثم تَمنّي الرَّجْعَة، فكانَ الصوابُ ما جاءَ عليه، وهو أنَّه حكى أقوالَ النَّفْس على ترتيبها ونَظْمها، ثمَّ أَجابَ مِن بينها عمَّا اقتضى الجوابَ[١]. انتهى.

وهو كلامٌ حَسَن.

وقرأ الجمهور: «قد جَاءَتْكَ» بفتح الكاف، وفتحِ تاءِ ما بَعْدَها[٢]؛ خطاباً للكافر ذي النَّفْس، وقرأ ابنُ يَعْمَر والجحدريُّ وأبو حيوة والزَّعفرانيُّ وابنُ مقسم ومسعود بنُ صالح والشافعيُّ عن ابنِ كثير ومحمد بن عيسى في اختياره، وعن نُصَير والعَبْسِيّ: بكسرِ الكاف والتاء؛ خطاباً للنَّفْس، وهي قراءة أبي بكر الصديق وابنتِه عائشة ﷺ، وروتها أمُّ سَلَمة عن النبيِّ ﷺ[٣].

وقرأ الحسن والأعرج والأعمش: «جَأَتْكَ» بالهمز مِن غير مَدٍّ، بوزن: جَعَتْكَ[٤]، وهو مقلوبٌ مِن: جاءتك، قُدِّمَت لامُ الكلمة وأُخِّرت العينُ، فسقطت الألف، كما سقطت في: رَمَت وغَزَت.

ولمَّا ذَكَر مقالَة الكافرِ ذَكَر ما يَعرِض له يومَ القيامة مِن الإنذار بسُوء مُنْقَلبِه، وفي ضمنه وعيدٌ لمعَاصريه عليه السلام.

والرُّؤية هنا مِن رؤية البَصَر، وكَذِبُهم نِسْبَتُهم إليه تعالى البناتِ والصاحبةَ والولدَ، وشَرْعُهم ما لَم يَأْذَن به اللهُ، والظاهر أنَّه عامٌّ في الكاذبين على الله، وخصَّه بعضُهم بمُشركي العرب، وبعضهم بأهل الكتابين، وقال الحسن: هم القَدَريَّة،

---

(١) الكشاف ٣/ ٤٠٥.

(٢) من هنا إلى قوله: بل منهم من يموت. أثناء تفسير الآية (٦٧) من سورة غافر، سقط من (د٣).

(٣) أي: «جاءَتْكِ»، «فكذَّبْتِ»، «واستَكْبَرْتِ»، «وكنتِ»، ينظر المحرر الوجيز ٤/ ٥٣٨، وتفسير الثعلبي ٥/ ٣١٧-٣١٨، والكشاف ٣/ ٤٠٥، وزاد المسير ٧/ ١٩٣، والقرطبي ١٨/ ٣٠٢، وقراءة أبي بكر والنبيِّ ﷺ في القراءات الشاذة ص ١٣١، ورواية أمِّ سَلَمة عن النبيِّ ﷺ أخرجها الدوريُّ في جزء قراءات النبيِّ ﷺ (٩٩)، والثعلبيُّ في التفسير ٥/ ٣١٧، وعند الأخير أيضاً قراءةُ عائشة ﷺ، ونَقَل عن المروزي أنه قال: وهي رواية السريجي، عن الكسائي. وكذا عزاها عنه في زاد المسير ٧/ ١٩٣.

(٤) كذا في النسخ، والقراءات الشاذة ص ١٣١، واللباب ١٦/ ٥٣٥، والذي في الدر المصون ٩/ ٤٣٧: جَفَتْكَ، وفي روح المعاني ٢٣/ ٤٦٨: فَعَتْكَ.

يقولون: إنْ شِئْنا فَعَلْنا، وإن شِئْنا لم نَفْعَل[(١)].

وقال القاضي: يَجب حَمْلُ الآية على الكُلِّ مِن المُجبِّرة والمُشبِّهة وكلِّ مَن وَصَفَ اللهَ بما لا يليق به نفياً وإثباتاً، فأضاف إليه ما يَجب تنزيهه عنه، أو نزَّهَهُ عمَّا يجب أَنْ يُضافَ إليه، فالكُلُّ كَذَبُوا على الله، فتخصيصُ الآية بالمُجبِّرة والمُشبِّهة أو اليهود والنصارى لا يَجوز[(٢)].

وقال الزمخشريُّ: «كذبوا على الله» وَصَفوه بمَا لا يَجوز عليه، وهو متعالٍ عنه، فأضافوا إليه الولدَ والشريكَ، وقالوا: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا﴾ [يونس:١٨]، وقالوا: ﴿لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم﴾ [الزخرف:٢٠] وقالوا: ﴿وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا﴾ [الأعراف:٢٨]، ولا يَبعُد عنهم قومٌ يُسفِّهونه بفِعْلِ القبائح، وتجويز أَنْ يَخلُق خَلْقاً لا لغرضٍ، ويُؤلِمَ لا لعوض، ويَظلمونه بتكليف ما لا يُطاق، ويُجسِّمونه بكونه مَرْئيًّا مُعايَناً مُدْرَكاً بالحاسَّة، ويُثبِتونَ له يَداً وقَدَماً وجَنْباً، مُتَستِّرينَ بالبَلْكَفَة[(٣)]، ويَجعلون له أنداداً بإثباتهم معه قدماءَ. انتهى. وكلامُه وكلامُ مَن قَبْلَه على طريق المعتزلة.

والظاهر أنَّ الرُّؤية مِن رؤية البَصَر، وأنَّ «وجوههم مُسوَدَّة» حَمْلُه في بعضِ المحالِّ موضع الحال[(٤)]، وفيها رَدٌّ على الزمخشريِّ؛ إذ زَعَم أنَّ حذفَ الواو مِن الجملة الاسميَّة المُشتمِلة على ضمير ذي الحال شاذٌّ، وتَبِعَ في ذلك الفرَّاءَ[(٥)]، وقد أَعربَ هو هذه الجملة حالاً، فكأنَّه رَجَعَ عن مذهبه ذلك، وأجاز أيضاً أن تكون مِن رؤيةِ القَلْب «ووجوههم مُسودَّة» في موضعِ المفعولِ الثاني[(٦)]، وهو بعيدٌ؛ لأنَّ تعلُّق البَصَر برؤية الأجسام وألوانِها أَظهرُ مِن تعلُّق القلب.

---

(١) زاد المسير ٧/١٩٣.

(٢) تفسير الرازي ٢٧/٨-٩.

(٣) اضطربت النسخ الخطية في رسم هذه الكلمة، فبعضها رسمها: بالتكلفة، وبعضها رسمها: بالبلكعة، وفي بعضها الآخر كانت غير واضحة، والمثبت من (د٢) و(ح) و(ع) ومطبوع الكشاف ٣/ ٤٠٥-٤٠٦ ومخطوطه الورقة (٢٤٧)، وجاء في هامش (د٢) ما نصه: وهي لفظة مركَّبة من قولهم: بِلَا كيفٍ.

(٤) جاءت العبارة في النسخ عدا (يه) هكذا: جملة في موضع الحال. والمثبت منها.

(٥) ينظر معاني القرآن للفراء ٢/ ٤٢٣-٤٢٤.

(٦) الكشاف ٣/٤٠٦.

وقرئ: «وجوهَهم مُسودَّةً» بنصبهما[١]، فوجوههم بدلُ بعضٍ مِن كلٍّ.

وقرأ أُبَيّ: «أُجُوههم» بإبدال الواو همزة[٢].

والظاهر أنَّ الاسودادَ حقيقةٌ، كما مَرَّ في قوله: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسۡوَدَّتۡ وُجُوهُهُمۡ﴾ [آل عمران:١٠٦]، وقال ابنُ عطيَّة: ويَحتمل أن يكون في العبارة تَجوُّز، وعبّر بالسوادِ عن ارتدادِ وجوهِهم وغالبِ هَمِّهم وظاهرِ كآبتهم[٣].

ولمَّا ذَكَر تعالى حالَ الكاذبين على الله، ذَكَر حالَ المتَّقين، أي: الكذبُ على الله وغيرِه ممَّا يَؤُول بصاحبه إلى اسْوِدَادِ وَجْهِه، وفي ذلك الترغيب في هذا الوَصْف الجليل الذي هو التَّقوى.

قال السُّدِّيُّ: «بمفازتهم»: بفضائلهم، وقال ابنُ زيد: بأعمالهم، وقال ابنُ عطيَّة: وفي الكلام حذفُ مضاف تقديره: بأسباب أو بدواعي مفازاتهم، وقال الزمخشريُّ: «بمفازتهم»[٤] بفلاحهم، يُقال: فاز بكذا: إذا أَفْلَح به وظَفِرَ بمراده، وتفسيرُ المفازة قولُه: «لا يَمسُّهم السُّوءُ ولا هم يحزنون» كأنَّه قيل: وما مفازتهم؟ قيل: «لا يَمسّهم السُّوء» أي: يُنجِيهم بنفي السُّوءِ والحزنِ عنهم، أو بسبب مَنْجاتهم؛ مِن قوله تعالى: ﴿فَلَا تَحۡسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٖ مِّنَ ٱلۡعَذَابِۖ﴾ [آل عمران:١٨٨] أي: بمنجاةٍ منه؛ لأنَّ النَّجاةَ مِن أعظم الفَلَاح، وسببُ منجاتِهم العملُ الصَّالح، ولهذا فسَّر ابنُ عبَّاس رضي الله عنهما المفازةَ بالأعمال الحَسَنة.

ويَجوز بسببِ فَلَاحهم؛ لأنَّ العملَ الصالحَ سببُ الفلاحِ وهو دخولُ الجنَّة، ويجوز أَنْ يُسمَّى العملُ الصالحُ بنفسِه مفازةً؛ لأنَّه سَبَبُها[٥].

---

(١) ينظر معاني القرآن للأخفش ٢/ ٦٧٢، وللفراء ٢/ ٤٢٤، وللزجاج ٤/ ٣٦٠، وإعراب القرآن للنحاس ٤/ ١٩.

(٢) القراءات الشاذة ص ١٣١.

(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٥٣٩، ووقع في مطبوعه: عن أن يراد به، بدل: عن ارتداد.

(٤) من قوله: بفضائلهم، وقال ابنُ زيد... إلى هنا، زيادة من (يه)، ولم ترد في بقية النسخ، وكلامُ ابنِ عطية في المحرر الوجيز ٤/ ٥٣٩، وفيه أيضاً قولُ السُّدّيّ وابنِ زيد، وأخرجه عنهما الطبريُّ ٢٠/ ٢٤٠.

(٥) الكشاف ٣/ ٤٠٦، وما بعده منه أيضاً.

فإنْ قلت: «لا يَمَسُّهم» ما محلُّه مِن الإعراب على التفسيرين؟ قلت: أمَّا على التفسيرِ الأوَّل فلا محلَّ له؛ لأنَّه كلامٌ مُستَأنَف، وأمَّا على الثاني فمحلُّه النَّصْبُ على الحال. انتهى.

وقرأ الجمهور: «بمفَازَتِهم» على الإفراد، والسُّلَميُّ والحسن والأعرج والأعمش وحمزةُ والكسائيُّ وأبو بكر: على الجَمْع[١]، مِن حيثُ النَّجاةُ أنواعٌ والأسبابُ مختلفة.

قال أبو عليٍّ: المصادر تُجمَع إذا اختلفت أجناسُها، كقوله: ﴿وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا﴾ [الأحزاب:١٠]. وقال الفرَّاء: كلا القراءتين صوابٌ، تقول: قد تَبيَّن أَمْرُ الناسِ وأُمور الناس[٢].

ولمَّا ذَكَر تعالى الوعدَ والوعيدَ عاد إلى دلائل الإلهيَّة والتوحيد، فذَكَر أنَّه «خالقُ كلِّ شيء» فدلَّ على أنَّه خالقٌ أعمالَ العباد؛ لاندراجِها في عموم «كلِّ شيء»، وأنَّه على كُلِّ الأشياء قائمٌ بحفظها وتدبيرِها.

«له مقاليد السماوات والأرض» قال ابنُ عباس: مفاتيح[٣]، وهذه استعارةٌ، كما تقول: بيدِ فلانٍ مفتاحُ هذا الأمْر، وعن رسولِ الله ﷺ أنَّ المقاليدَ: «لا إلَهَ إلَّا اللهُ، واللهُ أكبر، وسبحانَ الله، والحَمْدُ لله، ولا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلَّا بالله العليّ العظيم[٤]، هو الأوَّل والآخِر، والظَّاهر والباطن، بيدِه الخيرُ، يُحْيي ويُميت، وهو

---

(١) أي: «بمفازاتهم»، ينظر تفسير الثعلبي ٥/ ٣١٨، والمحرر الوجيز ٤/ ٥٣٩، والكشاف ٣/ ٤٠٦، وزاد المسير ٧/ ١٩٣، وتفسير القرطبي ١٨/ ٣٠٢، وقراءة أبي بكر ـ عن عاصم ـ وحمزة والكسائي في السبعة ص ٥٦٢، والتيسير ص ١٩٠، وهي أيضاً قراءة خلف، ينظر النشر ٢/ ٣٦٣.

(٢) معاني القرآن للفراء ٢/ ٤٢٤.

(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٥٣٩، وأخرجه عنه ـ وعن غيره ـ الطبريُّ ٢٠/ ٢٤٢.

(٤) عبارة: العلي العظيم. لم ترد في (به)، والخبر أخرجه الثعلبيُّ في التفسير ٥/ ٣١٨ من حديث ابن عمر، عن عثمان بن عفان ﷺ، ولم ترد فيه هذه العبارة، ولم ترد أيضاً في الكشاف ٣/ ٤٠٧، ولا في المحرر الوجيز ٤/ ٥٤٠، ووردت في تفسير القرطبي ١٨/ ٣٠٤-٣٠٥، نقلاً عن تفسير الثعلبيّ، وذَكَر الثعلبيُّ تتمةً لهذا الحديث، ونَقَلها عنه القرطبيُّ ١٨/ ٣٠٤-٣٠٥، والخبر أخرجه هكذا مختصراً البيهقيُّ في الأسماء والصفات (١٩)، =

على كلِّ شيء قدير» وتأويله على هذا: إنَّ لله هذه الكلمات يُوحَّد بها ويُمجَّد، وهي مفاتيح خيرِ السماواتِ والأرض، مَن تكلَّم بها مِن المُتَّقين أصابَهُ، «والذين كفروا بآياتِ الله» وكلماتِ توحيدِه وتمجيدِه «أولئك هم الخاسرونَ».

وقال الزمخشريُّ[1]: فإن قلت: بِمَ اتَّصَلَ قوله: «والذين كفروا»؟ قلت: بقوله: «ويُنجِّي اللهُ الذين اتَّقَوا» أي: ينجِّي المتقين بمفازتهم، والذين كفروا هم الخاسرونَ، واعترضَ بينهما بأنَّه خالقُ الأشياءِ كلِّها، وهو مهيمنٌ عليها فلا يَخفى عليه شيءٌ مِن أعمال المكلَّفين منها، وما يستحقُّون عليها مِن الجزاء، وأنَّ «له مقاليدُ السماوات والأرض».

وقال أبو عبد الله الرازيُّ: وهذا عندي ضعيفٌ مِن وجهين؛ الأوَّل أنَّ وقوعَ الفاصِلِ الكثيرِ بينَ المعطوفِ والمعطوف عليه بَعيدٌ، والثاني: أنَّ قولَه تعالى: «ويُنجِّي اللهُ الذين اتَّقَوا» جملةٌ فعليَّة، وقولَه: «والذين كفروا» جملة اسميَّة، وعَطْفُ الجملة الاسميَّة على الجملة الفعليَّة لا يَجوز، والأقرب عندي أنْ يُقال: إنَّه لمَّا وصفَ بصفات الإلهيَّة والجَلَالة، وهو كونه خَالقُ الأشياء كلِّها، وكونه مالكاً لمقاليدِ السماوات والأرض، قال: «والذين كفروا» بهذه الآيات الظاهِرة الباهِرة «أولئكَ هم الخاسرون»[2]. انتهى.

وليس بفاصلٍ كثير، وقوله: وعَطْفُ الجملة الاسميَّة على الجملة الفعليَّة لا يَجوز. كلامُ مَن لَم يَتأمَّل لسانَ العربِ ولا نَظَر في أبواب الاشتغال، وأمَّا قوله:

= وأخرجه بتمامه ابن السُّنِّي في عمل اليوم والليلة (٧٣)، والطبراني في الدعاء (١٧٠٠)، والعقيلي في الضعفاء ٤/ ٢٣١-٢٣٢، وابنُ الجوزي في الموضوعات (٣٠١)، وقال: وهذا الحديث من الموضوعات النادرة التي لا تليق بمنصب رسول الله ﷺ؛ لأنَّه مُنَزَّهٌ عن الكلام الركيك والمعنى البعيد. وقال الذهبي في ميزان الاعتدال ٤/ ٣٠٨: هذا الحديث موضوع فيما أرى. وقال ابنُ كثير في تفسيره ٧/ ١١٢: غريب، فيه نكارة شديدة، وفي صحته نظر. والحديث أخرجه أيضاً الثعلبيُّ في تفسيره ٥/ ٣١٨-٣١٩ من حديث عليٍّ ﷺ عنه بنحوه، وفي إسناده: الحارث بن عبد الله الأعور، كذَّبه الشعبيُّ وابنُ المديني، وكان ابنُ سيرين يرى أنَّ عامَّة ما يرويه عن عليٍّ باطل. ميزان الاعتدال ١/ ٣٩٩-٤٠١.

(١) الكشاف ٣/ ٤٠٧، وما قبله منه أيضاً.

(٢) تفسير الرازي ٢٧/ ١٢.

والأقرب عندي، فهو مأخوذٌ مِن قول الزمخشريُّ: وقد جعلَ متَّصلاً بما يَليه على أنَّ كلَّ شيء في السماوات والأرض، فالله خالقه وفاتحُ بابه، «والذين كفروا» وجَحَدوا أنْ يكون الأمْرُ كذلك «أولئكَ هم الخاسرونَ»[1].

﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّيٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِا۟ىٓءَ بِٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾﴾.

رُويَ أنَّه قال للرسول عليه السلام المشركونَ: اسْتَلِم بعضَ آلهتِنا ونُؤمِنُ بإلهِكَ[2].

و«غير» منصوبٌ بـ «أعبد»، قال الأخفش: «تَأْمُرونِّي» ملغاة[3]، وعنه أيضاً: «أَفَغَيْرَ» نصب بـ «تأمروني» لا بـ «أعبد»، لأنَّ الصلةَ لا تَعمل فيما قَبْلَها إذا الموصول منه حذفَ فرفعَ، كما في قوله:

أَلَا أيُّهـا ذا الـزاجِـري أَحْـضُـرَ الـوَغَـى[4]

والصلة مع الموصول في موضع النَّصب بدلاً منه، أي: أفغيرَ اللهَ تَأْمُرونني عبادته، والمعنى: أتأمرونني بعبادة غيرِ الله، وقال الزمخشريُّ: أو يُنصَب بما يدلُّ عليه جملةُ قوله: «تَأْمُرُونِّي أَعْبُد»؛ لأنَّه في معنى: تُعَبِّدونني وتقولون لي: اعْبُدْه، و«أفغير الله» تقولونَ لي: اعبُد، فكذلك «أفغير الله» تقولونَ لي أَنْ أَعْبُدَه،

(١) الكشاف ٣/ ٤٠٧.
(٢) المصدر السابق، وأورد الخبر أيضاً السمرقنديُّ في تفسيره بحر العلوم ٣/ ٥٢٠ عند تفسير الآية (١) من سورة الكافرون وعزاه للكلبي.
(٣) معاني القرآن للأخفش ٢/ ٦٧٢-٦٧٣.
(٤) صدر البيت لطرفة، وعجزه: وأن أشهدَ اللَّذاتِ هل أنتَ مخلدي، وهو في ديوانه ص ٣٢، وسلف.

و«أَفَغَيْر الله» تأمرونّي أَنْ أَعْبُدَ، والدليل على صحَّة هذا الوجه قراءة مَن قَرَأَ «أَعْبُدَ» بالنَّصْب، يعني: بنصب الدَّالِ بإضمار «أَنْ»[١].

وقرأ الجمهور: «تَأْمُرونِّي» بإدغام نون الرَّفْع في نونِ الوِقاية، وسكونِ الياء، وفَتَحها ابنُ كثير[٢]، وقرأ ابنُ عامر: «تَأْمُرونَنِي» بنونين على الأصل[٣]، ونافع: «تَأْمُرونِيَ» بنونٍ واحدة مكسورةٍ وفتحِ الياء[٤].

قال ابنُ عطيَّة: وهذا على حذفِ النونِ الواحدة، وهي الموطِّئة لياءِ المُتكلِّم، ولا يَجوز حذفُ النون الأُولى، وهو لَحْنٌ؛ لأنَّها علامةُ رَفْعِ الفعل[٥]. انتهى.

وفي المسألة خلافٌ؛ منهم مَن يقول: المحذوفة نونُ الرَّفْعِ، ومنهم مَن يقول: نونُ الوقاية، وليس بلحنٍ؛ لأنَّ التركيبَ متَّفق عليه، والخلاف جَرَى في أيّهما حذفَ، ونختارُ أنَّها نونُ الرَّفع.

ولـمَّا كان الأَمْرُ بعبادة غيرِ الله لا يَصدُر إلَّا مِن غَبِيٍّ جاهل ناداهُم بالوَصْفِ المقتضي ذلك، فقال: «أيُّها الجاهلون».

ولـمَّا كان الإشراك مستحيلاً على مَن عَصَمه اللهُ، وَجَبَ تأويلُ قوله: «لَئِن أَشْرَكْتَ» على حمله على ضمير السامع دون المُوحَى إليه، أي: أُوحي إلى الرسول «لَئِن أشركت» أيُّها السامع، ومضى الخطاب على هذا التأويل، ويدلُّ على هذا التأويل وأنَّه ليس براجعٍ الخطاب للرسول إفرادُ الخطاب في «لَئِن أَشْرَكت» إذ لو كان هو المخاطب، لكان التركيب: لَئِن أشركتم، فيَشتمل ضميرَه وضميرَ الذين مِن قَبْله، ويغلّب الخطاب.

وقال الزمخشريُّ: فإن قلت: المُوحَى إليهم جماعةٌ، فكيف قال: «لَئِن أَشرَكْتَ» على التوحيد؟ قلت معناه: لَئِن أُوحيَ إليك لَئِن أَشركتَ لَيَحبطنَّ عَمَلك

(١) الكشاف ٣/ ٤٠٧، وقراءة النصب أوردها ابنُ خالويه في القراءات الشاذة ص ١٣١، والقرطبيُّ ١٨/ ٣٠٦، دون عزوٍ.
(٢) أي: «تأمرونِّيَ»، المحرر الوجيز ٤/ ٥٤٠، وزاد المسير ٧/ ١٩٥، والقراءة عنه في السبعة ص ٥٦٣، والتيسير ص ١٩٠-١٩١، والنشر ٢/ ٣٦٤.
(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٥٤٠، وتنظر القراءة في المصادر الآنفة الذكر.
(٤) وهي أيضاً قراءة أبي جعفر من العشرة، تنظر المصادر السالفة.
(٥) المحرر الوجيز ٤/ ٥٤٠.

وإلى الذين مِن قَبْلك مِثْله، أو أُوحيَ إليك وإلى كلِّ واحد منهم: «لَئِن أشركتَ» كما تقول: كَسَانا حُلَّةً، أي: كلَّ واحدٍ مِنَّا.

فإن قلت: كيف صَحَّ هذا الكلامُ مَعَ عِلْمِ اللهِ تعالى أَنَّ رُسُلَه لا يُشركون ولا تُحبَط أعمالُهم؟ قلت: هو على سبيل الفرض، والمُحالات يصحُّ فَرْضَها. ثمَّ ذَكَر كلاماً يُوقَف عليه من كتابه، ويَستَدِلُّ بهذه الآيةِ على حُبُوط عَمل المرتدِّ مِن صلاةٍ وغيرها[١].

و«أوحي» مبنيٌّ للمفعول، ويَظهر أنَّ المُوحَى هو هذه الجُمَل مِن قوله: «لَئِن أشركت» إلى «من الخاسرينَ»، وهذا لا يَجوز على مذهب البصريين؛ لأنَّ الجُمَل لا تكونَ فاعلةً، فلا تقوم مقامَ الفاعل.

وقال مقاتل: «أُوحيَ إليك» بالتوحيد، والتوحيدُ محذوفٌ، ثم قال: «لَئِن أشركتَ ليَحبطنَّ عَمَلُكَ» والخطابُ للنبيِّ عليه السلام خاصَّة[٢]. انتهى.

فيكون الذي أُقيم مقامَ الفاعل هو الجارُّ والمجرور، وهو «إليك»، وبالتوحيد فَضْلَة يَجوز حَذْفُها؛ لدلالةِ ما قَبْلَها عليها.

وقرأ الجمهور: «لَيَحْبَطَنَّ» مبنيًّا للفاعل، «عَمَلُكَ» رفع به، وقُرئَ: «لَيُحْبِطَنَّ». بالياء، مِن أَحْبَطَ عَمَلَه، بالنصب، أي: «لَيُحْبِطَنَّ» اللهُ «عَمَلَكَ»، أو: الإشراكُ «عَمَلَكَ»، وقُرئ: بالنون، أي: «لَنُحْبِطَنَّ» «عَمَلَكَ» بالنصب[٣].

والجَلَالة منصوبة بقوله: «فاعْبُد» على حَدِّ قولهم: زيداً فاضْرِب، وله تقريرٌ في النحو وكيف دخلت هذه الفاء، وقال الفرَّاء: إنْ شئتَ نصبتَه بفعلٍ مُضمَر قَبْلَه، كأنَّه يقدّر: أَعْبُدُ اللهَ فاعْبُدْهُ[٤].

---

(١) الكشاف ٣/ ٤٠٧.

(٢) تفسير القرطبي ١٨/ ٣٠٧.

(٣) القراءتان في الكشاف ٣/ ٤٠٧ دون نسبة، ونَقَلهما عنه الرازيُّ ٢٧/ ١٢-١٣، وقراءةُ النونِ أوردها ابنُ خالويه في القراءات الشاذة ص ١٣١، وضبطت فيه هكذا: «لَنَحْبُطَنَّ»، وابنُ الجوزي في زاد المسير ٧/ ١٩٥ وعزاها لأبي عمران وابنِ السميفع ويعقوب، وضبطت فيه: «لَنُحْبِطَنَّ»، والطبرسي في مجمع البيان ٢٤/ ١٦٨ وعزاها لزيد عن يعقوب، ولم تُضْبَط فيه.

(٤) معاني القرآن للفراء ٢/ ٤٢٤-٤٢٥، وينظر الكشاف ٣/ ٤٠٨.

وقال الزمخشريُّ: «بَلِ اللهَ فاعْبُد» رَدٌّ لمَا أمروه به مِن استلام بعضِ آلهتهم، كأنَّه قال: لا تَعْبُد ما أَمَرُوكَ بعبادته، بل إنْ كنتَ عاقلاً فاعْبُد اللهَ، فحذف الشَّرْط وجعلَ تقدّم المفعولِ عوضاً منه[1]. انتهى.

ولا يكون تقدّم المفعولِ عِوَضاً مِن الشَّرْط؛ لجواز أنْ يَجيءَ: زيدٌ فَعَمْراً اضْرِبْ، فلو كان عِوَضاً لم يَجز الجمعُ بينهما.

«وكُن مِن الشَّاكِرين» لأَنْعُمِه التي أعظمها الهدايةُ لدِيْنِ اللهِ.

وقرأ عيسى: «بلِ اللهُ» بالرَّفْع[2]، والجمهور بالنَّصْب.

«وما قَدَروا اللهَ حقَّ قَدْرِه» أي: ما عَرَفوه حقَّ معرفته، وما قَدروه في أنفسِهم حقَّ تقديره؛ إذ أَشركوا معه غيرَه وساوَوْا بينَه وبينَ الحَجَر والخَشَب في العبادة.

وقرأ الأعمش: «حَقَّ قَدَره» بفتح الدال، وقرأ الحسن وعيسى وأبو نوفل وأبو حيوة: «وما قَدَّروا» بتشديد الدَّال، «حَقَّ قَدَره» بفتح الدال[3]، أي: ما عَظَّموه حقيقةَ تعظيمه.

والضمير في «قدروا»، قال ابنُ عباس: في كُفَّار قريش، كانت هذه الآية كلّها محاورةً لهم ورَدًّا عليهم، وقيل: نزلت في قومٍ مِن اليهود تكلَّموا في صفاتِ الله وجلالِه، فألحدوا، وجَسَّموا، وجَاؤوا بكلِّ تخليط[4]، وهذه الجملة مذكورة في «الأنعام» وفي «الحجِّ» وهنا[5].

ولمَّا أخبر أنَّهم ما عَرَفوه حقَّ معرفتِه، نَبَّههم على عظمتِه وجلالةِ شَأْنِه على طريقِ التصوير والتَّخْييل، فقال: «والأَرضُ جميعاً قَبْضَتُه يومَ القيامَةِ والسماواتُ مَطْوِيَّاتٌ بيَمينه». قال الزمخشريُّ: والغَرَض مِن هذا الكلام - إذا أَخَذْته كما هوَ

---

(١) الكشاف ٣/ ٤٠٧-٤٠٨.

(٢) القراءات الشاذة ص ١٣١.

(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٥٤١، والقراءة الأولى في معاني القرآن للزجاج ٤/ ٣٦١ دون عزوٍ، والقراءة الثانية في القراءات الشاذة ص ١٣١ عن الأعمش وأبي حيوة مقتصراً على ذِكْر تشديد الدال من «قدروا».

(٤) المحرر الوجيز ٤/ ٥٤٠، وخبرُ ابنِ عباس أورده أيضاً ابنُ الجوزي في زاد المسير ٧/ ١٩٦.

(٥) ينظر تفسير الآية (٩١) من سورة الأنعام، والآية (٧٤) من سورة الحج.

بجُملته ومجموعِه ـ تصويرُ عَظَمته، والتوقيفُ على كُنْهِ جلالِه لا غير، مِن غيرِ ذهابٍ بالقَبْضَة ولا باليمين إلى جهةِ حقيقةٍ أو جهةِ مجازٍ[1]. انتهى.

ويعني[2]: أو جهةَ مجازٍ معيَّنٍ، وإلَّا فبابُ التصويرِ والتخييل هو مِن المجاز.

وقال غيره: الأصل في الكلامِ حَمْله على حقيقتِه، فإنْ قام دليلٌ منفصلٌ على تعذُّر حَمْلِه عليها، تعيَّن صَرْفُه إلى المجاز، فلفظ القَبْضَة واليمين حقيقةٌ في الجارِحَة، والدليلُ العقليُّ قائمٌ على امتناعِ ثبوتِ الأعضاء والجوارحِ لله تعالى، فوجَبَ الحَمْلُ على المجاز، وذلك أنَّه يُقال: فلانٌ في قَبْضَة فلانٍ: إذا كان تحتَ تدبيرِه وتسخيرِه، ومنه: ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَنُهُمْ﴾ [المؤمنون:٦]، فالمراد كونه مملوكاً لهم، وهذه الدارُ في يَدِ فلانٍ، وقَبَضَ فلانٌ كذا، وصار في قَبْضَتِه، يريدون خلوصَ مُلْكِه، وهذا كلّه مجازٌ مُستَفِيض مُستَعمَل.

وقال ابنُ عطيَّة: اليمينُ ـ هنا ـ والقَبْضَة عبارةٌ عن القُدْرة والقوَّة، وما اخْتَلَج في الصدور مِن غيرِ ذلك باطلٌ، وما ذَهَبَ إليه القاضي ـ يعني ابنَ الطَّيِّب ـ مِن أنَّها صفاتٌ زائدةٌ على صفاتِ الذاتِ، قولٌ ضعيفٌ، وبحَسبِ ما يَختلجُ في النفوس التي لم يُحَصِّنها العِلْم، قال عزَّ وجلَّ: «سبحانَه وتَعالى عَمَّا يُشْرِكون» أي: هو مُنَزَّه عن جميع الشُّبَهِ التي لا تَليقُ به[3]. انتهى.

وقال القَفَّال: هذا كقولِ القائل: وما قدَّرتني حقَّ قَدْرِي وأَنَا الذي فَعَلْتُ كذا وكذا، أي: لمَّا عَرفت أنَّ حالِي وصِفَتِي هذا الذي ذكرتُ، وَجَبَ أَنْ لا تَحطَّني عن قَدْرِي ومنزلتي، ونظيره: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ﴾ [البقرة:٢٨] أي: كيف تكفرونَ بمَن هذه صفته وحالُ مُلْكِه، فكذا هنا «وما قَدَروا اللهَ حقَّ قَدْرِه» إذ زعموا أنَّ له شركاء، وأنَّه لا يَقْدِر على إحياء الموتى مع أنَّ الأرضَ والسماوات في قبضته وقدرته[4]. انتهى.

---

(١) الكشاف ٣/ ٤٠٨.

(٢) قبلها في النسخ الخطية عدا (يه): ولو. والمثبت منها ومن مطبوع البحر.

(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٥٤١، وكلامُ ابنِ الطَّيِّب ـ وهو أبو بكر محمد بن الطَّيِّب بن محمد الباقلاني ـ ينظر في كتابه الإنصاف ص ٢٣-٢٤.

(٤) تفسير الرازي ٢٧/ ١٤.

«والأرض» أي: والأَرضون السَّبْع، ولذلك أُكّد بقوله: «جميعاً»، وعطفَ عليه «والسماوات» ـ وهو جَمْعٌ ـ والموضِعُ موضِعُ تفخيمٍ، فهو مقتضٍ المبالغةَ.

والقَبْضَةُ: المَرَّةُ الواحدة، مِن القَبْض، وبالضَّمِّ: المقْدَار المَقبُوض بالكَفِّ، ويقال في المقدار: قَبْضَة ـ بالفتح ـ تسميةً له بالمصدر، فاحتمل هنا هذا المعنى؛ واحتمل أنْ يُراد المصدر على حذفِ مضافٍ، أي: ذوات قبضته، أي: نَقْبِضهنَّ قبضةً واحدةً، والأَرَضون مع سعتِها وبَسْطتها لا يَبْلُغْنَ إلا قبضةَ كَفٍّ.

وانتصب «جميعاً» على الحال، قال الحوفيُّ: والعامل في الحال ما دلَّ عليه «قبضته». انتهى.

ولا يجوز أنْ يعمل فيه «قبضته» سواء كان مصدراً أم أُريد به المقدار.

وقال الزمخشريُّ: ومع القَصْد إلى الجَمْع ـ يعني في الأرض، وأنَّه أُريد بها الجَمْع ـ قال: وتأكيدِه بالجميع، أَتبعَ الجميعَ مؤكَّدَه قَبْلَ مَجِيْءِ الخبر، ليعلمَ أوَّل الأَمْرِ أنَّ الخبرَ الذي يَرِدُ لا يَقَع عن أرضٍ واحدة، ولكن عن الأراضي كلِّهنَّ[١]. انتهى. ولم يَذكُر العامل في الحال، و«يوم القيامة» معمولٌ لـ «قبضته».

وقرأ الحسن: «قَبْضَتَهُ» بالنَّصْب[٢]، قال ابنُ خالويه: بتقدير: في قبضته[٣]، هذا قولُ الكوفيين، وأمَّا أهلُ البَصْرة فلا يُجيزون ذلكَ، كما لا يُقَال: زيدٌ دَارَكَ[٤]. انتهى.

وقال الزمخشريُّ: جَعَلها ظرفاً مُشبَّهاً للمؤقّت بالمُبْهم[٥].

وقرأ عيسى والجَحْدريُّ: «مَطْوِيَّاتٍ» بالنَّصْب على الحال[٦]، وعطف

---

(١) الكشاف ٣/ ٤٠٩.
(٢) ينظر الكشاف ٣/ ٤٠٩، والقراءة في القراءات الشاذة ص ١٣١، وينظر أيضاً الإملاء ٢/ ٢١٦.
(٣) لم نقف على كلامه في كتابه الآنف الذكر القراءات الشاذة، وذَكَر هذا التقديرَ العكبريُّ في الإملاء ٢/ ٢١٦، وقال: وهو ضعيف، لأن هذا الظرف محدود، فهو كقولك: زيدٌ الدارَ.
(٤) أي: في دارِكَ. ينظر المحكم لابن سِيْدَه (قبض)، ومعاني القرآن للزجاج ٤/ ٣٦٢.
(٥) الكشاف ٣/ ٤٠٩.
(٦) المحرر الوجيز ٤/ ٥٤١، وتفسير الثعلبي ٥/ ٣٢٠، والقراءة في القراءات الشاذة ص ١٣١ عن عيسى بن عمر، وينظر المحتسب ١/ ٢٣٣.

«والسماوات» على «والأرض»، فهي داخلةٌ في حيِّز «والأرض»، فالجميع قَبْضَتُه، وقد استدلَّ بهذه القراءةِ الأخفشُ على جوازِ: زيدٌ قائماً في الدار، إذ أعربَ «والسماوات» مبتدأ، و«بيمينه» الخبر، وتقدَّمت الحالُ على الجارِّ والمجرور، ولا حُجَّة فيه؛ إذ يكون «والسماوات» معطوفاً على «والأرض» ـ كما قلنا ـ و«بيمينه» متعلِّق بـ «مَطوِيَّات».

و«مَطْوِيَّات» مِن الطَّيِّ الذي هو ضِدُّ النَّشْرِ، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ للكتاب[١]﴾ [الأنبياء: ١٠٤]. وعادة طاوِي السِّجِل أَنْ يَطويَه بيمينه، وقيل: «قَبْضَته» مُلْكُه بلا مُدافِع ولا مُنازِع، و«بيمينه» بقُدْرته.

قال الزمخشريُّ: وقيل: «مطوياتٌ بيمينِه» مُفْنَيَاتٌ بقَسَمِه؛ لأنَّه أَقْسَمَ أَنْ يُفْنِيَها[٢]. ثمَّ أَخَذَ يَنْحِي[٣] على مَن تأوَّل هذا التأويلَ بما يُوقَفُ عليه في كتابه.

ولمَّا قرَّر كمالَ عَظَمته بما سَبَق، أَرْدَفَهُ أيضاً بما يناسِبُ مِن ذلك، إذ كان فيما تقدَّم ذَكَرَ حالَ الأرضِ والسماوات يومَ القيامة، فقال: «ونُفِخَ في الصُّور» وتقدَّم الكلامُ في النفخ في الصُّورِ[٤]، وهل النَّفْخُ في الصُّورِ ثلاثَ مرَّات أو نفختان، والنفختان قولُ الجمهور؛ فنَفْخَة الفَزَع هي نَفْخَة الصَّعْق، والصَّعْقُ هنا: الموتُ، أي: فماتَ «مَن في السماوات ومَن في الأرض».

قال ابنُ عطيَّة: و«الصُّور» هنا القَرْن، ولا يُتصوَّر هنا غيرُ هذا، ومَن يقول: «الصُّور» جَمْعُ: صُورة، فإنَّما يَتوجَّه قولُه في نَفْخَة البَعْث، ورُوِيَ أنَّ بينَ النَّفْخَتَيْن أربعينَ[٥]. انتهى، ولم يُعيِّن.

---

(١) كذا في النسخ، وهي قراءة ابن كثير ونافع وأبي عمرو وابنِ عامر وعاصم في رواية أبي بكر ويعقوب وأبي جعفر، في حين قرأ الباقون بالجمع. السبعة ص ٤٣١، والتيسير ص ١٥٥، والنشر ٢/ ٣٢٥.

(٢) الكشاف ٣/ ٤٠٩.

(٣) في (ت): منحى. والمعنى ـ والله أعلم ـ: ينحي عليه باللائمة. ينظر المصدر السابق.

(٤) عند تفسير الآية (٧٣) من سورة الأنعام، وينظر أيضاً تفسير الآية (٨٧) من سورة النمل.

(٥) المحرر الوجيز ٤/ ٤٤١، وجاء بعد العبارة فيه ما نصُّه: لا يدري أبو هريرة سنة أو يوماً أو شهراً أو ساعة. والخبر عند البخاري (٤٩٣٥)، ومسلم (٢٩٥٥).

وقراءةُ قتادة وزيد بنِ عليٍّ هنا: «في الصُّوَر» بفتح الواو[١]، جَمْع: صُورة، يُعكِّر على قول ابنِ عطيَّة أنَّه لا يتصوَّر هنا إلَّا أنْ يكونَ القَرْنَ، بل يكون هذا النَّفْخُ في الصّور مجازاً عن مشارَفة الموت وخروجِ الرُّوح، وقُرئَ: «فَصُعِقَ» بضمِّ الصَّاد[٢].

والظاهر أنَّ الاستثناء معناه: «إلَّا مَن شاءَ اللهُ» فَلَم يُصْعَق، أي: لم يَمُت، والمُستَثْنَون: جبريل ومِيكائِيل وإسْرَافِيل ومَلَك الموت، أو: رضوان ـ خازن الجنَّة ـ والحُور ومالِك والزَّبَانِيَة، أو المستثنى اللهُ، أقوالٌ آخِرُها للحَسَن، وما قَبْلَه للضحاك[٣].

وقيل: الاستثناء يرجع إلى مَن مات قَبْلَ الصَّعْقَة الأُولى، أي: يَموت مَن في السماوات والأرض إلَّا مَن سَبَقَ موتُه؛ لأنَّهم كانوا قد ماتوا[٤]، وهذا نظير: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الدخان:٥٦].

«ثُمَّ نُفِخَ فيه أُخرى» أي: في الصُّور الذي هو القَرْن، أو: في الصُّوَر الذي هو جمع: صُورة، و«أخرى» نعتٌ لمصدر محذوف، أي: نفخة «أخرى»[٥].

واحتمل «أُخرى» أن تكونَ في موضع نَصْبٍ، والمقام مقام الفاعل الجارّ والمجرور، كما أُقيم في الأوَّل، وأن تكون في موضعِ رَفْعٍ مُقاماً مقامَ الفاعل[٦]، كما صرَّح به في قوله: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ﴾ [الحاقة:١٣].

«فإذا هم قيامٌ يَنظُرون» أي: أحياء قد أُعيدَت لهم الأبدانُ والأرواح «ينظرون» أي: ينتظرون ما يُؤمَرون، أو: ينتظرون ماذا يُفعَل بهم، أو يُقلِّبونَ أبصارَهم في

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٥٤١ عن قتادة.
(٢) زاد المسير ٧/ ١٩٧ وعزاها لابن السميفع وابن يعمر والجحدري، والقراءة في القراءات الشاذة ص ١٣١ دون عزو.
(٣) ينظر النكت والعيون ٥/ ١٣٥-١٣٦، وتفسير الثعلبيّ ٥/ ٣٢٥، والمحرر الوجيز ٤/ ٥٤١، وتفسير القرطبي ١٨/ ٣١١-٣١٢، ومعاني القرآن للنحاس ٦/ ١٩٣-١٩٤، والقول الأول للسدي وأخرجه عنه الطبريُّ ٢٠/ ٢٥٤، وأخرج أيضاً قولَ الحسن ٢٠/ ٢٥٨.
(٤) تفسير القرطبي ١٨/ ٣١٢.
(٥) من قوله: أي: في الصور الذي هو القرن... إلى هنا، زيادة من (يه) ولم يَرِد في النسخ الأخرى.
(٦) من قوله: الجار والمجرور... إلى هنا، ليست في (ت) و(يه).

الجهات نَظَرَ المَبْهُوت إذا فاجَأَهُ خَطْبٌ عظيم، والظاهرُ قيامُهم الذي هو ضِدُّ القُعود لأَجْلِ استيلاء الدَّهْش عليهم.

وقرأ زيد بنُ عليٍّ: «قياماً» بالنَّصب على الحال[١]، وخبرُ المبتدأ الظَّرْفُ الذي هو «إذا» الفجائيَّة، وهي حالٌ لا بُدَّ منها، إذ هي محطُّ الفائدة، إلَّا أَنْ يُقدَّر الخبرُ محذوفاً، أي: فإذا هم مَبعوثونَ، أو موجودون قياماً، وإذا نصبَ «قياماً» على الحال، فالعامل فيها ذلك الخبرُ المحذوف، إنْ قلنا: الخبر محذوف، وإِنْ لا، فالعامل هو العاملُ في الظَّرْف، فإن كان «إذا» ظرفَ مكانٍ ـ على ما يقتضيه ظاهر كلام سيبويه[٢] ـ فتقديره: فبالحَضْرَة هم قياماً، وإن كان ظرفَ زمانٍ ـ كما ذهب إليه الرِّيَاشِيّ ـ فتقديره: ففي ذلك الزمان الذي نُفِخَ فيه هم، أي: وجودُهم، واحتيجَ إلى تقديرِ هذا المضاف؛ لأنَّ ظرفَ الزمانِ لا يكون خبراً عن الجُثَّة، وإن كانت «إذا» حرفاً ـ كما زَعَم الكوفِيُّون ـ فلا بُدَّ مِن تقدير الخبرِ إلَّا إن اعتقدَ أنَّ «ينظرون» هو الخبر، ويكون «ينظرون» عاملاً في الحال.

وقرأ الجمهور: «وأَشْرَقَت» مبنيًّا للفاعل، أي: أَضاءَت، وابنُ عباس وعبيد بنُ عمير وأبو الجوزاء: مَبنيًّا للمفعول[٣]، مِن: شَرقَت بالضَّوء تَشْرَقُ: إذا امْتَلَأَت به واغتصَّت، وأَشْرَقها اللهُ، كما تقول: مَلَأَ الأَرضَ عَدْلاً، وطبَّقها عَدْلاً، قاله الزمخشريُّ[٤].

وقال ابنُ عطيَّة: وهذا إنَّما يترتَّب مِن فعلٍ يتعدَّى، فهذا على أَنْ يقال: أَشْرَقَ البيتُ، وأَشْرَقَهُ السِّرَاج، فيكون الفعلُ مجاوزاً وغيرَ مجاوز، كرَجَعَ ورَجَعْتُه، ووَقَفَ ووَقَفْتُه، و«الأرض» في هذه الآية الأرض المُبدلة مِن الأرض المعروفة، ومعنى: أشرقت: أَضاءت وعَظُمَ نُورُها[٥]. انتهى.

---

(١) الكشاف ٣/ ٤٠٩ دون عزو.

(٢) ينظر ما سلف عند تفسير الآية (١٠٧) من سورة الأعراف.

(٣) ينظر تفسير الثعلبي ٥/ ٣٢٦، والمحرر الوجيز ٤/ ٥٤٢، والكشاف ٣/ ٤١٠، والقراءة في القراءات الشاذة ص ١٣٢ عن ابن عباس وأبي الجوزاء، والمحتسب ٢/ ٢٣٩ عن ابنِ عباس.

(٤) الكشاف ٣/ ٤١٠.

(٥) المحرر الوجيز ٤/ ٥٤٢.

وقال صاحب «اللوامح»: وَجَبَ أَنْ يكونَ الإشراقُ على هذه القراءة منقولاً مِن: شَرَقت الشمسُ: إذا طَلَعت، فيصير متعدِّياً بالفعل، بمعنى: أُذهبت ظلمةُ الأرضِ، ولا يَجوز أَنْ يكونَ مِن: أَشرقت: إذا أَضاءت، فإنَّ ذلك لازِمٌ، وهذا قد تعدَّى إلى «الأرض»، لمَّا لم يُذكَر الفاعل، وأُقيمت «الأرض» مقامه، وهذا معنى ما ذَهَبَ إليه بعضُ المتأخِّرين مِن غيرِ أَنْ يَنْقدَ في ذلك؛ لأنَّ مِن الأفعال ما يكون متعدِّياً ولازماً معاً على مثالٍ واحد. انتهى.

وفي الحديث الصحيح: «يُحشَر الناسُ على أرضٍ بيضاءَ عَفْراءَ، كقُرْصَةِ النَّقِيِّ ليس بها عَلَمٌ لأَحَدٍ»[١].

«بنور رَبِّها» قيل: إنَّ اللهَ يَخلُق نوراً يومَ القيامة فيُلْبِسَه وَجْهَ الأرضِ فتُشْرِق الأرضُ به، وقال ابنُ عباس: النُّور هنا ليس مِن نور الشمسِ والقَمَر، بل هو نورٌ يَخلُقه اللهُ فيُضِيءُ الأرضَ. ورُوِيَ أنَّ الأرضَ يومئذٍ مِن فضَّة، والمعنى: أشرقت بنور خَلَقه اللهُ تعالى، أضافه إليه إضافةَ المُلْكِ إلى المالك[٢].

وقال الزمخشريُّ: استَعار اللهُ النُّورَ للحَقِّ والقرآنِ والبُرهانِ في مواضعَ مِن التنزيلِ، وهذا مِن ذاك، والمعنى: «وأشرقت الأرضُ» بما يُقيمه فيها مِن الحَقِّ والعَدْلِ، ويَبْسطه مِن القِسْط في الحساب ووَزْن الحسناتِ والسَّيِّئات، ويُنادي عليه بأنَّه مُستَعارٌ إضافتُه إلى اسمِه؛ لأنَّه هو الحقُّ العَدْل، وإضافةُ اسمِه إلى الأرضِ؛ لأنَّه يُزَيِّنها حيث يَنشُر فيها عَدْلَه، ويَنصِب فيها موازينَ قِسْطِه، ويَحكم بالحقِّ بين أهلها، ولا تَرَى أَزْيَنَ للبقاع مِن العَدْل ولا أعمر لها منه، ويقولون للمَلِكِ العادِلِ: أَشْرَقَت الآفاقُ بعَدْلِك، وأَضاءت الدُّنيا بقِسْطِكَ، كما تقول: أَظْلَمت البلادُ بجَورِ فلانٍ، وقال رسولُ الله ﷺ: «الظُّلْم ظُلُماتٌ يومَ القيامة»، وكما فَتَحَ الآيةَ بإثبات العَدْلِ خَتَمها بنَفْيِ الظُّلْم[٣].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧٩٠) من حديث سهل بن سعد، وقوله: عفراء: بيضاء إلى حُمرة، والنَّقِيّ: الدقيق الحوَّارى. شرح صحيح مسلم للنووي ١٧/ ١٣٤.

(٢) تفسير القرطبي ١٨/ ٣١٣-٣١٤، وينظر تفسير الثعلبيّ ٥/ ٣٢٦، والنكت والعيون ٥/ ١٣٦، ومجمع البيان ٢٤/ ١٧٣. ولقوله: إنَّ الأرض من فضة، ينظر خبر ابن مسعود عند أحمد في العلل (١٢١٥)، والطبري ١٣/ ٧٢٩.

(٣) الكشاف ٣/ ٤١٠، والخبر أخرجه البخاريُّ (٢٤٤٧)، ومسلم (٢٥٧٩)، وهو عند أحمدِ =

«ووُضِعَ الكتابُ» أي: صحائفُ الأعمالِ، ووحّد؛ لأنَّه اسمُ جنسٍ، وكلّ أَحَدٍ له كتابٌ على حِدَة، وأبْعَدَ مَن قال: «الكتاب» هنا اللوحُ المحفوظ[١]، ورُوِيَ ذلك عن ابنِ عباس[٢]، ولعلَّه لا يَصِحُّ، وقد ضُعِّفَ؛ بأنَّ الآيةَ سِيْقَت مقامَ التهديد في سياق الخبر.

«وجِيْءَ بالنَّبيين» ليَشهدوا على أُمَمِهم «والشهداء» قيل: جَمْعُ: شَاهِد، وهم الذين يَشهدون على النَّاس بأعمالهم، وقيل: هم الرُّسُل مِن الأنبياء، وقيل: أمَّة محمَّد ﷺ يَشهدون للرُّسُل، وقال عطاء ومقاتل وابنُ زيد: الحَفَظَة، وقال ابنُ زيد أيضاً: النَّبيُّون والملائكة وأمَّة محمد عليه السلام والجوارحُ، وقال قتادة: «الشُّهداء» جَمْعُ: شَهيد[٣]، وليس فيه توعُّدٌ، وهو مقصودُ الآية.

«وقُضِيَ بينَهم» أي: بين العالَم، ولذلك قُسِموا بَعْدُ إلى قِسْمَين؛ أهل النَّار وأهل الجنَّة، «بالحَقِّ» أي: بالعَدْل، «ووُفِّيَت كلُّ نفسٍ» أي: جُوزيت مكمَّلا، «وهو أَعلم بما يَفعلون» فلا يحتاج إلى كاتبٍ ولا شاهدٍ، وفي ذلك وعيدٌ وزيادةُ تهديدٍ[٤].

﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَتۡلُونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ رَبِّكُمۡ وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنۡ حَقَّتۡ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي صَدَقَنَا وَعۡدَهُۥ وَأَوۡرَثَنَا ٱلۡأَرۡضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلۡجَنَّةِ حَيۡثُ نَشَآءُۖ فَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ﴿٧٤﴾ وَتَرَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنۡ حَوۡلِ ٱلۡعَرۡشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡۖ وَقُضِيَ بَيۡنَهُم بِٱلۡحَقِّۚ وَقِيلَ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٧٥﴾﴾.

= (٦٢١٠) من حديث ابن عمر، وأخرجه أيضاً مسلم (٢٥٧٨) من حديث جابر بن عبد الله، وهو عند أحمد (١٤٤٦١).

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٥٤٢.

(٢) تفسير القرطبي ١٨/ ٣١٥، وينظر المصدر السابق أيضاً.

(٣) زاد المسير ٧/ ١٩٨، وينظر تفسير الثعلبي ٥/ ٣٢٦، والنكت والعيون ٥/ ١٣٦-١٣٧، والمحرر الوجيز ٤/ ٥٤٢، وتفسير القرطبي ١٨/ ٣١٥.

(٤) بعدها في (يه): والله أعلم.

ولمَّا ذَكَر شيئاً مِن أحوالِ يومِ القيامة على سبيل الإجمال، بيَّن بَعْدُ كيفيَّة أحوالِ الفريقين، وما أَفضى إليه كلٌّ واحدٍ منهما، فقال: «وسِيْقَ» والسَّوقُ يقتضي الحَثَّ على المسير بعُنْفٍ، وهو الغالبُ فيه، وجوابُ «إذا»: «فُتحت أبوابها»، ودلَّ ذلك على أنَّه لا يُفتَح إلَّا إذا جاءَت، كسائرِ أبوابِ السُّجُون؛ فإنَّها لا تَزالُ مُغلقةً حتى يأتيَ أصحابُ الجرائم الذين يُسْجَنون فيها، فتُفتَح ثمَّ تُغلَق عليهم، وتقدَّم ذِكْرُ قراءةِ التخفيف والتشديد في «فُتِحَت»[1]، و«أبوابها» سَبْعَةٌ، كما ذكرَ في سورة «الحِجْر»[2].

«وقال لهم خَزَنتها» على سبيل التَّقريع والتوبيخ: «أَلَم يَأْتِكم رُسُلٌ منكم» أي: مِن جِنْسِكم؛ تَفْهَمون ما يُنَبِّئونكم به، وسَهْلٌ عليكم مراجعتهم.

وقرأ ابنُ هرمز: «تأتكم» بتاءِ التأنيث[3]، والجمهور: بالياء، «يَتْلُون عليكم آياتِ ربِّكم» أي: الكُتُبَ المنزلة؛ للتبشيرِ والنِّذارة «ويُنْذِرونكم لقاءَ يومِكم هذا» وهو يومُ القيامة، وما يَلقى فيه المسمَّى مِن العذاب «قالوا بلى» أي: قد جاءَتْنا وَتَلَوْا وأَنْذَرُوا، وهذا اعترافٌ بقيام الحُجَّة عليهم «ولكِنْ حَقَّت كلمةُ العذاب» أي: قولُه تعالى: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾ [هود:١١٩] «على الكافرين» وضعَ الظاهر موضعَ المُضمَر، أي: علينا، صرَّحوا بالوَصْفِ المُوجِب لهم العقاب، ولمَّا فَرَغت محاورتهم مع الملائكة أُمِرُوا بدخولِ النَّار.

«وسِيْقَ الذينَ اتَّقوا ربَّهم إلى الجنَّة زُمَراً» عبّر عن الإسراع بهم إلى الجنَّة مُكرَّمين بالسَّوْقِ، والمَسُوق دوابُّهم؛ لأنَّهم لا يَذهبون إليها إلَّا راكبين، ولمقابَلَةِ قَسِيْمهم ساغَ لفظُ السَّوق، إذ لو لم يتقدَّم لفظ: «وسِيْق» لعبّر بغيره.

و«إذا» شرطيَّة، وجوابُها؛ ـ قال الكوفيون ـ: «وفُتحت» والواو زائدة[4]، وقال

---

(١) لم يَرِد ذِكْرُ هذه القراءة فيما مضى من هذه السورة، والقراءة بالتخفيف قراءةُ عاصم وحمزة والكسائي وخَلَف، في حين قرأ الباقون بالتشديد. السبعة ص ٥٦٣-٥٦٤، والتيسير ص١٩٠، والنشر ٢/ ٣٦٤، وينظر ما سلف عند تفسير الآية (٤٤) من سورة الأنعام، والآية (٩٦) من سورة الأنبياء.

(٢) عند تفسير الآية (٤٤) منها.

(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٥٤٣، والقراءة في القراءات الشاذة ص ١٣٢ عن ابن هرمز والحسن.

(٤) إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٢٢، وينظر الإنصاف ٢/ ٤٥٦-٤٥٩.

غيرهم: محذوف، قال الزمخشريُّ: وإنَّما حذفَ؛ لأنَّه في صفةِ ثوابِ أهلِ الجنَّة، فدلَّ حذفه على أنَّه شيءٌ لا يُحيط به الوَصْفُ، وحَقُّ موقعِه ما بَعْدَ: «خالدين»[1]. انتهى.

وقدَّره المُبرِّد بَعْدَ «خالدين»: سُعِدُوا[2]، وقيل: الجواب: «وقال لهم خَزَنتُها» على زيادةِ الواوِ، وقيل: «حتى إذا جاؤوها وفتحت أبوابها»[3]، ومَن جَعَلَ الجوابَ محذوفاً، أو جَعَلَه: «وقالَ لَهُم» على زيادة الواو، جَعَل قولَه: «وفتحت» جملةً حاليَّةً، أي: جاؤوها وقد فُتحت أبوابها، كقوله: ﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ﴿٥٠﴾﴾ [ص: ٥٠] وناسَبَ كونها حالاً؛ لأنَّ أبوابَ الأفراح تكون مُفَتَّحة لانتظارِ مَن يَجِيْءُ إليها، بخلاف أبواب السُّجون.

«وقال لهم خزنتها سلام عليكم» يَحتمل أن يكون تحيَّةً منهم عند ملاقاتهم، وأن يكون خَبراً بمعنى السَّلامة والأَمْن، «طِبْتُم» أي: أعمالاً ومُعتَقَداً ومَستقرًّا وجَزَاءً، «فادخلوها خالدين» أي: مُقدّرين الخلودَ.

«وقالوا» أي: الداخلونَ الجنَّةَ: «الحَمْدُ للهِ الَّذي صَدَقَنا وَعْدَهُ وأَوْرَثَنا الأَرضَ» أي: مَلَّكَنَاها نتصرَّف فيها كما نَشاء، تشبيهاً بحالِ الوارث وتَصَرُّفه فيما يَرِثه، وقيل: وَرِثوها مِن أهلِ النَّار، وهي أرضُ الجنَّة، ويَبعُد قولُ مَن قال: هيَ أَرضُ الدُّنيا، قاله قتادة وابنُ زيد والسُّدِّيّ[4]، «نَتَبَوَّأ من الجنَّة حيث نَشَاء» أي: نَتَّخِذُ أمكنةً ومساكنَ.

والظاهر أنَّ قولَه: «فَنِعْمَ أَجْرُ العاملين» أي: بطاعةِ اللهِ هذا الأَجْرُ، مِن كلامِ الدَّاخلين، وقال مقاتل: هو مِن كلامِ الله تعالى[5].

«وتَرَى الملائكةَ» الخطابُ للرَّسول «حَافِّيْنَ» قال الأخفش: واحدهم: حَافٌ،

---

(١) الكشاف ٣/ ٤١٠-٤١١.
(٢) إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٢٢، والمحرر الوجيز ٤/ ٥٤٣، وتفسير القرطبي ١٨/ ٣١٧.
(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٥٤٣ وعزاه للخليل، وينظر تفسير الثعلبي ٥/ ٣٢٨، وزاد المسير ٧/ ١٩٩-٢٠١.
(٤) المحرر الوجيز ٤/ ٥٤٣، وأخرجه عنهم الطبريُّ ٢٠/ ٢٧٠.
(٥) تفسير الرازي ٢٧/ ٢٣، وينظر تفسير القرطبي ١٨/ ٣٢٠.

وقال الفَرَّاء: لا يُفرَد[١]؛ قيل: لأنَّ الواحدَ لا يَكون حافًّا، إذِ الحفوف الإِحْدَاقُ بالشَّيء، «مِن حَول العرش» قال الأخفش: «مِن» زائدة، أي: «حَافِّينَ» حولَ العرش، وقيل: هي لابتداءِ الغاية[٢].

والظاهر عَوْدُ الضميرِ مِن «بينهم» على الملائكة؛ إذ ثوابهم ـ وإن كانوا معصومين ـ يكون على حَسَب تفاضُل أعمالهم، فيختلف تفاضل مراتبهم، فذلك هو القضاءُ «بينهم بالحقّ»، وقيل: الضمير يعود على العباد كلِّهم، وأنَّ مصيرَ كلٍّ إلى ما قدِّر له هو قضاءٌ بالحقِّ.

«وقيل الحمدُ للهِ رَبِّ العالمين» الظاهر أنَّ قائلَ ذلك هم مَن دَارَت بينَهم المخاطبةُ مِن الدَّاخلين الجنَّة ومِن خَزَنتها ومِن الملائكة الحافِّين حولَ العرش، إذ هم في نعيمٍ سَرْمَدِيٍّ بنجاةٍ مِن عذابِ الله.

وقال الزمخشريُّ: المَقْضِيُّ بينهم؛ إمَّا جميعُ العباد، وإمَّا الملائكة، كأنَّه قيل: وقُضِيَ بينهم بالحقِّ، وقالوا: الحمدُ لله على قضائِهِ بينَنا بالحقّ وإنزالِ كلٍّ مِنَّا منزلتَه التي هي حقّه[٣].

وقال ابنُ عطيَّة: «وقيلَ الحمدُ لله ربِّ العالمين» خَتْمٌ للأمْرِ، وقَولٌ حزمٌ عند فَصْلِ القضاء، أي: إنَّ هذا الحاكمَ العَدْلَ يَنبغي أَنْ يُحمَدَ عند نفوذِ حُكْمه وإكمالِ قضائِهِ، ومِن هذه الآيةِ جُعلَت «الحمد لله ربِّ العالمين» خاتمةَ المجالِسِ المجتمعاتِ في العِلْم[٤].

---

(١) تفسير القرطبي ١٨/ ٣٢٠، والكلام من إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٢٣.

(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٥٤٣-٥٤٤، وينظر تفسير القرطبي ١٨/ ٣٢١، وكلام الأخفش في كتابه معاني القرآن ٢/ ٦٧٣.

(٣) الكشاف ٣/ ٤١١.

(٤) المحرر الوجيز ٤/ ٥٤٤، مع الإشارة إلى أنَّه ورد بعدها في (يه): والحمد لله ربِّ العلم، والله أعلم.

مفردات سورة غافر

أَزِفَ الشَّيءُ: قَرُبَ، قال الشاعر:

أَزِفَ التَّرَحُّلُ غيرَ أنَّ رِكابَنا لمَّا تَزَلْ بِرحالِنا وكأَنْ قَدِ[1]

التَّبَاب: الخُسْران، السِّلْسِلَة معروفة، السَّحْبُ: الجَرُّ، سَجَرْتُ التَّنور: مَلَأْته ناراً.

* * *

سورة غافر

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝٢ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ۝٣ مَا يُجَٰدِلُ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِى ٱلْبِلَٰدِ ۝٤ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۖ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍۭ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ ۖ وَجَٰدَلُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ۝٥ وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۝٦﴾.

التفسير سَبْع الحَوامِيم مَكِّيَّات[2]، قالوا: بإجماع[3]، وقالوا: في بعضِ آيات هذه

(١) إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٢٨٣، وتفسير الثعلبي ٥/ ٣٤٠، وتفسير الرازي ٢٧/ ٤٩، والقرطبي ١٨/ ٣٤٢، والبيت للنابغة الذبياني، وهو في ديوانه ص ٣٨، وفيه: أَفِدَ، بدل: أَزِفَ.

(٢) الكشاف ٣/ ٤١٢ وعزا القولَ لابن عباسٍ وابنِ الحنفية، وكذا ورد عنهما في تفسير السمرقندي ٣/ ١٦٠، وقولُ ابنِ عباس عند ابنِ الضُّريس في فضائل القرآن (١٧)، والنحاس في الناسخ والمنسوخ ٢/ ٦١١.

(٣) لم نقف على من قال بذلك، ونَقَل هذا القولَ عنه الآلوسيّ في روح المعاني ٢٤/ ٥، مع =

السورة مَدَنيٌّ، قال ابنُ عطيَّة: وهو ضعيف[1].

وفي الحديث: «إنَّ الحَوامِيم ديباجُ القرآن»، وفيه: «مَن أرادَ أنْ يَرتَع في رياضٍ مُونِقَةٍ مِن الجنَّة، فليَقْرَأ الحَواميم»، وفيه: «مَثَلُ الحَوامِيم في القرآن مَثَلُ الحِبَرات في الثياب»[2].

وهذه الحواميم مقصورةٌ على المواعظ والزَّجْر وطُرُق الآخِرَة، وهي قصارٌ لا يلحق فيها سآمَةٌ.

ومناسبة أوَّل هذه السورة لآخِرِ «الزُّمَر» أنَّه سبحانه وتعالى لمَّا ذَكَر ما يَؤول إليه

= الإشارة إلى أنَّ ابنَ عطية ذَكَر في المحرر الوجيز ٤/ ٥٤٥ أن هذه السورة مكية بإجماع، فلعلَّه مرادُ المصنِّف، والله تعالى أعلم.

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٥٤٥، وتنظر الأخبار في ذلك في النكت والعيون ٥/ ١٤١، وزاد المسير ٧/ ٢٠٤، ومجمع البيان ٢٤/ ١٧٨، وتفسير القرطبي ١٨/ ٣٢٢.

(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٥٤٥، والخبر الأول أورده أيضاً القرطبيُّ ١٨/ ٣٢٢ من حديث أنس، عن النبيِّ ﷺ، وأخرجه عنه أبو الشيخ ـ ومن طريقه الثعلبيُّ في الكشف والبيان ٥/ ٣٣٠ ـ وأبو نعيم كما في الدر المنثور ٥/ ٣٤٤، وأورده أيضاً عن ابنِ مسعود موقوفاً، وأخرجه عنه ابنُ الضريس في فضائل القرآن (٣٢٨)، والحاكم في المستدرك ٢/ ٤٣٧، والبيهقي في شعب الإيمان (٢٤٧١).

والخبر الثاني أخرجه ابنُ الضريس في فضائل القرآن (٢٩٦) من طريق إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة، بلاغاً عن النبيِّ ﷺ، وفيه: «إنَّ لكلِّ شجرٍ ثمراً، وإنَّ ثمر القرآن ذوات ﴿حمٓ﴾ هنَّ روضات مخصبات معشبات متجاورات، فمن أحبَّ أن يرتع في رياض الجنة فليقرأ الحواميم...» الحديث، وأورده أيضاً الثعلبيُّ في الكشف والبيان ٥/ ٣٣١، وعنه القرطبيُّ ١٨/ ٣٢٣.

وأورد أيضاً الثعلبيُّ في الكشف والبيان ٥/ ٣٣١، وابنُ الجوزي في زاد المسير ٧/ ٢٠٥ عن ابنِ مسعود أنه قال: إذا وقعتُ في آل ﴿حمٓ﴾ وقعتُ في روضات دَمِثات. وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٥/ ٣٤٤ إلى أبي عبيد ومحمد بن نصر وابن المنذر، وهو عند أبي عبيد في فضائل القرآن ص ١٣٧، وعند ابنِ قتيبة في عيون الأخبار ٢/ ١٣٢.

والخبر الثالث أورده الزجَّاج في معاني القرآن ٤/ ٣٦٥، والثعلبيُّ في الكشف والبيان ٥/ ٣٣١، ـ ونقله عنه القرطبيُّ ١٨/ ٣٢٣ ـ، وأورده أيضاً ابنُ سِيْدَه في المحكم (حبر)، وابن منظور في اللسان (حبر)، ولم نقف عليه مسنداً، والحِبَرة: ضَرْب من برود اليمن منمر.

حالُ الكافر وحالُ المؤمن، ذَكَر تعالى هنا أنَّه غافِرُ الذَّنْب وقَابلُ التَّوب؛ ليكونَ ذلك استدعاءً للكافر إلى الإيمان وإلى الإقلاع عمَّا هو فيه، وأنَّ بابَ التوبة مفتوحٌ، وذَكَر شدَّة عقابه وصيرورةَ العالَم كلّهم فيه؛ ليرتدعَ عمَّا هو فيه، وأنَّ رجوعَه إلى ربِّه فيجازيه بما يَعمله مِن خيرٍ أو شرٍّ.

وقرئ: بفتح الحاء، وبالإمالة الصَّريْحَة بين اللفظين[1]، والجمهور: بإسكان الميم، والزهريُّ: برفعها[2]، وهو اختيارُ أبي القاسم بنِ جُبارة الهُذَليِّ صاحب كتاب «الكامل» في القراءات، وأبو السَّمَّال: بكسرها[3]، على أصلِ التقاء الساكنين، وابنُ أبي إسحاق وعيسى: بفتحها[4]، وخرّج على أنَّها حركةُ التقاء الساكنين، كانت فتحةً؛ طَلَباً للخِفَّة، كـ: «أينَ»، وحركةُ إعرابٍ على انتصابِها بفعل مقدّر، تقديره: اقْرَأْ: حاميم.

وفي الحديث أنَّ أعرابيًّا سَأَلَ رسولَ الله ﷺ عن حاميم ما هو؟ فقال: «أسماء وفواتح سُوَر»[5]، قال شُرَيح بنُ أبي أَوْفَى العبسيُّ:

(١) ينظر المحرر الوجيز ٤/ ٥٤٥-٥٤٦، وتفسير الثعلبيّ ٥/ ٣٣٣، وزاد المسير ٧/ ٢٠٦، وتفسير القرطبي ١٨/ ٣٢٥، حيث قرأ بالإمالة ـ في الحاء ـ أبو عمرو وأبو بكر وحمزة والكسائي وخلف وابنُ ذكوان، ورُوي عن أبي عمرو ونافع ـ برواية ورش ـ بين اللفظين، وهي قراءة نافع وأبي جعفر وشيبة، والباقون بالفتح مشبعاً. ينظر السبعة ص ٥٦٦-٥٦٧، والتيسير ص ١٩١، والنشر ٢/ ٧٠-٧١.

(٢) لم نقف على القراءة عند غيره، وأوردها عنه السمينُ في الدر ٩/ ٤٥١، وابنُ عادل في اللباب ١٧/ ٣، والآلوسي في روح المعاني ٢٤/ ٨.

(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٥٤٦، وتفسير القرطبي ١٨/ ٣٢٥ وزاد نسبتها لابن أبي إسحاق، والقراءة في القراءات الشاذة ص ١٢٤ عن أبي السَّمَّال وحده.

(٤) المحرر الوجيز ٤/ ٥٤٥-٥٤٦، وتفسير القرطبي ١٨/ ٣٢٥، عن عيسى بن عمر، وأوردها أيضاً عنه ابنُ الجوزي في زاد المسير ٧/ ٢٠٦ نقلاً عن الزجاج، وهي في كتابه معاني القرآن ٤/ ٣٦٥، وهي في القراءات الشاذة ص ١٣٢ عن أبي السمال، ولعلَّ ذِكْرَ ابنِ أبي إسحاق هنا مُقحَمٌ، والأنسب ذِكْره مع القراءة السالفة؛ ليتوافق مع تفسير القرطبي ١٨/ ٣٢٥، ينظر التعليق السابق.

(٥) تفسير الثعلبيّ ٥/ ٣٣٣، والمحرر الوجيز ٤/ ٥٤٥، وتفسير القرطبي ١٨/ ٣٢٤، ولم نقف عليه مسنداً، وورد في المصادر كلها: «بدءُ أسماء وفواتح سور»، ومع الإشارة إلى أنَّه ورد في (يه) هكذا: «بدء أسماء فواتح سور» بدون واو.

يُذَكِّرني حاميمَ والرُّمحُ شاجِرٌ فهلَّا تَلَا حاميمَ قَبْلَ التَّقَدُّمِ[(١)]

وقال الكميت:

وَجَدْنا لكم في آل حاميم آيةً تأوَّلها مِنَّا تَقِيٌّ ومُعْرِبُ[(٢)]

أعْرَبا: حاميم، ومُنِعت الصَّرفَ؛ للعَلَميَّة والتأنيث، أو للعَلَميَّة وشبهِ العُجْمَة؛ لأنَّ: فاعِيْل، ليس مِن أوزان أبنية العَرَب، وإنَّما وُجِدَ ذلك في العَجَم، نحو: قَابِيل، وهَابِيل[(٣)]، وتقدَّم فيما رُوِيَ في الحديث جَمْعُ حاميم على الحواميم[(٤)]، كما جمع: ﴿طسٓ﴾ [النمل: ١] على الطَّواسِين[(٥)].

وحكى صاحبُ «زاد المسير» عن شيخه أبي منصور اللغويّ أنَّه قال: مِن الخَطَأِ أنْ تقولَ: قرأتُ الحواميمَ، وليس مِن كلام العرب، والصواب أنْ تقول: قرأت آلَ حاميم، وفي حديث ابنِ مسعود: إذا وقعت في آل حاميم وقعت في رَوْضَات دَمِثات[(٦)]. انتهى.

فإنْ صَحَّ مِن لفظ الرَّسول أنَّه قال: «الحواميم» كان حجَّةً على مَن مَنَعَ ذلك، وإن كان نُقِلَ بالمعنى أمكن أنْ يكونَ مِن تحريفِ الأعاجم، ألا ترى أنَّ لفظَ ابنِ مسعود: إذا وقعت في آلِ حاميم، وقول الكُمَيْت:

---

(١) المحرر الوجيز ٤/٥٤٦، والبيت في مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/١٩٣، وفي صحيح البخاري قبل الحديث (٤٨١٥)، وفي تفسير الطبريّ ٢٠/٢٧٥، والنكت والعيون ٥/١٤١، وقيل: البيت للأشتر النخعي، وقيل غير ذلك، كما في فتح الباري ٨/ ٥٥٤-٥٥٥.

(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٥٤٦، وينظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/ ١٩٣، والكتاب لسيبويه ٣/ ٢٥٧، وتفسير الطبري ٢٠/ ٢٧٥، وزاد المسير ٧/ ٢٠٥، والبيت في ديوان الكميت ص٥٢١، وهو في مدح بني هاشم، والمُعْرِب: المُبِين.

(٣) ينظر كتاب سيبويه ٣/ ٢٥٧-٢٥٨، وشرح أبيات سيبويه للسيرافي ٢/ ٣٠٠-٣٠١.

(٤) يعني: قولَه ﷺ: «إن الحواميم ديباج القرآن» وسلف تخريجه قريباً.

(٥) ينظر معاني القرآن للفراء ١/ ١٠، وللزجاج ١/ ٦٤-٦٥، والصحاح (حمم).

(٦) زاد المسير ٧/ ٢٠٥، وينظر دُرّة الغواص ص ٢٠، وقولُ ابنِ مسعود مرَّ تخريجه قريباً، والدَّمِثات: جمع: دَمِثة، وأصله من الدَّمْث، وهو الأرض السَّهلة الرّخوة، والرمل الذي ليس بمتلبِّد. النهاية (دمث).

وجـــدنـــا لـــكـــم فـــي آلِ حـــامـــيـــم[١]

وتقدَّم الكلامُ على هذه الحُروف المقطَّعة في أوَّل «البقرة»[٢] وقد زادوا في حاميم أقوالاً هنا، وهي مرويَّة عن السَّلَف رغبنا عن ذِكْرها؛ لاضْطِرابها وعَدَمِ الدليل على صحَّةِ شَيءٍ منها.

فإنْ كانت ﴿حمٓ﴾ اسماً للسُّورة كانت في موضع رَفْع على الابتداء، وإلَّا فـ «تنزيل» مبتدأ، و«مِن الله» الخبر، أو خبر مبتدأٍ، أي: هذا تنزيل، و«مِن الله» متعلِّق بـ «تنزيل»، و«العزيز العليم» صفتان دالَّتان على المبالغة في القُدْرة والغَلَبة والعلم، وهما مِن صفات الذات، وقال الزجَّاج: «غافر» و«قابل» صفتان و«شديد» بَدَل[٣]. انتهى.

وإنَّما جَعَلَ «غافر» و«قابل» صفتين، وإنْ كانا اسْمَي فاعل؛ لأنَّه فَهِمَ مِن ذلك أنَّه لا يُراد بهما التَّجَدُّد ولا التقيُّد بزمان، بل أُريد بهما الاستمرارُ والثبوت، فإضافتُهما مَحْضَةٌ، فتعرَّف وصحَّ أنْ يُوصَف بهما المعرفة.

وإنَّما أعربَ «شديد العقاب» بَدَلاً؛ لأنَّه مِن باب الصفة المشبَّهة، ولا يتعرَّف بالإضافة إلى المعرفة، وقد نصَّ سيبويه[٤] على أنَّ كلَّ ما إضافتُه غيرُ مَحْضَةٍ إذا أُضيف إلى معرفةٍ، جاز أنْ يُنوى بإضافته التمحُّض، فيتعرَّف ويُنعت به المعرفة إلَّا ما كان مِن باب الصفة المُشبّهة، فإنَّه لا يَتعرَّف أبداً، وقد تضافرت النصوص على أنَّ الصفة المشبَّهة لا تعرّف، وحكى صاحب «المقنع» عن الكوفيين أنَّهم أجازوا في: حَسَن الوَجْه، وما أشبهه أن يكون صفةً للمعرفة، قال: وذلك خَطَأٌ عند البصريين؛ لأنَّ: حَسَن الوَجْهِ، نَكِرة، وإذا أردت تعريفَه أدخلت فيه «أل»، وقال أبو الحجَّاج الأعلم: لا يَبعُد أنْ يَقصِدَ بـ: حَسَن الوَجْه، التعريفَ، لأنَّ الإضافةَ لا تَمنع منه. انتهى. وهذا جنوحٌ إلى مذهب الكوفيين.

---

(١) سلف تخريجه قريباً.

(٢) عند تفسير الآية (١) منها.

(٣) معاني القرآن للزجاج ٤/ ٣٦٦.

(٤) ينظر الكتاب ١/ ١٩٩ وما بعدها، و٤٢٤ وما بعدها.

وقد جَعَلَ بعضُهم «غافر الذنب» وما بَعْدَهُ أبدالاً[١]؛ اعتباراً بأنَّها لا تتعرَّف بالإضافة، كأنَّه لاحَظَ في «غافر» و«قابل» زمانَ الاستقبال، وقيل: «غافر» و«قابل» يُراد بهما المضيُّ، فهما يتعرَّفان بالإضافة، ويكونان صفتين، أي: إنَّ قضاءَه بالغُفْران وقَبول التوب هو في الدُّنيا.

وقال الزمخشريُّ: جَعْلُ الزجَّاج «شديد العقاب» وَحْدَهُ بَدَلاً بين الصفات، فيه نُبُوٌّ ظاهرٌ، والوجه أَنْ يُقال: لمَّا صُودِفَ بين هذه المعارِف هذه النَّكِرةُ الواحدة، فقد آذنت بأنَّ كلّها أبدالٌ غيرُ أوصاف، ومثال ذلك قصيدةٌ جاءَت تفاعِيْلُها كلّها على: مُسْتَفْعلن، فهي محكومٌ عليها أنَّها مِن الرَّجَز، فإن وَقَعَ فيها جزءٌ واحد على: مُتَفاعِلُن، كانت مِن الكامل[٢].

ولا نُبُوَّ في ذلك؛ لأنَّ الجَرْيَ على القواعد التي قد استقرَّت وصحَّت هو الأصل.

وقوله: فقد آذَنَت بأنَّ كلّها أبدالٌ. تركيبٌ غيرُ عربيٍّ؛ لأنَّه جَعَلَ: فقد آذَنَت، جوابَ «لمَّا»، وليس مِن كلامهم: لمَّا قام زيدٌ فقد قَامَ عمرٌو.

وقوله: بأنَّ كلَّها أبدالٌ. فيه تكريرُ الأبدال؛ أَمَّا بَدَل البَدَاء عند مَن أَثبته فقد تكرَّرت فيه الأبدالُ، وأمَّا بَدَل كلٍّ مِن كلٍّ، وبَدَل بعضٍ مِن كلٍّ، وبَدَل اشتمال، فلا نصَّ عن أحدٍ مِن النَّحْوِيِّين أعرفه في جوازِ التَّكرار فيها أو مَنْعِه، إلَّا أنَّ في كلام بعضِ أصحابِنا ما يدلُّ على أنَّ البَدَلَ لا يُكرَّر، وذلك في قول الشاعر:

فإلى ابنِ أُمِّ أُناس أَرْحَلُ ناقتي ... عَمرٍو فتُبْلِغُ حاجتي أو تُزْحِفُ
مَلِكٍ إذَا نَزَلَ الوفودُ ببابِهِ ... غَرَفُوا مواردَ مُزْبِدٍ لا تُنْزَفُ[٣]

(١) أورده القرطبيُّ ١٨/ ٣٢٥، وعزاه للزجاج، وينظر قولُ الزجَّاج السالف الذِّكر، والإحالةُ على كتابه معاني القرآن.
(٢) الكشاف ٣/ ٤١٢-٤١٣.
(٣) البيتان في الكتاب لسيبويه ٢/ ٩ وعزاهما لبعضِ العرب الموثوق بهم، وهما في ديوان بِشْر بن أبي خازم ص ١٧١، وتصحفت فيه: أُناس، إلى: إياس، وورد فيه أيضاً: ستُنْجِح، بدل: فتُبلغ، و: غوارب، بدل: موارد. ومعنى تُزحِف، من: أزحف البعير: إذا أعيا من طول السفر، ومُزبد: أي: بحر مزبد، وهو المائج الذي يدفع بالزَّبد، وغواربه: أعالي أمواجه، شبَّه بغوارب الإبل، واحدها: غارب، وهو مقدَّم أعلى السنام.

قال: فَملِك بَدَل مِن عَمْرو، بَدَل نَكِرةٍ مِن معرفة.

قال: فإن قلت: لِمَ لا يكون بَدَلاً مِن ابنِ أُمِّ أناس؟ قلت: لأنَّه قد أُبدِلَ منه عمرٌو، فلا يجوز أنْ يُبدلَ منه مرَّة أُخرى؛ لأنَّه قد طُرِح[١]. انتهى.

فدلَّ هذا على أنَّ البَدَل لا يتكرَّر ويتَّحد المُبدَل منه، ودلَّ على أنَّ البَدَل مِن البَدَل جائزٌ.

وقوله: جاءت تفاعِيْلها. هو جَمْع: تِفْعَال أو تَفْعُول أو تُفْعُول أو تَفْعِيل، وليس شيءٌ مِن هذه الأوزان يكون معدوداً في أجزاء العَرُوض، بل أجزاؤها منحصرةٌ ليس منها شيءٌ مِن هذه الأوزان[٢]، فصوابه أنْ يقول: جاءَت أجزاؤها كلُّها على: مستفعلن.

وقال الزمخشريُّ أيضاً: ولقائل أنْ يقول[٣]: هي صفات، وإنَّما حُذفت الألف واللام مِن«شديد العقاب» ليُزاوجَ ما قَبْلَه وما بَعْدَه لفظاً، فقد غيَّروا كثيراً مِن كلامهم عن قوانينه؛ لأجل الازدواج، حتى قالوا: ما يَعرِفُ سُحَادِلَيْه مِن عُنَادِلَيْه[٤]، فَثَنَّوا ما هو وِتْرٌ؛ لأجل ما هو شَفْعٌ، على أنَّ الخليلَ قال في قولهم: ما يَحْسُنُ بالرَّجُلِ مِثْلِكَ أنْ يَفعَلَ ذلك، و: ما يَحْسُنُ بالرَّجُل خيرٍ منكَ أنْ يَفعلَ: إنَّه على نيَّة الألف واللام، كما كان: الجمَّاءَ الغفيرَ[٥]، على نيَّة طَرحِ الألف

(١) لم نقف على قائل هذا الكلام، ولعلَّه ـ والله تعالى أعلم ـ يعني شيخه أبا الحسن علي بن محمد بن علي الكتامي المعروف بابن الضائع، له شرح كتاب سيبويه وشرح الجمل وغيرهما. تنظر ترجمته في بغية الوعاة، وسلفت أوَّل الكتاب.

(٢) من قوله: يكون معدوداً. . . إلى هنا، ليست في (يه).

(٣) من قوله: جاءت أجزاؤها. . . إلى هنا، ليست في (ز٢).

(٤) السُّحَادِل: الذَّكَر، وهو لا يَعرف سُحَادِلَيْه من عُنَادِلَيْه: ثُنِّيَ لمكان عُنادليه، وهما الخُصْيَتان. القاموس المحيط (السحادل).

(٥) قال سيبويه في الكتاب ١/ ٣٧٥ باب ما يُجعَل من الأسماء مصدراً كالمصدر الذي فيه الألف واللام، نحو: أرسلها العِراكَ: وهو قولك: قررتُ بهم الجمَّاءَ الغفيرَ، والناسُ فيها الجمَّاء الغفيرَ، وزعم الخليل ـ رحمه الله ـ أنَّهم أدخلوا الألف واللام في هذا الحرف، وتكلَّموا به على نيَّة ما لا تدخله الألف واللام. . . ، إلى آخِر كلامه.

وقال ابنُ سِيْدَه في المحكم ٧/ ٢٣٢ (جمم): وجاؤوا الجمَّاءَ الغفيرَ، أي: بجماعتهم، =

واللام، وممَّا سَهَّل ذلك الأَمْنُ مِنَ اللَّبْس وجهالةُ الموصوف. انتهى.

ولا ضرورة إلى اعتقادِ حذف الألف واللام مِن «شديد العقاب» وتَرْكِ ما هو أصلٌ في النَّحْو، وتَشْبِيهِ بنَادِرٍ مُغَيّر عنِ القوانين، مِن تَثنية الوِتْرِ للشَّفْعِ، ويُنَزَّه كتابُ اللهِ عن ذلك كلِّه.

وقال الزمخشريُّ: ويَجوز أَنْ يقال: قد تُعُمّد تنكيرُه وإبهامُه؛ للدلالة على فَرْط الشِّدَّة، وعلى ما لا شيءَ أَدْهَى منه وأَمَرُّ؛ لزيادة الإنذار، ويَجوز أَنْ يُقال: هذه النُّكْتَة هي الدَّاعِيةُ إلى اختيارِ البَدَل على الوصف، إذا سُلِكَت طريقةُ الإبدال[١]. انتهى.

وأجاز مكِّيٌّ[٢] في «غافر» و«قابل» البَدَلَ؛ حملاً على أنَّهما نكرتان لاستقبالهما، والوَصْفَ؛ حملاً على أنَّهما معرفتان لمُضِيِّهما.

وقال أبو عبد الله الرازيُّ: لا نِزاعَ في جَعْلِ «غافر» و«قابل» صفةً، وإنَّما كانا كذلك؛ لأنَّهما مفيدانِ معنى الدَّوام والاستمرار، فكذلك «شديد العقاب» يفيد ذلك؛ لأنَّ صفاتِه منزَّهةٌ عن الحُدُوث والتجدُّد، فمعناه كونه بحيث شديدٌ عقابه[٣]، وهذا المعنى حاصلٌ أبداً، لا يُوصَف بأنَّه حَصَلَ بعد أَنْ لم يكن. انتهى.

وهذا كلامُ مَن لم يقف على عِلْم النَّحْو ولا نَظَر فيه، ويَلزمه أَنْ يكون: ﴿حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ مِن قوله: ﴿مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ [النمل:٦] و﴿مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ من قوله: ﴿عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ [القمر:٥٥] معارفَ؛ لتنزيه صفاتِه عن الحُدُوث والتجدُّد، ولأنَّها صفاتٌ لم تَحْصُل بعد أَنْ لم تَكُن، ويكون تعريفُ صفاته بـ«أل» وتنكيرها سواءً، وهذا لا يَذهب إليه مُبْتَدِئٌ في عِلْم النَّحْو بَلْهَ مَن صنَّف فيه وأَقْدَمَ على تفسيرِ كتابِ الله تعالى.

= وقال ابنُ الأعرابي: الجمَّاء الغفير: الجماعة. وقال: الجمَّاء: بيضة الرأس، سُمِّيت بذلك؛ لأنها جمَّاء، أي: ملساء، ووصفت بالغفير؛ لأنها تُغفر، أي: تُغطي الرأس.

(١) الكشاف ٣/ ٤١٣.

(٢) الهداية إلى بلوغ النهاية لمكّيّ ١٠/ ٦٣٩٨.

(٣) في مطبوع تفسير الرازي ٢٧/ ٢٨: بحيث يشتدّ عقابه.

وتلخَّص مِن هذا الكلام المطوّل أنَّ «غافر الذنب» وما عطفَ عليه و«شديد العقاب» أوصافٌ؛ لأنَّ المعطوفَ على الوَصْف وَصْفٌ، والجميعُ معارف على ما تقرَّر، أو أبدالٌ؛ لأنَّ المعطوفَ على البَدَل بَدَلٌ؛ لتنكير الجميع، أو «غافر» و«قابل» وَصْفان، و«شديد» بَدَل لمعرفة ذَيْنك، وتنكير «شديد».

وقال الزمخشريُّ: فإن قلت: ما بَالُ الواوِ في قوله: «وقابل التوب»؟

قلت: فيها نُكتةٌ جليلة، وهي إفادة الجَمْع للمُذنِب التائِب بين رحمتَين؛ بين أَنْ يَقبَلَ توبتَه فيَكتبها له طاعةً مِن الطاعات، وأَنْ يَجعلها مَحَّاءَةً للذُّنوب، كأنَّه لم يُذنِب، كأنَّه قال: جامع المغفرةِ والقَبول[1]. انتهى.

وما أكثر تَبَجُّح هذا الرَّجُل وشِقْشِقَته[2]، والذي أفاد أنَّ الواوَ للجَمْع، وهذا معروفٌ مِن ظاهِرِ عِلْم النَّحْو.

وقال صاحب «الغنيان»: وإنَّما عطف؛ لاجتماعهما وتلازُمِهما، وعدمِ انفكاك أَحَدِهما عن الآخَر، وقُطِعَ «شديد العقاب» عنهما فلم يُعطَف؛ لانفرادِه. انتهى. وهي نزغة اعتزاليَّة، ومذهبُ أهلِ السُّنَّة جواز غفرانِ الله للعاصي وإنْ لم يَتُب إلَّا الشِّرْك.

والتَّوب يَحتمل أَنْ يكون كالذَّنْب اسْمَ جِنْس، واحتمل أَنْ يكون جَمْع: توبة، كتَمْر وتَمْرَة[3]، وسَاعٍ وسَاعَةٍ.

والظاهر مِن قوله «وقابل التوب» أنَّ توبةَ العاصي بغير الكفر كتوبة العاصي بالكفر مقطوع بقَبولها[4]، وذَكَروا في القَطْع بقَبول توبة العاصي قولَين لأهلِ السُّنَّة.

(١) الكشاف ٣/ ٤١٣.
(٢) الشِّقْشِقَة: شيء كالرئة يخرجها البعير من فِيْهِ إذا هاج، وإذا قالوا للخطيب: ذو شِقْشِقَة، فإنَّما يُشَبَّه بالفحل. الصحاح (شقشق).
(٣) في النسخ عدا (ح) والمطبوع: كبُسْر وبُسْرَة، وفي (ح) والمطبوع: كبشر وبشرة. وكلاهما لا وجه له، والمثبت من المحرر الوجيز ٤/ ٥٤٦ ـ والكلام عنه ـ وينظر الدر المصون ٩/ ٤٥٨.
(٤) كذا في النسخ، وروح المعاني ٢٤/ ١٣-١٤ نقلاً عن البحر المحيط، وعبارة المحرر الوجيز ٤/ ٥٤٦ ـ والكلام منه ـ: وقبول التوبة من الكافر مقطوع لإخبار الله تعالى.

ولمَّا ذَكَر سبحانه وتعالى شدَّة عقابه أردفه بما يطمعُ في رحمته، وهو قوله: «ذي الطَّوْل» فجاءَ ذلك وعيداً اكتنفَه وَعْدَانِ، قال ابنُ عباس: «الطَّوْل» السَّعَة والغنى[١]، وقال قتادة: النِّعَم، وقال ابنُ زيد: القدرة[٢]، وقيل: طَوْلُه: تَضعيفُ حسناتِ أوليائه وعَفْوُه عن سيئاتهم.

ولمَّا ذَكَر جملةً مِن صفاته العُلَا الذاتيَّة والفعليَّة، ذَكَر أنَّه المُنفَرِد بالألوهيَّة، المَرجوعُ إليه في الحَشْر، ثم ذَكَر سبحانه وتعالى حالَ مَن جادَلَ في الكتاب، وأَتْبَعَ ذلك بذِكْر الطائعين مِن ملائكته وصالحِي عباده، فقال: «ما يُجادِلُ في آياتِ الله إلَّا الذين كَفُروا» وجِدَالُهم فيها قولُهم مرَّة: سحر، ومرَّة: شعر، ومرَّة: كهانة، ومرَّة: «أساطير الأوَّلين»، ومرَّة: ﴿إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ﴾ فهو جدالٌ بالباطل، وقد دلَّ على ذلك بقوله: «وجَادَلوا بالباطِل ليُدْحِضوا به الحقَّ».

وقال السُّدِّيُّ: «ما يجادل» أي: ما يماري، وقال ابنُ سَلام: ما يَجحد، وقال أبو العالية: نزلت في الحارث بن قيس أَحَدِ المستهزئين[٣].

وأمَّا ما يقعُ بين أهلِ العلم مِن النَّظَر فيها واستيضاحِ معانيها واستنباطِ الأحكام والعقائدِ منها ومقارَعَةِ أهلِ البِدَع بها، فذلك فيه الثوابُ الجزيل.

ثم نَهَى السامعَ أَنْ يَغترَّ بتقلُّب هؤلاء الكفَّار في البلاد وتصرُّفاتهم فيها بما أَمْلَيْتُ لهم من المساكن والمَزَارع والممالك والتِّجارات والمكاسِب، وكانت قريش تتَّجِرُ في الشام واليمن، فإنَّ ذلك وَبالٌ عليهم وسببٌ في إهلاكهم كما هَلَكَ مَن كان قَبْلَهم مِن مكذِّبي الرُّسُل.

وقرأ الجمهور: «فَلَا يَغْرُرْكَ» بالفَكِّ، وهي لغة الحجاز، وقرأ زيد بن عليٍّ وعبيد بنُ عمير: «فَلَا يَغُرَّكَ» بالإدغام مفتوح الراء، وهي لغة تميم[٤].

---

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٥٤٦، وأخرجه عنه الطبريُّ ٢٠/ ٢٧٨.
(٢) تفسير الثعلبيّ ٥/ ٣٣٣، وأخرجه عنهما الطبريُّ ٢٠/ ٢٧٨-٢٧٩، وينظر النكت والعيون ٥/ ١٤٢، وتفسير البغوي ٤/ ٩٠-٩١، وتفسير القرطبيّ ١٨/ ٣٢٧.
(٣) النكت والعيون ٥/ ١٤٣، لكن دون عزوِ القولِ الأخير لأبي العالية.
(٤) الكشاف ٣/ ٤١٥، وتفسير القرطبيّ ١٨/ ٣٢٨ دون عزوٍ.

ولمَّا كان جدالُ الكفار ناشئاً عن تكذيب ما جاءَ به الرَّسول عليه الصلاة والسلام مِن آياتِ الله، ذَكَر مَن كذَّب قَبْلَهم مِن الأُمم السالفة، وما صارَ إليه حالُهم مِن حُلول نقمات اللهِ بهم؛ ليرتدعَ بهم كُفَّار مَن بعثَ الرَّسول عليه السلام إليهم، فبَدَأ بقوم نوح؛ إذ كان عليه السلام أوَّلَ رسولٍ في الأرض، وعطف على قومه «الأحزاب»، وهم الذين تحزَّبوا على الرُّسُلِ ولم يَقبَلُوا ما جاؤوا به مِن عند الله، ومنهم عاد وثمود وفِرعون وأتباعه، وقدم الأهمّ بالأَخْذِ على الجِدال بالباطل؛ لأنَّ الرُّسُلَ لمَّا عَصَمهم اللهُ منهم أنْ يقتلوهم رَجعوا إلى الجدال بالباطل.

وقرأ الجمهور: «برَسُولهم»، وقرأ عبد الله: «برَسُولها»[1] عاد الضميرُ إلى لفظ «أُمَّة».

«ليأخذوه» ليتمكَّنوا منه بحَبْس أو تعذيبٍ أو قَتْل، وقال ابنُ عباس: «ليَأْخُذوه» ليُهْلِكُوه[2]. وأنشد قُطْرُب:

فـإمَّـا تَـأْخُـذونـي تَـقْـتُـلـونـي ... فـكـم مِـن آخِـذٍ يَـهْـوَى خُـلـودِي[3]

ويُقال للقَتيل والأَسِير: أَخِيذٌ، وقال قتادة: «ليأخذوه» ليَقتلوه[4]، عبّر عن المُسبَّب بالسَّبَب.

«وجادلوا بالباطل» أي: بما هو مُضْمَحِلٌّ ذاهب لا ثَبَاتَ له، وقيل: الباطل: الكفر، وقيل: الشيطان، وقيل: بقولهم: ﴿مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾ [يس:١٥].

«ليُدحضوا» ليُزْلِقوا، أو: يُزيلوا «به الحقّ»، أي: الثابِت الصِّدْق، «فأَخَذْتُهم»:

---

(١) معاني القرآن للفراء ٣/ ٥، وتفسير الطبريّ ٢٠/ ٢٨١، وتفسير الثعلبيّ ٥/ ٣٣٥، والمحرر الوجيز ٤/ ٥٤٧، وأوردها أيضاً الزمخشريُّ في الكشاف ٣/ ٤١٥ لكن دون عزوٍ.

(٢) في النسخ عدا (ز٢): ليملكوه، وفي (ز٢): ليتملكوه. والمثبت من تفسير البغوي ٤/ ٩١، وهو الصواب، وبدليل ما بعده، وينظر أيضاً المحرر الوجيز ٤/ ٥٤٧.

(٣) النكت والعيون ٥/ ١٤٣، ونقله عنه القرطبيُّ ١٨/ ٣٢٩، وورد عَجْزه ـ في النكت هكذا: ومن يأخذ فليس إلى خلودِ، وورد في النسخ الخطية لتفسير القرطبيّ ـ كما جاء بهامشه ـ هكذا: ومن أخذ فليس إلى خلودي، وأشار محقِّقوه إلى أنَّ لفظة: أخذ، ضُبطت في إحدى النسخ الخطية هكذا: أَخْذٍ، ووُضع عليها لفظة: «صح»، ولم نقف على البيت عند غيرهما.

(٤) المحرر الوجيز ٤/ ٥٤٧، وينظر المصدران السابقان، وأخرجه عنه الطبريُّ ٢٠/ ٢٨١.

فأهلكتُهم، «فكيف كان عقابِ» إيَّاهم، استفهام تعجيب مِن استئصالهم، واستعظام لِمَا حَلَّ بهم، وليس استفهاماً عن كيفيَّة عقابهم، وكانوا يمرُّون على مساكنهم ويَرَوْنَ آثارَ نقمات[١] الله فيهم، واجْتزَأ بالكسر[٢] عن ياء الإضافة؛ لأنَّها فاصلة، والأصل: عقابي.

«وكذلك حقَّت» أي: مِثْل ذلك الوجوب مِن عقابهم وَجَبَ على الكفرة كونهم مِن أصحاب النار؛ مَن تقدَّم منهم ومَن تأخَّر، و«أنَّهم» بدلٌ مِن «كلمة ربِّك» فهي في موضع رَفْع، ويجوز أنْ يكون التقدير: لأنَّهم، وحذفَ لام العِلَّة، والمعنى: كما وَجَبَ إهلاكُ أولئك الأمم وَجَبَ إهلاك هؤلاء؛ لأنَّ المُوجِب لإهلاكهم وصفٌ جامعٌ لهم، وهو كونهم مِن أصحاب النار.

وفي مصحف عبدِ الله: «وكذلك سبقت»[٣]، وهو تفسيرُ معنًى لا قراءة، وقرأ ابنُ هرمز وشيبة وابنُ القَعْقَاع ونافع وابنُ عامر: «كلمات» على الجَمْع، وأبو رجاء وقتادة وباقي السبعة: على الإفراد[٤].

* * *

﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْۖ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ٧ رَبَّنَا وَأَدۡخِلۡهُمۡ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمۡ وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٨ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوۡمَئِذٖ فَقَدۡ رَحِمۡتَهُۥۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ٩ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنَادَوۡنَ لَمَقۡتُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُ مِن مَّقۡتِكُمۡ أَنفُسَكُمۡ إِذۡ تُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلۡإِيمَٰنِ فَتَكۡفُرُونَ ١٠ قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثۡنَتَيۡنِ وَأَحۡيَيۡتَنَا ٱثۡنَتَيۡنِ فَٱعۡتَرَفۡنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلۡ إِلَىٰ خُرُوجٖ مِّن سَبِيلٖ ١١ ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِيَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُۥ

(١) في النسخ عدا (ح) و(ز٢) و(يه) والمطبوع: نعمات، وفي مطبوع البحر: نعمة، والمثبت من (ح) و(ز٢) و(يه).
(٢) في (يه): واحترز بالكسرة.
(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٥٤٧.
(٤) المحرر الوجيز ٤/ ٥٤٧، وقراءة نافع وابنِ عامر في السبعة ص ٥٦٧، والتيسير ص ١٢٢، وقراءة ابنِ القعقاع ـ وهو أبو جعفر يزيد ـ في النشر ٢/ ٢٦٢.

كَفَرْتُمْ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُوا۟ۚ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ ﴿١٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًاۚ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾﴾.

لمَّا ذَكَر جدالَ الكفَّار في آياتِ الله وعصيانَهم، ذَكَر طاعةَ هؤلاء المصطفين[١] مِن خَلقه، وهم حَمَلَة العرش «ومَن حَوْلَه» وهم الحافُّون به مِن الملائكة، وذَكَروا مِن وَصْفِ تلك الجُملة وعِظَم خِلْقَتِهم، ووَصْفِ العَرْش ومِن أيِّ شيءٍ خُلِقَ، والحُجُب السَّبعينيَّات التي اختلفت أجناسُها، قالوا: احتجبَ اللهُ عن العَرْش وعن حامِلِيه = ما اللهُ أعلم به[٢]، على أنَّ قُدرتَه تعالى محتملة لكلِّ ما ذَكَروه ممَّا لا يقتضي تجسيماً، لكنَّه يَحتاج إلى نَقْلٍ صحيح.

وقرأ الجمهور: «العَرْش» بفتح العين، وابنُ عباس وفرقةٌ بضَمِّها[٣]، كأنَّه جَمْع: عَرْش، كسَقْف وسُقْف[٤]، أو يكون لغةً في العَرْش.

«يُسبِّحون بحَمْدِ ربِّهم» أي: يُنزِّهونه عن جميعِ النقائص «بحَمْدِ ربِّهم» بالثَّناء عليه بأنَّه هو المُنعِم على الإطلاق، والتسبيحُ إشارةٌ إلى الإجلال، والتحميد إشارة

---

(١) في (به): المطيعين.

(٢) ينظر تفسير الثعلبيّ ٥/ ٣٣٥-٣٣٧، والبغوي ٤/ ٩٢-٩٣، والكشاف ٣/ ٤١٥-٤١٦، والمحرر الوجيز ٤/ ٥٤٧-٥٤٨، وزاد المسير ٧/ ٢٠٨، وتفسير القرطبي ١٨/ ٣٣٠-٣٣٢، والخبر الأخير أخرجه الطبراني في الأوسط (٨٩٤٢)، وأبو الشيخ في العظمة (٣٠٠)، وأبو نعيم في الحلية ٤/ ٨٠ ومن طريقه ابنُ الجوزي في الموضوعات (٢٥٠)، من حديث أبي هريرة ﷺ: أن رجلاً من اليهود أتى النبيَّ ﷺ فقال: يا رسول الله، هل احتجب الله من خلقه بشيء غير السماوات؟ قال: «نعم، بينه وبين الملائكة الذين حول العرش سبعون حجاباً من نور، وسبعون حجاباً من نار، وسبعون حجاباً من ظُلمة، . . .» الحديث مطوَّلاً، قال ابنُ الجوزي: هذا حديث موضوع على رسول الله ﷺ، والمتَّهم به عبد المنعم بن إدريس، وقد كذَّبه أحمد ويحيى، وقال الدارقطنّي: هو وأبوه متروكان.

(٣) الكشاف ٣/ ٤١٥، ونقلها عنه القرطبيُّ ١٨/ ٣٣١، وأوردها أيضاً ابنُ عطية في المحرر الوجيز ٤/ ٥٤٨ دون عزوٍ، وهي في القراءات الشاذة ص ١٣٢.

(٤) قال الأخفش في كتابه معاني القرآن ١/ ٣٩١-٣٩٢، عن ذِكْر القراءات في قوله تعالى: ﴿فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ﴾ [البقرة:٢٨٣]: وقد جمعوا: فَعْلاً على فُعْل، فقالوا: ثَطٌّ وثُطٌّ، وجَوْنٌ وجُونٌ، ووَرْدٌ ووُرْدٌ. ونَقَل الرازيُّ في التفسير ٧/ ١٣٠ كلامَ الأخفش وعقَّبه بقوله: كما يقال: سَقْف وسُقُف، تارة بضمِّ القاف وأخرى بتسكينها. انتهى. وينظر كلام المصنِّف عند ذِكْر قراءات هذه الآية فيما مضى.

إلى الإكرام، فهو قريب مِن قوله: ﴿تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن:٧٨] ونظيره: ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ [الزمر:٧٥]، وقوله: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ﴾ [البقرة:٣٠].

«ويُؤمنون به» أي: يُصدِّقون بوجودِه تعالى وبما وَصَفَ به نفسَه مِن صفاته العُلَا، وتسبيحهم إيَّاه تتضمَّن الإيمان، قال الزمخشريُّ: فإن قلت: ما فائدةُ قوله: «ويُؤمنونَ به» ولا يَخفى على أحدٍ أنَّ حَمَلَة العَرْش ومَن حَولَه مِن الملائكة الذين يُسبِّحون بحمدِه مُؤمنون؟

قلت: فائدته إظهارُ شَرَفِ الإيمان وفَضْله، والترغيبُ فيه، كما وصفَ الأنبياء في غيرِ موضعٍ مِن كتابه بالصَّلاح لذلك(١)، وكما عَقَّبَ أعمالَهم الخير بقوله: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [البلد:١٧] فأبانَ بذلك فَضْلَ الإيمانِ، وفائدة أُخرى وهي التنبيهُ على أنَّ الأَمْرَ لو كان كما تقول المُجسِّمة لكان حَمَلَة العرش ومَن حَولَه مُشاهَدِين مُعايَنِين، ولَمَا وُصِفوا بالإيمان؛ لأنَّه إنَّما يُوصَف بالإيمان الغائِبُ، فلمَّا وُصِفوا به على سبيل الثَّناء عليهم، عُلِمَ أنَّ إيمانَهم وإيمانَ مَن في الأرض وكلٌّ مَن غاب عن ذلك المقام سواءٌ؛ في أنَّ إيمانَ الجميع بطريقِ النَّظَر والاستدلالِ لا غَيْر، وأنَّه لا طريقَ إلى معرفتِه إلَّا هذا، وأنَّه مُنزَّه عن صفاتِ الأَجْرام.

وقد رُوعيَ التَّناسُب في قوله: «ويُؤمنون به ويَستغفرون للذينَ آمَنُوا» كأنَّه قيل: ويُؤمنونَ ويستغفرونَ لِمَن في مِثْلِ حالهم وصِفَتِهم، وفيه تنبيهٌ على أنَّ الاشتراكَ في الإيمان يَجب أنْ يكونَ أدعى شيءٍ إلى النَّصيحة وأبْعَثه على إمحاضِ الشَّفَقَة، وإنْ تفاوتت الأجناسُ وتَباعدت الأماكنُ، فإنَّه لا تَجانُسَ بين مَلَكٍ وإنسانٍ، ولا بينَ سَمَاويٍّ وأرضيٍّ قطُّ.

ثمَّ لمَّا جاءَ جامِعُ الإيمان جاءَ معه التَّجانُس الكُلِّيُّ والتَّناسُب الحقيقيُّ حتى

(١) منها قولُه تعالى عن سيدنا إبراهيم عليه السلام: ﴿وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [البقرة: ١٣٠]، وقولُه عن سيدنا يحيى عليه السلام: ﴿وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [آل عمران:٣٩]، وقوله عن سيدنا عيسى عليه السلام: ﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [آل عمران:٤٦]، وغيرُ ذلك الكثير الكثير.

استغفرَ مَن حَولَ العَرْشِ لِمَن فوقَ الأرض[١]، قال تعالى: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾[٢][الشورى:٥]. انتهى. وهو كلامٌ حَسَنٌ، إلَّا أنَّ قولَه: إنَّ إيمانَ الجميعِ بطريق النَّظَر والاستدلالِ لا غير، فيه نَظَرٌ، وقولَه: «ويَستغفرونَ للذين آمنوا» تخصيصٌ لعمومِ قوله: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الشورى:٥].

وقال مُطَرِّف بنُ الشِّخِّير: وَجَدنا أنصحَ العبادِ للعبادِ الملائكةَ، وأَغَشَّ العبادِ للعبادِ الشياطينَ، وتلا هذه الآية[٣]. انتهى.

وينبغي أَنْ يُقال: أَنصحُ العبادِ للعباد الأنبياءُ والملائكةُ.

«ربَّنا وَسِعْتَ كلَّ شيءٍ رحمةً وعِلْماً» أي: يقولون: «رَبَّنا»، واحتمل هذا المحذوف بياناً لـ «يَستغفرون» فيكون في محلِّ رَفْع، وأن يكون حالاً فيكون في موضع نَصْبٍ.

وكثيراً ما جاء النِّداء بلفظ: ﴿رَبَّنَا﴾، ﴿رَبِّ﴾، وفيه استعطافُ العبدِ مولاهُ الذي ربَّه وقامَ بمصالحه مِن لَدُن نَشأته إلى وقتِ ندائه، فهو جديرٌ بأَنْ لا يُنادِيَه إلَّا بلفظ الرَّبِّ.

وانتصبَ «رحمةً وعِلْماً» على التمييز، والأصل: وَسِعَت رَحْمَتُكَ وعِلْمُكَ كلَّ شَيءٍ، وأسندَ الوسعَ إلى صاحبهما مبالغةً، كأنَّ ذاته هيَ الرَّحمة والعِلْم وقد وَسِعَا كلَّ شيءٍ، وقدَّم الرحمةَ؛ لأنَّهم بها يَستمطرون إحسانَه، ويَتوسَّلون بها إلى حصولِ مطلوبهم مِن سُؤَال المغفرة.

ولمَّا حكى تعالى عنهم كيفيَّة ثَنائهم عليه، وأَخْبَر باستغفارِهم للمؤمنين، حكى كيفيَّة استغفارهم وهو قولهم: «فاغْفر للذين تَابوا واتَّبعوا سبيلَكَ» فَطَلب

---

(١) جاء في هامش (ز٢) ما نصُّه: لو قال: لمن فوق الأرض وتحتها، كان أحسنَ؛ لأنه يَعمُّ الأحياءَ والأموات، كما في قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الشورى:٥] لأنه يَعمُّ مَن فوقها ومَن تحتها من الأحياء والأموات، والله أعلم.

(٢) الكشاف ٣/ ٤١٥-٤١٦.

(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٥٤٨، وتفسير القرطبيّ ١٨/ ٣٣٢، وأخرجه عنه عبد الرزاق في تفسيره ٢/ ١٧٨-١٧٩، والطبري في تفسيره ٢٠/ ٢٨٧، وأورد الخبرَ أيضاً الثعلبيُّ في التفسير ٥/ ٣٣٧ وعزاه لإبراهيم النخعي.

المغفرةِ نتيجةُ الرحمة، و«للذين تابوا» يتضمَّن أنَّكَ علمتَ توبتَهم، فهما راجعانِ إلى قوله: «رحمة وعِلْماً»، و«اتَّبَعوا سبيلَكَ» وهي سبيلُ الحَقِّ التي نَهَجْتَها لعبادِك «إنكَ أنتَ العزيزُ» الذي لا يُغَالَب «الحكيمُ» الذي يَضَعُ الأشياءَ مواضعَها التي تَليقُ بها.

ولمَّا كان طَلَب الغفران يتضمَّن إسقاطَ العذابِ أردفوه بالتصريح بوقايتهم العذابَ على سبيل المبالغة والتأكيدِ، فقالوا: «وقِهِم عذابَ الجحيم» وطَلَبُ المغفرة ووقايةُ العذاب للتائب الصَّالح ـ وقد وعدَ بذلك الوَعْد الصادق ـ بمنزلة الشفاعة في زيادة الثواب والكرامة، ولمَّا سألوا إزالةَ العقاب سألوا إيصالَ الثواب، وكرَّروا الدُّعاء، فقالوا: «رَبَّنا وأدخلهم جنَّاتِ عَدْنٍ».

وقرأ الجمهور: «جنَّات» جمعاً، وزيد بنُ عليّ والأعمش: «جَنَّة عَدْن» بالإفراد، وكذا في مصحفِ عبدِ الله[(١)]، وتقدَّم الكلام في إعراب «التي» في قوله: ﴿جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ﴾ في سورة مريم[(٢)].

وقرأ ابنُ أبي عَبْلَة: «صَلُحَ» بضمِّ اللَّام، يقالُ: صَلُحَ فهو صَليح، وصَلَحَ فهو صالح[(٣)].

وقرأ عيسى: «وذُرِّيَّتِهم» بالإفراد[(٤)]، والجمهور بالجَمْع.

وعن ابنِ جُبير في تفسير ذلك أنَّ الرَّجُلَ يَدخُل الجنَّة قَبْلَ قرابتِه، فيقول: أينَ أبي، أين أُمِّي؟ أين ابْني؟ أين زوجتي؟ فيُلحَقون به؛ لصلاحه ولتنبيهه عليهم وطَلَبه إيَّاهم، وهذه دعوةُ الملائكة[(٥)]. انتهى.

وإذا كان الإنسان في خيرٍ ومعه عَشِيْرَته وأَهْله، كان أبهجَ عنده وأَسَرَّ لقلبه.

(١) ينظر المحرر الوجيز ٥٤٨/٤، والكشاف ٤١٧/٣، ومعاني القرآن للفراء ٥/٣، وهي في القراءات الشاذة ص ١٣٢ عن الأعمش.
(٢) عند تفسير الآية (٦١) منها.
(٣) الكشاف ٤١٧/٣، والقراءة فيه دون عزوٍ، وينظر المعجم الوسيط (صلح).
(٤) المحرر الوجيز ٥٤٨/٤.
(٥) المحرر الوجيز ٥٤٨/٤، وأورده أيضاً الثعلبيُّ ٣٣٨/٥، والقرطبيُّ ٣٣٣/١٨، وأخرجه عنه الطبريُّ ٢٨٦/٢٠.

والظاهر عطفُ «ومَن» على الضمير في «وأدخلهم» إذ هم المُحدَّث عنهم والمَسؤول لهم، وقال الفَرَّاء والزجَّاج: نَصْبُه مِن مكانَيْن؛ إنْ شئتَ على الضمير في «وأدخلهم»، وإنْ شئتَ على الضمير في «وَعَدْتَهم».

«وقِهِمُ السَّيِّئاتِ» أي: امْنَعْهُم مِن الوقوع فيها حتى لا يترتَّب عليها جزاؤها، أو: و«وقِهِم» جزاء «السَّيِّئات» التي اجْتَرحوها، فحذفَ المضاف، ولا تكرارَ في هذا وقوله: «وَقِهِم عذابَ الجحيم» لعدم تَوافُقِ المَدعُوِّ لهم؛ إذ الدُّعاء الأوَّل للذين تَابوا، والثاني يظهر أنَّه لهم ولِمَن صَلح مِن المذكورين، أو لاختلافِ الدُّعاءَين إذا أُريد بالسيئات أنفسها، فذلك وقاية عذابِ الجحيم، وهذا وقاية الوقوعِ في السَّيِّئات[1].

والتنوين في «يومئذ» تنوينُ العِوَض، والمحذوف جملةٌ عُوِّضَ منها التنوين، ولم تَتَقدَّم جملةٌ يكون التنوينُ عِوَضاً منها، كقوله: ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ۝ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ﴾ [الواقعة٨٤] أي: حين إذ بَلَغَت الحلقومَ، فلا بُدَّ مِن تقدير جملةٍ يدلُّ عليها معنى الكلام، وهي: «ومَن تَقِ السَّيِّئاتِ» أي: جزاءَها يومَ إذ يُؤاخَذ بها «فقد رَحِمْتَه»، ولم يَتعرَّض أَحَدٌ مِن المفسِّرين ـ الذين وَقَفْنا على كلامِهم في الآية ـ للجملة التي عُوِّض منها التنوينُ في «يومئذ»، وذلك إشارةٌ إلى الغفران ودخول الجنَّة، ووقاية العذاب هو الفوزُ بالظَّفَر العظيم الذي عَظُمَ خَطَره وجَلَّ صنعه.

ولمَّا ذَكَر شيئاً مِن أحوال المؤمنينِ، ذَكَر شيئاً مِن أحوالِ الكافرين وما يَجري لهم في الآخِرة؛ مِن اعترافِهم بذنوبهم، واستحقاقِهم العذابَ، وسؤالِهم الرجوعَ إلى الدنيا.

ونِداؤهم قال السُّدِّيُّ: في النَّار، وقال قتادة: يومَ القيامة[2]، والمُنادُونَ لهم الزَّبَانِيَةُ على جهة التوبيخ والتقريع.

واللام في «لَمَقْتُ» لامُ الابتداء أو لام القَسَم، ومَقْت مصدرٌ مضافٌ إلى الفاعل، التقدير: لَمَقْتُ اللهِ إيَّاكم، أو: لَمَقْتُ اللهِ أنفسَكم، وحُذِفَ المفعول؛ لدلالة ما بَعْدَهُ عليه في قوله: «أكبرُ مِن مَقْتِكم أنفسَكم».

(١) معاني القرآن للفراء ٣/ ٥، وللزجاج ٤/ ٣٦٨، وينظر إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٢٧.
(٢) النكت والعيون ٥/ ١٤٥، وأخرجه عنهما الطبريُّ ٢٠/ ٢٨٨-٢٨٩.

والظاهر أنَّ مَقْتَ اللهِ إيَّاهم هو في الدُّنيا، ويَضعفُ أن يكون في الآخِرَة ـ كما قال بعضُهم[١] ـ لِبَقَاءِ «إذْ تُدعون» مُفْلَتاً مِن الكلام؛ لكونه ليس له عاملٌ تَقدَّم، ولا مفسِّر لعامل، فإذا كان المَقْتُ السابق في الدنيا أَمكن أَنْ يُضمرَ له عاملٌ، تقديره: مَقْتكم إذْ تُدْعَون.

وقال الزمخشريُّ: و«إذ تُدعَون» منصوب بالمَقْتِ الأوَّل، والمعنى أنَّه يقال لهم يوم القيامة: إنَّ اللهَ مَقَتَ أنفسَكم الأمَّارةَ بالسُّوء والكُفْر حين كانَ الأنبياء يَدعونكم إلى الإيمان فتَأْبَون قَبولَه وتختارونَ عليه الكفرَ أَشَدّ ممَّا تَمقتونَهنَّ اليومَ وأنتم في النَّار، إذ أَوقَعَتْكُم فيها؛ باتِّباعكم هَواهُنَّ[٢]. انتهى. وفيه دسيسةُ الاعتزالِ.

وأَخْطَأَ في قوله: و«إذ تدعون» منصوبٌ بالمَقْتِ الأوَّل؛ لأنَّ المَقْتَ مصدرٌ ومعموله مِن صلته، ولا يَجوز أَنْ يُخبر عنه إلَّا بعد استيفائِه صلتَه، وقد أخبرَ عنه بقوله: «أَكبر مِن مَقْتِكم أنفسَكم»، وهذا مِن ظواهرِ عِلْم النَّحْوِ التي لا تَكاد تَخْفَى على المبتدئين، فَضْلاً عَمَّن يَدَّعي العَجَمُ أنَّه في العربيَّة شيخُ العَرَب والعَجَم، ولمَّا كان الفَصْلُ بين المصدرِ ومعمولِه بالخبر لا يَجوز، قَدَّرنا العاملَ فيه مضمراً، أي: مقتكم إذْ تُدعَون، ويُشْبِهه قولُه تعالى: ﴿إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ ۝٨ يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ﴾ [الطارق: ٨-٩] قَدَّروا العاملَ بـ «رجعه»: «يومَ تُبلى السرائر»؛ للفَصْل بـ «القادر» بينَ المصدر و«يومَ»[٣].

واختلافُ زمانَي المَقْتَين الأوَّل في الدُّنيا والآخَر في الآخِرَة هو قولُ مجاهد وقتادة وابنِ زيد والأكثرين[٤]، وتقدَّم لنا أنَّ منهم مَن قال: هو في الآخرة، وهو قولُ الحسن[٥]، قال الزمخشريُّ: وعن الحسن: لمَّا رَأَوا أعمالَهم الخبيثةَ مَقَتُوا

---

(١) القائل: هو الزمخشري، وكلامه في الكشاف ٣/ ٤١٧، قال السمين الحلبيُّ في الدر المصون ٩/ ٤٦٢ بعد ذِكْر قول الحسن وتضعيفِ أبي حيان له: وهذا التجرُّؤ على مِثْل الحسن يُهوِّن عليك تجرُّؤَه على الزمخشريِّ ونحوه. انتهى. وسيأتي قريباً قولُ الحسن وكلامُه عن الزمخشريِّ، فلينظر ثمَّة.

(٢) الكشاف ٣/ ٤١٧، وعبارته في مطبوعه: كأنَّ الله يمقت أنفسكم... إلى آخر كلامه.

(٣) ينظر ما قاله السمينُ الحلبيُّ في الدر المصون ٩/ ٤٦٢ حول هذا الكلام.

(٤) المحرر الوجيز ٤/ ٥٤٩، وينظر النكت والعيون ٥/ ١٤٥، وتفسير الطبري ٢٠/ ٢٨٨-٢٨٩.

(٥) في (يه): الزمخشري. وسلف قول الحسن قريباً.

أنفسَهم، فنُودوا: «لَمَقْتُ اللهِ» إيَّاكم الآنَ «أكبرُ مِن مَقْتِكم» بعضكم لبعض، كقوله تعالى: ﴿يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ [العنكبوت: ٢٥] و«إذ» تعليلٌ»[١]. انتهى.

وكأنَّ قولَه: و«إذ» تعليلٌ، مِن كلام الزمخشريِّ، وقال قوم: «إذ تدعون» معمول لـ: اذكروا، محذوفة، ويتَّجه ذلك على أنْ يكون مَقْتُ اللهِ إيَّاهم في الآخِرَة على قولِ الحَسَن، قيل لهم ذلك توبيخاً وتقريعاً وتنبيهاً على ما فاتهم مِن الإيمان وثوابه.

ويَحتمل أن يكون قوله: «مِن مقتكم أنفسكم» أنَّ كلَّ واحدٍ يَمْقُت نفسَه، أو أنَّ بعضَكم يَمقُت بعضاً، كما قيل: إنَّ الأَتْباع يَمقتون الرُّؤساء؛ لِمَا وَرَّطوهم فيه مِن الكفر، والرُّؤساء يَمقتون الأَتْباعَ.

وقيل: يَمقتون أنفسَهم حين قال لهم الشيطانُ: ﴿فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓا أَنفُسَكُم﴾[٢] [إبراهيم: ٢٢].

والمَقْتُ أَشَدُّ البُغْض، وهو مستحيلٌ في حقِّ الله تعالى، فمعناه: الإنكار والزَّجْر.

«قالوا رَبَّنا أَمَتَّنا اثْنَتَيْن» وَجْهُ اتِّصال هذه بما قَبْلَها أنَّهم كانوا يُنكِرون البعثَ، وعِظَمُ مَقْتِهم أنفسَهم هذا الإنكارُ، فلمَّا مَقَتُوا أنفسَهم ورَأَوْا حزناً[٣] طويلاً، رَجَعوا إلى الإقرار بالبَعث، فأَقرُّوا أنَّه تعالى أَمَاتهم اثْنَتَين وأحياهم اثْنَتَين؛ تعظيماً لقُدْرته وتوسُّلاً إلى رضاهُ، ثم أطمعوا أنفسَهم بالاعتراف بالذُّنوب أنْ يُرَدُّوا إلى الدنيا، أي: إنْ رَجَعْنا إلى الدُّنيا ودُعينا إلى الإيمان، بادَرْنا إليه.

وقال ابنُ عباس وقتادة والضحاك وأبو مالك: موتُهم كونُهم ماءً في الأصلاب، ثمَّ إحياؤهم في الدُّنيا، ثمَّ موتهم فيها، ثم إحياؤهم يومَ القيامة.

---

(١) الكشاف ٣/ ٤١٨.

(٢) تفسير القرطبيّ ١٨/ ٣٣٥ وعزا الكلام لمحمد بن كعب القُرَظي، وأخرجه عنه الطبريُّ ١٣/ ٦٢٧ و٦٣١-٦٣٢.

(٣) في (يه): وزادوا حزناً، وفي مطبوع المحرر الوجيز ٤/ ٥٤٩ والكلام منه: ورأوا خزياً. والمثبت من باقي النسخ.

وقال السُّدِّيُّ: إحياؤهم في الدنيا، ثم إماتتهم فيها، ثم إحياؤهم في القَبْر لسؤالِ المَلَكين، ثمَّ إماتتهم فيه، ثمَّ إحياؤهم في الحَشْر.

وقال ابنُ زيد: إحياؤهم نَسَماً عند أَخْذِ العهد عليهم مِن صُلْبِ آدَمَ، ثم إماتتهم بَعْدُ، ثم إحياؤهم[1] في الدُّنيا، ثمَّ إماتتهم، ثمَّ إحياؤهم. فعلى هذا ـ والذي قَبْلَه ـ تكون ثلاث إحياءات، وهو خلافُ القرآن[2].

وقال محمد بنُ كعب: الكافر في الدُّنيا حَيُّ الجسد مَيتُ القلب، فاعتبرت الحالتان، ثم إماتتهم حقيقةً، ثم إحياؤهم في البَعْث[3].

وتقدَّم الكلام في أوائل «البقرة» على الإماتتين والإحياءَيْن في قوله: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ﴾ الآية [٢٨]، وكرَّرنا ذلك هنا؛ لبُعْدِ ما بينَ الموضعين.

قال الزمخشريُّ: فإن قلت: كيف صَحَّ أَنْ يُسمَّى خَلْقهم أمواتاً إماتةً؟

قلت: كما صحَّ أَنْ تقول: سُبحانَ مَن صَغَّر جِسْمَ البَعوضة وكَبَّر جسمَ الفِيْل، وقولك للحفَّار: ضَيِّقْ فَمَ الرَّكِيَّة ووَسِّع أسفلَها، وليس ثَمَّ نَقْلٌ مِن كِبَرٍ إلى صِغَرٍ، ولا مِن صِغَرٍ إلى كِبَرٍ، ولا مِن ضِيْق إلى سَعَة، ولا مِن سَعَة إلى ضِيْق، وإنَّما أَردتَ الإنشاءَ على تلك الصفات، والسبب في صحَّته أنَّ الصِّغَر والكِبَر جائزانِ معاً على المصنوع الواحدِ مِن غيرِ تَرجُّح لأحدهما، وكذلك الضِّيْق والسَّعَة، فإذا اختارَ الصانعُ أحدَ الجائزَيْن وهو مُتمكِّن منهما على السَّوَاء، فقد صرفَ المصنوعَ عن الجائز الآخَر، فَجُعِلَ صَرْفُه عنه كنَقْلِه منه[4]. انتهى.

(١) من قوله: نسماً عند أخذ العهد... إلى هنا، ليست في (يه)، والكلام من المحرر الوجيز ٥٤٩/٤، وينظر النكت والعيون ١٤٦/٥، وتفسير القرطبي ١٨/ ٣٣٥-٣٣٦، وتنظر الآثار عند الطبري ٢٠/ ٢٩٠-٢٩٢.

(٢) الكشاف ٤١٨/٣، وينظر المحرر الوجيز ٥٤٩/٤، وتفسير القرطبي ٣٣٦/١٨.

(٣) المحرر الوجيز ٥٤٩/٤، وأخرجه عن كعب البيهقي في كتابه إثبات عذاب القبر (٤٣)، وأورده عنه الآلوسي في روح المعاني ٣٨/٢٤ وصدَّره بقوله: ومن غرائب ما قيل في ذلك، وأعقبه بقوله: ومِثْلُ هذا يُحكى لِيُطَّلع على حاله.

(٤) الكشاف ٤١٨/٣.

يعني أنَّ خَلْقَهم أمواتاً، كأنَّه نَقْلٌ مِن الحياة، وهو الجائز الآخَر.

وظاهر «فاعترفنا بذنوبنا» أنَّه متسبِّب عن قَولهم «ربَّنا أمَتَّنا اثنتين وأحييتنا اثنتين» وثَمَّ محذوف، أي: فعرفنا قدرتَكَ على الإماتة والإحياء، وزال إنكارنا للبعث «فاعترفنا بذنوبنا» السابقة مِن إنكار البعث وغيره، «فهل إلى خروج» أي: سريع أو بَطِيء مِن النار «مِن سبيل» وهذا سؤال مَن يَئِسَ مِن الخروج، ولكنَّه تعلّل وتَحيّر.

«ذَلِكم» الظاهِرُ أنَّ الخطابَ للكفَّار في الآخِرَة، والإشارة إلى العذاب الذي هم فيه، أو إلى مَقْتِهم أنفسَهم، أو إلى المَنْع مِن الخروج والزَّجْرِ والإهانة، احتمالات مقولةٌ، وقيل: الخطاب لمعاصري رسولِ الله ﷺ[(١)].

والضمير في «بأنَّه» ضميرُ الشَّأن «إذا دُعِيَ اللهُ وَحْدَهُ» أي: إذا أُفردَ بالإلهيَّة ونُفيت عن سِواه «كفرتم وإنْ يُشْرَكْ به تؤمنوا» أي: إذا ذُكِرَت اللَّاتُ والعُزَّى وأمثالُهما مِن الأصنام صَدَّقتم بألوهيَّتها وسَكَنت نفوسُكم إليها، «فالحُكْم» بعذابكم اليوم «لله» لا لتلك الأصنام التي أشركتموها مع الله «العليِّ» عن الشّريك «الكبير» العَظيم الكبرياء.

وقال محمد بنُ كعب: لأهل النَّارِ خَمْس دَعَوات؛ يُكلِّمهم اللهُ في الأربعة، فإذا كانت الخامسةَ سَكَتوا: «قالوا ربَّنا أَمَتَّنا اثنتين» هنا الآية [١١]، وفي «إبراهيم»: ﴿رَبَّنَآ أَخِّرۡنَآ﴾ الآية [٤٤]، وفي «السجدة»: ﴿رَبَّنَآ أَبۡصَرۡنَا﴾ الآية [١٢]، وفي «فاطر»: ﴿رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا نَعۡمَلۡ﴾ الآية [٣٧]، وفي «المؤمنون»: ﴿رَبَّنَا غَلَبَتۡ عَلَيۡنَا شِقۡوَتُنَا﴾ الآية[١٠٦]، فراجَعَهم بقوله تعالى: ﴿ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون: ١٠٨] قال: فكان آخِرَ كلامِهم ذلك[(٢)].

---

(١) المحرر الوجيز ٤/٥٤٩.

(٢) أورده القرطبيُّ في تفسيره ١٢/ ١٦٢-١٦٣، وفي كتابه التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة ص ٤١٧، نقلاً عن البيهقي، وهو عنده في البعث والنشور (٦٦٠)، وفي الأسماء والصفات (٤٨٢)، وفي إسناده: أبو معشر نجيح بن عبد الرحمن السندي، وهو ضعيف.
وأورده أيضاً القرطبيُّ في التذكرة ص ٤١٧-٤١٩ ـ وأشار إليه في تفسيره ١٢/ ١٦٣ ـ نقلاً عن ابن المبارك بإسناده إلى محمد بن كعب القرظي، عمَّن بلغه، . . . وساق خبراً طويلاً، وفي الإسناد: الحكم بن ظهير، وهو متروك، واتَّهمه ابنُ معين. تقريب التهذيب.

ولمَّا ذَكَر تعالى ما يُوجب التهديدَ الشديدَ في حقِّ المشركين، أَردَفه بذِكْر ما يدلُّ على كمالِ قدرته وحكمته؛ ليصيرَ ذلك دليلاً على أنَّه لا يَجوز جَعْلُ الأحجارِ المنحوتة والخُشُب المَعبودَة شركاءَ للهِ، فقال:

«هو الذي يُريكم آياتِه» أيُّها الناس، ويَشملُ آيات قدرتِه؛ مِن الرِّيح والسَّحَاب والرَّعْد والبَرْق والصَّواعق ونحوها مِن الآثار العُلْويَّة، وآيات كتابه المُشتَمل على علم الأوَّلين والآخِرين، وآيات الإعجاز على أيدي رُسُله، وهذه الآيات راجعة إلى نورِ العقل الدَّاعِي إلى توحيدِ الله، ثم قال: «ويُنزِّل لكم مِن السماء رزقاً» وهو المَطَر الذي هو سبب قَوام بنية البَدَن، فتلك الآياتُ للأديان كهذا الرِّزْق للأبدان.

«وما يتذكَّر» أي: يتَّعظ ويَعتبِر[١]، وجَعَله تذكُّراً؛ لأنَّه مركوزٌ في العقول دلائلُ التوحيد، ثمّ قد يَعْرِض الاشتغال بعبادة غيرِ الله فيَمنع مِن تَجلِّي نورِ العقل، فإذا تاب إلى الله تعالى تَذكَّر.

❁ ❁ ❁

﴿فَٱدۡعُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾ رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلۡعَرۡشِ يُلۡقِي ٱلرُّوحَ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوۡمَ ٱلتَّلَاقِ ﴿١٥﴾ يَوۡمَ هُم بَٰرِزُونَۖ لَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنۡهُمۡ شَيۡءٞۚ لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ ﴿١٦﴾ ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡۚ لَا ظُلۡمَ ٱلۡيَوۡمَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴿١٧﴾ وَأَنذِرۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡأٓزِفَةِ إِذِ ٱلۡقُلُوبُ لَدَى ٱلۡحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ حَمِيمٖ وَلَا شَفِيعٖ يُطَاعُ ﴿١٨﴾ يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ يَقۡضِي بِٱلۡحَقِّۖ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقۡضُونَ بِشَيۡءٍۗ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴿٢٠﴾ ۞ أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُواْ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَانُواْ هُمۡ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗ وَءَاثَارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمۡ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٖ ﴿٢١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَانَت تَّأۡتِيهِمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَكَفَرُواْ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُۚ إِنَّهُۥ قَوِيّٞ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٢٢﴾﴾.

الأَمْر بقوله: «فادعوا» للمُنيبين المؤمنين أصحابِ رسولِ الله ﷺ، أي: اعْبُدُوه مُخلِصين له الدِّين مِن الشِّرْك على كلِّ حال حتى في حال غيظ أعدائِكم المتمالئين عليكم وعلى استئصالِكم.

(١) بعدها في (يه): وينزجر.

و«رفيع» خبرُ مبتدأٍ محذوف، وقال الزمخشريُّ: ثلاثةُ أخبارٍ مترتِّبة على قوله: «الذي يريكم»، أو أخبارُ مُبتدأٍ محذوف، وهي مختلفةٌ تعريفاً وتنكيراً[١]. انتهى.

أمَّا تَرتُّبها على قوله: «هو الذي يريكم» فبَعيدٌ؛ لطُول الفَصْل، وأمَّا كونها أخباراً لمبتدأٍ محذوف، فمبنيٌّ على جواز تعدُّد الأخبار إذا لم تكن في معنى خبرٍ واحد، والمَنْعُ اختيارُ أصحابِنا.

وقُرِئَ: «رفيعَ» بالنَّصب على المدح[٢]، واحتمل أَنْ يكون «رفيع» للمبالغة، على فَعِيْل مِن: رافع، فتكون «الدرجات» مفعولة، أي: رَافع درجاتِ المؤمنين ومنازلَهم في الجنَّة، وبه فسَّر ابنُ سَلَّام[٣]، أو عبَّر بالدرجاتِ عن السَّماوات، أي: رَفَعها سماءً فوقَ سماءٍ والعَرْش فَوقهنَّ، وبه فسّر ابنُ جُبير[٤].

واحتمل أن يكون «رَفِيْع» فَعيلاً، مِن: رَفُعَ الشَّيْءُ: عَلَا، فهو رَفيع، فيكون مِن باب الصِّفة المُشبَّهة.

و«الدرجات»: المَصَاعد للملائكة إلى أَنْ تَبلُغ العرشَ، أُضيفت إليه دلالةً على عِزَّته وسلطانه[٥]، أي: درجات ملائكته، كما وَصَفه بقوله: ﴿ذِى ٱلْمَعَارِجِ﴾ [المعارج:٣]، أو يكون ذلك عبارةً عن رِفْعَةِ شأنه وعُلُو سلطانه، كما أنَّ قولَه: «ذو العرش» عبارة عن مُلْكِه، وبنحوِه فسَّر ابنُ زيد، قال: عظيمُ الصفات[٦].

و«الرُّوح»: النُّبُوَّة، قاله قتادة والسُّدِّيُّ[٧]، كما قال: ﴿رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى:٥٢] وعن قتادة أيضاً: الوحي[٨]، وقال ابنُ عباس: القرآن، وقال

---

(١) الكشاف ٣/ ٤١٩.
(٢) المصدر السابق، وتفسير الرازي ٢٧/ ٤٣، وهي في القراءات الشاذة ص ٤٣.
(٣) النكت والعيون ٥/ ١٤٧، وتفسير القرطبي ١٨/ ٣٣٨.
(٤) الكشاف ٣/ ٤١٩، وينظر أيضاً النكت والعيون ٥/ ١٤٧، وتفسير القرطبي ١٨/ ٣٣٨.
(٥) في الكشاف ٣/ ٤١٩، والكلام منه: وملكوته.
(٦) النكت والعيون ٥/ ١٤٧، ونقله عنه ابن الجوزي في زاد المسير ٧/ ٢١٠.
(٧) المحرر الوجيز ٤/ ٥٥٠، وقول السدي عند الماوردي في النكت والعيون ٥/ ١٤٧، وأخرجه عنه الطبريُّ ٢٠/ ٢٩٦.
(٨) النكت والعيون ٥/ ١٤٧، وأخرجه عنه الطبريُّ ٢٠/ ٢٩٥.

الضحاك: جبريل يُرسِله لمَن يشاء، وقيل: الرحمة، وقيل: أرواح العباد[١]، وهذان القولانِ ضعيفان، والأَولى الوَحْيُ، استعار له الرُّوح لحياةِ الأديان المرضيَّة به[٢]، كما قال: ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ﴾ [الأنعام: ١٢٢].

وقال ابنُ عطيَّة: ويَحتمل أنْ يكونَ إلقاءُ الرُّوح عامًّا لكلِّ ما يُنعِم اللهُ به على عبادِه المهتدين[٣] في تفهيم الإيمان والمعقولات[٤] الشريفة. انتهى.

وقال الزَّجَّاج: «الرُّوح»: كلُّ ما به حياةُ الناس، وكُلُّ مهتدٍ حَيٌّ، وكُلُّ ضَالٍّ ميتٌ[٥]. انتهى.

وقال ابنُ عباس: «مِن أَمْرِه» مِن قضائه، وقال مقاتل: بأَمْرِه، وحكى الثعلبيُّ: مِن قوله[٦]، ويَظهر أنَّ «مِن» لابتداء الغاية.

وقرأ الجمهور: «لِيُنْذِرَ» مبنيًّا للفاعل، «يومَ» بالنصب، والظاهر أنَّ الفاعلَ ضميرٌ يعود على الله؛ لأنَّه هو المُحدَّث عنه، واحتمل «يوم» أنْ يكون مفعولاً على السعة، وأنْ يكون ظرفاً، والمُنْذَر به محذوف.

وقرأ أُبَيٌّ وجماعة كذلك إلَّا أنَّهم رَفَعوا «يوم» على الفاعليَّة مجازاً[٧].

وقيل: الفاعل في القراءة الأُولى ضميرُ «الرُّوح»، وقيل ضمير «مِن».

وقرأ اليمانيُّ فيما ذَكَر صاحبُ «اللوامح»: «لِيُنْذَرَ» مبنيًّا للمفعول، «يومُ التَّلاقِ» برَفْع الميم[٨].

---

(١) النكت والعيون ٥/ ١٤٧-١٤٨، وينظر زاد المسير ٧/ ٢١٠.
(٢) في (يه): لحياة الأبدان المضيئة به.
(٣) في (يه): المتقين. وفي المحرر الوجيز ٤/ ٥٥٠: المعتدين.
(٤) في المحرر الوجيز ٤/ ٥٥٠: والمعتقدات.
(٥) المصدر السابق، وكلام الزجاج في كتابه معاني القرآن ٤/ ٣٦٩.
(٦) زاد المسير ٧/ ٢١١، وقول الثعلبيّ في تفسيره ٥/ ٣٤٠.
(٧) لم نقف على القراءة عند غيره.
(٨) المحرر الوجيز ٤/ ٥٥١، وينظر الكشاف ٣/ ٤١٩.

وقرأ الحسن واليمانيُّ ـ فيما ذكر ابنُ خالويه ـ «لِتُنْذِرَ» بالتاء[١]، فقالوا: الفاعل ضمير الرُّوح؛ لأنَّها تُؤنَّث، أو فيه ضميرُ الخطاب للرَّسول.

وقرئ: «التَّلَاق» و«التَّنَاد» بياءٍ وبغيرِ ياءٍ[٢].

وسُمِّي «يوم التَّلاق» لالتِقاء الخلائقِ فيه، قاله ابنُ عباس، وقال قتادة ومقاتل: يَلتقي فيه الخالقُ والمخلوق، وقال ميمون بنُ مِهْران: يَلتقي فيه الظالمُ والمظلوم. وحكى الثعلبيُّ: يَلتقي المَرْءُ بعملِه[٣].

وقال السُّدِّيُّ: يُلاقي أهلُ السماءِ أهلَ الأرض، وقيل: يلتقي العابدونَ ومَعْبُودهم[٤].

«يومَ هم بارِزُونَ» أي: ظاهرون مِن قُبورهم لا يَسْتُرهم شيءٌ مِن جبلٍ أو أَكَمَةٍ أو بناءٍ؛ لأنَّ الأرضَ ـ إذ ذاك ـ قاعٌ صَفْصَف، ولا مِن ثيابٍ؛ لأنَّهم يُحشَرون عُرَاةً حُفاةً غُرلاً[٥].

و«يوم» بَدَلٌ مِن «يوم التلاق»، وكلاهما ظرفٌ مُستقبل، والظَّرْفُ المستقبل عند سيبويه لا تجوز إضافته إلى الجملة الاسميَّة، لا يجوز: أَجِيْئُكَ يومَ زيدٌ ذاهبٌ، إجراءً له مجرى «إذا»، فكما لا يَجوز أنْ تقول: أَجِيْئُكَ إذا زيدٌ ذاهب، فكذلك لا يجوز هذا، وذهب أبو الحسن إلى جوازِ ذلك، فيتخرَّج قوله: «يومَ هم بارزون» على هذا المذهب، وقد أجاز ذلك بعضُ أصحابِنا على قِلَّة، والدَّلائلُ مذكورة في عِلْم النَّحْو[٦].

---

(١) تفسير الثعلبي ٥/ ٣٤٠ عن الحسن، والكشاف ٣/ ٤١٩ دون عزو، والقراءة في القراءات الشاذة ص ١٣٢ عنهما.

(٢) قرأ بالياء فيهما ورش، وابنُ وردان وصلاً، وابنُ كثير، ويعقوب في الحالين. ينظر تفصيل ذلك في السبعة ص ٥٦٨، والتيسير ص ١٩٢، والنشر ٢/ ٣٦٦.

(٣) زاد المسير ٧/ ٢١١، وينظر تفسير الثعلبي ٥/ ٣٤٠، والقرطبي ١٨/ ٣٣٩، وتنظر الآثار عند الطبري ٢٠/ ٢٩٦-٢٩٧.

(٤) المحرر الوجيز ٤/ ٥٥١، وتفسير الثعلبي ٥/ ٣٤٠، وقول السدي عند الطبري ٢٠/ ٢٩٧.

(٥) ينظر خبر ابن عباس عند البخاري (٣٣٤٩)، ومسلم (٢٨٦٠)، وأحمد (١٩٥٠).

(٦) ينظر كتاب سيبويه ٣/ ١١٨-١١٩، ومعاني القرآن للأخفش ٢/ ٦٧٦، وإعراب القرآن للنحاس ٤/ ٢٨، وارتشاف الضَّرَب ٤/ ١٨٣٢.

وقال ابنُ عطيَّة: ويَحتمل أن يكونَ انتصابه على الظَّرف، والعامل فيه قوله: «لا يَخفى» وهي حركةُ إعرابٍ لا حركةُ بناء؛ لأنَّ الظَّرْفَ لا يُبْنَى إلَّا إذا أُضيفَ إلى غير متمكّن ك: «يومئذٍ»، وكقولِ الشاعر:

على حينَ عاتَبْتُ المشيبَ على الصِّبَا

وكقوله تعالى: ﴿هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ﴾ [المائدة:١١٩] وأمَّا في هذه الآية فالجملةُ اسمٌ مُتمكّن، كما تقول: جئتُ يومَ زيدٌ أميرٌ، فلا يَجوز البناءُ[١]. انتهى. يعني أَنْ ينتصب على الظَّرف قولُه: «يومَ هم بارزون».

وامَّا قوله: لا يُبْنَى إلَّا إذا أُضيف إلى غير مُتمكّن، فالبناء ليس مُتحتّمًا، بل يَجوز فيه البناءُ والإعراب.

وأمَّا تمثيله ب ﴿يَوْمُ يَنفَعُ﴾ فمذهب البصريين أنَّه لا يَجوز فيه إلَّا الإعراب، ومذهب الكوفيين جوازُ البناء والإعراب فيه[٢].

وأمَّا إذا أُضيف إلى جملة اسميَّة كما مثّلَ مِن قوله: جئتُ يومَ زيدٌ أميرٌ، فالنَّقْل عن البَصْرِيِّين تَحتُّم الإعراب ـ كما ذَكرَ ـ والنَّقْل عن الكوفيين جوازُ الإعراب والبناء، وذهب إليه بعضُ أصحابنا، وهو الصحيح؛ لكثرةِ شواهدِ البِناء على ذلك، ووقع في بعضِ تصانيف بعض أصحابِنا أنَّه يَتحتَّم فيه البناءُ، وهذا قولٌ لم يَذهب إليه أَحَدٌ، فهو وهم.

«لا يخفى على اللهِ منهم شَيء» أي: مِن سرائرهم وبواطِنِهم، قال ابنُ عباس: إذا هلك مَن في السماوات ومَن في الأرض فلم يَبْقَ إلَّا اللهُ، قال: «لِمَن المُلْكُ اليومَ» فلا يُجيبه أَحَدٌ، فيَرُدُّ على نفسِه: «لله الواحِدِ القَهَّار»[٣].

---

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٥٥١، وصدر البيت للنابغة الذبياني، وسلف في تفسير البقرة، عند تفسير الآية (٧).

(٢) ينظر الإنصاف في مسائل الخلاف ١/ ١٦٣، وارتشاف الضَّرَب ٤/ ١٨٢٨ وما بعدها.

(٣) الخبر في النكت والعيون ٥/ ١٤٨ وعزاه لمحمد بن كعب، وفي تفسير السمرقندي ٣/ ١٦٣ ولم يَعْزه، وهو عند عبد الله بن أحمد في السنة ص ٤٢، وابن أبي حاتم ١٠/ ٣٢٦٥، والحاكم في المستدرك ٢/ ٤٣٧، وأبي نعيم في الحلية ١/ ٣٢٤ بنحوه.

وقال ابنُ مسعود: يَجمعُ اللهُ الخلائقَ يومَ القيامة في صعيدٍ واحدٍ بأرضٍ بيضاءَ كأنَّها سَبِيْكَة فضَّة، لم يُعْصَ اللهُ فيها قَطُّ، فأوَّل ما يتكلّم به أَنْ يُنادِي منادٍ: «لِمَن الملكُ اليوم» فيُجيبوا كلُّهم: «لله الواحد القهَّار»(١).

رُوِيَ أنَّه تعالى يُقرِّر هذا التقريرَ ويسكت العالَم هيبةً وجزعاً، فيُجيب نفسَه بقوله: «لله الواحدِ القهَّار».

وقال الحسن: هو السائل وهو المجيب. وقيل: ينادي بالتقرير مَلَكٌ، فيجيبُ الناسُ(٢).

وإنَّما خصَّ التقرير باليوم، وإن كان المُلك له تعالى في ذلك اليوم وفي غيرِه؛ لظهورِ ذلك للكَفَرة والجَهَلة ووضوحِه يومَ القيامة.

وإذا تأمَّل مَن له مُسْكَة عَقْلٍ تسخيرَ أهلِ السماوات والأرض ونفوذَ القضاء فيهم، تَيقَّن أنْ لا مُلْكَ إلَّا لله، ومِن نتائج مُلْكه في ذلك اليوم جزاء كلِّ نفسٍ بما كَسَبت وانتفاءُ الظُّلم وسُرعة الحساب؛ إذ حسابهم في وقتٍ واحدٍ لا يَشغله حسابٌ عن حساب، قال ابنُ عطيَّة(٣): وهذه الآية نصٌّ في أنَّ الثوابَ والعقابَ مُعلَّق باكتساب العبد. انتهى. وهو على طريقة الأشعريَّة.

ورُوِيَ أنَّ يوم القيامة لا يَنْتَصف حتى يَقِيْلَ المؤمنون في الجنَّة والكافرون في النَّار(٤).

و«يوم الآزِفَة» هو يوم القيامة؛ أَمَرَ تعالى نبيَّه أَنْ يُنذِرَ العالَمَ ويُحذِّرهم منه ومِن أهواله، قاله مجاهد وابنُ زيد(٥).

---

(١) تفسير الثعلبي ٥/ ٣٤٠ بإسناده إلى ابنِ مسعود، وهو أيضاً عند ابن المبارك في الزهد (٣٨٨ ـ زوائد نعيم بن حماد).
(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٥٥١، وينظر تفسير الثعلبي ٥/ ٣٤٠، والقرطبي ١٨/ ٣٤٠.
(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٥٥١، وما قبله منه أيضاً.
(٤) المصدر السابق، والخبر عند ابنِ المبارك في الزهد (١٣١٣)، والطبري في تفسيره ١٧/ ٤٣٥، والحاكم في المستدرك ٢/ ٤٠٢ من قول ابنِ مسعود ﷺ، وعند السمرقندي في تفسيره ٣/ ٤٥٨، والواحديّ في الوسيط ٣/ ٣٣٨ عن ابن عباس ﷺ، وأخرجه عنه الطبريُّ ١٧/ ٤٣٥.
(٥) المحرر الوجيز ٤/ ٥٥٢، وأخرجه عنهم الطبريُّ ٢٠/ ٣٠٠-٣٠١.

و«الآزفة» صفة لمحذوف، تقديره: يومَ الساعة الآزِفَة، أو الطَّامَّة الآزِفَة، ونحو هذا، ولمَّا اعتقَبَ كلَّ إنذار نوعاً مِن الشِّدَّة والخوف وغيرِهما، حَسُنَ التَّكرار.

و«الآزِفَة»: القَريبة، كما تقدَّم، وهي مشارفتهم دخولَ النار، فإنَّه إذ ذاك تَزيغُ القلوب عن مقارِّها مِن شِدَّة الخوف.

وقال أبو مسلم: «يوم الآزفة» يوم المَنِيَّة وحُضُور الأَجَل، يدلُّ عليه أنَّه تقدَّم وَصْفُ يومِ القيامة بأنَّه «يوم التَّلَاق» ويوم بروزهم، فوجب أنْ يكون هذا اليوم غيرَه، وهذه الصفةُ مخصوصةٌ في سائر الآيات بيوم الموت، قال تعالى: ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ﴾ [الواقعة:٨٣]، ﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ﴾ [القيامة:٢٦]، وأيضاً توصيف يوم الموت[1] بالقُرب أولى مِن وَصْفِ يوم القيامة بالقُرْب، وأيضاً فالصفات المذكورة بعد قوله: «يوم الآزفة» لائقةٌ بيوم حضورِ المَنِيَّة؛ لأنَّ الرَّجُلَ عند معايَنَة ملائكةِ العذاب يعظُم خوفُه، يَكادُ قلبُه يَبلغ حَنْجَرته مِن شِدَّة الخوف، ولا يكون له حميمٌ ولا شفيعٌ يَرفعُ عنه ما به مِن أنواع الخوف.

«إذِ القلوبُ لدى الحناجِر» قيل: يجوز أنْ يكون ذلك يوم القيامة حقيقةً، ويَبْقَون أحياءً مع ذلك، بخلاف حالة الدنيا فإنَّ مَنِ انتقلَ قلبُه إلى حَنْجَرته مات، ويَجوز أنْ يكون ذلك كنايةً عن ما يَبلُغون إليه مِن شِدَّة الجَزَع، كما تقول: كادَت نفسي أنْ تَخْرُج.

وانتصب «كاظمين» على الحال، قال الزمخشريُّ: هو حالٌ عن أصحاب القلوب على المعنى، إذ المعنى: إذ قلوبهم لدى حَنَاجرهم كاظمينَ عليها، ويَجوز أن يكون حالاً عن «القلوب»، وأنَّ القلوبَ كاظمةٌ على غَمٍّ وكَرْب فيها مع بلوغها الحناجر، وإنَّما جمعَ الكاظم جمعَ السَّلَامة؛ لأنَّه وَصَفها بالكَظْم الذي هو مِن أفعال العقلاء، كما قال: ﴿رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ﴾ [يوسف:٤]، وقال: ﴿فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ﴾ [الشعراء:٤] ويَعضُده قراءةُ مَن قَرَأ: «كاظمون»، ويجوز أن يكون حالاً

(١) من قوله: قال تعالى: ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾﴾... إلى هنا، زيادة من (به)، والكلام من تفسير الرازي ٢٧/٤٩-٥٠، وقول أبي مسلم ذكره الماورديُّ في النكت والعيون ٥/١٤٩، وعزاه لقطرب، ونَقَله عنه ابنُ الجوزي في زاد المسير ٧/٢١٢، والقرطبيُّ ١٨/٣٤٢.

عن قوله [«وأنذرهم»][١]، أي: وأنْذِرهم مقدّرينَ[٢].

وقال ابنُ عطيَّة: «كاظمين» حالٌ ممَّا أبدلَ منه قولُه «إذ القلوب»، أو ممَّا تنضاف إليه «القلوب»؛ لأنَّ المراد: إذ قلوبُ الناس لدى حناجرهم، وهذا كقوله تعالى: ﴿تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَـٰرُ * مُهْطِعِينَ﴾ [إبراهيم: ٤٢-٤٣] أراد تشخصُ فيه أبصارُهم[٣].

وقال الحوفيُّ: «القلوب» رفع بالابتداء، و«لَدَى الحناجر» الخبر متعلّق بمعنى الاستقرار «كاظمين» نصب على الحال، والعامل في الحال الاستقرار.

وقال أبو البقاء: «كاظمين» حالٌ مِن «القلوب»؛ لأنَّ المرادَ أصحابُها[٤]. انتهى.

«ما للظالمين مِن حميم» أي: مُحبٌّ مُشفِق «ولا شفيعٍ يُطاع» في موضع الصفة لـ «شفيع»، فاحتمل أن يكون في موضع خفضٍ على اللفظ، وفي موضع رفعٍ على الموضع، واحتمل أنْ ينسحبَ النفيُ على الوصف فقط، فيكون ثَمَّ شفيعٌ ولكنَّه لا يطاع، أي: لا تُقبَل شفاعته، واحتمل أنْ ينسحب النفيُ على الموصوف وصفته، أي: لا شفيعَ فيُطاع، وهذا هو المقصود في الآية؛ لأنَّ الشفيعَ عندَ الله إنَّما يكون مِن أوليائه تعالى، ولا تكون الشفاعة إلَّا لمَن ارتضاهُ اللهُ، وأيضاً فيكون في زيادة التفضيل والثواب، ولا يمكن شيءٌ مِن هذا في حقِّ الكافر، وعن الحسن: واللهِ لا يكون لهم شفيعٌ البتةَ[٥].

«يَعلم خائنةَ الأعين» [٦]الظاهر أنَّه من إضافة الصفة للموصوف، أي: الأعين الخائنة[٦]، كقوله:

(١) زيادة من الكشاف ٣/ ٤٢٠، ولم ترد في النسخ، والقراءة نقلها عنه الرازيُّ ٢٧/ ٥٠، وينظر تفسير القرطبي ١٨/ ٣٤٢، وإعراب القرآن للنحاس ٤/ ٢٩، حيث نُقلَ عن الكسائيّ أنه قال: يجوز رفع ﴿ كَـٰظِمِينَ﴾ على الابتداء.

(٢) بعدها في الكشاف ٣/ ٤٢٠: أو مشارفين الكظم.

(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٥٥٢.

(٤) الإملاء ٢/ ٢١٨.

(٥) الكشاف ٣/ ٤٢١.

(٦-٦) زيادة من (يه).

وإن سَقَيْتِ كرامَ الناس فاسْقِينا[١]

أي: الناسَ الكرامَ، وجوَّزوا أنْ تكون «خائنة» مصدراً، كالعافية والعاقبة، أي: يَعلم خيانَةَ الأعين.

ولمَّا كانت الأفعالُ التي يُقصَد بها التكتُّم بَدَنيَّةً؛ فأَخْفَاها خائنةُ الأعين مِن كَسْرِ جفنٍ وغَمْزٍ ونَظَرٍ يُفهَم منه معنًى ويُريد صاحبُه معنًى آخَر، وقَلبيَّةً؛ وهو ما تحتوي عليه الضمائرُ = قَسَم ما يَنكتم به إلى هذين القِسْمَين، وذَكَرَ أنَّ عِلْمَه متعلّق بهما التعلُّق التامَّ.

وقال الزمخشريُّ: ولا يَحسُن أنْ يُراد: الخائنة مِن الأعين؛ لأنَّ قوله: «وما تُخفي الصُّدُور» لا يُساعِد عليه[٢]. انتهى.

يعني أنَّه لا يُناسِب أنْ يكون مقابل المعنى إلَّا المعنى، وتقدَّم أنَّ الظاهر أن يكون التقدير: الأعين الخائنة.

والظاهر أنَّ قولَه «يَعلمُ خائنةَ الأعين» الآية، متَّصل بما قَبْلَه؛ لمَّا أَمَرَ بإنذاره يومَ الآزِفَة وما يَعرِض فيه مِن شدَّة الكَرْب والغَمِّ، وأنَّ الظالمَ لا يجد فيه مَن يَحميه مِن ذلك، ولا مَن يَشفعُ له = ذَكَر اطّلاعه تَعالى على جميعِ ما يَصدُر مِن العبد، وأنَّه مجازًى بما عَملَ؛ ليكونَ على حَذَرٍ مِن ذلك اليوم إذا عَلِمَ أنَّ اللهَ مُطَّلعُ على أعماله.

وقال ابنُ عطيَّة: «يَعلم خائنةَ الأعين» متَّصل بقوله: «سريع الحساب»؛ لأنَّ سُرعةَ حسابه للخَلْق إنَّما هي بعِلْمه الذي لا يَحتاج معه إلى رَوِيَّة وفِكْرة ولا لشيءٍ

---

(١) الشطر وقع عَجُزاً لبيتين؛ أحدهما للمرقّش الأكبر كما في شرح اختيارات المفضل ٢/ ١٠٧٠، وخزانة الأدب ٨/ ٣٠١، وصدره:

يا ذات أجوارنا قولي فحيِّينا

وثانيهما لبعض بني قيس بن ثعلبة، وقيل: لبشامة بن حزن النهشلي، وصدره:

إنَّا مُحيُّوكِ يا سلمى فَحيِّينا

وهو في شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ١/ ١٠٠، وللتبريزي ١/ ٥٠، والتذكرة السعدية ص٣٤، وخزانة الأدب ٨/ ٣٠٢، وأورده أيضاً ابنُ قتيبة في عيون الأخبار ١/ ١٨٩ ولم ينسبه.

(٢) الكشاف ٣/ ٤٢١.

ممَّا يَحتاجه المحاسِبون، وقالت فرقة: «يَعلم» متَّصل بقوله: «لا يَخفى على الله منهم شيء» [الآية:١٦]، وهذا قولٌ حَسَن يقوِّيه تناسبُ المَعنيين، ويُضعفه بُعْدُ الآية مِن الآية، وكَثرة الحائل[1]. انتهى.

وقال الزمخشريُّ: فإن قلتَ: بمَ اتَّصَلَ قولُه: «يعلم خائنةَ الأعين»؟

قلت: هو خبر مِن أَخبار «هو» في قوله: «هو الذي يريكم» [الآية:١٣] مِثْلُ: «يُلقِي الروح» [الآية:١٥] ولكِن يُلقِي الروح، قد عُلّلَ بقوله: «ليُنذر يومَ التَّلَاقِ» ثم استطردَ لذِكْر أحوالِ «يوم التَّلاق» إلى قوله: «ولا شفيعٍ يُطاع» فبَعُدَ لذلك عن إخوانه[2]. انتهى.

وفي بعض الكتب المُنزلة: أَنا مرصادُ الهِمَم، أنا العالِم لمحالِّ الفِكر وكَسْرِ العيون[3].

وقال مجاهد: «خائنة الأعين» مُسارَقةُ النَّظَر إلى ما لا يَجوز. ومَثَّلَ المفسِّرون «خائنة الأعين» بالنَّظَر الثاني إلى حُرْمَةِ غيرِ الناظر[4] «وما تُخفي الصدور» بالنَّظَر الأوَّل الذي لا يُمكن رَفْعُه.

«واللهُ يقضي بالحقِّ» هذا يُوجب عِظَمَ الخوف؛ لأنَّ الحاكمَ إذا كان عالماً بجميع الأحوال ولا يَقضي إلَّا بالحقِّ في ما دَقَّ وجَلَّ، خافَهُ الخَلْقُ غايةً.

«والذين يدعون مِن دونه لا يَقضونَ بشيء» هذا قَدْحٌ في أصنامهم وتهكُّم بهم؛ لأنَّ ما لا يُوصَف بالقُدرة لا يُقال فيه: يَقضي ولا يقضي.

وقرأ الجمهور: «يَدْعُونَ» بياء الغيبة؛ لتناسب الضمائر الغائبة قَبْلُ، وقرأ

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٥٥٢-٥٥٣.
(٢) الكشاف ٣/ ٤٢١.
(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٥٥٣، وما بعده منه أيضاً، ووردت آخِرُ العبارة في مطبوعه هكذا: . . . أنا العالم بمجال الفكر وكسر الجفون. ووردت في (ز٢): الفكر وبكسر العيون، وفي المطبوع: مجال الفكر وكسر العيون، وفي (أ) و(ت) و(ح) و(ز٢) و(ع): مجال الفكر وكسر العيون. والمثبت من (يه)، ولم نقف على العبارة عند غيرهما.
(٤) أي: بنظر رجلٍ إلى امرأةٍ هي حُرمة لغيره. المحرر الوجيز ٤/ ٥٥٣، وينظر معاني القرآن للفراء ٣/ ٧، وإعراب القرآن للنحاس ٤/ ٢٩، وقول مجاهد عند الطبريّ ٢٠/ ٣٠٤.

أبو جعفر وشيبة ونافع ـ بخلاف عنه ـ وهشام: «تَدْعُونَ» بتاء الخطاب[1]، أي: قُلْ لهم يا محمَّد.

«إنَّ اللهَ هو السميعُ البصيرُ» تقريرٌ لقوله: «يَعلمُ خائنةَ الأعين وما تُخفي الصُّدور» ووعيدٌ لهم بأنَّه يسمع ما يقولونَ ويُبصِر ما يَعملون، وتعريضٌ بأصنامهم أنَّها لا تَسمع ولا تُبصِر.

«أوَلم يَسيروا في الأرض فيَنظروا كيف كان عاقبةُ الذين كانوا مِن قَبْلِهم» أحالَ قريشاً على الاعتبار بالسّير.

وجاز أن يكون «فيَنظروا» مجزوماً عطفاً على «يسيروا»، وأنْ يكون منصوباً على جواب النفي، كما قال:

أَلَـم تَـسْـأَلْ فَـتُـخْـبِـركَ الـرُّسُـومُ[2]

وتقدَّم الكلامُ على مِثْلِ هذه الجملةِ، وحَملَ الزمخشريُّ «هم» على أَنْ يكون فَصْلاً[3]، ولا يتعيَّن؛ إذ يجوز أَنْ يكون «هم» توكيداً لضمير «كانوا».

وقرأ الجمهور: «منهم» بضمير الغيبة، وابنُ عامر: «منكم» بضميرِ الخطاب[4]؛ على سبيلِ الالتفات.

«وآثاراً في الأرض» معطوف على «قوَّة» أي: إنَّ مبانيهم وحصونَهم وعُدَدَهم كانت في غاية الشِّدَّة كما قال: ﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا﴾ [الشعراء: ١٤٩].

وقال الزمخشريُّ: أو أرادوا: أَكْثَر آثاراً، كقوله:

---

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٥٥٣، والقراءة في السبعة ص ٥٦٨، والتيسير ص ١٩١، والنشر ٢/ ٣٦٤-٣٦٥.

(٢) البيت في الكتاب ٣/ ٣٤ واللسان (فرتج) دون نسبة، وعجزه: على فرتاجَ والطَّلَل القديم. وعزاه في منتهى الطلب ٨/ ٧٦ لعمرو بن شأس، وفي شرح أبيات سيبويه للسيرافي ٢/ ١٥٢ للبُرْج بن مسهر، وسلف في تفسير سورة الحج، عند تفسير الآية (٦٣).

(٣) الكشاف ٣/ ٤٢٢.

(٤) المحرر الوجيز ٤/ ٥٥٣، والقراءة في السبعة ص ٥٦٩، والتيسير ص ١٩١، والنشر ٢/ ٣٦٥.

مـتـقـلـداً سـيـفـاً ورمـحـاً(١)

انتهى، أي: ومُعْتَقِلاً رمحاً، ولا حاجةَ إلى ادِّعاء الحَذْف مع صحَّة المعنى بدونه. «مِن واقٍ» أي: وما كان لهم مِن عذابِ الله مِن ساترٍ يَمنعهم منه، «ذلك» أي: الأَخذ، وتقدَّم تفسيرُ نظيرِ ذلك.

* * *

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ فَقَالُوا۟ سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ ٱقْتُلُوٓا۟ أَبْنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ وَٱسْتَحْيُوا۟ نِسَآءَهُمْ ۚ وَمَا كَيْدُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿٢٥﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٦﴾ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٧﴾ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا ۚ قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾﴾.

ابْتَدَأَ تعالى قصَّةَ موسى عليه السلام مع فرعونَ تسليةً للرَّسول عليه الصلاة والسلام، ووعيداً لقريش أنْ يحلَّ بهم ما حَلَّ بفرعون وقومه مِن نَقِماتِ اللهِ، وَوَعْداً للمؤمنين بالظَّفَر والنَّصْر وحُسْن العاقبة، وآياتُ موسى عليه السلام كثيرةٌ، والذي تحدَّى به مِن المُعجِز: العصا واليَدُ.

وقرأ عيسى: «وسُلُطان» بضمِّ اللام(٢)، والسُّلطان المبين: الحُجَّة والبُرهان الواضح.

والظاهر أنَّ قارونَ هو الذي ذَكَره تعالى في قوله: ﴿إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ

(١) الكشاف ٣/ ٤٢٢، والبيت سلف في تفسير سورة البقرة، عند تفسير الآية (٧).
(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٥٥٤.

مُوسَىٰ﴾ [القصص:٧٦] وهو مِن بَنِي إسرائيل، وقيل: هو غيره، ونصَّ على هامان وقارون؛ لمكانتهما في الكفر، ولأنَّهما أشهرُ أَتْباع فرعون، «فقالوا ساحِرٌ كَذَّابٌ» أي: هذا «ساحِرٌ» لما ظَهَرَ على يديه مِن قَلْبِ العصا حيَّةً وظهورِ النُّور السَّاطِع على يده «كذَّاب» لكونه ادَّعى أنَّه رسولٌ مِن ربِّ العالمين.

«فلَمَّا جاءَهم بالحقِّ مِن عندنا» أي: بالمعجزات والنُّبوَّة والدُّعاء إلى الإيمان بالله «قالوا» أي: أولئك الثلاثة: «اقْتُلُوا»، قال ابنُ عبَّاس: أي: أعيدوا عليهم القَتْل كالَّذي كان أوَّلاً[1]. انتهى. يريد أنَّ هذا غيرُ القَتْلِ الأوَّل، وإنَّما أمروا بقَتْل أبناءِ المؤمنين؛ لئلا يتقوَّى بهم موسى عليه السلام، وباستحياءِ النِّساء للاستخدام والاسترقاق، ولم يَقَع ما أمروا به ولا تَمَّ لهم ولا أعانَهم اللهُ عليه. و«ما كَيْدُ الكافرين إلَّا في ضلال» أي: في حَيْرةٍ وتَخَبُّطٍ لم يَقَع منه شيءٌ، ولا أنجحَ سعيُهم، وكانوا باشروا القَتْلَ أوَّلاً، فَنَفَذَ قضاءُ اللهِ في إظهار مَن خافوا هلاكَهم على يديه.

وقيل: كان فرعون قد كَفَّ عن قَتْلِ الأبناء، فلما بُعثَ موسى وأَحَسَّ أنَّه قد وَقَعَ ما كان يَحذره، أَعاد القَتْلَ عليهم؛ غيظاً وحَنَقاً وظنًّا منه أنَّه يَصُدُّهم بذلك عن مُظاهَرَة موسى، وما عَلِمَ أنَّ كيدَهُ ضائعٌ في الكَرَّتين معاً.

«وقال فرعونُ ذَرُوني أَقْتُل موسى ولْيَدْعُ رَبَّهُ» قال الزمخشريُّ ـ وبعضه مِن كلام الحَسَنِ ـ: كان إذا هَمَّ بقَتْلِه كَفُّوه بقولهم: ليس بالذي تَخافه، هو أقلّ مِن ذلك وأَضعفُ، وما هو إلَّا بعضُ السَّحَرة، ومِثْله لا يُقاومه إلَّا ساحر مِثْله، ويقولون: إذا قَتَلْتَه أَدخلتَ الشُّبْهَة على الناس واعتَقدوا أنَّك عَجَزْتَ عن مظاهرته بالحُجَّة[2].

والظاهر أنَّ فرعونَ ـ لَعَنَهُ اللهُ ـ كان قد استيقنَ أنَّه نبيٌّ وأنَّ ما جاءَ به آياتٌ وما هو بسِحْر، ولكنَّ الرَّجُلَ كان فيه خُبْثٌ وجَبَروت[3]، وكان قَتَّالاً سَفَّاكاً للدِّماء في أهونِ شيء، فكيفَ لا يَقتُل مَن أَحَسَّ منه بأنَّه هو الذي يَثُلُّ عَرْشَه ويَهْدِمُ مُلْكَه، ولكنَّه يَخاف إنْ هَمَّ بقَتْله أنْ يُعاجَلَ بالهلاك، وقوله: «ولْيَدْعُ رَبَّهُ» شاهدُ صِدْقٍ على

(١) الكشاف ٣/ ٤٢٢.
(٢) الكشاف ٣/ ٤٢٢-٤٢٣، وما بعده منه أيضاً، وقول الحسن عند الرازيّ ٢٧/ ٥٤.
(٣) في مطبوع الكشاف ٣/ ٤٢٣ ومخطوطه الورقة (٢٥٣): فيه خبٌّ وجربزة. انتهى. والجربزة: الخداع.

فرطِ خوفِه منه ومِن دعوته ربَّه، وكأنَّ قولَه: «ذروني أَقْتُل موسى» تمويهاً على قومِه وإيهاماً أنَّهم هم الذين يَكفُّونَه وما كان يَكُفُّه إلَّا ما في نفسِه مِن هَول الفَزَع.

وقال ابنُ عطيَّة: الظاهر مِن أمْرِ فرعونَ أنَّه لمَّا بَهَرَت آياتُ موسى انْهَدَّ رُكْنُه واضْطَرَبت معتقداتُ أصحابِه ولم يفقد منهم مَن يُجاذِبه الخلافَ في أمْره، وذلك بَيِّنٌ مِن غيرِ ما موضعٍ من قِصَّتهما، وفي ذلك على هذا دليلان؛ أحدُهما: قوله: «ذَروني» فليست هذه من ألفاظ الجَبَابِرَة المُتمكِّنين مِن إنفاذ أوامرِهم، والدليل الثاني: مقالةُ المؤمِن وما صَدَعَ به، وأنَّ مكاشفتَه لفرعونَ خيرٌ مِن مُساترته[1]، وحُكْمه بنبوَّة موسى أظهر مِن تقريبه في أمره.

وأمَّا فرعون فإنَّه نَحَا إلى المَخْرَقة والاضْطِراب والتعاطي، ومِن ذلك قوله: «ذَروني أَقْتُل موسى ولْيَدْعُ رَبَّهُ» أي: إنِّي لا أُبالي مِن ربِّ موسى، ثم رَجَع إلى قومه يُريهم النصيحةَ والخيانة لهم، فقال: «إنِّي أخافُ أنْ يُبدِّلَ دينَكم» والدِّيْن: السلطان، ومنه قولُ زهير:

لَئِنْ حَلَلْتَ بِجَوٍّ في بني أَسدٍ   في دينِ عمرٍو وحالت بيننا فَدَكُ[2]

انتهى.

وتَبديلُ دينهم هو تغييرُه، وكانوا يَعبدونَه ويعبدونَ الأصنامَ، كما قال: ﴿وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ﴾ [الأعراف: ١٢٧]. «أو أنْ يُظهر في الأرض الفسادَ» وذلك بالتَّهارُج الذي يَذهَبُ معه الأَمْنُ، وتتعطَّل المزارعُ والمكاسِبُ، ويَهلك الناسُ قَتْلاً وضياعاً، فأخاف فسادَ دينِكم ودُنياكم معاً، وبَدَأ فرعونُ بخوفِه تغييرَ دينهم على تغييرِ دُنياهم؛ لأنَّ حبَّهم لأديانهم فوقَ حبِّهم لأموالهم.

وقيل: «ذَروني» يدلُّ على أنَّهم كانوا يَمنعونه مِن قَتْلِه؛ إمَّا لكون بعضهم كان مُصَدِّقاً له، فيتحيَّل في مَنْعِ قَتْلِه، وإمَّا لما رُويَ عن الحسن ممَّا ذَكَره الزمخشريُّ[3]، وإمَّا لشُغْل قلب فرعونَ بموسى حتى لا يتفرَّغ لهم ويَأْمنُوا مِن شَرِّه،

(١) في مطبوع المحرر الوجيز ٤/ ٥٥٥: مسايرته. وفي (يه): مساعدته.
(٢) شرح ديوان زهير ص ١٨٣، وسلف.
(٣) سلف الإشارة إليه قريباً.

كما يفعلون مع المَلِكِ إذا خَرَجَ عليه خارجيٌّ شَغَلَوه به حتى يَأمنوا مِن شَرِّه[١].

وقرأ الكوفيون: «أو أنْ» بترديدِ الخوف بين تبديلِ الدِّين أو ظهورِ الفساد، وقرأ باقي السَّبْعة: «وأنْ»[٢] بانتصابِ الخوف[٣] عليهما معاً.

وقرأ أنس بنُ مالك وابنُ المسيّب ومجاهد وقتادة وأبو رجاء والحسن والجحدريُّ ونافع وأبو عمرو وحفص: «يُظْهِر» مِن أظهر مبنيًّا للفاعل «الفسادَ» نصباً، وقرأ باقي السبعة والأعرج والأعمش وابنُ وثَّاب وعيسى: «يَظْهَر» مِن: ظَهَرَ، مبنيًّا للفاعل «الفَسَادُ»[٤] رفعاً[٥].

وقرأ مجاهد: «يَظَّهَّر» بشدِّ الظاءِ والهاءِ «الفسادُ» رفعاً[٦].

وقرأ زيد بنُ عليٍّ: «يُظهَر» بضمِّ الياء وفتح الهاء مبنيًّا للمفعول «الفسادُ» رَفْعاً[٧].

ولمَّا سمع موسى بمقالة فرعونَ استعاذَ بالله مِن شَرِّ كلِّ متكبِّر مُنْكِرٍ للمَعَاد، وقال: «وربِّكم» بَعْثاً على الاقتداء به، فيَعوذوا بالله، ويَعتصموا به و«مِن كلِّ مُتَكبِّر» يَشمل فرعونَ وغيرَه مِن الجبابرة، وكان ذلك على طريقِ التعريض، وكان أبلغَ.

والتَّكبُّر: تعاظُم الإنسان في نفسِه مع حقارتِه؛ لأنَّه يَفعلُ، ولا «يُؤمِن بيوم الحساب» أي: بالجزاء، وكان ذلك آكدَ في جراءته؛ إذ حصل له التعاظُم في نفسه وعدمُ المبالاة بما ارتكب.

---

(١) من قوله: كما يفعلون مع الملك... إلى هنا، ليست في (يه).
(٢) السبعة ص ٥٦٩، والتيسير ص ١٩١، وقراءة الواو أيضاً قراءة يعقوب، النشر ٢/ ٣٦٥.
(٣) في (يه): الحرف.
(٤) من قوله: نصباً وقرأ... إلى هنا، ليست في (يه).
(٥) المصادر السالفة الذكر، وقراءة: «يُظْهِرَ... الفسادَ» أيضاً قراءةُ أبي جعفر ويعقوب من العشرة.
(٦) القراءات الشاذة ص ١٣٢، وهي في الكشاف ٣/ ٤٢٣ دون عزوٍ، مع الإشارة إلى أنَّ هذه القراءة لم ترد في (يه).
(٧) لم نقف عليها عند غيره، وأوردها عنه السمينُ في الدر المصون ٩/ ٤٧١، وابنُ عادل في اللباب ١٧/ ٣٧.

وقرأ أبو عمرو وحمزة والكسائيُّ: «عُذْتُ» بالإدغام، وباقي السبعة بالإظهار[١]. «وقال رجلٌ مُؤْمِنٌ مِن آلِ فرعون يَكتُم إيمانَه» قيل: كان قِبْطيًّا ابنَ عَمِّ فرعون، وكان يَجري مجرى وَليِّ العهد، ومجرى صاحب الشرطة[٢]، وقيل: كان قِبْطيًّا ليس مِن قرابته، وقيل: قيل فيه: «مِن آلِ فرعون»؛ لأنَّه كان في الظاهر على دينه ودينِ أتباعه وفي باطنه مؤمناً، وقيل: كان إسرائيليًّا، وليس مِن آلِ فرعون[٣].

وجعل قوله: «من آلِ فرعون» متعلِّقاً بقوله: «يكتم إيمانه» لا في موضع الصفة لـ «رَجُلٍ»، كما يدلُّ عليه الظاهر، وهذا فيه بُعْدٌ؛ إذ لم يكن لأحدٍ مِن بني إسرائيل أَنْ يتجاسَرَ عندَ فرعون بمِثْلِ ما تكلَّم به هذا الرَّجُل.

وقد ردَّ قول مَن علَّق «مِن آلِ فرعون» بـ «يكتم» بأنَّه لا يقال: كَتمتُ مِن فلانٍ كذا، إنَّما يقال: كَتمتُ فلاناً كذا، قال تعالى: ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٤٢] وقال الشاعر:

كَتَمْتُكَ ليلاً بالجَمُومَيْنِ ساهِرا ... وهَمَّيْنِ هَمًّا مُستكِنًّا وظاهِرا
أحاديثَ نفسٍ تشتكي ما يَريبُها ... وَوِرْدَ همومٍ لَنْ يَجِدْنَ مصادِرا[٤]

أي: كَتمتُكَ أحاديثَ نفسٍ وهمَّين.

قيل: واسمه: سمعان، وقيل: حبيب، وقيل: حزبيل[٥].

---

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٥٥٥، والقراءة في السبعة ص ٥٧٠، والتيسير ص ٤٤، والإدغام أيضاً قراءة أبي جعفر وخلف، النشر ٢/ ١٦.

(٢) في النسخ الخطية عدا (ت) و(يه): الشركة، وفي (يه): الشوكة، والمثبت من (ت) وتفسير الرازي ٢٧/ ٥٧ والكلام منه.

(٣) ينظر تفسير الثعلبي ٥/ ٣٤٢-٣٤٣، والنكت والعيون ٥/ ١٥٢، والمحرر الوجيز ٤/ ٥٥٦، والكشاف ٣/ ٤٢٣-٤٢٤، وزاد المسير ٧/ ٢١٦-٢١٧، وتفسير الرازي ٢٧/ ٥٧، وتفسير القرطبي ١٨/ ٣٤٧-٣٤٨، وتنظر الآثار في ذلك عند الطبريّ ٢٠/ ٣١١-٣١٢.

(٤) البيتان للنابغة الذبياني، وهما في ديوانه ص ٦٣، والجَمُوم: البئر الكثيرة الماء، ويجوز أن يعني بالجمومين، رَكيَّتين قد غلبت هذه الصفة عليهما، ويجوز أن يكونا موضعين. اللسان (جمم).

(٥) اختلف في اسم هذا الرجل اختلافاً كثيراً، فقيل ما ذكره المصنِّف، وقيل أيضاً: خير، وخربيل، وحزقيل، وشمعان، وغير ذلك، تنظر المصادر الآنفة الذكر، وينظر أيضاً التعريف =

وقرأ الجمهور: «رَجُل» بضمِّ الجيم، وقرأ عيسى وعبد الوارث وعبيد بنُ عقيل وحمزة بنُ القاسم عن أبي عمرو بسكونها[١]، وهي لغة تميم ونجد.

«أتقتلونَ رَجُلاً أَنْ يقولَ» أي: لِأَنْ يقولَ: «رَبِّيَ اللهُ» وهذا إنكارٌ منه عظيم وتبكيتٌ لهم، كأنَّه قال: أترتكبونَ الفَعْلَةَ الشَّنْعاء التي هي قَتْلُ نفسٍ محرَّمة وما لكم عِلَّة في ارتكابها إلَّا كلمة الحقِّ التي نَطَقَ بها، وهي قوله: «رَبِّيَ اللهُ» مع أنَّه «قد جاءكم بالبيِّنات مِن ربِّكم» أي: مِن عند مَن نسب إليه الربوبيَّة، وهو ربُّكم لا ربّه وَحْدَهُ، وهذا استدراجٌ إلى الاعتراف.

وقال الزمخشريُّ[٢]: ولك أَنْ تُقدِّرَ مضافاً محذوفاً، أي: وقت أَنْ يقولَ، والمعنى: أتقتلونه ساعةَ سمعتم منه هذا القولَ مِن غير رَوِيَّة ولا فِكْر في أمرِه. انتهى.

وهذا الذي أجازه مِن تقدير المضاف المحذوف ـ الذي هو: وقت ـ لا يجوز، تقول: جئتُ صياحَ الدِّيْكِ، أي: وقتَ صياحِ الدِّيْك، ولا يجوز: جئتُ أَنْ صاح الدِّيْك، ولا أَجِيْءُ أَنْ يصيحَ الدِّيْك، نصَّ على ذلك النُّحَاةُ، فشَرْط ذلك أن يكونَ المصدرُ مصرَّحاً به لا مقدَّراً، و«أَنْ يقولَ» ليس مصدراً مصرَّحاً به.

«بالبيِّنات» بالدلائل على التوحيد، وهي التي ذَكَرها في ﴿طه﴾ و«الشعراء» حالةَ محاورته له في سؤاله عن ربِّه تعالى.

ولمَّا صرَّح بالإنكار عليهم غالَطَهم بَعْدُ في أَنْ قسمَ أَمرَه إلى كذبٍ وصِدْقٍ، وأبدى ذلك في صورة احتمالٍ ونَصيحةٍ، وبَدَأَ في التقسيم بقوله: «وإِنْ يَكُ كاذباً فَعليه كَذِبُه» مداراةً منه، وسالكاً طريقَ الإنصاف في القول، وخوفاً إذا أنكر عليهم قَتْلَه أنَّه ممَّن يُعاضِده ويُناصِره، فأوهمهم بهذا التقسيم والبداءة بحالة الكذب حتى يَسْلَمَ مِن شرِّه، ويكونَ ذلك أَولى إلى تسليمهم.

= والإعلام للسهيلي ص ١٣١ و١٥١ حيث قال فيه في الموضع الثاني لذِكْره: تقدَّم أن اسمه شمعان ـ بالشين المعجمة ـ وهو أصحُّ ما قيل فيه.

(١) أي: «رَجْلٌ»، والقراءة في السبعة ص ٥٧٠، والقراءات الشاذة ص ١٣٢، عن عبيد، عن أبي عمرو، والقراءة المشهورة عن أبي عمرو كقراءة الجمهور، وأوردها أيضاً الزمخشريُّ في الكشاف ٣/ ٤٢٣، وابنُ عطية في المحرر الوجيز ٤/ ٥٥٦ دون عزوٍ.

(٢) الكشاف ٣/ ٤٢٤، وما قبله منه أيضاً.

ومعنى «فعَليه كذبُه» أي: لا يَتخطَّاه ضَرَرُه، «وإنْ يَكُ صادقاً يُصِبْكُم بعضُ الذي يَعِدُكم» وهو يَعتقد أنَّه نبيٌّ صادق قَطْعاً، لكنَّه أَتَى بلفظ «بعض» لإلزام الحُجَّة بأَيْسَر ما في الأمر، وليس فيه نَفْيُ أَنْ يُصِيبهم كلُّ ما يَعِدُهم.

وقالت فرقة: «يُصِبْكم بعضُ» العذاب الذي يذكر، وذلك كافٍ في هلاككم، أو يكون المعنى: يُصِبْكُم القِسْمُ الواحد ممَّا يَعِدُ به، وذلك هو بعضٌ ممَّا يَعِدُ؛ لأنَّه عليه السلام وَعَدَهم إنْ آمنوا بالنِّعمة، وإِنْ كَفروا بالنِّقْمَة.

وقالت فرقة: «بعض الذي يَعِدُكم» عذاب الدنيا؛ لأنَّه بعضُ عذابِ الآخِرَة، ويَصيرون بَعْدَ ذلك إلى النار.

وقال أبو عبيدة وغيره: «بعض» بمعنى «كُلّ»، وأنشدوا قولَ عَمرو بنِ شُيَيْم القطامي:

قد يُدْرِكُ المُتَأَنِّي بعضَ حاجتِهِ وقد يكونُ مع المستَعْجِلِ الزَّلَلُ[1]

وقال الزمخشريُّ: وذلك أنَّه حين فَرَضَه صادقاً فقد أثبتَ أنَّه صادقٌ في جميع ما يَعِدُ، ولكنَّه أَردفه «يُصِبْكم بعضُ الذي يَعِدُكم» ليهضمَه بعضَ حقِّه في ظاهرِ الكلام، فيُريهم أنَّه ليس بكلامِ مَن أَعطاه حقَّه وافياً فَضْلاً أَنْ يتعصَّب له.

فإن قلت: وعن أبي عبيدة: أنَّه فسَّر البعضَ بالكُلِّ، وأنشدَ بيتَ لبيدٍ:

تَرَّاكُ أَمكنةٍ إذا لم أَرْضَها أو يَرْتَبِطْ بعضَ النفوسِ حِمامُها[2]

قلت: إنْ صحَّت الرِّواية عنه فقد حقَّ فيه قولُ المازنيِّ في مسألة العَلْقى: كان أجفى مِن أَنْ يَفْقَهَ ما أقولُ له[3]. انتهى.

---

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٥٥٦، وينظر معاني القرآن للزجاج ٤/ ٣٧٢، وتفسير القرطبي ١٨/ ٣٤٩، وكلام أبي عبيدة في كتابه مجاز القرآن ٢/ ٢٠٥ عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾ [الزخرف:٦٣]، وينظر الكشاف ٣/ ٤٢٥، والبيت في ديوان القطامي ص٢٥.

(٢) الكشاف ٣/ ٤٢٥، وقول أبي عبيدة في كتابه مجاز القرآن ٢/ ٢٠٥، والبيت في شرح ديوان لبيد ص ٣١٣، وفيه: يعتلق، بدل: يرتبط، وأشار شارحه إلى هذه الرواية وغيرها، مع الإشارة إلى أنه ورد في النسخ الخطية عدا (يه): أو يرتبك. والمثبت من (يه).

(٣) الكشاف ٣/ ٤٢٥، وأشار الزمخشريُّ بذلك إلى خبر أبي عبيدة مع المازني، حيث قال

ويعني أنَّ أبا عبيدة خطَّأه الناسُ في اعتقادِه أنَّ بعضاً يكون بمعنى «كُلّ»، وأنشدوا أيضاً في كون «بعض» بمعنى «كل» قولَ الشاعر:

إنَّ الأمــورَ إذا الأحــداثُ دَبَّــرهــا دونَ الشيوخِ تَرَى في بعضِها خَلَلا

أي: إذا رَأَى الأحداثُ، ولذلك قال: دَبَّرها، ولم يقل: دَبَّروها، راعى المضاف المحذوف.

«إنَّ اللهَ لا يَهدي مَن هو مسرفٌ كَذَّابٌ» فيه إشارةٌ إلى عُلُوِّ شأنِ موسى عليه السلام، وأنَّ مَنِ اصطفاهُ اللهُ للنبوَّة لا يُمكن أنْ يقعَ منه إسرافٌ ولا كَذِبٌ، وفيه تعريضٌ بفرعون؛ إذ هو في غاية الإسراف على نفسِه؛ بقَتْل أبناء المؤمنين، وفي غايةِ الكذب؛ بادِّعائه الإلهيَّة والرُّبوبيَّة، ومَن هذا شأنه لا يَهديه اللهُ.

وفي الحديث: «الصِّدِّيقون ثلاثةٌ: حبيب النَّجار مؤمنُ آلِ يس، ومؤمنُ آلِ فرعون، وعليّ بنُ أبي طالب»[1].

وفي الحديث أنَّه عليه السلام طَافَ بالبيت، فحينَ فَرَغَ أَخَذُوا بمجامع ردائِه، فقالوا له: أنتَ الذي تنهانا عمَّا كان يَعبُدُ آباؤنا؟! فقال: «أَنَا ذاكَ». فقام

= أبو عثمان المازني: قال لي أبو عبيدة: ما أكذبَ النحويِّين! فقلت له: لم قلتَ ذلك؟ قال: يقولون: إنَّ هاء التأنيث لا تدخل على ألف التأنيث، وإنَّ الألِف التي في «عَلْقى» ملحقة ليست للتأنيث، قال: فقلت: وما أنكرتَ من ذاك؟ قال: سمعت رؤبة يُنْشد:

فحطَّ في عَلْقى وفي مُكُورِ

فقلت له: ما واحد العَلْقى؟ فقال: عَلْقَاة. قال أبو عثمان: فَلَم أُفَسِّر له؛ لأنَّه كان أغلظَ من أن يفهمَ ذلك. انتهى. ذكر هذه المسألة المعريّ في كتابه رسالة الملائكة ص ٧٧، والقفطيُّ في إنباه الرواة ١/ ٢٥٣-٢٥٤، والزركشيُّ في البرهان ٢/ ٢٦٨، والعَلْقى: شجر تدوم خضرته في القيظ، ولها أفنان طوال دقاق. اللسان (علق)، والمُكُور: جمع: مكرة، وهي نبتة غُبَيْراء، تنبت في السهل والرمل لها ورق وليس لها زهر. اللسان (مكر)، وينظر الدر المصون ٩/ ٤٧٤-٤٧٥.

(١) تفسير الرازي ٢٧/ ٥٧، والخبر عند أحمد في فضائل الصحابة (١٠٧٢ من زيادات القطيعي)، وأبي نعيم في معرفة الصحابة (٣٣٨) من حديث عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن أبيه أبي ليلى، عن النبيِّ ﷺ. قال ابن تيمية في منهاج السنة (٣/ ٧ طبعة بولاق): هذا كذبٌ على رسول الله ﷺ.

أبو بكرٍ ﷺ فالتزمَهُ مِن ورائِهِ، وقال: أتقتلونَ رجلاً أنْ يقولَ: رَبِّيَ اللهُ، وقد جاءَكم بالبيِّنات مِن ربكم. رافعاً صوتَه بذلك وعَيْناه تَسْفَحان حتى أرسلوهُ. وعن جعفرٍ الصَّادِق: إنَّ مؤمنَ آلِ فرعونَ قال ذلك سِرًّا، وأبو بكر قالَهُ ظاهراً[١].

وقال السُّدِّيُّ: «مُسرِف» بالقَتْل، وقال قتادة: «مُسرِف» بالكُفر[٢].

وقال صاحب «التحرير والتحبير»: هذا نوعٌ مِن أنواع عِلْم البيان تسمِّيه علماؤنا استدراجَ المخاطَبِ، وذلك أنَّه لمَّا رَأى فرعونَ قد عَزَمَ على قَتْلِ موسى والقوم على تكذيبه، أراد الانتصارَ له بطريق يُخفي عليهم بها أنَّه متعصِّب له وأنَّه مِن أتباعه، فجاءهم مِن طريق النُّصْح والملاطفة، فقال: «أتقتلون رجلاً أنْ يقولَ رَبِّيَ الله» ولم يَذكُر اسمَه، بل قال: «رجلاً» يُوهِم أنَّه لا يَعرفه ولا يتعصَّب له «أنْ يقولَ ربِّي الله»، ولم يقل: رجلاً مؤمناً بالله، أو: هو نبيُّ الله، إذ لو قال شيئاً مِن ذلك لعَلموا أنَّه مُتعصِّب، ولم يَقبلُوا قولَه.

ثم أَتْبَعَه بما بَعْدَ ذلك فقدَّم قولَه: «وإنْ يَكُ كاذباً» موافقةً لرَأْيهم فيه، ثم تَلَاه بقوله: «وإن يَكُ صادقاً» ولم يقل: هو صادق، وقال «يُصِبْكم بعضُ الذي يَعِدُكم» ولم يقل: كُلّ ما يعدكم، إذ لو قال: هو صادق، و: كُلّ ما يَعِدُكم، عَلموا أنَّهُ متعصِّب، وأنَّه يَزعم أنَّه نبيٌّ وأنَّه يُصدِّقه، فإنَّ الأنبياءَ لا تُخِلُّ بشيءٍ ممَّا يقولونه.

ثمَّ أَتْبَعَه بكلامٍ يُفهَم منه أنَّه ليس بمُصَدِّقٍ له، وهو قوله: «إنَّ اللهَ لا يَهدي مَن هو مسرفٌ كذَّاب». انتهى.

ثمَّ قال: «يا قوم» نداء متلَطِّف في موعظتهم: «لكم الملكُ اليومَ ظاهرينَ» أي: غالبينَ عالينَ في الأرض في أرضِ مصر، قد غَلَبتم بني إسرائيل فيها وقَهرتموهم واستَعبدتموهم، وبَدَأَهم بالمُلْك الذي هو أعظمُ مَرَاتبِ الدنيا وأَجَلِّها، وهو مِن جهة شَهواتهم.

---

(١) الكشاف ٣/ ٤٢٥، والخبر الأول أخرجه بهذا اللفظ الثعلبيُّ في الكشف والبيان ٥/ ٣٤٣، وهو عند النسائي في السنن الكبرى (١١٣٩٨) بنحوه من حديث عمرو بن العاصي، وينظر أيضاً خبرُه ﷺ مع عقبة بن أبي معيط عند البخاري (٣٦٧٨) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص.

(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٥٥٦، وأخرجه عنهما الطبريُّ ٢٠/ ٣١٣.

وانتصب «ظاهرين» على الحال، والعامل فيها هو العامل في الجارِّ والمجرور، وذو الحال هو ضمير «لكم».

ثمَّ حذَّرهم أنْ يُفسِدوا على أنفسِهم بأنَّهم إن جاءَهم «بأسُ اللهِ» لم يَجدوا ناصراً لهم ولا دافعاً، وأدرج نفسَه في قوله: «يَنصُرنا» و«جاءنا»؛ لأنَّه منهم في القَرَابة، وليُعلِمهم أنَّ الذي يَنصحهم به هو مشارِكٌ لهم فيه، وأقوالُ هذا المؤمن هذه تدلُّ على زوالِ هيبة فرعونَ من قلبه، ولذلك استكانَ فرعونُ، وقال: «ما أُريكم إلَّا ما أَرَى» أي: ما أُشير عليكم إلَّا بقَتْله، ولا أستصوبُ إلَّا ذلك، وهذا قولُ مَن لا تَحكُّم له، وأَتَى بـ «ما» و«إلَّا» للحَصْر والتأكيد.

«وما أَهديكم إلَّا سبيلَ الرَّشاد» الصوابِ، لا ما تَقولونه مِن تَرْكِ قَتْله، وقد كذَب؛ بل كان خائفاً وَجِلاً، وقد علمَ أنَّ ما جاءَ به موسى عليه السلام حَقٌّ، ولكنَّه كان يَتجلَّد ويُرِي ظاهرَه خلافَ ما أبطنَ.

وأورد الزمخشريُّ وابنُ عطيَّة وأبو القاسم الهُذَليُّ هنا أنَّ معاذ بنَ جبل قَرَأَ: «الرَّشَّاد» بشدِّ الشين[1].

قال أبو الفتح: وهو اسم فاعل في بنية مبالغة مِن الفعل الثلاثيِّ: رَشَدَ، فهو كعَبَّاد، مِن: عَبَدَ[2].

وقال الزمخشريُّ: أو مِن: رَشِدَ، كعَلَّام مِن: عَلِم[3].

وقال النَّحَّاس: هو لَحنٌ[4]، وتَوهمَّه مِن الفعل الرباعيِّ، وردّ عليه؛ بأنَّه

---

(١) الكشاف ٣/ ٤٢٥، والمحرر الوجيز ٤/ ٥٥٧ ـ وما بعده منه أيضاً ـ والقراءة في القراءات الشاذة ص ١٣٢ ـ وقال بعدها: يعني: «الرَّشَّاد»: الله تبارك وتعالى ـ والمحتسب ٢/ ٢٤١.

(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٥٥٧، وكلام أبي الفتح ـ أي: ابن جنّيّ ـ في كتابه المحتسب ٢/ ٢٤١، وعبارته فيه هكذا: ينبغي أن يكون هذا من قولهم: رَشِدَ يَرْشَدُ، كعلَّام من: عَلِم يَعْلَم، أو من: رَشَد يَرْشُدُ، كعَبَّاد من: عَبَد يَعْبُدُ، ولا ينبغي أن يُحملَ على أنه من: أَرْشَدَ يُرْشِد، . . . إلى آخر كلامه.

(٣) الكشاف ٣/ ٤٢٥، وعبارته فيه هكذا: فعَّال من رَشِد ـ بالكسر ـ كعَلَّام، أو من: رَشَد ـ بالفتح ـ كعَبَّاد. . . إلى آخر كلامه.

(٤) المحرر الوجيز ٤/ ٥٥٧، وما بعده منه أيضاً، وقول النحاس في كتابه معاني القرآن ٦/ ٢١٨-٢١٩.

لا يتعيَّن أنْ يكون مِن الرباعيِّ، بل هو مِن الثلاثيِّ، على أنَّ بعضَهم قد ذهب إلى أنَّه مِن الرُّباعيِّ، فبَنَى: فعَّال مِن: أفْعَل، كَدَّراك مِن: أدْرك، وسَأَّر مِن: أسْأر، وجَبّار مِن: أجْبَر، وقصَّار مِن: أقصر[1]، ولكنَّه ليس بقياس، فلا يُحمل عليه ما وُجِدَت عنه مندوحة، وفَعَّال مِن الثلاثيِّ مقيسٌ فحملَ عليه.

وقال أبو حاتم: كان معاذ بنُ جبل يُفسِّرها بسبيلِ الله، قال ابنُ عطيَّة[2]: ويَبعُد عندي على معاذٍ ﷺ، وهل كان فرعونُ إلَّا يَدَّعي أنَّه إلَهٌ، ويَقْلَقُ بناءُ اللفظ على هذا التأويل. انتهى.

وإيرادُ الخلافِ في هذا الحرف ـ الذي هو مِن قولِ فرعون ـ خَطَأٌ، وتركيبُ قولِ معاذ عليه خَطَأٌ، والصواب أنَّ الخلافَ فيه هو في قولِ المؤمِن: «اتَّبعونِ أَهْدِكم سبيلَ الرَّشاد».

قال أبو الفضل الرازيُّ في كتاب «اللوامح» له مِن شواذِّ القراءات ما نصُّه: معاذ بن جبل: «سبيلَ الرَّشَّاد» الحرف الثاني بالتشديد، وكذلك الحَسَنُ، وهو سبيلُ اللهِ تعالى الذي أوضح الشرائعَ، كذلك فسَّره معاذ بنُ جبل، وهو منقولٌ مِن مُرْشِد كدَرَّاك مِن: مُدْرِك، وجَبَّار مِن: مُجْبِر، وقَصَّار مِن: مُقصِر عن الأمر، ولها نظائرُ معدودة فأمَّا: قَصَّار الثوب، فهو مِن: قَصَر الثوبَ قِصارةً.

وقال ابنُ خالويه بعد أنْ ذَكَر الخلافَ في «التَّنَاد» وفي «صَدّ عن السَّبيل» ما نصُّه: «سبيلِ الرَّشَّاد» بتشديد الشين معاذ بنُ جبل، قال ابنُ خالويه: يعني بالرَّشَّاد اللهَ تعالى[3]. انتهى. فهذان لم يَذكُرا الخلاف إلَّا في قولِ المؤمن: «أَهدكم سبيلَ الرشاد»، فذِكْرُ الخلافِ فيه في قول فرعون خَطَأٌ، ولم يفسّر معاذ بن جبل الرَّشَّاد أنَّه اللهُ تعالى إلَّافي قولِ المؤمن لا في قولِ فرعون، فنسبةُ ابنِ عطيَّة ذلك التأويل في قولِ فرعونَ وَهمٌ.

❁ ❁ ❁

(١) ينظر الدر المصون ٩/ ٤٧٥-٤٧٦، والمحتسب ٢/ ٢٤١ وما بعدها، والإملاء ٢/ ٢١٨، والكشاف ٣/ ٤٢٥.

(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٥٥٧، وما قبله منه أيضاً.

(٣) القراءات الشاذة ص ١٣٢.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ
وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴿٣١﴾ وَيَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ
ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾
وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ
قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴿٣٤﴾
ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۖ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ
كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ
أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا ۚ وَكَذَٰلِكَ
زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ
ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا
مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ
صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ
حِسَابٍ ﴿٤٠﴾﴾.

الجمهور على أنَّ هذا المؤمنَ هو الرَّجُلُ القائلُ: «أتقتلونَ رَجُلاً» قصَّ اللهُ أقاويلَه إلى آخِرِ الآيات، لمَّا رَأى ما لَحِقَ فرعونَ مِن الخَوَر والخَوف أَتَى بنوعٍ آخر مِن التهديد، وخوَّفهم أنْ يُصيبَهم ما أَصابَ الأُممَ السالفةَ مِن استئصالِ الهلاكِ حين كذبوا رسلَهم، وقَويت نفسُه حتى سَرَدَ ولم يَهَب فرعونَ.

وقالت فرقة: بل كلامُ ذلك المؤمن قد تَمَّ، وإنَّما أراد تعالى بـ «الذي آمَنَ» موسى عليه السلام، واحتجُّوا بقوَّة كلامه وأنَّه جَلَّحَ[1] معهم بالإيمان وذِكْرِ عذابِ الآخرة وغير ذلك، ولم يكن كلامُ الأوَّل إلَّا بمُلاينة لهم.

وأفردَ اليوم؛ إمَّا لأنَّ المعنى: مِثْل يومٍ من أيَّام الأحزاب، أو أراد به الجمعَ، أي: مِثْل أيامِ الأحزاب؛ لأنَّه معلومٌ أنَّ كلَّ حزبٍ كان له يوم، و«الأحزاب»: الذين تحزَّبوا على أنبياء الله.

(١) التجليح: التصميم في الأمر والمُضِيّ، يقال: جَلَّح في الأمرِ، فهو مُجَلِّح. تهذيب اللغة ٤/١٤٩ (جلَّح).

و«مِثْل دَأْب» قال ابنُ عطيَّة: بَدَل، وقال الزمخشريُّ: عَطْف بيان[١]، قال الزجَّاجُ: «مثل» يوم حزبٍ، و«دَأْب» عادتهم ودَيْدَنهم في الكفر والمعاصي.

«وما اللهُ يريدُ ظلماً للعباد» أي: إنَّ إهلاكَه إيَّاهم كان عدلاً منه، وفيه مبالغة في نفي الظلم حيث علَّقه بالإرادة، فإذا نفاهُ عن الإرادة كان نَفْيه عن الوقوع أولى وأحرى[٢].

ولمَّا خوَّفهم أَنْ يَحلَّ بهم في الدنيا ما حَلَّ بالأحزاب، خوَّفهم أَمْرَ الآخِرَة، فقال مستعطفاً لهم بندائِهم: «يا قوم إنِّي أخافُ عليكم يومَ التَّنَادِ» وهو يوم الحَشْر، والتنادي: مصدر تنادَى القومُ، أي: نادى بعضُهم بعضاً، قال:

تَنَادوا فقالوا أَرْدَتِ الخيلُ فارساً فقلتُ أَعَبْدُ الله ذَلِكُمُ الرَّدِي[٣]

وسُمِّي «يوم التنادِي» إمَّا لنداءِ بعضِهم لبعضٍ بالوَيْل والثُّبُور، وإمَّا لتنادِي أهلِ الجنَّة وأهلِ النار على ما ذكر في سُورة «الأعراف»[٤]، وإمَّا لأنَّ الخَلْق يُنادَون إلى المحشر، وإمَّا لنداء المؤمنِ: ﴿هَآؤُمُ ٱقۡرَءُواْ كِتَٰبِيَهۡ﴾ [الحاقة:١٩] والكافر: ﴿يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُوتَ كِتَٰبِيَهۡ﴾ [الحاقة: ٢٥].

وقرأت فرقة: «التَّنَادْ» بسكون الدَّال في الوصل[٥]، أجراه مُجرى الوقف.

وقرأ ابنُ عباس والضحاك وأبو صالح والكلبيُّ والزعفرانيُّ وابنُ مقسم: «التَّنَادِّ» بتشديد الدَّالِ[٦]، مِن: نَدَّ البَعيرُ: إذا هَرَبَ، كما قال: ﴿يَوۡمَ يَفِرُّ ٱلۡمَرۡءُ مِنۡ أَخِيهِ﴾ الآية [٣٤ من سورة عبس].

وقال ابنُ عباس وغيره في «التَّنَادِ» ـ خفيفة الدَّال ـ هو التنادِي الذي يكون بين

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٥٥٨، والكشاف ٣/ ٤٢٦.
(٢) الكشاف ٣/ ٤٢٦، وكلامُ الزجَّاج في كتابه معاني القرآن ٤/ ٣٧٢.
(٣) القائل دريد بن الصمة، والبيت في ديوانه ص ٤٩، وسلف.
(٤) عند تفسير الآية (٤٤) منها.
(٥) المحرر الوجيز ٤/ ٥٥٨، والقراءة عند القرطبي ١٨/ ٣٥٥ وعزاها لعليّ بن نصر عن أبي عمرو في رواية.
(٦) ينظر المحرر الوجيز ٤/ ٥٥٨، وزاد المسير ٧/ ٢١٩، وتفسير القرطبي ١٨/ ٣٥٣، والقراءة في القراءات الشاذة ص ١٣٢، والمحتسب ٢/ ٢٤٣.

الناس عند النَّفْخ في الصُّور ونَفْخة الفَزَع في الدنيا، وأنَّهم يَفرُّون على وجوهِهم للفَزَع الذي نَالَهُم، وينادِي بعضُهم بعضاً، ورُوِيَ هذا التأويل عن أبي هريرة عن النبيِّ ﷺ، وقال ابنُ عطيَّة[١]: ويحتمل أَنْ يكون التَّذْكير بكلِّ نداءٍ في القيامة فيه مَشقَّة على الكفار والعُصَاة. انتهى. وقال أُميَّة بنُ أبي الصَّلْت:

وبَثَّ الخَلْقَ فيها إذ دَحَاها فهم سُكَّانُها حتى التَّنَادِ[٢]

وفي الحديث: «إنَّ للناس جولةً يومَ القيامة يَنِدُّونَ يَظنُّون أنَّهم يَجدون مهرباً» ثم تَلا: «يومَ تُولُّون مُدْبِرين»[٣]، قال مجاهد: معناه: فَارِّين، وقال السُّدِّيُّ: «ما لكم مِن اللهِ مِن عاصم» في فِراركم حتى يعذبوا في النَّار، وقال قتادة: ما لكم في الانْطِلاق إليها «مِن عاصم» أي: مانعٍ يَمنَعكم منها، أو ناصرٍ[٤]. ولمَّا يئس المؤمِنُ مِن قَبولهم قال: «ومَن يُضْلِلِ اللهُ فمَا لَهُ مِن هادٍ».

ثمَّ أَخَذَ يُوبِّخهم على تكذيب الرسل بأنَّ يوسفَ قد جاءَهم بالبيِّنات، والظاهر أنَّه يوسف بنُ يعقوب، وفرعونُه هو فرعونُ موسى، وروى أشهبُ عن مالك أنَّه بَلَغه أنَّ فرعونَ عُمِّرَ أربع مئة سنة وأربعينَ سنة، وقيل: بَلِ الجَائِي إليهم هو يوسف بنُ إبراهيم بنِ يوسف بنِ يعقوب، وأنَّ فرعونَ هو غيرُ فرعونِ موسى[٥].

---

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٥٥٨، وما قبله منه أيضاً، وخبر أبي هريرة يريد به ما جاء في حديث الصُّور: يأمر اللهُ إسرافيل بالنفخة الأولى، فيقول: انفخ نفخة الفزع. . .، إلى أن قال: ويولِّي الناسُ مدبرين، ينادي بعضهم بعضاً، وهو الذي يقول الله: ﴿يَوْمَ ٱلتَّنَادِ * يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ﴾. وهو حديث طويل أخرجه الطبراني في الأحاديث الطوال (٣٦)، وأورده بتمامه ابنُ كثير في تفسيره ٣/ ٢٨٢-٢٨٣، ثم قال: هذا حديث مشهور، وهو غريب جدًّا، ولبعضه شواهد في الأحاديث المتفرقة، وفي بعض ألفاظه نكارة. انتهى. وينظر أيضاً كتاب التذكرة للقرطبي ص ١٧٣ و١٩٣.

(٢) النكت والعيون ٥/ ١٥٤، وتفسير القرطبي ١٨/ ٣٥٣، والبيت في ديوانه المطبوع ص ٦٤، ووقع فيه: التنادي، بدل: التناد. وكذا وقع في بعض النسخ الخطية للبحر ومطبوعِه.

(٣) النكت والعيون ٥/ ١٥٥، دون عزوٍ، ولم نقف عليه عند غيره، وأورده عن المصنِّف السمين في الدر المصون ٩/ ٤٧٧، والآلوسي في روح المعاني ٢٤/ ٦٨.

(٤) ينظر الكشاف ٣/ ٤٢٦، والنكت والعيون ٥/ ١٥٥، وتفسير الثعلبي ٥/ ٣٤٥، وتنظر الآثار عند الطبريّ ٢٠/ ٣٢٠-٣٢١.

(٥) المحرر الوجيز ٤/ ٥٥٩، وينظر تفسير الثعلبي ٥/ ٣٤٥، والهداية إلى بلوغ النهاية لمكي

و«بالبيِّنات» بالمعجزات، فلم يَزالوا شاكِّين في رسالته كافرين، حتى إذا توفِّي قلتم: «لَنْ يَبعَثَ اللهُ مِن بعدِه رسولاً» وليس هذا تصديقاً لرسالته، وكيف وما زَالوا في شَكٍّ منه، وإنَّما المعنى: لا رسول مِن عندِ الله فيَبعثه إلى الخَلْق، ففيه نَفْي الرَّسول ونَفْي بعثته.

وقُرئَ: «ألن يَبعث» بإدخال همزة الاستفهامِ عل حرف النفي[1]، كأنَّ بعضَهم يُقرِّر بعضاً على نفي البعثة.

«كذلك» أي: مِثْل إضلالِ اللهِ إيَّاكم حينَ لم تَقبلوا مِن يوسف «يُضِلُّ اللهُ مَن هو مسرفٌ مرتابٌ» يَعنيهم، إذ هم المسرفونَ المرتابونَ في رسالاتِ الأنبياء.

وجوَّزوا في «الذين يجادلون» أنْ تكونَ صفةً لـ «مَن» أو بدلاً منه، إذ معناه جَمْع، ومبتدأً على حذفِ مضاف، وخبرَ مبتدأ محذوف، أي: هم الذين، ومنصوباً بإضمار: أعني، أي: جدالَ الذين يُجادلون، حتى يكونَ الضمير في «كَبُرَ» عائداً على ذلك أوَّلاً على حَذْف مضاف، والفاعل بـ «كَبُر» ضميرٌ يَعود على الجدالِ المفهوم مِن قوله: «يجادلون» أو ضميرٌ يَعود على «مَن» على لفظها، على أنْ يكون «الذين» صفةً أو بدلاً، أعاد أوَّلاً على لفظ «مَن» في قوله: «هو مُسرِف كذَّاب»، ثم جمع «الذين» على معنى «من»، ثم أفردَ في قوله: «كَبُرَ» على لفظ «مَن».

وقال الزمخشريُّ: ويَحتمل أنْ يكون «الذين يجادلون» مبتدأً، و«بغيرِ سلطان أتَاهم» خبراً، وفاعل «كَبُرَ» قولُه: «كذلك» أي: كَبُرَ مقتاً مِثْل ذلك الجِدال، و«يَطبع اللهُ» كلامٌ مُستأنَف، ومَن قال: «كَبُرَ مقتاً عند الله» جدالهم، فقد حذفَ الفاعلَ، والفاعلُ لا يَصحُّ حَذْفه[2]. انتهى.

وهذا الذي أَجازه لا يَجوز أنْ يكون مِثْله في كلامٍ فصيحٍ، فكيف في كلامِ الله؛ لأنَّ فيه تفكيكَ الكلامِ بعضه مِن بعض، وارتكابَ مذهبٍ الصحيحُ خلافُه؛ أمَّا

= ١٠/ ٦٤٣١، والنكت والعيون ٥/ ١٥٥، والكشاف ٣/ ٤٢٦، وزاد المسير ٧/ ٢٢١، وتفسير القرطبي ١٨/ ٣٥٦.

(١) الكشاف ٣/ ٤٢٧، وينظر المحرر الوجيز ٤/ ٥٥٩.

(٢) الكشاف ٣/ ٤٢٧.

تفكيكُ الكلام فالظاهرُ أنَّ «بغير سلطان» متعلّق بـ «يجادلون»، ولا يُتعقَّل جَعْلُه خبراً «للذين»، لأنَّه جارٌّ ومجرور، فيصير التقدير: الذين يُجادلون في آيات الله كائنون أو مُستقِرُّون بغيرِ سلطان، أي: في غير سلطان؛ لأنَّ الباءَ ـ إذ ذاك ـ ظرفيَّة خبرٌ عن الجُثَث، وكذلك في قوله: «يَطبع» أنَّه مستأنَف، فيه تفكيكُ الكلام؛ لأنَّ ما جاءَ في القرآن مِن: «كذلك يطبع» أو ﴿نَطْبَعُ﴾ [يونس: ٧٤] إنَّما جاءَ مربوطاً بعضه ببعض، فكذلك هذا.

وأمَّا ارتكابُ مذهبِ الصحيحُ خلافه؛ فجعل الكاف اسماً فاعلاً بـ «كَبُرَ»، وذلك لا يَجوز على مذهب البَصْريين إلَّا الأخفش، ولم يَثبت في كلام العرب ـ أعني نَثْرها ـ جاءَني كزيد، تريد: مِثْل زيد، فلم يثبت اسمّيتها فتكون فاعلة.

وأمَّا قوله: ومَن قال، إلى آخره، فإنَّ قائل ذلك ـ وهو الحَوفيّ ـ والظَّنُّ به أنَّه فسّر المعنى ولم يُرد الإعرابَ، وأمَّا تفسير الإعراب أنَّ الفاعل بـ «كَبُرَ» ضميرٌ يَعود على الجِدال المفهوم مِن «يجادلون»، كما قالوا: مَن كذبَ كان شرًّا له، أي: كان هو، أي: الكذب المفهوم مِن: كذبَ، والأَولى في إعرابِ هذا الكلام أنْ يكون «الذين» مبتدأ، وخبره «كَبُرَ»، والفاعل ضميرُ المصدر المفهوم مِن «يجادلون»، وهذه الصفة موجودة في فرعونَ وقومِه، ويكون الواعظ لهم قد عدلَ عن مخاطبتهم إلى الاسم الغائب؛ لحُسْن محاورته لهم واستجلاب قلوبهم، وإبراز ذلك في صورةٍ تُذكِّرهم ولا يَفْجَأهم بالخطاب.

وفي قوله: «كَبُرَ مقتاً» ضَرْبٌ مِن التعجُّب والاستعظام لجِدالهم والشهادة على خروجه عن حَدِّ أشكاله مِن الكبائر، «كذلك» أي: مِثْل ذلك الطَّبْع على قلوب المجادلين «يَطبع اللهُ» أي: يَختم بالضَّلال ويَحجب عن الهدى.

وقرأ أبو عمرو وابنُ ذكوان والأعرج ـ بخلاف عنه ـ «قلبٍ» بالتنوين(١)، وصفَ القلب بالتكبُّر والجَبروت؛ لكونِه مركزهما ومَنْبَعهما، كما يقولون: رأتِ العينُ، وكما قال: ﴿فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ﴾ [البقرة: ٢٨٣] والآثِمُ الجُمْلةُ.

---

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٥٥٩، وتفسير القرطبي ١٨/ ٣٥٧، وقراءة أبي عمرو في السبعة ص٥٧٠، والتيسير ص ١٩١، والنشر ٢/ ٣٦٥ وفيه أيضاً قراءة ابنِ ذكوان.

وأجاز الزمخشريُّ[١] أنْ يكون على حذف المضاف، أي: على كلِّ ذي قلبٍ متكبِّرٍ، تجعلُ الصفة لصاحبِ القلب. انتهى. ولا ضرورةَ تَدعو إلى اعتقادِ الحذف.

وقرأ باقي السبعة: «قلبِ متكبِّر» بالإضافة، والمضاف إليه العامُّ عامٌّ، فلزم عمومُ «متكبِّر جبَّار».

وقال مقاتل: المُتكبِّر: المعاند في تعظيم أَمْرِ الله، والجبَّار: المُسلَّط على خَلْقِ الله.

«وقال فرعونُ يا هامانُ ابْنِ لي صَرْحاً» أقوالُ فرعونَ: «ذَرُوني أَقْتُل موسى»، «ما أُرِيكم إلَّا ما أَرَى»، «يا هامانُ ابْنِ لي صَرْحاً» حيدةٌ عن مُحاجَّةِ موسى ورُجوعٌ إلى أشياءَ لا تصحُّ، وذلك كلّه لِمَا خَامَرهُ مِن الجَزَع والخوف وعَدَم المقاومة، والتعرُّف أنَّ هلاكَه وهلاكَ قومه على يَدِ موسى، وأنَّ قُدرته عَجَزَت عن التأثير في موسى، هذا على كثرةِ سَفْكِه الدِّماء، وتقدَّم الكلام في الصَّرْح في سورة «القصص»[٢] فأغنى عن إعادته.

قال السُّدِّيُّ: «الأسباب»: الطُّرُق، وقال قتادة: الأبواب، وقيل: عَنَى: لعلَّه يَجدُ مع قُرْبِه مِن السماء سبباً يتعلَّق به[٣]، وما أَدَّاكَ إلى شيءٍ فهو سببٌ، وأبهمَ أوَّلاً «الأسباب» ثم أبدلَ منها ما أوضحها، والإيضاحُ بعد الإبهام يُفيد تفخيمَ الشيء، إذ في الإبهام تَشوُّقٌ للمراد وتعجُّب من المقصود به، ثمَّ بالتَّوضيح يَحصُل المقصود ويتعيَّن.

وقرأ الجمهور: «فأطَّلِعُ» رَفْعاً عطفاً على «أَبْلُغ» فكلاهما مرتجًى، وقرأ الأعرج وأبو حيوة وزيد بن عليّ والزعفرانيُّ وابنُ مقسم وحفص: «فأَطَّلِعَ» بنصب العين، قال أبو القاسم بن جبارة وابنُ عطيَّة: على جواب التمنِّي[٤]، وقال الزمخشريُّ:

---

(١) الكشاف ٣/ ٤٢٧-٤٢٨، وما قبله منه أيضاً.

(٢) عند تفسير الآية (٣٨) منها.

(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٥٦٠، وتنظر الآثار عند الطبريّ ٢٠/ ٣٢٥-٣٢٦.

(٤) المحرر الوجيز ٤/ ٥٦٠، وقراءة حفصٍ عن عاصم في السبعة ص ٥٧٠، والتيسير ص١٩١، والنشر ٢/ ٣٦٥، وقراءة الأعرج في إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٣٣.

على جواب الترجّي، تشبيهاً للترجّي بالتمنّي[١]. انتهى.

وقد فرَّق النحاةُ بين التمنّي والترجّي؛ فذَكروا أنَّ التمنّيَ يكون في المُمكِن والمُمتَنع، والترجّي يكون في المُمكن[٢]، وبلوغُ أسباب السماوات غيرُ مُمكِن، لكن فرعون أبرزَ ما لا يمكن في صورة الممكن؛ تمويهاً على سامعيه.

وأمَّا النصبُ بعد الفاءِ في جواب الترجّي، فشيءٌ أجازه الكوفيون ومَنَعَه البصريون[٣]، واحتجَّ الكوفيُّون بهذه القراءة وبقراءة عاصم: ﴿فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ﴾ في سورة «عبس»، إذ هو جوابُ الترجّي في قوله: ﴿لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ * أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ﴾، وقد تأوَّلنا ذلك على أنْ يكون عطفاً على التوهُّم؛ لأنَّ خبرَ «لعلَّ» كثيراً جاءَ مقروناً بـ «أن»، في النَّظْم كثيراً، وفي النَّثْر قليلاً، فمَن نَصَبَ توهَّم أنَّ الفعلَ المرفوعَ الواقعَ خبراً، كان منصوباً بـ «أن»، والعطف على التوهُّم كثير، وإن كان لا يَنقاس، لكن إنْ وَقَعَ شيءٌ وأمكنَ تخريجه عليه خُرِّجَ، وأمَّا هنا: «فأطَّلِع» فقد جَعَله بعضُهم جواباً للأَمْر، وهو قوله: «ابْنِ لي صرحاً»، كما قال:

يا ناقُ سِيْرِي عَنَقاً فَسِيْحا إلى سليمانَ فَنَسْتَرِيحا[٤]

ولمَّا قال: «فأطَّلِع إلى إلَهِ مُوسى» كان ذلك إقراراً بإله موسى، فاستدركَ هذا الإقرارَ بقوله: «وإنّي لأظنُّه كاذباً» أي: في ادّعاءِ إلَهه، كما قال في «القَصَص»: ﴿لَّعَلِّيٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾ [القصص: ٣٨].

«وكذلك» أي: مِثْل ذلك التزيين في إيهامِ فرعونَ أنَّه مُطَّلع إلى إلهِ موسى «زُيِّنَ لفرعونَ سُوءُ عملِه».

وقرأ الجمهور: «زُيِّنَ» مبنيًّا للمفعول، وقُرِئَ: «زَيَّنَ» مبنيًّا للفاعل[٥].

---

(١) الكشاف ٣/ ٤٢٨.

(٢) ينظر شرح كافية ابن الحاجب للاستراباذي ٤/ ٣٣٥-٣٣٦.

(٣) ينظر الإنصاف في مسائل الخلاف ٢/ ٥٥٧-٥٥٩، وشرح المفصل لابن يعيش ٧/ ٢٦-٢٧، وارتشاف الضرب ٤/ ١٦٦٨ وما بعدها، وحاشية الخضري على شرح ابن عقيل ٢/ ١١٢ وما بعدها.

(٤) الرجز لأبي النجم العجلي، وهو في ديوانه ص ١٢٣، والعَنَق: السير السريع، وسليمان: هو ابن عبد الملك.

(٥) الكشاف ٣/ ٤٢٨، ونقلها عنه الرازيُّ ٢٧/ ٦٧.

وقرأ الجمهور: «وصَدَّ» مبنيًّا للفاعل، أي: وصَدَّ فرعونُ[١]، والكوفيُّون: بضمِّ الصَّادِ[٢]؛ مناسِباً لـ «زُيِّنَ» مبنيًّا للمفعول، وابنُ وثاب: بكسرِ الصَّاد[٣]، أصله: صدد، نُقِلَت الحركةُ إلى الصَّاد بعد توهُّم حَذْفها، وابنُ أبي إسحاق وعبد الرحمن بنُ أبي بَكرة: بفتح الصاد وضَمِّ الدَّالِ منوَّنة[٤]، عطفاً على «سوء عمله».

والتَّبَابُ: الخُسران، خَسِرَ مُلْكَه في الدُّنيا فيها بالغَرَق، وفي الآخِرَة بخلوده في النَّار، وتكرَّر وَعْظُ المؤمنِ إثْرَ كلام فرعونَ بندائِهِ قومَه مرَّتين مُتْبِعاً كلَّ نداءٍ بما فيه زَجْرٌ واتِّعاظ لو وجدَ مَن يَقْبَل، وأَمَرَ هنا باتِّباعه؛ لأن يَهديَهم سبيلَ الرَّشاد.

وقرأ معاذ بنُ جبل: بشَدِّ الشين[٥]، وتقدَّم الكلامُ على ذلك والرَّدُّ على مَن جَعَلَ هذه القراءةَ في كلام فِرعون[٦].

وأجملَ أوَّلاً في قوله: «سبيل الرَّشاد» وهو سبيلُ الإيمانِ بالله واتِّباع شَرْعِه، ثمَّ فسّر؛ فافتتحَ بذمِّ الدنيا وتصغير شأنها، وأنَّها متاعٌ زائل هي ومَن تَمتَّع بها، وأنَّ الآخِرَة هي دارُ الاستقرار التي لا انفكاكَ منها؛ إمَّا إلى الجنة وإمَّا إلى النار، ولذلك قال: «مَن عَمِلَ سيِّئةً فلا يُجزَى إلَّا مِثْلَها».

وقرأ أبو رجاء وشيبة والأعمش والأخوان والصاحبان وحفص: «يَدْخُلُونَ» مبنيًّا للفاعل، وباقي السبعة والأعرج والحسن وأبو جعفر وعيسى: مبنيًّا للمفعول[٧].

❀ ❀ ❀

(١) أي: الناسَ عن السَّبِيل. تفسير القرطبيّ ١٨/ ٣٥٩.

(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٥٦٠، والكوفيون: عاصم وحمزة والكسائي وخَلَف، والقراءة في السبعة ص ٥٧١، والتيسير ص ١٣٣، والنشر ٢/ ٢٩٨، وهي أيضاً قراءة يعقوب.

(٣) أي: «وصِدّ». والقراءة في المحرر الوجيز ٤/ ٥٦٠، والكشاف ٣/ ٤٢٨، وتفسير القرطبي ١٨/ ٣٥٩، وينظر إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٣٣.

(٤) أي: «وَصَدٌّ». المحرر الوجيز ٤/ ٥٦٠، والقراءة في القراءات الشاذة ص ١٣٢، وإعراب القرآن للنحاس ٤/ ٣٣-٣٤، وتفسير القرطبي ١٨/ ٣٥٩.

(٥) أي: «الرَّشَّاد». تفسير القرطبيّ ١٨/ ٣٦٠، والقراءة في القراءات الشاذة ص ١٣٢، والمحتسب ٢/ ٢٤١.

(٦) عند تفسير الآية (٢٩) من هذه السورة.

(٧) ينظر المحرر الوجيز ٤/ ٥٦١، والكشاف ٣/ ٤٢٨، وزاد المسير ٧/ ٢٢٤، وتفسير القرطبي ١٨/ ٣٦٢، والقراءة في السبعة ص ٥٧١، والتيسير ص ٩٧، والنشر ٢/ ٢٥٢.

﴿وَيَٰقَوۡمِ مَا لِيٓ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدۡعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾ تَدۡعُونَنِي لِأَكۡفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشۡرِكَ بِهِۦ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞ وَأَنَا۠ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡغَفَّٰرِ ﴿٤٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِ لَيۡسَ لَهُۥ دَعۡوَةٞ فِي ٱلدُّنۡيَا وَلَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٤٣﴾ فَسَتَذۡكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمۡۚ وَأُفَوِّضُ أَمۡرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴿٤٤﴾ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ﴿٤٦﴾ وَإِذۡ يَتَحَآجُّونَ فِي ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمۡ تَبَعٗا فَهَلۡ أَنتُم مُّغۡنُونَ عَنَّا نَصِيبٗا مِّنَ ٱلنَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا كُلّٞ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدۡ حَكَمَ بَيۡنَ ٱلۡعِبَادِ ﴿٤٨﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِي ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ يُخَفِّفۡ عَنَّا يَوۡمٗا مِّنَ ٱلۡعَذَابِ ﴿٤٩﴾ قَالُوٓاْ أَوَلَمۡ تَكُ تَأۡتِيكُمۡ رُسُلُكُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ قَالُواْ بَلَىٰۚ قَالُواْ فَٱدۡعُواْۗ وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ ﴿٥٠﴾ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ ﴿٥١﴾ يَوۡمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعۡذِرَتُهُمۡۖ وَلَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٥٢﴾﴾.

بَدَأَ المؤمن بذِكْر المُتسبّب عن دَعوتهم، وأبْدَى التفاضلَ بينهما، ولمَّا ذَكَر المتسبَّبين ذَكَر سببهما، وهو دعاؤهم إيَّاه إلى الكفر والشِّرْك، ودُعاؤه إيَّاهم إلى الإيمان والتوحيد، وأتى بصفة «العزيز» وهو الذي لا نظيرَ له، أو الغالِب الذي العالَم كلُّهم في قَبْضَته يتصرَّف فيهم كما يشاء «الغَفَّار» لذنوب مَن رَجَعَ إليه وآمَنَ به، وأوصل سببَ دعائهم بمسبّبه، وهو الكفر والنار، وأخَّر سببَ مسبّبه؛ ليكونَ افتتاحُ كلامه واختتامُه بما يدعو إلى الخير.

وبَدَأَ أوَّلاً بجملة اسميَّة، وهو الاستفهامُ المتضمِّن التعجُّبَ مِن حالتهم، وختمَ أيضاً بجملة اسميَّة؛ ليكونَ أبْلَغَ في توكيد الإخبار، وجاء في حقِّهم: «وتَدْعُونَني» بالجملة الفعليَّة التي لا تقتضي توكيداً، إذ دعوتهم باطلة لا ثبوتَ لها فتؤكَّد و«ما ليس لي به عِلْم» هي الأوثان، أي: لم يتعلَّق بها عِلْمي؛ إذ ليس لها مدخلٌ في الألوهيَّة ولا لفرعون.

قال الزمخشريُّ: فإن قلت: لِمَ جاءَ بالواو في النِّداء الثالث دونَ الثاني؟

قلت: لأنَّ الثانيَ داخلٌ على كلامٍ هو بيانٌ للمُجمَل وتفسيرٌ له، فأُعطيَ الداخلُ

عليه حُكْمَه في امتناعِ دخولِ الواو، وأمَّا الثالث فداخلٌ على كلامٍ ليس بتلك المثابة[١]. انتهى.

وتقدَّم الكلامُ على «لا جَرَمَ»، وقال الزمخشريُّ هنا: ورُويَ عن العرب: لا جُرْم أنَّه يفعل، بضمِّ الجيم وسُكون الرَّاء، يريد: لا بُدَّ، وفُعْل وفَعَل أخوان، كرُشْد ورَشَد، وعُدْم وعَدَم[٢].

«أنَّما» أي: أنَّ الذي «تَدْعُونني إليه» أي: إلى عبادته «ليس له دعوةٌ» أي: قَدْر وحَقٌّ يَجب أَنْ يُدعَى إليه، أو «ليس له دعوة» إلى نفسِه؛ لأنَّ الجمادَ لا يَدعو، والمعبودُ بالحقِّ يَدعُو العبادَ إلى طاعته، ثم يَدعُو العبادُ إليها إظهاراً لدعوة ربِّهم.

وقال الزجَّاج: المعنى: ليس له استجابةُ دعوةٍ تُوجِبِ الألوهيَّة «في الدُّنيا ولا في الآخِرَة»، أو «دَعوةٌ» مُستجابَة[٣]، جُعلت الدَّعوةُ التي لا استجابَةَ لها ولا منفعةَ كَلَا دعوة، أو سُمِّيت الاستجابةُ باسمِ الدَّعوة، كما سُمِّيَ الفعلُ المجازَى عليه باسم الجزاء في قوله: كما تَدِيْنُ تُدَانُ.

وقال الكلبيُّ: «ليس له» شفاعةٌ «في الدُّنيا ولا في الآخرة»[٤].

وكان فرعونُ أوَّلاً يَدعو الناسَ إلى عبادةِ الأصنام، ثمَّ دعاهم إلى عبادةِ البَقَر، وكانت تُعبَد مادَامت شابَّةً، فإذا هَرِمَت أَمَرَ بذَبْحها ودَعَا بأُخرى لتُعبَدَ، فلمَّا طَالَ عليه الزمانُ قال: أَنَا رَبُّكم الأعلى[٥].

ولمَّا ذَكَر انتفاءَ دعوةِ ما عُبدَ مِن دونِ الله، ذَكَر أنَّ مَرَدَّ الجميع «إلى الله» أي: إلى جزائِه «وأنَّ المسرفينَ» وهم المشركونَ في قولِ قتادة، والسَّفَّاكونَ للدِّماء بغير حقِّها في قول ابنِ مسعود ومجاهد[٦]، وقيل: مَن غَلَبَ شَرُّهُ خيرَهُ هو المُسْرِف،

---

(١) الكشاف ٣/ ٤٢٩.
(٢) المصدر السابق، ونقله عنه الرازيُّ ٢٧/ ٧١.
(٣) معاني القرآن للزجاج ٤/ ٣٧٥-٣٧٦، وينظر إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٣٤، وتفسير القرطبي ١٨/ ٣٦٢.
(٤) النكت والعيون ٥/ ١٥٨، ونقله عنه القرطبيُّ ١٨/ ٣٦٢.
(٥) تفسير القرطبيّ ١٨/ ٣٦٢.
(٦) المحرر الوجيز ٤/ ٥٦٢، وينظر تفسير الثعلبي ٥/ ٣٤٧، والنكت والعيون ٥/ ١٥٨، وتفسير

وقال عكرمة: هم الجبَّارون المتكبِّرون[١].

وختمَ المؤمنُ كلامَه بخاتمة لطيفةٍ تُوجِب التخويفَ والتهديدَ، وهي قوله: «فستذكرونَ ما أقولُ لكم» أي: إذا حَلَّ بكم عقابُ الله. «وأفوّض أمْرِي إلى» قضاء «الله» وقَدَرِه، لا إليكم ولا إلى أصنامِكم، وكانوا قد توعَّدوه، ثم ذَكَرَ ما يُوجِب التفويضَ، وهو كونه تعالى بصيراً بأحوالِ العِبَاد وبمقادير حاجاتِهم.

قال مقاتل: لمَّا قال هذه الكلمات قَصَدُوا قَتْلَه، فهرب هذا المؤمنُ إلى الجبل فلم يَقدروا عليه[٢].

وقيل: لمَّا أَظهرَ إيمانَه بَعَثَ فرعونُ في طلبه ألفَ رَجُلٍ؛ فمنهم مَن أدركه، فذَبَّ السِّبَاعُ عنه، وأكلتهم، ومنهم مَن مات في الجبال عَطَشاً، ومنهم مَن رَجَعَ إلى فرعون خائباً، فاتَّهمه وقَتَله وصَلَبه[٣].

وقيل: نَجَا مع موسى في البحر وفَرَّ في جملة مَن فرَّ معه[٤].

«فوقاهُ اللهُ سيِّئاتِ ما مكروا» أي: شدائدَ مَكْرِهم التي تسوءُه وما همُّوا به مِن أنواعِ العذاب لمَن خَالفهم، «وحاقَ بآلِ فرعونَ سوءُ العذاب» قال ابنُ عَبَّاس: هو ما حَاقَ بالألْفِ الذين بَعَثَهم فرعونُ في طَلَبِ المؤمن؛ مِن أكْلِ السِّبَاع والموتِ بالعَطَش والقَتْلِ والصَّلْب، كما تقدَّم.

وقيل: «سوء العذاب» هو الغَرَق في الدُّنيا، والحَرْق في الآخِرَة.

«النَّار» بدلٌ مِن «سُوء العذاب»، أو خبرُ مبتدأٍ محذوف، كأنَّه قيل: ما سُوءُ العذاب؟ قيل: النَّار، أو مبتدأٌ خبرُه «يُعرَضون»، ويقوِّي هذا الوجهَ قراءةُ مَن نَصَبَ[٥]، أي: يَدخلون «النَّارَ يُعرَضون عليها».

= القرطبي ١٨/ ٣٦٢-٣٦٣، وتنظر الآثار عند الطبري ٢٠/ ٣٣٣-٣٣٤.
(١) تفسير الثعلبي ٥/ ٣٤٧، والقول الأول عند الزمخشري ٣/ ٤٣٠.
(٢) تفسير القرطبي ١٨/ ٣٦٣.
(٣) النكت والعيون ٥/ ١٥٩بنحوه.
(٤) تنظر المصادر الآنفة الذِّكر، وينظر خبر قتادة عند الطبري ٢٠/ ٣٣٦.
(٥) الكشاف ٣/ ٤٣٠ دون عزوٍ.

وقال الزمخشريُّ: ويجوز أَنْ ينتصبَ على الاختصاص[١].

والظاهر أنَّ عَرْضَهم على النَّار مخصوصٌ بهذين الوقتَيْن، ويجوز أَنْ يُراد بذِكْر الطَّرَفين الدوامُ في الدُّنيا، والظاهر أنَّ العَرْضَ خلافُ الإحراق.

وقال الزمخشريُّ[٢]: عَرْضُهم عليها إحراقُهم بها، يقال: عَرَضَ الإمامُ الأَسارى على السيف: إذا قَتَلَهم به[٣]. انتهى.

والظاهر أنَّ العَرْضَ هو في الدُّنيا، ورُوِي ذلك عن الهُزَيْل بنِ شُرَحْبيل والسُّدِّيّ، وعن ابنِ مسعود: أنَّ أرواحَهم في أجواف طير سُود، تَروح بهم وتَغْدُو إلى النَّار.

وقال رَجُلٌ للأوزاعيِّ: رأيتُ طيوراً بيضاً تَغْدُو مِن البحر، ثم تَروح بالعشيِّ سوداً مِثْلها؟ فقال الأوزاعيُّ: تلك التي في حواصلها أرواحُ آلِ فرعون، يَحترق رياشُها وتَسودُّ بالعَرْض على النَّار.

وقال محمد بنُ كعب وغيرُه: أَراد أَنَّهم يُعرَضون في الآخِرَة على النَّارِ، على تقديرِ: ما بين الغُدوِّ والعَشِيِّ، إذ لا غدوَّ ولا عَشِيَّ في الآخِرَة، وإنَّما ذلك على التقدير بأيامِ الدُّنيا[٤].

وعن ابنِ مسعود: تُعرَض أرواحُ آلِ فرعون ومَن كان مِثْلَهم مِن الكفَّار على النَّار بالغَدَاة والعَشِيِّ، يقال: هذه دارُكم[٥].

وفي صحيحي البخاريِّ ومسلم مِن حديث ابنِ عمر: أنَّ رسولَ الله ﷺ قال:

---

(١) المصدر السابق.

(٢) الكشاف ٣/ ٤٣٠، وما قبله منه أيضاً.

(٣) المصدر السابق.

(٤) المحرر الوجيز ٤/ ٥٦٢، وينظر تفسير الثعلبي ٥/ ٣٤٨، والنكت والعيون ٥/ ١٥٩، وزاد المسير ٧/ ٢٢٧-٢٢٩، وتفسير القرطبي ١٨/ ٣٦٥-٣٦٦، وتنظر الآثار عند الطبريّ ٢٠/ ٣٣٧-٣٣٩، وخبر الأوزاعي أخرجه أيضاً ابنُ أبي الدنيا في من عاش بعد الموت (٤٩).

(٥) إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٣٥، وزاد المسير ٧/ ٢٢٧-٢٢٨ وزاد نسبتها لابن عباس، وتفسير القرطبي ١٨/ ٣٦٤، والخبر أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٢١٦٥) من طريق هزيل بن شرحبيل، عن ابنِ مسعود ﷺ.

«إنَّ أحدَكم إذا مات عُرِضَ عليه مقعدُه بالغَدَاة والعَشِيِّ، إنْ كان مِن أهل الجنة فمِن أهلِ الجنة، وإنْ كان مِن أهلِ النَّار فمِن أهلِ النَّار، يقال: هذا مَقْعَدُكَ حتى يبعثَكَ اللهُ إليه يومَ القيامة»[١].

واستدلَّ مجاهد ومحمد بنُ كعب وعكرمة ومقاتل بقوله: «النَّار يُعرَضون عليها غُدُوًّا وعشيًّا» ـ أي: عند موتهم ـ على عذابِ القبر في الدُّنيا[٢].

والظاهر تمامُ الجملة عند قوله: «وعَشِيًّا»، وأنَّ «يومَ» القيامة معمولٌ لمحذوفٍ على إضمارِ القول، أي: ويومَ القيامة يُقال لهم: أَدْخِلوا، وقيل: «ويوم» معطوف على «وعَشِيًّا»، فالعامل فيه «يُعرضون»، و«أَدخلوا» على إضمار الفعل، وقيل: العامل في «يوم»: «أَدْخِلوا».

وقرأ الأعرج وأبو جعفر وشيبة والأعمش وابنُ وثَّاب وطلحة ونافع وحمزة والكسائيُّ وحفص: «أَدْخِلُوا» أَمْراً للخَزَنة، مِن: أَدْخَلَ، وعليٌّ والحسن وقتادة وابنُ كثير والعربيَّان وأبو بكر: أَمْراً لآلِ فرعونَ، من: دَخَل[٣] «أَشَدَّ العذاب»، قيل: وهو الهاوِيَة، قال الأوزاعيُّ: بَلَغنا أنَّهم ألفا ألفٍ وسِتُّ مئة ألف[٤].

«وإذ يتحاجُّون في النَّار» الظاهر أنَّ الضميرَ عائد على آلِ فرعون، وقال ابنُ عطيَّة: والضميرُ في قوله: «يتحاجُّون» لجميعِ كفَّار الأُمم، وهذا ابتداءُ قصصٍ لا يَختصُّ بآلِ فرعون، والعامل في «إذ» فعلٌ مُضمَر، تقديره: واذكر، وقال الطبريُّ: و«إذ» هذه عطفٌ على قوله: «إذ القلوبُ لدى الحناجر»، وهذا بعيدٌ[٥]. انتهى.

(١) زاد المسير ٧/ ٢٢٩، وتفسير القرطبي ١٨/ ٣٦٥، والخبر عند البخاري (١٣٧٩)، ومسلم (٢٨٦٦)، وأحمد (٥٩٢٦).

(٢) تفسير القرطبي ١٨/ ٣٦٤، وينظر تفسير الثعلبي ٥/ ٣٤٨، وإثبات عذاب القبر للبيهقي ص٥٤، وشعب الإيمان له أيضاً ١/ ٣٥٤ فصل في عذاب القبر.

(٣) أي: «اُدْخُلُوا» بألف الوصل على الأمر، وينظر المحرر الوجيز ٤/ ٥٦٢-٥٦٣، وتفسير القرطبي ١٨/ ٣٦٦، والقراءة في السبعة ص ٥٧٢، والتيسير ص ١٩٢، والنشر ٢/ ٣٦٥، والعربيَّان: ابنُ عامر وأبو عمرو.

(٤) تفسير الثعلبي ٥/ ٣٤٨، والقرطبي ١٨/ ٣٦٥-٣٦٦.

(٥) المحرر الوجيز ٤/ ٥٦٣، وما بعده منه أيضاً، وكلام الطبريّ في تفسيره ٢٠/ ٣٤١.

والمحاجَّة: التَّحاوُر بالحجَّة والخصومة، و«الضعفاء» أي: في القَدْر والمَنْزلة في الدُّنيا، و«للذين اسْتَكْبَروا» أي: عن الإيمان واتِّباع الرُّسُل: «إنَّا كنَّا لكم تَبعاً»، أي: ذَوي تَبعٍ، فـ: تَبَع، مصدرٌ، أو اسمُ جَمْعٍ لتابع، كأَدِيم وأَدَم، وخَادِمٍ وخَدَم، وغَائِب وغَيَب، «فهل أنتم مغنونَ عنَّا» أي: حاملونَ عَنَّا، فأجابوهم: «إنَّا كُلٌّ فيها» وأنَّ حُكمَ اللهِ قد نَفَذَ فينا وفيكم، إنَّا مستمرُّون في النَّار.

وقرأ ابنُ السميفع وعيسى بنُ عمران: «كُلًّا» بنصب «كُلّ»[١]، قال الزمخشريُّ وابنُ عطيَّة: على التوكيد[٢]، وقال الزمخشريُّ: لاسم «إنَّ» وهو معرفةٌ، والتنوين عوضٌ مِن المضاف إليه، يريد: إنَّا كُلَّنا فيها[٣]. انتهى.

وخبر «إنَّ» هو «فيها»، ومَن رَفَعَ «كُلًّا» فعلى الابتداء، وخبرُه «فيها»، والجملة خبر «إنَّ».

وقال ابنُ مالكٍ في تصنيفه «تسهيل الفوائد»، وقد تكلَّم على «كُلّ»: ولا يُستغنى بنيَّة إضافتِه، خلافاً للفرَّاء والزمخشريّ[٤]. انتهى. وهذا المذهب منقولٌ عن الكوفيِّين، وقد ردَّ ابنُ مالك على هذا المذهب بما قرَّره في شرحه «للتسهيل»[٥].

وقال الزمخشريُّ: فإنْ قلت: هل يَجوز أن يكون «كُلًّا» حالاً قد عَملَ فيها «فيها»؟ قلت: لا، لأنَّ الظرفَ لا يَعمل والحال متقدِّمة، كما يعمل في الظَّرْف متقدِّماً، تقول: كلَّ يومٍ لَكَ ثوبٌ، ولا تقول: قائماً في الدارِ زيدٌ[٦]. انتهى.

وهذا الذي مَنَعه أجازَهُ الأخفشُ إذا توسَّطت الحالُ، نحو: زيدٌ قائماً في الدار، وزيد قائماً عندكَ، والتمثيل الذي ذَكَره ليس مطابقاً لما في الآية؛ لأنَّ الآيَةَ

(١) تفسير القرطبي ١٨/ ٣٦٧، وهي في تفسير الثعلبي ٥/ ٣٤٨، والمحرر الوجيز ٤/ ٥٦٣ عن ابنِ السميفع، وفي الكشاف ٣/ ٤٣٠ دون عزوٍ.
(٢) الكشاف ٣/ ٤٣٠، والمحرر الوجيز ٤/ ٥٦٣.
(٣) الكشاف ٣/ ٤٣٠، والعبارة عنده هكذا: . . . . إنَّا كُنَّا ـ أو: كلّنا ـ فيها.
(٤) التسهيل ص ١٦٤، وينظر معاني القرآن للفراء ٣/ ١٠، والكشاف ٣/ ٤٣٠.
(٥) شرح التسهيل لابن مالك ٣/ ١٧٦ وما بعدها.
(٦) الكشاف ٣/ ٤٣٠-٤٣١.

تقدَّم فيها المُسنَد إليه الحُكْم، وهو اسم «إنَّ»، وتوسَّطت الحال إذا قلنا: إنَّها حالٌ، وتأخَّر العامل فيها.

وأمَّا تمثيله بقوله: ولا تَقول: قائماً في الدارِ زيدٌ، تأخّر فيه المُسنَد والمسند إليه، وقد ذَكَر بعضُهم أنَّ المنعَ في ذلك إجماعٌ مِن النُّحاة.

وقال ابنُ مالك: والقولُ المرضيُّ عندي أنَّ «كُلًّا» في القراءةِ المذكورة منصوبٌ على الحال مِن الضمير المرفوع المنويّ في «فيها»، و«فيها» هو العامل، وقد قُدِّمت الحالُ عليه مع عَدَم تصرُّفه، كما قُدِّمت في قراءة مَن قرأ: «والسماواتُ مَطْوِيَّاتٍ بيمينِهِ» [الزمر:٦٧]، وفي قولِ النابغة الذبيانيّ:

رَهْطُ ابنِ كوزٍ مُحْقبي أَدْرَاعِهم ... فيهمْ ورَهْطُ ربيعةَ بنِ حُذَارِ

وقولِ بعضِ الطَّائيِّين:

دَعَا فأَجَبْنا وهو بادِيَ ذِلَّةٍ ... لديكم فكانَ النصرُ غيرَ بَعيدِ[١]

انتهى. وهذا التخريجُ هو على مذهب الأخفشِ كما ذكرناه.

والذي أختارُه في تخريج هذه القراءة أنَّ «كُلًّا» بدلٌ من اسم «إنَّ»؛ لأنَّ «كُلًّا» يتصرَّف فيها بالابتداء ونواسخِه وغير ذلك، فكأنَّه قال: إنَّ كُلًّا فيها، وإذا كانوا قد تأوَّلوا:

.... حَوْلاً أَكْتَعاً[٢]

---

(١) شرح التسهيل لابن مالك ٣/ ١٧٦-١٧٧، والقراءة السالفة قرأ بها: عيسى بن عمر والجحدري والحسن، ينظر القراءات الشاذة ص ١٣١، والمحتسب ١/ ٢٣٣، وبيت النابغة في ديوانه ص ٥٩، وكوز: من بني مالك بن ثعلبة، وربيعة بن حذار: من بني سعد، ومحقبي أدراعهم: أي: جعلوها كالحقائب لوقت الحاجة إليها.
وأمَّا قول بعض الطائيين فلم نقف عليه، وأورده عنه السمين في الدر ٩/ ٤٨٨، والآلوسي في روح المعاني ٢٤/ ٨٥، مع الإشارة إلى أنَّه ورد في النسخ عدا (يه): قريب - والمثبت منها ومن الدر المصون - بدل: بعيد.

(٢) وتمامه:

يا ليتني كنتُ صبيًّا مُرْضَعا ... تَحملني الذَّلفاءُ حولاً أكتعا

والرَّجَز قاله أعرابيٌّ لامرأةٍ حسناء جميلة تُسمَّى: ذَلْفاء، ومعها صبيٌّ يبكي، وكلَّما بَكى =

و:

.... يَـومـاً أَجْـمَـعـا ....[1]

على البَدَل مع أنَّهما لا يَليان العواملَ، فَلأَنْ يُدَّعى في «كُلّ» البَدَلُ أولى.

وأيضاً فتنكير «كُلّ» ونصبه حالاً في غاية الشذوذ، والمشهور أنَّ «كُلًّا» معرفة إذا قطعت عن الإضافة، حُكيَ: مَرَرْت بكلٍّ قائماً وببعضٍ جالساً، في الفصيح الكثير في كلامهم، وقد شَذَّ نَصْبُ «كُلّ» على الحال في قولهم: مَرَرْت بهم كُلًّا، أي: جميعاً.

فإن قلت: كيف تجعله بدلاً، وهو بَدَلُ كُلٍّ من كلٍّ مِن ضمير المتكلِّم، وهو لا يَجوز على مذهب جمهور البصريين؟

قلت: مذهب الأخفشِ والكوفيين جوازُه ـ وهو الصحيح ـ على أنَّ هذا ليس ممَّا وقعَ فيه الخلافُ، بل إذا كان البَدَلُ يفيد الإحاطةَ جاز أنْ يبدلَ مِن ضميرِ المتكلِّم وضميرِ المخاطب، لا نَعلم خلافاً في ذلك، كقوله تعالى: ﴿تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا﴾ [المائدة:١١٤] وكقولك: مَرَرْتُ بكم صَغِيركم وكَبيركم، معناه: مَرَرْتُ بكم كُلّكم، و: تكون لنا عِيْداً كُلّنا، فإذا جاز ذلك فيما هو بمعنى الإحاطة، فجوازه فيما دلَّ على الإحاطة وهو «كُلّ» أَولى، ولا التفاتَ لمَنْعِ المُبرِّد البَدَلَ فيه؛ لأنَّه بَدَل مِن ضمير المتكلِّم؛ لأنَّه لم يُحَقِّق مناطَ الخلاف[2].

ولمَّا أَجابَ الضعفاءَ المستكبرونَ، قالوا جميعاً «لِخَزَنة جهنَّم» وأبرزَ ما أضيف إليه الخَزَنة ولم يَأْتِ ضميراً، فكان يكون التركيب: لخَزَنتِها؛ لِمَا في ذكر جهنَّم مِن التهويلِ وفيها أطغى الكفار وأعْتَاهم، ولعلَّ الكفَّارَ توهَّموا أنَّ ملائكةَ جهنَّم المُوكَّلين بعذابِ تلك الطُّغاة هم أقربُ منزلةً عندَ الله مِن غيرهم مِن الملائكة

= قبَّلته. وهو في العقد لابن عبد ربّه ٣/ ٤٦٠، وخزانة الأدب ٥/١٦٨، واللسان (كتع)، و: أكتع، مأخوذٌ من قولهم: أتَى عليه حَوْلٌ كتيعٌ، أي: تامٌّ.

(١) وتمامه:

أوفـت بـه حَـولاً وحَـولاً أجـمـعـا حـتَّـى إذا الـراجـي لـهـا تـوقَّـعـا

والرجز لرؤبة بن العجاج، وهو في ديوانه ص ٩٢.

(٢) ينظر الارتشاف ٤/ ١٩٥٠، والمقتضب ٣/ ٣٨٠.

المُوكَّلين ببقيَّة دَرَكاتِ النَّار، فَرَجُوا أَنْ يُجيبوهم ويَدْعُوا لهم بالتخفيف، فراجَعَتْهم الخَزَنةُ على سبيلِ التوبيخ لهم والتقريرِ: «أَوَلَم تَكُ تَأْتِيكم رُسُلُكم بالبيِّنات» فأَجابوا بأنَّهم أَتَتْهم، «قالوا» أي: الخَزَنةُ: «فادْعُوا» أنتم، على معنى الهُزْءِ بهم، أو «فادْعُوا» أنتم؛ فإنَّا لا نَجْتَرِئ على ذلك.

والظاهر أنَّ قوله: «وما دُعاءُ الكافرينَ إلَّا في ضلالٍ» من كلامِ الخَزَنة، أي: دعاؤكم لا يَنفع ولا يُجدِي، وقيل: هو مِن كلامِ الله تعالى إخباراً منه لمحمَّد ﷺ، وجاءت هذه الأخبارُ مُعبَّراً عنها بلفظ الماضي الواقِعِ؛ لَتيقُّن وقوعِها.

ثمَّ ذَكَر تعالى أنَّه يَنصُر رُسُلَه ويُظْفِرهم بأعدائِهم، كما فعلَ بموسى عليه السلام حيث أَهلك عدوَّه فرعونَ وقومَه، وفيه تبشيرٌ للرَّسول عليه السلام بنَصْرِه على قومِه في الحياة الدنيا؛ إذ العاقبةُ الحسنةُ لهم.

«ويومَ يَقومُ الأشهادُ» هو يوم القيامة، قال ابن عباس: يَنصُرهم بالغَلَبة، وفي الآخِرَة بالعذاب، وقال السُّدِّيُّ: بالانتقام مِن أعدائهم، وقال أبو العالية: بإفلاح[(١)] حُجَّتهم.

وقال السُّدِّيُّ أيضاً: ما قَتَلَ قومٌ قَطُّ نبيًّا أو قوماً[(٢)] مِن دُعاة الحقِّ إلا بَعَثَ اللهُ مَن يَنتقمُ لهم، فصاروا منصورينَ فيها وإنْ قُتِلُوا[(٣)]. انتهى.

أَلَا تَرَى إلى قَتَلَةِ الحسين ـ رضي الله عنه ـ كيف سَلَّطَ اللهُ عليهم المختارَ بنَ أبي عُبَيْد[(٤)]

---

(١) كذا في النسخ، وورد عند بعضهم: بإفلاج. ينظر تفسير الثعلبي ٥/ ٣٤٩، والنكت والعيون ٥/ ١٦٠، وأَفْلَجَ اللهُ حُجَّتَه: قَوَّمها وأظهرها. «المختار» (فلج).

(٢) يوجد هنا خرم في النسخة الأحمدية (أ) بين لوحتي الورقة (٣٤٣)، وينتهي ببداية تفسير سورة الفتح.

(٣) النكت والعيون ٥/ ١٦٠، وتفسير القرطبي ١٨/ ٣٦٩، وينظر تفسير الثعلبي ٥/ ٣٤٩، والخبر عند الطبريّ ٢٠/ ٣٤٥، مع الإشارة إلى أنَّه ورد بهامش (ز٢) ما نصّه: يشهد لما قاله السديّ ثانياً قوله تعالى: ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ﴿٤١﴾﴾ [الزخرف: ٤١]، والله أعلم.

(٤) هو: الثقفيُّ، الكَذَّاب، كان والده الأمير أبو عُبيد قد أسلم في حياة النبيّ ﷺ، ولم يُعلم له صحبة، استعمله عمر بن الخطاب على جيش، فغزا العراق، وإليه تُنسَب وقعة جسر أبي عبيد، كان المختارُ من كُبراء ثقيف وذوي الرأي والشجاعة والدَّهاء وقِلَّة الدِّين، ادَّعى أنَّ الوحي يأتيه، وأنَّه يعلم الغيبَ، قُتل على يَدِ طريف الحنفي وأخيه في رمضان سنة سبع وستِّين للهجرة. سير أعلام النبلاء ٣/ ٥٣٨-٥٤٤.

يَتتبَّعهم واحداً وحداً حتى قَتَلَهم[١]، وبُخْت نَصَّرَ تَتَبَّعَ اليهودَ حين قَتَلوا يحيى بنَ زكريا عليهما السلام[٢].

وقيل: والنَّصْر خاصٌّ بمَن أظهرهُ اللهُ تعالى على أمَّتِه، كنوحٍ وموسى ومحمَّد عليهم السلام؛ لأنَّا نَجِدُ مِن الأنبياء مَن قَتَلَه قومه كيحيى، ومَن لَم يُنصَر عليهم، وقال السُّدِّيُّ: الخبر عامٌّ، وذلك أنَّ نُصْرَةَ الرُّسُل والأنبياء واقعةٌ ولا بُدَّ؛ إمَّا في حياة الرَّسولِ المَنْصُور، كنوح وموسى عليهما السلام، وإمَّا بَعْدَ موتِه، ألَا ترى إلى ما صَنَعَ اللهُ تعالى ببني إسرائيلَ بَعْدَ قَتْلِهم يحيى عليه السلام مِن تسليطِ بُخْت نصَّر عليهم حتى انتصَرَ ليحيى عليه السلام[٣].

وقرأ الجمهور: «يقوم» بالياء، وابنُ هرمز وإسماعيل والمنقريّ عن أبي عمرو بالتاء[٤]؛ لتأنيث الجماعة.

و«الأشهاد» جَمْعُ: شَهِيد، كشريف وأشراف، أو جَمْع: شَاهِد، كصاحب وأصحاب، كما قال تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ﴾ [النساء:٤١]، وقال: ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة:١٤٣].

والظاهر أنَّه مِن الشَّهادة، وقيل: مِن المُشاهدَة بمعنى الحضور، «يوم لا يَنفع» بَدَلٌ مِن «يوم يقوم»، وقرئ: «تنفع» بالتاء وبالياء[٥]، وتقدَّم ذِكْرُ الخلافِ في ذلك

---

(١) ينظر تاريخ الطبري ٦/ ٣٨ وما بعدها، والبداية والنهاية ١٢/ ٥ وما بعدها.
(٢) ينظر المحرر الوجيز ٤/ ٥٦٤، وزاد المسير ٧/ ٢٣٠، وغلَّط الطبريُّ في تاريخه ١/ ٥٨٩ هذه الروايةَ بأنَّ العلماءَ مجمعون على أنَّ بخت نصَّر إنَّما غزا بني إسرائيل عند قتلهم نبيَّهم شعيا في عهد إرميا، وبين عهد إرميا وتخريب بخت نصَّر بيتَ المقدس إلى مولد يحيى بن زكريا أربع مئة سنة وإحدى وستون سنة في قول اليهود والنصارى... إلى آخر كلامه، ونَقَله عنه ابنُ الجوزي في المنتظم ٢/ ١٢-١٣، وينظر أيضاً البداية والنهاية لابن كثير ٢/ ٤١٣ وما بعدها.
(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٥٦٤، وينظر التعليق السابق.
(٤) تفسير الطبري ٢٠/ ٣٤٦ عن بعض أهل مكة وبعضِ قَرأةِ البصرة، والمحرر الوجيز ٤/ ٥٦٤ عن الأعرج وأبي عمرو، والكشاف ٣/ ٤٣٢ دون عزوٍ.
(٥) الكشاف ٣/ ٤٣٢، حيث قرأ بالياء: نافع وعاصم وحمزة والكسائي وخلف، وقرأ الباقون بالتاء. السبعة ص ٥٧٢، والتيسير ص ١٩٢، والنشر ٢/ ٣٦٥.

في آخِرِ «الرُّوم»(١)، ويحتمل أنَّهم يَعتذرون ولا تُقبَل معذرتهم، أو أنَّهم لا معذرةَ لهم فتُقبَل.

«ولهم اللعنةُ» الإبعادُ مِن الله، «ولهم سُوء الدَّار» أي: سوء عاقبة الدَّار.

❁ ❁ ❁

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ ﴿٥٣﴾ هُدًى وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى
ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٤﴾ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِىِّ
وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٥٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۙ إِن فِى صُدُورِهِمْ
إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ ۚ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿٥٦﴾ لَخَلْقُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَمَا
يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلْمُسِىٓءُ ۚ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ
﴿٥٨﴾ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾ وَقَالَ
رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ
﴿٦٠﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى
ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ لَّآ
إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٦٢﴾ كَذَٰلِكَ يُؤْفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱللَّهُ
ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ
ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ
إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾.

ولمَّا ذَكَر ما حَلَّ بآلِ فرعون واستَطْرَدَ مِن ذلك إلى ذِكْرِ شيءٍ مِن أحوالِ الكفَّار في الآخِرَة، عاد إلى ذِكْر ما مَنَحَ رسولَه موسى عليه السلام، فقال: «ولقد آتينا موسى الهدى» تأنيساً لمحمَّدٍ ﷺ، وتذكيراً لِمَا كانت العربُ تعرِفه مِن قصَّة موسى عليه السلام.

و«الهدى» يجوز أنْ يكون الدلائِل التي أوردها على فرعونَ وقومِه، وأنْ يكون النبوَّة، وأنْ يكون التوراة.

---

(١) عند تفسير الآية (١٠) منها.

«وأَورثنا بني إسرائيلَ الكتابَ» الظاهر أنَّه التوراة، تَوارثُوها خَلَفاً عن سَلَف، ويَجوز أَنْ يكون «الكتاب» أُريدَ به ما أُنزل على بني إسرائيل مِن كُتُبِ أنبيائِهم، كالتوراة والزَّبُور والإنجيل.

«هُدًى» دلالة على الشيء المطلوب «وذِكْرَى» لِمَا كان مَنْسِيًّا، فذكَّر به تعالى في كُتُبه، وانتصب «هدى وذكرى» على أنَّهما مفعول له، أو على أنَّهما مصدرانِ في موضعِ الحال.

ثمَّ أَمَرَ تعالى نبيَّه بالصَّبْر، فقال: «فاصْبِر إنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ» مِن قوله: «إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا» فلا بُدَّ مِن نَصْرِك على أعدائِكَ، وقال الكلبيُّ: نُسِخَ هذا بآيةِ السَّيف[١].

«واسْتَغْفِر لذَنْبِكَ» قال ابنُ عطيَّة: يَحتمل أَنْ يكون قَبْلَ إعلامِ الله تعالى إيَّاه أنَّه غَفَرَ له ما تقدَّم مِن ذنبه وما تأخَّر؛ لأنَّ آيةَ هذه السُّورة مَكِّيَّة، وآيةَ سورةِ الفتح مدنيَّة متأخِّرة، ويَحتمل أَنْ يكون الخطاب في هذه الآية له، والمراد أنَّه إذا أُمِرَ هو بهذا فغَيره أحرى بامتثاله[٢].

وقال أبو عبد الله الرازيُّ: مَحمولٌ على التوبة مِن تَرْكِ الأَفضلِ والأولى، وقيل: المقصود منه مَحْضُ تَعبُّدٍ، كما في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ﴾ [آل عمران: ١٩٤] فإنَّ إيتاءَ ذلك الشيء واجبٌ، ثمَّ إنَّه أَمَرَنا بطَلَبه[٣].

وقيل: «لذَنبِكَ» لذَنْبِ أُمَّتِك في حقِّك، قيل: فأضاف المصدرَ للمفعول.

ثمَّ أَمَرَه بتنزيهه تعالى في هذَيْن الوقتَيْن اللَّذَيْن الناسُ مُشتَغِلون فيهما بمصالحهم المُهِمَّة، ويَجوز أَنْ يكون المرادُ سائرَ الأوقات، وعبَّر بالطَّرَفين عن ذلك.

وقال ابنُ عبَّاس: أراد بذلك الصلواتِ الخمسَ، وقال قتادة: صلاة الغَدَاة وصلاة العَصْر، وقال الحسن: ركعتان قَبْلَ أَنْ تُفرَض الصلاة[٤]، وعنه أيضاً: صلاة العصر وصلاة الصبح[٥].

---

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٥٦٤، وتفسير الثعلبي ٥/ ٣٤٩، والبغوي ٤/ ١٠١.
(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٥٦٤.
(٣) تفسير الرازي ٢٧/ ٧٨.
(٤) تفسير الثعلبي ٥/ ٢٣٢-٢٣٣، وينظر النكت والعيون ٥/ ١٦١، وتفسير القرطبي ١٨/ ٣٧٢.
(٥) المحرر الوجيز ٤/ ٥٦٥.

والظاهر أنَّ المُجادِلين «في آياتِ الله» ـ وهي دلائلُه التي نَصَبها على توحيدِه، وكُتُبُه المُنزلة، وما أظهر على يَدَي أنبيائه مِن الخوارقِ ـ وهم كفَّار قريشٍ والعربِ «بغيرِ سُلْطان» أي: حُجَّة وبرهان «إنْ في صُدُورهم إلَّا كِبْرٌ» أي: تكبُّر وتَعاظُم، وهو إرادة التقدُّم والرِّياسة، وذلك هو الحاملُ على جِدالهم بالباطل ودَفْعهم ما يَجب لكَ مِن تقدُّمك عليهم؛ لِمَا مَنَحكَ مِن النبوَّة وكلَّفك مِن أعباء الرسالة. «ما هُم ببَالِغيْه» أي: ببالِغي موجب الكِبْر ومقتضيه مِن رِيَاستهم وتقدُّمهم، وفي ذلك إشارة إلى أنَّهم لا يَرْأسون ولا يَحصُل لهم ما يُؤَمِّلون.

وقال الزجَّاج: المعنى: ما يَحملهم على تكذيبِكَ إلَّا ما في صُدُورهم مِن الكِبْر عليكَ، وما هُم ببالغي مقتضى ذلك الكِبْر؛ لأنَّ الله أذلَّهم[١].

وقال ابنُ عطيَّة: تقديره: ببالِغي إرادتِهم فيه[٢]. وقال مقاتل: هي في اليهود[٣]، قال مقاتل: عَظَّمَت اليهودُ الدَّجَّالَ، وقالوا: إنَّ صاحبَنا يُبعَث في آخِرِ الزمان وله سلطانٌ. فقال تعالى: «إنَّ الذين يُجادِلون في آياتِ اللهِ» لأنَّ الدَّجَّال مِن آياته «بغيرِ سلطانٍ» أي: حُجَّة، «فاسْتَعِذ بالله» مِن فِتنة الدَّجَّال، والمراد بخَلْقِ الناس الدَّجَّالُ، وإلى هذا ذهب أبو العالية، والقولُ الأوَّل أصحُّ[٤].

وقال الزمخشريُّ: وقيل: المجادلون: هم اليهود، وكانوا يقولون: يَخرج صاحبُنا المسيحُ بنُ داود ـ يريدون الدَّجَّال ـ ويَبلُغ سلطانه البَرَّ والبَحرَ، وتَسِيْر معه الأنهارُ، وهو آيةٌ مِن آياتِ الله فيَرجع إلينا المُلْكُ، فسمَّى اللهُ تمنِّيهم ذلك كِبْراً، ونَفَى أنْ يَبلغوا مُتمنَّاهم[٥]. انتهى.

وكان رئيسُ اليهود في زمانه في مِصْرَ موسى بنُ ميمون الأندلسيُّ القُرطبيُّ[٦] قد

---

(١) ينظر معاني القرآن للزجاج ٤/ ٣٧٧، وإعراب القرآن للنحاس ٤/ ٣٩، وتفسير القرطبي ١٨/ ٣٧٢.

(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٥٦٥.

(٣) تفسير القرطبي ١٨/ ٣٧٢ دون عزوٍ، وينظر النكت والعيون ٥/ ١٦١ والخبر فيه عن أبي العالية، وتفسير البغوي ٤/ ١٠١، والكشاف ٣/ ٤٣٢.

(٤) أي: القول بأنَّ الآية نزلت في قريش. زاد المسير ٧/ ٢٣٣-٢٣٤، والكلام منه.

(٥) الكشاف ٣/ ٤٣٢، وينظر تفسير الثعلبي ٥/ ٣٤٩-٣٥٠.

(٦) هو أبو عمران موسى بن ميمون بن يوسف بن إسحاق، وقيل: موسى بن عبيد الله بن

كَتَبَ رسالةً إلى يَهود اليمنِ أنَّ صاحبهم يَظهَرُ في سنة كذا وخمس مئة، وكَذَبَ عَدُوُّ اللهِ جاءت تلك السَّنَةُ وسِنُونَ بَعْدَها كثيرةٌ ولم يَظهر شيءٌ ممَّا قاله ـ لَعَنهُ اللهُ ـ وكان هذا اليهوديُّ قد أظهر الإسلامَ حين اسْتَسْلَم اليهودُ لبعضِ ملوك المَغْرِب، فَرَحَلَ مِن الأندلس، فيُذكَر أنَّه صلَّى بالنَّاس التراويحَ وهم على ظَهْرِ السفينة في رمضان، إذ كان يَحفظُ القرآنَ، فلمَّا قَدِمَ مصرَ وكان ذلك في دولة العُبَيْدِيِّين ـ وهم لا يَتقيَّدون بشريعةٍ ـ رَجَعَ إلى اليهوديَّة وأخبرَ أنَّه كان مُكرَهاً على الإسلام، فقبل ذلك منه، وصنَّف لهم تصانيف، ومنها كتاب «دلالة الحائرين»، وإنَّما استفادَ ما استفادَ مِن مُخالطته علماءَ الأندلُس وتَلْمَذةٍ لهم، والرِّياسةُ إلى الآنَ بمصرَ لليهود في كلِّ مَن كان مِن ذُرِّيَّته.

«فاستعذ بالله» أي: الْتَجِئ إليه مِن كَيْدِ مَن يَحسُدكَ، «إنَّه هو السميع» لمَا تقولُ ويقولونَ، «البصير» بما تَعمل ويَعملون، فهو ناصِرُك عليهم وعاصِمُك مِن شَرِّهم.

ثم نبَّه تعالى على أنَّه لا يَنبغي أنْ يُجادِل في آياتِ الله ولا يتكبَّر الإنسانُ بقوله: «لَخَلْقُ السماواتِ والأرض أكبر مِن خَلْقِ الناس» أي: إنَّ مخلوقاتِه أكبَرُ وأجَلُّ مِن خَلْقِ البَشَر، فما لأحَدهم يُجادل ويتكبَّر على خالقه!

وقال الزمخشريُّ: مُجادَلتهم في آياتِ الله كانت مشتملةً على إنكار البَعْثِ، وهو أصلُ المجادلة ومدارُها، فَحُجُّوا بخَلْق السماوات والأرض؛ لأنَّهم كانوا مُقرِّين بأنَّ اللهَ خالقُها، وبأنَّها خَلْقٌ عظيم لا يُقادَر قَدرُه، وخَلْقُ الناسِ بالقياس إليه شَيءٌ قليلٌ مَهِينٌ، فمَن قَدَرَ على خَلْقها ـ مع عِظَمِها ـ كان على خَلْقِ الإنسان ـ مع مهانته ـ أقْدَرَ، وهو أبلغُ مِن الاستشهاد بخَلْقِ مِثْلِه[1]. انتهى.

= ميمون، طبيب فيلسوف يهودي، وُلد وتعلَّم في قرطبة، وتنقَّل مع أبيه في مدن الأندلس، وتظاهر بالإسلام، ـ وقيل: أُكره عليه ـ فحفظ القرآن وتفقَّه بالمالكية، ودخل مصر فعاد إلى يهوديته، له تصانيف كثيرة بالعبريَّة والعربيَّة، منها: دلالة الحائرين، والفصول، وشرح أسماء العَقار، والبواسير، وغيرها. توفي سنة عشر وستّ مئة، هكذا قال ابنُ شاكر الكتبي في فوات الوفيات ٤/ ١٧٥-١٧٦، وقال القفطيُّ في كتابه إخبار العلماء بأخبار الحكماء ص٢٠٩-٢١٠: ومات بمصر في حدود سنة خمسين وستّ مئة، وذَكَر الزركليُّ في الأعلام ٧/ ٣٢٩-٣٣٠ أنَّ سنة وفاته هي (٦٠١هـ) وأنَّه دُفنَ في طبرية بفلسطين.

(١) الكشاف ٣/ ٤٣٣.

وقال ابنُ عطيَّة: ويَحتمل أنْ يكونَ الكلامُ في معنى البَعْثِ والإعادة، فأَعْلَم تعالى أنَّ الذي خَلَقَ السماواتِ والأرضَ قويٌ قادرٌ على خَلْقِ الناس تارةً أُخرى، فالخَلْقُ مصدر أُضيف إلى المفعول، وقال النَّقَّاش: المعنى: ممَّا يَخلُق الناسُ، إذ هم في الحقيقة لا يَملكون[1] شيئاً، فالخَلْق مضافٌ للفاعل.

«ولكنَّ أكثرَ الناسِ لا يَعلمونَ» أي: لا يَتأمَّلون؛ لغَلَبة الغَفْلَة عليهم، ونَفْي العِلْمِ عن الأكثر وتَخْصيصه به يدلُّ على أنَّ القليلَ يَعْلَم، ولذلك ضَرَبَ مَثَلاً للجاهل بالأعمى، وللعالِم بالبصير، وانتفاء الاستواءِ بينهما هو مِن الجهة الدَّالَّة على العَمَى وعلى البَصَر، وإلَّا فهما مستويانِ في غيرِ ما شيء.

ولمَّا بَعُدَ قَسِيْم الذين آمنوا؛ بطُول صِلَةِ الموصول، كرّر «لا» توكيداً، وقدّم «الذين آمنوا» لمجاورته قولَه: «والبَصِير»، وهما طريقانِ؛ أحدهما: أنْ يُجاوِرَ المناسِبُ المناسِبَ، كهكذا، والآخر: أنْ يقدَّم ما يقابِلُ الأوَّلَ، ويُؤخَّر ما يقابِلُ الآخر، كقوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۝١٩ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ۝٢٠ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ﴾ [فاطر: ١٩-٢١] وقد يَتأخَّر المتماثلان، كقوله تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ﴾ [هود: ٢٤] وكلُّ ذلك تفنُّن في البلاغة وأساليبِ الكلام، ولمَّا كان قد تقدَّم «ولكنَّ أكثرَ الناسِ لا يَعلمون» فكان ذلك صفةَ ذمٍّ، ناسب أنْ يَبدأ في ذِكْر التَّساوي بصفة الذَّمِّ، فبَدَأ بالأعمى.

وقرأ قتادة وطلحة وأبو عبد الرحمن وعيسى والكوفيون: «تَتَذَكَّرون» بتاء الخطاب، والجمهور والأعرج والحسن وأبو جعفر وشيبة بالياء على الغَيْبَة[2].

ثم أَخبرَ بما يدلُّ على البَعْثِ؛ مِن إتيان الساعة وأنَّه لا ريبَ في وقوعها، وهو يومُ القيامة، حيث الحِسَاب وافْتِراقُ الجَمْع، إلى الجنَّة طائعُهم، وإلى النَّار كافرُهم ومَن أَرادَ اللهُ تعذيبَه مِن العُصَاة بغيرِ الكفر.

والظاهر حَمْلُ الدُّعاءِ والاستجابةِ على ظاهرِهما، إلَّا أنَّ الاستجابةَ مقيَّدةٌ بمشيئة الله، قال السُّدِّيُّ: اسْأَلوني أُعْطِكُم، وقال الضَّحَّاك: أطيعوني أُثِبْكم،

(١) في مطبوع المحرر الوجيز ٤/ ٥٦٥ والكلام منه: لا يخلقون.

(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٥٦٥، والقراءة في السبعة ص ٥٧٢، والتيسير ص ١٩٢، والنشر ٢/ ٣٦٥.

وقالت فرقة منهم مجاهد: «ادْعُوني» اعبُدوني، و«أَسْتَجب لكم» أُثِبْكم على العبادة(١).

وكثيراً جاءَ الدُّعاء في القرآن بمعنى العبادة، ويُقوِّي هذا التأويلَ قولُه: «إنَّ الذين يَستكبرون عن عبادَتي»، وما روى النعمانُ بنُ بشير أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «الدُّعاءُ هو العبادةُ»، وقرأ هذه الآية، وقال ابنُ عبَّاس: وَحِّدُوني أَغْفِرْ لكم، وقيل للثوريِّ: ادْعُ اللهَ تعالى؟ فقال: إنَّ تَرْكَ الذنوب هو الدُّعاءُ(٢).

وقال الحسن، وقد سُئِلَ عن هذه الآية: اعملوا وأَبْشِروا، فإنَّه حقٌّ على اللهِ أنْ يستجيبَ للذين آمنوا وعَملوا الصالحات ويَزيدهم مِن فَضْله(٣).

وقال أنسٌ: قال النبيُّ ﷺ: «لِيَسْأَل أَحَدُكم ربَّه حاجتَه كلَّها حتى شِسْعَ نَعْلِه»(٤).

«إنَّ الذين يَستكبرونَ عن عبادتي» قال السُّديُّ وأبو عبيدة: يتعظَّمون عن توحيدي، وقال السُّديُّ أيضاً: «عن عبادتي»(٥) أي: عن دُعائي.

(١) ينظر تفسير الثعلبي ٥/ ٣٥٣-٣٥٤، والنكت والعيون ٥/ ١٦٢، والكشاف ٣/ ٤٣٣، وزاد المسير ٧/ ٢٣٤.

(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٥٦٦، والحديث المرفوع عند الترمذي (٣٣٧٢)، وأحمد (١٨٣٥٢)، وقولُ ابنِ عباس عند الطبريّ ٢٠/ ٣٥٢، وعنده أيضاً قولُ الثوري ٢٠/ ٣٥٤، وأخرجه أيضاً أبو نعيم في الحلية ٦/ ٣٩٣.

(٣) الكشاف ٣/ ٤٣٣، والخبر أخرجه ابن المبارك في الزهد (٧٦ زوائد نعيم بن حماد)، ـ ومن طريقه الطبريُّ في تفسيره ٣/ ٢٢٨ ـ والطبرانيُّ في الدعاء (٩).

(٤) تفسير القرطبي ١٨/ ٣٧٥، والحديث أخرجه الترمذي (٣٩٣٠) من طريق قَطَن بن نُسَيْر، عن جعفر بن سليمان، عن ثابت البُناني، عن أنس مرفوعاً، وأخرجه أيضاً برقم (٣٩٣١) عن ثابت البناني مرسلاً، ولم يذكر فيه: عن أنس، وقال: وهذا أصحُّ من حديث قَطَن، عن جعفر بن سليمان. اهـ. قال ابنُ عديّ عن قَطَن: كان يسرق الحديث ويوصله، وذكره ابن حبان في الثقات، وقال الحافظ في التقريب: صدوق يخطئ. وقال القواريري عن وَصْلِ الحديث: إنَّه باطل. ميزان الاعتدال ترجمة (٦٥٢٠).

(٥) من قوله: قال السدي وأبو عبيدة. . . ، إلى هنا، زيادة من (يه)، والقولان في زاد المسير ٧/ ٢٣٤ دون عزوٍ، وقولُ السُّدِّيّ الثاني عند الطبري ٢٠/ ٣٥٤.

وقرأ جمهور السَّبْعة والحسن وشيبة: «سَيَدْخُلون» مبنيًّا للفاعل، وزيد بنُ عليٍّ وابنُ كثير وأبو جعفر: مبنيًّا للمفعول، واختلف عن عاصم وأبي عَمرو، «دَاخِرين» ذليلين[١].

«اللهُ الذي جَعَلَ لكم الليلَ لتَسْكُنوا فيه والنَّهارَ مُبْصِراً» تقدَّم الكلام على مِثْلِ هذه الجملة في سورة «يونس»[٢].

و«لَذُو فَضْلٍ» أبلغُ مِن: لَمُفضل، أو: لمُتَفَضِّل ـ كما قال: ﴿لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ﴾ [يوسف: ٦٨] ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ﴾ [الطلاق: ٧] ﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [البقرة: ١٠٥] لِمَا يُؤدِّي إليه مِن كونه صاحبه ومتمكّناً منه، بخلاف أنْ يؤتى بالصفة، فإنَّه قد يدلُّ في غيرِ الله على الاتِّصاف به في وقتٍ مّا لا دائماً، وذكَرَ عموم فَضْلِه وسُبُوغَه على الناس، ثمَّ قال: «ولكنَّ أكثرَ الناسِ» فأتَى به ظاهراً، ولم يأتِ التركيبُ: ولكنَّ أكثرَهم.

قال الزمخشريُّ: في هذا التكرير تخصيصٌ لكُفْرانِ النِّعْمَة بهم، وأنَّهم هم الذين يَكفرون فَضْلَ اللهِ ولا يَشكرونه، كقوله: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ﴾ [الحج: ٦٦] ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ﴾ [العاديات: ٦] ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾[٣] [إبراهيم: ٣٤]. انتهى.

«ذلكم» أي: المخصوص بتلك الصفات المتميِّز بها؛ مِن استجابتِه لدعائكم، ومِن جَعْلِ اللَّيل والنَّهار كما ذكَرَ، ومِن تَفَضُّله عليكم «اللهُ ربُّكم» الجامعُ لهذه الأوصاف مِن الإلهيَّة والربوبيَّة وإنشاءِ الأشياء والوحدانيَّة، «فكيفَ تُصْرَفون» عن عبادة مَن هذه أوصافه إلى عبادةِ الأوثان.

وقرأ زيد بنُ عليٍّ: «خالِقَ» بنصب القاف[٤]، وطلحة في رواية: «يُؤْفَكون» بياء الغيبة[٥]، والجمهور بضمِّ القاف وتاء الخطاب، قال الزمخشريُّ: «خالق» نَصْباً على الاختصاص.

---

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٥٦٦، وينظر تفسير القرطبي ١٨/ ٣٧٦-٣٧٧، والقراءة في السبعة ص٥٧٢، والتيسير ص ١٩٢، والنشر ٢/ ٢٥٢.

(٢) عند تفسير الآية (٦٧) منها.

(٣) الكشاف ٣/ ٤٣٤.

(٤) المصدر السابق دون عزو.

(٥) المحرر الوجيز ٤/ ٥٦٦، والكشاف ٣/ ٤٣٤.

«كذلِك» أي: مِثْل ذلك الصَّرْف، صَرَفَ اللهُ قلوبَ الجاحدين بآياتِ الله مِن الأُمم عن طريقِ الهدى.

ولمَّا ذَكَر تعالى ما امتنَّ به مِن الليل والنهار، ذَكَر أيضاً ما امتنَّ به مِن جَعْلِ الأرض مُستَقرًّا، «والسماءَ بناءً» أي: قُبَّةً، ومنه: أَبنية العربِ لمَضارِبهم؛ لأنَّ السماءَ في مَنْظَر العين كقُبَّة مَضْرُوبة على وَجْهِ الأرض.

وقرأ الجمهور: «صُوَرَكم» بضمِّ الصَّاد، والأعمش وأبو رزين: بكسرها[(١)]؛ فراراً مِن الضَّمَّة قَبْلَ الواوِ استثقالاً، وجَمْعُ فُعْلَة ـ بضمِّ الفاء ـ على فِعَل ـ بكسرها ـ شاذٌّ، وقالوا: قوَّة وقِوًى بكسر القاف على الشُّذُوذ أيضاً[(٢)].

قيل: لم يَخلُق حيواناً أحسنَ صورةً مِن الإنسان، وقيل: لم يَخلقهم منكوسينَ كالبهائم، كقوله: ﴿فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ﴾ [التين: ٤].

وقرأت فرقة: «صُوْرَكم» بضمِّ الصاد وإسكان الواو، على نحو: بُسْرَةٍ وبُسْرٍ[(٣)].

«ورَزَقكم مِن الطَّيِّبات» امتنَّ عليهم بما يَقُوم بأَوْدِ صورِهم، و«الطيبات»: المُستلذَّات طعماً ولباساً ومكاسب، وقال ابنُ عباس: مَن قال: لا إلَهَ إلَّا الله، فليقل على إثْرها: الحمد لله ربِّ العالمين، وقال نحوَه سعيد بنُ جبير، ثمَّ قَرَأَ الآية[(٤)].

❁ ❁ ❁

(١) إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٤٠-٤١، وتفسير الثعلبي ٥/ ٣٥٤، والمحرر الوجيز ٤/ ٥٦٧، والقراءات الشاذة ص ١٣٢ عن أبي رزين، وتفسير القرطبي ١٨/ ٣٧٧ عنه وعن الأشهب العقيلي أيضاً.

(٢) ينظر إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٤٠-٤١، وكتاب سيبويه ٣/ ٣٩٦-٣٩٧، وتفسير القرطبي ١٨/ ٣٧٧-٣٧٨.

(٣) المحرر الوجيز ٤/ ٥٦٧.

(٤) المحرر الوجيز ٤/ ٥٦٧، وأثَر ابنِ عباس في تفسير الثعلبي ٥/ ٣٥٤ بإسناده إليه من طريق الطبريِّ، وهو عنده في تفسيره ٢٠/ ٣٥٧-٣٥٨، وأخرجه أيضاً الحاكم ٢/ ٤٣٨، والبيهقي في الأسماء والصفات (١٩٤)، وأثَر ابن جبير عند الطبريّ ٢٠/ ٣٥٨.

﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِيَ الْبَيِّنَاتُ مِن رَّبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٦﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا ۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ ۖ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ ۖ فَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ ﴿٦٩﴾ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِن دُونِ اللَّهِ ۖ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُو مِن قَبْلُ شَيْئًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ ﴿٧٤﴾ ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾﴾.

أَمَرَ اللهُ تعالى نبيَّه عليه السلام أنْ يُخبِرَهم بأنَّه نُهِيَ أنْ يَعبُدَ أصنامَهم لمَّا جاءَته البيناتُ مِن ربِّه، فهذا نَهْيٌ بالسَّمْع وإن كان منهيًّا بدلائل العقل، فتضافرت أدلَّةُ السمع وأدلَّةُ العقل على النَّهْي عن عبادة الأوثان؛ فمِن أدلَّة السَّمْع قولُه تعالى: ﴿أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ * وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الصافات: ٩٥-٩٦] إلى غير ذلك، وذِكْره أنَّه نُهِيَ بالسَّمْع لا يدلُّ على أنَّه كان منهيًّا بأدلَّة العقل، ولمَّا نُهِيَ عن عبادة الأوثان أخبرَ أنَّه أُمِرَ بالاستسلام لله تعالى، ثم بيَّنَ أمْرَ الوحدانيَّة والألوهيَّة - التي أصنامهم عاريةٌ عن شيءٍ منهما - بالاعتبار في تدريج ابنِ آدم؛ بأنْ ذَكَر مَبدأه الأوَّل وهو مِن تراب، ثم أشار إلى التناسل بخَلْقه مِن نطفةٍ.

الطِّفْلُ: اسمُ جنس، أو يكون المعنى: «ثم يُخرجكم» أي: كلَّ واحد منكم «طفلاً» وتقدَّم الكلام في بلوغ الأشدّ[1]، «ومِن قَبْلُ» قال مجاهد: «مِن قَبْل» أنْ يكون شيخاً. قيل: ويجوز أنْ يكون «مِن قَبْل» هذه الأحوال إذا خرج سِقْطاً[2]، وقيل: عبارة تَتَرَدَّد في التدريج المذكور، ولا يختصُّ بما قَبْلَ الشيخ، بل منهم مَن يموت قَبْل[3] أنْ يَخرُج طفلاً، وآخَرُ قَبْلَ الأشدّ، وآخَرُ قَبْلَ الشيخ.

---

(١) عند تفسير الآية (١٥٢) من سورة الأنعام، وينظر المحرر الوجيز ٤/٥٦٨.

(٢) تفسير القرطبي ١٨/ ٣٨٠.

(٣) هنا نهاية السقط في (د٣)، والذي ابتدأ أثناء تفسير الآية (٥٩) من سورة الزمر.

«ولتبلغوا» متعلّق بمحذوف أي: ثمَّ يُبقيكم «لتَبْلُغوا أشدَّكم»، وكذا: «ثم لتكُونُوا شُيوخاً»، «ولِتَبْلُغوا». أي: ويَفعل ذلكَ «لتَبْلُغوا» أي: ليَبْلُغ كلُّ واحدٍ أجلاً مسمًّى لا يتعدَّاه، قال مجاهد: يعني موت الجميع[1]، وقيل: هو يوم القيامة «ولعلَّكم تعقلون» ما في ذلك مِن العِبَر والحُجَج إذا نَظَرتم في ذلك وتدبَّرتم.

ولمَّا ذَكَر رُتَبَ الإيجاد ذَكَر أنَّه المتَّصِف بالإحياء والإماتة، وأنَّه متى تعلَّقت إرادته بإيجادِ شيءٍ أَوجده مِن غيرِ تأخُّر، وتقدَّم الكلامُ على مِثْلِ هذه الجمل، ثم قال بَعْدَ ظُهور هذه الآيات: أَلَا تَعْجَب إلى المُجادِل في آياتِ الله كيف يُصرَف عن الجِدال فيها ويَصير إلى الإيمان بها.

والظاهر أنَّها في الكفَّار المجادلين في رسالة الرَّسول عليه السلام والكتاب الذي جاءَ به؛ بدليل قوله: «الذين كذَّبوا بالكتاب وبما أَرْسَلْنا به رُسُلَنا» ثمَّ هَدَّدهم بقوله: «فسوف يعلمون» وهذا قول الجمهور[2].

وقال محمد بنُ سِيْرِين وغيرُه: هي إشارةٌ إلى أهل الأهواء مِن الأمَّة، ورَوَوْا في نحوِ هذا حديثاً، وقالوا: هي في أَهْلِ القَدَر ومَن جرى مجراهم، ويَلزمُ قائلي هذه المقالة أنْ يجعلوا قولَه «الذين كذَّبوا» كلاماً مستأنفاً في الكفَّار، ويكون «الذين كذَّبوا» مبتدأً، وخبره «فسوف يعلمون»[3].

---

(١) المصدر السابق.

(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٥٦٨-٥٦٩، وما بعده منه أيضاً.

(٣) المصدر السابق، وقول ابنِ سيرين أخرجه الطبريُّ ٢٠/ ٣٦٠-٣٦١، وأخرجه أيضاً من طريقه الثعلبيُّ في تفسيره ٥/ ٣٥٥، وأورده البغوي ٤/ ١٠٥، والقرطبيُّ ١٨/ ٣٨١.
وأمَّا الحديث فهو ما رواه عقبةُ بنُ عامر الجُهَنيّ أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «سَيَهْلك من أمَّتي أهلُ الكتاب وأهلُ اللَّبَن»، فقال عقبة: يا رسول الله، وما أهل الكتاب؟ قال: «قومٌ يتعلَّمون كتابَ الله يُجادلون الذين آمنوا»، فقال عقبة: يا رسول الله، وما أهل اللَّبَن؟ قال: «قومٌ يتَّبعون الشهواتِ، ويُضَيّعون الصلواتِ».
قال أبو قَبِيل ـ وهو حيّ بن هانئ بن ناضر المعافري من رجال سند الحديث والراوي عن عقبة ـ: لا أحسب المكذِّبين بالقَدَر إلا الذين يُجادلون الذين آمنوا، وأمَّا أهل اللَّبَن فلا أحسبهم إلا أهل العمود، ليس عليهم إمامُ جماعة، ولا يعرفون شهر رمضان.
والخبر عند أحمد (١٧٣١٨)، والفسوي في المعرفة والتاريخ ٢/ ٥٠٧، والطبريّ ٢٠/ ٣٦٠-٣٦١ ـ ومن طريقه الثعلبيُّ ٥/ ٣٥٥ ـ والطبرانيُّ في الكبير ١٧/ (٨١٥)، وابنُ عبد البَرّ في

وأمَّا على الظاهر «فالذين» بَدَلٌ من «الذين»، أو خبرُ مبتدإٍ محذوف، أو منصوباً على الذَّمِّ، و«إذ» ظرفٌ لِمَا مَضَى، فلا يَعمل فيه المستقبل، كما لا تقول: سَأَقومُ أمسِ، فقيل: «إذا» يقع موقع «إذ» و«إذ» موقعها على سبيل المجاز، فيكون «إذ» هنا بمعنى «إذا»، وحسَّن ذلك تيقُّن وقوعِ الأَمْرِ، فأُخرِج في صيغة الماضي وإن كان المعنى على الاستقبال.

قال النخعيُّ[1]: لو أنَّ غُلًّا مِن أَغلال جهنَّم وضع على جبل لأرحضه[2] حتى يَبلُغَ الماء الأسود.

وقرأ الجمهور: «والسَّلاسِلُ» عطفاً على «الأغلال»، «يُسحَبُون» مبنيًّا للمفعول، وقرأ ابنُ مسعود وابنُ عباس وزيد بنُ عليّ وابنُ وثَّاب والمُسَيَّبي - في اختياره - «والسلاسل» بالنَّصْب على المفعول «يَسحَبُون» مبنيًّا للفاعل[3]، وهو عطف جملة فعليَّة على جملة اسميَّة.

وقرأت فرقة منهم ابنُ عباس: «والسَّلاسِل» بجرِّ اللام، قال ابنُ عطيَّة: على تقديرِ إذ أعناقهم في الأغلالِ والسَّلاسِلِ، فعطف على المراد مِن الكلام لا على ترتيب اللفظ، إذ ترتيبه فيه قَلْبٌ، وهو على حدِّ قولِ العرب: أدخلتُ القَلَنْسُوةَ في رأسي، وفي مصحف أُبَيّ: «وفي السَّلاسِلِ يُسحَبُون»[4].

= جامع بيان العلم (٢٣٥٩).
وأورد القرطبيُّ - نقلاً عن المهدوي - عن عقبة بن عامر أيضاً أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «نزلت هذه الآيةُ في القَدَريَّة» ولم نقف عليه.

(١) كذا في النسخ، والخبر في تفسير عبد الرزاق ٢/ ١٨٣ عن التيمي - سليمان - وكذا نقله عنه الثعلبيُّ ٥/ ٣٥٥-٣٥٦، وأورده القرطبيُّ ٢٠/ ٣٨١، فلعلَّه تصحَّف - أو: تحرَّف - إلى النخعيّ.

(٢) كذا في النُّسخ، والذي في المصادر السابقة: لوَهَصه. والوَهْص: الرمي الشديد. النهاية (وهص).

(٣) ينظر تفسير الثعلبي ٥/ ٣٥٦، والمحرر الوجيز ٤/ ٥٦٩، وزاد المسير ٧/ ٢٣٦، وتفسير القرطبي ١٨/ ٣٨١، وإعراب القرآن للنحاس ٤/ ٤٢، والقراءة في القراءات الشاذة ص١٣٣، والمحتسب ٢/ ٢٤٤، عن ابنِ عباس وابنِ مسعود ويحيى بنِ وثاب.

(٤) المحرر الوجيز ٤/ ٥٦٩، وقراءة ابنِ عباس في الكشاف ٣/ ٤٣٦، وينظر إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٤٢، ومعاني القرآن للفراء ٣/ ١١، وللزجاج ٤/ ٣٧٨، وإيضاح الوقف والابتداء =

وقال الزمخشريُّ: ووجهه أنَّه لو قيل: إذ أعناقهم في الأغلال، مكان قوله: «إذِ الاغلالُ في أعناقهم» لكان صحيحاً مستقيماً، فلمَّا كانتا عبارتَين معتقبتَين[1] حُمل قوله: «والسَّلاسل» على العبارة الأخرى، ونظيره:

مَشَائِيمُ ليسوا مُصْلِحينَ عشيرةً ولا ناعبٍ إلَّا بِبَيْنٍ غُرابُها[2]

كأنَّه قيل: بمصلحين، وقُرئَ: «وبالسَّلاسِلِ»[3]. انتهى، وهذا يُسمَّى العطف على التوهُّم، ولكن توهُّم إدخال حرف الجرِّ على: مصلحين، أقرب مِن تغييرِ تركيبِ الجملة بأَسْرِها، والقراءة مِن تغييرِ تركيبِ الجملة السابقة بأَسْرِها، ونظيرُ ذلك قولُ الشاعر:

أَجِدَّكَ لَنْ تَرَى بِثُعَيْلِباتٍ ولا بيداءَ ناجيةً ذَمُولا
ولا مُتَدارِكٍ واللَّيْلُ طِفْلٌ ببعضِ نواشِغِ الوادي حَمُولا[4]

التقدير: لست بِرَاءٍ ولا مُتَدارِكٍ، وهذا الذي قاله ابنُ عطيَّة والزمخشريُّ سَبَقَهما إليه الفرَّاءُ، قال: مَن جَرَّ «السلاسل» حَمَله على المعنى؛ لأنَّ المعنى: أعناقُهم في الأغلالِ والسَّلاسِلِ.

وقال الزجَّاج: ومَن قَرَأَ بخفضِ «والسلاسل»، فالمعنى عنده: وفي «السَّلاسِلِ يُسحَبون».

وقال ابنُ الأنباريّ: والخفض على هذا المعنى غيرُ جائز، لو قلت: زيدٌ في الدار، لم يَحسُن أَنْ تُضمِر «في» فتقول: زيدٌ الدارِ. ثم ذَكَر تأويلَ الفرَّاء وخرَّج القراءة عليه، ثمَّ قال: كما تقول: خاصَمَ عبدُ اللهِ زيداً العاقِلَيْن، بنصب: العَاقِلَين ورَفْعه؛ لأنَّ أحدَهما إذا خاصَمَه صاحبُه فقد خاصَمَهُ الآخَرُ[5]. انتهى.

= لابن الأنباري ٢/ ٨٧٣-٨٧٤، وأمَّا القراءة في مصحف أُبَيّ فلم نقف عليها، وأورد الزمخشريُّ في الكشاف ٣/ ٤٣٦ أنَّه قُرِئَ: «وبالسلاسل يُسحَبون»، وستأتي قريباً.

(١) في (ت): متعقبتين. وكذا في الكشاف ٣/ ٤٣٦.

(٢) الكشاف ٣/ ٤٣٦، والبيت سلف عند تفسير الآية (٧١) من سورة هود.

(٣) المصدر السابق، ولم نقف على القراءة عند غيره.

(٤) البيتان للمُرَّار الفقعسي، وسلفا عند تفسير الآية (٢٥٩) من سورة البقرة.

(٥) تفسير القرطبي ١٨/ ٣٨١-٣٨٢، وسلفت الإحالة على المصادر المذكورة آنفاً قريباً.

وهذه المسألة لا تَجوز عند البَصْرِيِّين، وهي منقولٌ جوازُها عن محمد بنِ سعدان الكوفيِّ، قال: لأنَّ كلَّ واحدٍ منهما فاعلٌ مفعولٌ.

وقُرئَ: «والسَّلاسِلِ يُسحَبون»، ولعلَّ هذه القراءة حَملت الزجَّاجَ على أنْ تأوَّل الخفضَ على إضمارِ حرفِ الجَرّ، وهو تأويل شُذوذ.

وقال ابنُ عباس في قراءةِ مَن نَصَبَ «والسَّلاسِلَ» وفتح ياء «يَسحبون»: إذا كانوا يَجُرُّونها فهو أشدّ عليهم، يُكلَّفون ذلك وهم لا يُطِيقون[١].

وقال مجاهد: «يُسْجَرون»: يُطْرَحون فيها، فيكونون وَقوداً لها، وقال السُّدِّيُّ: «يُسْجَرون»: يُحرَقون[٢].

ثمَّ أخبر تعالى أنَّهم يُوقَفونَ يومَ القيامة على جهة التوبيخ والتقريع، فيقال لهم: أينَ الأصنامُ التي كنتم تَعبدون في الدُّنيا؟ فيقولون: «ضَلُّوا عنَّا» أي: تَلِفوا منَّا وغَابوا واضْمَحَلُّوا، ثم تَضْطَرب أقوالهم ويَفزعون إلى الكَذِب، فيقولون: «بل لم نَكُن نَعبُد شيئاً، وهذا مِن أشدِّ الاختلاط في الذِّهن والنَّظر، ولمَّا تبيَّن لهم أنَّهم لم يَكونوا شيئاً، وما كانوا يَعبدون بعبادتهم شيئاً، كما تقول: حسبتُ أنَّ فلاناً شيءٌ، فإذا هو ليس بشيء، إذا اختبرتَه فلم تَرَ عنده خيراً.

وقولهم: «ضَلُّوا عنَّا» مع قوله: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء:٩٨] يحتمل أنْ يكون ذلك عند تَقْريعهم، فلم يكونوا معهم إذ ذاك، أو لمَّا لم يَنفعوهم، «قالوا ضلُّوا عنَّا» وإن كانوا معهم.

«كذلك» أي: مِثْلِ هذه الصفة وبهذا الترتيب «يُضِلُّ اللهُ الكافرين»، وقال الزمخشريُّ: أي: مِثْلِ ضلالِ آلهتِهم عنهم يُضِلُّهم عن آلهتهم، حتى لو طَلَبوا الآلهة، أو طَلَبتهم الآلهةُ، لم يَتصادقوا، «ذلكم» الإضلال بسبب ما كان لكم مِن الفَرَح والمَرَح «بغيرِ الحقِّ» وهو الشِّرْك وعبادة الأوثان[٣].

وقال ابنُ عطيَّة: «ذَلكم» العذاب الذي أنتم فيه «بما كنتم تَفرحون» في

(١) تفسير الثعلبي ٥/ ٣٥٦، وزاد المسير ٧/ ٢٣٦، وتفسير القرطبي ١٨/ ٣٨١.
(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٥٦٩، وتنظر المصادر الآنفة الذكر، والأثران عند الطبري ٢٠/ ٣٦٤.
(٣) الكشاف ٣/ ٤٣٧.

الدنيا بالمعاصي والكُفر[١]. انتهى، و«تمرحون» قال ابنُ عباس: الفَخْر والخُيَلاء، وقال مجاهد: الأَشَرُ والبَطَر[٢]. انتهى. يقال لهم ذلك توبيخاً، أي: إنَّما نَالَكُم هذا؛ بما كُنتم تُظهِرون في الدُّنيا مِن السُّرور بالمعاصي وكثرةِ المال والأَتْباع والصِّحَّة. وقال الضَّحَّاك: الفَرَح: السُّرور، والمَرَح: العدوان، وفي الحديث: «إنَّ اللهَ يُبغِض البَذِخِين الفَرِحِين، ويُحِبُّ كلَّ قلبٍ حزين»[٣].

و«تَفرحون» و«تَمرحون» من باب تجنيسِ التحريفِ المذكور في عِلْم البَدِيع، وهو أنْ يكونَ الحرفُ فَرْقاً بين الكَلِمَتين.

«ادخلوا أبوابَ جهنَّم خالدينَ فيها» الظاهر أنَّه قيل لهم: «ادخلوا» بَعْدَ المحاورة السابقة، وهم قد كانوا في النَّار، ولكن هذا أَمْرٌ مُقيَّد بالخُلود، وهو الثَّوَاء[٤] الذي لا يَنقطع، فليس أَمْراً بمُطلَق الدُّخول، أو بَعْدَ الدخول فيها أُمروا أَنْ يَدخُلوا سبعةَ الأبواب التي لكلِّ بابٍ منها جزءٌ مَقْسُوم مِن الكفار، فكان ذلك أَمْراً بالدُّخول يُقَيِّد التجزئة لكلِّ باب.

وقال ابنُ عطيَّة: وقوله تعالى: «ادْخُلوا» معناه: يُقال لهم قَبْلَ هذه المُحاورَة في أوَّل الأَمْرِ: «ادْخُلوا» لأنَّ هذه المخاطبة إنَّما هي بَعْدَ دخولِهم وفي الوقت الذي فيه

---

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٥٦٩، وما بعده منه أيضاً.

(٢) المصدر السابق، والأثران عند الطبريّ ٢٠/ ٣٦٦، وينظر تفسير القرطبي ١٨/ ٣٨٣.

(٣) تفسير القرطبي ١٨/ ٣٨٣ نقلاً عن النكت والعيون ٥/ ١٦٥، وتمام الحديثِ عندهما: «...ويُبغض أهل بيت لحِمين، ويُبغض كلَّ حبْرٍ سمين»، ولم نقف على الحديث بهذه الرواية مجموعاً، بل أخرج طَرَفه الأوَّل الديلمي في مسند الفردوس كما في فيض القدير ٢/ ٢٨٤ من حديث معاذ بن جبل ﷺ، وفي إسناده ـ كما ذكر المناوي ـ إسماعيل بن أبي زياد الشامي، قال عنه الدارقطني: متروك يضع الحديث.
وأمَّا جزؤه الثاني فهو عند البزار (٣٦٢٤ ـ كشف الأستار)، والطبراني في مسند الشاميين (١٤٨٠)، وابن عدي في الكامل ٢/ ٤٧١، والحاكم ٤/ ٣١٥، والبيهقي في شعب الإيمان (٨٩٢) و(٨٩٣) من طريق ضمرة بن حبيب، عن أبي الدرداء مرفوعاً، وهذا إسناد منقطع؛ لأنَّ ضمرة لم يَلقَ أبا الدرداء.
وأمَّا تمام الحديث الذي أشرنا إليه آنفاً، فهو عند البيهقي في شعب الإيمان (٥٦٦٨) عن كعبٍ قوله.

(٤) ثَوَى بالمكان يَثوي ثَوَاءً وثُوِيًّا: أقامَ به. مختار الصحاح (ثوي).

الأغلالُ في أعناقهم، و«أبواب جهنَّم» هي السَّبْعَة المُؤدِّية إلى طَبَقاتها وأَدْرَاكها السَّبعة[١]. انتهى.

و«خالدين» حال مُقدرَّة، ودلَّت على الثَّواء الدائم، فجاء التركيب: «فبِئْسَ مَثْوى المُتكبِّرين» ولم يَجِئ التركيبُ: فبِئْسَ مدخلُ المتكبِّرين؛ لأنَّ نَفْسَ الدُّخول لا يَدوم، فلم يبالغ في ذَمِّه، بخلاف الثَّواء الدائم الذي لا يَنقطع، فإنَّه بُولِغَ في ذمِّه.

❁ ❁ ❁

﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ
﴿٧٧﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ
وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِىَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ فَإِذَا جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ قُضِىَ بِٱلْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ
ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمَ لِتَرْكَبُوا۟ مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَكُمْ
فِيهَا مَنَٰفِعُ وَلِتَبْلُغُوا۟ عَلَيْهَا حَاجَةً فِى صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾ وَيُرِيكُمْ
ءَايَٰتِهِۦ فَأَىَّ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُنكِرُونَ ﴿٨١﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ
ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوٓا۟ أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟
يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرِحُوا۟ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا
كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ
مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ وَخَسِرَ
هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾.

أَمَرَ تعالى نبيَّه بالصبر تأنيساً له، وإلَّا فهو عليه السلام في غاية الصَّبْر، وأخبرَ بأنَّ ما وَعَده به مِن النَّصْر والظَّفَر وإعلاءِ كلمته وإظهارِ دينه حَقٌّ.

قيل: وجواب «فإمَّا نُرِيَنَّكَ» محذوفٌ؛ لدلالة المعنى عليه، أي: فتَقَرّ عينُك، ولا يصحّ أن يكون: «فإلينا يُرجَعون» جواباً للمعطوف عليه والمعطوف؛ لأنَّ تركيب «فإمَّا نُرِيَنَّكَ بعضَ» الموعودِ في حياتك «فإلينا يُرجَعون» ليس بظاهر، وهو يصحُّ أَنْ يكون جوابَ «أو نَتَوفَّيَنَّكَ» أي: «فإلينا يرجعون» فنَنْتَقِم منهم ونُعذِّبهم؛ لكونهم لم

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٥٧٠.

يَتَّبعوك، ونظيرُ هذه الآية قوله: ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ﴿٤١﴾ أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِى وَعَدْنَٰهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ﴾ [الزخرف: ٤١-٤٢] إلَّا أنَّه هنا صَرَّح بجوابِ الشَّرْطَين.

وقال الزمخشريُّ: «فإلينا يُرجَعون» متعلِّق بقوله: «نَتَوفَّينَّك»، وجزاء «نُرِيَنَّكَ» محذوف، تقديره: «فإمَّا نُرِيَنَّكَ بعضَ الذي نَعِدُهم» مِن العذاب ـ وهو القَتْل يومَ بدر ـ فذَاكَ، «أو» إنْ «نَتوفَّينَّك» قَبْلَ يومِ بدر «فإلينا يُرجَعون» يومَ القيامة، فنَنْتَقم منهم أشَدَّ الانتقام[(١)].

وقد تقدَّم للزمخشريِّ نحو هذا البحث في سورة «يونس» في قوله: ﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ﴾ [الآية: ٤٦] وَرَدَدْنا عليه فيُطالَع هناك.

وقال الزمخشريُّ أيضاً: «فإمَّا نُرِيَنَّكَ» أصله: فإنْ نُرِكَ، و«مَا» مَزِيْدَة؛ لتأكيد معنى الشَّرْط، ولذلك أُلحقت النونُ بالفعل، ألَا تَرَاكَ لا تقول: إنْ تُكْرِمْني أُكْرِمْك، ولكن: إمَّا تُكرِمَني أُكْرِمْك[(٢)]. انتهى.

وما ذهبَ إليه مِن تَلازُم «ما» الزائدة ونونِ التوكيد بَعْدَ «إن» الشَّرطيَّة، هو مذهب المبرِّد والزجَّاج، وذهب سيبويه إلى أنَّك إنْ شئتَ أتيتَ بـ «ما» دونَ النون، وإنْ شئتَ أتيتَ بالنون دون «ما»، قال سيبويه في هذه المسألة: وإنْ شئتَ لم تُقْحِم النون، كما أنَّكَ إنْ شئتَ لم تَجئ بـ «ما»[(٣)]. يعني: لم تُقحِم النون مع مَجيْئك بـ «ما»، ولم تجئ بـ «ما» مع مَجيئك بالنون.

وقرأ الجمهور: «يُرْجَعون» بياء الغيبة مبنيًّا للمفعول، وأبو عبد الرحمن ويعقوب: بفتح الياء، وطلحة بن مُصرّف ويعقوب في رواية الوليد بنِ حسان: بفتح تاء الخطاب[(٤)].

ثم رَدَّ تعالى على العَرَب في إنكارهم بِعْثَةَ الرُّسُلِ، وفي عَدَدِ الرُّسُلِ اختلافٌ؛

---

(١) الكشاف ٣/ ٤٣٨.

(٢) المصدر السابق ٣/ ٤٣٧.

(٣) الكتاب ٣/ ٥١٥.

(٤) المحرر الوجيز ٤/ ٥٧٠، وقراءة يعقوب في النشر ٢/ ٢٠٨، ولم نقف على القراءة الثانية عند غيره ممَّن سَبَقه، وأوردها عنه السمينُ في الدر ٩/ ٥٠٠، والآلوسيُّ في روح المعاني ٢٤/ ١١١.

رُويَ: «ثمانيةُ آلافٍ مِن بني إسرائيل، وأربعةُ آلافٍ مِن غيرهم»، ورُويَ: «بَعَثَ اللهُ أربعةَ آلافِ نبيٍّ»، «منهم مَن قَصَصْنا عليكَ» أي: مَن أخبرناكَ به؛ أمَّا في القرآن فثمانيةَ عَشَر، و«منهم مَن لم نَقْصُصْ عَلَيكَ» وعن عليٍّ وابنِ عباس: إنَّ الله بَعَثَ نبيًّا أسودَ في الحَبَش، فهو ممَّن لم يُقْصَصْ عليه(١).

«وما كان لرسولٍ أنْ يأتيَ بآيةٍ إلَّا بإذن الله» أي: ليس ذلك راجعاً إليهم، لمَّا اقترحوا على الرَّسول، قال: ليس ذلك إليَّ، لا تأتي آيةٌ إلَّا إنْ شاءَ اللهُ، «فإذا جاء أَمْرُ الله» رَدٌّ وَوَعِيْدٌ بإِثْرِ اقتراحِهم الآيات، «وأَمْرُ الله»: القيامة، و«المبطلون»: المُعانِدون مُقْتَرِحُو الآياتِ، وقد أتتهم الآياتُ، فأنكروها وسَمَّوها سِحْراً، أو: «فإذا جاءَ أَمْرُ الله» أي: أرادَ إرسالَ رسولٍ وبِعْثَة نبيٍّ، قَضَى ذلك وأنفذه «بالحقِّ وخَسِرَ» كُلُّ مُبطِلٍ وحَصَلَ على فسادِ آخِرَتِه، أو: «فإذا جاءَ أَمْرُ اللهِ» وهو القَتْل ببدرٍ.

ثم ذَكَر تعالى آياتِ اعتبارٍ وتَعْدَاد نِعَم، فقال: «اللهُ الذي جَعَلَ لكم الأنعامَ» وهي ثمانية الأزواج، ويَضْعُفُ قولُ مَن أَدرجَ فيها الخيلَ والبِغَالَ والحميرَ وغيرَ ذلك ممَّا يَنتفع به مِن البهائم(٢)، وقولُ مَن خَصَّها بالإبل، وهو الزجَّاج(٣).

---

(١) المحرر الوجيز ٤/ ٥٧٠ باختلافٍ يسير، وينظر الكشاف ٣/ ٤٣٨، ومعاني القرآن للزجاج ٤/ ٣٧٧، وسلف الكلام على عدد الأنبياء والرُّسل في سورة البقرة عند تفسير الآية (١٣٦) منها، وفي سورة النساء عند تفسير الآية (١٦٥) منها، فلينظر ثمَّة، وتنظر الآثار الواردة عند الطبري ٢٠/ ٣٦٨.
وأمَّا قوله: أمَّا في القرآن فثمانية عَشَر. يعني المذكورين في سورة الأنعام، في الآيات (٨٣) وحتى (٨٦)، فهم ثمانية عشر، وبَقِي منهم سبعةٌ آخرون مذكورون في سُورٍ متعدِّدة غيرها، وقد جمعهم بعضهم بقوله:

في تلك حُجَّتنا منهم ثمانيةٌ ... من بَعْدِ عَشْرٍ ويبقى سبعةٌ وهُمُ
إدريسُ هودٌ شعيبٌ صالح وكذا ... ذو الكفلِ آدمُ بالمختار قد خُتِموا

وعليه فالمذكورون في القرآن خمسة وعشرون. شرح جوهرة التوحيد للبيجوري مبحث الإيمان، والتحرير والتنوير ٤/ ٣٤٦.
(٢) المحرر الوجيز ٤/ ٥٧١، والقائلُ بذلك الطبريُّ كما صرَّح به ابنُ عطية، وكلامه في تفسيره ٢٠/ ٣٦٩.
(٣) تفسير القرطبي ١٨/ ٣٨٤-٣٨٥، وإعراب القرآن للنحاس ٤/ ٤٣، وكلام الزجَّاج في كتابه معاني القرآن ٤/ ٣٧٨.

«لِتَرْكَبوا منها» وهي الإبل، إذ لم يُعهَد ركوبُ غيرِها، و«منها تَأْكلون» عامٌّ في ثمانيةِ الأزواج، و«مِن» الأُولى للتبعيض، وقال ابنُ عطيَّة: و«مِن» الثانية لبيانِ الجنس؛ لأنَّ الجميعَ[1] منها يُؤكَل. انتهى.

ولا يَظهَر كونها لبيانِ الجنس، ويَجوز أنْ تكون فيها؛ للتبعيضِ ولابتداءِ الغاية.

ولمَّا كان المركوبُ منها هو أعظمَ منفعةً ـ إذ فيه منفعةُ الأَكْل والرُّكوب ـ وذَكَر أيضاً أنَّ في الجميع منافعَ؛ مِن شُرْبِ لَبَنٍ واتِّخاذ دِثَارٍ وغيرِ ذلك = أكَّدَ منفعةَ الرُّكوب بقوله: «ولِتَبْلُغوا عليها حاجَةً في صُدُوركم» مِن بُلوغِ الأسفار الطويلة، وحَمْلِ الأثقالِ إلى البلاد الشاسِعَة، وقضاءِ فريضةِ الحَجِّ والغَزْوِ، وما أشبهَ ذلك مِن المنافع الدِّينيَّة والدُّنيويَّة.

ولمَّا كان الركوبُ وبُلوغُ الحاجةِ المترتِّب عليه قد يُتوصَّل به إلى الانتقالِ لأَمْرٍ واجبٍ أو مندوبٍ، كالحَجِّ وطَلَب العِلْم، دَخَلَ حرفُ التعليل على الرُّكوب وعلى المُترتِّب عليه مِن بلوغ الحاجات، فجعل ذلك علَّة لجَعْلِ «الأنعام» لنا.

ولمَّا كان الأَكْلُ وإصابةُ المنافع مِن جنس المباحات لم يُجعَلِ ذلك علَّة في الجَعْل، بل ذكرَ أنَّ منها نأكل ولنا فيها منافعُ؛ مِن شُرْبِ لَبَنٍ واتِّخاذِ دِثارٍ وغيرِ ذلك، كما أدخل لام التعليل في «لِتَرْكبوها» ولم يُدخِلها على الزِّينة في قوله: ﴿وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً﴾ [النحل:٨]؛ ولمَّا ذَكَر تعالى ما امتنَّ به مِن مِنَّةِ الرُّكوب للإبل في البَرِّ، ذَكَر ما امتنَّ به مِن نِعْمَة الرُّكوب في البحر، فقال: «وعليها وعلى الفُلْكِ تُحمَلون» ولمَّا كان الفُلْكُ يصحُّ أنْ يُقالَ فيه: حَمْلٌ في الفُلْك، كقوله: ﴿ٱحْمِلْ فِيهَا﴾ [هود:٤٠] ويصحُّ أنْ يُقالَ فيه: حَمْلٌ على الفُلْك = اختيرَ لفظ «على»؛ لمناسبة قوله: «وعليها» وإن كان معنى «في» صحيحاً.

«ويُريكم آياتِه» أي: حُجَجَه وأدلَّته على وحدانيَّته، «فأيَّ آياتِ اللهِ تُنكِرونَ» أي: إنَّها كثيرةٌ، فأيّها يُنكَر؟! أي: لا يُمكِن إنكارُ شيءٍ منها في العقول، «فأيَّ آياتِ الله» منصوب بـ «تنكِرون».

(١) في النسخ الخطية: الحمل، وفي مطبوع البحر: الجمل. والمثبت من المحرر الوجيز ٤/ ٥٧١.

قال الزمخشريُّ: «فأيَّ آياتِ الله» جاءَت على اللغة المُستفيضة، وقولك: فأَيَّةَ آياتِ اللهِ، قليلٌ؛ لأنَّ التفرقةَ بين المُذكَّر والمُؤنَّث في الأسماء غيرِ الصفات، نحو: حِمَار وحِمَارَة، غريبٌ، وهي في «أيّ» أغربُ؛ لإبهامه[1]. انتهى.

ومِن قلَّة تأنيثِ «أيّ» قوله:

بِأيِّ كِتابٍ أم بِأيَّةِ سُنَّةٍ تَرَى حُبَّهم عاراً عَلَيَّ وتَحْسِبُ[2]

وقوله: وهي في «أيّ» أَغْرَبُ. إنْ عَنَى أيّاً على الإطلاق، فليس بصحيح؛ لأنَّ المستفيضَ في النِّداء أَنْ يُؤنَّث في نداء المؤنث، كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ﴾ [الفجر: ٢٧] ولا نَعْلَم ذَكَرَ تذكيرَها فيه ـ فيقول: يا أيُّها المرأة ـ إلَّا صاحب كتاب «البديع في النَّحْوِ»[3].

وإن عَنَى غيرَ المناداة، فكلامُه صحيح، يقلُّ تأنيثُها في الاستفهام وموصولةً وشرطيَّةً.

و«ما» في قوله: «فما أغنى» نافية أو استفهاميَّة في معنى النَّفْي، و«ما» في «ما كانوا» مصدريَّة، أو بمعنى «الذي»، وهي في موضع رفع، والضمير في «جاءتهم» عائد على «الذين مِن قَبْلِهم».

وجاء قوله: «مِن العِلْم» على جهة التهكُّم بهم، أي: في الحقيقة لا عِلْمَ لهم، وإنَّما لهم خيالات واستبعادات لِمَا جاءت به الرُّسُلُ، وكانوا يَدفعون ما جاءت به الرُّسُل بنحو قولهم: ﴿وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا﴾ [الكهف: ٣٦]، أو اعتقدوا أنَّ عندَهم عِلْماً يَستغنون به عن عِلْم الأنبياء، كما تزعم الفلاسفةُ والدَّهْرِيُّون، كانوا إذا سَمعوا بوَحْيِ اللهِ دَفَعوه وصَغَّروا عِلْمَ الأنبياء إلى عِلْمهم، ولمَّا سَمِعَ سقراط ـ لعنه الله ـ بموسى ـ صلواتُ الله على نبيِّنا وعليه ـ قيل له: لو

(١) الكشاف ٣/ ٤٣٩.

(٢) البيت للكميت بن زيد الأسدي، وهو في ديوانه ص ٥١٦، وسلف.

(٣) وهو لمحمد بن مسعود الغَزْني، قال ابنُ هشام: ابن الزَّكي، أَكْثَر أبو حيان من النَّقْل عنه، وذكره ابنُ هشام في المغني ص ٣٠١ و٧٠٨ وقال: إنه خالف فيه ـ أي: البديع في النحو ـ أقوالَ النحويين. توفي سنة (٤٢١هـ). بغية الوعاة ١/ ٢٤٥، وكشف الظنون ١/ ٢٣٦، وهدية العارفين ٢/ ٦٤، ووقع عند الأخيرين: الغزي، بدل: الغزني.

هاجرتَ إليه. فقال: نحن قومٌ مُهذَّبون فلا حاجةَ بِنَا إلى مَن يُهَذِّبنا[١].

وعلى هذَيْن القولين تكون الضمائرُ متناسبةً عائدة على مدلولٍ واحد.

وقيل: الضمير في «فرحوا» وفي «بما عندهم» عائدٌ على «الرُّسُل» أي: فَرِحت الرُّسُلُ بما أُوتوا مِن العِلْم وشَكَروا اللهَ عليه؛ لـمَّا رَأَوا جَهْلَ مَن أُرسلوا إليهم واستهزاءَهم بالحقِّ وعَلِموا سُوءَ عاقبتهم.

وقيل: الضمير في «فرحوا» عائد على الأُمم، وفي «بما عندهم» عائدٌ على الرُّسل، أي: فَرِحَ الكُفَّار بمَا عندَ الرُّسُلِ مِن العِلْم فَرَحَ ضَحِكٍ واستهزاءٍ.

وقال الزمخشريُّ: ومنها ـ أي: مِن الوُجوه التي في الآية، في قوله: «فَرِحوا بما عندهم مِن العِلْم ـ أَنْ يُوضَع قوله: «فرحوا بما عندهم من العلم» [ولا عِلْمَ عندهم البتةَ، مَوْضِعَ قولِه: لم يفرحوا بما جاءَهم مِن العلم] مبالغةً في نَفْي فَرَحهم بالوَحْي الموجب لأقصى الفَرَح والمَسَرَّة، مع تَهكُّم بفَرْط جَهْلهم وخلوِّهم مِن العِلْم[٢]. انتهى.

ولا يُعبَّر بالجملة الظاهر كونها مُثْبَتة عن الجملة المنفيَّة إلَّا في قليلٍ مِن الكلام، نحو قولهم: شَرٌّ أَهَرَّ ذا نابٍ[٣]، على خلافٍ فيه، ولمآل أَمْرِه إلى الإثبات المحصور جاز، وأمَّا في الآية فينبغي أَنْ لا يُحمَل على القليل؛ لأنَّ في ذلك تخليطاً لمعاني الجُمَل المتباينة، فلا يُوثَق بشيءٍ منها.

وقال الزمخشريُّ: ويَجوز أَنْ يُريد: «فَرِحوا بمَا عندهم مِن العِلْم» عِلْمَهم بأمورِ الدُّنيا ومَعْرِفتهم بتدبيرها، كما قال تعالى: ﴿يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ﴾ [الروم: ٧] ﴿ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ﴾ [النجم: ٣٠] فلمَّا جاءَتهم الرُّسُل بعلوم الدِّيانات ـ وهي أَبْعَدُ شيءٍ مِن عِلْمِهم؛ لبَعْثِها على رَفْضِ الدُّنيا والظَّلَف عن

---

(١) الكشاف ٣/ ٤٣٩.

(٢) المصدر السابق ومخطوطه الورقة (٢٥٩)، وما بين حاصرتين لم يَرد في النسخ، واستُدرك منه، وورد في مطبوع الكشاف: وخلوّهم من العلماء، بدل: وخلوّهم من العلم.

(٣) مَثَل يُضْرَبُ في ظهور أمارات الشَّرِّ ومخايله، ومعناه: كأنهم سمعوا هريرَ كلبٍ في وقتٍ لا يهرّ في مثله إلَّا لسوء أو شَرٍّ. مجمع الأمثال للميداني ١/ ٣٧٠، والمستقصى للزمخشري ٢/ ١٣٠.

الملاذِّ والشهوات ـ لم يَلتفتوا إليها وصَغَّروها واسْتَهزؤوا بها واعتقدوا أنَّه لا عِلْمَ أَنْفَع وأَجْلَب للفوائد مِن عِلْمهم، ففَرِحوا به[1]. انتهى. وهو توجيهٌ حَسَنٌ، لكن فيه إكثارٌ وشَقْشَقة.

«بأسنا» أي: عذابنا الشَّديد، حكى حالَ مَن آمَنَ بَعْدَ تَلبُّس العذاب به، وأنَّ ذلك لم يَكُ نافعاً، وفي ذلك حضٌّ على المبادرة إلى الإيمان، وتخويفٌ مِن التَّأنِّي؛ فأمَّا قومُ يُونُسَ فإنَّهم رَأَوا العذابَ لم يَلْتَبس بهم، وتقدَّمت قصَّتهم[2].

و«إيمانهم» مرفوعٌ بـ «يَكُ» اسماً لها[3]، أو فاعلٌ بـ «ينفعهم»، وفي «يَكُ» ضمير الشَّأن، على الخلاف الذي في: كان يَقومُ زيدٌ.

ودخل حرفُ النَّفْي على الكون لا على النَّفْي؛ لأنَّه يُؤدِّي إلى نفي الصِّحَّة، أي: لم يَصِحّ ولم يَستقم، كقوله: ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ﴾ [مريم: ٣٥].

وتَرَادُف هذه الفاءات؛ أمَّا في «فما أَغنى» فلأنَّه كان نتيجةَ قوله: «كانوا أكثر منهم»، و«فلمَّا جاءَتهم رُسُلُهم» جارٍ مجرى البيان والتفسيرِ لقوله: «فما أغنى عنهم»، و«فلمَّا رَأَوْا بَأْسَنا» تابعٌ لقوله: «فلمَّا جاءَتهم» كأنَّه قال: فكفروا به، فلمَّا رَأَوا بَأْسَنا آمَنُوا، و«لم يَكُ يَنفعهم إيمانُهم» تابعٌ لإيمانهم لمَّا رَأَوا بأسَ الله.

وانتصب «سُنَّة» على أنَّه مصدرٌ مُؤَكِّدٌ لمضمون الجملة السابقة، أي: إنَّ ما فعلَ بهم هي سُنَّةُ اللهِ التي قد مَضَت وسَبَقت في عباده؛ مِن إرسال الرُّسُل والإِعْذَار بهم، وتعذيب مَن كَذَّبهم واستئصالِهم بالهَلَاك، وعدم الانتفاع بالإيمان حالَةَ تَلبُّس العذابِ بهم.

و«هنالك» ظرفُ مكان استُعير للزَّمان، أي: وخَسِرَ في ذلك الوقت «الكافرون»، وقيل: «سُنَّة» منصوبٌ على التحذير، أي: احْذَرُوا سُنَّةَ اللهِ ـ يا أهلَ مكَّة ـ في أعداءِ الرُّسُل.

---

(١) الكشاف ٣/ ٤٤٠.
(٢) في سورة يونس، عند تفسير الآية (٩٨).
(٣) بعدها في (ز٢): إن كانت ناقصة.

مفردات سورة فصلت

الصَّرْصَر: الرِّيْح البَارِدة المُحْرِقة، كما تُحرِق النَّارُ، قاله الفَرَّاء والزَّجَّاج[1]، وتأتي أقوالُ المُفسِّرين فيه.

النَّحِس: المَشْؤُوم، نقيضُ السَّعد، قال:

سَوَاءٌ عليهِ أيَّ حينٍ أتَيْتَهُ أساعَةَ نَحْسٍ تُتَّقى أمْ بأسْعُدِ[2]

وأنشد الفَرَّاءُ:

أبْلِغ جُذاماً ولَخْماً أنَّ إخوتَهم طَيًّا وبَهْرَاءَ قومٌ نَصْرُهم نَحِسُ[3]

التَّقْيِيض: تَهيئة الشيءِ وتيسيرُه، وهَذانِ ثوبانِ قَيْضَان: إذا كانا مُتَكافِئين في الثَّمَن، وقَايِضْنِي بهذا الثوب، أي: خُذْهُ وأَعْطِني به بَدَلَهُ، والمُقَايَضَة: المُعَاوَضَة.

الأكمام: واحِدُها: كِمّ، قال الزمخشريُّ: بكسرِ الكاف[4]، وقال المُبرِّد: هو ما يُغَطِّي الثمرةَ، كجُفِّ الطَّلْعَة، ومَن قال في الجَمْعِ: أَكِمَّة، فالواحِد: كِمَام[5].

الآفَاق: النَّواحِي، واحدها: أُفُق، قال الشاعر:

لو نالَ حَيٌّ مِن الدنيا بمنزلةٍ أُفقَ السماءِ لنَالَت كَفُّهُ الأُفُقا[6]

---

(١) معاني القرآن للفراء ٣/ ١٣، ومعاني القرآن للزجاج ٤/ ٣٨٢-٣٨٣ بنحوه.

(٢) القائل زهير، والبيت في شرح ديوانه ص ٢٣٢، والمعنى: ليس يتشاءم بشيء إن أتيته بنَحْس أو بسَعْد.

(٣) معاني القرآن للفراء ٣/ ١٤، والبيت في الحُجَّة لابن خالويه ص ٣١٧، والصحاح واللسان (نحس)، ولم نقف عليه عند غيرهم، ونَقَله عن الصحاح القرطبيُّ ١٨/ ٤٠٣، وعن الفَرَّاءِ الطبريُّ ٢٠/ ٤٠١، وعنه ابنُ عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٩.

(٤) الكشاف ٣/ ٤٥٦.

(٥) إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٦٦.

(٦) القائل زهير، والبيت في شرح ديوانه ص ٥٥.

﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ كِتَٰبٌ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوۡمٍ يَعۡلَمُونَ ۝٣ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعۡرَضَ أَكۡثَرُهُمۡ فَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ۝٤ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقۡرٌ وَمِنۢ بَيۡنِنَا وَبَيۡنِكَ حِجَابٌ فَٱعۡمَلۡ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ۝٥ قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسۡتَقِيمُوٓاْ إِلَيۡهِ وَٱسۡتَغۡفِرُوهُۗ وَوَيۡلٌ لِّلۡمُشۡرِكِينَ ۝٦ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ۝٧ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونٍ ۝٨ ۞ قُلۡ أَئِنَّكُمۡ لَتَكۡفُرُونَ بِٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ فِي يَوۡمَيۡنِ وَتَجۡعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٩ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ مِن فَوۡقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقۡوَٰتَهَا فِيٓ أَرۡبَعَةِ أَيَّامٖ سَوَآءٗ لِّلسَّآئِلِينَ ۝١٠ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٞ فَقَالَ لَهَا وَلِلۡأَرۡضِ ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ ۝١١ فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖ فِي يَوۡمَيۡنِ وَأَوۡحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمۡرَهَاۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفۡظٗاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ۝١٢﴾.

التفسير

هذه السورة مكِّيَّة بلا خلافٍ، ومناسبتها لِمَا قَبْلَها؛ أَنَّه قال في آخِرِ ما قَبْلَها: «أَفَلَم يَسيروا في الأرض» إلى آخِرِها، فتضمَّن وعيداً وتهديداً وتقريعاً لقريش، فأتبعَ ذلك التقريع والتوبيخ والتهديد بتوبيخٍ آخر، فذكر أَنَّه نَزَّلَ كتاباً مُفصّلاً آياته، بشيراً لمن اتَّبعه، ونذيراً لمَن أعرض عنه، وأنَّ أكثرَ قريشٍ أعرضوا عنه، ثم ذَكَر قُدرةَ الإله على إيجاد العالَم العلويِّ والسُّفْليِّ، ثم قال: «فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقةً» فكان هذا كلّه مناسباً لآخِرِ سورة «المؤمن» مِن عدم انتفاع مكذِّبي الرُّسُل حين التبسَ بهم العذاب، وكذلك قريش حَلَّ بصناديدِها مِن القتْل والأَسْر والنَّهْب والسَّبْي واستئصالِ أعداءِ رسولِ الله ﷺ ما حلَّ بعَادٍ وثمود مِن استئصالهم.

رُوِيَ أنَّ عتبةَ بنَ ربيعة ذهب إلى رسولِ الله ﷺ ليُعظِّم عليه أَمْرَ مخالفته لقومِه، وليُقَبِّح عليه[١] فيما بينه وبينه، وليُبْعِد ما جاء به، فلمَّا تكلَّم عتبةُ، قَرأَ رسولُ الله ﷺ: ﴿حمٓ﴾ ومَرَّ في صُدُورها حتى انتهى إلى قوله: «فإن أعرضوا فقُل أنذَرْتُكم صاعقةً مِثْلَ صاعقةِ عادٍ وثمود» فأَرْعَدَ الشيخُ، وَقَفَّ شَعَرُه[٢]، وأمسك على فَم رسولِ الله ﷺ بيده، وناشَدَه بالرَّحْمَن أَنْ يُمسِك، وقال حين فارَقَهُ: واللهِ لقد

(١) في المحرر الوجيز ٥/ ٣ والكلام منه: وليحتجّ عليه.
(٢) أي: قام من الفَزَع. مختار الصحاح (قفف).

سمعتُ شيئاً ما هو بالشِّعْر ولا بالسِّحْر ولا بالكَهَانة، ولقد ظَننتُ أنَّ صاعقةَ العذاب على رأسي(١).

«تنزيل» رفع على أنَّه خبرٌ مبتدإٍ محذوف، أي: هذا تنزيل، عند الفرَّاء، ومبتدأٌ خبرُه «كتابٌ فُصِّلَت»، عند الزجَّاج(٢) والحَوفيِّ، وخبر ﴿حمٓ﴾ إذا كانت اسماً للسورة، و«كتاب» على غير قولِ الزجَّاج بَدَلٌ مِن «تنزيل»، قيل: أو خبرٌ بَعْدَ خبرٍ(٣).

«فُصِّلت آياته» قال السُّدِّيُّ: بُيِّنَت آياته، أي: فُسِّرت معانيه، ففصلَ بين حرامِه وحلالِه، وزَجْره وأَمْرِه، ووَعْدِه ووَعِيْدِه، وقيل: «فُصِّلت» في التنزيل، أي: لم تَنْزِل جملةً واحدةً، وقال الحسن: بالوعد والوعيد، وقال سفيان: بالثواب والعقاب، وقال ابنُ زيد: بين محمَّد ﷺ ومَن خالَفَه، وقيل: «فُصِّلَت» بالمواقف وأنواعِ أواخِرِ الآي، ولم يكن يرجع إلى قافية ولا نحوها كالشِّعْر والسَّجْع(٤).

وقال أبو عبد الله الرازيُّ: مُيِّزت آياته، وجُعِلَ تفاصيلَ في معانٍ مختلفة؛ فبعضها في وَصْفِ ذاتِ الله تعالى وشَرْحِ صفاتِ التَّنْزيه والتَّقْديس وشَرْح كمال عِلْمه

(١) الخبر عند ابن هشام في السيرة النبوية ١/ ٢٩٣-٢٩٤ من طريق ابن إسحاق، عن يزيد بن زياد، عن محمد بن كعب القرظي عمَّن حدثه، وأخرجه من هذا الطريق البيهقيُّ في دلائل النبوة ٢/ ٢٠٤-٢٠٥، وأورده أيضاً القرطبيُّ ١٨/ ٣٩١ وعزاه لأبي بكر الأنباري في كتابه «الرَّدّ».
وأورده أيضاً القرطبيُّ ١٨/ ٣٩٠ من طريق الزَّيَّال بن حرملة، عن جابر بن عبد الله، وهو عند ابنِ أبي شيبة (٣٧٧١٥)، وعبد بن حُميد في المنتخب من مسنده (١١٢٣)، وأبي يعلى (١٨١٢) و(١٨١٨)، وأبي نعيم في الدلائل (١٨٢)، والبيهقي في الدلائل أيضاً ٢/ ٢٠٢-٢٠٤. وفي إسناده: الأجلح بن عبد الله الكندي، قال ابنُ كثير في تفسيره ٧/ ١٦٢: وقد ضُعِّف بعض الشيء.
(٢) الكشاف ٣/ ٤٤١، وتفسير القرطبي ١٨/ ٣٨٨، وكلام الزجاج في كتابه معاني القرآن ٤/ ٣٧٩، ولم نقف على قول الفراء في كتابه معاني القرآن، وأورده عنه النحاسُ في إعراب القرآن ٤/ ٤٧، والزجَّاج في كتابه معاني القرآن ٤/ ٣٧٩.
(٣) الإملاء ٢/ ٢٢٠.
(٤) ينظر النكت والعيون ٥/ ١٦٧-١٦٨، والمحرر الوجيز ٥/ ٣، وقول السديّ عند الطبريّ ٢٠/ ٣٧٥.

وقُدْرته ورحمته وحكمته، وعجائبِ أحوالِ خِلْقَة السماوات والكواكب، وتعاقُب اللَّيل والنَّهار، وعجائب أحوالِ النَّبات والحيوان والإنسان، وبعضها في أحوالِ التكاليف المتوجِّهة نحو القَلْب ونحو الجوارح، وبعضها في الوَعْد والوَعِيد، والثوابِ والعقاب، ودَرَجات أهلِ الجنة ودَرَكات أهلِ النَّار، وبعضها في المواعظ والنَّصائح، وبعضها في تهذيب الأخلاق ورياضةِ النَّفْس، وبعضها في قصصِ الأوَّلين وتَواريخ الماضين، وبالجملة فمَن أنْصَفَ عَلِمَ أنَّه ليس في يَدِ الخَلقِ كتابٌ اجتمعَ فيه مِن العلوم والمباحث المتباينة مِثْل ما في القرآن(١). انتهى.

وقرئ: «فَصَلَت» بفتح الفاء والصاد مخفَّفة(٢)، أي: فَرَقَت بين الحقِّ والباطل، أو فصلَ بعضُها مِن بعضٍ باختلافِ معانيها، مِن قوله: فَصَلَتِ العِيْرُ، أي: انفصلت، وفَصَلَ مِن البلد، أي: انْفَصَلَ منه.

وانتصب «قرآناً» على أنَّه حالٌ بنفسه، وهي مؤكّدة؛ لأنَّها لا تَنتقل، أو تَوطِئة للحال بَعْدَه، وهي: «عربيًّا»، أو على المصدر، أي: يَقْرَؤه قرآناً، أو على الاختصاص والمدح، ومَن جَعَلَه حالاً، فقيل: ذو الحال «آياته»، وقيل: «كتاب»؛ لأنَّه وصف بقوله: «فُصِّلَت آياته»، أو على إضمار فِعْل، تقديره: فَصَّلْناه قرآناً، أو مفعولٌ ثانٍ لـ «فُصِّلت»، أقوالٌ سِتَّةٌ، آخِرُها للأخفش(٣).

و«لقوم» متعلِّق بـ «فُصِّلَت» أي: يعلمونَ الأشياءَ ويَعقلونَ الدَّلائلَ، فكأنَّه فُصِّلَ لهؤلاء، إذ هم الذين يَنتفعون به، فخُصُّوا بالذِّكْر؛ تشريفاً، ومَن لم يَنتفع بالتَّفْصِيل، فكأنَّه لم يُفصَّل له.

ويَبعُد أنْ يَتعلَّق بـ «تنزيل»؛ لكونه وصف قَبْل أَخْذِ مُتَعلَّقه، إن كان «مِن الرَّحمن» في موضع الصفة، أو أُبدل منه «كتاب»، أو كان خبراً لـ «تنزيل»، فيكون في ذلك البَدَلُ مِن الموصول، أو الإخبارُ عنه قَبْلَ أَخْذِهِ مُتعلّقه، وهو لا يَجوز.

وقيل: «لقوم» في موضع الصفة، لقوله: «عربيًّا» أي: كائناً «لقومٍ يَعلمون» أي:

---

(١) تفسير الرازي ٢٧/ ٩٤.

(٢) الكشاف ٣/ ٤٤١، ونقلها عنه القرطبيُّ ١٨/ ٣٨٩.

(٣) ينظر المحرر الوجيز ٥/ ٣-٤، وتفسير القرطبي ١٨/ ٣٨٩، ومعاني القرآن للأخفش ٢/ ٦٨٠، وإعراب القرآن للنحاس ٤/ ٤٧، والإملاء ٢/ ٢٢٠.

«لقوم» عَرَبٍ «يعلمون» ألفاظَه، ويَتحقَّقون أنَّه لم يَخرُج عن نَمطِ كلامهم، وكأنَّه رَدٌّ على مَن زَعَم أنَّ في القرآن ما ليسَ مِن كلام العرب.

وانتصب «بشيراً ونذيراً» على النعت لـ «قرآناً عربيًّا»، وقيل: حالٌ مِن «آياته»، وقرأ زيد بنُ عليٍّ: «بشيرٌ ونذيرٌ» برَفْعهما[١] على الصفة لـ «كتاب»، أو على خبرِ مبتدأٍ محذوف، وبشارته بالجنَّة لمَن آمَنَ، ونِذارَته بالنار لمَن كَفَر.

«فَأَعْرَضَ أكثرُهم» أي: أَكثرُ أولئك القوم، أي: كانوا مِن أَهْلِ العِلْم ولكِن لَم يَنظروا النَّظَر التَّامَّ، بل أَعْرَضوا «فهم لا يَسمعون» لإعراضِهم عمَّا احتوى عليه مِن الحُجَجِ والبراهين، أو لمَّا لم يَنتفع به ولم يَقْبَلْه، جُعِلَ كأنَّه لم يَسمعه.

ثمَّ أَخبر تعالى عنهم بالمقالَة الدَّالَّةِ على امتناعِ قَبولهم واليَأْس مِن رجوعهم إليه ومِن سماعهم لِمَا يَتلوه، وهو قوله تعالى حكايةً عنهم: «وقالوا قلوبُنا في أَكِنَّة ممَّا تَدعُونا إليه وفي آذانِنا وَقْرٌ» وتقدَّم الكلام على شِبْه ذلك في «الأنعام».

وقرأ طلحة: «وِقْر» بكسر الواو[٢]، وهذه تَمثيلاتٌ لامتناعِ قَبول الحقِّ، كأنَّ قلوبَهم في غُلُف، كما قالوا: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌۚ﴾ [البقرة:٨٨] وكأنَّهم لمَجٍّ[٣] أسماعِهم[٤] عند ذِكْرِ كلامِ الله بها صَمَمٌ.

والحِجَاب: السِّتْر المانِع مِن الإجابة، وهو خلافٌ في الدِّيْن؛ لأنَّه يَعبُد اللهَ وهم يَعبدونَ الأصنامَ، قال معناه الفَرَّاء وغيرُه[٥].

ويُروى أنَّ أبا جهلٍ استَغْشَى على رأسِه ثوباً، وقال: يا محمَّد، بيننا وبينكَ حجابٌ. استهزاءً منه[٦]، وقيل: تمثيلٌ لعَدَم الإجابة، وقيل: عبارةٌ عن العَدَاوة.

---

(١) الكشاف ٣/ ٤٤١ دون عزوٍ، ونقلها عنه القرطبيُّ ١٨/ ٣٨٩.

(٢) كذا في النسخ عدا (يه)، والقراءة في المحرر الوجيز ٥/ ٤، والكشاف ٣/ ٤٤٢، وفي (يه): «وقراً»، وهي في القراءات الشاذة ص ١٣٣.

(٣) عند تفسير الآية (٢٥) منها.

(٤) من المجاز: قَولٌ مَمْجُوجٌ، وكلامٌ تَمُجُّه الأسماع. تاج العروس (مجج).

(٥) تفسير القرطبي ١٨/ ٣٩١، وكلام الفراء في كتابه معاني القرآن ٣/ ١٢.

(٦) تفسير القرطبي ١٨/ ٣٩١ وعزاه للنقاش، نَقلاً عن النكت والعيون ٥/ ١٦٨، والخبر أخرجه أبو سهل السَّريُّ بن سهل الجُنْدَيْسَابوري في حديثه ـ كما في الدر المنثور ٥/ ٣٦٠ عن عمر بن الخطاب ضمن خبرٍ مطوَّلٍ عن قريش.

و«مِن» في «ممَّا تدعونا إليه» لابتداء الغاية، وكذا في «ومِن بيننا» فالمعنى أنَّ الحِجَابَ ابْتَدَأَ مِنَّا وابْتَدَأَ مِنْكَ، فالمسافة المتوسِّطة لجِهتنا وجِهتك مُسْتَوعَبَة بالحِجَاب لا فراغَ فيها، ولو لم يأت بـ «مِن» لكان المعنى أنَّ حِجَاباً حاصلٌ وَسطَ الجِهتَين، والمقصود المبالغةُ بالتَّباين المُفْرِط، فلذلك جِيْءَ بـ «مِن».

وقال الزمخشريُّ: فإن قلت: هَلَّا قيل: على قلوبنا أَكِنَّة، كما قيل: «وفي آذانِنا وَقْرٌ» ليكون الكلامُ على نَمَطٍ واحد؟

قلت: هو على نَمَطٍ واحد؛ لأنَّه لا فرقَ في المعنى بين قولك: قلوبنا في أَكِنَّة وعلى قلوبنا أكنَّة[1]، والدليلُ عليه قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾ [الكهف:٥٧]، ولو قيل: إنَّا جَعَلنا قلوبَهم في أكِنَّة، لم يَختلف المعنى، وتَرَى المطابِيْعَ[2] منهم لا يُراعُونَ الطِّباقَ والملاحظةَ إلَّا في المعاني. انتهى.

ونقول: إنَّ «في» أبْلَغ في هذا الموضع مِن «على»؛ لأنَّهم قَصَدوا إفراطَ عَدَمِ القَبول بحصولِ قلوبهم في أكنَّةٍ احتوت عليها احتواءَ الظَّرْف على المَظْرُوف، فلا يُمكن أنْ يَصِلَ إليها شيءٌ، كما تقول: المال في الكِيْس، بخلاف قولك: على المالِ كِيْسٌ، فإنَّه لا يدلُّ على الحَصْرِ وعدمِ الحصول دلالةَ الوعاءِ، وقوله: «إنَّا جَعَلْنا» فهو مِن إخبارِ اللهِ تعالى لا يَحتاج إلى مبالغةٍ، بخلاف قولِهم.

وقولِ الزمخشريِّ: وترى المَطَابِيع منهم. يعني: مِن العرب وشُعَرائهم، ولذلك تكلَّم الناسُ في شِعْرِ حبيبٍ[3]، ولم يَستحسن بعضُهم كثرةَ صَنْعَةِ البَدِيع فيه، قالوا: وأَحْسَنه ما جاءَ مِن غيرِ تكلُّف.

«فاعْمَل إنَّنا عامِلونَ» قال الكلبيُّ: في هلاكنا، إنَّا عاملونَ في هلاكِكَ، وقال مقاتل: اعْمَل لإلهكَ الذي أرْسَلَكَ «فإنَّنا عاملونَ» لآلهتنا التي نَعْبُدُها.

---

(١) قوله: وعلى قلبنا أكنَّة. زيادة من (يه) ولم ترد في باقي النسخ، والكلام في الكشاف ٣/ ٤٤٢-٤٤٣.

(٢) فلانٌ مطبوعٌ في فنٍّ كذا أو غيره: ذو موهبة فيه يعالجه بلا تكلُّفٍ ويُجيده. المعجم الوسيط (طبع).

(٣) يعني أبا تمام حبيبَ بنَ أوسٍ الطائيّ، ينظر العمدة لابن رشيق، بابٌ في المطبوع والمصنوع ١/ ١٢٩ وما بعدها.

وقال الفَرَّاءُ: اعْمَلْ على مقتضى دِينِك، ونحن نَعْمَلُ على مقتضى دِيننا. وذَكَر الماورديُّ[1]: اعْمَل لآخِرَتك، فإنَّا نَعْمَلُ لدُنيانا.

ولمَّا كان القلبُ مَحَلَّ المعرفة والسَّمْع والبَصَر مُعِيْنان على تحصيل المعارفِ، ذَكَروا أنَّ هذه الثلاثةَ مَحجُوبةٌ عن أنْ يَصِلَ إليها ممَّا يُلْقِيه الرَّسُول شَيءٌ، واحتمل قولُهم: «فاعْمَل إنَّنا عامِلونَ» أنْ تكون مُتارَكة مَحْضَةً، وأنْ يكون استحقاقاً.

«قُلْ إنَّما يُوحَى إليَّ» قرأ الجمهور: «قُل» على الأَمْر، وابنُ وثَّاب، والأعمش: «قال» فِعْلاً ماضِياً[2]، وهذا صَدْعٌ بالتوحيد والرسالة.

وقرأ النخعيُّ والأعمش: «يُوحِي» بكسر الحاء[3]، والجمهور بفتحها.

وأخبرَ أنَّه بَشَرٌ مِثْلهم لا مَلَكٌ، لكنَّه أُوحِيَ إليه دونَهم، وقال الحسن: عَلَّمه تعالى التَّواضُع[4]، وأنَّ فيما أُوحيَ إليه توحيد اللهِ ورفضَ آلهتِكم.

«فاسْتَقِيموا إليه» أي: له بالتوحيد الذي هو رَأسُ الدِّيْن والعَمَل «واسْتَغْفِرُوه» واسْألوه المغفرة؛ إذ هي رأسُ العَمَل الذي بحصولِه تَزول التَّبِعات، وضمَّنَ: اسْتَقيموا، معنى التوجُّه، فلذلك تعدَّى بـ«إلى»، أي: وَجِّهوا استقامتكم إليه.

ولمَّا كان العقل ناطقاً بأنَّ السعادةَ مربوطةٌ بأَمْرَين؛ التعظيم لله والشَّفَقَة على خَلْقه، ذكرَ أنَّ الوَيْلَ والثُّبُور والحُزْنَ للمشركين الذين لم يُعظِّموا اللهَ؛ بتوحيده ونَفْي الشَّرِيك عنه، ولم يُشفِقوا على خَلْقه بإيصال الخير إليهم، وأَضافوا إلى ذلك إنكارَ البَعْث.

والظاهر أنَّ الزكاة على ظاهرها مِن زكاة الأموال، قاله ابنُ السائب، قال: كانوا يَحجُّون ويَعتمرون ولا يُزَكُّون، وقاله الحسن وقتادة، وقيل: كانت قريش

---

(١) النكت والعيون ٥/ ١٦٨، وما قبله منه أيضاً، ومن تفسير القرطبيّ ١٨/ ٣٩٢، وتفسير الثعلبي ٥/ ٣٦٠، وقول الفراء في كتابه معاني القرآن ٣/ ١٢.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٤، وهي في الكشاف ٣/ ٤٤٣ دون نسبة.

(٣) القراءات الشاذة ص ١٣٣.

(٤) تفسير الثعلبي ٥/ ٣٦٠، والمحرر الوجيز ٥/ ٤، وتفسير القرطبي ١٨/ ٣٩٢.

تُطعِم الحاجَّ، وتحرم مَن آمَنَ منهم، وقال الحسن وقتادة أيضاً: المعنى: لا يُؤْمِنون بالزَّكاة ولا يُقِرُّون بها. وقال مجاهد والربيع: لا يُزَكُّون أعمالهم[١].

وقال ابنُ عبَّاس والجمهور: «الزَّكاة» هنا: لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، التوحيد، كما قال موسى عليه السلام لفرعونَ: ﴿هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ﴾ [النازعات:١٨] ويُرجِّح هذا التأويل أنَّ الآيةَ مِن أوَّلِ المَكِّيِّ، وزكاة المال إنَّما نَزَلت بالمدينة، قاله ابنُ عطيَّة[٢]، وقال: إنَّما هذه زكاةُ القَلْب والبَدَن، أي: تطهير مِن الشِّرْك والمعاصي، وقاله مجاهد والربيع، وقال الضَّحَّاك ومقاتل: «الزَّكاة» هنا: النَّفَقَة في الطاعة[٣]. انتهى.

وإذا كانت الزكاةُ المراد بها إخراج المال، فإنَّما قرنَ بالكفر بالآخِرة لكونها شاقَّة بإخراج المال الذي هو محبوبُ الطباع وشَقيقُ الأرواح؛ حَثًّا عليها، وقال بعضُ الأدباء:

وقالوا شَقِيْقُ الرُّوح مالُكَ فاحتَفِظ ... به فأَجَبْتُ المالُ خيرٌ مِن الرُّوحِ
أَرَى حِفْظَه يُفْضِي بتحسينِ حالتي ... وتضييعه يُفضي لتَسْآل مَقْبُوحِ[٤]

«إنَّ الذين آمَنُوا» قال السُّدِّيُّ: نزلت في المرضى والزَّمْنى إذا عجزوا عن إكمال الطاعات كتب لهم من الأجر كأَصَحِّ ما كانوا يعملون[٥].

والمَمْنُون: المَنْقُوص، قاله ابنُ عباسٍ ﵄، قال ذو الإِصْبَع العَدْوَانيّ:

إنِّي لَعَمْرُكَ ما بَابي بِذِي غَلَقٍ ... على الصَّدِيْقِ ولا خَيْرِي بممنونِ[٦]

---

(١) ينظر المصادر الآنفة الذِّكر، وزاد المسير ٧/ ٢٤١-٢٤٢، والكشاف ٣/ ٤٤٣، وقولُ قتادة عند الطبري ٢٠/ ٣٨٠.
(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٥، وما بعده منه أيضاً.
(٣) المصدر السابق، وزاد المسير ٧/ ٢٤١، وقولُ ابنِ عباس عند الطبريّ ٢٠/ ٣٧٩.
(٤) لم نقف على البيتين عند غيره، ونَقَلهما عنه الآلوسي في روح المعاني ٢٤/ ١٣٥.
(٥) المحرر الوجيز ٥/ ٥، وينظر تفسير الثعلبي ٥/ ٣٦٠-٣٦١، وتفسير البغوي ٤/ ١٠٨، والقرطبي ١٨/ ٣٩٤.
(٦) النكت والعيون ٥/ ١٦٩، وتفسير القرطبي ١٨/ ٣٩٣، وقول ابنِ عباس عند الطبري ٢٠/ ٣٨١، والبيت في المفضليات ص ١٦٠، وأمالي القالي ١/ ٢٥٦، والأغاني ٣/ ١٠٥، والتذكرة الحمدونية ٣/ ٣٩٥، وخزانة الأدب ٧/ ١٨٤.

وقال مجاهد: غير مَحْسُوب، وقيل: غير مقطوع، قال:

فَضْلَ الجَواد على الخيل البِطاءِ فلا يُعطي بذلِكَ مَمْنُوناً ولا نَزِقا[١]

وقيل: لا يُمَنُّ به؛ لأنَّ أُعطياتِ اللهِ تشريفٌ، والمَنُّ إنَّما يَدخُل أُعطياتِ البَشَر، وقيل: لا يُمَنُّ به؛ لأنَّه إنَّما يُمَنُّ التفضُّل، فأمَّا الأجْر فحقٌّ أداؤه، نَقَلَه الزمخشريُّ[٢]، وفيه دسيسةُ الاعتزال.

«قُل أَئِنَّكم لتَكْفُرونَ» استفهام توبيخ وتَشنيع عليهم بكُفْر مَنْ أَوجَدَ العالم؛ سُفْلِيّه وعُلْوِيّه، ووصفه صورةَ خَلْقِ ذلك ومُدَّته والحِكْمة في الخَلْق في مُدَّةٍ هو قادرٌ على أنْ يُوجِدَ ذلك دفعةً واحدةً، فذكر تعالى إيجادَ ذلك مرتَّباً، وتقدَّم الكلامُ في أوَّل ما ابتدئ فيه الخَلْق وما خلقَ مرتَّباً، ومعنى: «في يومين» في مِقْدَار يومين.

«وتجعلونَ له أَنْداداً» أي: أشباهاً وأمثالاً مِن الملائكة والجِنِّ والأصنام، يَعبدونها دُونَه، وقال السُّدِّيُّ: أكفاءً مِن الرِّجال يُطيعونهم[٣].

«وتجعلون» معطوفٌ على «لتَكْفرون» فهو داخلٌ في حيِّز الاستفهام المقتضي الإنكارَ والتوبيخَ «ذلك» أي: مُوجِد الأرض ومخترعُها «ربُّ العالَمين» مِن الأنداد التي جَعَلتم له وغيرهم.

«وجَعَلَ فيها رواسيَ» إخبارٌ مستأنَف، وليس معطوفاً على صلة «الذي»؛ لأجل الفصل بينهما بقوله: «وتجعلون» وليس[٤] مِن الصِّلَة في شيء، بل هو معطوفٌ على قوله: «لتَكْفرون».

«وبارَكَ فيها» أَكْثَرَ فيها خيرها، «وقَدَّرَ فيها أَقْواتها» أي: أرزاقَ ساكِنِيها ومعايشهم، وأضافهما إلى الأرض؛ مِن حيث هي فيها وعنها بَرَزَت، قاله السُّدِّيُّ، وقال قتادة: «أقواتها» مِن الجبالِ والأنهار والأشجار والصُّخُور والمعادن والأشياءِ

(١) المحرر الوجيز ٥/٥، وتفسير القرطبي ١٨/ ٣٩٤، والبيت لزهير، وهو في شرح ديوانه ص٤٩.
(٢) الكشاف ٣/ ٤٤٤.
(٣) النكت والعيون ٥/ ١٧٠، وأخرجه عنه الطبريُّ ٢٠/ ٣٨٤.
(٤) من قوله: معطوفاً على صلة...، إلى هنا، زيادة من (د٣) و(يه).

التي بها قوامُ الأرض ومصالحها، وقال مجاهد: «أقواتها» مِن المَطَر والمياه، وقال عكرمة والضَّحَّاكُ ومجاهد أيضاً: خصائصها التي قَسمها في البلاد ممَّا خَصَّ به كلَّ إقليم؛ ليَحتاج بعضُها إلى بعض في التَّقَوُّت؛ مِن الملابس والمَطَاعم والنَّبَات[١].

«في أربعة أيام» أي: في تمام أربعةِ أيام باليومين المتقدِّمين، قال الزمخشريُّ: «في أربعة أيام» فَذْلَكَةٌ لمُدَّة خَلْقِ اللهِ وما فيها، كأنَّه قال: كُلّ ذلك في أربعة أيام كاملة مُسْتوية بلا زيادةٍ ولا نقصان، وقال الزَّجَّاج: في تَتِمَّة أربعة أيام، يريد بالتَّتِمَّة اليومين[٢]. انتهى.

وهذا كما تقول: بَنَيْتُ جدارَ بيتي في يومٍ وأكملتُ جميعَه في يومين، أي: بالأوَّل.

وقال أبو عبد الله الرازيُّ ـ ولَفَّقَهُ مِن كلامِ الزمخشريِّ ـ: «في أربعة أيام» فائدةٌ زائدة على قوله: «في يومين»؛ لأنَّ قولَه: «في يومين» لا يقتضي الاستغراقَ لذلك العمل، أمَّا لـمَّا ذَكَر خَلْقَ الأرض وخَلْقَ هذه الأشياء، ثمَّ قال: «في أربعة أيام سواء» دَلَّ على أنَّ هذه الأيامَ مُسْتَغرقة في تلك الأعمال مِن غيرِ زيادةٍ ونقصان[٣]. انتهى.

ولا فرقَ بين يومين وأربعة أيام بالنِّسْبَة إلى الاستغراقِ، فإن كانت «أربعة» تقتضي الاستغراقَ، وكذلك اليومان يَقتضيانه، ومتى كان الظَّرْفُ معدوداً كان العمل في جميعه إمَّا على سبيل التعميم، نحو: سِرْتُ يومين، أو التقسيط نحو: أَذَّنتُ يومين، وقد يكون في بعضِ كلّ يوم منهما، نحو: تَهَجَّدتُ ليلتين، فاحتمل الاستغراقَ واحتمل إيقاعَه في بعضِ كلِّ واحِدَةٍ مِن اللَّيلتين.

وإذا كان كذلك؛ احتمل أنْ يكون وَقَعَ الخَلْقُ للأرض في بعضِ كلِّ واحدٍ مِن

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٦، وينظر تفسير الثعلبي ٥/ ٣٦١، والنكت والعيون ٥/ ١٧٠-١٧١، وزاد المسير ٧/ ٢٤٤، وتفسير القرطبي ١٨/ ٣٩٥، وتنظر الآثار عند الطبري ٢٠/ ٣٨٥-٣٨٨.

(٢) الكشاف ٣/ ٤٤٥، وكلام الزجاج في كتابه معاني القرآن ٤/ ٣٨٠-٣٨١، والفَذْلكة: مُجْمَلُ ما فُصِّلَ وخلاصته، وفَذْلَكَ الحسابَ: أنهاه وفرغ منه، وهي منحوتَةٌ من قوله: فَذَلِكَ كذا وكذا، إذا أجمل حسابه. المعجم الوسيط (فذلك).

(٣) تفسير الرازي ٢٧/ ١٠٣.

اليومين، واحتمل أنْ يكون اليومان مُسْتَغرقين بِخَلْقها، وكذلك «في أربعة أيام» يحتمل الاستغراق، وأنْ يكون خَلْقُ الأرضِ والجبال والبَرَكة وتقديرُ الأقوات وَقَعَ في بعضِ كلِّ واحدٍ مِنَ الأربعة، فما قاله أبو عبد الله الرازيُّ لم تَظهَر به فائدةٌ زائدة.

وقرأ الجمهور: «سَوَاءً» بالنصب على الحال، وأبو جعفر: بالرَّفْع، أي: هي «سواءٌ»، وزيد بن عليٍّ والحسن وابنُ أبي إسحاق وعمرو بنُ عُبَيْد وعيسى ويعقوب: بالخفض، نعتاً لـ «أربعة أيام»(١).

قال قتادة والسُّدِّيُّ: معناه: «سواء» لِمَن سَأَلَ عن الأَمْرِ واستفهمَ عن حقيقةِ وقوعه وأرادَ العبرة منه، فإنَّه يَجِده كما قال تعالى، وقال ابنُ زيدٍ وجماعةٌ: معناه: مُسْتوٍ مُهَيَّأً أَمْر هذه المخلوقات ونَفْعها للمحتاجين إليها مِن البَشَر، فعبَّر بالسَّائلين عن الطَّالِبين؛ لأنَّهم مِن شَأْنهم ولا بُدّ طَلَب ما يَنتفعون به، إذْ هم بحالِ حاجةٍ إليها(٢).

وقال الزمخشريُّ: فإن قلت: بِمَ تَعلَّق قوله: «للسائلين»؟ قلت: بمحذوفٍ، كأنَّه قيل: هذا الحَصْر لأَجْلِ مَن سَأَلَ في كم خُلِقت الأرض وما فيها، أو بـ «قَدَّر» أي: قدَّر فيها أقواتها؛ لأَجْلِ الطَّالبين لها المحتاجين المُقتاتين(٣). انتهى. وهو راجعٌ لقول المفسِّرين المتقدِّمين.

ولمَّا شَرَحَ تخليقَ الأرضِ وما فيها، أَتْبَعَهُ بتَخْليق السماءِ، فقال: «ثُمَّ استوى إلى السماء» أي: قَصَدَ إليها وتوجَّه، دونَ إرادةِ تأثيرٍ في غيرها، والمعنى: إلى خَلْق السماء.

والظاهر أنَّ المادةَ التي خُلِقت منها السماء كانت دخاناً، وفي أوَّل الكتاب الذي يَزْعُم اليهودُ أنَّه التوراة أنَّ عَرْشَه تعالى كان على الماء قَبْلَ خَلْقِ السماوات والأرضِ، فأَحْدَثَ اللهُ في ذلك سخونةً، فارتفعَ زَبَدٌ ودخانٌ؛ أمَّا الزَّبَد فبقي على

---

(١) ينظر المحرر الوجيز ٥/ ٦، وتفسير الثعلبي ٥/ ٣٦١، والقرطبي ١٨/ ٣٩٦، وقراءة أبي جعفر - يزيد بن القعقاع، وهو من العشرة - ويعقوبَ في النشر ٢/ ٣٦٦.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٦، وينظر تفسير الثعلبي ٥/ ٣٦١-٣٦٢، وتنظر الآثار عند الطبري ٢٠/ ٣٨٩-٣٩٠.

(٣) الكشاف ٣/ ٤٤٤-٤٤٥.

وَجْهِ الماء، فخَلَق اللهُ منه اليبُوسة، وأَحدَثَ منه الأرض، وأمَّا الدُّخان فارتفع وعلا، فخلق الله منه السماوات، وفيه أيضاً أنَّه خَلَقَ السماءَ مِن أجزاءٍ مُظْلِمة[١]. انتهى.

ورُوي أنَّها كانت جِسْماً رخواً، كالدُّخان أو البُخار، قال ابنُ عطية[٢]: هنا لفظٌ متروكٌ يدلُّ عليه الظاهر، وتقديره: فأوجَدَها وأتْقَنها وأكملَ أُمورها، وحينئذٍ قال «لها وللأرضِ: ائتيا». انتهى.

فجعلَ ابنُ عطيَّة هذه المحاورةَ بين البارِي تعالى والأرضِ والسماءِ، بَعْدَ خَلْق الأرض والسماء، ورجَّح قولَ مَن ذَهَبَ إلى أنَّهما نَطَقتا نُطْقاً حقيقيًّا، وجَعَلَ اللهُ لهما حياةً وإدراكاً يقتضي نُطْقهما، بَعْدَ أَنْ ذَكَر أنَّ مِن المفسِّرين مَن ذَهَبَ إلى أنَّ ذلك مجازٌ، وانَّه ظَهَرَ منهما مِن اختيارِ الطاعة والتَّذلُّل والخُضوع ما هو بمنزلةِ القولِ، قال: والقَول الأوَّلُ أَحْسَنُ؛ لأنَّه لا شَيء يَدفعه، وأنَّ العِبْرَة فيه أَتَمّ، والقدرةَ فيه أظهر[٣]. انتهى.

وقال الزمخشريُّ: ومعنى أَمْرِ السَّماء والأرض بالإتيانِ وامتثالهما أنَّه أرادَ تكوينهما، فلم يَمتنعا عليه وَوُجِدَتا كما أَرادهما، وكانتا في ذلك كالمأمور المُطيع إذا وَرَدَ عليه فِعْلُ الآمِرِ المطاع، وهو مِن المجاز الذي يُسمَّى: التمثيل، ويَجوز أن يكون تخييلاً، ويُبْنَى الأَمْرُ فيه على أنَّ اللهَ تعالى كَلَّم السماءَ والأرضَ، وقال لهما: «ائتِيا» شِئْتما ذلك أو أَبَيْتُما، فقالتا: «أَتَيْنا» على الطَّوع لا على الكُرْه، والغَرَض تصوير أَثَر قُدْرته في المقدورات لا غير مِن غير أنْ يحقّق شيءٌ مِن الخطاب والجواب، ونحوه قولُ القائل: قال الجِدارُ للوَتِد: لم تَشُقّني؟ قال الوَتِد: سَلْ مَن يَدُقُّني، فلم يَتْركني ورائي الحَجَر الذي ورائي.

فإن قلت: لِمَ ذَكَر السماءَ مع الأرض وانتظمهما في الأَمْرِ بالإتيان، والأرض مخلوقةٌ قَبْلَ السماء بيومين؟

---

(١) تفسير الرازي ٢٧/ ٩٠.
(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٧، وما قبله منه أيضاً.
(٣) المصدر السابق.

قلت: قد خَلَقَ جُرْمَ الأرض أوَّلاً غير مدحوَّةٍ، ثم دَحَاها بَعْدَ خَلْقِ السماء، كما قال: ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ﴾ [النازعات: ٣٠] فالمعنى: «ائتيا» على ما ينبغي أَنْ تأتيا عليه مِن الشَّكْل والوَصْف، ائْتِي يا أَرضُ مدحوَّةً قراراً ومهاداً لأَهْلِك، وايتي يا سماءُ مُقَبَّبَةً سَقْفاً لهم، ومعنى الإتيان: الحصولُ والوقوع، كما يقول: أَتَى عمله مرضيًّا مقبولاً.

ويجوز أَنْ يكون المعنى: لتَأْتِ كلّ واحدةٍ منكما صاحبتَها الإتيانَ الذي أُريده وتَقتضيه الحكمةُ والتدبير؛ مِن كون الأرض قراراً للسَّماء، وكونِ السماءِ سَقْفاً للأَرْض، ويَنْصُرُه قراءةُ مَن قَرَأَ: «آتِيَا» و«آتَيْنا» من المُؤاتاة[1]، وهي الموافقة، أي: لتؤاتِ كلُّ واحدةٍ أختَها ولتوافقها، «قالتا»: وافَقْنا وسَاعَدْنا، ويحتمل: وافِقا أَمْرِي ومشيئتي ولا تمتنعا.

فإن قلت: ما معنى: «طوعاً أو كرهاً»؟ قلت: هو مَثَلٌ لِلُزُوم تأثيرِ قدرته فيهما، وأَنَّ امتناعَهما مِن تأثير قدرته مُحَالٌ، كما يقول الجبَّارُ لمَن يَحتقره[2]: لتَفْعلنَّ هذا، شِئْتَ أو أَبَيْتَ، ولتَفْعلنَّه طوعاً أو كرهاً، وانتصابهما على الحال بمعنى: طائعتين أو مكرهتين.

فإن قلت: هلَّا قيل: طائعتين، على اللفظ، أو: طائعات، على المعنى؛ لأنَّها سماوات وأرضون؟

قلت: لمَّا جُعِلْنَ مُخاطَبات ومُجِيبَات وَوُصِفْنَ بالطَّوع والكُرْه، قيل: «طائعين» في موضع: طائعات، نحو قوله: ﴿سَٰجِدِينَ﴾ [يوسف: ٤]. انتهى.

وقرأ الجمهور: «ائْتِيا» و«أَتَيْنا» مِن الإتيان، أي: ائْتِيا أَمْرِي وإرادتي، وقرأ ابنُ عباس وابنُ جبير ومجاهد: «آتِيَا» على وزن: أَفْعِلا، «قالتا آتَيْنَا» على وزن أَفْعَلْنا،

---

(١) الكشاف ٣/ ٤٤٦، وما بعده منه أيضاً، والقراءة في المحتسب ٢/ ٢٤٥ وعزاها لابن عباس وابن جبير ومجاهد، وزاد القرطبيُّ في تفسيره ١٨/ ٣٩٨ عزوها لعكرمة، وستأتي قريباً.

(٢) رسمت في النسخ الخطية عدا (د٣) و(يه) هكذا: لمن يحب بلو. وفي مطبوع البحر: لمن يحب بلوه. وفي مطبوع الكشاف ٣/ ٤٤٦، ومخطوطه الورقة (٢٦١): لمن تحت يده. والمثبت من (د٣) و(يه)، ولعلَّه الأَوْجه والأقرب للمعنى.

مِن: آتى يُؤتي، كذا قال ابنُ عطيَّة[1]، قال: وذلك بمعنى: أَعْطِيا مِن أنفسِكما مِن الطاعة ما أَردته منكما، والإشارة بهذا كلِّه إلى تسخيرِها وما قدَّره اللهُ مِن أعمالها. انتهى. وتقدَّم في كلام الزمخشريِّ أنَه جَعَلَ هذه القراءةَ مِن المؤاتاة، وهي الموافقة، فيكون وزن «آتِيَا» فاعِلا، و«آتَيْنا» فاعَلْنا، وتقدَّمه إلى ذلك أبو الفَضْل الرازيُّ، قال: «آتَيْنا» بالمدِّ على فاعَلْنا، مِن المؤاتاة، ومعناه: سارَعْنَا، على حَذْف المفعول منه، ولا يَجوز أنْ يكون مِن الإيتاء الذي هو الإعطاء؛ لبُعْدِ حَذْفِ مفعوليه. انتهى.

وقرأ الأعمش: «أو كُرْهاً» بضمِّ الكاف[2]، والأصحُّ أنَّه لغةٌ في الإكراه على الشيءِ الموقوع التخيير بينَه وبينَ الطوعيَّة، والأكثر أنَّ الكُرْهَ ـ بالضَّمِّ ـ معناه: المَشَقَّة.

قال ابنُ عطيَّة: وقوله: «قالتا» أرادَ الفِرْقَتين المذكورتَيْن، جَعْل السماواتِ سماءً، والأَرَضِينَ أرضاً، وهذا نحو قولِ الشاعر:

أَلَمْ يحْزُنْكَ أنَّ حِبَالَ قومي وقومِك قد تبايَنَتا انْقِطاعا

وعبّر عنها بتباينتا[3]. انتهى.

وهذا وليس كما ذكرَ؛ لأنَّه إنَّما تقدَّم ذِكْرُ الأرضِ مُفردَةً والسماءِ مُفردَةً، فحَسُنَ التعبيرُ عنهما بالتثنية، والبيت هو مِن وَضع الجَمْع موضعَ التثنية، كأنَّه قال: أَلَم يحزُنْك أنَّ حَبْلَي قومي وقومِك، فلذلك ثَنَّى في قوله: تباينتا، وأنَّث على معنى الحَبْل؛ لأنَّه لا يريد به الحَبْلَ حقيقةً، إنَّما عنى به الذِّمَّة والمَودَّة التي كانت بين قومَيْهما.

والظاهر مِن هذه الآية أنَّه خَلَقَ الأرضَ وجَعَلَ فيها الرّواسيَ وبَارَكَ فيها، ثم أَوجدَ السماءَ مِن الدُّخان فسوَّاها سَبْعَ سماوات، فيكون خَلْقُ الأرض متقدِّماً على

(١) المحرر الوجيز ٥/٧، وسلف تخريج القراءة قريباً.

(٢) لم نقف عليها عند غيره، ونَقَلها عنه السمين في الدر ٩/٥١٢، وابنُ عادل في اللباب ١٧/١١٠.

(٣) المحرر الوجيز ٥/٧، ووقع في مطبوعه: وعبَّر عنها بـ «ائتيا»، والبيت للقطامي، وهو في ديوانه ص ٣٢، وفيه: قيس، بدل: قومي، و: وتغلب، بدل: وقومك.

خَلْقِ السماء، ودَحْوُ الأرض غيرُ خَلْقِها، وقد تأخَّر عن خَلْقِ السماء، وقد أوردَ على هذا أنَّ جَعْلَ الرَّواسي فيها والبَرَكة وتقدير الأقوات لا يُمكِن إدخالها في الوجود إلَّا بَعْدَ أنْ صارت الأرضُ مَدْحُوَّةً، وقوله: «وبَارَكَ فيها وقَدَّر فيها أقواتها» مُفسَّر بخَلْق الأشجار والنَّبات والحيوان فيها، ولا يُمكن ذلك إلَّا بَعْدَ صيرورتها مُنْبَسِطةً، ثم قال بَعْدُ: «ثمَّ استوَى إلى السماء» فاقتضى خَلْقَ السماء بَعْدَ خَلْقِ الأرض ودَحْوِها.

وأوردَ أيضاً أنَّ قولَه تعالى للسماء وللأرض: «ائتِيا طَوعاً أو كَرْهاً» كنايةٌ عن إيجادِهما، (١فلو سَبَقَ إيجادُ الأرض على إيجاد السماء؛ لاقتضى إيجادَ الموجودِ بأَمْرِه للأرض بالإيجاد، وهو محالٌ١)، وقد انتهى هذانِ الإيرادان.

ونَقَلَ الواحديُّ في «البسيط» عن مقاتل أنَّه قال: خَلَقَ اللهُ السماءَ قَبْلَ الأرضِ، وتأوَّل قوله: «ثم استوى إلى السماء» ثم كان قد استوى إلى السماء وهي دُخان، قَبْل أنْ يَخلُق الأرضَ، فأضمرَ فيه «كان»، كما قال تعالى ﴿إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُ﴾ [يوسف:٧٧] معناه: إن يكن سَرقَ[٢]. انتهى.

وقال أبو عبد الله الرازيُّ: فَقَدَّر: ثمَّ كان قد استوى، جَمَعَ بين ضِدَّين؛ لأنَّ «ثمَّ» تقتضي التأخُّر، و«كان» تقتضي التقدُّم، فالجَمْع بينهما يُفيد التناقضَ، ونظيره: ضَرَبْتُ زيداً اليومَ، ثُمَّ ضَرَبْتُ عَمْراً أَمْسِ، فكما أنَّ هذا باطلٌ فكذلك ما ذكرَ، يعني مِن تأويلِ: ثمَّ كان قد استوى، قال: والمختار عندي أنْ يُقال: خَلْقُ السماءِ مُقدَّم على خَلْقِ الأرض، وتأويل الآية أنَّ الخَلْقَ ليس عبارة عن التكوين والإيجاد، يدلُّ عليه قوله: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران:٥٩] وهذا محالٌ؛ لا يُقال للشيء الذي وُجِدَ: كُنْ، بل الخَلْق عبارةٌ عن التَّقْدير، وهو في حقِّه تعالى حُكْمه أنْ سَيُوجَد وقضاؤه بذلك، فمعنى خَلْق الأرض في يومين: قَضَى بحدوثه في يومين، وقضاؤه بأنْ سَيَحْدُث كذا في

(١-١) كذا وردت العبارة في النسخ، والذي في مطبوع تفسير الرازي ٢٧/ ١٠٥ والكلام منه: فلو سَبَق إيجاد السماء على إيجاد الأرض؛ لكان قوله: ﴿أئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ يقتضي إيجاد الموجود، وإنه محالٌ باطل. انتهى، ولعلَّه الصواب.

(٢) تفسير الرازي ٢٧/ ١٠٥.

مدَّة كذا، لا يقتضي حدوثَ ذلك في الحال، فلا يَلزم تقديم إحداثِ الأرض على إحداث السماء[١]. انتهى.

والذي نقوله: إنَّ الكفارَ وبّخوا وقرّعوا بكُفْرهم بمَن صدرت عنه هذه الأشياء جميعها مِن غير ترتيبٍ زمانيٍّ، وإنَّ «ثمَّ» لترتيب الأخبار لا لترتيب الزَّمان والمُهْلة، كأنَّه قال: فالذي أَخْبَرَكم أنَّه خَلَقَ الأرضَ وجَعَلَ فيها رواسي وبَارَكَ فيها وقدَّر فيها أقواتها، ثم أَخبركم أنَّه استوى إلى السَّماء، فلا تَعرُّض في الآية لترتيبِ أيٍّ ذلك وَقَعَ الترتيب الزمانيّ له، ولمَّا كان خَلْق السماءِ أَبْدَعَ في القُدْرة مِن خَلْق الأرض استؤنف الإخبار فيه بـ «ثمَّ»، فصار كقوله: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [البلد:١٧] بَعْدَ قوله: ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ﴾ [البلد:١١] ومِن ترتيب الأخبار: ﴿ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ [الأنعام:١٥٤] بَعْدَ قوله: ﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ﴾ [الأنعام:١٥١] ويكون قوله تعالى: ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ﴾ ـ بعد إخباره بما أخبر به ـ تصويراً لخَلْقهما على وَفْقِ إرادته تعالى، كقولك: أَرَأَيْتَ الذي أثنيت عليه فقلت له: إنَّكَ عالِم صالِح، فهذا تصويرٌ لِمَا أثنيت به وتفسيرٌ له، فكذلك أَخبر بأنَّه خَلَقَ كيتَ وكيتَ، فأوجد ذلك إيجاداً لم يَتخلَّف عن إرادته.

ويدلُّ على أنَّ المقصودَ الإخبارُ بوقوع هذه الأشياء مِن غير ترتيبٍ زمانيٍّ قولُه في «الرَّعْد»: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ الآية [الرعد:٢] ثمَّ قال بَعْدُ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا﴾ الآية [٣]، فظاهرُ هذا رَفْع السماوات، ثم مَدّ الأرض وجَعْل الرواسي، فظاهرُ الآية التي نحن فيها جَعْلُ الرَّواسي وتقدير الأقوات قَبْلَ الاستواء إلى السماء وخَلْقها، ولكن المقصود في الآيتين الإخبار بصدور ذلك منه تعالى مِن غير تعرُّض لترتيب زمانيٍّ، وما جاء مِن ذلك مقصوراً على يومين أو أربعة أو سِتَّةٍ، إنَّما المعنى في مقدارِ ذلك عندكم لا أنَّه كان وقت إيجادِ ذلك زمانٌ.

«فقضاهُنَّ سَبْعَ سماوات» أي: صَنَعهنَّ وأَوجدهنَّ، كقولِ أبي ذُؤَيب:

وعليهما مَسْرُودتان قضاهما ... دَاودُ أو صَنَعُ السَّوابِغِ تُبَّعُ[٢]

---

(١) المصدر السابق ٢٧/١٠٦-١٠٨.

(٢) المحرر الوجيز ٥/٧، وسلف البيت عند تفسير مفردات الآية (١١٧) من سورة البقرة.

وعلى هذا انتصب «سَبْع» على الحال، وقال الحوفيُّ: مفعولٌ ثانٍ، كأنَّه ضمّن «قضاهن» معنى: صَيَّرهنَّ، فعدَّاه إلى مفعولين.

وقال الزمخشريُّ: ويَجوز أنْ يكون ضميراً مبهماً مُفسَّراً «سَبْع سماوات» على التمييز[1]. ويعني بقوله: مُبْهماً، ليس عائداً على السماء لا مِن حيث اللفظُ ولا مِن حيث المعنى، بخلاف الحال أو المفعول الثاني فإنَّه عائدٌ على السماء على المعنى.

«وأوحَى في كلِّ سماءٍ أمْرَها» قال مجاهد وقتادة: وأوحى إلى سُكَّانها وعَمرتها مِن الملائكة، وإليها هي في نفسِها، ما شاءَ تعالى مِن الأمور التي هي قوامها وصَلاحها، وقال السُّدِّيُّ وقتادة: ومِن الأمور التي هي لغيرها، مِثْل ما فيها مِن جِبَال البَرَد ونحوها، وأضاف الأمْرَ إليها مِن حيث هو فيها[2].

وقال الزمخشريُّ: «أمْرَها» ما أَمَرَ به فيها ودبَّره؛ مِن خَلْقِ الملائكة والنَّيِّرات وغيرِ ذلك «وحفظاً» أي: وحَفِظْناها حِفْظاً مِن المُسْتَرقَّة بالثَّواقب، ويجوز أنْ يكون مفعولاً له على المعنى، كأنَّه قال: وخَلَقْنا المصابيحَ زينةً وحفظاً[3]. انتهى. ولا حاجةَ إلى هذا التقدير الثاني وتكلُّفه مع ظهورِ الأوَّل وسهولته.

«ذلك» إشارة إلى جميع ما ذكرَ، أي: أوجده بقُدْرته وعِزِّه وعِلْمه.

❁ ❁ ❁

﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ إِذْ جَآءَتْهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوٓا إِلَّا ٱللَّهَ قَالُوا لَوْ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً فَإِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِىٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ

(١) الكشاف ٣/ ٤٤٦-٤٤٧.
(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٧، وتنظر الآثار عند الطبري ٢٠/ ٣٩٣.
(٣) الكشاف ٣/ ٤٤٧.

﴿١٦﴾ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّواْ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾ وَنَجَّيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿١٨﴾﴾.

«فإنْ أعرضوا» التفاتٌ خرجَ مِن ضمير الخطاب في قوله: «قل أئِنَّكم لتكفرونَ» إلى ضمير الغيبة؛ إعراضاً عن خطابهم، إذ كانوا قد ذكروا بما يقتضي إقبالهم وإيمانهم مِن الحُجَج الدَّالَّة على الوحدانيَّة والقُدْرة الباهرة. «فقُل أنْذَرتكم» أي: أعْلَمْتكم «صاعقة» أي: حلولَ صاعقةٍ، قال قتادة: عذاباً مِثْل عذابِ عادٍ وثمود[1]، وقال الزمخشريُّ: عذاباً شديدَ الوَقْعِ، كأنَّه صاعِقةٌ[2].

وقرأ الجمهور: «صاعقةً مِثْلَ صاعقةٍ»، وابنُ الزبير والسُّلَميّ والنَّخَعي وابنُ محيصن: بغيرِ ألفٍ فيهما وسكونِ العين[3]، وتقدَّم تفسيرها في أوائل «البَقرة»[4]، والصَّعْقَة: المَرَّة، يقال: صَعَقَته الصَّاعِقةُ فصَعِقَ، وهو مِن باب: فَعَلْته ـ بفتح العين ـ فَفَعِل ـ بكسرها ـ نحو: جَدَعْته فجَدِع، و«إذ» معمولة لـ «صاعقة»؛ لأنَّ معناها العذابُ.

«مِن بينِ أيديهم ومِن خلفهم» قال ابنُ عبَّاس: أي: قَبْلهم وبَعْدهم[5]، أي: قَبْلَ هودٍ وصالحٍ وبَعْدَهما، وقيل: مَن أرسل إلى آبائهم ومَن أُرسلَ إليهم، فيكون «مِن بينِ أيديهم» معناه: مَن قَبْلهم، و«من خَلْفهم» معناه: الرُّسُل الذين بحَضْرتهم، فالضمير في «مِن خلفهم» عائدٌ على الرُّسُل، قاله الضحاك، وتَبِعَه الفَرَّاء، وسيأتي عن الطبريّ نحو مِن هذا القول[6].

وقال ابنُ عطيَّة: «مِن بين أيديهم» أي: تقدَّموا في الزَّمَن واتَّصَلَت نذارتُهم إلى أعمارِ عادٍ وثمود، وبهذا الاتِّصال قامت الحجة، و«مِن خلفهم» أي: جاءَهم رسولٌ

(١) أخرجه عنه عبد الرزاق في التفسير ٢/ ١٨٤، والطبريُّ ٢٠/ ٣٩٥.
(٢) الكشاف ٣/٤٤٧.
(٣) أي: «صعقة مِثْلَ صعقة»، ينظر المحرر الوجيز ٥/٨، والكشاف ٣/٤٤٧، والقراءة عنهم جميعاً في القراءات الشاذة ص ١٣٣.
(٤) عند تفسير الآية (١٩) منها.
(٥) النكت والعيون ٥/ ١٧٤ وعزاه أيضاً للسديّ، وقول ابنِ عباس عند الطبريّ ٢٠/ ٣٩٦.
(٦) ينظر المحرر الوجيز ٥/٨، ومعاني القرآن للفراء ٣/ ١٣، وتفسير الطبري ٢٠/ ٣٩٥-٣٩٦.

بَعْدَ تقدُّم وجودِهم في الزمن، وجاء مِن مجموعِ العبارة إقامةُ الحُجَّة عليهم في أنَّ الرِّسالة والنِّذارة عمَّتهم خَبَراً ومباشرةً[1]. انتهى. وهو شَرْحٌ لكلام ابنِ عباس.

وقال الزمخشريُّ: «مِن بينِ أيديهم ومِن خلفهم» أي: أَتَوهم مِن كلِّ جانب، واجْتَهدوا بهم، وأعملوا فيهم كلَّ حيلةٍ، فلم يَرَوا منهم إلَّا العُتُوَّ والإعراضَ، كما حكى الله عن الشيطان: ﴿لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾ [الأعراف:١٧] أي: لآتينَّهم مِن كلِّ جهةٍ ولأعملنَّ فيهم كلَّ حيلةٍ، وعن الحسن: أَنْذَروهم مِن وقائعِ الله فيمَن قَبْلَهم مِن الأُمم وعذاب الآخرة؛ لأنَّهم إذا حذَّروهم ذلك فقد جاؤوهم بالوعظ مِن جهة الزَّمَن الماضي وما جَرَى فيه على الكفار، ومِن جهة المستقبل وما سيَجري عليهم[2]. انتهى.

وقال الطبريُّ: الضمير في قوله: «ومِن خلفهم» عائدٌ على الرُّسل، وفي «مِن بينِ أيديهم» عائدٌ على الأُمَم، وفيه خروجٌ عن الظاهر في تفريقِ الضمائرِ وتَعْمِية المعنى[3]، إذ يصير التقديرُ: جاءَتهم الرُّسُل مِن بين أيديهم، وجاءَتهم مِن خَلْف الرُّسُل، أي: مِن خَلْفِ أنفسهم، وهذا معنى لا يتعقَّل، إلَّا إنْ كان الضمير يَعود في «خلفهم» على الرُّسُل لفظاً وهو يعود على رُسُلٍ آخَرينَ معنًى، فكأنَّه قال: جاءتهم الرُّسُل مِن بين أيديهم ومِن خَلْفِ رُسُلٍ آخَرين، فيكون كقولهم: عندي درهمٌ ونِصْفه، أي: ونصفُ درهمٍ آخَر، وهذا فيه بُعْدٌ.

وخصَّ بالذِّكر مِن الأُمم المُهلَكة عاداً وثمودَ؛ لعِلْم قريش والعرب بحالهما، ولوقوفِهم على بلادهم في اليَمَن وفي الحِجْرِ، وقال الأَفْوَه الأَوديّ:

أَضْحَوا كقيلِ بنِ عَنْزٍ في عشيرتِهِ ... إذْ أُهلِكَت بالذي سَدَّى لها عادُ
أو بَعْدَهُ كقُدَارٍ حين تابَعَهُ ... على الغِوايةِ أقوامٌ فقد بادُوا[4]

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٨.
(٢) الكشاف ٣/ ٤٤٧.
(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٨، وينظر كلام الطبريّ في تفسيره ٢٠/ ٣٩٥-٣٩٦، وينظر أيضاً تفسير الثعلبي ٥/ ٣٦٣.
(٤) ديوان الأفوه الأودي ص ٩ (ضمن مجموع الطرائف الأدبية) باختلافٍ يسير في بعض ألفاظهما، وسلفا عند تفسير الآية (٧٣) من سورة الأعراف، فلينظرا ثمَّة.

«أَنْ لا تَعبُدوا» يصحُّ أَنْ تكون «أَنْ» تفسيريَّة؛ لأنَّ مَجيءَ الرُّسُل إليهم يتضمَّن معنى القول، أي: جاءَتهم مخاطبة، وأَنْ تكونَ مخفَّفة مِن الثَّقِيلة[1]، أي: بأنَّه لا تعبدوا، أو النَّاصِبَة للمضارع، ووُصلت بالنَّهي كما تُوصَل بالأَمْر، نحو قوله: ﴿أَن طَهِّرَا﴾ [البقرة:١٢٥] و: كَتَبْتُ إليه بأَنْ قُمْ، و«لا» في هذه الأوجه للنَّهْي، ويَجوز على بُعْدٍ أَنْ تكون «لا» نافية، و«أَنْ» ناصبة للفعل، وقاله الحوفيُّ ولم يَذكُر غيرَه.

ومفعول: «شاء» محذوف، وقدَّره الزمخشريُّ: «لو شاءَ ربُّنا» إرسالَ الرُّسل «لأَنْزَلَ ملائكةً»[2]. انتهى. وتَتَبَّعتُ ما جاءَ في القرآن وكلامِ العرب مِن هذا التركيب فوجَدْته لا يكون محذوفاً إلَّا مِن جنس الجوابِ، نحو قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ [الأنعام:٣٥] أي: لو شاءَ جَمْعَهم على الهدى لَجمعهم عليه، وكذلك: ﴿لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا﴾ [الواقعة:٦٥] ﴿لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا﴾ [الواقعة:٧٠] ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ﴾ [يونس: ٩٩]، ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾ [الأنعام:١١٢] ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍ﴾ [النحل:٣٥] وقال الشاعر:

فلو شاءَ رَبِّي كنتُ قيسَ بنَ خالدٍ ولو شاءَ رَبِّي كنتُ عَمْرو بنَ مَرْثِدِ[3]

وقال الراجِز:

واللَّذِ لو شاءَ لكنتُ صَخْرا أو جَبَلاً أَشَمَّ مُشْمَخِرَّا[4]

فعلى هذا الذي تَقرَّر لا يكون تقديراً لمحذوفٍ ما قاله الزمخشريُّ، وإنَّما التقدير: «لو شاءَ ربُّنا» إنزالَ ملائكةٍ بالرِّسالة منه إلى الإنس لأَنْزَلهم بها إليهم، وهذا أَبلغُ في الامتناع مِن إرسالِ البَشَر، إذ علَّقوا ذلك بإنزال الملائكة، وهو لم يَشَأ ذلك، فكيف يَشاء ذلك في البَشَر؟!.

(١) ينظر ما قاله السمين في الدر المصون ٩/ ٥١٥ حولَ هذا الوجه من الإعراب.
(٢) الكشاف ٣/ ٤٤٨.
(٣) البيت لطرفة بن العبد، وهو من معلقته، وهو في ديوانه ص ٣٦.
(٤) الرجز في أمالي ابن الشجري ٣/ ٥٣، والإنصاف ٢/ ٦٧٦، وشرح كافية ابن الحاجب للاستراباذي ٣/ ١٠١، وخزانة الأدب ٥/ ٥٠٥ ولم ينسبوه، والمُشْمَخِرّ: العالي المتطاول، وورد في الأمالي والإنصاف: لكانت بَرّا، بدل: لكنت صخراً.

«فإنَّا بما أُرسلتم به كافرون» خطاب لهود وصالح ومَن دَعَا مِن الأنبياء إلى الإيمان، وغلّب الخطاب على الغَيبة، نحو قولك: أنتَ وزيدٌ تقومان، و«ما» مصدريَّة، أي: بإرسالكم، و«به» توكيدٌ لذلك المصدر، ويجوز أن يكون «ما» بمعنى «الذي»، والضمير في «به» عائد عليه. وإذا كفروا بما تَضمَّنه الإرسالُ، كان كُفْراً بالإرسال، وليس قوله: «بما أُرسلتم» إقراراً بالإرسال، بل هو على سبيلِ التَّهكُّم، أي: «بما أُرسلتم» على زَعْمكم، كما قال فرعون: ﴿قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرۡسِلَ إِلَيۡكُمۡ لَمَجۡنُونٌ﴾ [الشعراء: ٢٧].

ولمَّا بيَّن تعالى كُفْرَ عاد وثمود على الإجمال، فصَّل بَعْدَ ذلك فذَكَر خاصيَّةَ كلِّ واحدٍ مِن الطائفتين، فقال: «فأمَّا عادٌ فاستكبروا» أي: تعاظَموا عن امتثالِ أَمْرِ الله وعَنْ ما جاءَتهم به الرُّسل «بغيرِ الحَقِّ» أي: بغير ما يَستحقُّون.

ولمَّا ذَكَر لهم هذا الذنبَ العظيمَ ـ وهو الاستكبار ـ وكان فِعْلاً قلبيًّا ذَكَر ما ظهرَ عليهم مِن الفعل اللسانيِّ المُعبِّر عن ما في القلب، «وقالوا مَن أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً» أي: لا أَحَد أَشَدّ منَّا، وذلك لِمَا أعطاهُمُ اللهُ مِن عظِمَ الخَلْق وشِدَّة البَطْش، فَرَدَّ الله تعالى عليهم بأنَّ الذي أَعطاهم ذلك هو أَشَدّ منهم قُوَّة، ومع عِلْمهم بآياتِ الله كانوا يَجحدونها ولا يَعترفون بها، كما يَجحَدُ المُودَع الوديعةَ مِن طالبها مع معرفتِه بها.

ولفظة «كان» في كثيرٍ مِن الاستعمال تُشعِر بالمداومة، وعبّر بالقُوَّة عن القُدْرة، فكما يقال: اللهُ أَقْدَرُ منهم، يقال: اللهُ أقوى منهم، فالقَدْرتان بينهما قَدْرٌ مُشتَرك، وإنْ تباينت القُدْرتان بما لكلٍّ منهما مِن الخاصيَّة، كما يُوصَف اللهُ تعالى بالعِلْم، ويُوصَف الإنسانُ بالعِلم.

ثمَّ ذَكَر تعالى ما أصابَ به عاداً، فقال: «فأَرْسَلنا عليهم ريحاً صَرْصَراً» في الحديث أنَّه تعالى أَمَرَ خَزَنَةَ الرِّيحِ ففَتحوا عليهم قَدْرَ حَلقَة الخاتم، ولو فَتَحوا قَدْرَ مِنْخَرِ الثَّور لهَلَكت الدُّنيا، ورُوِيَ أنَّها كانت تَحمِلُ العِيْرَ بأَوقَارِها فتَرميهم في البحر[1].

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٩، والحديث أخرجه الحاكم في المستدرك ٤/ ٥٩٤ عن عبد الله بن عمرو ﷺ مرفوعاً بمعناه، وقال: صحيح ولم يخرجاه. وقال الذهبي في التلخيص: بلِ

والصَّرْصَر: قال مجاهد: شَديدة السَّمُوم، وقال ابنُ عباس والضَّحَّاك وقتادة والسُّدِّيُّ: مِن الصَّرِّ، أي: باردة، وقال السُّدِّيُّ أيضاً وأبو عبيدة وابنُ قتيبة والطبريُّ وجماعة: مُصَوِّتة، مِن صَرَّ يَصِرُّ: إذا صوَّت[١].

وقال ابنُ السِّكِّيت: «صَرْصَر» يَجوز أنْ يكون مِن: الصِّرِّ، وهو البَرْد، ويجوز أن يكون مِن[٢]: الصَّرَّة، وهي الصيحة، ومنه: ﴿فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ﴾ [الذاريات: ٢٩] وصَرْصَر: نَهْرٌ بالعراق[٣].

وقرأ الحِرْميَّان وأبو عمرو والنخعيُّ وعيسى والأعرج: «نَحْسَات» بسكون الحاء[٤]؛ فاحتمل أنْ يكون مصدراً وُصِفَ به، وتارةً يُضاف إليه، واحتمل أنْ يكون مخفَّفاً مِن: فَعِلَ، وقال الطبريُّ: نَحِسٌ ونَحْسٌ: نعت[٥]، وقال الزمخشريُّ: مخفَّف: نَحِس، أو صفةٌ على فَعْل، أو وصف بمَصْدر[٦]. انتهى.

وتَتبَّعتُ ما ذَكَره التَّصْرِيفِيُّونَ ممَّا جاءَ صفةً مِن: فَعِل، اللازم، فلم يَذكُروا فيه فَعْلاً بسكون العين، قالوا: يأتي على فَعِل: كفَرِحَ فهو فَرِحٌ، وعلى أفْعَل: حَوِرَ فهو

= منكر، وعبد الله بن عباس القتباني ضعَّفه أبو داود، وعند مسلم أنَّه ثقة، ودرَّاج كثير المناكير.
وأخرج أوَّله أيضاً الترمذيُّ (٣٢٧٣) من حديث رجل من ربيعة، عن النبيِّ ﷺ، و(٣٢٧٤) من حديث الحارث بن يزيد البكري.

(١) ينظر المحرر الوجيز ٥/ ٩، والنكت والعيون ٥/ ١٧٤، وزاد المسير ٧/ ٢٤٧-٢٤٨، وتفسير القرطبي ١٨/ ٤٠١-٤٠٢، ومجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/ ١٩٦ و٢٤٠، وتفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص ٣٨٨، وتنظر الآثار عند الطبريّ ٢٠/ ٣٩٧-٣٩٨.

(٢) قوله: الصِّرّ، وهو البرد، ويجوز أن يكون. زيادة من (د٣) و(يه)، ولم ترد عند باقي النسخ.

(٣) تفسير القرطبي ١٨/ ٤٠٢، وكلام ابن السِّكِّيت في كتابه إصلاح المنطق ص ٣٥٣، ونَقَله عنه الأزهريُّ في تهذيب اللغة ١٢/ ١٠٧، وياقوت الحموي في معجم البلدان ٣/ ٤٠١، وفيه أيضاً ذِكْرُ نهرِ صَرْصر، وأورده أيضاً ابنُ منظور في لسان العرب (صرصر)، والزبيديّ في تاج العروس (صرصر).

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ٩، وقراءة الحِرْميّين وأبي عمرو في السبعة ص ٥٧٦، والتيسير ص١٩٣، وهي أيضاً قراءة يعقوب، النشر ٢/ ٣٦٦.

(٥) المحرر الوجيز ٥/ ٩، وكلام الطبري في تفسيره ٢٠/ ٤٠١.

(٦) الكشاف ٣/ ٤٤٩.

أَحْوَر، وعلى فَعْلَان: شَبِعَ فهو شَبْعان، وقد يَجيءُ على فاعل: سَلِمَ فهو سَالِمٌ، وبَلِيَ فهو بَالٍ[١].

وقرأ قتادة وأبو رجاء والجحدريُّ وشيبة وأبو جعفر والأعمش وباقي السَّبْعة بكسر الحاء[٢]، وهو القياس، وفِعْلُه: نَحِسَ على فَعِلَ بكسر العين.

«ونَحِسات» صفةٌ للأيَّام، جمع بالألف والتَّاء، لأنَّه جمع صفة لِمَا لا يَعقل، قال مجاهد وقتادة والسُّدِّيُّ: مشائيم، مِن النَّحْس المعروف، وقال الضحاك: شديدة البَرْد، حتى كان البَرْدُ عذاباً لهم. وأنشد الأصمعيُّ في النَّحْسِ بمعنى البَرْد:

كأنَّ سُلَافةً عُرِضَت لِنَحْسٍ يُحِيْلُ شفيفُها الماءَ الزُّلالا[٣]

وقيل: سُمِّيت بذلك؛ لأنَّها ذاتُ غبار، ومنه قولُ الرَّاجِز:

قد أَغْتدِي قَبْلَ طُلوعِ الشَّمْسِ
للصَّيْدِ في يومٍ قَليلِ النَّحْسِ[٤]

يريد: قليل الغبار.

وقال ابنُ عباس ومجاهد وقتادة: متتابعات، كانت آخِرَ شوَّال مِن الأربعاء إلى الأربعاء[٥].

---

(١) ينظر ارتشاف الضَّرَب ٢/ ٤٩٢.
(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٩، وسلف تخريج القراءة قريباً.
(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٩، والآثار السالفة عند الطبري ٢٠/ ٣٩٩-٤٠٠، والبيت لعمرو بن أحمر، وهو في المعاني الكبير لابن قتيبة ١/ ٤٥٨، ولسان العرب (نحس) وورد عنده: مدامة، بدل: سلافة، وكلاهما بمعنًى، وهي الخمر، مع الإشارة إلى أنه ورد في النسخ الخطية للبحر ـ عدا (د٣) ـ ومطبوعِه: يخيل شقيقها، وورد في المعاني: يخيل شفيفها، والمثبت من (د٣) والمحرر الوجيز ولسان العرب، ويُحيل: يَصُبّ، وشفيفها: بَرْدها، يقول: بَرْدها يَصُبّ الماءَ في الحَلْق، ولولا بَرْدها لم يشرب الماء.
(٤) النكت والعيون ٥/ ١٧٥، وتفسير القرطبي ١٨/ ١٦٥، والرَّجَز للشمردل بن شريك كما في التذكرة الحمدونية ٥/ ٢٨٧.
(٥) ينظر المحرر الوجيز ٥/ ٩، والنكت والعيون ٥/ ١٧٤-١٧٥، وأثَر ابنِ عباس عند الطبري ٢٠/ ٣٩٩.

وقال السُّدِّيّ: أوَّلها غداةَ يوم الأحد، وقال الربيع بنُ أنس: يوم الجمعة، وقال يحيى بنُ سَلَّام: يوم الأحد[(١)].

«لنُذِيْقهم عذابَ الخِزْي في الحياة الدُّنيا» وهو الهلاك، وقرئ: «لتُذِيْقهم» بالتاء[(٢)].

وقال الزمخشريُّ: على أنَّ الإذاقَةَ للريح، أو للأيام النَّحِسات، وأضاف العذابَ إلى الخِزْي إضافةَ الموصوف إلى صفته، كأنَّه قال: العذاب الخِزْي[(٣)]، ولذلك جاء: «ولعذابُ الآخِرة أَخْزَى»، فلو لم يكن مِن إضافةِ الموصوف إلى صفته لم يأتِ بلفظة: «أخزى» التي تقتضي المشاركةَ والتفضيلَ، خبراً عن قوله: «ولعَذابُ الآخِرَة» وهو إسنادٌ مجازيٌّ، ووَصْفُ العذابِ بالخِزْي أَبْلَغُ مِن وَصْفِهم به، أَلَا تَرَى تفاوت ما بين قولك: هو شاعرٌ، وقولك: له شِعْرٌ شاعرٍ.

وقابَلَ استكبارَهم بعذابِ الخِزْي ـ وهو الذُّلُّ والهَوَان ـ وبَدَأَ بقصَّة عادٍ؛ لأنَّها أَقدَمُ زماناً، ثم ذَكَر ثَمودَ، فقال: «وأمَّا ثمود»، وقرأ الجمهور: بالرَّفْع، ممنوع مِن الصَّرْف، وابنُ وثَّاب والأعمش وبكر بنُ حبيب: مصروفاً[(٤)]، وهي قراءةُ ابنِ وثَّاب والأعمش في «ثمود» بالتنوين في جميع القرآن، إلَّا قوله: ﴿وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ﴾ [الإسراء:٥٩] لأنَّه في المصحف بغيرِ ألف[(٥)].

وقرأ «ثَمودَ» بالنَّصْب ممنوع مِن الصَّرْف الحسنُ وابنُ أبي إسحاق وابنُ هرمز ـ بخلافٍ عنه ـ والمفضَّل، قال ابن عطيَّة[(٦)]: والأعمش وعاصم، قال: ورُوِيَ عن

(١) زاد المسير ٧/ ٢٤٨.
(٢) الكشاف ٣/ ٤٤٩.
(٣) المصدر السابق.
(٤) أي: «ثمودٌ»، المحرر الوجيز ٥/ ٩، والقراءة في القراءات الشاذة ص ١٣٣ عن ابن وثاب والأعمش.
(٥) المحرر الوجيز ٥/ ٩ عن الأعمش فقط، وكذا قال الفراء في معاني القرآن ٣/ ١٤، والطبريُّ ٢٠/ ٤٠٣.
(٦) المحرر الوجيز ٥/ ٩، وما قبله منه أيضاً دون قراءة الحسن فهي عند الفراء في كتابه معاني القرآن ٣/ ١٤، والقراءة في القراءات الشاذة ص ١٣٣ عن ابن أبي إسحاق وعيسى الثقفي، وفي إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٥٥ عن الأعمش وعاصم وابن أبي إسحاق.

ابنِ عباس وابنِ أبي إسحاق والأعمش: «ثموداً» منوَّنة منصوبة، وروى المُفضَّل عن عاصم الوجهين[١]. انتهى.

«فهديناهم» قال ابنُ عبَّاس وقتادة والسُّدِّيُّ وابنُ زيد: بَيَّنَّا لهم، قال ابنُ عطيَّة: وليس الهدى هنا بمعنى الإرشاد[٢].

وقال الفَرَّاء وتَبعَهُ الزَّمخشريُّ: «فهَدَيْناهُم» فدَلَلْناهم على طرِيْقَي الضَّلالة والرّشد، كقوله تعالى: ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾[٣] [البلد: ١٠].

«فاسْتَحبُّوا العَمَى على الهُدَى» فاختاروا الدخولَ في الضَّلالة على الدخول في الرشد.

فإن قلت: أَلَيْسَ معنى: هديته، حصلت فيه الهدى، الدليل عليه قولُك: هديته فاهتدى، بمعنى تحصيل البُغْية وحصولها، كما تقول: رَدَعْتُه فارْتَدَع، فكيف سَاغَ استعماله في الدَّلالة المجرَّدة؟

قلت: للدلالة على أنَّه مكَّنهم وأَزَاحَ عِلَلَهم ولم يُبْقِ لهم عُذْراً ولا علَّةً، فكأنَّه حصَّلَ البُغْيَةَ فيهم بتحصيلِ ما يُوجِبها ويقتضيها[٤]. انتهى. وهو على طريقة الاعتزال.

وقال سفيان: دَعَوناهم، وقال ابنُ زيد: أَعلمناهُم الهدى مِن الضَّلال[٥].

وقال ابنُ عطيَّة: «فاسْتَحبُّوا» عبارة عن تكسُّبهم في العَمَى، وإلَّا فهو بالاختراع لله، ويدلُّك على أنَّها إشارةٌ إلى تَكسُّبهم قولُه: «بما كانوا يَكْسِبون»[٦]. انتهى.

و«الهُون»: الهَوَان، وصفَ العذاب بالمصدر، أو أُبدلَ منه.

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ١٠، والقراءة في الكشاف ٣/ ٤٤٩ دون عزوٍ.
(٢) المحرر الوجيز ٥/ ١٠، والآثار السالفة عند الطبري ٢٠/ ٤٠٢-٤٠٣.
(٣) معاني القرآن للفراء ٣/ ١٥، والكشاف ٣/ ٤٤٩.
(٤) الكشاف ٣/ ٤٥٠.
(٥) النكت والعيون ٥/ ١٧٥.
(٦) المحرر الوجيز ٥/ ١٠.

وقرأ ابنُ مقسم: «عذاب الهَوَان» بفتح الهاء وألف بعد الواو[١].

وقال الزمخشريُّ: ولو لم يكن في القرآن حُجَّة على القَدَرية الذين هم مجوسُ هذه الأمَّة بشهادة نبيِّها ﷺ ـ وكفى به شاهداً ـ إلَّا هذه لكفى بها حُجَّةً[٢]. انتهى. على عادته في سَبِّ أهلِ السُّنَّة.

ثم ذَكَّر قريشاً بنَجاءِ مَن آمَنَ واتَّقى، قيل: وكان مَن نَجا مِن المؤمنين ممَّن استجابَ لِهُود وصالحٍ مئةً وعَشرةَ أنْفُس.

* * *

﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَـٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَـٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَـٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن يَصْبِرُوا۟ فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ۖ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا۟ فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ ﴿٢٤﴾ ۞ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُوا۟ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَـٰسِرِينَ ﴿٢٥﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾ فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَآءُ أَعْدَآءِ ٱللَّهِ ٱلنَّارُ ۖ لَهُمْ فِيهَا دَارُ ٱلْخُلْدِ ۖ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٢٩﴾﴾.

لمَّا بَيَّنَ تعالى كيفيَّةَ عقوبةِ أولئك الكُفَّار في الدُّنيا أردفه بكيفيَّة عقوبةِ الكُفَّار أولئكَ وغيرهم، وانتصب «يوم» بـ: اذكر.

---

(١) لم نقف على القراءة عند غيره، وأورد الزمخشريُّ في الكشاف ٣/ ٥٢٣ مِثْلَ هذه القراءة، لكن عند قوله تعالى: ﴿فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ﴾ [الأحقاف: ٢٠] ولم ينسبها.

(٢) الكشاف ٣/ ٤٥٠، والمقصود بالحديث قولُه ﷺ: «القدريةُ مَجوسُ هذه الأمَّة، . . .» وهو عند أبي داود (٤٦٩١)، وأحمد (٥٥٨٤) من حديث ابن عمر ﵄.
وقولُه ﷺ أيضاً: «لكُلِّ أمَّة مجوسٌ، ومجوسُ هذه الأمَّة الذين يقولون: لا قَدَر، . . .» وهو عند أبي داود (٤٦٩٢)، وأحمد (٢٣٤٥٦)، من حديث حذيفة ﵁.

وقرأ الجمهور: «يُحشَر» مبنيًّا للمفعول، و«أعداء» رَفْعاً، وزيد بنُ عليٍّ ونافع والأعرج وأهل المدينة: بالنون، «أعداءَ» نصباً[(١)]، وكَسَرَ الشِّيْنَ الأعرجُ[(٢)]، وتقدَّم معنى: «يُوزَعون» في «النمل»[(٣)].

و«حتى» غايَةٌ لـ «يُحْشَر» و«أعداء الله» هم الكُفَّار مِن الأوَّلين والآخِرين، و«ما» بَعْدَ «إذا» زائدةٌ؛ للتأكيد، وقال الزمخشريُّ: ومعنى التَّأكيد فيها أنَّ وقتَ مَجيئهم النَّارَ لا محالةَ أن يكون وقتَ الشهادةِ عليهم، ولا وَجْهَ لأَنْ يَخلوَ منها، ومِثْلُه قولُه: ﴿أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓ﴾ [يونس:٥١] أي: لا بُدَّ لوقتِ وقوعِه مِن أَنْ يكون وقتَ إيمانهم به[(٤)]. انتهى.

ولا أَدري أنَّ معنى زيادةِ «ما» بَعْدَ «إذا» للتوكيد ما ذَكَرَ، ولا أنَّ نَحويًّا ذَكَر هذا الذي ذكره مِن معنى التوكيد فيها[(٥)]، ولو كان التركيبُ بغير «ما» كان ـ بلا شَكٍّ ـ حُصولُ الجوابِ عند حصولِ الشَّرْط مِن غير تأخُّرٍ؛ لأنَّ أداةَ الشَّرْط ظرفٌ، فالشهادة واقعةٌ فيه لا محالةَ.

وفي الكلام حَذْفٌ، التقدير: «حتى إذا ما جاؤوها» أي: النَّار، وسُئِلوا عَمَّا أَجرموا، فأَنكروا، «شَهِدَ عليهم سَمْعُهم وأبصارُهم وجلودُهم» بما اكتسبوا مِن الجرائم، إذ كانوا حَسِبوا أنَّه لا شاهِدَ عليهم، ففي الحديث: «إنَّ أوَّلَ ما يَنطِقُ مِن الإنسان فَخِذُه اليُسرى، ثمَّ تَنطِق الجوارحُ، فيقول: تَبًّا لَكِ! فعَنْكِ كنتُ أُدافع»[(٦)].

---

(١) ينظر المحرر الوجيز ٥/ ١٠، وتفسير الثعلبي ٥/ ٣٦٥، وتفسير القرطبي ١٨/ ٤٠٥، وقراءة نافع في السبعة ص ٥٧٦، والتيسير ص ١٩٣، وهي أيضاً قراءة يعقوب، النشر ٢/ ٣٦٦.
(٢) أي: «نَحْشِر»، والقراءة في الكشاف ٣/ ٤٥٠ دون نسبة.
(٣) عند تفسير الآية (١٧) منها.
(٤) الكشاف ٣/ ٤٥٠.
(٥) عقَّب الآلوسيُّ في روح المعاني ٢٤/ ١٧٠ على هذا الكلام بقوله: وهذا ممَّا لا تعلُّقَ له بالنحو حتى يضرَّ فيه أنَّ النُّحاةَ لم يذكروه، كما شَنَّع به أبو حيَّان. انتهى، ومع الإشارة إلى أنه جاء بهامش النسخة (ز٢) ما نصُّه: «التوكيد يقويّه ما دلَّ عليه الأصل، بحيث يرتفع ما يتوهَّم من المجاز، وهذا المعنى هو الذي ذكره الزمخشري، وعبَّر به بقوله: لا محالة،... ولا وجه لأن يخلو منها».
(٦) المحرر الوجيز ٥/ ١٠، والحديث عند أحمد (١٧٣٧٤)، والطبري في تفسيره ٢٠/ ٤٠٩، =

ولمَّا كانت الحواسُّ خمسةً: السَّمْع والبَصَر والشَّمّ والذَّوق واللَّمْس، وكان الذَّوقُ مُندرِجاً في اللَّمس، إذ بمماسَّة جِلْدة اللِّسان والحَنَك للمَذُوق يَحصُل إدراك المَذُوق، وكان حِسُّ الشَّمِّ ليس فيه تكليفٌ ولا أَمْرٌ ولا نَهْيٌ ـ وهو ضعيف ـ اقتصر مِن الحواسِّ على السَّمْع والبَصَر واللَّمْس، إذ هذه هي التي جاء فيها التكليفُ، ولم يذكر حاسَّةَ الشَّمِّ؛ لأنَّه لا تكليفَ فيها، فهذه ـ والله أعلم ـ حكمةُ الاقتصارِ على هذه الثلاثة.

والظاهر أنَّ الجلودَ هي المعروفةُ، وقيل: هي الجوارح، كُنِّيَ بها عنها، وقيل: كُنِّيَ بها عن الفُرُوج، قيل: وعليه أكثرُ المفسِّرين منهم ابنُ عباس[1]، كما كنَّى عن النِّكاح بالسِّرِّ[2].

«بما كانوا يعملون» مِن الجرائم، ثم سألوا جلودَهم عن سببِ شهادتها عليهم، فلم تَذكُر سبباً غير أنَّ اللهَ تعالى أَنْطَقها، ولمَّا صَدَرَ منها ما صَدَرَ مِن العقلاء وهي الشهادة، خاطبوها بقولهم: «لم شَهِدْتُم» مخاطبةَ العقلاء.

وقرأ زيد بنُ عليٍّ: «لم شَهِدْتُنَّ» بضمير المؤنَّثات[3].

و«كلَّ شيء» لا يُراد به العموم، بل المعنى: كلّ ناطقٍ ممَّا ذلك له عادَة، أو كان ذلك فيه خَرْق عادَة.

وقال الزمخشريُّ: أراد بـ «كلّ شيء»: كلّ شيء مِن الحيوان، كما أراد به في قوله: ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران:١٨٩] مِن المَقْدُورات، والمعنى أنَّ نُطْقَنا ليس بعَجَب مِن قُدْرَة الله الذي قَدرَ على إنطاقِ كلِّ حيوان، وعلى خَلْقِكم

= والطبراني في الكبير ١٧/ (٩٢١) عن عقبة بن عامر الجهني بنحوه، وفي معناه حديثُ أنس عند مسلم (٢٩٦٩).

(١) الذي عليه أكثرُ المفسِّرين أنَّ المعنيَّ بالجلود هنا هي الجلودُ بأعيانها. كذا في تفسير القرطبي ١٨/ ٤٠٥، والمحرر الوجيز ٥/ ١١، وأمَّا القولُ بأنَّ المراد الفُرُوج فهو قول السُّدِّيّ وعُبيد الله بن أبي جعفر والفراء، ينظر تفسير الثعلبي ٥/ ٣٦٥، والقرطبي ١٨/ ٤٠٥، ومعاني القرآن للفراء ٣/ ١٦، وتفسير الطبري ٢٠/ ٤٠٦، وقولُ ابنِ عباس عند ابنِ الجوزي في زاد المسير ٧/ ٢٥٠.

(٢) تفسير الرازي ٢٧/ ١١٦.

(٣) لم نقف على القراءة عند غيره، وأوردها عنه الآلوسي في روح المعاني ٢٤/ ١٧٢.

وإنشائِكم، وعلى إعادتكم ورَجْعكم إلى جزائه، وإنَّما قالوا لهم: «لم شَهِدْتُم علينا» لِمَا تعاظَمَهم مِن شهادتها، وكَبُرَ عليهم مِن الافتضاح على أَلْسِنة جوارحهم[١].

وقال الزمخشريُّ أيضاً: فإنْ قلت: كيف تَشْهَدُ عليهم أعضاؤهم، وكيف تَنطق؟ قلت: اللهُ عزَّ وجلَّ يُنْطِقها، كما أَنطقَ الشجرةَ بأن يَخلُق فيها كلاماً[٢]. انتهى.

وهذا الرَّجُل مُولَع بمذهبه الاعتزاليّ يُدخِله في كلِّ ما يَقدر أنَّه يَدخُل، وإنَّما أشار بقوله: كما أَنطقَ الشجرةَ بأنْ يَخلَق فيها كلاماً، إلى أنَّ الله تعالى لم يُكلِّم موسى حقيقةً، وإنَّما الشجرةُ هي التي سَمِعَ منها الكلامَ، بأن خَلَق اللهُ فيها كلاماً خاطَبَتْه به عن اللهِ تعالى.

والظاهر أنَّ قوله: «وما كنتم تَسْتَتِرون» مِن كلام الجوارح، قيل: ويَحتمل أنْ يكون مِن كلام الله تعالى؛ توبيخاً لهم، أو مِن كلام مَلَك يَأْمُره تعالى.

و«أَنْ يشهد» يحتمل أَنْ يكون معناه: خِيْفَةَ أَنْ يَشهدَ، أو: لأَجْلِ أَنْ يَشْهَدَ، إذ كنتم غيرَ عالمينَ بأنَّها تَشهد «ولَكِن ظَنَنْتُم أنَّ اللهَ لا يَعْلَمُ» فانْهَمَكْتُم وجاهَرْتم، وإلى هذا نَحَا مجاهد[٣]، والسّتْر يأتي في هذا المعنى، كما قال الشاعر:

والسِّتْرُ دونَ الفاحِشَاتِ وما يَلقَاكَ دونَ الخيرِ مِن سِتْرِ[٤]

ويحتمل أنْ يكون معناه: عن أنْ يَشهد، أي: وما كنتم تَمْتَنِعون، ولا يُمكنكم الاختفاءُ عن أعضائكم والاستتارُ عنها بكُفْركم ومعاصيكم، ولا تَظنُّون أنَّها تَصِلُ بكم إلى هذا الحدِّ مِن الشهادة عليكم، وإلى هذا نَحَا السُّدِّيُّ، أو: ما كنتم تتوقَّعون بالاختفاء والسِّتْر أنْ يَشهد عليكم؛ لأنَّ الجوارحَ لَزِيمةٌ لكم، وعبَّر قتادة عن «تستترون» بـ: تظنُّون[٥]، أي: وما كنتم تظنُّون أنْ يَشهد، وهذا تفسيرٌ مِن حيث

---

(١) الكشاف ٣/ ٤٥١.

(٢) المصدر السابق ٣/ ٤٥٠.

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ١١، وما بعده منه أيضاً، وينظر النكت والعيون ٥/ ١٧٦، وتفسير القرطبي ١٨/ ٤٠٨، وقول مجاهد عند الطبري ٢٠/ ٤١٠.

(٤) المحرر الوجيز ٥/ ١١، والبيت لزهير، وهو في شرح ديوانه ص ٩٥.

(٥) في مطبوع المحرر الوجيز ٥/ ١١ والكلام منه: بتُبْطِنون. وينظر قول السدي وقتادة عند الطبري ٢٠/ ٤٠٩-٤١٠.

المعنى لا مِن حيث مرادفةُ اللفظ للفظ.

«ولَكِن ظَنَنْتُم أنَّ اللهَ لا يَعلَمُ كثيراً» وهو الخفيَّاتُ من أعمالكم، وهذا الظَّنُّ كفرٌ وجَهْلٌ بالله وسوء مُعتَقد يؤدِّي إلى تكذيب الرُّسُل والشَّكّ في عِلْم الإلَه.

«وذلكم» إشارة إلى ظَنِّهم أنَّ اللهَ لا يَعلَم كثيراً مِن أعمالهم، وهو مبتدأٌ، خبرُه: «أَرْداكم»، و«ظَنُّكم» بَدَلٌ مِن «ذلكم»، أي: وظَنّكم بربّكم ذَلِكم أَهْلَككم.

وقال الزمخشريُّ: و«ظَنُّكم» و«أَرْدَاكُم» خَبَران، وقال ابنُ عطيَّة: «أرداكم» يَصلُح أَنْ يكون خبراً بَعْدَ خبر[1]. انتهى.

ولا يصحُّ أنْ يكون «ظَنّكم بربّكم» خبراً؛ لأنَّ قوله: «وذلكم» إشارة إلى ظَنِّهم السابق، فيَصيرُ التقدير: وظَنّكم بأنَّ ربّكم لا يَعلم ظَنّكم بربّكم، فاستُفيد مِن الخبر ما استُفيد مِن المبتدأ، وهو لا يَجوز، وصار نظيرَ ما مَنَعه النُّحاة مِن قولك: سَيِّدُ الجارِيَة مالِكُها.

وقال ابنُ عطيَّة: وجوَّز الكوفيون أنْ يكون ـ يعني «أَرْدَاكُم» ـ في موضع الحال، والبَصْرِيُّون لا يُجيزونَ وقوعَ الماضي حالاً إلَّا إذا اقترنَ بـ «قد»، وقد يَجوز تقدُيرها عندهم: إن لم تظهر[2]. انتهى.

وقد أَجاز الأخفشُ مِن البَصْرِيِّين وقوعَ الماضي حالاً بغير تقدير «قد» وهو الصحيحُ، إذ كَثُرَ ذلك في لسان العرب كثرةً تُوجِبُ القياسَ، ويَبعُد فيها التأويل، وقد ذَكَرنا كثرةَ الشواهد على ذلك في كتابنا المسمَّى بـ «التَّذْييل والتَّكْمِيل في شرح التَّسْهِيل»[3].

«فإنْ يَصبِروا» خطابٌ للنبيِّ عليه الصلاة والسلام، قيل: وفي الكلام حَذْفٌ، تقديره: أو: لا يَصبِروا، كقوله: ﴿فَاصْبِرُوٓاْ أَوْ لَا تَصْبِرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ﴾ [الطور:١٦] وذلك في يوم القيامة، وقيل: التقدير: «فإن يصبروا» على تَرْكِ دِيْنِك واتِّباع أهوائهم، «فالنار مثوًى لهم» أي: مكان إقامة.

(١) الكشاف ٣/ ٤٥١، والمحرر الوجيز ٥/ ١٢.
(٢) المحرر الوجيز ٥/ ١٢.
(٣) وينظر أيضاً الكلام حول هذه المسألة عند تفسير الآية (١١) من سورة الحج.

وقرأ الجمهور: «وإنْ يَسْتَعْتِبُوا» مبنيًّا للفاعل «فما هم مِن المُعْتَبِين» اسم مفعول، قال الضَّحَّاك: إنْ يَعتذروا فما هم مِن المَعذورين[١]، وقيل: وإنْ طلبوا العُتْبَى ـ وهي الرِّضا ـ فما هم ممَّن يُعطاها ويَستوجبها.

وقرأ الحسن وعَمرو بنُ عُبَيْد وموسى الأسواريّ: «وإنْ يُسْتَعْتَبُوا» مبنيًّا للمفعول «فما هم مِن المُعْتِبِين» اسم فاعل[٢]، أي: إنْ طُلبَ منهم أنْ يُرضُوا ربَّهم، فما هم فاعلون، ولا يكون ذلك؛ لأنَّهم قد فارَقوا الدُّنيا دارَ الأعمال، كما قال ﷺ: «ليس بَعْدَ الموت مُسْتَعْتَب»[٣]، وقال أبو ذُؤَيب:

أَمِنَ المَنُونِ ورَيْبِهِ تَتَوجَّعُ ... والدَّهرُ ليس بمُعْتِبٍ مَن يَجْزَعُ[٤]

ويَحتمل أنْ تكون هذه القراءة بمعنى: ﴿وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ﴾ [الأنعام:٢٨].

ولمَّا ذكر تعالى الوعيدَ الشديدَ في الدُّنيا والآخِرَة على كُفْرِ أولئك الكَفَرة، أَرْدَفه بذِكْرِ السببِ الذي أوقعهم في الكفر، فقال: «وقَيَّضنا لهم قرناءَ» أي: سَبَّبْنَا لهم مِن حيث لم يَحتسبوا، وقيل: سَلَّطْنا ووَكَّلْنا عليهم، وقيل: قَدَّرنا لهم.

و«قُرَناء» جَمْع: قَرِيْن، أي: قرناءَ سُوء؛ مِن غواة الجِنِّ والإنس «فزيَّنوا لهم» أي: حَسَّنوا وقَرَّروا في أنفسهم «ما بينَ أيديهم» قال ابنُ عباس: مِن أَمْرِ الآخِرَة؛

---

(١) النكت والعيون ٥/ ١٧٦ دون عزوه للضحاك.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ١٢، والقراءة في تفسير الثعلبي ٥/ ٣٦٧ عن عبيد بن عمير ـ هكذا ـ ونقلها عنه القرطبيُّ ١٨/ ٤١١ وزاد نسبتها لأبي العالية، وهي عن الثلاثة المذكورين أعلاه في المحتسب ٢/ ٢٤٥، وعن عمرو بن عُبيد وَحْدَه في القراءات الشاذة ص ١٣٣، وتنظر ترجمة: عُبيد بن عمير بن قتادة الليثي المكي، وعمرو بن عُبيد بن باب البصري في غاية النهاية ١/ ٤٩٦-٤٩٧ و٦٠٢.

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ١٢، والحديث أخرجه القضاعي في مسند الشهاب (١١٨٩)، والبيهقي في شعب الإيمان (١٠٥٨١)، والديلميّ في مسند الفردوس (٨١٧٨) كما في زهر الفردوس ٥/ ٢٧٨ بهامشه، عن الحسن، عن رجل من الصحابة، عن النبيِّ ﷺ ممَّا قاله في خُطَبِه.

(٤) القائل أبو ذؤيب الهذلي، والبيت في شرح ديوان الهذليين ١/ ٤، والمَنُون: المَنِيَّة أو الدهر وهو هنا الموت، والرَّيْب: الحَدَث، وما يأتي به من الفجائع.

أنَّه لا جنَّة ولا نار ولا بَعْث، «وما خَلْفَهم» قال: مِن أَمْرِ الدُّنيا مِن الضَّلَالة والكُفْر ولَذَّاتِ الدُّنيا[1].

وقال الكلبيُّ: «ما بينَ أيديهم» أعمالهم التي يُشاهدونها «وما خلفهم» ما هم عامِلُوه في المستقبل[2].

وقال ابنُ عطيَّة: «ما بينَ أيديهم» مِن مُعتَقَدات السُّوء في الرُّسُل والنبوَّات، ومَدْحِ عبادةِ الأصنام، واتِّباعِ فِعْل الآباء «وما خَلْفهم» ما يأتي بَعْدَهم مِن أَمْرِ القيامة والمَعَاد[3]. انتهى ملخَّصاً، وهو شرحُ قولِ الحسن، قال: «ما بينَ أيديهم» مِن أَمْرِ الدنيا «وما خَلْفَهم» مِن أَمْرِ الآخِرَة[4].

وقال الزمخشريُّ: فإن قلت: كيف جازَ أَنْ يُقيِّض لهم القرناءَ مِن الشياطين وهو يَنهاهُم عن اتِّباع خطواتهم؟

قلت: معناه: أنَّه خَذَلهم ومَنَعهم التوفيقَ؛ لتصميمهم على الكفر، فلم يُبْقِ لهم قرناءَ سوى الشياطين، والدليلُ عليه: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ﴾[5] [الزخرف:٣٦]. انتهى. وهو على طريقة الاعتزال.

«وحَقّ عليهم القولُ» أي: كلمةُ العذاب، وهو القَضَاء الحَتْم أنَّهم معذَّبون «في أُمَم» أي: في جُملةِ أُمَم، وهذا كقول الشاعر:

إنْ تَكُ عن أحسنِ الصَّنِيْعَةِ مَأْ فوكاً فَفِي آخَرِينَ قد أُفِكُوا[6]

(١) ينظر تفسير القرطبي ١٨/ ٤١٢، وإعراب القرآن للنحاس ٤/ ٥٨، والكلام في النكت والعيون ٥/ ١٧٨ وعزاه للكلبي، وفي زاد المسير ٧/ ٢٥٢ دون عزوٍ.

(٢) لم نقف على كلام الكلبي، وينظر كلامه في التعليق السابق عند الماوردي في النكت والعيون ٥/ ١٧٨، والكلام بنحوه في تفسير القرطبي ١٨/ ٤١٢ نقلاً عن الزجاج في كتابه معاني القرآن ٤/ ٣٨٤، وينظر أيضاً إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٥٨.

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ١٢.

(٤) النكت والعيون ٥/ ١٧٨ لكن عزاه للسديّ ومجاهد، وزاد المسير ٧/ ٢٥٢ دون عزوٍ، وقول السدي عند الطبري ٢٠/ ٤١٦.

(٥) الكشاف ٣/ ٤٥١.

(٦) المصدر السابق ٣/ ٤٥٢، والبيت لعروة بن أذينة، وهو في إصلاح المنطق ص ٢٦، وفي شرح أبياته للسيرافي ص ٨٣، وورد عند الأول: المُرُوَّة، وعند الثاني: المُرُوءَة، بدل:

أي: فأنتَ في جملة آخَرِين، أو: فأنتَ في عَدَدٍ آخَرِين، لستَ في ذلك بأَوْحَد.

وقيل: «في» بمعنى «مع»، ولا حاجةَ للتضمين مع صحَّة معنى «في»، وموضع «في أُمَم» نصبٌ على الحال، أي: كائنينَ في جملة أُمَم، وذو الحال الضمير في «عليهم»، «إنَّهم كانوا خاسرين» الضمير لهم وللأُمم، وهذا تعليلٌ لاستحقاقِهم العذاب.

«وقال الذين كَفَروا لا تَسْمَعوا» أي: لا تُصْغُوا «لهذا القرآنِ والْغَوْا فيه» إذا تَلَاهُ محمَّدٌ ﷺ، قال أبو العالية: قعُوا فيه وعَيِّبوه، وقال غيره: كان الرَّسُول عليه الصلاة والسلام إذا قَرَأَ في المسجدِ أَصْغَى إليه الناسُ مِن مؤمنٍ وكافر، فخشيَ الكفارُ استمالتَه القلوبَ بذلك، فقالوا: متى قَرَأَ محمَّدٌ ﷺ فلنَلْغَط نحن بالمُكاء والصَّفِير والصِّياح وإنشاد الشعر والأَرْجاز حتى نُخْفِي صوتَه، وهذا الفعل هو اللَّغْو[١].

وقرأ الجمهور «والْغَوْا»[٢] بفتح الغين، مضارع: لَغِيَ، بكسرها، وبكر بنُ حبيب السَّهْميّ ـ كذا في كتاب ابن عطيَّة[٣]، وفي كتاب «اللَّوامِح»: وأمَّا في كتاب ابنِ خالويه: فعبد الله بن بكر السَّهْميّ[٤] ـ وقتادة وأبو حيوة وأبو السَّمَّال

= الصنيعة، والأَفْك: مصدر: أَفَكَهُ عن الشيء يأفِكُه: إذا صَرَفه عنه وقَلَبه إلى غيره، وينظر الصحاح واللسان (أفك).

(١) المحرر الوجيز ٥/١٣، وينظر تفسير القرطبي ١٨/٤١٣ وفيه قولُ أبي العالية وعزاه أيضاً لابن عباس، وقولُهما في تفسير الثعلبي ٥/٣٦٨، وعن ابن عباس وَحْدَه في النكت والعيون ٥/١٧٨.

(٢) في مطبوع البحر: والفراء.

(٣) المحرر الوجيز ٥/١٣، وكذا وَقَع عند ابن جِنّيّ في المحتسب ٢/٢٤٦، والقرطبي ١٨/٤١٣، وينظر التعليق الآتي.

(٤) في مطبوع القراءات الشاذة لابن خالويه ص ١٣٣: عبد الله بن بكير السلمي ـ وزاد معه: ابن أبي إسحاق وعيسى الثقفي ـ ولعلَّه: عبد الله بن بكر السهمي أبو وهب البصري، سمع أباه بكر بن حبيب السهميّ وغيره، وعنه: أحمد وابن المديني، توفي سنة (٢٠٨هـ). تهذيب الكمال.
فلعلَّ القراءة وردت عن بكر بن حبيب وعن ابنه عبد الله بن بكر، والله تعالى أعلم.

والزعفرانيّ وابنُ أبي إسحاق وعيسى ـ بخلافٍ عنهما ـ: بضمِّ الغين، مضارع: لَغَا بفتحها، وهما لُغتان، أي: أَدْخِلوا فيه اللَّغْوَ؛ وهو اختلافُ القول بما لا فائدةَ فيه.

وقال الأخفشُ: يقال: لَغَا يَلْغَى، بفتح الغين، وقياسه: الضَّمّ، لكنَّه فتح لأَجْلِ حرفِ الحَلْقَ، فالقراءة الأُولى مِن: يَلْغَى، والثانية مِن: يَلْغُو(١).

وقال صاحبُ «اللوامح»: ويَجوز أنْ يكون الفتح مِن: لَغِيَ بالشيءِ يَلْغَى به، إذا رَمَى به، فيكون «فيه» بمعنى «به»، أي: ارْمُوا به وانْبِذُوه.

«لعلَّكم تَغْلبون» بتشويشكم عليه على قراءته فلا يُصغى إليها، أو: «لعلكم تَغلبون» أي: تَطْمسون أَمْرَه وتُميتون ذِكْرَه.

«فلنُذِيقنَّ الذين كفروا» وعيدٌ شديد لقريش، والعذاب الشديد في الدُّنيا، كوَقْعة بَدْرٍ وغيرها، والأَسْوَأ يوم القيامة، أَقْسَمَ تعالى على الجملتين وشَمَلَ «الذين كفروا» القائلينَ والمخاطَبين في قوله: «وقال الذين كفروا لا تَسْمَعوا».

«ذلك» أي: جزاؤهم في الآخِرَة، و«النار» بَدَلٌ أو خبرُ مبتدأ محذوف، وجوّز أنْ يكون «ذلك» خبرَ مبتدأ محذوف، أي: الأَمْرُ «ذلك»، و«جزاء» مبتدأ، و«النَّار» خبره.

«لهم فيها دارُ الخُلْد» أي: موضع البقاء الدائم الذي لا يَنقطع، و«النار» هي دار الخلد، فكيف قيل «فيها»، والمعنى أنَّها دار الخلد، كما قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب:٢١] والرَّسُول نفسُه هو الأُسْوَة، وقال الشاعر:

وفي اللهِ إنْ لَم يُنْصِفوا حَكَمٌ عَدْلُ(٢)

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ١٣، وينظر معاني القرآن للأخفش ٢/ ٦٨٢-٦٨٣.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ١٣، وعجز البيت لأبي الخَطَّار بشر بن صفوان الكلابي كما في الحماسة البصرية ١/ ٨١، والحماسة الشجرية ١/ ٩، وصدره: أقادت بنو مروان قيساً دماءنا، والبيت أورده أيضاً ابنُ جنّيّ في الخصائص ٢/ ٤٧٥ ولم ينسبه، وفيه: أفاءت، بدل: أقادت، و: ظلماً، بدل: قيساً، والعباسيُّ في معاهد التنصيص ٣/ ١٦، وصدره فيه: أباحت بنو مروان ظلماً دماءنا، ولم يُنسَب عنده أيضاً.

والمعنى أنَّ الله هو الحَكَم العَدْلُ، ومجاز ذلك أنَّه قد يُجعَل الشيء ظَرْفاً لنفسِه باعتبار متعلَّقه على سبيلِ المبالغة، كأنَّ ذلك المتعلَّق صار الشيءُ مُسْتَقَرًّا له، وهو أبلغ مِن نِسْبَةِ ذلك المتعلَّقِ إليه على سبيل الإخبارِ به عنه.

«جزاءً بما كانوا بآياتنا يَجْحَدُونَ» قال الزمخشريُّ: أي: جزاءً بما كانوا يَلْغَونَ فيها، فذكر الجُحُودَ الذي هو سببُ اللَّغْو[1].

ولمَّا رَأَى الكُفَّار عِظَم ما حَلَّ بهم مِن عذاب النار، سَأَلوا مِن الله تعالى أَنْ يُرِيَهم مَن كان سببَ إغوائهم وإضلالهم، والظاهر أنَّ «اللَّذَيْن» يُراد بهما الجِنْس، أي: كلّ مغوٍ مِن هذَيْن النَّوعَيْن، وعن عليٍّ وقتادة أنَّهما إبليس وقابيل؛ إبليس سَنَّ الكفر، وقابيل سَنَّ القَتْلَ بغير حقٍّ، قيل: وهل يصحُّ هذا القولُ عن عليٍّ، وقابيلُ مؤمنٌ عاصٍ؟ وإنَّما طَلَبوا المُضِلِّين بالكُفْر المؤدِّي إلى الخلود، وقد أصلحَ [بعضُهم] هذا القولَ بأن قال: طَلَبَ قابيلَ كلُّ عاصٍ مِن أهل الكبائر، وطَلَبَ إبليسَ كلُّ كافرٍ. ولفظُ الآية يَنبُو عن هذا القول وعن إصلاحه[2].

وتقدَّم الخلاف في قراءة: «أَرِنا» في قوله: ﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾ [البقرة:١٢٨]، وقال الزمخشريُّ: حَكَوْا عن الخليلِ أنَّك إذا قلت: أَرِني ثوبَك بالكسر، فالمعنى: بَصِّرْنِيه، وإذا قُلته بالسُّكون[3] فهو استعطاءٌ، معناه: أَعْطِني ثوبَك، ونظيره اشتهارُ الإيتاء في معنى الإعطاء، وأصله: الإحضار[4]. انتهى.

«نَجْعَلْهما تحتَ أَقْدَامِنا» يُريدون في أسفلِ طَبَقةٍ مِن النَّار، وهي أشدُّ عذاباً وهي دَرْك المنافقين، وتشديد النُّون في «اللَّذين» و«اللَّتين»، و«هذين» و«هاتين» حالةَ

---

(١) الكشاف ٣/ ٤٥٢.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ١٤، وما ورد بين حاصرتين استدرك منه، ولم يَرد في نُسَخ البحر المحيط، وقول عليّ أخرجه عبد الرزاق في التفسير ٢/ ١٨٦، وابنُ أبي شيبة (٢٨٣٣٢)، والطبري ٢٠/ ٤٢٠-٤٢١، وقول قتادة أخرجه عبد الرزاق في التفسير ٢/ ١٨٦، والطبري ٢٠/ ٤٢١.

(٣) أي: أَرْني ثوبَك.

(٤) الكشاف ٣/ ٤٥٢-٤٥٣، وكلام الخليل في كتابه العين (رأي)، وينظر تاج العروس (أتي).

كونها بالياء لا يجيزه البَصْرِيُّون، والقِرَاءةُ بذلك في السَّبْعة حُجَّة عليهم(١).

❁ ❁ ❁

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا
تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى
ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ
﴿٣٢﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا
تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ
حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ
مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ
وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُواْ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ
إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُواْ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا
يَسْـَٔمُونَ ۩ ﴿٣٨﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ
ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾.

قال ابنُ عباس: نزلت في الصِّدِّيق، قال المشركون: ربُّنا اللهُ، والملائكةُ بناتُه، وهؤلاءِ شفعاؤنا عنده، واليهود: ربُّنا اللهُ، وعُزَيْرٌ ابْنُه، ومحمَّد ليس بِنَبيٍّ. فلم يستقيما، والصِّدِّيقُ قال: رَبُّنا اللهُ وَحْدَهُ لا شريكَ له، ومحمَّدٌ عَبْدُه ورسولُه. فاستقَام(٢).

ولـمَّا أَطْنَبَ تعالى في وَعيد الكفار، أَردَفه بوَعْدِ المؤمنين، وليس المرادُ التلفُّظَ بالقول فقط، بل لابُدَّ مِن الاعتقاد المطابِق للقولِ اللِّسانيِّ، وبَدَأ أَوَّلاً بالذي هو أَمكنُ في الإسلام وهو العِلْم بربوبيَّة اللهِ، ثم أَتْبَعه بالعمل الصالح وهو الاستقامة.

وعن سفيان بنِ عبدِ الله الثَّقَفيِّ: قلتُ للنبيِّ ﷺ: أَخبِرْني بأَمْرٍ أعتصمُ به؟ قال:

---

(١) قرأ ابنُ كثير: «اللَّذَيْنِّ» بتشديد النون، وقراءته في السبعة ص ٢٢٩، والتيسير ص ٩٥، والنشر ٢/ ٢٤٨.

(٢) أسباب النزول للواحدي ص ٣٩٤، وزاد المسير ٧/ ٢٥٤، وتفسير القرطبي ١٨/ ٤١٥.

«قُلْ رَبِّي اللهُ، ثمَّ اسْتَقِم» قلت: ما أخوفُ ما تخافه؟ فأخَذَ رسولُ الله ﷺ بلسانِ نفسِه؛ وقال: «هذا»[(١)].

وعن الصِّدِّيق: «ثم استقاموا» على التوحيد، لم يَضْطَرِب إيمانُهم، وعن عمرَ: «استقاموا» لله بطاعته لم يَرُوغُوا رَوَغانِ الثَّعالِب، وعن عثمان: أَخْلَصوا العملَ، وعن عليٍّ: أَدُّوا الفرائضَ، وقال أبو العالية والسُّدِّيُّ: «استقاموا» على الإخلاص والعَمَلِ إلى الموت، وقال الثوريُّ: عَمِلوا على وِفاقِ ما قالوا، وقال الفُضَيْل: زَهِدوا في الفانية، ورَغِبوا في الباقية، وقال الربيع: أَعْرَوا عن ما سِوى اللهِ تعالى، وقيل: استقاموا فِعْلاً كما استقاموا قولاً، وعن الحسن وقتادة وجماعة: «استقاموا» بالطَّاعات واجتنابِ المعاصي[(٢)].

قال الزمخشريُّ: «ثُمَّ» لتَراخي الاستقامة عن الإقرار في المَرْتَبة وفَضْلها عليه؛ لأنَّ الاستقامةَ لها الشَّأن كلّه، ونحوه قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟﴾ [الحجرات:١٥] والمعنى: ثُمَّ ثَبَتوا على الإقرار ومقتضياته، وعن الصِّدِّيق رضي الله عنه أنَّه تَلَاها، ثم قال: ما تقولونَ فيها؟ قالوا: لم يُذنِبوا. قال: حَمَلْتُم الأَمْرَ على أشَدِّهِ. قالوا: فمَا تقول؟ قال: لم يَرجعوا إلى عبادةِ الأوثان[(٣)]. انتهى.

«تَتنزَّل عليهمُ الملائكةُ» قال مجاهد والسُّدِّيُّ: عند الموت، وقال مقاتل: عند البَعْث، وقيل: عند الموت، وفي القبر، وعِنْدَ البَعْث[(٤)].

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ١٤-١٥، وينظر تفسير القرطبي ١٨/ ٤١٦، والحديث بهذا اللفظ أخرجه الترمذي (٢٤١٠)، وابنُ ماجه (٣٩٧٢)، وأحمد (١٥٤١٩)، وهو عند مسلم (٣٨)، وأحمد (١٥٤١٦) بنحوه، وورد في المصادر: ما تخاف عليَّ، بدل: ما تخافه.

(٢) تنظر هذه الأقوال في تفسير الثعلبي ٥/ ٣٦٨-٣٧٠، والنكت والعيون ٥/ ١٧٩، والمحرر الوجيز ٥/ ١٤، والكشاف ٣/ ٤٥٣، وتفسير القرطبي ١٨/ ٤١٦-٤١٧، وتنظر الآثار عند الطبريّ ٢٠/ ٤٢١-٤٢٥.

(٣) الكشاف ٣/ ٤٥٣، وخبرُ الصِّدِّيق عند الطبري ٢٠/ ٤٢٣، والحاكم ٢/ ٤٤٠، وأبي نعيم في الحلية ١/ ٣٠.

(٤) ينظر تفسير الثعلبي ٥/ ٣٧٠، والنكت والعيون ٥/ ١٨٠، وتفسير البغوي ٤/ ١١٤، وتفسير القرطبي ١٨/ ٤١٧، وتنظر الآثار عند الطبري ٢٠/ ٤٢٥-٤٢٧.

و«أنْ» ناصبة للمضارع، أي: بانتفاءِ خوفِكم وحُزْنِكم، قال معناه الحوفيُّ وأبو البقاء[١].

وقال الزمخشريُّ: بمعنى «أي»، أو مخفَّفة مِن الثَّقيلة، وأصله بأنَّه لا تخافوا، والهاء ضميرُ الشَّأن[٢]. انتهى.

وعلى هذَيْن التقديرَيْن يكون الفِعْلُ مجزوماً بـ «لا» الناهية.

وهذه أَمَنَةٌ عامَّةٌ في كلِّ هَمٍّ مُسْتَأنَفٍ، وتسليةٌ تامَّةٌ عن كلِّ فائتٍ ماضٍ، ولذلك قال مجاهد: «لا تَخافوا» ما تَقْدَمونَ عليه، «ولا تَحزنوا» على ما خَلَّفْتُم مِن دنياكم، وقال عطاء بنُ أبي رباح: «لا تخافوا» رَدَّ ثوابِكم، فإنَّه مقبولٌ، «ولا تَحزنوا» على ذنوبكم؛ فإنِّي أغفرُها لكم[٣].

وفي قراءة عبد الله: «لا تخافوا» بإسقاط «أنْ»[٤]، أي: «تَتنزَّل عليهم الملائكة» قائلينَ: «لا تخافوا ولا تحزنوا».

ولمَّا كان الخَوفُ ممَّا يُتوقَّع مِن المَكروه أَعْظَمَ مِن الحُزْن على الفائِتِ، قَدَّمه، ثم لمَّا وَقَعَ الأَمْنُ لهم، بُشِّروا بما يَؤولون إليه مِن دخولِ الجنَّة، فحصل لهم الأَمْنُ التَّامُّ والسُّرور العظيم بما يستقبلونه مِن الخير.

«نحن أَولياؤكم» الظاهر أنَّه مِن كلام الملائكة، أي: يقولون لهم، وفي قراءة عبدِ الله يكون مِن جُملة المَقُول قَبْلُ، أي: نحن كُنَّا أولياؤكم في الدُّنيا، ونحن أولياؤكم في الآخِرة، لمَّا كان أولياءَ الكُفَّار قرناؤهم مِن الشياطين، كان أولياءَ المؤمنين الملائكةُ، وقال السُّدِّيُّ: نحن حَفَظَتكم في الدُّنيا وأولياؤكم في الآخِرَة، وقيل: «نحن أولياؤكم» مِن كلام اللهِ تعالى، أولياؤكم بالكِفاية والهداية[٥].

---

(١) الإملاء ٢/ ٢٢٢.

(٢) الكشاف ٣/ ٤٥٣.

(٣) تفسير الثعلبي ٥/ ٣٧٠، والمحرر الوجيز ٥/ ١٥، وقول مجاهد عند الطبريّ ٢٠/ ٤٢٧.

(٤) معاني القرآن للفراء ٣/ ١٨، والقراءة في القراءات الشاذة ص ١٣٣، وينظر تفسير الطبري ٢٠/ ٤٢٦، والمحرر الوجيز ٥/ ١٥، والكشاف ٣/ ٤٥٣.

(٥) ينظر تفسير الثعلبي ٥/ ٣٧١، والنكت والعيون ٥/ ١٨٠، والمحرر الوجيز ٥/ ١٥، والكشاف ٣/ ٤٥٣، وتفسير القرطبي ١٨/ ٤١٨، وقول السدي عند الطبري ٢٠/ ٤٢٨.

«ولكم فيها» الضميرُ عائد على «الآخِرَة»، قاله ابنُ عطيَّة[١]، وقال الحوفيُّ: على الجنَّة، «ما تشتهي أنفُسكم» مِن المَلَاذِّ «ولكم فيها ما تَدَّعون» قال مقاتل: ما تَتَمنَّون، وقيل: ما تريدون، وقال ابنُ عيسى: ما تَدَّعي أنَّه لكَ، فهو لكَ بحُكم ربِّك[٢]، وقال ابنُ عطيَّة: ما تَطلُبون[٣].

«نُزُلاً مِن غفورٍ رحيم» النُّزُل: الرِّزْق المُعَدُّ للنَّزِيل وهو الضَّيف، قال معناه ابنُ عطاء[٤]، فيكون «نُزُلاً» حالاً، أي: تُعطَون ذلك في حالِ كونه نُزُلاً من الله، وقال ابنُ عطية: «نزلاً» نصب على المصدر[٥]. والمحفوظ أنَّ مصدر: نَزَلَ: نُزُولاً، لا: نُزُلاً، وجَعَله بعضُهم مصدراً لـ: أَنْزَل، وقيل: نُزُل. جمع: نازِل، كشَارف وشُرُفٍ، فينتصب على الحال، أي: نازِلين، وذو الحال الضميرُ المرفوع في «تَدَّعون».

وقال الحسن: معنى «نُزُلاً» مَنًّا، وقيل: ثواباً. وقرأ أبو حيوة: «نُزْلاً» بإسكان الزاي[٦].

ولمَّا تقدَّم قوله تعالى: «إنَّ الذين قالوا رَبُّنا اللهُ ثم استقاموا» ذَكَرَ مَن دَعَا إلى ذلك، فقال: «ومَن أَحْسَنُ» أي: لا أَحَدَ أَحْسَن «قولاً ممَّن» يَدعو إلى توحيدِ الله، ويَعْمَل العملَ الصالح، ويُصرِّح أنَّه مِن المستسلمين لأَمْرِ اللهِ المنقادينَ له.

والظاهر العمومُ في كلِّ داعٍ إلى الله، وإلى العموم ذهب الحسنُ ومقاتل وجماعة[٧]، وقيل بالخصوص، فقال ابنُ عبَّاس: هو رسولُ اللهِ ﷺ دَعَا إلى الإسلام، وعَمِلَ صالحاً فيما بينَه وبينَ ربِّه، وجَعَلَ الإسلامَ نِحْلَةً، وعنه أيضاً: هم أصحابُ رسولِ الله ﷺ[٨].

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ١٥.
(٢) النكت والعيون ٥/ ١٨٠.
(٣) المحرر الوجيز ٥/ ١٥.
(٤) النكت والعيون ٥/ ١٨١.
(٥) المحرر الوجيز ٥/ ١٥.
(٦) المصدر السابق، وقول الحسن عند الماوردي في النكت والعيون ٥/ ١٨٠.
(٧) المحرر الوجيز ٥/ ١٥، وأثر الحسن عند ابن المبارك في الزهد (١٤٤٦)، والطبري ٢٠/ ٤٢٩، وقول مقاتل عند الثعلبي ٥/ ٣٧٣.
(٨) الكشاف ٣/ ٤٥٣، وينظر زاد المسير ٧/ ٢٥٧.

وقالت عائشة وقيس بنُ أبي حازم وعكرمة ومجاهد: نزلت في المُؤَذِّنين[١].

وينبغي أَنْ يُتأوَّل قولُهم على أنَّهم داخلون في الآية، وإلَّا فالسورة بكمالها مَكِّيَّةٌ بلا خلافٍ، ولم يَكن الأذانُ بمكَّة، إنَّما شُرِعَ بالمدينة.

والدُّعاء إلى الله يكون بالدُّعاء إلى الإسلام، وبجهاد الكفار، وكَفِّ الظَّلَمة.

وقال زيد بن عليٍّ: «دَعَا إلى الله» بالسيف[٢]، وهذا ـ واللهُ أعلم ـ هو الذي حَمَلَه على الخروج بالسَّيف على بعضِ الظَّلَمة مِن ملوك بني أُمَيَّة، وكان زيدٌ هذا عالماً بكتابِ الله، وقد وقفتُ على جُملةٍ مِن تفسيرهِ كتابَ الله، وإلقائِهِ إيَّاه على بعضِ النَّقَلَة عنه ـ وهو في حَبْسِ هشام بنِ عبد الملك ـ وفيه مِن العِلْم والاستشهاد بكلام العرب حَظٌّ وافِر، ويقال: إنَّه كان إذا تناظَرَ هو وأخوه محمد الباقِر اجتمعَ الناسُ بالمحابِر يَكتبون ما يَصدُر عنهما مِن العِلْم، رحمهما اللهُ ورَضيَ عنهما[٣].

وقال أبو أمامة: «وعَمِلَ صالحاً» صلَّى بين الأذانِ والإقامة، وقال عكرمة: صلَّى وصَامَ، وقال الكلبيُّ: أَدَّى الفرائضَ[٤].

وقال الزمخشريُّ: هي عامَّة في كلِّ مَن جَمَعَ بينَ هذه الثَّلاث؛ أن يكون مُوحِّداً، مُعتقداً لدِيْن الإسلام، عاملاً بالخير، داعياً إليه وما هم إلَّا طبقة العالمين العامِلين مِن أهل العَدْل والتوحيد، الدُّعاة إلى دِيْن الله[٥]. انتهى.

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ١٥، وتفسير القرطبي ١٨/ ٤١٩، وزاد المسير ٧/ ٢٥٦، وقولُ عائشة عند الثعلبيّ ٥/ ٣٧٣، وقولُ قيس بن أبي حازم عند الطبري ٢٠/ ٤٣٠-٤٣١.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ١٦.

(٣) تنظر أخبارهما في السير ٤/ ٤٠١-٤٠٩، و٥/ ٣٨٩-٣٩١، والأعلام ٦/ ٢٧٠-٢٧١، و٣/ ٥٩، قال الزركلي عن تفسير غريب القرآن لزيد بن علي: ولا بُدَّ من التثبُّت من صحة نسبته إليه. انتهى. ونَسَبه له الذهبيُّ في التفسير والمفسِّرون ٢/ ٢٨٢، وقال: جمعه بإسناده محمد بن منصور بن يزيد الكوفي أحد أئمة الزيدية المتوفى سنة نيف وتسعين ومئتين. اهـ. ونَسَبه له أيضاً عادل نويهض في معجم المفسِّرين ١/ ١٩٨، وقال: رواه عنه أبو خالد عمرو بن خالد الواسطي.

(٤) ينظر النكت والعيون ٥/ ١٨١، وتفسير الثعلبي ٥/ ٣٧٣، وزاد المسير ٧/ ٢٥٧، وتفسير القرطبي ١٨/ ٤١٩.

(٥) الكشاف ٣/ ٤٥٣.

ويعني بذلك المعتزلَة، يُسَمُّون أنفسَهم أهلَ العَدْلِ والتوحيد، ويُوجَد ذلك في أشعارهم، كما قال ابنُ أبي الحَدِيد المعتزليّ صاحب كتاب «الفَلَك الدَّائِر في الرَّدِّ على كتاب المَثل السَّائِر»[(١)] قال: مِن كلمةٍ أَنْشَدَناها عنه الإمامُ الحافظُ شرفُ الدِّين عبدُ المؤمن بنُ خَلَف الدّمياطيّ رحمه اللهُ تعالى:

لَولا ثَلاثٌ لَمْ أَخَفْ صَرْعَتي … لَيستْ كما قال فَتَى العَبْدِ
أَنْ أَنْصُرَ التوحيدَ والعَدْلَ في … كلِّ مَقامٍ باذِلاً جُهْدِي
وأَنْ أُناجِي اللهَ مُسْتَمتِعاً … بخلوةٍ أَحلى مِن الشَّهْدِ
وأَنْ أَصُولَ الدَّهْرَ كِبْراً على … كلِّ لَئيمٍ أَصْعَرِ الخَدِّ
لذاكَ أَهْوَى لا فَتاةٍ ولا … خمرٍ ولا ذي مَيْعَةٍ نَهْدِ

«وقال إنَّني مِن المسلمين» ليس المعنى أنَّه تَكلَّم بهذا، بل جَعَلَ الإسلامَ معتقدَهُ، كما تقول: هذا قولُ الشافعيِّ، أي: مَذْهَبُه.

وقرأ ابن أبي عَبْلَة وإبراهيم بنُ نوح عن قتيبة الميال: «وقال إنِّي» بنون مُشَدَّدة واحدة، والجمهور: «إنَّني» بها وبنونِ الوقاية[(٢)].

وقال أبو بكر بنُ العربيّ: لم يشترط إلَّا إن شاءَ اللهُ، ففيه رَدٌّ على مَن يقول: أنا مسلم إنْ شاءَ اللهُ[(٣)].

---

(١) وهو كتابٌ رَدَّ فيه على كتاب المَثَل السائر لأبي الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم المعروف بابن الأثير المتوفى سنة (٦٣٧هـ)، وهو مطبوع في جزأين بمطبعة البابي الحلبي، وبتحقيق الشيخ محيي الدين عبد الحميد، والأبيات ذكرها الصفديّ في مقدِّمة كتابه: نصرة الثائر على المثل السائر ص ٤٧ ـ الذي تَمَّم به الكتابين السَّالِفِي الذِّكر، وهو مطبوع في مجمع اللغة العربية بدمشق، بتحقيق الدكتور محمد علي سلطاني ـ وفي كتابه الوافي بالوفيات ١٨/ ٧٨، والأبيات سلفت في تفسير سورة آل عمران، عند تفسير الآية (٧) منها، وينظر أيضاً زهر الأكم في الأمثال والحكم لليوسي ٢/ ٣٠٢-٣٠٣.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ١٦ عن ابنِ أبي عبلة.

(٣) تفسير القرطبي ١٨/ ٤٢٠، وكلامُ ابن العربي في كتابه أحكام القرآن ٤/ ١٦٥٠، وينظر تفسير الرازي ٢٧/ ١٢٦.

ولمَّا ذَكَر تعالى أنَّه لا أَحَد أَحْسَن ممَّن دَعَا إلى الله، ذَكَر ما يترتَّب على ذلك مِن حُسْنِ الأخلاق، وأنَّ الدَّاعيَ إلى اللهِ قد يُجافِيْهِ المَدْعُوُّ، فينبغي أَنْ يَرفقَ به، ويَتلطَّف في إيصال الخير إليه.

قيل[1]: نزلت في أبي سفيان بنِ حَرْب وكان عَدُوًّا لرسولِ الله ﷺ، فصار وليًّا مصافياً.

وقال ابنُ عباس: «الحسنة»: لا إله إلا الله، و«السَّيِّئة»: الشِّرْك، وقال الكلبيُّ: الدَّعوتان إليهما، وقال الضَّحَّاك: الحِلْم والفُحْش، وعن عليٍّ: حبُّ الرَّسُولِ وآلِه، وبُغْضُهم، وقيل: الصَّبْر والنُّفُور، وقيل: المُدَاراة والغِلْظَة، وقيل: العفو والانتصار، وهذه أمثلةٌ للحَسَنة والسَّيِّئة لا على طريق الحَصْر.

ولمَّا تفاوتت الحَسَنةُ والسَّيِّئةُ أَمَرَ أَنْ تُدْفَعَ السَّيِّئةُ بالأَحْسَن، وذلك مبالغةٌ، ولم يَقُل: ادْفَع بالحسنةِ السَّيِّئة؛ لأنَّ من هانَ عليه الدَّفْع بالأَحْسَنِ، هانَ عليه الدَّفْعُ بالحَسَن، أي: فإذا فعلتَ ذلك، إذا الذي بينَك وبينَه عداوةٌ صارَ لَكَ كالوَليِّ الصَّدِيقِ الخالِص الصَّدَاقة[2].

و«لا» في قوله: «ولا السَّيِّئة» زائدة؛ للتوكيد، كهي في قوله: ﴿وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ﴾ [فاطر: ٢١] لأنَّ: استوى، لا يكتفي بمُفْرَد فإنْ أَخَذْتَ الحَسَنةَ والسَّيِّئةَ جنساً لم تَكُ زيادتها كزيادتها في الوَجْه الذي قَبْلَ هذا، إذ يَصير المعنى: ولا تستوي الحَسَناتُ؛ إذ هي متفاوِتةٌ في أنفسها، ولا السَّيِّئاتُ؛ لتفاوتها أيضاً.

قال ابنُ عطيَّة: دخلت «كأنَّ» للتشبيه؛ لأنَّ الذي عنده عَدَاوة لا يَعودُ وَليًّا حميماً، وإنَّما يَحسُن ظاهرُه فيُشَبَّه بذلك الوليِّ الحميم، وعن ابنِ عباس: «بالتي هي أَحْسَن» الصَّبْر عند الغَضَب، والحِلْم عند الجهل، والعَفْو عند الإساءة، وقال

(١) يعني بذلك سببَ نزولِ قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: ٣٤]. الكشاف ٣/ ٤٥٤، وينظر تفسير الثعلبي ٥/ ٣٧٤، والقرطبي ١٨/ ٤٢٢، والبغوي ٤/ ١٥٥، ونُسبَ الكلام عندهم لمقاتل بن حيان.

(٢) ينظر زاد المسير ٧/ ٢٥٧-٢٥٨، والنكت والعيون ٥/ ١٨١-١٨٢، وتفسير القرطبي ١٨/ ٤٢٢.

مجاهد وعطاء: السَّلَام عندَ اللِّقاء[١]. انتهى، أي: هو مَبْدَأُ الدَّفع بالأَحْسَن لا أنَّه محصورٌ فيه.

عن مجاهد أيضاً: أَعْرِضْ عن أَذَاهُم[٢]. وقال أبو فراس الحَمَدانيّ:

يَجْني عليَّ وأَحنو صافحاً أبداً لا شيءَ أَحْسَنُ مِن حانٍ على جانٍ[٣]

«وما يُلَقَّاها» الضمير عائدٌ على الفعلةِ والسَّجِيَّة التي هي الدَّفع بالأَحْسَن، وقرأ طلحة بنُ مُصرِّف وابنُ كثير ـ في رواية ـ: «وما يُلاقَاها» مِن المُلاقاة[٤]، وقرأ الجمهور مِن التَّلَقِّي، وكأنَّ هذه الخَصْلَة الشريفةَ غائبةٌ فما يُصادفها ويُلْقيها اللهُ إلَّا مَن كان صابراً على الطَّاعات، عازفاً عن الشهوات، ذا «حَظٍّ عظيم» مِن خِصال الخير، قاله ابنُ عباس، فيكون مَدْحاً، أو «ذو حَظٍّ عظيم» مِن ثواب الآخرة، قاله قتادة، فيكون وَعْداً، وقيل: «إلَّا ذو» عَقْلٍ، وقيل: ذو خُلُقٍ حَسَنٍ[٥].

وكُرِّرَ «وما يُلقَّاها»؛ تأكيداً لهذه الفعلة الجميلة الجليلة، وقيل: الضمير في «يُلقَّاها» عائد على الجنة.

وحكى مَكِّيّ: «وما يُلقَّاها» أي: شهادة أنْ لا إلَهَ إلَّا الله[٦]، وفيه بُعْدٌ. ولمَّا أَمَرَ تعالى بدَفْع السَّيِّئة بالأَحْسَن، كان قد يَعْرِض للمُسلِم في بعضِ الأوقات مُقابَلَة مَن أَساءَ بالسَّيِّئة، فأَمَرَه ـ إنْ عَرَض له ـ ذلك ـ أَنْ يَستعيذَ بالله، فإنَّ ذلك مِن نَزْغِ

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ١٦ دون قولِ ابنِ عباس، وقوله هذا من الكشاف ٣/ ٤٥٤، وتفسير القرطبي ١٨/ ٤٢٢، والذي في المحرر الوجيز عن ابن عباس قوله: إذا فَعَل المؤمن هذه الفضائل، عَصَمه اللهُ من الشيطان وخضع له عدوّه. انتهى. وأخرجه عنه الطبريُّ ٢٠/ ٤٣٢، وهو تَتِمَّةٌ لقولِ ابن عباس المذكور أعلاه، وفيه أيضاً ٢٠/ ٤٣٣ قول مجاهد وعطاء.

(٢) أخرجه عنه الطبريُّ ١٤/ ٤٠١ عند تفسير الآية (١٢٥) من سورة النحل، و١٧/ ١٠٥ عند تفسير الآية (٩٦) من سورة المؤمنون.

(٣) التمثيل والمحاضرة للثعالبي ص ١٠٩، والتذكرة السعدية ص ٢٦٧.

(٤) القراءات الشاذة ص ١٣٣ عن طلحة، ولم نقف على رواية ابنِ كثير، ونقلها عن المصنِّف السمين في الدر ٩/ ٥٢٨، والآلوسيّ في روح المعاني ٢٤/ ١٩٠.

(٥) ينظر النكت والعيون ٥/ ١٨٢-١٨٣، والمحرر الوجيز ٥/ ١٦، وزاد المسير ٧/ ٢٥٨، وتفسير القرطبي ١٨/ ٤٢٣، وقول قتادة عند الطبريّ ٢٠/ ٤٣٤.

(٦) الهداية إلى بلوغ النهاية لمكي ١٠/ ٦٥٢٦، وصدّره بقوله: وقيل.

الشيطان، وتقدَّم تفسيرُ نظيرِ هذه الآية في أواخِر «الأعراف»[١].

ولـمَّا بيَّن تعالى أنَّ أَحْسَنَ الأعمالِ والأقوالِ هو الدَّعْوَةُ إلى اللهِ، أَرْدَفَه بذِكْر الدلائلِ العلويَّة والسُّفليَّة على قُدْرته البَاهِرة وحِكْمته البالغة وحُجَّته القاطعة، فبَدَأَ بذِكْر الفَلَكيَّات باللَّيل والنَّهار، وقَدَّم ذِكْرَ اللَّيل؛ قيل: تنبيهاً على أنَّ الظُّلْمَة عَدَمٌ والنُّور وجودٌ، وناسب ذِكْرُ الشمسِ بَعْدَ النَّهار؛ لأنَّها سببُ تنويرِه، ويَظهَر للعالَم فيه، ولأنَّها أبلغُ في التنوير مِن القمر، ولأنَّ القَمَرَ ـ فيما يقولون ـ مستفادٌ نُورُه مِن نُورِ الشمس، ثمَّ نهى تعالى عن السُّجود لهما، وأَمَرَ بالسُّجود للخالق تعالى، وكان ناسٌ يَعبدون الشمسَ، كما جاء في قصَّة بلقيس وقومِها[٢]، والضمير في «خَلَقهنَّ» عائدٌ على الليل والنهار والشمس والقمر[٣]، قال الزمخشريُّ: لأنَّ حُكْم جماعَةِ ما لا يَعقِل حُكْمُ الأُنثى أو الإناث، يقال: الأَقْلَام بَرَيْتها وبَرَيْتهنَّ[٤]. انتهى.

يريد ما لا يَعقل من المُذَكَّر، وكان ينبغي أَنْ يُفرِّقَ بين جَمْعِ القِلَّة مِن ذلك، فإنَّ الأَفْصَح أَنْ يكونَ كضمير جمع المؤنَّث، وبينَ جَمْع الكثرة، فإنَّ الأفصحَ أَنْ يكون كَضمير[٥] الواحدة، يقال: الأَجْذَاع انْكَسرنَ، على الأَفْصَح، والجذوع انْكَسَرت، على الأفصح، والذي تَقَدَم في الآية ليس بجمع قِلَّة، أعني بلفظ واحد، ولكنَّه ذَكَرَ أربعةً متعاطِفةً، فتنزَّلت منزلةَ الجَمْعِ المعبَّر به عنها بلفظٍ واحد.

وقال الزمخشريُّ: أو لـمَّا قال: «ومِن آياته» كُنَّ في معنى الآيات، فقيل: «خَلَقهنَّ»[٦]. انتهى.

يعني أنَّ التقديرَ واللَّيلَ والنهارَ والشمسَ والقمرَ آياتٌ مِن آياتِه، فعَادَ الضميرُ على آيات الجَمْع المُقدَّر في المجرور، وقيل: يَعود على الآيات المُتقدِّم ذِكْرها، وقيل: على الشَّمس والقَمَر، والاثنان جَمْعٌ، وجَمْعُ ما لا يَعقلُ يُؤنَّث، ومِن حيث

(١) عند تفسير الآية (٢٠٠) منها.
(٢) الآية (٢٤) من سورة النمل وما بعدها.
(٣) ينظر تفسير الرازي ٢٧/ ١٢٨-١٢٩.
(٤) الكشاف ٣/ ٤٥٤.
(٥) من قوله: جمع المؤنث. . .، إلى هنا، زيادة من (د٣) و(يه)، ولم ترد عند باقي النُّسَخ.
(٦) الكشاف ٣/ ٤٥٤.

يُقال: شُمُوس وأَقمار؛ لاختلافهما بالأيَّام واللَّيالي، سَاغَ أَنْ يعودَ الضميرُ مجموعاً.

«إنْ كُنتم إيَّاهُ تعبُدُون» أي: إنْ كنتم موحِّدين غيرَ مشركين.

والسَّجْدة عند الشافعيِّ عندَ قوله: «تعبدون»[1]، وهي روايةُ مسروق عن عبدِ الله، لذِكْر لفظ السَّجْدَة قَبْلها، وعند أبي حنيفة عندَ قوله: «لا يسأمون»؛ لأنَّها تمامُ المعنى، وفي «التحرير»: كان عليٌّ وابنُ مسعود يَسجُدان عندَ «تعبدون»، وقال ابنُ وهب والشافعيُّ عند «يَسْأَمُون»، وبه قال أبو حنيفة، وسَجَدَ عندها ابنُ عباس وابنُ عُمر وأبو وائل وبكر بنُ عبد الله، وكذلك رُويَ عن مسروق السُّلَميّ والنَّخَعيّ وأبي صالح وابنِ وثَّاب والحسن وابنِ سيرين[2]. انتهى ملخَّصاً.

«فإنِ استكبروا» أي: تعاظَموا عن اجتنابِ ما نَهيتُ مِن السُّجُود لهذَيْن المُحْدَثَيْن المَرْبُوبَيْن وامتثالِ ما أَمَرْتُ به مِن السُّجود للخَالِق لهنَّ، فإنَّ الملائكةَ ـ الذين هم عندَ اللهِ بالمكانَةِ والرُّتْبَة الشريفة ـ يُنزِّهونَهُ عن ما لا يَليقُ بكبريائه، «وهم لا يَسأمون» أي: لا يَمَلّون ذلك، وهم خيرٌ منكم، مع أنَّه تعالى غَنِيٌّ عن عبادتكم وعبادتهم.

ولمَّا ذَكَر شيئاً مِن الدَّلائل العلويَّة ذَكَرَ شيئاً مِن الدَّلائل السُّفليَّة، فقال: «ومِن آياته أنَّكَ تَرَى الأرضَ خاشعةً» أي: غَبْرَاء دَارِسَة، كما قال:

ونُؤْيٌ كَجِذْمِ الحَوضِ أَثْلَمُ خاشِعُ[3]

استُعيرَ الخُشُوعُ لها ـ وهو التَّذلُّل ـ لما ظهرَ بها مِن القَحْطِ وعَدَمِ النبات ونُبُوِّ العَيْنِ عنها، بخلاف أنْ تكون مُعْشِبَةً وأشجارها مُزْهِرةً ومُثْمِرة، فذلك هو حياتها.

---

(١) من قوله: أي: إن كنتم موحّدين...، إلى هنا، ليست في (ت).

(٢) ينظر تفسير القرطبي ١٨/ ٤٢٤-٤٢٥، وأحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٦٥٢، وللجصاص ٣/ ٣٨٥، والكشاف ٣/ ٤٥٤، وزاد المسير ٧/ ٢٥٩.

(٣) القائل النابغة الذبياني، والبيت في ديوانه ص ٧٩، وصدره:

رمادٌ كَكُحْلِ العينِ لأياً أُبِينُهُ

والنُّؤي: حَفيرة تُحفر حول الخباء، ويُجعل ترابها حاجزاً؛ لئلا يدخله المطر. والجِذْم: الأصل. والمتثلّم: المتكسّر، والخاشع: اللاصق بالأرض. خزانة الأدب ٢/ ٤٥٣.

وقال السُّدِّيُّ: «خاشعة» مَيتةً يابسة[١]، وتقدَّم الكلامُ على قوله: «فإذا أنزلنا عليها الماءَ اهْتَزَّت ورَبَت» تفسيراً وقراءةً في أوائلِ سورة «الحجِّ»[٢].

«إنَّ الذي أَحياها» بالنباتِ «لَمُحيي الموتى» بِرَدِّ الأرواح إلى الأجساد «إنَّه على كلِّ شيءٍ قديرٌ» لا يُعْجزه شَيءٌ تَعلَّقت به إرادتُه.

❁ ❁ ❁

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخۡفَوۡنَ عَلَيۡنَآۗ أَفَمَن يُلۡقَىٰ فِي ٱلنَّارِ خَيۡرٌ أَم مَّن يَأۡتِيٓ ءَامِنٗا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ۝٤٠ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكۡرِ لَمَّا جَآءَهُمۡۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٞ ۝٤١ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ ۝٤٢ مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدۡ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبۡلِكَۚ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغۡفِرَةٖ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٖ ۝٤٣ وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَانًا أَعۡجَمِيّٗا لَّقَالُواْ لَوۡلَا فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥٓۖ ءَا۬عۡجَمِيّٞ وَعَرَبِيّٞۗ قُلۡ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدٗى وَشِفَآءٞۚ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٞ وَهُوَ عَلَيۡهِمۡ عَمًىۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوۡنَ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ ۝٤٤ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ فَٱخۡتُلِفَ فِيهِۗ وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيۡنَهُمۡۚ وَإِنَّهُمۡ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُ مُرِيبٖ ۝٤٥ مَّنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَسَآءَ فَعَلَيۡهَاۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ۝٤٦﴾.

لمَّا بيَّن تعالى أنَّ الدُّعاء إلى دِيْنِ الله أعظمُ القُرُبات، وأنَّه يَحصُل ذلك بذِكْر دلائلِ التوحيد والعَدْل والبَعْث، عَادَ إلى تهديدِ مَن يُنازِع في تلك الآيات ويُجادِل، فقال: «إنَّ الذين يُلْحِدونَ في آياتنا» وتقدَّم الكلامُ على الإلحاد في قوله: ﴿وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ﴾ [الأعراف: ١٨٠] وذَكَر تعالى أنَّهم لا يَخْفَون عليه، وفي ذلك تهديدٌ لهم.

وقال قتادة هنا: الإلحادُ التكذيبُ، ومجاهد: المُكَاءُ والصَّفِير واللَّغو، وقال ابنُ عبَّاس: وَضْعُ الكلامِ غيرَ موضعه[٣].

---

(١) النكت والعيون ٥/ ١٨٤، وأخرجه عنه الطبريُّ ٢٠/ ٤٣٨، وفيه: مُهَشَّمة، بدل: ميتة.

(٢) عند تفسير الآية الخامسة منها.

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ١٨، وتنظر الآثار عند الطبريّ ٢٠/ ٤٤٠-٤٤١.

وقال أبو مالك: يَميلون عن أدلَّتنا، وقال السُّدِّيُّ: يُعانِدونَ رُسُلَنا، فيما جاؤوا به مِن البيِّنات والآيات[١].

ثمَّ استفهمَ تقريراً فقال: «أفَمَن يُلْقى في النَّار» بإلحاده في آياتِنا «خيرٌ أمَّن يأتي آمِناً»، ولا اشتراكَ بين الإلقاء في النَّار والإتيان آمِناً، لكنَّه كما قلنا استفهامُ تقريرٍ، كما يُقرِّر المُناظِرُ خَصْمَه على وجهين؛ أحدهما: فاسِد، يَرجُو أنْ يَقَعَ في الفاسد؛ فيَتَّضِح جَهْله[٢].

ونبَّه بقوله: «يُلقَى في النَّار» على مُسْتَقرِّ الأَمْنِ، وهو الجنَّة، وبقوله: «آمِناً» على خوف الكافر، وطُول وَجَلِه.

وهذه الآية قال ابنُ بَحْر: عامَّة في كلِّ كافر ومؤمن[٣]، وقال مقاتل: نزلت في أبي جَهْل وعثمان بنِ عفان، وقيل: فيه وفي عمار بنِ ياسر[٤]، وقيل: فيه وفي عمر، وقيل: أبو جهل وحمزة بنُ عبدِ المطلب، وقال الكلبيُّ: أبو جهل والرَّسولُ ﷺ[٥].

ولمَّا تقدَّم ذِكْرُ الإلحاد ناسَبَ أنْ يتَّصل به في التقرير مَنِ اتَّصف به ولم يَكن التركيبُ: أَفَمَن يأتي آمِناً يومَ القيامة، كمَن يُلْقَى في النار، كما قدّم ما يُشْبِهه في أقواله: ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ﴾ [الرعد:١٩] وكما جاء في سورة القِتال: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ﴾ [محمد:١٤].

«اعْمَلوا ما شِئْتُم» وعيدٌ وتهديد بصيغة الأَمْرِ، ولذا جاء «إنَّه بما تعملونَ بَصيرٌ» فيُجازيكم بأعمالِكم.

«إنَّ الذين كفروا بالذِّكْرِ لمَّا جاءَهم» هم قريش ومَن تابَعَهم مِن الكفارِ غيرِهم، والذِّكْر: القرآن هنا بإجماعٍ، وخبر «إنَّ» اختلفوا فيه أمذكورٌ هو أو محذوف؟ فقيل: مذكور، وهو قوله: «أولئك يُنادَون مِن مكانٍ بعيدٍ» وهو قولُ أبي عمرو بنِ العلاء

(١) النكت والعيون ٥/ ١٨٤.
(٢) المحرر الوجيز ٥/١٨-١٩.
(٣) النكت والعيون ٥/ ١٨٥.
(٤) المحرر الوجيز ٥/ ١٨.
(٥) النكت والعيون ٥/ ١٨٥، وزاد المسير ٧/ ٢٦١، وتفسير القرطبي ١٨/ ٤٢٧.

في حكايةٍ جَرَت بينَه وبينَ بلال بنِ أَبي بُرْدة؛ سُئِلَ بلالٌ في مجلسِه عن هذا، فقال: لم أجِد لها نَفَاذاً. فقال له أبو عَمرو: إنَّه منكَ لقَرِيب «أُولئك يُنادَون»[1]، وقال الحوفيُّ: ويَرِدُ على هذا القولِ كَثْرةُ الفَصْل، وأنَّه ذكرَ هناك مَن تكون الإشارةُ إليهم، وهو قوله: «والذين لا يُؤمنون في آذانِهم وَقْرٌ وهو عليهم عمًى أولئكَ يُنَادَونَ».

وقيل: محذوف، وخبر: «إنَّ» يُحْذَف؛ لفَهْم المعنى، وسأل عيسى بنُ عُمر عَمرو بنَ عُبَيْد عن ذلك، فقال عَمرو: معناه في التفسير: «إنَّ الذين كفروا بالذِّكر لمَّا جاءَهم» كفروا به «وإنَّه لكتاب». فقال عيسى: أَجَدْتَ يا أبا عثمان[2].

وقال قوم: تقديره: معاندون، أو: هالكون، وقال الكسائيُّ: قد سَدَّ مَسَدَّه ما تقدَّم مِن الكلام قَبْلَ «إنَّ»، وهو قوله: «أَفَمَن يُلْقَى في النار»[3]. انتهى. كأنَّه يُريد دَلَّ عليه ما قَبْلَه، فيُمكن أَنْ يُقدَّر: يُخَلَّدون في النار.

وقال الزمخشريُّ: فإن قلت: بِمَ اتَّصَل قولُه: «إنَّ الذين كفروا بالذِّكْر»؟

قلت: هو بَدَل مِن قوله: «إنَّ الذين يُلحِدون في آياتنا»[4]. انتهى.

ولم يتعرَّض بصريح الكلام في خبر «إنَّ» أَمذكورٌ هو أو محذوف؟ لكن قد يُنْتَزَعُ مِن كلامه هذا أنَّه تَكلَّم فيه بطريق الإشارة إليه؛ لأنَّه ادَّعَى أنَّ قولَه: «إنَّ الذين كفروا بالذِّكر» بَدَلٌ مِن قوله: «إنَّ الذين يُلحِدونَ» فالمحكوم به على المُبدَل منه هو المحكوم به على البَدَل، فيكون التقدير: إنَّ الذينَ يُلحِدون في آياتِنا إنَّ الذين كَفُروا بالذِّكْر لمَّا جاءَهم لا يَخفَونَ علينا.

وقال ابنُ عطيَّة: والذي يُحسِّن في هذا هو إضمارُ الخبر بعد «حكيم حميد»، وهو أشدُّ إظهاراً لمذمَّة الكفار به، وذلك لأنَّ قوله: «وإنَّه لكتابٌ عزيزٌ» داخلٌ في

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ١٩، نقلاً عن النَّقَّاش.
(٢) المحرر الوجيز ٥/ ١٩، نقلاً عن الطبريّ، والخبر في تفسيره ٢٠/ ٤٥٢، وينظر إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٦٤.
(٣) إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٦٤.
(٤) الكشاف ٣/ ٤٥٥.

صفة الذِّكْرِ المُكذَّب به، فلم يتمَّ ذِكْرُ المُخبَر عنه إلَّا بعد استيفاءِ وَصْفِه(١). انتهى. وهو كلامٌ حَسَن.

والذي أَذهبُ إليه أنَّ الخبرَ مذكورٌ، لكنَّه حُذِفَ منه عائدٌ يَعود على اسم «إنَّ»، وذلك في قوله: «لا يَأْتيه الباطل» أي: الباطل منهم، أي: الكافرون به، وحالة هذه لا يَأْتيه باطلهم، أي: متى رَامُوا فيه أنْ يكون ليس حقًّا ثابتاً مِن عندِ الله، وإبطالاً له، لم يَصِلُوا إليه، أو تكون «أل» عِوضاً مِن الضمير، على قول الكوفيين، أي: لا يَأْتيه باطلُهم، أو يكون الخبر قولَه: «ما يُقال لك» أي: في شأنهم، أو فيهم «إلَّا ما قد قِيْلَ للرُّسُل مِن قَبْلِكَ» أي: أوحي إليكَ في شَأْنِ هؤلاء المُكذِّبين لكَ ولِمَا جئتَ به مِثْل ما أوحي إلى مَن قَبْلك مِن الرُّسُل، وهو أنَّهم عاقبتهم سَيِّئة في الدُّنيا بالهلاك، وفي الآخِرَة بالعذاب الدائم، وغاية ما في هذَيْن التوجهَيْن حَذْفُ الضمير العائد على اسم «إنَّ»، وهو موجود، نحو قوله: السَّمْنُ مَنَوان بدِرْهم، أي: منوان منه، والبُرُّ كُرٌّ بدِرْهم، أي: كُرٌّ منه.

وعن بعضِ نُحاة الكوفة: الخبر في قوله: «وإنَّه لكتاب عزيز»(٢)، وهذا لا يُتعقَّل.

«وإنَّه لكتاب عزيز» جملةٌ حاليَّة، كما تقول: جاء زيدٌ وإنَّ يَدَهُ على رأسه، أي: كفروا به وهذه حاله، وعِزَّتُه كونه عديمَ النَّظِير؛ لِمَا احتوى عليه مِن الإعجاز الذي لا يُوجَد في غيره مِن الكتب، أو غالبٌ ناسِخٌ لسائر الكُتُب والشرائع.

وقال ابنُ عباس: «عزيز»: كريمٌ على الله تعالى، وقال مقاتل: مُمتَنِعٌ مِن الشيطان، وقال السُّدِّيُّ: غيرُ مَخلوقٍ. وقيل: وُصِفَ بالعِزَّة؛ لأنَّه لصِحَّة معانيه مُمتَنِعٌ الطَّعنُ فيه والإزراءُ عليه، وهو محفوظٌ مِن الله(٣).

«لا يَأْتيه الباطِلُ» مَن جَعَلَ خبرَ «إنَّ» محذوفاً، أو قولَه: «أولئك يُنادَون»، كانت هذه الجملةُ في موضع الصِّفة، وعلى ما اخترناهُ مِن أَحَدِ الوجهين تكون

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ١٩.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ١٩ نقلاً عن الطبري، وكلامه في تفسيره ٢٠/ ٤٥٢.

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ١٩، وينظر تفسير الثعلبي ٥/ ٣٧٥، والنكت والعيون ٥/ ١٨٥، وتفسير البغوي ٤/ ١١٦، وتفسير القرطبي ١٨/ ٤٢٨.

الجملةُ في موضع خبر «إنَّ»، والمعنى أنَّ الباطلَ لا يَتطرَّق إليه «مِن بينِ يديه ولا مِن خَلْفه» تمثيلٌ، أي: لا يَجِدُ الطَّعْنُ سبيلاً إليه مِن جهةٍ مِن الجهات فيتعلّق به، وأمَّا ما ظَهَرَ مِن بعضِ الحمقى مِن الطَّعْن فيه على زَعْمهم ومِن تأويلِ بعضِهم له كالباطنيَّة، فقد رَدَّ عليهم ذلكَ علماءُ الإسلام وأظهروا حماقاتِهم.

وقال قتادة: «الباطِل»: الشيطان، واللفظُ لا يَخصّ الشيطان، وقال ابنُ جبير والضَّحَّاك: «مِن بين يديه» أي: كتابٌ مِن قَبْلِه فيُبطله، ولا مِن بَعْدِه[1]، فيكون على هذا «الباطل» في معنى المُبْطِل، نحو: أَوْرَسَ النَّبَاتُ، فهو وارس، أي: مُورِس، أو يكون «الباطل» بمعنى المُبطل مصدراً، فيكون كالعافية.

وقيل: «مِن بينِ يديه» أي: مِن قَبْلِ أَنْ يَتمَّ نُزُوله «ولا مِن خَلْفه» أي: مِن بَعْدِ نُزُوله، وقيل عكسُ هذا، وقيل: «مِن بين يديه» قَبْلَ أَنْ ينزِل، لأنَّ الأنبياءَ بَشَّرت به فلم يَقْدِر الشيطانُ أَنْ يُدحِضَ ذلك، «ولا مِن خَلْفه» بَعْدَ أَنْ أُنْزِل.

وقال الطبريُّ: «مِن بين يديه» لا يَقْدِر ذو باطلٍ أَنْ يَكيدَه بتغييرٍ ولا تبديلٍ «ولا مِن خَلْفه» لا يَستطيع ذو باطلٍ أَنْ يُلحِقَ فيه[2].

«تنزيل» أي: هو تنزيلٌ «مِن حكيم» أي: حَاكِم أو مُحكِم لمبانيه «حميد» محمود على ما أَسْدَى لعبادِه مِن تنزيلِ هذا الكتاب وغيرِه مِن النِّعَم.

«ما يُقالُ لكَ»: «يقال» مبنيٌّ للمفعول؛ فاحتمل أَنْ يكون القائلُ اللهَ تعالى، كما تقدَّم تأويلنا فيه، أي: ما يُوحِي إليكَ الله إلَّا مِثْل ما أوحى إلى الرُّسل، أي: في شَأْنِ الكُفَّار، كما تأوَّلناه على أَحَدِ الوجهين، أو في الشَّرائع.

وجوَّزوا على أنَّ القائلَ هو اللهُ أَنْ يكون «إنَّ رَبَّكَ» تفسيراً لقوله: «ما قَدْ قِيْل» فالمَقُول «إنَّ رَبَّك لذو مغفرة» للطائعين، «وذو عقابٍ أليم» للعاصين، وهذا التأويلُ فيه بُعْدٌ؛ لأنَّه حصرَ ما أَوحى اللهُ إليه وإلى الرسل في قوله: «إنَّ ربَّك لذو مغفرة

---

(١) تنظر المصادر الآنفة الذكر، وأثَر قتادة عند ابنِ الضريس في فضائل القرآن (١٢٢) و(١٢٣)، والطبريّ ٢٠/ ٤٤٤، وأورده أيضاً القرطبيُّ ١٨/ ٤٢٨ عن السدي، وأخرجه عنه الطبري ٢٠/ ٤٤٣ و٤٤٥.

(٢) أي: ما ليس منه. تفسير الطبري ٢٠/ ٤٤٥.

وذو عقاب أليم»، وهو تعالى قد أوحى إليه وإليهم أشياءَ كثيرةً، فإذا أخذناه على الشرائع أو على عاقبةِ المُكذِّبين، كان الحَصْرُ صحيحاً، وكان قولُه تعالى: «إنَّ ربَّك» استئنافَ إخبارٍ عنه تعالى، لا تفسيراً لما قد قيل.

واحتمل أنْ يكون القائلُ الكفَّارَ، أي: ما يقولُ لكَ كفارُ قومِك إلَّا ما قد قال كُفَّار الرُّسُلِ لهم مِن الكلام المؤذي والطَّعْن فيما أنزل اللهُ عليهم مِن الكُتُب، ثمَّ أخبر تعالى أنَّه «ذو مغفرة وذو عقاب أليم»، وفيه التَّرْجِئة بالغُفران والزَّجْر بالعقاب وهو وَعْظٌ وتهديد.

وقال قتادة: عَزَّى اللهُ نبيَّه وسَلَّاه بقوله: «ما يُقالُ لَكَ» الآية، ومِثْله: ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٌ﴾[1] [الذاريات: ٥٢].

ولمَّا ذَكَر تعالى المُلحِدين في آياته وأنَّهم لا يَخفَون عليه والكافرينَ بالقرآن، ذَكَر ما دلَّ على تعنُّتهم وما ظَهَرَ مِن تكذيبهم، وقولهم: هلَّا نَزَل بلغةِ العَجَم؟ فقال: «ولو جعلناه قرآناً أعْجَميًّا» أي: لا يُفصِح ولا تَبين معانيه لهم؛ لكونه بلغةِ العَجَم، أو بلغةِ غيرِ العرب، لم يَتركوا الاعتراضَ والتَّعَنُّتَ و«لقالوا لَولَا فُصِّلَت آياتُه» أي: بُيِّنَت لنا وأُوضِحَت حتى نفهَمها.

وقرأ الجمهور: «آعْجَميٌّ» بهمزة الاستفهام بعدها مَدَّةٌ هي همزة أعجمي، وقياسها في التخفيف التسهيلُ بَيْن بَيْن، وقرأ الأخوان والأعمش وحفص بهمزتين[2]، أي: وقالوا مُنكِرينَ: أَقُرآن أعْجَمِيٌّ ورسولٌ عَرِبيٌّ، أو: ومُرسَلٌ إليه عربيٌّ؟! وتأوَّله ابنُ جُبير أنَّ معنى قوله: «أعجميٌّ» ونحن عربٌ مالَنا وللعُجْمة، وقال ابنُ عطيَّة: كأنَّهم يُنكِرونَ ذلك، فيقولون: لَولا بُيِّنَ، أعجميٌّ وعربيٌّ مُختلِط، هذا لا يَحسُن[3]. انتهى.

---

(١) ينظر النكت والعيون ٥/ ١٨٦، وزاد المسير ٧/ ٢٦٣، وأخرجه عن قتادة الطبريُّ ٢٠/ ٤٤٦.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٢٠، والقراءة في السبعة ص ٥٧٧، والتيسير ص ١٩٣، والنشر ٢/ ٣٦٦، وينظر تفصيل هذه القراءة عندهم، وخاصَّة ما يتعلَّق بالقراءة بهمزة واحدة أو بهمزتين، وإن كان بهمزتين، هل هما بالتحقيق أو بالتسهيل، وهل بينهما ألف أم لا؟ وسيأتي تفصيل ذلك قريباً.

(٣) المحرر الوجيز ٥/ ٢٠، وكلام ابنِ جبير أخرجه الطبريُّ ٢٠/ ٤٤٧.

ولا يصحُّ هذا التقسيم؛ لأنَّه بالنسبة للقرآن وَهْمٌ، إنَّما قالوا ما دلَّ عليه قولُه تعالى: «ولو جَعَلْناه قرآناً أعجميًّا» مِن اقتراحهم أَنْ يكون أعجميًّا، ولم يَقترحوا أن يكونَ القرآنُ أعجميًّا وعربيًّا.

وقرأ الحسن وأبو الأسود والجحدريُّ وسَلَّام والضَّحَّاك وابنُ عباس وابنُ عامر ـ بخلافٍ عنهما ـ: «أَعْجَمِيٌّ وعَربِيٌّ» دونَ استفهام وسكون العين، فقيل: معناه أنَّهم قالوا: أعجمةٌ وإعرابٌ؟!! إنَّ هذا لشاذٌّ، وقال ابنُ جبير: معناه: لولا فُصِلَ فَصْلَين، فكان بعضُه أعجميًّا يَفهمه العَجَم، وبعضُه عربيًّا يَفهمه العربُ[1].

وقال صاحب «اللوامح»: كأنَّهم لمَّا قالوا: «لولا فُصِّلت آياته» أعادوا القولَ ثانياً، فقالوا: أعجميٌّ.

وأضمروا المبتدأ، أي: أَعجميٌّ، أو القرآن أعجميّ، أو الكلام أو نحوها، والذي أَتَى به ـ أو الرَّسول ـ عَرَبِيٌّ، كأنَّهم كانوا يُنكِرون ذلك.

وقرأ عمرو بنُ ميمون: «أَعَجَمِيٌّ» بهمزةِ استفهام وفَتْح العين[2]، والمعنى أنَّ القرآنَ لو جاءَ على طريقةٍ كائنةٍ ما كانت، تَعنَّتوا؛ لأنَّهم لا يَطلبون الحقَّ.

وقال صاحب «اللوامح»: والعَجَميُّ المَنْسُوب إلى العَجَم، والياءُ للنَّسَب على الحقيقة، وأمَّا إذا سُكِّنت العينُ فهو الذي لا يُفصِح، والياءُ فيه بلفظِ النَّسَب دونَ معناه، فهو بمنزلة ياء: كُرْسِيّ وبُخْتِيّ[3]، والله أعلم. انتهى.

وليست كياءِ: كُرْسيّ؛ لأنَّ ياءَ: كرسيّ، بُنِيَت الكلمةُ عليها، وياء: أعجميّ، لم تُبْنَ الكلمةُ عليها، تقول العرب: رجلٌ أَعْجَمُ ورَجُلٌ أَعْجَميٌّ، فالياء للنسبة الدَّالَّة على المبالغة في الصفة، نحو: أَحْمَرِيّ ودَوَّارِيّ، مبالغة في: أَحْمَر ودَوَّارٍ.

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٢٠، والقراءة عنهم ـ دون ابن عباس ـ في المحتسب ٢/ ٢٤٧، وقراءة ابنِ عامر ـ من رواية هشام ـ في التيسير ص ١٩٣، والنشر ٢/ ٣٦٦، وينظر معاني القرآن للنحاس ٦/ ٢٧٩.

(٢) القراءات الشاذة ص ١٣٣ دون عزوٍ ونَقْلاً عن الفراء ـ وكلامه في كتابه معاني القرآن ٣/ ١٩ ـ والمحتسب ٢/ ٢٤٨ عن عمرو بن ميمون.

(٣) البُخْت والبُخْتِيّ: أعجميان دخيلان، الإبل الخراسانية تُنْتَج من إبل عربيّة وفالِج. العين ٤/ ٢٤١ (بخت).

وقال الزمخشريُّ: فإن قلت: كيف يَصِحُّ أَنْ يُرادَ بالعربيِّ المُرسَلُ إليهم وهم أمَّة العرب؟

قلت: هو على ما يَجب أَنْ يَقَعَ في إنكارِ المُنْكِرِ لو رَأى كتاباً عجميًا كُتِبَ إلى قومٍ مِن العرب، يقول: أكتابٌ عَجمِيٌّ ومكتوبٌ إليه عربيٌّ؟! وذلك لأنَّ نَسْجَ الإنكار على تنافُر حالتَي الكتاب والمكتوب إليه، لا على أنَّ المكتوبَ إليه واحدٌ أو جماعةٌ، فوجبَ أنْ يُجرَّد لِمَا سيقَ له مِن الغَرَض، ولا يُوصَل به ما تُخُيِّلَ غَرَضاً آخر، ألَا تراكَ تقول، وقد رأيتَ لباساً طويلاً على امرأةٍ قصيرةٍ: اللِّباسُ طويلٌ واللَّابِس قصيرٌ، ولو قلت: واللَّابِسَة قصيرةٌ، جئتَ بما هو لُكْنَةٌ وفُضُولُ قول؛ لأنَّ الكلامَ لم يَقَع في ذُكورة اللابس وأُنوثته، إنَّما وَقَعَ في غَرَض وَرَاءَهما[١]. انتهى. وهو حَسَنٌ إلَّا أنَّ فيه تكثيراً، على عادته في حُبِّ الشَّقْشَقَة والتَّفَيْهُق.

«قل هو» أي: القرآن «للذين آمنوا هدًى» أي: إرشادٌ إلى الحقِّ «وشفاءٌ» أي: لِمَا في الصُّدُور مِن الظَّنِّ والشَّكِّ.

والظاهر أنَّ «والذين لا يؤمنون» مبتدأ، و«في آذانِهم وَقْرٌ» في موضع الخبر.

وقال الزمخشريُّ: هو «في آذانهم وَقْرٌ» على حَذْف المبتدأ[٢].

لمَّا أخبرَ أنَّه هدًى وشفاءٌ للمؤمنين، أَخبر أنَّه وَقْرٌ وصَمَمٌ في آذانِ الكافرين، ولا يضطرّ إلى إضمار: «هو»، فالكلامُ تامٌّ دونَه، أخبرَ أنَّ في آذانِهم صَمَماً عن سماعِهم، ثم أخبرَ أنَّه عليهم عمًى يَمنعهم مِن إبْصَار حِكمته والنَّظَرِ إلى معانِيْه والتَّدَبُّرِ لآياتِه، وجاء بلفظ «عليهم» الدَّالَّة على استيلاءِ العَمَى عليهم، وجاء في حقِّ المؤمنين باللَّام الدَّالَّة على الاختصاص.

وكون «والذين» في موضع جَرٍّ عطفاً على قوله: «للذين آمنوا»، والتقدير: وللذين لا يُؤمنون وَقْرٌ في آذانِهم[٣]، إعرابٌ مُتَكلَّف، وهو مِن العطف على عامِلَين، وفيه مذاهبُ كثيرةٌ مذكورة في النَّحْوِ، والمَشْهور مَنْعُ ذلك.

---

(١) الكشاف ٣/ ٤٥٥-٤٥٦.
(٢) الكشاف ٣/ ٤٥٦.
(٣) المصدر السابق.

وقرأ الجمهور: «عَمًى» بفتح الميم منوَّناً، مصدر: عَمِيَ، وقرأ ابنُ عُمر وابنُ عباس وابنُ الزبير ومعاوية بنُ أبي سفيان وعمرو بنُ العاصي وابنُ هُرْمز: «عَمٍ» بكسر الميم وتنوينِه، وقال يعقوب القارئُ وأبو حاتم: لا نَدْرِي أَنَوَّنُوا أم فَتَحوا الياءَ على أنَّه فِعْلٌ ماضٍ، وبغير تنوينٍ رواها عمرو بنُ دينار وسليمان بن قَتَّة عن ابنِ عباس[١].

والظاهر أنَّ الضميرَ في «وهو عليهم» عائد على القرآن، وقيل: يَعود على الوَقْر.

«أولئك» إشارة إلى «الذين لا يؤمنون»، ومَن جَعَلَه خبراً لـ «إنَّ الذين كفروا» كانت الإشارة إليهم «يُنادَوْنَ مِن مكانٍ بعيد» قيل: هو حقيقة، قال الضَّحَّاك: «يُنادَوْنَ» بكُفْرهم وقُبْح أعمالِهم بأَقْبَحِ أسمائهم مِن بُعْدٍ، حتى يَسمَع ذلك أهلُ الموقف فتَعظُم السَّمعةُ عليهم ويحِلُّ المُصَابُ، وقال عليٌّ ومجاهد: استعارةٌ لِقِلَّة فَهْمِهم، شبَّههم بالرَّجُل يُنادى مِن بُعْدٍ، فيَسمع الصوتَ ولا يَفهم تفاصيلَه ولا معانيه[٢].

وحكى أهلُ اللغة أنَّه يقال للَّذي لا يَفْهَم: أنتَ تُنادَى مِن بعيد، أي: كأنَّه يُنادَى مِن موضع بعيدٍ، فهو لا يَسمع النِّداء ولا يَفهمه، وحكى النَّقَّاشُ: كأنَّما يُنادَون مِن السَّماء[٣].

«ولقد آتَيْنا موسى الكتابَ» تسليةٌ للرَّسول في كون قومه اضْطَرَبوا فيما جاءَ به مِن الذِّكْرِ، فذكرَ أنَّ موسى عليه السلام أُوتيَ الكتابَ ـ وهو التوراة ـ «فاختلف فيه»، وتقدَّم شَرْحُ هذه الآية في أواخِر سورة «هود» عليه السلام[٤]، والكلامُ على

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٢١، وورد في مطبوعه: وبغير ياء، بدل: وبغير تنوين، وتفسير الثعلبي ٥/ ٣٧٥، والقرطبيّ ١٨/ ٤٣١، والقراءة في القراءات الشاذة ص ١٣٣ عن ابنِ عباس: «وهو عليهم عمٍ»، ينظر تفسير الطبري ٢٠/ ٤٥٠، ومعاني القرآن للنحاس ٦/ ٢٨١، وللفراء ٣/ ٢٠.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٢١، وينظر تفسير القرطبي ١٨/ ٤٣١، والنكت والعيون ٥/ ١٨٧، وتنظر الآثار عند الطبريّ ٢٠/ ٤٥١-٤٥٢.

(٣) تفسير القرطبي ٥/ ٢١، وينظر النكت والعيون ٥/ ١٨٧.

(٤) عند تفسير الآية (١١٠) منها.

نظيرِ: «وما رَبُّكَ بظلَّامٍ للعبيد» في قوله في سورة «الحجّ»: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [الآية: ١٠].

❁ ❁ ❁

﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ۚ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَآءِى قَالُوٓاْ ءَاذَنَّٰكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ ﴿٤٧﴾ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَدْعُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَظَنُّواْ مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٤٨﴾ لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ ۚ فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِمَا عَمِلُواْ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٠﴾ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ ﴿٥١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ ۗ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ ﴿٥٤﴾﴾.

لمَّا ذَكَر تعالى: «مَن عَمِلَ صالحاً» الآية، كان في ذلك دلالةٌ على الجَزاء يومَ القيامة، فكأنَّ سائلاً قال: ومتى ذلك؟ فقيل: لا يَعْلَمها إلَّا الله، ومَن سُئِلَ عنها فليس عندَه عِلْمٌ بتعيين وقتها، وإنَّما يردّ ذلك إلى الله، ثم ذَكَرَ سَعَةَ عِلمْه وتعلُّقه بما لا يَعلمه إلَّا هو تعالى.

وقرأ أبو جعفر والأعرج وشيبة وقتادة والحسن ـ بخلاف عنه ـ وابنُ عامر ونافع في غيرِ رواية أبي خُلَيْد، والمُفضَّل وحفص وابنُ مقسم: «مِن ثَمَراتٍ» على الجمع، وقرأ باقي السَّبْعَة والحَسَن في روايةٍ وطلحة والأعمش بالإفراد(١).

ولمَّا كان ما يَخرج مِن أكمام الشَّجَرة وما تَحمِلُ الإناثُ وتَضَعه هو إيجادُ أشياءَ

(١) ينظر المحرر الوجيز ٥/ ٢١، وزاد المسير ٧/ ٢٦٤-٢٦٥، وتفسير القرطبي ١٨/ ٤٣٣، وقراءة نافع وابنِ عامر وحفص وأبي جعفر في السبعة ص ٥٧٧، والتيسير ص ١٩٤، والنشر ٢/ ٣٦٧، وأبو خليد: هو عتبة بن حمَّاد الحكمي الدمشقي البلاطي القارئ، روى القراءة عن نافع، وله عنه نسخة، وروى عنه القراءة هشام بن عمار وغيره. غاية النهاية ١/ ٤٩٨.

بَعْدَ العَدَم، ناسَبَ أَنْ يُذكَر مع عِلْم السَّاعة، إذ في ذلك دليلٌ على البَعْثِ، إذ هو إعادةٌ بعد إعدام، وناسبَ ذِكْر أحوالِ المشركين في ذلك اليوم، وسؤالهم سؤال التوبيخ، فقال: «ويومَ يُناديهم أين شركائي» أي: الذين نَسَبْتُموهم إليَّ وزَعَمتم أنَّهم شركاءُ لي، وفي ذلك تَهَكُّم بهم وتَقْريع.

والضمير في «يناديهم» عامٌّ في كلِّ مَن عَبَدَ غيرَ اللهِ، فيندرج فيه عُبَّاد الأوثان.

«قالوا آذَنَّاكَ» أي: أعلمناكَ، قال الشاعر:

آذَنَــتْــنَــا بِــبَــيْــنِــهَــا أســمــاءُ رُبَّ ثــاوٍ يُــمَــلُّ مــنــه الــثَّــواءُ[1]

وقال ابنُ عبَّاس: أَسْمَعناك[2]، كأنَّه استبعدَ الإعلامَ لله؛ لأنَّ أهلَ القيامة يَعلمون أنَّ اللهَ يَعلَمُ الأشياءَ عِلْماً واجباً، فالإعلام في حقِّه مُحالٌ.

والظاهر أنَّ الضميرَ في «قالوا» عائدٌ على المُنادَين؛ لأنَّهم المُحدَّث عنهم «ما مِنَّا» أَحَدٌ اليومَ ـ وقد أَبْصَرنا وسَمعنا ـ يَشْهَدُ أنَّ لك شريكاً، بل نحن موحِّدون لَكَ، أو «ما منَّا» أَحَدٌ يُشاهِدهم، لأنَّهم ضَلُّوا عنهم وضلَّت عنهم آلهتُهم لا يُبْصِرونها في ساعة التَّوبيخ.

وقيل: الضمير في «قالوا» عائدٌ على الشُّرَكاء، أي: قال الشُّركاء: «ما مِنَّا» مَن يَشهد بما أضافوا إلينا مِن الشِّركة، و«آذَنَّاكَ» معلَّق، لأنَّه بمعنى الإعلام، والجملة مِن قوله: «ما مِنَّا مِن شَهيد» في موضع المفعول، وفي تعليق باب: أَعْلَم وأَنبأَ، خلافٌ، والصحيح أنَّه مسموعٌ مِن كلام العرب[3].

(١) القائل: الحارث بن حِلِّزة اليشكري، والبيت مطلع معلقته، وهو في شرح القصائد التسع المشهورات للنحاس ٢/٥٤١، وشرح المعلقات السبع للزوزني ص ١٩٠، والبين: الفراق، والثاوي: المقيم، والثواء: الإقامة.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٢٢، وأخرجه عنه الطبريُّ ٢٠/٤٥٦.

(٣) التعليق: أنْ تُقدَّرَ المفاعيل؛ لعدم إمكانِ ظهورها، نحو قوله تعالى: ﴿يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [سبأ: ٧]، فجملة ﴿إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ﴾ في الآية ـ سدَّت مَسَدَّ مفعولي ﴿يُنَبِّئُكُمْ﴾، والمفعول الأول الكاف والميم من ﴿يُنَبِّئُكُمْ﴾. معجم القواعد العربية في النحو التصريف للدَّقر ص ٤١٧، وينظر شرح ابن عقيل ١/ ٤٥٣، وتوضيح المقاصد للمرادي ١/ ٣٩٥.

والظاهر أنَّ قولَهم «آذَنَّاكَ» إنشاءٌ، كقولك: أَقْسَمْتُ لأضربنَّ زيداً، وإن كان إخباراً سابقاً، فتكون إعادةُ السؤال؛ توبيخاً لهم.

«وضلَّ عنهم ما كانوا يَدْعُونَ مِن قَبْلُ» أي: نَسُوا ما كانوا يَقولون في الدُّنيا ويَدْعُونَ مِن الآلهة، أو: «وضلَّ عنهم» أي: تَلِفَت أصنامُهم وتَلَاشَت، فلم يَجدوا منها نَصْراً ولا شفاعةً، «وظَنُّوا» أي: أيقنوا، قاله السُّدِّيُّ[١]، «ما لهم مِن مَحِيْصٍ» أي: مِن حَيْدَةٍ ورَواغٍ عن العذاب.

والظاهر أنَّ «ظَنُّوا» مُعلَّقة، والجملة المنفيَّة في موضع مفعولَي «ظَنُّوا»، وقيل: تَمَّ الكلامُ عند قوله: «وظَنُّوا» أي: وتَرجَّح عندهم أنَّ قولَهم «ما مِنَّا مِن شهيدٍ» مَنْجاةٌ لهم، أو أَمْرٌ يُموِّهونَ به، والجملة بَعْدَ ذلك مستأنفةٌ أَنْ يكون لهم مَنْجًى، أو موضع رَوَغان.

«لا يَسْأَمُ الإنسانُ مِن دُعاءِ الخير» هذه الآيات نَزَلت في كُفَّارٍ، قيل: في الوليد بنِ المُغيرة، وقيل: في عُتْبَة بنِ رَبيعة[٢]، وكثيرٌ مِن المسلمين يَتَّصفون بوَصْفِ أوَّلِها مِن دُعاء الخير، أي: مِن طَلَب السَّعَة والنِّعْمَة، و«دعاء» مصدرٌ مضافٌ للمفعول.

وقرأ عبد الله: «مِن دعاءٍ بالخير» بباءٍ داخلةٍ على «الخير»[٣]، وفاعل المصدر محذوف، تقديره: مِن دعاءِ الخير هو.

«وإنْ مَسَّه الشَّرُّ» الفَقْرُ والضِّيْقَة[٤] «فيَؤُوسٌ» أي: فهو يَؤُوسٌ «قَنُوطٌ»، وأَتَى بهما صِيغَتَي مبالغة، واليَّأْسُ مِن صفة القلب، وهو أَنْ يَقْطَع رجاءَه مِن الخير، والقُنُوطُ أَنْ يَظْهَر عليه آثارُ اليَّأْسِ؛ فيَتضاءَل ويَنكَسِر، وبَدَأَ بصفة القلب؛ لأنَّها هي المُؤثِّرة فيما يَظهر على الصورةِ من الانكسار.

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٢٢، وأخرجه عنه الطبريُّ ٢٠/ ٤٥٧.
(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٢٢، وينظر تفسير القرطبي ١٨/ ٤٣٤، والكشاف ٣/ ٤٥٧.
(٣) تفسير الثعلبي ٥/ ٣٧٧، والمحرر الوجيز ٥/ ٢٢، والكشاف ٣/ ٤٥٧، والقراءات الشاذة ص١٣٣، وتفسير القرطبيّ ١٨/ ٤٣٤، ووقع عند الأخير: «من دعاءِ المال».
(٤) الضِّيْقَة بالكسر ـ ويفتح ـ: الفقر وسوء الحال. القاموس (ضيق).

«ولَئِن أَذَقْناهُ رحمةً مِنَّا» سَمَّى النِّعمةَ رحمةً؛ إذ هي مِن آثارِ رحمةِ الله، «مِن بَعْدِ ضَرَّاء» أي: ضُرٌّ «مَسَّتْهُ لَيقُولَنَّ هذا لي» أي: بِسَعْيي واجتهادي، ولا يَرَاها أنَّها مِن الله، أو «هذا لي» لا يَزول عَنِّي، «وما أَظُنُّ الساعةَ قائمةً» أي: ظَنُّنا أنَّا لا نُبعَث، وأنَّ ما جاءَت به الرُّسُل مِن ذلك ليس بواقعٍ، كما قال تعالى حكاية عنهم: ﴿إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ﴾ [الجاثية: ٣٢].

«ولَئِن» رُدِدْتُ «إلى ربِّي» ولَئِن كان كما أَخبرت الرُّسل «إنَّ لي عندَه» أي: عندَ الله «للحُسْنى» أي: الحالة الحسنى مِن الكرامة والنِّعْمَة، كما أنعم عليَّ في الدنيا.

وأكَّدوا ذلك باليمين، وبتقديم «لي» و«عنده» على اسم «إنَّ»، وبدخول لام التأكيد عليه أيضاً، وبصيغة الحُسْنى مُؤَنَّث: الأحسن، الذي هو أَفْعَل التفضيل، ولم يقولوا: للحسنة، أي: الحالة الحَسَنة.

وقال الحسن بنُ محمد بنِ عليّ بنِ أبي طالب ﷺ: للكافر أُمْنِيتان؛ أمَّا في الدنيا فهذه «إنَّ لي عندَه للحُسْنى» وأمَّا في الآخرة ﴿يَٰلَيْتَنِي كُنتُ تُرَٰبًا﴾[1] [النبأ: ٤٠].

«فَلَنُنَبِّئَنَّ الذين كفروا بما عَملوا» مِن الأفعال السَّيِّئة، وذلك كنايةٌ عن جَزَائهم بأعمالهم السَّيِّئة، «ولَنُذِيقَنَّهم مِن عذابٍ غليظ» في مقابلة «إنَّ لي عندَه للحُسْنى»، وكنَّى بغِلَظِ العذاب عن شِدَّته.

«وإذا أَنْعَمْنا» تقدَّم الكلامُ على نظيرِ هذه الجملة[2] في أواخِرِ «سبحان»[3] إلَّا أنَّ في آخِرِ تلك: ﴿كَانَ يَـُٔوسًا﴾، وآخِرِ هذه: «فذُو دُعاءٍ عَريض»، أي: فهو دَعَّاءٌ بإزالة الشَّرِّ عنه وكَشْفِ ضُرِّه، والعربُ تستعمل الطُّول والعَرْض في الكَثْرَة، يقال: أطالَ فلانٌ في الكلام، وأَعْرَضَ في الدُّعاء: إذا أَكْثَرَ، أي: فذو تَضَرُّعٍ واستغاثة.

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٢٢، وينظر تفسير القرطبي ١٨/ ٤٣٥، والكشاف ٣/ ٤٥٧، وأخرجه عنه الثعلبيُّ في الكشف والبيان ٥/ ٣٧٧.

(٢) عند تفسير الآية (٨٣) من سورة الإسراء.

(٣) تفسير القرطبي ١٨/ ٤٣٦، وينظر تفيسر الثعلبي ٥/ ٣٧٧، والبغوي ٤/ ١١٨، والطبري ٢٠/ ٤٦٠.

وذَكَر تعالى في هذه الآية نوعاً مِن طُغيانِ الإنسان إذا أصابه اللهُ بنعمةٍ أَبْطَرَتهُ النِّعمة، «وإذا مَسَّهُ الشَّرُّ» ابتهلَ إلى الله وتضرَّع.

«قُلْ أَرَأَيْتم إنْ كان» أي: القرآنُ «مِن عندِ الله»، أَبْرَزَهُ في صورةِ الاحتمال، وهو مِن عندِ الله بلا شَكٍّ، ولكنَّه تَنزَّل معهم في الخطاب.

والضمير في «أرأيتم» لكفَّار قريشٍ، وتقدَّم أنَّ معنى «أَرَأَيْتم» أخبِروني، والمعنى: أَخْبِروني عن حالِكم «إن كان» هذا القرآن «مِن عندِ الله»، «وكفرتم به»، وشَاقَقْتُم في اتِّباعه «مَن أضلُّ» منكم، إذ أَنتم المشاقُّون فيه والمُعْرِضون عنه، والمُستهزؤون بآياتِ الله.

وتقدَّم أنَّ «أرأيتم» هذه تتعدَّى إلى مفعولٍ مذكور، أو محذوف، وإلى ثانٍ الغالب فيه أن يكون جملةً استفهاميَّة، فالمفعول الأوَّل محذوف، تقديره: «أرأيتم» أنفسَكم، والثاني: هو جملةُ الاستفهام، إذ معناه: مَن أَضَلُّ منكم أيُّها الكفَّار، إذ مآلُكم إلى الهلاك في الدُّنيا والآخِرَة.

ثمَّ تَوعَّدهم بما هو كائنٌ لا محالةَ، فقال: «سَنُريهم آياتِنا في الآفاقِ» قال المنهال[1] والسُّدِّيُّ وجماعةٌ: هو وعيدٌ للكفار بما يَفتحه اللهُ على رسوله مِن الأقطار حولَ مكَّة، وفي غير ذلك مِن الأرض، كـ: خيبر، «وفي أَنْفُسِهم» أرادَ به فتحَ مكَّة، وتَضمَّن ذلك الإخبار بالغيب ووَقَع كما أَخبرَ[2].

وقال الضحاك وقتادة: «في الآفاق» ما أَصابَ الأُمَمَ المكذِّبةَ في أقطارِ الأرض قديماً، «وفي أنفسهم» يومَ بدر، وقال عطاء وابنُ زيد: في آفاقِ السَّماء، وأرادَ الآياتِ: في الشَّمس والقمر والرياح وغيرِ ذلك، «وفي أنفسهم» عِبْرَة الإنسان

(١) في النسخ: أبو المنهال، والمثبت من المحرر الوجيز ٥/ ٢٣ ـ والكلام منه ـ ومصادرِ التخريج، وهو الصواب، وهو: أبو عمرو المنهال بن عمرو الأسَدي، يروي عن أنس بن مالك وزِرّ بن حُبَيْش وغيرهما، وروى عنه حجاج بن أرطاة ومنصور وشعبة وغيرهم، وثَّقه يحيى بنُ معين وغيره، وقال الدارقطني: صدوق. توفي سنة بضع عشرة ومئة. تهذيب الكمال، والسير ٥/ ١٨٤.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٢٣، وما بعده منه أيضاً، وينظر تفسير الثعلبي ٥/ ٣٧٧، والقرطبي ١٨/ ٤٣٧، وقول المنهال والسدي عند الطبري ٢٠/ ٤٦١.

بجسمه وحواسِّه وغَرِيْب خِلْقَته وتدريجه في البَطْن، ونحو ذلك، وينبو هذان القولان عن لفظِ «سَنُرِيهم»، لأنَّ هلاكَ الأُمَم المكذِّبَةِ قديماً وآياتِه الشمسَ والقمرَ وغيرَ ذلك، قد كان ذلك كلّه مَرْئِيًّا لهم، فالقولُ الأوّل أرجح[1].

وأخَذَ الزمخشريُّ هذا القولَ وذَيَّلَه، فقال: يعني ما يَسَّرَ اللهُ عزَّ وجلَّ لرسولِ الله ﷺ وللخلفاءِ مِن بَعْدِه ونُصَّار دينِه في آفاقِ الدُّنيا ـ وبلادِ المَشْرِق والمغرب عموماً، وفي باحَةِ العَرَب خصوصاً ـ مِن الفُتُوحِ التي لم يتيسَّر أمثالُها لأَحَدٍ مِن خُلَفاء الأرض قَبْلهم، ومِن الإظهارِ على الجبابرة والأكَاسِرَة، وتغليبِ قَليلهم على كثيرهم، وتَسليطِ ضِعافهم على أقويائهم، وإجرائِهِ على أيديهم أموراً خارجةً مِن المعهودِ، خارقةً للعادات، ونَشْرِ دعوةِ الإسلام في أقطار المَعْمُورة، وبَسْطِ دولته في أقاصِيْها، والاستقراءُ يُطْلِعُكَ في التواريخ والكُتُب المُدَوَّنة في مشاهِدِ أهلِه وأيَّامهم على عجائبَ لا تَرَى وقعةً مِن وقائعهم إلَّا عَلَماً مِن أعلامِ الله، وآيةً مِن آياته يقوى معها اليقين[2]، ويَزداد بها الإيمان، ويتبيَّن أنَّ دِيْنَ الإسلام هو دينُ الحقِّ الذي لا يَحيد عنه إلَّا مكابِرٌ حِسَّهُ، مغالِطٌ نفسَه. انتهى. ما كتبناه مُقْتَصراً عليه.

«حتى يتبيَّن لهم أنَّه» أي: أنَّ القرآنَ وما تضمَّنه مِن الشَّرْع هو «الحقُّ»، إذ وَقَعَ وَفْقَ ما أَخبر به مِن الغيب.

و«بِرَبِّكَ» الباءُ زائدة، التقدير: أَوَلم يَكْفِكَ ـ أو: يَكْفِهم ـ رَبُّك، و«أنَّه على كلِّ شيء شهيدٌ» بَدَلٌ مِن: رَبِّك؛ إمَّا حالَةَ كونِه مجروراً بالباء فيكونَ بَدَلاً على اللفظ، وإمَّا حالَةَ مراعاةِ اللفظ فيكون بَدَلاً على الموضع، وقيل: إنَّه على إضمارِ الحَرْفِ، أي: أَوَلم يَكْفِ ربُّك بشهادته، فحذفَ الحرف، وموضعُ «أنَّ» على الخلاف، أَهُو في موضع نَصْبٍ، أو في موضع جَرٍّ، ويَبعُد قولُ مَن جَعَل «بربِّك» في موضع نصب، وفاعل: كفى «أنَّ» وما بَعْدَها، والتقدير عنده: أو لم يَكْفِ رَبَّك شهادَته.

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٢٣، وينظر تفسير الثعلبي ٥/ ٣٧٧، والنكت والعيون ٥/ ١٨٩، وتفسير البغوي ٤/ ١٨٨-١١٩، والقرطبي ١٨/ ٤٣٧، وقولُ ابنِ زيد عند الطبريّ ٢٠/ ٤٦٢.

(٢) في النسخ: تقوى معها النفس، والمثبت من مطبوع الكشاف ٣/ ٤٥٨، ومخطوطِه الورقة (٢٦٥).

وقُرئَ: «إنَّه» بكسر الهمزة[١]؛ على إضمارِ القول، و«ألَا» استفتاحٌ، تُنبِّه السامعَ على ما يُقال.

وقرأ السُّلَميُّ والحسن «في مُرْيَة» بضمِّ الميم[٢]، وإحاطتُه تعالى بالأشياءِ عِلْمُه بها جملةً وتفصيلاً، فهو يُجازِيهم على كُفرهم ومِرْيَتهم في لقاءِ ربِّهم.

* * *

تمَّ الجزء الثامن عشر من البحر المحيط،

ويتلوه الجزء التاسع عشر

وأوَّله تفسير قوله تعالى:

﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ ۝٢﴾،

من أول سورة الشورى

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٢٤، وينظر معاني القرآن للزجاج ٤/ ٣٩٢.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٢٤، وأوردها أيضاً الزمخشريُّ في الكشاف ٣/ ٤٥٨ ولم ينسبها.

فهرس الآيات

سورة فاطر ....

● **مفردات سورة فاطر** ٥

تفسير قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَىٰ
وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١) مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ
فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢) يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا
نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ
تُؤْفَكُونَ (٣) وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ (٤) يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ
وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ (٥) إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ
فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ (٦) الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ
وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ (٧) أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا
فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا
يَصْنَعُونَ (٨)﴾ ٦

تفسير قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ
بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَٰلِكَ النُّشُورُ (٩) مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ
وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَٰئِكَ هُوَ
يَبُورُ (١٠) وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَىٰ وَلَا تَضَعُ
إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (١١)
وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا
طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ

تَشْكُرُونَ (١٢) يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ
كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ
مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ (١٣) إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ
وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ (١٤)﴾ ١٨

تفسير قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ (١٥) إِن يَشَأْ
يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ (١٦) وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ (١٧) وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ
وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَىْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ
رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ (١٨) وَمَا
يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ (١٩) وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ (٢٠) وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ (٢١) وَمَا
يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ (٢٢) إِنْ أَنتَ
إِلَّا نَذِيرٌ (٢٣) إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ (٢٤) وَإِن يُكَذِّبُوكَ
فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ (٢٥) ثُمَّ
أَخَذْتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ (٢٦)﴾ ٣١

تفسير قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا وَمِنَ
ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ (٢٧) وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ
وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ
غَفُورٌ (٢٨) إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا
وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ (٢٩) لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ
غَفُورٌ شَكُورٌ (٣٠) وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ هُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ
ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرٌۢ بَصِيرٌ (٣١) ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ
لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ (٣٢)
جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ (٣٣) وَقَالُوا۟
ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ (٣٤) ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن
فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ (٣٥)﴾ ٤٠

تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم
مِّنْ عَذَابِهَا كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ (٣٦) وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا

غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ عَٰلِمُ غَيْبِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٣٨﴾ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴿٣٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ ۚ بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴿٤٠﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾﴾ . . ٥٥

تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾ ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ ۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ۚ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا ﴿٤٥﴾﴾ ٦٤

سورة يس . . . .

- **مفردات سورة يس** ٧١

تفسير قوله تعالى: ﴿يسٓ ﴿١﴾ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤﴾ تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٥﴾ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٦﴾ لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٧﴾ إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾ وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ ۖ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴿١١﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾﴾ ٧١

تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُوا۟ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَآ

أَنزَلَ ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا۟ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيْنَآ
إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٧﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا۟ لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ
أَلِيمٌ ﴿١٨﴾ قَالُوا۟ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ ۚ أَئِن ذُكِّرْتُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿١٩﴾ وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ
رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾
وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ
لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّىٓ ءَامَنتُ
بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ ﴿٢٥﴾ قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ ۖ قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى
مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾﴾ ٨١

تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِن جُندٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ﴿٢٨﴾
إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ ﴿٢٩﴾ يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ ۚ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا
كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٠﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٣١﴾
وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٣٢﴾ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ
يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ﴿٣٤﴾
لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ
كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ
ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾
وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ
وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾ وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى ٱلْفُلْكِ
ٱلْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ
يُنقَذُونَ ﴿٤٣﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٤٤﴾﴾ ٩٣

تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُوا۟ مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٥﴾ وَمَا
تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤٦﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ
قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ
مُّبِينٍ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ
وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَإِذَا
هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ ۗ هَٰذَا مَا وَعَدَ

ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾﴾ . . ١١٧

تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾ وَٱمْتَٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٩﴾ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱصْلَوْهَا ٱلْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦٤﴾ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ فَٱسْتَبَقُوا۟ ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ ﴿٦٦﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَٰهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ﴿٦٧﴾ وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِى ٱلْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾ وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٠﴾﴾ ١٢٣

تفسير قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ ﴿٧٥﴾ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾ أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ ١٣٨

سورة الصافات . . . .

- **مفردات الآيات (١-٩٨) من قوله تعالى:** ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا ﴿١﴾ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا ﴿٢﴾ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا ﴿٣﴾﴾ **إلى قوله تعالى:** ﴿فَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾﴾ ١٤٦

تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا (١) فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا (٢) فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا (٣) إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ (٤) رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ (٥) إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ (٦) وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ (٧) لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ (٨) دُحُورًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ (٩) إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ (١٠)﴾ . . ١٥٠

تفسير قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَآ ۚ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ (١١) بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ (١٢) وَإِذَا ذُكِّرُوا۟ لَا يَذْكُرُونَ (١٣) وَإِذَا رَأَوْا۟ ءَايَةً يَسْتَسْخِرُونَ (١٤) وَقَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ (١٥) أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ (١٦) أَوَ ءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ (١٧) قُلْ نَعَمْ وَأَنتُمْ دَٰخِرُونَ (١٨) فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ (١٩) وَقَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا هَٰذَا يَوْمُ ٱلدِّينِ (٢٠) هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ (٢١)﴾ ١٥٨

تفسير قوله تعالى: ﴿ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ (٢٢) مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ (٢٣) وَقِفُوهُمْ ۖ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ (٢٤) مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ (٢٥) بَلْ هُمُ ٱلْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ (٢٦) وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ (٢٧) قَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ (٢٨) قَالُوا۟ بَل لَّمْ تَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ (٢٩) وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ ۖ بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ (٣٠) فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَآ ۖ إِنَّا لَذَآئِقُونَ (٣١) فَأَغْوَيْنَٰكُمْ إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ (٣٢) فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ (٣٣) إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ (٣٤) إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ (٣٥) وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا۟ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍۭ (٣٦) بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ (٣٧) إِنَّكُمْ لَذَآئِقُوا۟ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَلِيمِ (٣٨) وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٣٩)﴾ ١٦٤

تفسير قوله تعالى: ﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ (٤٠) أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ (٤١) فَوَٰكِهُ ۖ وَهُم مُّكْرَمُونَ (٤٢) فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ (٤٣) عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ (٤٤) يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍۭ (٤٥) بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ (٤٦) لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ (٤٧) وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ (٤٨) كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ (٤٩) فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ (٥٠) قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّى كَانَ لِى قَرِينٌ (٥١) يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ (٥٢) أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ (٥٣) قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ (٥٤) فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِى سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ (٥٥) قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ (٥٦) وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ (٥٧) أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ (٥٨) إِلَّا مَوْتَتَنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ (٥٩) إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ (٦٠) لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ (٦١)﴾ ١٦٩

تفسير قوله تعالى: ﴿أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِّلظَّالِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾ إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ ﴿٦٩﴾ فَهُمْ عَلَىٰ آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٧١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ ﴿٧٢﴾ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿٧٤﴾ وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَامٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ ﴿٨٢﴾﴾ ١٨٠

تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَئِفْكًا آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾ فَرَاغَ إِلَىٰ آلِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ ﴿٩٣﴾ فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ﴿٩٤﴾ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾﴾ ١٨٥

• مفردات الآيات (٩٩-١٨٢) من قوله تعالى: ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾ ١٩٢

تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ ۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾﴾ . ١٩٤

تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿١١٤﴾ وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿١١٥﴾ وَنَصَرْنَاهُمْ فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ ﴿١١٦﴾ وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ ﴿١١٧﴾ وَهَدَيْنَاهُمَا

ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١١٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّا
كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٢﴾ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾
إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٢٥﴾ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ
ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى
ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٢٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾
وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ إِذْ نَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٣٥﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا
ٱلْءَاخَرِينَ ﴿١٣٦﴾ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِٱلَّيْلِ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾ ﴾ ٢٠٤

تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ
مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى
بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾
وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِا۟ئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔامَنُوا۟ فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٤٨﴾ فَٱسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ
ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿١٤٩﴾ أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثًا وَهُمْ شَٰهِدُونَ ﴿١٥٠﴾ أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ
إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا لَكُمْ
كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ أَمْ لَكُمْ سُلْطَٰنٌ مُّبِينٌ ﴿١٥٦﴾ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ ٢٠٩

تفسير قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا۟ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا ۚ وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾ سُبْحَٰنَ
ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٠﴾ فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ ﴿١٦٢﴾
إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾ وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ
ٱلْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾ وَإِن كَانُوا۟ لَيَقُولُونَ ﴿١٦٧﴾ لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦٨﴾ لَكُنَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٩﴾
فَكَفَرُوا۟ بِهِۦ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٧٠﴾ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ
جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٤﴾ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٥﴾ أَفَبِعَذَابِنَا
يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٧﴾ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٨﴾ وَأَبْصِرْ
فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٩﴾ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ
لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾ ﴾ ٢١٦

سورة ص ....

● مفردات الآيات (١-١٤) من قوله تعالى: ﴿صٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ﴿١﴾ ﴾ إلى قوله
تعالى: ﴿إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ﴿١٤﴾ ﴾ ٢٢٥

تفسير قوله تعالى: ﴿صٓ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ (١) بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ (٢) كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَوا وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ (٣) وَعَجِبُوا أَن جَاءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَٰذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ (٤) أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ (٥) وَانطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ (٦) مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَٰذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ (٧) أَأُنزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِن بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّن ذِكْرِي بَل لَّمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ (٨) أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ (٩) أَمْ لَهُم مُّلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ (١٠) جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ الْأَحْزَابِ (١١) كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ (١٢) وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ لْئَيْكَةِ أُولَٰئِكَ الْأَحْزَابُ (١٣) إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ (١٤)﴾ ٢٢٧

• **مفردات الآيات (١٥-٤٠) من قوله تعالى:** ﴿وَمَا يَنظُرُ هَٰؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ (١٥)﴾ **إلى قوله تعالى:** ﴿وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ (٤٠)﴾ ٢٤٠

تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنظُرُ هَٰؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ (١٥) وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ (١٦) اصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ (١٧) إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ (١٨) وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُ أَوَّابٌ (١٩) وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ (٢٠) وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ (٢١) إِذْ دَخَلُوا عَلَىٰ دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَىٰ سَوَاءِ الصِّرَاطِ (٢٢) إِنَّ هَٰذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ (٢٣) قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ (٢٤) فَغَفَرْنَا لَهُ ذَٰلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ (٢٥)﴾ ٢٤٤

تفسير قوله تعالى: ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ (٢٦) وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ (٢٧) أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ (٢٨) كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ (٢٩) وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ (٣٠) إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ (٣١) فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ

حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَىَّ فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٠﴾﴾ ٢٥٧

• **مفردات الآيات (٤١-٨٨) من قوله تعالى:** ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾﴾ **إلى قوله تعالى:** ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ ﴿٨٨﴾﴾ ٢٦٩

تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ ۖ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٤٣﴾ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾ وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾ وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾﴾ ٢٧١

تفسير قوله تعالى: ﴿هَٰذَا ذِكْرٌ ۚ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٩﴾ جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ﴿٥٠﴾ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ ﴿٥٢﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾ هَٰذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٥٦﴾ هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴿٥٧﴾ وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ ﴿٥٨﴾ هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ ۖ لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْ ۚ إِنَّهُمْ صَالُوا۟ ٱلنَّارِ ﴿٥٩﴾ قَالُوا۟ بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًۢا بِكُمْ ۖ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا ۖ فَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِى ٱلنَّارِ ﴿٦١﴾ وَقَالُوا۟ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾ أَتَّخَذْنَٰهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ ﴿٦٤﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ ۖ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴿٦٦﴾﴾ ٢٨٠

تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ نَبَؤٌا۟ عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾ مَا كَانَ لِىَ مِنْ عِلْمٍۭ بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾ إِن يُوحَىٰٓ إِلَىَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٠﴾ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ

بِيَدَيَّۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُۖ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾
قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ
يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ
أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ
وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ
لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ ﴿٨٨﴾﴾ ٢٩٠

سورة الزمر ....

• **مفردات الآيات (١-٣١) من قوله تعالى:** ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾﴾
إلى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾﴾ ٣٠٢

تفسير قوله تعالى: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ
بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ
أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَۗ
إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾ لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا
يَخْلُقُ مَا يَشَآءُۚ سُبْحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٤﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّۖ
يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَۖ كُلٌّ يَجْرِى
لِأَجَلٍ مُّسَمًّىۗ أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴿٥﴾ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا
وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِى
ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٦﴾ إِن تَكْفُرُوا۟
فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَۖ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْۗ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ
أُخْرَىٰۗ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٧﴾﴾ ٣٠٣

تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِىَ
مَا كَانَ يَدْعُوٓا۟ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًاۖ إِنَّكَ مِنْ
أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ﴿٨﴾ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦۗ قُلْ
هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم

بِغَيْرِ حِسَابٍ (١٠) قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ (١١) وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ (١٢) قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٣) قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِي (١٤) فَٱعْبُدُوا۟ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْخَـٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ (١٥) لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ ۚ يَـٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ (١٦)﴾ ٣١٤

تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّـٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ (١٧) ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ (١٨) أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي ٱلنَّارِ (١٩) لَـٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ (٢٠) أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَـٰبِيعَ فِي ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَـٰمًا ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِي ٱلْأَلْبَـٰبِ (٢١) أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَـٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَـٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ فِي ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ (٢٢)﴾ ٣٢٢

تفسير قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَـٰبًا مُّتَشَـٰبِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ (٢٣) أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ وَقِيلَ لِلظَّـٰلِمِينَ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ (٢٤) كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ (٢٥) فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلْخِزْيَ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ (٢٦) وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٢٧) قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (٢٨) ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَـٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٢٩) إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ (٣٠) ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ (٣١)﴾ ٣٢٦

• مفردات الآيات (٣٢-٧٥) من قوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَـٰفِرِينَ (٣٢)﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ (٧٥)﴾ ٣٣٦

تفسير قوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ أَلَيْسَ فِى
جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ (٣٢) وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ (٣٣)
لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ (٣٤) لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى
عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ (٣٥) أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ
وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ (٣٦) وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا
لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ (٣٧) وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ
لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ
ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ
ٱلْمُتَوَكِّلُونَ (٣٨) قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (٣٩) مَن يَأْتِيهِ
عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ (٤٠)﴾ ٣٣٨

تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِۦ وَمَن
ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ (٤١) ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا
وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ
مُّسَمًّى إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٤٢) أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ قُلْ أَوَلَوْ
كَانُوا۟ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ (٤٣) قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٤٤) وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
بِٱلْءَاخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (٤٥) قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِى مَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (٤٦) وَلَوْ
أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ
وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ (٤٧) وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا
كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ (٤٨)﴾ ٣٤٥

تفسير قوله تعالى: ﴿فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَٰهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ
عَلَىٰ عِلْمٍ بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٤٩) قَدْ قَالَهَا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم
مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ (٥٠) فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ هَٰٓؤُلَآءِ سَيُصِيبُهُمْ
سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ (٥١) أَوَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ
إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٥٢) قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن

رَحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟
لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن
رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾﴾ ٣٤٩

تفسير قوله تعالى: ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ
ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى
ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِى فَكَذَّبْتَ بِهَا
وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٩﴾ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم
مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ
ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ
مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾﴾ ... ٣٥٥

تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى
ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن
مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ
وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن
فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾
وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِا۟ىٓءَ بِٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ
وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾﴾ ٣٦٥

تفسير قوله تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا
وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ
هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ
خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ
إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾
وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ ۖ فَنِعْمَ
أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٧٤﴾ وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ وَقُضِىَ
بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٥﴾﴾ ٣٧٥

سورة غافر ....

• مفردات سورة غافر ٣٧٩

تفسير قوله تعالى: ﴿حمٓ (١) تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ (٢) غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ذِي ٱلطَّوۡلِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ (٣) مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَا يَغۡرُرۡكَ تَقَلُّبُهُمۡ فِي ٱلۡبِلَٰدِ (٤) كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ وَٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۖ وَهَمَّتۡ كُلُّ أُمَّةِۭ بِرَسُولِهِمۡ لِيَأۡخُذُوهُۖ وَجَٰدَلُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّ فَأَخَذۡتُهُمۡۖ فَكَيۡفَ كَانَ عِقَابِ (٥) وَكَذَٰلِكَ حَقَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ (٦)﴾ ٣٧٩

تفسير قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْۖ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ (٧) رَبَّنَا وَأَدۡخِلۡهُمۡ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمۡ وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ (٨) وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوۡمَئِذٖ فَقَدۡ رَحِمۡتَهُۥۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ (٩) إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنَادَوۡنَ لَمَقۡتُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُ مِن مَّقۡتِكُمۡ أَنفُسَكُمۡ إِذۡ تُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلۡإِيمَٰنِ فَتَكۡفُرُونَ (١٠) قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثۡنَتَيۡنِ وَأَحۡيَيۡتَنَا ٱثۡنَتَيۡنِ فَٱعۡتَرَفۡنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلۡ إِلَىٰ خُرُوجٖ مِّن سَبِيلٖ (١١) ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِيَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُۥ كَفَرۡتُمۡ وَإِن يُشۡرَكۡ بِهِۦ تُؤۡمِنُواْۚ فَٱلۡحُكۡمُ لِلَّهِ ٱلۡعَلِيِّ ٱلۡكَبِيرِ (١٢) هُوَ ٱلَّذِي يُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزۡقٗاۚ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ (١٣)﴾ ٣٩٠

تفسير قوله تعالى: ﴿فَٱدۡعُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ (١٤) رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلۡعَرۡشِ يُلۡقِي ٱلرُّوحَ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوۡمَ ٱلتَّلَاقِ (١٥) يَوۡمَ هُم بَٰرِزُونَۖ لَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنۡهُمۡ شَيۡءٞۚ لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ (١٦) ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡۚ لَا ظُلۡمَ ٱلۡيَوۡمَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ (١٧) وَأَنذِرۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡأٓزِفَةِ إِذِ ٱلۡقُلُوبُ لَدَى ٱلۡحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ حَمِيمٖ وَلَا شَفِيعٖ يُطَاعُ (١٨) يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ (١٩) وَٱللَّهُ يَقۡضِي بِٱلۡحَقِّۖ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقۡضُونَ بِشَيۡءٍۗ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ (٢٠) أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُواْ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَانُواْ هُمۡ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗ وَءَاثَارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمۡ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن

وَاقٍ ﴿٢١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ
شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٢﴾﴾ ٤٠٠

تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ
وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ
الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿٢٥﴾ وَقَالَ
فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي
الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴿٢٦﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ
الْحِسَابِ ﴿٢٧﴾ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ
رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ وَإِن يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِن يَكُ صَادِقًا
يُصِبْكُم بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ يَا قَوْمِ لَكُمُ
الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِن بَأْسِ اللَّهِ إِن جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ
إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٢٩﴾﴾ ٤١١

تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ
دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴿٣١﴾ وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ
عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ
هَادٍ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَاءَكُم بِهِ حَتَّىٰ إِذَا
هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ اللَّهُ مِن بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ
مُّرْتَابٌ ﴿٣٤﴾ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ وَعِندَ
الَّذِينَ آمَنُوا كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي
صَرْحًا لَّعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ
كَاذِبًا وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي
تَبَابٍ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَا قَوْمِ إِنَّمَا
هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰ
إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ
يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾﴾ ٤٢٢

تفسير قوله تعالى: ﴿وَيَٰقَوۡمِ مَا لِيٓ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدۡعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾ تَدۡعُونَنِي لِأَكۡفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشۡرِكَ بِهِۦ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞ وَأَنَا۠ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡغَفَّٰرِ ﴿٤٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِ لَيۡسَ لَهُۥ دَعۡوَةٞ فِي ٱلدُّنۡيَا وَلَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٤٣﴾ فَسَتَذۡكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمۡۚ وَأُفَوِّضُ أَمۡرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴿٤٤﴾ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۖ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ﴿٤٦﴾ وَإِذۡ يَتَحَآجُّونَ فِي ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمۡ تَبَعٗا فَهَلۡ أَنتُم مُّغۡنُونَ عَنَّا نَصِيبٗا مِّنَ ٱلنَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا كُلّٞ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدۡ حَكَمَ بَيۡنَ ٱلۡعِبَادِ ﴿٤٨﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِي ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ يُخَفِّفۡ عَنَّا يَوۡمٗا مِّنَ ٱلۡعَذَابِ ﴿٤٩﴾ قَالُوٓاْ أَوَلَمۡ تَكُ تَأۡتِيكُمۡ رُسُلُكُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ قَالُواْ بَلَىٰۚ قَالُواْ فَٱدۡعُواْۗ وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ ﴿٥٠﴾ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ ﴿٥١﴾ يَوۡمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعۡذِرَتُهُمۡۖ وَلَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٥٢﴾﴾ ٤٣٠

تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡهُدَىٰ وَأَوۡرَثۡنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡكِتَٰبَ ﴿٥٣﴾ هُدٗى وَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٥٤﴾ فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ ﴿٥٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴿٥٦﴾ لَخَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَكۡبَرُ مِنۡ خَلۡقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلۡمُسِيٓءُۚ قَلِيلٗا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأٓتِيَةٞ لَّا رَيۡبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٥٩﴾ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ﴿٦٢﴾ كَذَٰلِكَ يُؤۡفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ قَرَارٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَصَوَّرَكُمۡ فَأَحۡسَنَ صُوَرَكُمۡ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾ هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ ٤٤٠

تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِيَ الْبَيِّنَاتُ مِن رَّبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٦﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا ۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ ۖ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ ۖ فَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ ﴿٦٩﴾ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِن دُونِ اللَّهِ ۖ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُو مِن قَبْلُ شَيْئًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ ﴿٧٤﴾ ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾﴾ ٤٤٨

تفسير قوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ۚ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٧٧﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ۗ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنكِرُونَ ﴿٨١﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٨٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾ ٤٥٤

سورة فصلت ....

- **مفردات سورة فصلت** ٤٦١

تفسير قوله تعالى: ﴿حم ﴿١﴾ تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٤﴾ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ

مِمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَٱعْمَلْ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ﴿٥﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠
بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾
ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ
لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٨﴾ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ
أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ
أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا
قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ
ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿١٢﴾﴾ ٤٦٢

تفسير قوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ إِذْ جَآءَتْهُمُ
ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ قَالُوا۟ لَوْ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً فَإِنَّا
بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ
أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ
رِيحًا صَرْصَرًا فِىٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَخْزَىٰ ۖ
وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ
ٱلْهُونِ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾ وَنَجَّيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿١٨﴾﴾ ٤٧٧

تفسير قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ
عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ
قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنتُمْ
تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ
كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾
فَإِن يَصْبِرُوا۟ فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ۖ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا۟ فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ ﴿٢٤﴾ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ
فَزَيَّنُوا۟ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ
وَٱلْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢٥﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ
تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾ فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ
جَزَآءُ أَعْدَآءِ ٱللَّهِ ٱلنَّارُ ۖ لَهُمْ فِيهَا دَارُ ٱلْخُلْدِ ۖ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟
رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٢٩﴾﴾ . . ٤٨٦

تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ (٣٠) نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَشۡتَهِيٓ أَنفُسُكُمۡ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ (٣١) نُزُلًا مِّنۡ غَفُورٖ رَّحِيمٖ (٣٢) وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ (٣٣) وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ (٣٤) وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٖ (٣٥) وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ (٣٦) وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيۡلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُۚ لَا تَسۡجُدُواْ لِلشَّمۡسِ وَلَا لِلۡقَمَرِ وَٱسۡجُدُواْۤ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ (٣٧) فَإِنِ ٱسۡتَكۡبَرُواْ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمۡ لَا يَسۡـَٔمُونَ (٣٨) وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلۡأَرۡضَ خَٰشِعَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡۚ إِنَّ ٱلَّذِيٓ أَحۡيَاهَا لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰٓۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ (٣٩)﴾ . ٤٩٦

تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخۡفَوۡنَ عَلَيۡنَآۗ أَفَمَن يُلۡقَىٰ فِي ٱلنَّارِ خَيۡرٌ أَم مَّن يَأۡتِيٓ ءَامِنٗا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ (٤٠) إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكۡرِ لَمَّا جَآءَهُمۡۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٞ (٤١) لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ (٤٢) مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدۡ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبۡلِكَۚ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغۡفِرَةٖ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٖ (٤٣) وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَانًا أَعۡجَمِيّٗا لَّقَالُواْ لَوۡلَا فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥٓۖ ءَا۬عۡجَمِيّٞ وَعَرَبِيّٞۗ قُلۡ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدٗى وَشِفَآءٞۚ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٞ وَهُوَ عَلَيۡهِمۡ عَمًىۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوۡنَ مِن مَّكَانِۢ بَعِيدٖ (٤٤) وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ فَٱخۡتُلِفَ فِيهِۗ وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيۡنَهُمۡۚ وَإِنَّهُمۡ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُ مُرِيبٖ (٤٥) مَّنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَسَآءَ فَعَلَيۡهَاۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ (٤٦)﴾ ٥٠٦

تفسير قوله تعالى: ﴿إِلَيۡهِ يُرَدُّ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِۚ وَمَا تَخۡرُجُ مِن ثَمَرَٰتٖ مِّنۡ أَكۡمَامِهَا وَمَا تَحۡمِلُ مِنۡ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلۡمِهِۦۚ وَيَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ أَيۡنَ شُرَكَآءِي قَالُوٓاْ ءَاذَنَّٰكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٖ (٤٧) وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَدۡعُونَ مِن قَبۡلُۖ وَظَنُّواْ مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٖ (٤٨) لَّا يَسۡـَٔمُ ٱلۡإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلۡخَيۡرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٞ قَنُوطٞ (٤٩) وَلَئِنۡ أَذَقۡنَٰهُ رَحۡمَةٗ مِّنَّا مِنۢ بَعۡدِ ضَرَّآءَ مَسَّتۡهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِي وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةٗ وَلَئِن رُّجِعۡتُ إِلَىٰ رَبِّيٓ إِنَّ لِي عِندَهُۥ لَلۡحُسۡنَىٰۚ فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِمَا عَمِلُواْ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنۡ عَذَابٍ غَلِيظٖ (٥٠) وَإِذَآ أَنۡعَمۡنَا عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ أَعۡرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا

مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ ﴿٥١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ
مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ
يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ فِى مِرْيَةٍ
مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ ۗ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ ﴿٥٤﴾﴾ ٥١٥